

2

WINTER
2010

الإنسان والتطور

إصدار دار حسب دار المدح دار أور

في البنية، كالتحليلات الكلامية

الإنسان والتطور إصدار دار حسب دار المدح دار أور

شتاء 2010



شتاء 2010

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



دراسة في
علم الحاسوب
الكتاب الثاني

يحيى الرخاوي

الفهرس

- الثلاثاء 2009-06-09
4995 -648 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الإربعاء 2009-06-10
5003 -649 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الثلاثاء 2009-06-16
5044 -655 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الإربعاء 2009-06-17
5050 -656 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الثلاثاء 2009-06-23
5092 -662 (تابع الملف!).. عن الحب والكره (5)
- الإربعاء 2009-06-24
5099 -663 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الثلاثاء 2009-06-30
5146 -669 - نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف
- الإربعاء 2009-07-01
4 -670 "....علمني ضرب النار، بكلمة
صدق طالعه مولعة"
الأحد 2009-07-05
44 -674 لعبة الكلام: سبع جنازات
- الثلاثاء 2009-07-07
54 -676 التحليل النفسي: هل مات فعلاً؟
- الإربعاء 2009-07-08
61 -677 إحياء المعنى يملأ الكلام!
- الثلاثاء 2009-07-14
111 -683 أنا ماشي "سريع" حوالين نفسي !! (1 من 2)
- الإربعاء 2009-07-15
118 -684 أنا ماشي "سريع" حوالين نفسي !! (2 من 2)
- الثلاثاء 2009-07-21
154 -690 الفصل الأول: لعبة الكلام :
الحالة الثانية (1 من 2)
- الإربعاء 2009-07-22
162 -691 الفصل الأول: لعبة الكلام :
الحالة الثانية (2 من 2)

- الثلاثاء 2009-07-28
 205 -697 الحق في الانسحاب (الرجوع)
 : الحنين إلى "ركنك الخاص" (1 من 2)
 الأربعاء 2009-07-29
 2462 -698 الحلقة (17) من وحى الحالة الثالثة
 الثلاثاء 2009-08-04
 15 -704 حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (1 من 2)
 الأربعاء 2009-08-05
 19 -705 حين يصبح الركن قبرا لا ملاذا (2 من 2)
 الثلاثاء 2009-08-11
 52 -711 العلاج النفسي الاستجدائى الاعتمادى
 الأربعاء 2009-08-12
 56 -712 التحذير من تعرية مؤلمة، بلا
 حركة مشاركة
 الثلاثاء 2009-08-18
 87 -718 عن العلاج النفسى والأيدولوجيا (1 من 2)
 الأربعاء 2009-08-19
 94 -719 عن العلاج النفسى والأيدولوجيا،
 وموت الانسان (2 من 2)
 الثلاثاء 2009-08-25
 127 -725 دفاعات ضد "حركية"
 تجليات"الهب"على مسار النضج
 الأربعاء 2009-08-26
 138 -726 قراءة في عيون بشرية
 الأربعاء 2009-09-02
 7 -733 مش يمكن يطلع كل ده : "أنا" مش "هوه"
 الثلاثاء 2009-09-08
 52 -739 حركية استجالة العلاقة الممكنة
 بين البشر (1 من 2)
 الأربعاء 2009-09-09
 63 -740 حركية استجالة العلاقة الممكنة
 بين البشر (2 من 2)
 الثلاثاء 2009-09-15
 103 -746 " القط/النمر بداخلنا" (1 من 3)
 الأربعاء 2009-09-16
 108 -747 القط النمر بداخلنا (2 من 3)
 الثلاثاء 2009-09-22
 146 -753 القط النمر بداخلنا (3 من 3)
 الثلاثاء 2009-09-29
 196 -760 نحب؟ أم "نلعب حيا"؟

- الإربعاء 2009-10-14
 89 -775 أن يحب أهدنا الآخر بما يليق
 بالكائن البشرى المعاصر
 الإربعاء 2009-10-21
 133 -782 "السدود" على طريق "جدل الحب"
 الإربعاء 2009-10-28
 177 -789 فقه العلاقات بين البشر (العين الحرامية)
 الإربعاء 2009-11-04
 18 -796 حوار حول هذا العمل، خارج حوار الجمعة
 الإربعاء 2009-11-11
 75 -804 امتداد وقفة المراجعة (2): الحق في الحب
 الخميس 2009-11-12
 89 -804 امتداد وقفة المراجعة (3): الحق في الحب
 الإربعاء 2009-11-18
 127 -810 ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض،
 لنبقى بشرا
 الخميس 2009-11-19
 141 -811 مرة أخرى: عن المنهج والموضوع
 الإربعاء 2009-11-25
 179 -817 استطراد آخر: بعض تجليات "تسؤل الحب"
 الخميس 2009-11-26
 186 -818 مزيد من التعقيب، وبعض الحوار،
 (وعموميات مؤقتا)
 الإربعاء 2009-12-02
 13 -824 الحزن اليقظ، وآلام الرؤية/البصيرة
 الخميس 2009-12-03
 20 -825 عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض
 الصمت
 الإربعاء 2009-12-09
 62 -831 تسول الحب، والاعتمادية الرضية
 (1 من 2)
 الخميس 2009-12-10
 71 -832 تسول الحب، والاعتمادية الرضية
 (2 من 2)
 الخميس 2009-12-17
 136 -839 بنضج الوجدان البشرى: حركية
 "لتعارفوا" (الحب)
 الإربعاء 2010-01-06
 36 -859 "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة
 الإربعاء 2010-01-13
 104 -866 "نيجاتيف" إنسان، وتعرية قاسية صادقة

	الإربعاء	2010-01-20
165	-873 لوحات تشكيلية وليست حالات (سوف نكرر هذا التنبؤ كل مرة	الإربعاء
		2010-01-27
216	-880 أبواب وسراييب (1 من 3)	الإربعاء
		2010-02-03
267	-887 أبواب وسراييب (2 من 3)	الإربعاء
		2010-02-10
314	-894 أبواب وسراييب (3 من 4)	الإربعاء
		2010-02-17
355	-901 أبواب وسراييب (4 من 4)	الإربعاء
		2010-02-24
420	-908 فانوس ألوان	الإربعاء
		2010-03-03
479	-915 أن تكون "ذاتك" معه، معهم!	الإربعاء
		2010-03-10
538	-922 فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)	الإربعاء
		2010-03-17
594	-929 فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (2 من 3)	الإربعاء
		2010-03-24
649	-936 تشكيلات ومراتب العلاقات، وملامح أخرى للفرض	الإربعاء
		2010-03-31
701	-943 توقف تعسفي، وطلب مشورة!	الإربعاء
		2010-04-07
756	-950 "بيجماليون" (1 من 2)	الإربعاء
		2010-04-14
798	-957 "الشوفان" المتبادل في العلاج النفسي	الإربعاء
		2010-04-21
845	-964 المعلم (1).... من كثير؟	الإربعاء
		2010-04-28
888	-971 المعلم.... (2)	الإربعاء
		2010-05-05
930	-978 المعلم.... (3)	الإربعاء
		2010-05-12
977	-985 المعلم.... (4)	الإربعاء
		2010-05-19
1026	-992 المعلم.... (5)	الإربعاء
		2010-05-26
1087	-999 المعلم.... (6)	الإربعاء

1146	الإربعاء 2010-06-02 1006- المعلم (7)
1192	الإربعاء 2010-06-09 1013- ملحق قصيدة (المعلم) (8)
1242	الإربعاء 2010-06-16 1020- لعبة الحياة
1298	الإربعاء 2010-06-23 1027- لعبة الحياة (2)
1344	الإربعاء 2010-06-30 1034- لعبة الحياة (3)
1401	الإربعاء 2010-07-07 1041- لعبة الحياة (4)
1445	الإربعاء 2010-07-14 1048- لعبة الحياة (5)
1490	الإربعاء 2010-07-21 1055- لعبة الحياة (6)
1557	الإربعاء 2010-07-28 1062- حمل الحامل (1)
1595	الإربعاء 2010-08-05 1069- حمل الحامل (2)
1645	الإربعاء 2010-08-11 1076- حمل الحامل (3) الحلقة الأخيرة
1680	الإربعاء 2010-08-18 1083- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث)
1730	الإربعاء 2010-08-25 1090- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث)
1819	الإربعاء 2010-09-08 1104- الغنيوة الثانية (الفصل الثالث)
1872	الإربعاء 2010-09-15 1111- الخاتمة
2002	الإربعاء 2010-10-05 (شرح: ديوان سر اللعبة) (1)

دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان سر اللعبة

(1)

قبل المقدمة:

كان المفروض أن أنتقل هذه النقلة بعد ثلاثة أشهر تقريباً بعد أن تكون هذه النشرة قد أكملت عامين من عمرها، وقد تطورت إلى ما صارت إليه، إلا أن الإحباط الذى أصابنى لنذرة التعقبات على الحالة الطويلة التى نشرتها خلال الأسابيع الماضية فى باب "حالات وأحوال" جعلنى أفكر أن أستغل النشرة (أو أغلب النشرة) لمواصلة سداد ديونى "بالتقسيم"، بنشر كتبى - المنتظرة دورها -مسلسلة يومى الثلاثاء والأربعاء بدلاً من عرض الحالات، حتى تأتينا طلبات العودة إليها بما يكفى أن أستثار من جديد.

هذانذا أبدأ بنشر هذا الكتاب الأول "لوحات تشكيلية: من العلاج النفسى": شرح ديوان سر اللعبة (أسوة بكتابى الأول "دراسة فى علم السيکوباتولوجى") شرح ديوان "سر اللعبة".

هذا وأتمنى أن يواصل باب "التدريب عن بُعد" صدوره يوم الأحد بالتبادل مع "حالات وأحوال"، وربما يغيران على يوم الإثنين (إبداعى الخاص) باعتبار أن يومى الثلاثاء والأربعاء قد أصبحا "شرح إبداعى الخاص".

أتعبتكم معى!!

لكن: ماذا أفعل والأمانة ثقيلة، والدين متراكم.

مقدمة الكتاب:

كتبت مسودتها سنة 2003 وتم تحديثها اليوم)

بعد حوالى ثلاثين عاما (1979 - 2009) اقتنعت أن تجربة شرح متن سر اللعبة قد نجت إذ خرجت منها منظومة متكاملة جرى تحديثها هي كتابي المرجع "دراسة في علم السيكوباتولوجي". وحين قررت إعادة طبع ديواني "أغوار النفس" بالعامية كتبت في مقدمته "إنها خطوة لعلها تحفزني لكتابة ما ينبغي أن أكتبه".

لا أخجل من أكرر أنني أكتب هذه الكتب في هذه الفترة من حياتي باندفاع لاهث خوفا من أن يجل الأجل، وألقى ربى وأنا كاتم شهادتي عن أصحابها. أنا أملك - ساعتها - دفاعا قويا وهو أنه هو الذى اختارنى قبل أن أم مهمتي، لكن ماذا أقول إذا عرج الحساب على مسؤوليتي عن ترتيب أولوياتي؟

أعتقد أنني سوف أسأل عن الوقت الذى أضعته في كتابة الشعر وأنا لست بشاعر، وفي الكتابة للمصحف وأنا لست سياسى فاعل، أو كاتب مقال أساس، أفعل هذا أو ذاك على حساب الكتابة فيما أعتقد أنه خبرة خاصة لم تتح لشاعر أوسياسى، أو كاتب مقال أو حتى طبيب نفسى تقليدي.

عذرى كان، وما زال، هو أن كل ما كتبت، شعرا أو مقالا أو قصا، كان يدور حول محور واحد، هو هذا الذى قلب هذه النشرة اليومية إلى ما آلت إليه من غلبة الجرعة النفسية (طب نفسى - علاج نفسى - تنظير نفسى) وهو هو الذى يستدرجني إلى هذه المخاطرة وهي تشرح الشعر، فتمسخه، لحساب العلاج النفسى.

ربما كان هذا هو السبب الذى جعلني لا أتمادى في الإبداع الأدبي (بأشكاله) لذاته، فأنا لست طبيبا أكتب الأدب كهواية في أوقات فراغي، كما أني لست أديبا أمارس الطب لأدعم به مطالب النشر، ولزوميات المثابرة. إنها رؤية غامرة، حركت كل ما يمكن في، فتناولت أى أداة تصادف أنها وقعت في يدي، أبغ من خلالها بعض ما تيسر لي من هذه الرؤية حسب كفاءة الأداة، ومهارتي في استعمالها.

يواجهني الآن في هذه السن (بقيت بضعة شهور وأبلغ السابعة والسبعين) ثلاثة أعمال (بعيدا عن الأدب والنقد الأدبي) لا يجوز أن أرحل -مختارا- دون أن أثبتها لمن يهمه الأمر بعدي. على الآن أن أفاضل بينها لأرتبها، هذا بخلاف ما تم نشره من أساسيات فكرى مثل "حركية الوجود، وتحليلات الإبداع".

الأول: في العلاج النفسى خاصة (وعلاج الأمراض النفسية)

الثاني: ماهية الفصام (وهو عندى الجوهر المحورى لكل الأمراض العقلية والنفسية)

الثالث: "**الأساس في الأمراض النفسية**" الكتاب ثنائى اللغة) وقد انهيت منه مسوداتى كتابي "**الأعراض**" و"**التصنيف**".

الرابع: في **الأسس التطورية للوجود البشرى** (صدر منها: حركية الوجود، وتحليلات الإبداع") وبقى في مسوداته الأولى كل من "**ماهية الوجدان**" (وضعت أساسياتها منذ 1972) ثم "**النظرية الإيقاعية التطورية: في النمو النفسى والإمراض**".

(د) مسار وتنامى و جدلية برامج النمو البيولوجية (الغرائز)، ومنها ما قارب الإنهاء مثل:

(1) الغريزة الجنسية "من التكاثر إلى التواصل"

(2) غريزة العدوان "من القتل إلى الإبداع"

(3) الغريزة الإيقاعية من الجماد إلى التناغم مع الوعى الكونى إلى وجهه تعالى (النزوع إلى الإيمان) .

فماذا أبدأ؟

هذا الكتاب وأمركم إلى الله !!!

سوف أبدأ بإثبات إهداء ، ثم مقدمة الطبعة الأولى 1987

إهداء الطبعة الأولى : 1987

إهداء

إلى الأصدقاء الذين تركوني: أمانة، أو مسئولية، أو خوفاً .

وإلى هؤلاء الذين لم يعرفوني: دفاعاً، أو إهمالاً، أو رفضاً..

أهدى هذا العمل بشقيه: .. عرفانا بجميلهم على،

وتأكيدا لمسئولية اختياري ما هو "أنا"

إهداء الطبعة الثانية (يونيو 2009) :

إلى إصدقاء هذه النشرة الذين عقبوا والذين لم يعقبوا،
حالا ومستقبلا

(هم هم نفس من أهديت إليه الطبعة الأولى!!!!، هل لاحظت؟)

مقدمة الطبعة الأولى

-1-

كتبت " هذا العمل" في السنوات الأخيرة على فترات متقطعة، وحبسته في محفوظاتي، مثلما أحبس كثيرا مما أكتب لأسباب مختلفة: من ذلك: الخوف من الخلط بين أدوارى في رحلتى في هذه الحياة. فأنا طبيب أمارس المهنة، وأنا أستاذ بالجامعة،

وأنا صاحب قلم بعض الوقت.. إلخ، ولعل هذا بعض ما أشرت إليه في بعض الخواشى في كتابي "سر اللعبة"، (دراسة في علم السيكيوباتولوجي)، من أنى لا أجرؤ أن أعرض نفسى على الناس "حاليا" لأنى ما زلت أرتدى قميص الطبيب وأتصدى لعلاجهم، وهم يحتاجون أن يرونى بشكل خاص.

ومنها أن جرعة رؤيتى لنفسى (من خلال معاناتى التى أثارها فى أصدقائى المرضى) بدت لى أكبر من أن تقال، حتى أنه ساورنى الشك فى كل السير الذاتية التى لا يمكن أن تعرض إلا الجزء

"المتاح" من صاحبها، أو الجزء المدرك من ذاته على أحسن تقدير، أما إذا زادت الرؤية فلا سبيل في مرحلة تطور الإنسان الحالية إلى عرضها "هكذا" - ولعل هذا ما حدا بالمتصوفة إلى الكف عن الحديث في علوم المكاشفة - ولا يملك صاحب هذه الرؤية، إذن، إلا أن يجتال ليعرض نفسه بالأسلوب السائد بلغة الفن، وربما الفلسفة أو العلم، فالفن الروائي مثلا- في جزء منه على الأقل - يساعد صاحبه في الحديث عن بعض مايرى داخله على السنة شخوص روايته (وهذا بعض ما حاولته في رواية طويلة هي: "المشى على الصراط" صدر منها الجزء الأول تحت عنوان "الواقعة".

العمل الخالي هو أيضا من هذا القبيل: تجربة شخصية عنيفة، جرت في مجال خاص تماما، واختلطت بممارستي لمهنتي، وقد هزنتي كثيرا وخطيرا. رأيت من خلالها ما لم أكن أحلم أن أراه أبدا، وعلمتني في مهنتي وعن نفسي ما صار هاديا لي، ومثبتا لخطواتي، وقد بلغ انفعالي بها، ومعاشقتي لها، أنني حين أردت أن أسجلها خرجت "بالعامية المصرية" مرتدية ثوبا منظوما فضفاضا معاً، فزاد حرجي وتضاعف تردددي.

ثم حدث في فبراير الماضي حين كنت أشارك في ندوة في البرنامج الثاني في الإذاعة المصرية عن كتاب الشهر مع الأستاذ الدكتورة سهير القلماوي ومؤلفة الكتاب الأستاذة الدكتورة نبيلة محمود وكان عنوانه "القصص الشعبي بين الرومانسية والواقعية"، أن طرحت تساؤلا على مؤلفة الكتاب عن: "ما هو البديل الصحي للقصص الشعبي بعد تناقص كমে وتشويه كیفه"؟، وكدنا نتفق أن الإذاعة والتليفزيون ليسا بديلا حقيقيا - بوضعهما الراهن- فالقصص الشعبي والملاحم الشعبية كان لها - وما زال بدرجة ما - وظيفة سير أغوار النفس .. بالإشارة إلى الجزء المغمور منها بشكل فني (قد يقال عنه خرافي أو أسطوري أحيانا). هذه وظيفة تكتمل بها رؤيتنا للجانب الآخر من وجودنا، وقد كان هذا الفن الشعبي يقوم بهذا الدور تلقائيا وبنجاح نسبي. تساءلت: هل ما زال الأمر كذلك، وهل من بديل؟ أين هو هذا الفن - الآن - الذي يمكن أن يصل إلى عمق ما كان يصل إليه ذلك الفن الشعبي التلقائي أحسست - وقتها - أن حساسيتنا المعاصرة ضد الخرافة، نتيجة لغرور العقل الواعي ومنطقه القاصر والمتعب، قد ينتج عنها تشويه للوجود البشري وإعاقة لنموه الحقيقي بشقيه الواعي واللاواعي، فالنمو الإنساني لا يتم إلا إذا شمل جانبي

الوجود، وقرب بينهما سعيا إلى أن يندمجا في كل واحد موضوعي متكامل. إن أي تقدم يتصور أنه إذا ملك ناصية العلم التقليدي وحده، فقد ملك سبيل التقدم المعاصر هو تصور خاطئ، بل هو تصور خرافي مهما سمي علما.

أحسست أن للشعر العامي بوجه خاص دوره في هذه النقلة الحضارية - إذا أردنا أن نبحث عن بديل حقيقي، لينتشر بين الناس ويغطي هذه الفجوة التي تركها انحسار القصص الشعبي واختفاء "الحدوتة" من بيوتنا ومجالس سمرنا .

رجعت أقلب في أوراقى "هذه" التى سبق أن كتبتها من سنوات، وتصورت أنها قد تؤدى دورا فى رؤية النفس الإنسانية، وأنها -رغم صعوبة بعض أجزائها، ليست أصعب من بعض الفن الشعبى الذى أدى وظيفته بشكل ما. رحلت أراجع بعض ما كتبت من أكثر من عشر سنوات عن أرجوزة "واحد اثنين سرجى مرجى" ثم عن "الجيل النفسى فى الأمثال العامية"، ونشر فى مجلة الصحة النفسية، ثم فى كتابى "حياتنا والطب النفسى" فوجدت أن علاقتى بهذا الفن الشعبى - تفسيرا حينذاك - ليست جديدة، ثم تذكرت تفسيرا آخر قدمته للأغنية الشعبية "يا طالع الشجرة"، نشر فى ملحق ما مجلة الهلال. جعلت أسترجع كل ذلك وأنا أقرأ أوراقى هذه، فوجدت أن هذا الذى بين يدي يستحق أن ينشر بالمعنى الذى خطر لى أثناء هذا النقاش الإذاعى، ربما كان له دور ثقافى خاص.

الحكى الشعبى يُحدث تأثيره حتى ولو لم يكن مفهوم ظاهره .

لم يثنى تحوف قديم على إسمى العلمى، فقد تصادف كل هذا بعيد حصولى على درجة الأستاذية فى فرع تخصصى، وكان هذا الحدث هو علامة أنى أستطيع أن أبدأ بداية كنت أنتظرها من زمن لأتواصل مع الناس مباشرة دون قيود الخوف على الوظيفة أو من الوظيفة. قررت أن أنتصر على ترددى وأتحمل ما يكون.

-2-

فى هذا العمل حاولت أن أقدم رؤيتى للوجه الآخر للعلاج النفسى، ومن خلال ذلك اخترق حواجز النفس الإنسانية لأعرضها كما عرفتھا داخلى وخارجى، بنبض الإنسان المصرى فى الشارع،

بداية: أؤكد أنها خبرة شخصية، وأنها إنما تصف "الوجه الآخر" للعلاج النفسى فحسب .. أعنى سلبياته وبعض صعوباته ومضاعفاته، أما وظيفة العلاج النفسى الإيجابية وفوائده ودوره البناء، فهذا شأن آخر، كتبت فيه الكتب، وسأمت أنا كذلك فى تناوله .

إن دور الطب النفسى فى المجتمع المعاصر لم يتحدد بصورة نهائية، والصراع بين مدارسه ليس صراعا نظريا مجتأ، بل هو اختلاف له دلالة، اختلاف خليق بأن يجعل الإنسان العادى يقف مرتين قبل أن يأخذ معطياته المتواضعة مسلمت بلا نقاش".

-3-

العلاج النفسى يشمل عدة أنواع، من أهمها ما يسمى أحيانا العلاج بـ "الكلام" حتى أن بعض الباحثين أسى هذه الطريقة "الشفاء عن طريق الكلام". يتصور البعض هذا الكلام فى صورة غلبت على ما يسمى "التحليل النفسى" الذى روج للاسترسال والتفريغ، والتداعى، والتبرير، والمريض ملقى على حشية لمدة معينة. إلخ.

إن الكلام هو ما يميز الإنسان - (أو هو من أهم ما يميز الإنسان)، لكن حين يحمل "الكلام" محل الحياة، أو حين يصبح العلاج بالكلام هو البرر الخفى للتوقف عن التطور الإنسانى والنمو النفسى، فهذا هو ما يحتاج لموقف نقدى يقظ.

في الفصل الأول من هذا العمل "لعبة الكلام" قدمت عدة صور تعلن مخاطر هذه اللعبة التى إذا لم ننتبه لها فإننا نسير فى عكس اتجاه التطور. كأننا نموت أحياء إذ نتوقف، وربما كان هذا هو السر وراء تسميتى لهذه الصور "جنازات".

أما الفصل الثانى "لعبة السُّكَّات"، فهو يوضح طريقة أخرى فى العلاج النفسى، حين يتم بعض التواصل - وخاصة فى العلاج الجمعى- بالألفاظ، و بدون ألفاظ. يغلب هذا فى حالة المرضى الذهانيين (الفصامين منهم على وجه الخصوص) حين تفشل وظيفة الكلام وتراجع فيصبح التواصل غير اللفظى أهم وأخطر، ويخترق المريض حجب الطبيب المعالج ودفاعاته وتصبح نوعية "وجود" الطبيب فى الحياة"، كما تصل إلى المريض بجدسه الفائق، هى العامل المؤثر فى العلاج، وبالتالي فإن مسؤوليته تكون أكبر، والتزامه بالمحافظة على استمراره فى مسيرة التطور تكون أكثر إلحاحاً.

عرضت فى هذا الجزء الثانى صوراً "للعيون"، وكيف يمكن اختراقها للتواصل البشرى البناء الذى يكشف ما هو أغوار النفس، وأعلنت من خلال "قراءة العيون" ما تيسر لى مما وصلنى من الآخر ومن نفسى معاً.

ختم هذا العمل (الفصل الثالث: لعبة الحياة) جاء بمثابة إعلان أمل لموقفى من الحياة من حيث: إن "الحياة هى العمل معاً لتعمرها: الأرض والنفس"، وإن الهرب فى الألفاظ تحت زعم التأويل، أو النكوص إلى إحياء أحاسيس فجأة تحت زعم الحرية، ليسا من الحياة فى شىء، وبالتالي فإن العلاج النفسى إذا لم يلتحم بالعمل مع الناس، وسط الناس، وللناس، وهو يرجع للمريض إلى أرض الواقع - انطلاقاً لا تشكلاً- بكل ما يحمل هذا الواقع من التزام وألم ومرارة ليبنى نفسه وبني جنسه من جديد.. إذا لم يفعل ذلك فإنه قاصر أو مقصر.

- 4 -

أما وظيفة هذا العمل بالنسبة لى فى البداية والنهاية فهو أمل غامض أجاهد لتحقيقه فى رحلتى فى هذه الحياة: وهو أن أتواصل مع الناس أعرفهم ما أعرف، دون أن يطرقوا بابى.

هأنذا أطرق أبوابهم وألتمس عذرهم وأعرض بعض نفسى بين أيديهم .. اللهم فاشهد.

المقطم فى 23 / 2 / 1977

ملحوظة: بعد انتهائى من كتابة الشرح الملحق، ومراجعة ما كتبت، وجدتنى أود أن أنصح القارىء ألا يقرأ منه شيئاً فى أول مرة، أى أن يمر (بالمثلن) كله أولاً.. ثم يرجع إلى ما يشاء من الخواشى.. إذا شاء، فإن قبل.. فقد أعفانى من إحساس خاص بأن هذه الخواشى زيادات.. أو مجرد مخاوف.. أو حتى تشويه.. وشكراً.

(انتهت مقدمة الطبعة الأولى دون تغيير حرف واحد)

استهلال الكتاب الخالى

(شرح على المتن)

موضوع هذا الكتاب ليس هو تصنيف وشرح وتنظير ما هو علاج نفسى، هو أقرب إلى لوحات تشكيلية بالعامية المصرية، وهى تنقد العلاج النفسى بمعنى النقد الأشمل، ما له وما عليه، وفى نفس الوقت تعرى جوانب أخرى من الأمراض النفسية (السيكوباتولوجي)، لعلها تكمل كتابى الأول "دراسة فى علم السيكوباتولوجي" وهو ينتهى بما يشبه التعرية الذاتية أكثر منها "السيرة الذاتية" باعتبار أنها نبض نمو المعالج ذاته من خلال العلاج النفسى.

سوف أحاول أن أعرض خبرتى، وخبرة المرضى، الذى عايشتها جميعا أكثر من خمسين عاما لم أمارس فيها ما يسمى العلاج النفسى مستقلا عما يسمى علاج المرض النفسى مشتتلا، حتى الحالات التى لم تكن تحتاج إلى عقاقير، لم أتصور أن ما يتم معها هو يختلف عما يتم فى علاج الحالات التى تتناول العقاقير معظم أو طول الوقت، فعلاج مرضى النفس، مهما كانت أدواته، هو علاج نفسى بشكل أو بآخر.

وحتى أخرج نفسى وأنجز هذه المهمة الصعبة قررت أن أفعل نفس المنهج الذى كنت اتبعته فى كتابة شرح متن سر اللعبة، والذى بفضلته خرجت "دراسة فى علم السيكوباتولوجي" إلى النور. فقررت التالي:

1- أخصص أسبوعيا ما تيسر من يومى الثلاثاء والإربعاء ما أفره به أدائى وسواسيا بالتزام مصنوع، يلزمى به صديق الموقع، كما ألزمنى سنة 1978 الإبن الصديق "فكرى" العامل جامع الحروف (الهامش).

2- أترك الكتابة تتدفق من واقع خبرتى وواقع معاشتى ولا أرجع، فى هذه الطبعة الأولى، لا إلى ما سجلت من مئات الأشرطة ولا إلى المراجع تحديدا وحرفيا. تماما مثلما كان الحال فى كتاب دراسة فى علم السيكوباتولوجي لأترك مهام التوثيق والتحقيق Documentation & Verification - والاستشهاد إلى مرحلة لاحقة، مطمئنا إلى ما نشر وسوف ينشر فى كل من بابى "التدريب عن بعد"، و"حالات وأحوال".

3 - أن أحاول الربط - ما أمكن ذلك - بين نظريتي (الإيقاعية التطورية) Evolutionary Rhythmic Theory والتى ظهرت الكثير من ملاحظاتها فى كتابى عن السيكوباتولوجي، ثم هى فى سبيلها للظهور مستقلة، وبين ما هو علاج نفسى مما سوف يرد فى هذا الكتاب.

4 - أن أجعل المتن الشعري (بالعامية: أغوار النفس) بعد تحديث بعضه هو المثير المباشر لترتيب فصول الكتاب حتى لو لم يكن لكل فصل تجانسه الخاص بعلاج مرض بذاته، أو تقديم نوع بذاته من أنواع العلاج.

هذا وإذا كان الفضل الأول (وليس الأوجد) في كتابة دراسة في علم السيكوباثولوجي يرجع إلى د. عادل نجيب، وأ. د. رفعت محفوظ (وكل من حضرن في تلك الفترة من طلبتي ومنتدربي ومرضائي)، فإن الفضل الحالى في كتابة هذا العمل يرجع إلى د. أحمد حسين والسيدة فوزية داوود (وكل من يحضرن الآن من طلبتي ومنتدربي ومرضائي) وخير ما يمثلهم حاليا هم ابنائى وبنائى الذين يحضروا معى التدريب المتواصل هذا العام، أما هذه النشرة وتواصلها، فلا يمكن أن أذكر أو أشكر من ساهم معن قرب أو عن بعد في استمرارها، سواء بالحوار، أم بالنقد، أم بالدعاء، أم بالعراض، وأخص بالذكر الإبن والصديق أ.د. جمال التركي رئيس الشبكة العربية للعلوم النفسية، هذه النشرة تحول دورها عندى إلى نفس الدور الذى قام به صديقى عامل الطباعة "فكرى" جامع الخروف في جراج بيتى سنة 1978. وغد نلتقى مع **الفصل الأول : تصدير**

نقد الممارسة التقليدية في الطب النفسي

- ثم صد الجزء الثانى فالثالث بعد ذلك، "مدرسة العراة"
- " ملحمة الرحيل والعود" (أنظر لموقع) ، كذلك غامرت بإصدار بعض سيرتى الذاتية، خاصة في الجزء الثالث من ثلاثيتى "ترحالات" (1) الناس والطريق (2) الموت والحنين (3) ذكر ما لا ينقال (أنظر الموقع)

- في ديسمبر سنة 1978 كلفت مع زملاء لى بالقيام بالإعداد مؤتمر عربى للطب النفسى يعقد في القاهرة وكان مقره الجامعة العربية، وتعهدها في الجمعية المصرية للطب النفسى، أن نصدر بهذه المناسبة أول عدد من من المجلة المصرية للطب النفسى، فضلا عن إصدار برنامج المؤتمر العلمى باللغتين الإنجليزية والعربية، ولم تكن أساليب الطباعة ميسرة كما هى الآن. مرتت على المطابع التى أعرفها، فاستحالت إمكانية إسعافى في هذه المهمة. اشتريت صندوق حروف للطباعة ولجأت إلى عاملين صديقين وطلبت منهما الإقامة في حجرة في "جراج" بيتى قبل المؤتمر بأسبوعين ليجمعنا أولا بأول مادة المجلة والمؤتمر، وقد كان. وتمت المهمة بأعجوبة رائعة بعد المؤتمر تمكن العامل الأكبر أن يرجع إلى عمله الأسمى دون مضاعفات، أما العامل الأصغر فلم يقبل صاحب العمل رجوعه، فأحسست أني ضيقت مستقبله وأنى مدين له بأجره حتى يجد العمل المناسب، خجل هذا العامل أن يأخذ أجرا دون عمل سألنى، وعندى صندوق الحروف إن كان لدى كتاب أريد أن أخرجه حتى يجمعه باستغلال صندوق الحروف هذا حتى يجد له عملا فكرت بسرعة ولم يكن عندى شيء جاهز فقررت أن أكتب شرح متن سر اللعبة. سألته كم صفحة يمكن أن يجمعها ويصحها يوميا فأفادنى أنه بين 12، 15 صفحة وهكذا بدأت أكتب وأناوله كل يوم هذا القدر حتى إنتهى الكتاب ووجد هو العمل المناسب في الوقت المناسب، بعد أن جمع لى ما يناهز الألف صفحة، فظهر الكتاب الأول "دراسة في علم السيكوباثولوجى : شرح متن ديوان سر اللعبة" .

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان سر اللعبة

(2)

الفصل الأول:

صعوبات مبدئية، وخطوط عامة

منهج مقترح للتقديم للقراءة :

تقديرًا لما جاء من تحفظات وخاوف من تشويه النص الشعري بالتفسير والتداعي، سوف نتبع نظامًا فيه بعض التكرار للنص الشعري، دون التأكيد من مجاز ذلك في الحفاظ على شاعرية النص.

- سوف نقدم النص الذي سوف نناقشه كاملاً في أول كل حلقة في البداية

- ثم يرد النص مقطعاً مع الشرح

- ثم نختتم كل حلقة بجزء النص الذي سوف نتناوله في الحلقة التالية.

- وهكذا....

نص من هذه الحلقة كاملاً:

كل القلم ما اتقصّف يطلغ له سنّ جديد
وايش تعمل الكلمة يابا والقدّر مواعيد
خلق القلم ما العدم أوراق، وملاها

وان كان عاجبني وجب، ولأ أتنى بعيداً

الشرح على المتن:

الكتابة في العلاج النفسي تكاد تكون مستحيلة، بل إنها تكاد تكون ضد العلاج النفسي، تماماً مثل الكتابة في الجدل وعن الجدل التي هي بالضرورة ضد مع الجدل.

العلاج النفسي عملية حيوية مُعاشة لا يمكن للكلمات أن تستوعبها، ومن أغلط الغلط ان يتعلم أحدهم العلاج النفسي من قراءة الكتب عنه، مهما بلغت دقة هذه الكتب وإحاطتها. إن قراءة ألف كتاب في العلاج النفسي لا تساوي الجلوس مسؤولاً أمام مريض أُمي يحضر مرة أسبوعياً لمدة ساعة خلال سنة وأكثر وهو يتحسن (أو يتذبذب في طريقه إلى التحسن، أو يتدهور رغم الجهد والصبر).

إن "قصف القلم" المشار إليه هنا هو إعلان عن بعض حلقات جهادى في محاولة "الكتابة في العلاج النفسي" أو "عن العلاج النفسي"، ولعل هذا هو بعض ما أحر صدر هذا العمل.

تبينت صعوبة المسألة من قدم عندما كان يطلب منى زملائي الأساتذة في كلية الطب، قصر العيني، أن أضع سؤالاً تحريياً في العلاج النفسي (على أساس أنهم يعتبرون أنه من أهم ما يتمصرون أنه تخصصى الدقيق) كنت أشكر، وأبتسم، وأعتذر، وأرفض ما أمكن الرفض. تصور معى - مثلاً- سؤالاً يقول: "قل ما تعرفه عن العلاج بالإيماء"، فيأتى الجواب متضمناً أنواع الأمراض التى تستجيب للإيماء، والشخصيات الأكثر قابلية له، وطرقه المباشرة وغير المباشرة، ونتائجه المحدودة، يجب عن ذلك طالب شاطر حافظ إجابة لا تحر الماء (ما تحرش المية)، فيضطر الممتحن المصحح أن يعطيه عشرة على عشرة!! (وربما نجمة)، قارن ذلك بمباشرة أسبوعيه للإشراف على طبيب صغير متدرب، وتبع خطوات نمو خبرته، ونموه، وهو يحكى - مع زملاء له في جلسات الاشراف المنتظمة، يحكى عن ماذا حدث له أثناء جلوسه مع المريض قبل ومع وبعد الجلسة، وهو يختار، وهو يحاول، ثم ماذا حدث للمريض أثناء العلاج ونتيجة له، خطوة خطوة، ومازق فاجتياز، أو مازق فوقفة، ثم يسأل ويتساءل ويشارك في الإجابة عن كل ذلك/ هذا هو ما عرضناه خلال أكثر من عام في باب "التدريب عن بعد"، وهو ما تابعه بحماس كثيرون من أصدقاء الموقع الذين شاركوا في التعقيبات، وهو هو ما تم إعداده أيضاً للطبع الفورى في الكتابين الأول والثانى من سلسلة: "بعض معالم العلاج النفسى في ثقافة عربية، من خلال الإشراف عليه"، إذن: فماذا يفيد أن أكتب عن أصول أو قواعد أو معنى أو هدف ما يسمى "العلاج النفسى"؟ وكيف أضمن أن يسير ما يصل من ذلك جنباً إلى جنب مع التدريب والإشراف طول الوقت؟

هذه هي بعض معالم المازق المتجدد: كلما هممت بأن اكتب في العلاج النفسى ينقص قلمي فعلاً. فأتوقف، وأتردد، وأراجع،

لكنتي لم أكف أبداً عن الإعداد لهذا الاحتمال (الكتابة عن العلاج النفسي)، وأنا أكاد أكون على يقين معظم الوقت من أنني أعدّ لما "لن يكون أبداً".

ومن بين ما جمعتهُ تمهيدا لهذا الاحتمال ما يلي:

(1) تسجيل صوتي، ثم تفريخ التسجيل كتابة، لما تيسر من مناقشات مع الأطباء الأصغر الذين يمارسون العلاج النفسي تحت إشرافي، وهو ما ظهر بعضه في باب الإشراف عن بعد. (أسبوعيا بدءاً من أوائل السبعينات)

(2) تسجيل المناقشات بعد كل جلسة "علاج نفسي جمعي" أقوم فيها بمسئولية العلاج في مستشفى قصر العيني، جنباً إلى جنب مع مهمة تدريب الأضرحة. وقد نشر بعض معالم نظام التدريب في هذه النشرات [5-2-2008](#)، [6-2-2008](#) كما جاءت في الكتاب الأول المسالف الذكر (بعض معالم العلاج النفسي...). وتشمل هذه المناقشات أسئلة وتعليقات المشاركين داخل المجموعة العلاجية، بالإضافة إلى أسئلة وتعليقات المشاهدين الحاضرين (بإذن المرضى والمعالجين) في الحلقة الخارجية المحيطة بأعضاء جلسة العلاج الجمعي. وكان المقابل الذي يدفعه المتدرب لياواصل التدريب، خارج وداخل المجموعة لأكثر من سنة، هو أن يقوم بتفريخ تسجيلات هذه المناقشات البعيدة أولاً بأول. ظل هذا يحدث، ولمدة عشرين سنة، ثم توقف التسجيل بعد ذلك بعد أن تراكم دون تحرير أولاً بأول، ثم حين سألت عنه مؤخراً، اكتشفت أن أغلبه قد فقد، ولم أجزع كما ينبغي، ذلك أنني اكتشفت لاحقاً أنني شخصياً الذي ينبغي عليه تحريره في صورة مقروءة مفيدة، وأيضاً تأكدت أن ما تبقى منه عندي الآن يكفي وزيادة (يكفي ماذا؟ يكفي من؟) - وعموماً فإن ما نشر مؤخرًا في باب التدريب عن بعد هو بعض ما تم في السنتين الأخيرتين في دار المقطم أساساً، وإلى درجة أقل في قصر العيني.

(3) تسجيل مواز للمناقشات بعد الجلسات الجماعية في مستشفى دار المقطم للصحة النفسية ثم تفريخ التسجيل مباشرة، استمر ذلك لمدة تزيد عن عشر سنوات وقد اختفى أغلبه أيضاً، لكن ما تبقى يكفي، وزيادة (يكفي ماذا؟ يكفي من؟).

(5) تم تسجيل جلسات العلاج الجمعي في قصر العيني، وذلك لعدد من المجموعات العلاجية المتلاحقة، وهي جلسات العلاج والتدريب التي تجرى في قصرالعيني أسبوعياً منذ سنة 1971 وذلك بالصوت والصورة (فيديو، بعد إذن صريح من كل المشاركين مرضى وأطباء) بالإضافة إلى تسجيل المناقشات اللاحقة التي أشرنا إليها حالاً، (جرى ذلك بانتظام لمدة الثمان سنوات الأخيرة تقريباً)

(6) من خلال الإشراف على رسائل للماجستير (اثنتان) والدكتوراه (أربعة)، تم تسجيل صوتي لأغلب جلسات العلاج الجمعي موضوع الرسالة، لتكون مادة للاستشهاد ودراسة المحتوي. (على سبيل المثال لا الحصر: رسالتى أ.د. عماد حمدي غز

في الماجستير والدكتوراة - رئيس قسم الطب النفسي بطب القاهرة حالياً-، ورسالة الدكتوراة أ.د. عزة البكري، ورسالة د. نهى صبرى الدكتوراة ، ورسالة الدكتوراة في الفلسفة - فرع علم نفس- المرحومة د. نجاة النجراوى)

وبعد

تبلغ كل هذه التسجيلات مئات الأشرطة حتى الآن، لم يفرغ أغلب ما تبقى منها بنظام يسمح باستغلالها في مثل هذا الكتاب، أو أى كتاب، وقد وجدت أن الاعتماد عليها الآن وأنا أكتب هذا العمل، أو مجرد تصوّر إمكان استغلالها بعد رحيلى هو أمر يتراوح بين الاستحالة، وترجيح الاختزال والتسطيح بكل المخاطر المترتبة على ذلك، خصوصاً إذا قام بهذا التفريغ والتبويب من لم يعاشر التجربة شخصياً.

تزامت وتكاثفت وتداخلت وتراكمت كل هذه المادة، وبدلاً من أن تكون حافزاً للكتابة أصبحت عائقاً مجرد البداية في كتابة خبرتنا في موضوع العلاج النفسي. أمام هذا الكم الهائل من المادة الخام قُصف قلمي المرة تلو الأخرى تلو الأخرى تلوى الأخرى.. فعلاً،

فأعاود المحاولة وأنا أشعر أنه لا مفر من مواجهة الالتزام بالكتابة مهما كانت الصعوبات أو المضاعفات. ظل الواجب ضاغطاً، والكتابة لحوح ملوَّحة طول الوقت ("يطلع له سن جديد").

تأكد لي من خلال هذا التحدى المتجدد الموقف الخاص لما يسمى "كتابة" في العلاج /النفسي، حتى وضعت لنفسي (وربما لغيري إن شاء) بعض الشروط والتحفظات التي أنصح بالالتزام بها لمن شاء أن يخوض هذه المخاطرة، ومن ذلك:

شروط وتحفظات:

1 - ألا تكون الكلمة المكتوبة هي الأصل: كنت وما زلت أنصح المتدربين معي على العلاج النفسي ألا يقرأوا أصلاً في موضوع العلاج النفسي خلال السنة الأولى على الأقل، ولكن هذا لا يمنع من القراءة في نظريات علم النفس وبالذات "علم السيكوباتولوجي".

2 - ألا تكون الكتابة (فالقراءة) هي المرجع الأول أو الأحدث لمعرفة ماهية "فن العلاج". المرجع الأول هو المريض ومسار العلاج، أما المرجع الثانى فهو الاشراف من استاذ (معلم مدرب) بشكل منتظم. ثم الاشراف من الأقران Peer supervision (تم تناول ذلك بالتفصيل في كتابي الإشراف على العلاج النفسي - تحت الطبع- وهو الكتاب السالف الذكر، وقد ثبت ذلك قبلاً في نشرات [5-2-2008](#)، [1-2-2009](#)).

3 - أن تتناسب جرعة القراءة مع حجم الممارسة تناسباً ترجح فيه كفة الممارسة على كفة القراءة طول الوقت (كلما زاد عدد المرضى، أمكن الاستفادة من القراءة أكثر).. فقد

لاحظت أنه كلما زادت جرعة القراءة عن فعل الممارسة تعرض الممارس إلى ما يسمى العقلنة Intellectualization. ذلك لأن فن العلاج هذا إنما يُمارَس "بكلية وجود المعالج نفسه"، وليس بتنفيذ أوامر العقل الحاسب المنطقي:

حدود ومعالم

من كل هذا يمكن أن نستنتج ابتداء حدود ومعالم هذا العمل، حتى لا نتوقع منه غير ما يعد به، وأيضا حتى لا نسيء فهم أو تطبيق بعض ما يصلنا منه،

هذا العمل - إذن - لا يعدو أن يكون:

(1) إطارا عاما لا يغني عن الممارسة، ولا يحل محلها، وإن كنا نأمل أن يؤنس من يمارس العلاج النفسي ويضيف إليه.

(2) خيرة محلية لا تنفصل عن أحدث ما توصل إليه العلم والفن الطبي عبر العالم، لكنها في النهاية تنطبق أكثر على المجتمع العربي خاصة وعلى المجتمع المصري بشكل أكثر تحصيما.

(3) كتابا حواريا أكثر منه تعليمات تلقينية أي أن المعلومات التي يطرحها جديرة بأن تثير ما يقابلها ويعدلها لا أن تمثل للقاري توليفة جاهزة للتطبيق الحرفي.

(4) تطبيقا تنظيريا للفكر الذي ينتمي إليه المؤلف، الذي يمكن أن نوجز بعض معالمه فيما يلي:

• النمو عملية مستمرة من الولادة حتى الموت.

• النمو يتم في دورات، تتصل هذه الدورات بالدورات البيولوجية الحيوية (الإيقاع الحيوي) وخصوصا دورات اليقظة والنوم، ودورات النوم الحالم متناوبا مع النوم غير الحالم.

• النمو يشمل فرص التغير الكيفي بعد أزمان طفرية.

• الانسان مكون من شخوص (ذوات) متعددة تعمل كذات واحدة في لحظة بذاتها اثناء اليقظة.. وتتبادل لتكامل من خلال كل من الإيقاع الحيوي، والتناسب الأدائي، بما يحقق عملية جدلية حيوية لا نهاية لها ..

• المرض النفسي هو (آ) انحراف أو (ب) توقف أو (ج) نكوص أو (د) تشوه (بالتكلس أو التفسخ أو الاندمال) لعملية النمو المشار إليها سالفا وهو يظهر في شكل نشاز يتجلى في ظهور الأعراض من جهة، وفي عجز الأداء الحياتي و اضطراب العلاقات البشرية (البينشخصية) من جهة أخرى.

• علاج المرض النفسي هو استعادة نشاط مسيرة النمو بانتظام واتساق، أي استعادة سلامة استيعاب توظيف النبض الحيوي الذي يؤدي إلى تكامل مستويات الدماغ (منظومات الذات- مستويات الوعي .. إلخ) في كل حركي متسق، مما ينتج عنه اختفاء أعراض النشاز، ونتائج المعيقة.

إعادة تنبيه

من حقنا بعد كل ذلك أن نعيد التساؤل عن جدوى الكتابة في مثل هذه المواضيع للقارئ العادي غير المتخصص بل وعلينا أيضا أن ندرس ما هو الضرر الممكن إلحاقه بالشخص العادي أيضا إذا ما أساء فهم المكتوب أو أساء تطبيقه؟ هذا تساؤل موضوعي وأخلاقي، حتى كدت أرجح أن ضرر الكتابة فالقراءة هو أكثر من الفائدة ما لم يبذل الجهد الكافي في احترام المكتوب و التعمق فيه.

بعد فترة من الحيرة استقر رأيي على مخاطبة الشخص العادي والمتخصص معا دون حرج، وأبين تبرير ما انتهيت إليه فيما يلي:

أولا: إن من حق مريضنا وأهلنا، وعمامة الناس عندنا (نحن جميعا مشروع مرضي) أن يعرفوا وجهة نظر تمارس في بيئتهم، من واقع ثقافتهم بدلا من ترديد مقولات أجنبية وأفكار وتجارب مستوردة معظم الوقت. هذا علما بأن الخبرات الخاصة تتضرر لتصب في المعرفة العامة ما أتاحت الفرصة لذلك.

ثانيا: أنه مادام هناك ما هو في متناول وعي الناس (منشورا هنا وهناك) تحت اسم "العلاج النفسي"، أو أسماء قريبة من ذلك، فينبغي أن تتاح لهم معلومات "أخرى"، من واقع التجارب الفعلية، حتى تتعد المصادر أمامهم، وبالتالي يمكن أن ترجح اللغة الأصح والأنفع.

ثالثا: إن الأفلام والمسلسلات تتناول موضوع العلاج النفسي بشكل متواتر، وهي تقدم من خلال ذلك أسطح وأغلط ما يمكن تقديمه في هذا الصدد (الزعم بفك العقد، والغوص في الماضي بحثا عن الأسباب حتى التبرير. وتشويه صورة المريض العقلي، وتغفيه (من التفاهة) صورة الطبيب النفسي. كل ذلك لا يصح السكوت عليه ولا يكفي التوقف عند شجبه أو مطالبة السلطات بمنعه، وإنما ينبغى أن يقابله ويوازيه فكر آخر يقدم المعلومات البديله للشخص العادي.

رابعا: لاحظت أن المرضى يفهمون النظريات التي أنتمى إليها، أو الفروض والتفسيرات التي أضعها بسهولة ومباشرة ووضوح، أكثر من ذويهم، وأحيانا يلتقطون عمق مغزاها أكثر من الزملاء الأطباء التقليديين. (يحدث ذلك بوجه خاص بالنسبة لما يتعلق بالمرض النفسي والعقلي كلغة واختيار له غاية، وأيضا بالنسبة لما يتعلق بتعدد الذوات في الكيان البشري، ويمكن متابعة ذلك من الحوارات التي نشرت في هذه النشرة مع المرضى، وخصوصا آخر حالة "قصامي يعلمنا...." [2009-4-29](#) , [\(2009-5-5\)](#) .

التسجيلات التي تحت يدي تؤكد أن هذا التلقى المتميز عند المرضى لا يعتمد على (أ) درجة الذكاء ولا (ب) على القراءة السابقة في العلوم النفسية والنظريات النفسية ولا على (ج) الإجماع من المعالج أو صاحب النظرية.

إن هؤلاء المرضى (الذهانيين خاصة: المرضى العقليين) يستجيبون مجرد الإشارة ولو من بعيد، ولو بلغة غامضة، لفهم الغائية في المرض النفسي (معنى المرض، ومعنى الأعراض وما تريد تحقيقه، حتى على حساب الصحة).

كثيرٌ من هؤلاء المرضى يتقبلون (ويعارسون أثناء بعض أنواع العلاج. أنظر بعد) حركية مفهوم "تعدد الذوات"، حتى تظهر استجابتهم بشكل ملفت حين يكملون بشكل عفوى بعض معالم التنظير والتأويل بمجرد أن يبدأ المعالج في الإشارة إليه. (وهم لا يرددون كل ما قاله المعالج).

إن استجابة هؤلاء المرضى - هكذا - هي في الأغلب عكس استجابة الشخص العادى الذى يهتمى عادة (أكاد أقول دائما) وراء دفاعات تمنع هذه الرؤية الأعمق.

مخاطر ومضاعفات محتملة

أما عن المخاطر والأضرار التى يمكن أن تترتب على حضور هذه المعلومات في تناول الشخص العادى، فهى حقيقية، ولا يخفى من أثارها إلا أنها أقل من الفوائد السابق ذكرها، كما أنه يمكن الاقلال من هذه المخاطر باتخاذ الخذر المناسب من غير الناقد، أو التعميم غير المتميز أو هواية التطبيب الذاتى أو العائلى.

من بعض هذه المخاطر المحتملة (كأمثلة):

(أ) أن تزيد جرعة العقلنة (الفهم) فتحول دون المعيشة الحقيقية، التى هى محور العلاج، حتى تحل محله. بمعنى أن تصبح المعلومات المقدمة هى السبيل إلى فهم عقلائى دون فعل أو تغيير في الذات سلوكا وتركيبا.

(ب) أن تتاج الفرصة لممارسة ما أسميناه حالا "هواية التطبيب النفسى" على حساب البصيرة الفاعلة.

(ج) أن يتلقى هذا العمل قارئ متعجل مع ما يترتب على ذلك من درجات مختلفة من التعميم والتبسيط، مما قد يؤدي إلى غير ما قصد منه، وأحيانا عكس ما قصد منه.

(د) أن يفهم البعض غائية المرض النفسى والعقلى (اختيار المريض لمرضه، بما في ذلك اختيار الجنون) على أنه نوع من الادعاء أو حتى نوع من المبالغة والاستسهال (الدلع)، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في معظم أجزاء العمل.

كل هذا الذى ذكرته في الصفحات السابقة هو الذى جعل القلم يتوقف (ينقصف) المرة تلو المرة، وهو الذى جعله يعاود المحاولة (يطلع له سن جديد). والتحذير(في البيت الثانى) من عدم جدوى الكلمات في مواجهة مسيرة الأحداث التى تبدو حتمية (والقدر مواعيد) هو تحذير نسبي، لأنه ليست كل الكلمات لها نفس الفاعلية، أو اللافاعلية، والكلمة الكاشفة المخترقة هى نفسها جزء من القدر.

عن القدر والمصادفة:

كلمة القدر هنا (وربما فيما بعد) لها تفسير في هذا السياق العلمى ليس له علاقة بنفس الكلمة "القدر" إذا استعملت في سياق دينى (مثلا) - فمن ناحية يمكن أن نتصور أن حتمية فرويد (الحتمية السببية = لكل حدث تفسيره وأسبابه فيما سبق من أحداث) هى نوع من القدر بشكل أو بآخر. وبالتالي فإن هذه الحتمية لا تغيّرها الكلمات، وإنما يغيّرهما إعادة تنظيم مقومات الحتمية التى جمّدت التركيب البشرى بهذه الصورة.

لهذا فإن التحليل النفسى الذى يقال عنه أنه "علاج بالكلام" هو ليس كذلك في حقيقة الأمر، فهو قد يستعمل الكلام بشكل غير نمطى ليحقق هدف التغيير الحقيقي. وعلينا أن نقر أن الكلام ومحتواه هو من أجمع الوسائل للتواصل والتفريغ والإبلاغ ومن ثم إمكانية التفكيك لإعادة التشكيل، أما أن يكون غاية في ذاته تهدف أساسا إلى خفض التوتر، فهذا ما لا نتفق معه. (وسوف يأتي نقد ذلك بالتفصيل لاحقا).

أما المعنى الآخر المحتمل للقدر (هنا) فهو ما يشير إلى التركيب الجينى المبرمج في الدنا داخل الخلية (التناسلية بالذات). هذا التركيب الخلوى لا يحمل فقط السمات الوراثية سليمة كانت أم مرضية، وإنما هو يحمل برامج مسار النمو حتى نهايته - بما في ذلك مدى العمر Life Span لكل نوع من الأحياء. هذا القدر البيولوجى (الدنا) ليس حتما مطلقا غير قابل للتغيير وإلا لما تطورت الأنواع، ولا ظهر الابداع.

إن وصف القدر بأنه "مواعيد" قد يشير إلى ما يحمل الدنا من توقيت لبسط Unfolding براحه عبر دورات الماء والبسط Filling-Unfolding Cycles.

بهذه الصورة فإن الكلمات - بما في ذلك هذه الكتابة الآن - لا تغير لا من الحتمية السببية (ومثالها الصارخ: حتمية فرويد) ولا من الحتمية البيولوجية (الدنا) إلا إذا أصبحت الكلمة بمثابة كيان بيولوجى قادر على التوليف مع القدر المائل.

مكذا ظهر الكتاب رغما عنى

من هذا المنطلق انتصر (وينتصر) حتم الكتابة على الاكتفاء بالممارسة والنقل المباشر من فرد إلى فرد، وهو الأمر الذى يتعرض للتشويه وسوء الفهم والاستعمال من خلال الأخرافات المحتملة

خلق القلم ما العدم أوراق، وملاها

وإن كان عاجبنى وجب، ولا أتنى بعيد

مهما بلغت المقاومة والتحفظ ضد تسجيل الخبرة، فإن إلحاح إبلاغها إلى أصحابها رغم احتمال تشويهها لا يتوقف. وربما كان ما قصدت إليه من تخليق الأوراق من العدم هو تعداد هذه

الأدوات التي ما خطر على بالى أنى أمثلها. إن كل محاولاتي في القصة والشعر وحتى في هذا اللعب بالرسم الذى لجأت إليه مؤخراً لم تكن إلا تخليقاً لأدوات (أوراق) لأملها بما يمكن أن يوصل رؤيتي بشكل أو بآخر.

إن خيرة بهذا الإلخاح تفرض نفسها فرضاً ضد أية مقاومة داخلية، أو نقد خارجي.

لو أننى استسلمت لهواجس نفسى وكتبت مثل المتهم الذى يحاول أن يدافع عن نفسه بالاستشهاد بالقرائن (المراجع، والأرقام والاحصاء) قبل أن يقول كلمته إذن لما خطت حرفاً.

كذلك لو أننى عملت حساب النقد (الموضوعى أو المتعسف) ليحاسبني على القصة بمعيار النص (فقط) وعلى الشعر بمعيار الشعر (فقط) وعلى النقد بمعيار النقد (فقط). إذن لما كتبت حرفاً أيضاً.

أعتقد أن هذا هو السبب الذى جعلني لا أحرص على أن أتقن الأداة "جدا" قبل أن أتاولها، وهو الذى جعلني أرضى بتواضع عطائها وهى تبرز (إن كان عاجبني وجب)، فإذا لم أفعّل: فإنها (الأداة) تنطلق منى ضاربة عرض الحائط باعتراضاتي وتحفظي وخوفي من النقد وعمل حساب الزملاء وأهل كل صنعة، الخوجات جميعاً، وكأنها تعمل بالتسيير الذاتى (ولا أتني بعيد)، لكن كل هذا التحدى والانطلاق المقتحم لم يقلل من خوفي، هذا التردد والحساب، هو ما عبرت عنه الفقرات التالية مباشرة وبشكل مباشر

بصراحة أنا خفت.

يا ترى مم خفت، وممن خفت

قبل أن نشير إلى حلقة الأسبوع القادم، ومم خفت، وممن خفت نعيد نص المتن الوارد في هذه الحلقة كاملاً كما وعدنا هكذا:

أما مصادر الخوف وتجلياته وأنواعه فهو موضوع الثلاثاء القادم نفس الفصل

فنورد النص الشعري استعداداً لتشويبه (أو شرحه أو استلهامه إن شئت)

وهذا هو:

بصراحة انا خفتُ

خفت منهم، خفت ميّ، خفت ميّناً

خفت مالطوبّ والطماطم والكلام والترقيّة

خفت مالبيض الممشش، والنكت والبهلقة

قلت أنا مش قد قلمي

قلت أنا يكفيني ألمي

قلت أنا ما لي، أنا استرزق و اعيش،
والهرب في الأستدّة زيّنه مافيش،
والمراكز، والجوايز، والذى ما بينتهيش
قلت اخبى نفسى جوا كما كتاب.
قلت أشغل روحى بالقول والحساب.
والمقالات، والمجالس
والجماعة مخلصينلك كل حاجة. أيوه خالص.
بس برضك وانت "جالس".

-4-

قلت أرسم نفسى واتدكتر وارص.
قلت أتفرج و أتفلسف وابص.
بس يا عالم دا دم ولحم حى.
أستخبى منه فىن؟
وإلى الثلاثاء القادم، نتعرف على بعض شرح ذلك!!!

الثلاثاء 16-06-2009

655- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان سر اللعبة

بصراحة أنا خفت (3)



شرح على المتن:

عرى لى هذا النص أن الخوف من البوح (كما يقول الصوفية) هو خوف أساسى يكمن فى داخلنا، وليس فقط خوف من الاختلاف مع من هم (أو ما هو) فى خارجنا، البوح هنا ليس بوحا فقط بما يصلنى من داخلى بحسب حدة ومرحلة البصيرة،

"خفت منى"

هو بوح أيضا بما يصلنى منهم، من مرضاى، فيحرك ما تيسر فى وفيهم،

يظهر المتن هنا أن للخوف مصادر متنوعة، متضفّرة معا:

"خفت منهم"

هذا هو أخف أنواع الخوف، وهو خوف مشروع، ومفيد أيضا، هو نوع من عمل حساب للنقد حتى لو كان نقدا قارسا أو محتمل الإعاقه. لو أننا تركنا الخبل على الغارب، ولم نعمل حساب رأى الآخرين، إذن لبلغ الشطح مبلغا لا يمكن التنبؤ بداه، لأن الإلغاء الكلى لاحتمال الحورا الناقد مع آخر، أيا كان هذا الآخر، قد يسمح لأئى من كان أن يطلق لفروضه أو نظرياته العنان بشكل يعرضها للتناثر والتجاوز بلا حدود، صحيح أن المبالغة فى عمل حساب الآخرين قد تجهض إبداعا أصيلا نادرا، لكن تظل الحسبة محفوفة بالمخاطر، والمسألة فى نهاية النهاية متروكة لحسابات صاحب الفكرة وعليه أن يعمل حساب الدور الإيجابى لهذا الخوف من النقد من الآخرين، وذلك مهما بلغت أصالة الفكرة، أو عمق الرؤية .

لا يقتصر الخوف على عمل حساب الآخر الناقد الخارجى أخطأ أم أصاب، ولكن ثمّ خوفا أهم من الناقد الداخلى النشط، هذا الناقد الداخلى ليس مرادفا للضمير، لكنه ناقد حقيقى يقوم بدور جيد مثله مثل الناقد الخارجى، وأكثر، هذا الخوف الثانى هو "منى" أساسا:

"خفت منى"

ثمّ يجتمع هذا الخوف منى، مع الخوف منهم حالة كونهم بداخلى وخارجى معا، فيصبح الخوف منا

"خفت منا"

الآخرون هم أيضا بداخلنا، أو لعلهم أساسا بداخلنا، وهم أحيانا يكونون بداخلنا أكثر مما هم بخارجنا، وهذا أيضا مكسب مهم، وفى نفس الوقت هو إعاقه محتملة، وعلى من يغامر أن يغامر دون أن ينسى.

المتن بعد ذلك لا يحتاج شرحا لأنه ليس إلا لوحة متحركة تظهر مدى الشجب، والرفض، والسخرية المحتملة، وهو ما يتجاوز ما أسميته نقدا حالا. إن النقد مهما أخطأ هو نشاط بناء فى نهاية النهاية، أما السخرية والوشم والنفى

والترصد، فكل ذلك ليسوا إلا إعاقة خالصة.

خفت مالطوبّ والطماطم والكلامّ والتريّقة

خفت مالبيض الممشّ، والنكتّ والبهلقة

موضوع الإعاقة من خلال تأثير نظرات التركيز (البهلقة) هو موضوع أكثر حساسية من مجرد النقد أو السخرية المعلنة، هذه الظاهرة -تركيز نظرات الآخرين حتى الإعاقة - رُصدت بعناية شديدة باعتبارها متعلقة ببعض فروض وحقائق علم الباراسيكولوجي، وأيضاً لها علاقة بالعين الشريرة (الحسد)، وربما هي هي التي حين تتجسد مرضياً تصل إلى ما يسمى "ضلالات الإشارة" delusion of reference حتى "ضلالات الاضطهاد" delusion of persecution

وكأنّ هنا أقمص المجتمع المسمى بالمجتمع العلمي خاصة، وهو مجتمع ناقد محافظ بالضرورة، وعنده بعض الحق، بل كثير من الحق، خاصة حين كان مجتمعاً علمياً نقياً، بعيداً عن ألعاب سوق الدواء (والعياذ بالله)

هذه التعرية كان لها تفاصيل في وعي، لكنها تفاصيل ساخرة صعبة

قلت أنا ما لي، أنا استرّزقّ واعيش،

والهرب في الأستدّة زيّنه مافيش،

والمراكز، والجوايز، واللذّي ما بينتهيّش

قلت اخبّي نفسي جُؤاً كامّ كتاب.

قلت أشغبلّ روعي بالقولّ والحساب.

والمقابلات، والمجالس

والجماعة مخلّصينلك كل حاجة، أيّوة خالص.

بس برضك وانت "جالس".

شعرت فجأة، وأنا أتعسف لأكتب شرح هذه الفقرة، أن ثمة فقرات، خصوصاً في المقدمة، ينبغي أن تترك متنا دون أن نقترّب منها شرحاً أصلاً، تترك بما هي، كما هي، فهي أكثر وضوحاً، ومباشرة من أن تشرح، ثم إن تركها بما هي قد تنقذ بعض الشعر من وصاية هذا الشرح (السقيم)، أكتفى هنا بالإشارة إلى ما يسمى "علم نفس المقعد الوثير"، arm chair psychology ويقصد به عادة التنظير من الوضع متأملاً، بأقل قدر من الخبرة المعاشة، أو التجربة القابلة للاختبار، هذا التعبير، الذي أضفت إليه من عندي وصف "الوثير"، هو ما انتهت به هذه الفقرة "بس برضك وانت جالس".

أما موقفي من الجوائز، مع كل احترامي لها وحاجتي إليها، فهو معروف ومنشور في أماكن أخرى (جوائز وجوائز مثلاً)

بقيت كلمة هامة، ليست شرحا بالضرورة، لكنها بمثابة هامش دال، فقد نبهت مرارا على خطورة تقديسنا للكلمة المطبوعة، التي كادت والحمد لله (أو للأسف!!) تتوارى وراء فيضان موجات المواقع والمدونات الغامرة، التافه منها والجاد، لكن ما زال العامة، وكثير من الخاصة، يعتبرون الكلمة المطبوعة مصدرا مسلما به، لكثير من المعلومات التي قد تضيف إلى المعرفة بقدر ما يحتمل أن تشوهها أو تحتزلها.

بالنسبة للعلماء - وهم فئة من الخاصة - المسألة أصبحت أكثر إشكالية، أما بالنسبة للممارسين لمهن عملية تستعمل العلم والمعلومات فالأمور تصبح أخطر وأعدى، نحن نعيش وسط فيضان من الكتب والمجلات العلمية وشبه العلمية وغير العلمية، يكاد يصل إلى حد الطوفان، ويقدر ما يمكن أن يثرينا هذا الطوفان إذ يروى ظمأنا للمعرفة، يمكن أن يغرقنا حين يلهينا عن الخبرة المعاشة، والطبيعة المخترقة،

الحد الفاصل بين الثقافة بالمعنى الحضارى التطورى المغامر الجدد، وبين الثقافة بالمعنى الاغترابي المضلل الهارب، هو حد دقيق قد لا يرى بأعلى درجة من البصيرة والنقد. في تقديري أن كثيرا من العلم المنشور (أو ما يسمى كذلك)، وبالذات: الذى له علاقة بحركية القوى المالية التحتية، **تمويلا أم نشرا أم تسويقا**، أصبح بعضه، إن لم يكن أكثره، خطرا على المعرفة، خصوصا إذا استعملته السلطات المعلنة أو الخفية لتسويق وترير حياة مغتربة تخدم الأغراض التحتية (المالية السلطوية عادة) أكثر مما تخدم المعرفة البقائية التى تصب في صالح تطور البشر. يمتد خطر تقديس- أو على أحسن الفروض وصاية - الكلمة المطبوعة -علمية وغير علمية للخاصة والعامة - إلى مجالات كثيرة كثيرة، علينا أن نحذر أن نستسلم لها دون وعى مسئول، يمتد تقديس الكلمة المكتوبة إلى قصر ما يسمى موثيق حقوق الإنسان، وموئيق حقوق الطفل أيضا، وكل الحقوق الحقيقية والصورية والمزعومة قُضِرَ هذه القيم جميعا على ما هو مكتوب في تلك الموثيق، بل إن ألفاظ القانون نفسه في بعض الأحيان تكون عائقا ضد تطبيق العدالة الأعمق. هذا مأزق لا يخرج منه في الحياة المعاصرة إلا بحلول فردية مخوفة بالمخاطر.

نتيجة لذلك كادت الممارسة الطبية النفسية بالذات تصبح ممارسة مكتبية تطبيقية أكثر منها ممارسة فنية عملية (إمريقية)، المعلومات الخاصة التى تخرج بواسطة شركات الدواء شرحا لأسباب هذا المرض أو ذاك، بهذا التغير الكيميائى أو ذاك، كسبب مباشر ومحدد، هو المقصود غالبا بتعبير... الجماعة **مُخْلِصِينِلْكَ كُلَّ حَاجَةٍ. أَيُّوَهْ خَالِص، بس بَرُضْكَ وَاَنْتَ "جالس".**

قلت أرسمُ نفسى وأتدككُز وأرُص.

قلت أتفرجُ و أتفلسفُ وابُص.

بس يا عالم دا دمٌ ولحم حى،

حاستخبي منه فين؟؟؟!

هذه مرحلة نظرية لم أمر فيها واقعا طويلا، وإن كنت لا أعنى نفسى من أنها لاحت وتلوح لى كثيرا بين الخين والخين، التمدادى فى التخصص، والتباهى بالوظيفة العليا، والتوقف عند أعلى الشهادات، كان يمكن أن يكون مهربا من نوع آخر،

مازلت أذكر أحد الشبان الأذكيا حين حضر معى جلسة للعلاج الجمعى فى مستشفى دار المقطم (كمتفرج وناقدا معا) وكان ما زال طالبا فى كلية الطب، أن عقب فى نهاية الجلسة قائلا: "إنها لعبة جيدة: إذا لم تستطيع أن تعيش فعالج الناس واختر، فيهم" بصراحة دهشت من تعليقه وانزعجت وأعجبت، فعلا: علاج الناس قد يكون مهربا من مواجهة الذات، أو بديلا عن مسئولية النمو الشخصى، .. وأرجو أن ينتبه الزملاء الأصغر إلى هذه الحقيقة رحمة بمرضاهم... وحرصا على استكمال نموهم، وتأكيدا لاختيارهم.

هذا عن الفرجة مهربا، أما عن التفلسف فقد ساهم الإعلام وجاهزية الزملاء (وأنا منهم غالبا) إلى تصوير الطبيب النفسى عارفا فاهما لآليات الحياة وخبياها، وبالتالى قادرا على إصدار الحكم والأحكام، والتفسيرات والتأويلات، بما يحتلظ عند العامة بما يسمى "فلسفة" بشكل أو بآخر، هذا ما أعنيه بالتفلسف وهو غير "فعل الفلسفة"، وهو الأقرب إلى ممارسة الطب النفسى - بحقها - حالة كونها مغامرة متجددة فى الممر:

بين الحياة والموت،

بين القتل والهروب، والمريض يحضر لنا فننقمصه لنجد أنفسنا نتقل

بين المهدي المنتظر، وسانديلا،

بين النورس المخلق، والطير الملقى فى الطين بلا أجنحة،

بين الطفل المسخ، والنبي.

وكل ذلك تعرية صارخة فريدة متنوعة طول الوقت.

من هنا تتاح الفرصة لتعلم من نوع آخر من خلال حدة البصيرة وتحمل المسئولية معا، هذا ما أعنيه دائما حين أصرح المرة تلو الأخرى أن المرضى هم أساتذتى الأوائل بعد أن عرفت كيف أسمح لنفسى بمحاولة فك شفرة مرضهم، ليصححون، ونكمل معا (ما أمكن ذلك)،

وهذا هو ما جاء فى الفرة التالية تقريبا :

المريض ورآنى نفسى

المريض خلانى أتلمنم واقكزر.

المريض عدللى مخى،

نصفه من كل واغش، كانوا فارضية عليه.

من ملاعب اللي بايع ذمته بمعرفيشي إبيه.

من شوية آلاية، والغشا الـ "أوبن بوفيه".

لا يقتصر ما تعلمته من مرضى على معرفتي بأمراضهم، أو إمرضيتهم Psychopathology أو طرق علاجهم، بل امتد إلى شحذ بصيرتي لأتعرف بشكل مباشر على نفسى بالقدر الذى وصلنى (مما لا أعرف مداه حتى الآن)، مهنتنا مهنة صعبة لمن يريد أن يواصل المعرفة ذهابا وجينة

بين "ما هو"، و"من هو"، بين "لماذا" و "إذن ماذا"، بين "الأصل الغامض" و"المدى المفتوح"،

حين يكتشف الممارس المغامر بالمعرفة أن رؤية المريض وصدق حدسه (رغم وقفته المهزومة مرحليا) هي إثراء لوجوده شخصا كطبيب وكإنسان، وفي نفس الوقت هي تحد لقدرته على أن يرى نفسه، يصبح مأزقه أصعب فأصعب، لكن فرصه تصبح أكثر ثراء للنمو والتغير إن هو قبل المخاطرة.

مسألة "العشا الأوبن بوفيه"، هي إشارة إلى طقوس المؤتمرات العلمية الحديثة، وهي قضية سوف تثار كثيرا في شرح هذا المتن. كنت، وما زلت أتعجب لماذا تلقى أحدث الأبحاث العلمية، في الفنادق بالغة الفخامة باهظة التكاليف، أليس المكان الأنسب للعلم هو دور العلم، والتعليم، والبحث العلمي؟ إن التحجج بسعة المدرجات أو وفرتها هو حجة مردودة، فالأصل أن الفنادق للفندقة، بما فيها من صالات الاحتفالات، ومطاعم ومقاهى وأركان أخرى، والأصل في دور العلم والتعليم هو أن نلتقى في مدرج، أو معمل، أو قاعة محاضرات، هل العلم الذى يلقى في موفمبيك شرم الشيخ له مصداقية أكثر، وفائدة أعم للمرضى، عن العلم الذى يلقى في جامعة القاهرة أو كلية طب قصر العينى أو مركز الطب النفسى في عين شمس؟ يتصور كثير من الزملاء أن المسألة لا تفرق (ما تفرقش)، وهذا تصور ساذج، فشركات الدواء التى تمول هذه المؤتمرات بعشرات وأحيانا مئات الآلاف، تعرف كيف تنفق نقودها، ولماذا، وبالتالي تعرف كيف تستردها، وكيف تستعملها. ليس هذا هو موضوعنا وإن كنا سنرجع إليه كثيرا - غالبا-، لكن الإشارة هنا كانت مجرد ورود ذكر "العشاء" بمائدة مفتوحة لتنوع اختيار السلطات والخلوى"، مع ما تيسر من المشهيات والمعلومات ونتائج الأبحاث!!!.

إن الإنصات للمريض لترجمة أعراضه إلى لغة ناقدة، كاشفة، شائرة مبهضة، هو مفتاح علاجه، وفي نفس الوقت قد يكون المريض وهو يضىء هذا النور الأحمر بمثابة ما أسماه لى يوسف إدريس ذات مرة، ناضورجى الخطر القادم على المجتمع ككل، مثله مثل المبدع مع فارق الفشل والنجاح، وهذا ما سنتناوله في الحلقة القادمة بعنوان: "تشكيلات الحقيقة"

رقم (4) "يجبى صاحبك ملط إلا ما" الحقيقة"

الإثنين 17-06-2009

656- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف

دراسة في علم السيكلوثولوجي (الكتاب الثاني)

٤

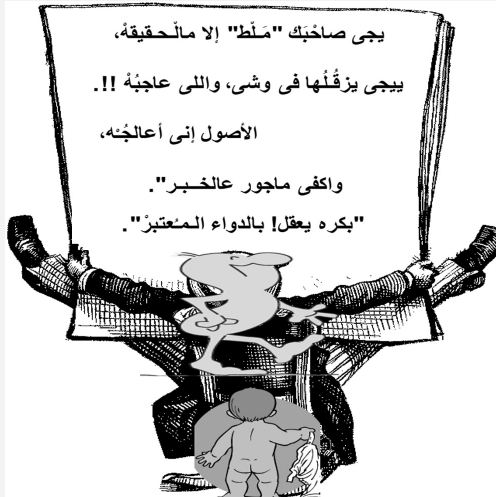


لوحات تشكوية من العلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

(4)

(نأسف بالنسبة للحلقات السابقة فقد كتب ديوان "سر اللعبة" بدلا من ديوان "أغوار النفس" وقد تم تصحيح الثلاث حلقات السابقة)

تشكيلات "الحقيقة"



بقية المتن:

بس والله يا عالم لم قدرت.
لم قدرت أعمى بنواضرى،
حتى لو كان العمى دا "رأسمالك"،
أو كما سموه حديثا "مشى حالك"،
يعنى "طنش، إنت مالك".

لاحظت أننى استعمل كلمة "الحقيقة" أكثر من اللازم، وهى كلمة نجدها أكثر تواترا فى قاموس الفلاسفة عنها عند العلماء أو الفنانين، وإذا كانت قضية الفيلسوف من بعض نواحيها هى البحث عن الحقيقة، فإن مصيبة المجنون (إن صح التعبير) هى مواجهة الحقيقة فجأة دون استعداد أو إعداد، ويبدو أن ورطة الطبيب هى فى اضطراره إلى أن يشهد هذه المفاجأة رضى أم لم يرض، ولو أمعنا النظر فى مدارس الطب النفسى لوجدناها تختلف بقدر اختلافها فى تقييم هذه الخبرة الإنسانية؛ "مواجهة الحقيقة الداخلية والمطلقة عارية عادة، أو مشوهة أحيانا أو محرقة كثيرا".

1 - فريق يدمغها بالأسماء والأوصاف المرضية السلبية معلنا بذلك أنه ينبغي ألا نستسلم ل... (أو حتى نصدق) رؤية المجنون، بما أنها رؤية مصنوعة، أو على الأقل لا تستحق، مادام لم يستعد لها بكامل مسؤوليته، ولم يقدم عليها بعمق وعيه، إذن فالهزيمة التى اجتاحتها من هذه الخبرة هى هزيمة لا أكثر، وبالتالي فهى تضعه حيث وضع نفسه "مريضا شادا فحسب".

هذا الفريق يختبئ عادة تحت لافتة رؤية عضوية أو سلوكية ظاهرية، ويكتفى بذلك.

2 - وفريق يعلى من شأنها، ويصفها بألفاظ الاحتجاج والخبرة والثورة، ويعزو الهزيمة التى مني بها المريض، إذا رآها، إلى قسوة المجتمع وغبائة، ويفترض أن هذا الموقف رغم سلبيته هو أفضل من "الانضباط الأعمى"، ومن النجاح الأجوف المغترب (على حد رأيه)، وهو يتصور بهذا أن هذا التقبل فى ذاته خليك بأن يجعلها خطوة للامام، وليست ضربة قاضية تنهى الجولات قبل بدايتها هذا الفريق له رؤية فنية توصف عادة بأنها رؤية حرة، ويندرج تحت هذه الرؤية - مثلا - الحركة المناهضة للطب النفسى antipsychiatry.. ولكن هذا لا يتعدى الموقف الفنى المثير إلى الموقف العلمى البناء، ولا إلى الموقف الثائر الملتزم، إن مآل هذه الرؤية إذا تمدت هو التسبب السلبى، ومزيد من إجهاض الخبرة الملوحة.

3 - وفريق ثالث يرى هذه المواجهة فى حجمها القاسى والمؤلم، وموقفها الناقد اللاذع ولكنه لا يعلى من شأنها بقدر ما يتخذ موقفا مسؤولا إزاءها، فهو معها للنهائية، شريطة

أن يتحمل صاحبها مسؤوليتها "معها"، فوظيفة الطبيب هنا أن يقلب الهزيمة نصراً (لا أن يوقف إطلاق نيران الحقيقة فحسب) وهو في هذه الرحلة لابد أن يرى المريض من زاويتين: مرة من خلال فهم واستيعاب ما جرى من حيث أنه رفض العمى والرتابة، ثم يراه مرة ثانية من موقف الحزم حتى اللوم بهدف تحجيم الشطح المحتمل، حيث المرض يعلن العجز عن تحمل حدة البصيرة ونبض الخس الأعماق، وعلى الطبيب أن يحاول من خلال هذا وذاك أن ينتصر بهما معا في ولاف أرقى، وباليته يفعل!

محاولة تحديد المعالم:

إن تحديد ماهية ما يسمى "الحقيقة" هنا لا يتعلق مباشرة بما جاء في المتن، وإن كنت انتهزت الفرصة (1976) لمحاولة تحديد بعض معالمها كما كنت أراها قائلاً:

"هي حركية الوعي بالوجود تمتد إلى داخل النفس لتكشف تاريخنا الضارب في ما وراء الحياة، وتمتد إلى مستقبل التطور لترى روعة التكامل الممتد بلا نهاية، وهي تتصل بالناس عرضاً لترى امتداد الفرد في المجموع وتواضع رحلته الذاتية وضرورة الاتصال المثمر بالناس، وقد نرى هذه الحركية في لحظة، أو ساعات، أو طوال العمر كله.. فهي المواجهة، أما نتاجها فهو إما الجنون أو الإبداع عموماً، متضمناً الإبداع العلمي، وكذلك التصوف (الإبداع الذاتي).

اكتشفت أن هذا التحديد المبدئي الذي كتبتته بالنص (تقريباً) سنة 1976، له علاقة وثيقة بما توصلت إليه ونشر بعضه في هذه النشرات المضطربة التي تنشر حالياً (2009)، مثلاً في نشرة "العين الداخلية"، ثم إنه تطور بشكل مباشر قارب حد محاولة تحقيق فرض: العين الداخلية، وبالذات في خيرة المرض، وأفضل هنا - مع الاعتذار للتكرار لمن قرأ الحالة - أن أقتطف ما تيسر من حالة "فصامى يعلمنا الفصام" لأنها تبين تشكلات الحقيقة من واقع مواجهة مريض يستعمل هذه الكلمة بطريقته فيستقبلها الطبيب على مستويات مختلفة وهو يصحح نفسه (هذه المرة): سوف ننشر الهوامش الشارحة التي سبق نشرها منفصلة، بعد مقاطع الحوار مباشرة كالتالي:

من نشرة : 2009-4-28 :

"فصامى يعلمنا الفصام دون أن ينقصم"

....

رشاد: ...هو بس أنا عايز أقول إن أنا شايف الحقيقة في نفس الوقت لما باجى أطلبها بلاقى إن هي مش الحقيقة...

د. يحيى: واحده واحده، أصل الدكتورة (التي قدمت الحالة) كتبت لنا كلام زي ده، واحنا عايزين نوضحه مع بعض شوية شوية

رشاد: تمام

د.جيمي: انت كل جملة قلتها أو حانقوها حانقوا أنا وانت نعيشها،، إنت بتقول أنا شايف الحقيقة بس لما آجى أطلبها بلاقيها مش حقيقة، مش كده؟

رشاد: لأ يعنى، أنا باقول أنا شايف اللى أنا فيه ده حقيقة

د.جيمي: الحقيقة يعنى اللى أنت فيه دلوقتى، أيوه كده، ما توسعهاش قوى

انتبهت أن استقبالي الأول كان تقريبا وبسرعة، لكن بعد استيضاحه هكذا تبين أن رشاد إنما يعنى بالحقيقة "ما هو فيه" وليس الحقيقة التى خطرت لى، وأيضا تعبير "أطلبها" كان يعنى "أطلبها" من الطبيب، أى يسأل الطبيب عما إذا كانت خبرته التى يعايشها واقعية (هى الحقيقة) أم لا. (وليس يطلبها أى يسعى إلى "سبر غورها" كما تراءى لى فى البداية)

رشاد: ولما باجى أطلبها من أى دكتور يقول لى إنت حاسس كده، ولكن هى مش حقيقة

د.جيمي: الدكتور اللى بيقول لك هى مش حقيقة، ولا أنت اللى بتكتشف إنها مش حقيقة

رشاد: لأ، قعدتى مع الدكتور هى اللى بتبلغنى إنها مش حقيقة

د.جيمي: وهوا الدكتور إيش عرفه؟ حاجة غريبة خالص!!

رشاد: مش دكتور بقى!؟

د.جيمي: إيش عرفه الحقيقة من اللى مش حقيقة، هوا ولى أمر الحقيقة؟ إنت شايف الحقيقة زى ما أنا شايف الكوباية دى، مش كده؟

رشاد: آه

د.جيمي: بأمارة إيه بقى الدكتور يقول لك إنها مش حقيقة؟ هو ربنا سلم الحقيقة لشوية ناس وأخذها من ناس تانيين

رشاد: بس معروف إنه دكتور متخصص فى حاجة زى كده

د.جيمي: يعنى هوا متخصص فى الحقيقة؟ هوه متخصص فى أكل عيشه، وتصليح المائل، والتريح، والدواء والحاجات دى

رشاد: يعنى هى حقيقة؟

د.جيمي: ليه لأه؟

رشاد: يعنى هى حقيقة؟

د.جيمي: مش إنت شايفها؟

رشاد: آه

د.جيمى: تبقى حقيقة 100%، سواء اللي قلتها للدكتورة، سواء اللي انت حاتقوله دلوقتى، سواء اللي أنت مش حاتقوله، تبقى حقيقة 100%، بالذات بالنسبة لك، مش لكل العيانيين ولا لكل الناس، ده على حد ما وصلنى من كلامك مع الدكتورة، وحتى لو ما وصلنيش أنا باعتبار إن الحقيقة هي اللي انت شايفها، نعمل إيه بقى في البداية بتاعتي الغريبة الغلط دي؟ غلط قمدي بداية مش معتاد عليها العيان مع الدكتورة، مش كده؟

هذا الأسلوب الذى ظهر في هذا الحوار هكذا عن "حقيقة" رشاد بفرض انها "حقيقة" فعلا، وقد تطور معنى تطورا خطيرا عبر عشرات السنين حتى أصبحت لا أعتبر أنها مجرد "حقيقته" (حقيقة المريض) أى ما يعتقد، أى وجهة نظره، بل رحى أتبنى أن تكون في بعض الخبرات الأعمق بمثابة "الحقيقة الأخرى"، من حيث أن المريض يدركها بأدوات حسه الداخلية، في حين أنى - الطبيب - لا أملك مثل هذه الأدوات بهذه القدرة الكشفية، وحتى إن ملكتها فلا أملك غالبا إلا أن أرى داخلى أنا وليس داخله هو، طبعا هذه ليست قاعدة ولا تنطبق إلا على الهلوسات والضلالات النشطة الحقيقية التى ترصد، أى تُدرك، بالعين الداخلية، وأقول "تدرك من الإدراك" أى من perception، ولا تنسج فكرا أو خيالا نسبة إلى التفكير أو التخيل Thinking أو Imagination

رشاد: تمام .

د.جيمى: نعمل إيه في الدكتورة بقى ؟

رشاد: لأ الدكتورة بصراحه ممتازين، حرام

د.جيمى: ماشى، بس الظاهر هما مضطرين إنهم ينكروا عليك الحقيقة لمصلحتك؟ هما ممتازين، صحيح كتر خيرهم، ثم هم بيعملوا اللي هما عارفينه وخلص، هو حد يقدر يعمل أكثر من اللي هو عارفه!!

... لا أنصح بأن يمارس أى زميل هذا الأسلوب إلا من يدرك يقينا احتمال صحته، وإلا أصبح تطبيقا لأخطر وأغلط مبدأ يقول "ناخد المجنون على قد عقله" هذا المثل هو عكس ما مجرى في مثل هذا الحوار المنطلق من الاحترام المطلق لاحتمال أن خبرة رشاد هي "حقيقة" وأحيانا هي "الحقيقة".

(وهذا هو ما جاء تقريبا في المتن منذ ثلث قرن)

رشاد: تمام

د.جيمى: عارف الدكتورة (...). قاعدة عاملة كده ليه؟ (تبدو عليها الدهشة)، عشان مش شايفة الحقيقة

رشاد: ليه ؟

د.جيمى: أصل الجماعة بتوع الدوا والفلوس يا رشاد حاطين حاجز بين الدكتورة والحقيقة، يجى عيان غلبان زيك يقول لهم

الحقيقة يقولوا له لأه ، إنت مش شايف، بس عشان الدكتور بنتى دى يمكن صغنتوطة قامت صدقتك شوية، وراحت محضوطة، وقالت مش فاهمة ، مش فاهمة، وعرضت علينا حالتك يمكن نفهم سوا .

هذا تفسير ما جاء بالمتن الأصول إنى أعالجه واكفى ماجور
عالم بكرة يعقل بالدواء المعتر

رشاد: وبعدين؟

د.جيمى: بداية صعبة، معلىش

رشاد: لأ، مافيش حاجة، بس نخليها **حقيقة**؟ يعنى نتكلم على إنها **الحقيقة**؟

د.جيمى: أنا رأي اللى ربنا حاسبنى عليه إن: "أيوه" ولو كبداية .

رشاد: هى دى **الحقيقة**؟

د.جيمى: ليه لأه؟ تعرف يا رشاد: أنا كل أمنيتى قبل ما أموت، أنا كبير فى السن شوية كتار، إنى يعنى أوصل للناس اللى انت قلتة ده، الناس يعنى اللى لسه ماتشوهوش، ما تُلأغشى فى مخهم .

رشاد: تمام

د.جيمى: إحنا نبدأ نشوف اللى احنا شايفينه **حقيقة**، إحنا والناس اللى زينا كده، وبعدين نشوف إيه الحكاية، يعنى بقى يمكن تُفرج، تطلع إنها **حقيقة** لوحدها وخلص، أو تطلع إنها جزء من **الحقيقة**، أو يطلع إن فيه كذا **حقيقة**، المهم تكون البداية كده

برغم ما يبدو فى هذا المنطق من صعوبة، وكأنه درس فى الفلسفة، إلا أنى لاحظت أن المرضى يلتقطونه أسهل بكثير من الأسوياء العاديين،

(يتفق ذلك مع ما أتى فى المتن الشعرى من أن المريض قد يرى أعمق، مهما تشوّهت رؤيته، فنتعلم منه)

رشاد: ياه !!

د.جيمى: لما ساعات عيانين يجولى من كتر الدكاترة ما قالوا هم زى ما قالولك كده، إنهم غلطانين وكلام من ده، يصدقوا الدكاترة ويكذبوا أنفسهم، يقول لك أصل الدكتور قال إن اللى أنا شايفه غلط، قال إنه غلط ببقى غلط، من غير ما يفسروا يعنى إيه غلط ويعنى إيه صح

رشاد: ما هو ده عشان دكتور متخصص

د.جيمى: متخصص فى إيه؟ هوا متخصص فى التخصص بتاعه، مش متخصص فى **الحقيقة**، مش أحنا قلنا إن مفيش دكتور اسمه أخصائى **الحقيقة**؟

رشاد: لأ، لأ طبعاً

د. يحيى: طيب يا أخی كفاية كده النهاردة؟ أنا لخبطتك

رشاد: لأ لأ إزای إتفضل

د. يحيى: نعم؟

رشاد: إتفضل إتكلم

هذا التوقف، وعرض إنهاء المقابلة له أهمية خاصة، لاختبار استقبال المريض جرعة الكشف، مع اختلاف نوع الحوار، ومن ثم اختبار رغبته في مواصلة الحوار، في مقابل الخوف من التمادي، ثم إن إعلان الطبيب لحيته هكذا مبكراً، قد يشجع المريض أن يأخذ دوراً إيجابياً غير دور انتظار التفسير الجاهز الدماغ من سلطة علوية.

د. يحيى: لو انت مصدقنى، عشان يبقى تصديق بحق وحقيق، مش دهشة وتفويت، أصل صعب يا ابني إنك تصدقنى، أنا ساعات ما باصدقشى نفسى

رشاد: لأ، لأ، مصدق مصدق إنشاء الله

د. يحيى: نعم؟

رشاد: مصدق بس كل اللى أنا عايز أعرفه يادكتور يعنى أنا تحطيت ليه في المكان ده

د. يحيى: هه؟؟

رشاد: يعنى الحقيقة دي جاية منين؟ حد قاصدها ولا هي جاية لوحديها؟

د. يحيى: طبعاً حد قاصدها، بس الحد ده جواك

ابتداءً من هنا يبدأ تفسير مباشر لما اعتبره الطبيب حقيقة "داخلية" وليس حقيقة "خاصة"، وهذا ما أسميه "الواقع الداخلي" باعتباره واقعا فعلا يمكن أن يرى (بالعين الداخلية) أو يسمع (بالأذن الداخلية) ... إلخ.

رشاد: يعنى حد قصدها.

د. يحيى: بس من جواك، من كتر ما أنت مش عارف إنه جواك، والدكاترة برضه مش مصدقين الاحتمال ده، بتروح الحاجات طالعه بره، وترجع لك كأنها جاية من بره، مع إنها مقصودة من جواك

رشاد: مين يعنى

د. يحيى: أظن اسمه رشاد برضه، في الغالب يعنى.

رشاد: طب إزای يادكتور؟

د. يحيى: مش حاقول لك، قصدي مش عارف، مش متأكد، ما هو لازم نقبل إن فيه حاجات كتير حاشتها فيها واحنا مش

عارفين كل حاجة عنها، بس نشتغل في اللي اتفقنا عليه، ونترك الباقي على جنب، مثلاً لما نقول إن حد قاصدها، يبقى حد قاصدها، ما هو يا رشاد ما فيش حاجة بتحصل بالصدفه كده قوى.

لاحظ طرح التفسير باعتباره احتمالاً يساعد رشاد أن يقبله، علماً بأنه احتمال فعلاً (فرض) لا يثبت إلا جزئياً بفاعليته العلاجية، وليس برهنته منطقاً مسبياً.

رشاد: لأ طبعاً، يعنى هو القاصد "نفسى"، تقصد تقول كده؟

د.يحيى: يعنى إيه نفسى، سبب نفسى يعنى، أنا مش فاهم، يا عم سيبك دلوقتى من كلام الدكاترة، "نفسى" و"مش نفسى"، هو النفسى يعنى مش حقيقة؟ نفسى يعنى بيتيهياً لك قصدك؟ طبعاً لأ، حا يتيهياً لك ليه يعنى؟

رشاد: طيب، إمال مين طيب اللي عمل كده

د.يحيى: اللي جواك

رشاد: اللي جوايا؟

د.يحيى: آه، واحد زيك بالظبط، ما هو فيه كثير زيك جواك، إيه المانع

رشاد: ما تبتدى معايا بقى يا دكتور

د.يحيى: هه !!؟

رشاد: باقول ما تبتدى بقى.

.....

.....

في مقابلة تالية، نشرة 26-5-2009

تواصلت مناقشة كلمة "الحقيقة": كالتالى

د.يحيى: ... ما انا صارحك أهه، ومع ذلك عمال تعيد وتزيد، أنا عايزك تاخذ كلامى ده وتربطه بالكلام الأولانى في أول مقابلة بتاع الحقيقة ومش الحقيقة، اللي انا فهمته غلط في الأول، وبعدين اتفقنا على إن كل اللي انت عايشه حقيقة، بس محتاج تفسر من الناحية دى، ومن الناحية دى، لحد ما نتفاهم، مش كده ولا إيه؟ إنت من أول لحظة سألتني ده حقيقة ولا مش حقيقة، وانا قلت لك ما دام عايشه، يبقى حقيقة، ونتفاهم.

رشاد: يعنى حقيقة؟

د.يحيى: إستنى بس، ما هو الاختلاف بييجى بعد كده، أنا باقول لك هي حقيقة من جوه، وانت بتفاصيل مرة جوة ومرة برة، حا نقعد نتكلم بقى جوا وبره ولا نعمل حاجة سوا سوا

* * *

ثم بعد انتهاء المقابلة قبل الأخيرة نشرة 2009-6-2
انتهيت إلى الخلاصة التالية،

الخلاصة:

تم التعامل مع رشاد -مثلما ننصح أن يحدث مع معظم المرضى- على أن المسألة لم تعد أن ما يقوله المريض (الذهاني خاصة، والفصامي بوجه أخص) هو "حقيقته"، وإنما هو الحقيقة المائلة بدخله، أي الواقع الداخلي، ويختلف دور المريض في تحويل هذه الحقيقة إلى ما هو "حقيقته" بقدر ما تتدخل عملية التفكير (الخيال الذي هو نوع من التفكير) في تحويل إدراك perception هذه الحقيقة (كإدراك حقيقي للداخل) بتأويلها إلى (ضلالات) أو استقاطها (كهلاوس) أو إعادة تشكيلها بالخيال (صور خيالية Image)

* * *

عودة إلى المتن بعد ذلك وهو يتصدى لنقد الموقف التسكيني (الإحمادي أحيانا) السائد في العلاج التقليدي في الطب النفسي.

بكرة يعقل بالدواء المعتبر

شرح على المتن:

الخاطر الذي يتبادر إلى ذهن أي طبيب، وهو موقف إيجابي طبيعي هو أن يبادر بعلاج المريض، خاصة إذا كان المرض جسيما وهو ما يسمى عادة بالجنون (المرض العقلي)، ولا لوم عليه في ذلك إلا إن المسألة ليست، بهذه البساطة، حيث أن وضع مسافة مهنية باردة بين الطبيب والمريض تحتاج إلى نوع من الميكانزمات العامية التي تنشئ المريض بشكل أو بآخر.

الأصول إنى أعالجه، واكفى ماجور عاخبير".

"بكره يعقل! بالدواء المعتبر".

بس والله يا عالمم لم قدرت.

لم قدرت أعمى بنواضرى،

حتى لو كان العمى دا "زأسمالك"،

أو كما سموة حديثا "مشى حالك"،

يعنى "طنش، إنت مالك".

هذه إشارة قاسية إلى النموذج الطبي القمعي الذي يرى المرض حريقا لابد من الاسراع في إطفائه بالعقاقير حتى لو لم يتبق بعد ذلك إلا الرماد، وهو يسلك لتحقيق ذلك سبيل المبالغة في استعمال العقاقير، واعتبار المرض النفسي مجرد

تغير كيميائي في المخ وظيفة تحجب الرؤية عن الطبيب النفسي، وترحمه بالتالي من التعرض لتعمق الوعي ومواجهة حقيقة وجوده ذاته كما ذكرت، أما 'الذي منه' فهو إشارة إلى سوء استعمال بقية الأساليب السطحية مثل العلاج السلوكي وأحيانا العلاج بالكهرباء (العمياء وليس إعادة التنظيم الانتقائي) والجراحة، وأقول إن كل هذه الأساليب لها فاعليتها وروعيتها ووظيفتها إذا كانت جزءا من كل متكامل على مسيرة التطبيب النفسي، أما إذا كانت بديلا عن العلاقة الانسانية أو كانت مجرد خفض للطاقة وتهدة للثورة فإنها قد تعمل في عكس الاتجاه الخلاق.

الحلقة القادمة رقم (5) بعنوان: قلت: إغقل يا ابن نفسي.

وهذا هو المتن مسبقا كما وعدنا:

قلت: حاسِبْ ما الفَصَايخِ والجُرْسِ.

قلت إذِبا عَمَى حَيْسَى، وزوَدَ في الحَرْسِ.

نطَ عَصَبِينَ عَنَى، وَرَأَى إتَى هَوَه.

بس جَوُوه !! !

قلت أخطف نظره عالماشي وأعمّش من جديد،

هيه نظره - واللى خلقك- لم تنيثها

بصيت لقيت الزقه بتلف الضريح لم بطلت، وتقول مدد!!

بس العِمامة اتغيرت:

والحاجات، هي الحاجات الميش حاجات.

الطبيب أصبح مهندس للعقول

البايظة (يعنى .. !!)،

واللى برضه اتصلّحت.

(الطبيب دا هو انا، مش حد غري)

الله عليه، والسّت بيتمسي عليه!

والشاشة، والواقع، خلاصة القول، منظوم الكلام:

أخبر تمام، في خلّ معضلة الأتنام:

"لما كنا نحن في عصر القلق،

"نستعيد برّنا مما خلق"،

يبقى لأزمن كلنا نقلق قوى،

واللى ما يقلقشى لأزمن يكتب،

إمّال اييه...؟!
ثمّ إن الأم لازم، إنّها تحب عيالها
دا لزوم فك العقد إلی فی بالها.
فلقد ثبت: إن العُقد "وحشة قوی"!!
هَذَا الذى قد أظهره البَحْثُ الفَلانى،
"لما عد التانى ساب الأولانى".
ثم أوصى: "أن يكون الكل عال.
إذ لابد أن الكويس:
هُوا أحسن مالى ما هوش كويس.
إمّال اييه؟"
[هذا برنامج "عفاف هام"،
بتسأل حضرة الدكتور فلان]

الثلاثاء 23-06-2009

662- (تابع الملعوف!!).. عن الحب والكراهة (5)

يبدو أن هذا الشرح على متن سوف يسير بالسرعة البطيئة، أملا في أن يُستوعب، أو يثير ما نرجو من حوار محتمل، اكتشفت ذلك حين لم تناول هذه النشرة، بالاضافة إلى نشرة الغد إلا جزءاً، يسيرا من المتن الذي وعدنا بمناقشته يوم الأربعاء الماضي.

أو: ربما هو الكسل..

* * *



نط غصّبين عنّي، ورآني إنّي هوّه..

بس جَوَّة !

المتن:

قلت: إغقل يا ابن نَفْسِي.
قلت: حاسب ما الفَصَايخ والجُرْس.
قلت إديها عمى حيسى، وزود في الحرس.
نط عُصْبين عنى، ورانى إنى هوّه.
بس جَوَّة !!!

شرح على المتن:

قلت: إغقل يا ابن نَفْسِي.

مع اضطراب نمو الطبيب، يتجرأ فيسمح بما يسمى " إعادة الولادة"، ليصبح "ابن نفسه" بعد أن كان ابن أبيه وأمه، إذا فشلت "إعادة الولادة" فهي تجربة الجنون ذاتها، أما إذا نجحت فهي تجربة أزمات التطور وكذلك إرهافات الخلق والابداع. أن يصبح الفرد والد نفسه، احتمال فيه من الروعة بقدر ما فيه من المسؤولية، والخطاب هنا "بابن نفسي" يشير إلى أن من تعرض لمصاحبة الجنون في رحلته المرعبة هذه، فهو لا بد والد لنفسه من جديد، وعليه أن يتحمل مشاق الرحلة فعلا .. وأن يقلبها إبداعا حقيقيا متى امتلك الأداة .. فهي فرصة .. وهى مصيبة في نفس الوقت إذا لم تتم بأمان.

الاشتغال بالطب النفسى إشكالة شديدة التعقيد، إنها مهنة تستدرجك إلى عالمك الداخلى، بقدر ما تغوص في عالم المريض (الجنون خاصة)، إنك لا تستطيع أن ترى الجنون منفصلا عنك إن صدقت في محاولة قراءته ثم نقده لإعادة تشكيله، وتشكيلك معه كما أشرنا من قبل، هى ليست مهارة تستعمل من الظاهر، إنك متى تغامر بتقمص المريض حتى تكتشف أنها ليست مجرد عملية لبس قميصه (تقمصه)، بل إنه يحرك فيك الجزء المقابل لما تعرى فيه عشوائيا، برغم احتمال غائية لها دلالاتها في بداية رحلة الجنون.

كيف يحدث ذلك ؟

"نط عُصْبين عنى، ورانى إنى هوّه.... بس جَوَّة !!! !"

إذن هذه المسألة لا تحدث اختيارا محسوبا مسبقا، وإنما هى نتاج صدق المواكبة، وأمانة المعايشة.

أنت تعرف مريضك، إذُ تتعرف عليه من خلالك،

وهو أيضا يعرفك من خلاله،

كل ما فى الأمر أن ما يمكن أن نسميه جنونا لا يكون كذلك طالما أنه كامن فى داخلنا (بس جوه)، لكنه هو هو موجود

فيينا كلنا، التركيب الأساسي لمريض واحد، ولا تُكسر المسافة بينك وبين المريض بشكل موضوعي مفيد إلا من خلال الإقرار بذلك منذ البداية بكل ما يحمل من مفاجآت ومخاطر.

المريض ليس مختلفا عنا، وما يسمى جنونا هو ذلك التركيب الذي يبدو عشوائيا في بعض مراحل حركيته، نحن نستنتجه عادة ولا نعرف جوهره تفصيلا إلا من خلال نأجه الظاهر على السطح. كل ما هو تحت السطح نحن نضع له الفروض للتعرف عليه أو تفسيره، هذه الفروض قد تصح وقد لا تصح، وكل فرض أو نظرية قد يغطي جزءا من التعرف على الظاهرة لا أكثر.

عن الحلم والجنون:

المدخل الأمثل لتأكيد وجه الشبه بيني وبين مريض هذا هو ظاهرة الحلم، (وليس محتواه أو تفسيره)، حركية الحلم من واقع نشاطه، ومن دوره في ترتيب، (و"لا ترتيب": فوضى) المعلومات فيه، هو الجنون دون هزيمة، بل في الأحوال العادية، هو الجنون الناجح، بل هو الإبداع الخفي، نحن لا نعرف ما يجري أثناء الحلم الحقيقي، (عشرون دقيقة كل تسعين دقيقة، بمجموع حوالى ساعتين كل ليلة)، كل ما كان يهمننا في مسألة الحلم حتى وقت قريب هو "محتوى الحلم" الذي - حسب نظريتي: يتشكل الحلم الحكى في الثواني (أو أقل) ما بين النوم واليقظة قرب الاستيقاظ، هذا المحتوى هو الذي ظل يشد انتباهنا، وتدور حوله أمثائننا، وتحاول تفسيره تأويلاتنا، بعيدا عن ظاهرة الحلم ذاتها (أنظر: الإيقاع الحيوي ونبيض الإيداع) لأن تشكيلة وحركية ظاهرة الحلم هي هي تشكيلة وحركية ظاهرة الجنون مع اختلاف حالة الوعي، وطبيعة المأل.

بمجرد أن نستيقظ، يعود كل شيء كما كان إلا قليلا، ونروح نغضى ساعات يقظتنا وسلوكنا العادى ليس عليه شائبة، لأن جنوننا يكون أثناء يقظتنا كامن طيب، وهو ينتظر أن تأتي ساعات النوم ليتحرك في نشاط الحلم بحسب وإيقاع راتب، مرة أخرى: لنستيقظ من جديد "كما كنت" إلا قليلا، وهكذا.

في مواجهة الجنون

حين نلتقى بشخص مجنون في واقع الحياة، يتحرك جنوننا الكامن داخنا، فنخاف من هذا التحريك، ويختلف تفاعلنا باختلاف موقفنا وما هو نحن،
ومن ذلك:

- بعضنا يربع من مجرد احتمال وجود وجه شبه معه، ولو في المستقبل البعيد
- بعضنا يخاف ويسرع بالهرب الفعلى (بتجنب مواصلة رؤيته)
- بعضنا يزداد عمى وبعدا ويفترض - شعوريا أو لا شعوريا - استحالة إصابته بمثل ذلك

- بعضنا يتمنظر ويفتى ويصنّف وينصح
- بعضنا (الأطباء الجهابذة) يسارع بالعلاج السلطوى الذى قد يطفئ حركية جنون المريض، لا يستوعب طاقتها، وفي نفس الوقت هو يزيد من إحكام قهر حركية جنونه شخصيا.
- بعضنا يمارس الوشم، فالنفور
- بعضنا يمصص شفاهه ويركب هودج الشفقة، ينظر إلى الموقف متعاطفا من أعلى

أين يقع الطبيب النفسى من كل هذا؟

إنه يتعرض لكل هذه الاحتمالات دون استثناء، فهو بشر، لكن أمامه فرص إيجابية، وأخرى سلبية:

شركات الدواء، والعلم السطحي المسخر لمصالح هذه الشركات، والاغتراب المعقلن، كلها جاهرة لتخدم دفاعاته ضد أن يرى وجه الشبه أصلا، وهى مؤسسات تتضخم، لتكسد الأموال. وتهدد تطور الانسان، فيجد الطبيب نفسه -بدون وعى غالبا= أداة (علمية) طيّعه للقيام بدور لم يقصده غالبا (لم يخلقه الله لهذا)

حقيقة وتدرج موقف الطبيب بالممارسة

الطبيب الذى لا يغامر بالتعرف على مريضه من خلال جنونه الكامن شخصيا، وهذا هو ما يحدث غالبا، يحتاج مزيدا من الدفاعات خشية أن يرى هذا الاحتمال، أن يرى نفسه بروعة أعماقها وإرغاب تعريها.

لكن هناك احتمال أن يكون الطبيب قد قطع شوطا على طريق نموه الشخصى، فتنشط هذه الدفاعات بدرجة واعية نسبية، فلا تعود دفاعات تماما، بل تنقلب جزئيا أو كليا إلى "بصيرة واعية" تحل محل تلك الدفاعات العامية، هذه البصيرة هى التى تساعد أن تزيح الدفاعات جانبا، لنرى ما يراه المريض، ليس فقط فيه، وإنما أيضا فينا.

هذا ما يصوره المتن حين يصف دفاعات التعمية (عمى حيسى) وعموم الدفاعات (الحرس).

حين تتحول الدفاعات اللاشعورية إلى آليات وعى محترقة مؤلمة، تحت بصيرة الطبيب، وتتواصل الخطوات نحو الرؤية، بشكل مفتوح من الداخل، وحينئذ لا يملك الطبيب الأمين، (أو أى مغامر نحو المعرفة) لها صدا.

إذن فهذه البصيرة الفاعلة هى - غالبا - عملية مقصودة هادفة تتقرر من الداخل بوعى آخر، بعد أن فشلت الدفاعات الواعية جزئيا (حين لم تعد دفاعات صرف)، من أن تحقق الإظلام الانتقائى، لحمايةنا من فرط الرؤية هذا هو المقصود بـ

قلت إديها عمى حيسى، وزود في الحرش.

فإذا تواصلت خطوات نمو الطبيب مجدية - من واقع الممارسة عادة-، وياحبذا تحت إشراف متعدد المستويات، فسوف تراجع هذه الميكانيزمات، كلما توفر قدر من البصرة ياحبذا في جو إشراف صحي مشارك، فلا يعود العمى مطلوباً ولا مفيداً، بل هي البصرة المؤلمة الداعمة في آن، الأمر الذي يترتب عليه أن نرى أنفسنا مثلنا مثل المريض، مع الاختلاف الجوهرى في طريقة تعاملنا مع هذا التركيب، ومن ثم مآله:

المعالج ينمو من خلال ذلك (المفروض يعنى)

والمريض يشفى، أو يتدهور، بحسب عوامل كثيرة،

لكن تظل الرؤية والمشاركة والألم والوعى الأشمل هي احتمالات قائمة عند المريض مثلما عند الطبيب في المراحل المختلفة، ثم تتفرق الطرق ويختلف المآل، أو تتوأكب المسيرة ويعاد التشكيل لكليهما.

كل هذه النقلات ليس لها توقيت معين أثناء رحلات نمو الطبيب، ففي أى لحظة، تغوص البصرة إلى حقيقة الجارى، فإن صدقت الرؤية، فلا رجعة فيما رأيت، تماماً مثلما ترى منظراً بعينيك مفتحتين، فإذا لم تتحمله، أو أردت محوه من وعيك الحسى لسبب أو لآخر، بأن تغمض عينيك عنه، فإنك تظل تراه، تعرفه، تعترف بوجوده، مع أنك مغمض العينين.

مع تواصل أمانة المحاولة، تحفزك بصيرتك إلى مواصلة الدفع لمزيد من التعرف على الجارى (فيك وفيه)، وهنا تكفى لحظة تنوير تكاد تشبه خطوات الإلهام في الإبداع، ويمكن أن تكون هذه اللحظة مشروطة -شعورياً أو لاشعورياً- بالتراجع عنها، لكن هذا الشرط، لو واصل الطبيب أمانته، وجهاده، لا يتحقق أبداً، فيواصل الطبيب، الكشف والتعري، فالألم البناء والنمو.

قلت أخطف نظره عالمشى واعمّش من جديد،

هيّه نظره - واللى خلقك- لم تنيئها

الرؤية اللى تترتب على هذه المغامرة تشمل أكبر مما قصدت إليه من عمق التعرف على المريض وأحواله، وحين تحدد بصيرتك لا يمكن توظيفها انتقائياً للمريض دونك بل إنها عادة، ما تمتد إلى مناطق وآفاق تتجاوزك أنت ومريضك على حد سواء: إنك سوف تجد نفسك مضطراً إلى ممارسة كل من:

تعرية الاغتراب،

وتحطيم الأصنام،

ومغامرة الكشف،

وحيرة المعرفة،

ومخاطرة إعادة التشكيل (الإبداع) ..
(كل هذه مجرد أمثلة)

فماذا يقول المتن؟

بصيت لقيت الزقه بتلف الضريح لم بطلت، وتقول مدد!!
بس العمامة اتغيرت:

والخجات، هي الخجات المش حاجات.

تقديس القديم والتوقف عنده يصبح بشعا من خلال هذه الرؤية الجديدة، سواء كانت رؤية المهنون أم الفنان أم الثائر أم الطبيب الجاد المشارك، والقديم هنا لا يقتصر على تجمد السلف بقدر ما يصور الجمود الفكرى بصفة عامة.

كثير من المبادئ الحديثة (حتى بعض مناهج العلم المؤسسى) قد أصبحت أديانا مغلقة، أو أصناما ثابتة، ورغم تغيير الاسم والشكل: **(بس العمامة اتغيرت)**

الأصنام الجديدة والمناهج المغلقة لها نفس قدسية القديم المعطل،

المشكلة هنا ليست مشكلة السلف والخلف، ولا القديم والجديد، ولكنها مشكلة الجمود ضد الحركة،

علما بأننى مع احترام القديم، دون قبول وصايته، فهو الأب الشرعى للجديد، لكنه ليس بديلا عنه .

لا جديد ذا أصالة يولد سفاحا، ولكن الاحترام والاستيعاب والجدل شيء، والتقديس والجمود والتكرار شيء آخر.

وهكذا تتمادى هذه الخبرة المغامرة حتى تصل إلى احتمال إعادة النظر فى كل شيء على أنه "هو هو"، إلا أنه "أصبح ليس هو"

وغدا نرى ما يترتب على ذلك:

بما ذلك الطبيب نفسه، والمريض، ما أمكن ذلك.

أما متن الغد. فغالبا سوف يكون.

الطبيب أصبح مهندس للعقول البايئظة (يعنى .. !!)،
واللى برضه اتصللحيث.

(الطبيب دا هو انا، مش حد غيرى)

اللّه عليه، والسّت بيتمسى عليه!

والشاشة، والواقع، خلاصة القول، منظوم الكلام:

أخبر تمام، فى حُلّ مُعضِلَةِ الأَنَامِ

- "لَمَّا كُنَّا نَحْنُ فِي عَمْرِ الْقَلْقُ،
 "نستعيد برئنا مما خلق"،
 يبقى لأزمن كلنا نقلق قوى،
 والى ما يقلقى لأزمن يكتتب،
 إمَالِ إِيه...؟! !! !
- ثم إنك - بعد ذلك - لم لا بد أنك تسبب هذا "القلق"
 علشان "تعيش"
 ○ ثم إن "الحزن" برضه مالوش لزوم
 "طنش" تعوم ! !
 ما هو كله في المافيش
 ○ ثم إوعى أنك تنام من غير خاف
 ○ أحسن تخاف
 حيث النصيحة "لا تخف" هي التي:
 لك عندي يابني "حق أبرئ ذمتي"!!
 ○ ثم إن الأم لازم، إنها تحب عيالها
 دا لزوم فك العقد إالى في بالها.
 فلقد ثبت: إن العُقد "وحشة قوى"!!.
 هذا الذي قد أظهروه البَحِيثُ الفُلَانِي،
 "لَمَّا عَدَ التَّانِي سَابِ الأُولَانِي".
 ثم أوصى: "أن يكون الكل عال".
 إذْ لَابُدُّ أَنْ الكُؤْيُسُ:
 هُوَا أَحْسَنُ مَالِئِي مَا هُوَشُ كُؤْيُسُ.
 إمَالِ إِيه؟"
 [هذا برنامج "عفاف هانم"،
 بتسأل حضرة الدكتور "فلان"]

الإثنين 24-06-2009

663- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف

دراسة في علم السيكيوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

(6)



نفسنة الحياة المعاصرة

الطبيب أصبح مهندس للعقول البايظة (يعنى .. !!) ،
واللى برضه اتصلحت.

(الطبيب دا هو انا، مش حد غرى)

أرجو اعتبار أن مثل ذلك، وايضا ما سوف يرد في الفقرات التالية، هو نوع من النقد الذاتي أكثر منه نقد لأى من الزملاء. هذا تقديم واجب، فكل الأدوار التى انتقدت فيها الطبيب النفسى هى أدوار تصورث أننى قمت بها شخصيا في مرحلة من مراحل ممارستى لمهنى، فهو نقد ذاتى أساسا، لا أعنى به المهنة ذاتها ولا أى من الزملاء، أرجو أن يعنى هذا التحفظ بعض الزملاء من التصدى للدفاع عن تلك الأدوار التى انتقدتها بقسوة، فالقضية في تصورى ليست قضية تجريح لبعض الاتجاهات، ولكنها خبرة شخصية أساسا، فإذا استيقظ ما يقابلها في نفوس بعضهم، فهذه مسئوليتهم، وإلا فهى لا تعنى إلا شخصى، والحكم في ذلك أولا وأخيرا هما الوعى والمسؤولية. مادامت مسيرة التطور الفردى ليست قانونا واحدا ملزما لكل الناس، فليتوقف من يشاء حينما شاء، وليساعده في ذلك الطبيب أو غيره، ويظل الفرد هو المسئول أولا وقبل كل أحد عن اختياره.

ربما الذى شحذ بصيرتى فأفيدنى عبر تجربتى الطويلة هو أننى مارست كل أنواع الطب النفسى عبر عشرين عاما (خمسين عاما الآن) بحماس وإيمان في كل مرحلة، فأصابنى من كل ذلك ما أصابنى، ومن ذلك تلك المرحلة التى تعاملت بها مع المخ البشرى كأنه آلة مصقولة متقنة، والتى أتصور أن هذا هو الغالب في كثير من ممارسات هذه المهنة حين يصفها المتن بفقرة تقول: "الطبيب أصبح مهندس للعقول البايظة"، هذا ما يحدث إذا ما تعامل الطبيب مع العقل البشرى كنموذج هندسى ميكنى، لا أكثر، ولقد تراجعت عن نقد أنه نموذج حاسوبى (كما جاء في هوامش الطبعة الأولى) بعد أن تعرفت على الحاسوب الأحداث أكثر فأكثر، فالتعامل مع الإنسان (والمخ البشرى) كآلة ميكانيكية كمية، غير التعامل معه كحاسوب حديث، ناهيك عن كونه كيانا بشريا أكثر تعقيدا، وأرسخ تاريخا.... ، وقد أفادنى مؤخرا قياس عمل جلسات تنظيم الإيقاع (المسماة خطأ : الصدمات الكهربائية) بفكرة "إعادة التشغيل" الحاسوب الأحداث، (أنظر يومية؟؟؟ الرد د. على أميمة رفعت).

أما أن الطبيب بدأ مؤخرا يلعب دورا غير التطبيب، ليصبح مهندسا للعقول السليمة (واللى برضه اتصلحت") فهى إشارة إلى دور الطبيب النفسى في المجتمع الأوسع مفتيا إعلاميا متدخلا أكثر من اللازم فيما لا يقع تحت مظلة تخصصه.

الفقرة التالية كلها تحديث تقريبا، وهى تنتقد الدور الإعلامى للطبيب النفسى، والمعروف أننى من أكثر من يمارس هذا الدور، فأرجوا ألا ينطبق على كل ما سوف أذكره حالا (أو ينطبق، أحسن من أن يظن الناس أننى أهجم غيرى فقط).

المتن

اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالسَّتْ بِيْتَمَسَى عَلَيْهِ!

والشاشة، والواقع، خُلَاصَةُ الْقَوْلِ، منظوم الكَلَامِ:

أخبر تمام، فبى حَلْ مُعْضِلَةَ الْأَنْسَامِ

شرح على المتن

أول ما انتبعت إلى هذا الدور الخاص للطبيب النفسى كان فى الستينات، وكان أحد زملاء راجعا من الخارج، وله كاريزما خاصة، وذكى، وعالم، وحاضر، وجاهز، وكان هناك برنامج اسمه "تجمك المفضل"، ليلى رستم (أو ربما أمان ناشد، لا أذكر)، وكنت أتصور من اسم البرنامج أن النجم لا بد أن يكون نجما سينمائيا على الأقل، وإذا بي أفاجأ بهذا الزميل الفاضل، يقول كلاما مهما فى كل شيء، كان حاضرا وطيبا ومفيدا وملما بدوره إلماما كافيا، ولم أجد فى نفسى اعتراض جاهز، أو غير خفية، فى أن يقوم زميل طبيب نفسى لامع بهذا الدور المفيد، وحين جاءت دعوة لى للإسهام فى مثل هذا الدور الإعلامى، لم أجد فى نفسى مميزات زميلى هذا، فناقشت الإعلامى الطيب الذى عرض على فكرة التوعية الوقائية للمشاهدين، المرحوم فؤاد شاكر (الذى تخصص بعد ذلك فى الإعلام الدينى)، عرضت عليه ألا يقتصر البرنامج على الصحة النفسية، وأن الأفضل أن نقدم معلومات علمية أساسية مفيدة يتعرف الشخص العادى من خلالها على "ما هو إنسان"، بما هو إنسان"، لعلنا نعرف الناس ماهية التركيب البشرى المجهولة لدى أغلبهم، فاقنعت وجعل اسم البرنامج "الإنسان ذلك المجهول" (نفس الاسم الذى استعمله الفيلسوف الأمريكى ألكسيس كارليل)، وفعلا قدما سلسلة من الحلقات، تحت هذا العنوان "الإنسان ذلك المجهول"، تناولنا فيها جوانب ثقافية علمية طبية عامة وخاصة مثل: العلاقة بين الوراثة والتنشئة، و"حكمة الجسد" فى علم الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، إلى أن وصلنا إلى العلاقات البشرية (اختصاص الطب النفسى) بشكل أو بآخر.

منذ هذا التاريخ فى أوائل الستينات، وحتى الشهر قبل الماضى (منذ أسابيع، حين قبلت أن أقدم البرنامج الأحدث "مع الرخاوى"، فى قناة جديدة اسمها "أنا"، وهو برنامج يهدف إلى نقد القيم السائدة، وإعادة التعرف عليها، وهو البرنامج الذى أشرت إليه فى بريد الجمعة الماضى)، وأنا أحاول ألا أعتذر عن أداء دورى الإعلامى هذا، وفى نفس الوقت ألا أنساق لما أنتقده الآن.

ما بين هذين التاريخين لم أرفض أن أشارك فى برنامج إذاعى أو تليفزيونى إلا نادرا، وأحيانا وصل بي رفضى لما أنتقد الآن أن انسحبت من برنامج كان يذاع على الهواء، أذكر أن البرنامج كان اسمه "ماسبيرو"، ولعل اسم المقدمة الفاضلة كان "شافكى"، وكانت الحلقة عن "أعداء النجاح" حدث فيها - رغمًا عن المقدمة ربما بسبب طيبتها- ما لم أتمكن من مواصلة

البرنامج للإسهام في تصحيح ما تصورت أنه لا يجوز أن يصل إلى الناس في وجودى هكذا، حيث أن بقائى كان يعنى أننى مشترك بشكل غير مباشر فيما يضر (من وجهة نظرى)، فاحتججت ، وزعمت أننى قد أصابنى طارئ صحى أثناء التسجيل، وانسحبت - على الهواء- أمام كل المشاهدين، وانتهت المهمة وأنا فى حيرة : إذن لماذا أقبل الإسهام فى هذه التغطية الإعلامية هكذا "عمال على بطل"؟! .

فيما عدا مثل هذه الحادثة النادرة، لا أذكر أننى اعتذرت بلا عذر حقيقى، كنت أذكر قول أفلاطون فى مقدمة الجمهورية، أن عقاب من يتخلى عن مسؤولية الريادة أو القيادة أو التوجيه العام، هو أن يتولى الأمر من هو أقل فائدة وربما أضرّ أثراً ليس معنى هذا أن زملائى أقل قدرة على الترشيد والتثقيف والتوعية، لكن هذا كان هو التبرير الذى أقنع به نفسى معظم الوقت.

كل هذه المقدمة وجدتها ضرورية قبل أن أنطلق إلى المتن والشرح لأن المتن فيه سخريّة لاذعة أرجو ألا تصيب إلا شخصى.

نفسنة الحياة المعاصرة

بصراحة، كلمة "نفسنة" ليست الترجمة الدقيقة لأصل الكلمة التى وصلتني بالإنجليزية ، وهو Psychiatrization ، ذلك أن الإعلام عندنا، قد بالغ فى حشر آراء الطب النفسى (وعلم النفس) فى كل أمور الحياة تقريباً، من أول السياسة، حتى الجريمة، مروراً بالترفيه، والرياضة، والأسعار، والموضة، والدين، والعنف، واختيار الوزراء، ولون حجرات النوم، ومائدة الطعام، والاستخارة، وخفة دم عادل إمام مقارنة بإسماعيل يس، وسيكولوجية ركاب مترو الأنفاق...و...و...، يكفى هذا.

احتاج الأمر منى الآن وأنا أشرح هذا المتن (وهو تحديث لم يرد فى الطبعة الأولى كما ذكرت) أن أتوقف فى محاولة أن أصنف ما أوله، (وما أحاول أن أتجنب أن أقوله) وما قد يقوله بعض زملائى فى مثل هذه اللقاءات فوجدت أن أغلبها يمكن أن تندرج تحت ما يلى:

(1) **بديهيات** لا تحتاج إلى رأى أصلا، (وليس بالضرورة رأى "نفسى") مثل "أن الجريمة لا تفيد"، أو أنه "على الأب أن يكون قدوة لأولاده !! جدا جدا"

(2) **تحصيل حاصل** قد يأخذ صفة نفسية، لكنه لا يضيف، مثل أن الطالب الذى ينتبه إلى الدرس جيدا، يحتاج مجهودا أقل لمذاكرته (أى والله)

(3) **شعب أخلاقى** للشرب بأشكاله، مثل ان الغش لا يصح ، لأن من يغش إنما يغش نفسه، وهذا ليس من الصحة النفسية، فى شيء !!

(4) **نصائح عادية مسطحة** يقولها أى واحد فى أى مناسبة (دون حاجة إلى أن يكون مختصا فى النفس، ولا فى غير النفس) ، مثل أنه على الزوجين أن يجتهدا فى حل مشكلهما بالسلامة

(5) نصيحة نفسية معادة (حتى لو كانت روجعت وثبت عدم جدواها) مثل النصيحة الأشهر، أنه "دع القلق وابدأ الحياة". (أنظر المتن بعد)

(6) فتاوى سياسية بلغة نفسية، مثلا: تيرر السلام مع إسرائيل، أو تشجبه (كله ينفج)

(7) وضع لافتة تشخيصية على شخص نشرت حكايته في الإعلام، دون اللقاء بهذا الشخص، ودون استيفاء المعلومات اللازمة، ودون التأكد من مصداقية المحرر الذي نشر الخبر، ودون عمل حساب تأثير هذه اللافتة عليه أو على ذويه، أو على من هو مثله.

(8) الحكم على مسئولية متهم ارتكب جريمة غريبة، أو نادرة، أو مستهجنة جدا، لم يبت فيها قضائيا بعد، دون فحصه مباشرة، أو ملاحظته، أو الاطلاع على ملفه

(9) ترديد توصيات نابغة من ثقافة غير ثقافتنا، في سياق لا يناسبها، مثل الكلام عن الحرية وحقوق الطفل، بنفس الألفاظ والتوصيات التي تتردد في ثقافات أخرى، ولصق الصفات النفسية، وعبارات المديح بهذه التوصيات مجرد أنها مستوردة

(10) التوصية الأكيدة بضرورة الذهاب إلى " الطبيب النفسى " للاستشارة (والعلاج) عمال على بطال"، في أمور الحياة العادية التي غالبا لا تحتاج لمثل ذلك

(11) تشریح شخصية بعض الفنانين أو الفنانات بما يجب أن يسميه الإعلاميون "تحليل نفسي":، دون لقائهم، وبأقل قدر من المعلومات، وغالبا دون إذن منهم

(12) لصق اسم مرض خاص (او صفة مرض عام، مثل الجنون) ببعض رؤساء الدول الذين يارسون سوء استخدام السلطة في الحرب أو السلم، وكأننا لا نعرف أننا بذلك نلتمس لهم العذر (مرضى بقى !!) فيواصلون قتل واستغلال الأبرياء والضحايا.

(13) وغير ذلك كثير مما هو مثل ذلك

ما هذا؟

لقد اكتشفت أن الشرح في نشرة اليوم جاء قبل المتن

ولم لا؟

فإذا احتاجت أية فقرة خاصة إلى مزيد من التوضيح، فقد أفعل في هوامش لاحقة.

هل عندك - قارئى العزيز- مانع؟

المتن:

الطبيب أصبح مهندس للعقول البائِظَة (يعنى .. !!) ،

واللى برضه اتصلحت.

(الطبيب دا هو انا، مش حد غيرى)

○ "لما كنا نَحْنُ في عصر القلق،

"نستعيذ بربنا مما خلق"،

يبقى لاؤمَنُ كلنا نقلق قوى،

واللى ما يقلقشى لاؤمَنُ يكتئب،

إمَالِ اييه...؟! !! !

○ ثم إنك - بعد ذلك - لم لا بدُ انك تسبب هذا "القلق"

علشان "تعيش"

○ ثم إن "الحزن" برضه مالوش لزوم

"طنش" تعوم !! !

ما هو كله في المافيش

○ ثم إوعى انك تنام من غير لحاف

○ أحسن تخاف حيث النصيحة: "لا تَخِفْ"

أهمُ شىء في الملفأ!!

○ ثم إن ألام لازم، إنها تحبب عيالها

دا لزوم فك العقد إالى في بالها.

فلقد ثبت: إن العُقْد "وحشَّة قوى"!!.

هَذَا الذى قد أَظْهَرُو البَحِيْثُ الفُلَانِى،

"لما عد التانى ساب الأولانى".

ثم أوصى: "أن يكون الكل عال.

إذ لا بدُ انْ الكُوَيْسُ:

هُوَ أَحْسَنُ مَالِذِى مَا هُوَ كُوَيْسُ.

إمَالِ اييه؟"

[هذا برنامج "عفاف هانم"،

بتسأل حضرة الدكتور "فلان"]

هوامش معدودة :

وجدت أن المتن أوضح من أن أضيف إليه شرحا آخر بعد كل هذه المقدمة الطويلة اللهم إلا :

1. إن الإلحاح في ترديد أنه "دع القلق وابدأ الحياة"، (ثم إنك - بعد ذلك : لم لا بد أنك تسبب هذا "القلق"، علشان "تعيش") دون اتهام الكتاب الأصلي لدليل كارنيجي بالمسئولية الكاملة عن سلبية تلقي هذا المفهوم، الذى هو من أشهر ما يجرى بين الناس على أنه غاية المراد لتحقيق ما هو صحة نفسية، وقد كررت طويلا أن البديل الحقيقى هو "عش القلق، واقتحم للحياة"

2. إن إشاعة أن ثم شيء اسمه "الاكتئاب القومى" ، وأن الحزن مرفوض من أساسه، هى إشاعة تروج مفاهيم سطحية، مسخت عاطفة شديدة العمق والدلالة مثل الحزن

(أنظر مثلا :

- ما هو لازم انى أزعل" نشرة 2007/9/7 (بدال ما تثور تفن)

- أو نشرة 2007/11/18 (مقدمة (3/3) عن الوجدان، والحزن)

3. كذلك هذا الترويج السطحي ضد الخوف المشروع، كثيرا ما يتكرر في الإعلام، الأمر الذى انتقدته حتى في أرجوزة للأطفال عن الخوف، لا أكتفى إزاءها بالإشارة إلى موقعها في الموقع برباط link، وإنما أقتطف منها ما يلى :

قالوا يعنى، مجسن نيّة: "لا تخف"

دا مافيش خطر

طب لماذا؟

هوا يعنى انا مش بشر؟

إنما احنا نقولك: "خاف وخوف" !

فيها إيه؟

لو ماخفتش مش حاتعمل أى حاجة،

فيها تجديد أو مغامرة

لو ما خفتش مش حاتأخذ يعنى بالك،

حتى لو عاملين مؤامرة

لو ما خفتش مش حاتعرف تتنقل للبر دُكّه

خايف ان تبيد شعرك

لو ما خفتش يبقى بتزييف مشاعرك

بس برضه خللى بالك

إوعى خوفك

يلغى شوفك

إوعى خوفك يسحبك عنا بعيد، جوا نفسك

إوعى خوفك يلغى رقة نبض حسك

4. إن استشهاد الإعلام، وبعض النفسين، بما ينشر هنا وهناك من أرقام ونسب مئوية لكثير من الأبحاث (بعضها أو كثير منها مستورد) ، يتكرر بشكل متواتر، وكثيرا ما ينساق الطبيب النفسى إلى تفسير هذه الأرقام وكانها حقائق مسلمة ، دون (أو قبل) مناقشة مدى مصداقيتها، أو نوع العينة التى أجريت عليها وهل هى ممثلة لما تشير إليه أو لا... إلخ... إلخ (من المتن:

هَذَا الَّذِي قَدْ أَظْهَرَهُ الْبَحْثُ الْفُلَانِي،

"مَا عَدَ التَّانِي سَابِ الْأَوْلَانِي"،

ثُمَّ أَوْصَى: "أَنْ يَكُونَ الْكُلُّ عَالًا.

وبعد

أكتفى بهذا القدر اليوم لنلتقى الثلاثاء القادم (ما أمكن ذلك) ، على جزء جديد من المتن يقول:

وساعات أشوفه مِطِيَّاتِي مُعْتَبِر،

آه يا حلاوتُهُ وهُوا بِيْلْبَسْ خُدُودَه الْإِبْتِسَامَةُ،

أَوْ لَمَّا بِيْشْخَبَطْ وَيَكْتَبْلُكَ حُبُّوب "مَنْعِ السَّامَةِ"،

أَوْ لَمَّا يُوصَفُ حَقْنَةُ الْمَحَايَا تَقُومُ تَمَسِّحُ مَشَاعِرِكَ "بِالسَّلَامَةِ".

-11-

وساعات أشوفنى كما "الأغا"

بِيضْخِكَ الْمِلْكَةَ، وَيُسْتَعْمَلُ مِنَ الظَّاهِرِ، بَسْ.

-12-

وساعات جنابه يلف أحكامه ف زواق، مش أى "حاجة".

يفتى كما قاضى الزمان وكأنه جاب المستخى، يقولك انك :

إوعى "تزعل"، أو تشوف : "بطل سماجة"،

"كُنْ منافق"، يعنى "جامل"، "مَشَى حالك".

تبقى ماشى فى السليم، مهما جرالك.

والعواطف تيتشحن جوا العيون زى البضاعة.

(كل ساعة نص ساعة).

"يعنى إيه ؟!؟"

".. مش مهم".

الثلاثاء 30-06-2009

669- نشرة يومية من مقالات وآراء ومواقف



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيفية من العلاج النفسي
شرح على الممتن : ديوان أغوار النفس

الحلقة (7)



وساعات أشوفه مِطِيبَاتِي مُعْتَبِر،
 آه يا حلاوتَهُ وهُوَا بِيْلْبَسْ خُدُوْدَه الإِبْتِسَامَةُ،
 أَوْ لَمَّا بِيَشْخَبُطْ وَيَكْتَبِلْكَ حُبُّوب "منع السامة"،
 أَوْ لَمَّا يُوصَف حَقْنَةَ المَحَايَا تَقُوم تَمَسِح مَشَاعِرِك
 "بالسامة".

+++

وساعات أشوفِنِي كَمَا "الأغا"
 بِيضْخَك المِلْكَة، وَيُسْتَعْمَل مِنَ الظَاهِر، وَبِنَس.

شرح على المتن

من أقبج الأدوار التي قد يضطر اليها الطبيب النفسي- أو قد يتمتع بها إن شاء - هو ما تصورت نفسي فيه أحيانا بالنسبة للمرفهات من بنات الذوات (القدامي، والمحدثات معا) حين يحضرون للفرجة عليّ، أو للدردشة، أو 'للونسه'، أو لقضاء وقت مع نجم "تلفزيوني" أو لمعاينة اسم معين وجها لوجه (أنا)، ربما للتأكد من خفة دمه، أو للكشف عن ما وراء تجهم وجهه، و كنت عادة اضطر من منطلق العقل والذوق والمجاملة 'والتكيف' وآداب المهنة أن أجاري مثل هذه النوازع، فطالب الاستشارة الأول له هذا الحق مهما كان الدافع إلى الاستشارة، فأجدني في حيرة قصوى وأنا أحاول أن أحدد دوري أكثر فأكثر قبل أن أستثار فأتور. لكن ، والحمد لله، تكون مثل هذه الزيارة هي الأولى والأخيرة، فنادرا ما أضطر للصبر على زائرة أو زائر من هذا النوع أكثر من مرة، وهو كذلك، نادرا ما يصبر عليّ، وقد استنتجت من هذه الخبرات أن ما يحدث هو أن مثل هذه العلاقة العلاجية - إن كان لها أن تسمى كذلك أصلا- تنتهي بمجرد نهاية استكشاف الاستطلاع أو الفرجة، أنا ليس من حقى أن أشجب من يستطيع من الزملاء أن يقدم خدمات لهذا النوع من طالبات وطالبي الحاجة ما داموا قد سألوا المشورة، ولكنني كنت أعجز عادة أن أواصل.

حاولت عدة مرات ، وقد أكرر هذه التيمة كثيرا، أن أبين الفرق بين العلاج وبين "الترريح"، كما يشاع عن الطبيب النفسي أن: "الطبيب لازم يريِّح المريض"، الطبيب يعالج، ومن ضمن علامات نجاح العلاج أحيانا أن مريضه يرتاح، لكن لا ينبغي أن يكون الهدف تماما ودائما هو "إرضاء الزبون"، فالزبون هنا بوجه خاص ليس "دائما على حق"، وقد يصل الأمر إلى استعمال الطبيب من جانب المريض تهربا لسلوك سلبى باعتبار أن المريض ليس مسئولاً جدا عما يفعل، طالما هو مريض ولا مؤاخذاً.

يندرج تحت فكرة "الترريح" ما جاء في المتن : إعطاء **حبوب منع السامة**، وهو الاسم الحركي لمضادات الاكتئاب عموماً، والأحدث منها خصوصا. حين صار الحزن مرفوضا من أساسه

بفضل الإعلام الطبي المسطح، - تحت تأثير شركات الدواء- أصبح التخلص منه بأسرع ما يمكن هو هدف العلاج في كثير من الأحيان. لن أكرر الحديث عن إيجابيات الشعور الجاد بالألم النفسى، لكن السائد في معظم الممارسات هو الإسراع بالتخلص من الحزن ما أمكن ذلك. النتيجة ليست في اتجاه أن تحل الفرحة الحقيقية محل هذا الحزن المزاج، ولكن أن يحل نوع من الطمأنينة التي كثيرا ما تكون ماسخة ولا تتناسب مع الجارى، حتى تصل إلى درجة من اللامبالاة، وربما هذا ما يعنيه المتن: **تمسح مشاعرك "بالسلامة"**

أعرف الردود على كل ذلك، وأحترمها، وأرفضها من واقع الممارسة

مرة أخرى : عودة إلى الفتاوى النفسية

المتن

وساعات جنابه يلف أحكامه فُ زواق، مش أى "حاجة".

يفتى كما قاضى الزمان وكأنه جاب المستخى، يقولك انك :

"لا تخف!!" و"دع القلق"، "بطلّ سماجة"،

"كُنْ منافق"، يعنى "جامل"، "مشى حالك".

تبقى ماشى في السليم، مهما جرالك.

والعواطف تبتشحن جوا العيون زى البضاعة.

(كل ساعة نص ساعة).

"يعنى إيه ؟!؟"

".. مش مُهم".

لا يحتاج هذا الجزء من المتن إلى مزيد من الشرح أكثر مما جاء في نشرة الأربعاء الماضى عن **"نفسنة الحياة المعاصرة"**، فقط ننبه هنا على الفرق الحساس بين ما يسمى **"ضرورة التكيف"** مع المحيطين والواقع بما يتجلى في مظاهر الجمالة المياعدة ما بين الناس خوفا على مشاعر بعضهم البعض مما يندرج تحت عناوين مثل **الذوق و الرقة و السلوك المتحضر** وكلام من هذا. اهد الفاصل بين التعامل الحضارى، وبين النفاق الدمث، لا يمكن تمييزه بسهولة، وأيضا الهد الفاصل بين الوقاحة والاقتراب المغامر للمصارحة هو أيضا لا يمكن تمييزه بسهولة. هذا بالنسبة لما يجرى في الحياة العامة، فكيف يكون الحال في مجال ممارسة الطب النفسى والعلاج النفسى؟

لا بد أن توضع الاختلافات الثقافية هنا في الاعتبار بشكل متزايد، ويمكنني بهذا الصدد أن أصف عشرات المستويات بالطول والعرض، التي تختلف فيها المسافة، واللهجة، وعلو الصوت، وحسم وضع شروط العلاج، واللوم على عدم الامتثال للتعليمات بما في ذلك تعاطي العقاقير، كل ذلك يختلف بين ثقافة وثقافة، وصولا إلى الثقافات الفرعية، كما يختلف بين مريض ومريض.

في ثقافتنا/ بصفة عامة، الطبيب والد، والوالد مسئول، وهو يحمي ويحيط، بقدر ما عليه أن يقتحم لينقذ، وأغلب مرضانا يعطوننا فرصة حقيقية وعميقة لكل مثل ذلك .

المبالغة في الالتزام بقواعد السلوك المهني الشائعة، أو المستوردة، قد تكون سلبية تحت عنوان الموقف المحايد، أو الحرية المسطحة.

المتن:

والجنازه زقه تُرقصُ عالسرَايرُ -
 في البيوت اللي حوالِيهَا الستاير.
 واللى خايف من خياله،
 واللى خايف مَالْعَسَاكِرُ.. والرقيب،
 واللى بيوزِّغ تذاكر يا نصيب،
 واللى بيقرِّق دوا "ضِدَّ الذنوب"،
 واللى ماشى يشق في بطانة الجيوب.
 والعرايض، والجرايد،
 واللى بيرضوا الكلام؛
 "قف مَكَانك، أو تَأخَّرْ لِلْإِمَامِ"!
 جَرُّوا سَيِّدَنَا الْإِمَامِ"
 "سر، بضهرك..."
 والعرق؟: الْكُوزُ بِكَام؟.."

لا أجد مبررا لشرح نصوص هذا المتن التي لا تحتاج إلى شرح أصلا، خاصة حين تبتعد عن سياق التطبيب والمعالجة، فهذه الفقرة -مثلا - تكاد تكون نقدا اجتماعيا وسياسيا صريحا ومباشرا أكثر منها عرضا لما هو خاص بالمرض النفسي والعلاج النفسي.

تكفي هنا الإشارة إلى أن المرض النفسي، الذي هو بالتعريف الأصلي نوع من الاغتراب عن الواقع، هو في ذاته، خاصة في بدايته، إعلان لرفض الاغتراب المتماذي في الحياة المعاصرة المكررة النمطية الباردة. حين يشتد الاغتراب في الحياة العادية النمطية، وتهمد الحركة إلا المعاد منها، تصبح الحياة هي والموت سواء، ولا يبقى منها إلا حركة معادة، قد تبدو نكوصية، وكأن هذا الرقص هو استعمال جسد زائط، دون حيويته وتلقائيته، المريض لا ينخدع بهذا الرقص نكوصا، وحين أتقصمه، أفهم رؤيته لهذه الأجسام الزائطة، جثثا تتنطط وراء ستار رؤية غائمة، "والجنازة زفة ترقص عالسرَاير. فما هي حكاية " الستاير"؟

من بين أهم ما يكسره المريض العقلي بالذات (الجنون) هو ذلك السائر الكثيف الذي يغطي داخلنا عن بعضنا البعض، نتيجة خوفنا من حقيقة داخلنا، (اللى خايف من خياله - **البيوت اللى حوالها الستاير**) وأيضاً الخوف من القهر المحتمل من خارجنا، **(واللى خايف ما العساكر والرقيب)** .

أحلام الحظ في المجتمعات الكسولة والاعتمادية تقوم أيضاً بدور سلبى متزايد " **واللى بيوزع تذاكر يانصيب**" حتى يصبح الاعتماد على الحظ من علامات الاغتراب بشكل أو بآخر،

حين تفرط السلطات والمجتمع في التأثيم والمبالغة في التركيز على عقاب الذنوب من أول عذاب القبر إلى ما لا يمكن تصوره، تنشأ آلية تكفيرية، استغفارية، اعترافية، قد تقوم بدور التخفيف قليلاً أو كثيراً، لكنه دور تسكينى في النهاية، ويعتبر التنفيث والتفريغ والاعتراف للطبيب النفسى من بين هذه الآليات، **"واللى بيوزع دوا ضد الذنوب"** إلا أنه ليس هو دوره الأساسى، أحياناً يكون مجرد الذهاب إلى الطبيب، و"الاعتراف له بما جرى، ناهيك عن ما جرى" هو نوع من التماس عذر مقبول - مريض بقى !!- للتمادى في نفس الممارسة التى اعترف بها للطبيب، وكأنه بذلك : "عمل اللى عليه" هكذا يجد الطبيب نفسه يُستعمل لتبرير السلبيات شعورياً أو لا شعورياً، ومن ثم التمدادى فيها بشكل مباشر أو غير مباشر

أما الذين **"يرسون الكلام"** فلا يمرر للإطالة في الحديث عن الدور السلبي للخطب، والبيانات، والشعارات والإعلام إذا ابتعد كل ذلك عن الفعل الجاد على أرض الواقع، واستعمل للتأجيل أو التبرير أو التفريغ، كل هذا أصبح من اقبح تجليات الاغتراب في المجتمع المعاصر، وهو ما يكشف عنه المريض، وعلى الطبيب ألا يشجبه من حيث المبدأ، بل أن يشترك مع المريض في رفضه، ولكن دون هزيمة فردية (مرض المريض)، ودون خروج عن الدور الأساسى لممارسة المهنة.

أما ما يجرى من ادعاء التقدم بالألفاظ والتقليد الأعمى دون تقدم حقيقى، **"ملك أو سر"** ، فهو التأخر بعينه، وهو إشارة إلى حالة كوننا نبتيع كل متسلط طاعة وتقيديسا: **"قف مكانك، أو تأخر للإمام!" مجرؤا سيدنا الإمام"**، **"سر، بضهرك..."**

ثم تختم هذه الفقرة بالتنبيه إلى قضية بديهية تفضح الاستغلال المباشر للجهد البشرى لصالح الإثراء والتسلط، وأعتقد أن هذا النص القائل **"والعرق الكوز بكام"**؟ هو غنى عن الشرح فعلا.

الطبيب النفسى ليس سياسيا، ولا مصلحا اجتماعيا أو داعية دينيا منوطا بإقامة العدل، ورفع الظلم، لكن المريض لا يدعه في حاله، فهو ثائر (برغم فشله وخيبته) يحتج على ما ينبغى الاحتجاج عليه، وهو يلقي في وجه الطبيب بقضايا حقيقية تستحق الاحتجاج، بل الثورة، لكنه - المريض - لا يتحمل مسئولية هذه الثورة، ومهما رأى الطبيب فشل مريضه

في إكمال ثورته، فإن هذا لا يعفيه من تحمل مسؤولية ما وصله حتى لو كان مريضه لا يتحملها، من هنا يصبح تبني قضايا المريض، أو القضايا العامة التي أثارها المريض، هو ضمن امتحانات أمانة الطبيب في اختبار مشاركته الإيجابية، ليس فقط في مساعدة مريضه أن يشفى، وإنما في القيام عنه، وربما معه لاحقاً، بمواجهة السلبات العامة (مع الخاصة) بشكل أو بآخر

تبدأ المواجهة بالرؤية، ثم من كلِّ بحسب ما يقدر على التغيير،

احترام مبررات احتجاج المريض النفسي على كل هذا الظلم والاعترا ب تجرر الطبيب إلى أدوار خارج نطاق مهنته بدرجة أو بأخرى، وهو ليس مطالب بالقيام بدور عملي في رفع الظلم العام أو إحقاق العدل أو ما شابه، لكنه ليس من حقه أن يحتبئ تماماً داخل حدود مهنته، لا فرط الحماس دون أدوات الثورة الحقيقية مطلوب أو مفيد، ولا الانسحاب المهني التخصصي شريف أو مقبول. لو حدث هذا الاحتمال الأخير، وتحلى الطبيب عن مشاعره التلقائية الطبيعية البسيطة سوف يجد نفسه في مأزق شخصي إن كان على نفسه بصراً، ذلك أنه إذا تمدى في فصل مهنته عن الهم العام، والمسؤولية، فسوف يصبح عرضه للاستغلال من جانب نظريات وتشكيلات ومؤسسات، سلطوية تجارية قهرية شركاتية دوائية!! كلها في خدمة ما هرب منه المريض يستنقذ بمرضه ثم بطبيبه بشكل أو بآخر، (وهذا لا ينفي ما حدث بمخه من تغيرات كيميائية ولا مؤاخذة)

حين يمارس الطبيب دوره بهذه الأمانة والمسؤولية، سوف يجد نفسه في مأزق يتجدد مع كل مريض تقريبا، وكأن المريض إذ يلقى بهذه القضايا - الحقيقية- في وجه الطبيب، يكلفه ضمناً بأن يكمل طبيبه المشوار الذي عجز هو أن يكمله !!

المتن التالي ، هو تصوير لبعض هذه الصورة

المتن:

أما صورهُ مُرْعِبَةٌ يا خَلْقَ هُوَةٌ .. إِنْخَفُونِي .
قُلْتُ غَلَطَانٌ وَالنَّبِيُّ يا نَاسَ سَيِّئُونِي .
قَلتْ اغْمَضْ تَانِي حَبَّهُ صَغِيرَيْنِ ،
.. لَمْ قِدِرْتِ .

طب حا فَتَحَ لِيه يا عَالَمَ؟ هِيْ فُرْجَةٌ؟!
بَصْ لِي "صاحبَكَ" ولعَبَلِي حواجِبُهُ ،
قال: وَقَعْتِ .

والقلم كَمَلْ كإني لَمْ وَقَفْتِ:

عودة إلى بداية هذا العمل كله، أول الديوان، وكيف أعلنت منذ البداية أن حاجتي - القهرية تقريبا لنقل ما

وصلني ويصلني من المريض إلى عامة الناس، هي التي تجعل من البوح والكتابة إلزاماً عبرت عنه باستقلال قلبي عنى، ومواصلة انطلاقه ضد كل المحاولات التي أحاول بها أن أثنيه عن ذلك،

بدأ المتن كما نذكر بمثل هذه الصورة: "كل القلم ما اتقصف يطلع له سن جديد"،

وهنا نقرأ المتن والقلم يتحدى ، ويسلم الرؤية التي لا تريد أن تختفى ، ليبلغها إلى أصحابها.

سبق أن أشرنا إلى استحالة محو الرؤية التي رآها المريض فرآها الطبيب من خلاله، والتي تعود هنا لتعلن بشكل آخر: " قلت اغمض تاني حبة صغيرين، لم قدرت". شرحت سابقا كيف أن الصورة التي تصل للعينين لا تختفى بمجرد إغلاق الجفنين، وما نحن نجد تجليا ثانيا يؤكد هذا التفسير.

"القلم" هنا لا يمثل مجرد التعبير والتنفيث والإبلاغ، وإنما هو الإعلان الظاهر عن وعى داخلي، يحول دون الطبيب والاختباء في مهنته،

هذا الوعي هو الذي يشير إليه المتن بـ"صاحبك" : "بص لي صاحبك ولعب لي حواجبه، قال وقعت"

وهكذا أصبحت هذه الرؤية المشتركة هي قضية الطبيب حتى ولو لم يتحمل مسؤوليتها مثيرها الأول (المريض)، فيكفيه أنه حرك أمام وعى الطبيب واقعا ماثلما يحتاج موقفا إزاءه ، واقعا لا ينقصه إلا حفز التغيير أو حتى البدء به،

أما أضعف التثوير فهو إعلانه هكذا .

وربما هذا ما يقوم به هذا الذي عجزت عن كبح جماحه، فماذا وصف القلم بعد أن اقتحم الحواجز الواحد تلو الآخر، وأزاحى المرة تلو المرة؟

.....

.....

هذا ما سوف نطرحه في نشرة الغد،

وإن كنت أشك أنه يحتاج إلى أي شرح على المتن،

خذ هذه البداية التي سوف نكملها غدا، وقل لي بالله عليك أي شرح تحتاجه دون أن يشوهها ؟ (غدا)

بقي دي حياتنا يا ناس، وآخرة صيرنا؟

الحياه؟ نَقْعِد نِحْكِي لِبِعْضِينَا؟

الحياة؟ نَقْعِد نِحْس، نِبْص، يَتَهْيَا لِنَا؟

طب واحنا فين "دلوقتى" حالاً "أو هنا"؟
دى المركب الماشية بلا ذقه ولا مقلع خاتشرد مننا،
واوعى الشقوق توسع يا ناي في العسل،
لا المية تغلى، تزيد، تزيد،
.. مية عطن، تكسى الجلود بالدهنه،
وتفوح ريحتها تغمى كل اللى يحاول يتلفيت ناحية
"لياذاً"،

أو "لمعنى" يكون ما جاشى فى "الكتاب"،
أو للى "جؤه"،
أو نواحي "ربنا" !
(الرحمة يارب العباد: اغفر لنا).

وإلى الغد

الإثنين 01-07-2009

670 - "....علمنى ضَرْبُ النار، بكلمة صدق طالعه مَوْلَعَةٌ"



دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على الممتن : ديوان أغوار النفس

الحلقة (8)



مقدمة

يبدو أنى أكتب هذا الشرح غصبا عنى،

الذى حدث اليوم، وأنا أعد هذه النشرة، أنى وجدت هذا الجزء من المتن لا يحتاج شرحا أصلا، ويبدو أن ذلك لمقدمة الديوان التى سوف تنتهى اليوم ثم نبدأ فى عرض شعر الحالات (الجنازات، والعيون)،

كل ما استطعت أن أفعله فى المتن اليوم هو تحديث طفيف جدا، أرجو ألا يكون قد أفسده .

لست متأكداً إن كان من المستحسن أن يستمر المتن دون شرح حتى تنتهي من المقدمة على الأقل؟

هذه هي العينة. ما رأيكم؟
أرجو الإفادة.

المتن

بقي دى حياتنا يا ناس، وآخرة صبرنا؟
الحياء! نَقْعِد نِيْحَى لِبِعْضِنَا؟
الحياء؟ نَقْعِد نِيْحِش، نِيْبِش، يِتْهَيَا لِنَا؟
طب واحنا فين "دلوقتي" حالاً "أو هنا"؟

دى المركب الماشييه بلا دقة ولا مقلع حاشرذ مِنَّا،
واوعى الشقوق تَوْسَع يا نايِم في العسل،
لا الميه تغلى، تزيد، تزيد،
.. ميه عطن، تكسي الجلود

بالدهننه،
وتفوح ريحتها تغمي كل اللي يحاول يتلفيت ناحية
"لياذاً"،

أو "لمنى" يكون ما جاشي في "الكتاب"،
أو ليلي "جوه"،
أو نواحي "ربنا"!
(الرحمة يارب العباد: اغفر لنا).

.....

واللعب داير ليل نهار لم ينقطع،
والسيرك صاخبو واقف لي بيلق العصا
ويقول بعز ما فيه:
أهو دا اللي ممكن، واللى عاجبه!

....

أنا مش عاجبي هه، ولا زمن يتحكي،
كل اللي جارى..
لاجل ما الناس تنتبه قبل الطوفان،

الناس ياخويا زى سكينه وسارقاهم تمام
عمالة تحكى كان زمان، وكان وكان،
مش واخده بالها ماللى متغزى وبيحكى كلام،
غير الكلام

باين عليهم صدقوا كدبة كبيرة قالت لهم:
"ما على المسطول ملاخ"

دانا لو حاقول، لم ينتهيلي بحر قول
للناس.. لكل الناس حا قول.

رد الجميل للطير بينزف م الألم قدام عيونى،
قالوا "ف.. نعيم"، يا حى جتكوا نيلى، صدقون.

قالوا "مريض" لكنه أستاذ الأساتذة كلهم،
 علّمني أشوف.
 علّمني أصحّي.
 علّمني ضرب النار، بكلمة صدق طالعه مولعته.
 تحرق عبيد الضلّمة والتفويت وشغل المرقعة،
 وتنور السكة لإخوان الشقا،
 للى يقايش دون ما يحسب إल्ली راج، واللى بقى !!
 للى يحس، يببض، يتجزأ، يشوف،
 يعرف معنا ان الكلام: ما هوش حروف

شلت الأمانة غضب عني ما كانشي قصدي
 ما هي برضه هيا عندك زي عندي
 مادمت "إنسانا ظلوما": يبقى تحاسب عليها
 سوى شفتها، أو كنت مانتش داري بيها

دا دين عليا للى قاهالي وما اقدرشي يكمل،
 قال كمل انتا، قلت له: "بطل يا عيل" !!

لكنه علّمني، ووصاني أوقى الدين لأصحابو الغلابة،
 دا حق كل الخلق

يايأ
 حق اللى وزاني أشوف ازاي حقيقتي،
 وابتديت من "عنده" لكني حاكمل بي طريقي
 بس حوسة جامدة - والمصحف- ياسيدي
 نفسي حد ياخذ بإيدي
 إزاي أنا يا خلق هوه حاحكي وانا غرقان لشوشي؟
 لكن "حاقول" حتى ولو ما كاشغشي مني إلا خيبي.

ما قدرتش اسكت، دا السكات يبقى خيانة للى بان.
 هو انا ناقص رجل؟ ولا ماليش لسان ؟ !!!

.....
 أنا رايح اقول كل اللى عارفه حتى لو جاني الفقى مددني
 في الفلّكة وقطع

جتتني:

إن كنت عايز تلعب "العشرة" وتبقى الطيبة:
 نكش ورتنا قبل ما الواذ يتحرق،
 واللى يتضرر "بالبنية" يبقى ذنب الثان على جنبه،
 مالوش يزعل بقى.

ما كان يشوف !
 ما اللعب علكشوف... أهه.

لأه، مانيش ساكت وديني ومذهبي،
 حتى ولو كان اللى "مات" هو اللى "عاش"، في عرفكم
 لأه، مانيش ميت، حاعيش
 وسع بقى... !!

اعتذار للعربية الفصحى (حبيبتي):

طب وحبيبتي.. راح اقول لها إيه؟
إلى ما عمرها قالت لأ.. ولا "ميش قادره"
ولا فيها شئ يتعايب:
حلوه، وعَنِيَّة، وبنت أصول!
مَعَلَشَى النُّوبَةَ،
المَرا دى سَمَاح.
أصل الحُدُوتَةُ المَرا دى كان كُلُّهَا جِس،
والجِس طَلِعَ لى بِالعَامَى بِالبَدَى الجَلُو.
والقلم اسْتَعَجَلَ.
ما لُحِقَشَى بِتُرْجَم، لَتَفُوتَهُ أُيُّهَا هَمْسَةُ،
أَوْ لَمْسَةُ،
أَوْ فَتْفُوتَةَ جِس.
معلشى النوبه.
وَاهى لِسَةُ حَبِيبَتِي..،
حتى لَوْ ضُرَّتْهَا عَازِيَةُ،
.. بتدق ضاجات.

أرسل تعليقك

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com
http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site
[http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum /](http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/)

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site
http://www.rakhawy.org/a_site

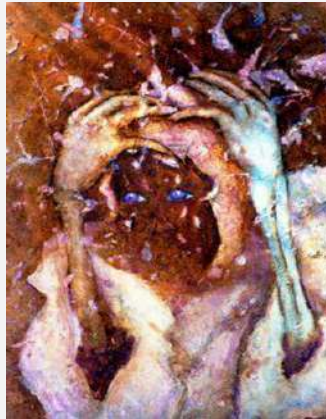
الأحد 05-07-2009

674- لعبة الكلام: سبب من جناسات

[بالرغم من أن اليوم هو للتدريب عن بعد، وأن المفروض أن نكمل مناقشة لعبة "ياه !! دى طلعت صعبة بشكل..."]

إلا أننا لظروف خاصة قاهرة أجلناها للأسبوع القادم ليحل محلها الجزء (9) من شرح على المتن: ديوان أغوار النفس، بالإضافة للثلاثاء والأربعاء كالعاده، على أن نواصل نشر مناقشة اللعبة الأحد القادم].

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الحلقة (9)

الجزء الأول (1 من 2)

مرّ الهواء، صفّر كان النعش بيطلع كلام !!

الجزء الأول من المقدمة

اللغة ليست هي الكلام، لكن الكلام يبدو أقدر الأدوات على احتوائها في مرحلة تطور الإنسان المعاصر.

يشاع أن العلاج النفسي هو علاج بالكلام، وهذا يحتاج إلى مراجعة، وخاصة بعد أن اشتُعمل هذا الاسم "العلاج النفسي" لما يقرب من قرن الآن، مرادفاً - غالباً عند العامة - لما يسمى التحليل النفسي. المتتبع لما نشر في النشرات هنا حتى الآن في كل من بابي "التدريب عن بعد"، و"حالات وأحوال"، لا يد أن يكون قد وصله من الإشراف والعرض والمناقشات قدر غير قليل من نقد هذه المسلمات الشائعة، فلا العلاج النفسي هو التحليل النفسي، ولا العلاج النفسي هو علاج بالكلام.

وبرغم كل ذلك فإنه لا توجد وسيلة للتواصل بين البشر الحاليين أكثر اقتصاداً، وأسرع احتواءً للمعنى، وأقدر توصيلاً إلى هدف التواصل، من الكلام،

خذ مثلاً ما أفعله الآن: هذه الحروف التي أرصها بجوار بعضها لأهاجم بها "الكلام" الآخر، أليست هي نفسها كلاماً مكتوباً؟، أليست حروفاً مرصوفة بانتقاء تلقائي من لوحة الحسوب، حروفاً تقفز فتتجاوز مع بعضها البعض دون وعي بتفاصيل ما أفعل - بعد طول مران- فتتكون الكلمات تشكل مع بعضها جملاً مفيدة أحاول أن أوصل بها شجبي لمثل هذا الرص الكلامي متى كان فارغاً أو معطلاً؟ هل عندي وسيلة أخرى أوصل بها ما أريد توصيله؟

القضية، مثل معظم قضايا الإنسان المعاصر: تتحدى، ولا يمكن اختزالها إلا على حساب التخلي عن محاولة استيعابها،

هذه القضية بوجه خاص تواجهنا في موقعنا هذا ونحن نحاول أن نشرح ماهية العلاج النفسي، أو بصراحة العلاج عامة، فكما أكرر دائماً، كل علاج حقيقي هو علاج نفسي حتى علاج المغص الكلى.

نبدأ من البداية:

هل الإنسان:

حيوان ناطق؟

أم أنه حيوان عاقل؟

أم أنه حيوان يتكامل إلى ما يتوى به تاريخه مستعملاً الأحداث فالأقدم بالتبادل الإيقاعي فالجدل المتصاعد إلى ما لا نعرف (الغيب)؟ يتكامل بكل مستويات الكلام واللغة (واللغات) والمفاهيم والفكر والعقل (والعقول)، والجسد، والوعي؟

هذه الفكرة الأخيرة هي مفتاح ما أريد أن أقدمه في كل أعمال خاصة ما يتصل بمهنتي عملياً

محة عن نمو الكلام وعلاقته بالمعنى واللغة

الكلام هو من أحدث الأدوات التي تساعد البشر على التواصل فيما بينهم لكنه ليس بالضرورة الأداة الأقدر وحدها، وما يهمنا هنا هو تحديد متى ينفصل الكلام عن تاريخ تطوره، ومتى ينفصل عن المعنى، وعن الغاية، وعن سائر وظائفه، بل وعن اللغة، ومتى يؤدي عكس وظيفته؟

(أنا أكتب هذا الشرح دون الرجوع إلى مراجع أهل الاختصاص الدقيق، إن هدفي هنا هو عملياً تدريبي)

1. حين ينشأ الكلام عند الطفل يرتبط عادة بما تشير إليه الكلمة، حتى أنه كثيراً ما يستعمل نفس الكلمة، لتعني معان كثيرة، وكل الفرق يكون في التنغيم وما يصاحبه من إشارات نتيجة لحضور الموضوع (الشيء) عادة أمام حواسه، أو نتيجة لاختلاف السياق أو الموقف الذي يوجه فيه نفس الكلمة المنطوقة إلى المعنى المختلف، المثال الذي استشهد به كان طفلاً - أصبح الآن جراحاً كبيراً في إنجلترا- نطق كلمة "كُرْة" مبكراً، ولم تكن بهذا الوضوح بل أظن أنها كانت "كوووية"، وبدأ يطلق نفس اللفظ على عدد هائل من الأشياء، بل والأشخاص، مع تغير التنغيم والإيقاع المصاحب أحياناً بالإشارة إلى ما يريد، فهذا "كويه"، وذاك "كوووويانااه"، وتلك "كوة"، وهذه "كره" (بعد أن استطاع نطق الرءاء إلا قليلاً)، وأعتقد أن هذه المرحلة هي نوع من الربط بين الصوت والاشارة والموضوع، فهي مرحلة التجربة والخطأ، حتى تتميز الأشياء مع اكتساب أجدية أكثر فأكثر Denotation.

2. ينفصل اللفظ عن ما يشير إليه "حالا"، ويصبح هو ذاته كيانا مستقلاً، محتوى- يتضمن- المعنى المراد، سواء حضر الشيء المراد أمامه (أمام حواسه) أم حضر في ذاكرته أم في وعيه، هنا يتضمن اللفظ محتواه بما يعنيه، ولعل هذه هي مرحلة التضمن، Connotation.

3. إن استقلال اللفظ عن موضوعه بشكل مباشر وبعد أن يصبح موضوعاً في ذاته، لا يعنى أنه ينفصل عن المعنى أو عن الغاية التي تنشأ ليؤديها، وإنما يكتسب اللفظ قدرة ذاتية، يستعملها في وظيفته للاقتصاد، وهما المفروض أنها تتيح له تشكيل المفهوم تلو المفهوم، في تصعيد متكامل

فإذا رجعنا إلى ذلك الطفل بعد أن أصبح جراحاً "إنجليزيًا"، ذلك الطفل الذي كان يستعمل لفظ الكرة لكل شيء تقريباً، وطلبنا منه تعريف لفظ الكرة، فقد يرجع إلى القاموس، وسوف يجد أن: "الكرة: هي كل جسم مستدير، ومنه الكرة الأرضية، والكرة أداة مستديرة من الجلد ونحوه يلعب بها..(الوسيط) إلخ"، وهكذا أصبح للفظ مضمون متعارف عليه بالتحديد لإفادة الحضور العيان لشيء بذاته حتى لو لم يوجد هذا الشيء حالاً.

فإذا انتقلنا إلى المجال وقلنا بالعامية "الكورة اجوان" (حتى لو ترجمناها إلى الفصحى "الكرة ليست إلا أهدافا")، فإننا لا نعي هذا الجسم المستدير... إلخ، كما ورد في المعجم، وإنما نحن نتكلم عن مفهوم أكثر تعقيدا يشير إلى أنه "من لم يحرز أهدافا في ملعب الكرة، فكأنه لم يمارس اللعب أصلا." حتى لو تكلمنا عن "اتحاد الكرة"، فإننا نعي معنى غير التضمن المغلق، وغير المفهوم المجازى الذى أشرنا إليه حالا، فبمجرد ان يصبح لفظ الكرة "مضافا إليه"، يختلف معناه، وهكذا.

اغتراب الكلام

مع تطور القدرة الكلامية، لابد أن تخف جرعة التركيز على ان يحمل كل لفظ كل المعنى المتضمن فيه، الذى نشأ اللفظ لاحتوائه، وهذا جيد اقتصاديا للتخفيف من عبء حضور كل المعنى في كل اللفظ ليحتل بؤرة الوعى باستمرار، إذا أن هنا الحضور الكلى المستحيل لابد وأن يبطن سرعة الإفادة والتواصل حتى تتعطل، ومن هنا فنحن في حاجة مناسبة لقدر من التخفيف يحول دون تضمين كل لفظ كل معناه، وهكذا يصبح هذا التخفيف حيلة دفاعية تساعدنا على تجنب المواجهة المعطلة بالسرعة البطيئة، وأيضا يساعدنا على التخلي المشروع عن مسئولية تفعيل ما تضمنه كل كلمة من معنى يتطلب فعلا وموقفا وقرارا.... إلخ.

مثل أية آلية دفاعية، إذا ما زادت وظيفتها الدفاعية عن حاجتنا إليها تنحرف بمسار النمو أو توقفه تماما، دعونا نتناول الآن ما يحدث للكلام إذا انحرف بالنمو عن مساره إلى ما هو زائف مغترب،

إن ما يحدث حين ينفصل الكلام أكثر فأكثر فأكثر عن مضمونه وحفزه أن يستقل عن معناه بدرجات متزايدة حتى يفقد أصول وطاقفه، فبدلا من أن يصبح تبادله سعيًا إلى الفهم والفاهم، يصبح تبادله أقرب إلى الدفاعات ضد الفهم، متجاوزا المعنى المشترك المراد، فلا يعود يؤدي وظيفته المعرفية، بل يصبح عبئا على اللغة الكائن الحى، ومن ثم على الوجود البشرى المتكامل، وينقلب عائقا للنمو، ومضيق للوقت، ومظهرا للاغتراب. الأرجح أن هذا هو ما يسمى أحيانا "طق هنك"، أو "أى كلام" أو "كلام فى الهجايص"،

(وقد عبرت اللغة الشبابية عن هذا الاغتراب بقاموس كامل لمن شاء أن يرجع إليه، حتى أنني فسرت ظهور هذه اللغة الشبابية بأنها احتجاج ضمني على ما آل إليه حال الكلام اغترابا هكذا، واعتبرت أن هذه اللغة الجديدة المرفوضة من المؤسسات والسلطة على حد سواء، هي نوع من تنشيط حركة اللغة، تماما مثلما يقوم الشعر بتجديد اللغة، حين يعيد تشكيل الصورة بنفس الأهمية اللفظية ليدع لنا مختلفا في تشكيل جديد، وتفصيل ذلك فى مبحثى "حركية اللغة بن الشعر والشارع".

من خلال هذا الاغتراب المتماذى تتحول الكلمات إلى أصوات ، مهما كانت هى نفس الكلمات ذات التاريخ والمعنى ،
كما تتحول الجمل إلى مقاطع مفككة بلا تشكيل ضام أو هادف،

ويتحول هدف الكلام إلى "تزجية للوقت"، كوسيلة دفاعية ضد الوعى الأعمق بالمعنى، فالإلزام بالفعل.
ويتحول التواصل المحتمل بالكلام الحى، إلى صفقات تسكينية قصيرة العمر.

يصدق كل ذلك فى الحياة العامة مثلما يصدق فى بعض ما يسمى العلاج النفسى، (التفريغى، التسكينى، الخدعة) وهو ما نحاول نقده هنا هكذا:

أول المتن:

مر الهوا صفراً، سَمِعْنَا الصُّوتَ كِإِن النُّعْشَ بِنُطْلَعِ كَلَامٌ :
"الأ...، لسه...، إسكُتْ،.. لَمْ خَصَلْ.
،سيما...، ياتاكسى، .. لسه كام ؟"
أى كلام .

ألفاظ زينة، مُسْكِينَه،
بتزقزق، وتُضَوِّضُ،
.. وخلص!!

من الواضح أن هذه البداية تشير إلى أمرين مما سبق شرحهما حالا فى المقدمة، فمن ناحية تعلن أن الكلام لم يعد إلا أصواتا، وأن الجسد البشرى اصبح نعشا، وأن الوجود الإنسانى اصبح موتا، فراحت الأصوات تخرج كأنها الكلام، وراح الكلام يخرج ليس إلا أصواتا .

ثم يتواصل المتن فى محاولة تفسير لماذا حدث ذلك قائلا:

المتن:

اللفظ ماثٌ مِن رَكْنِيَّتِهِ .
من لعبة العسكر وطول تحببته،
ظرف رصاص فاضى مصدى فى علبته .
لما القلم سنه اتقصف؛ عملته تلبسه تمكّن ماسكته،
واهى شخبطة .
شرح على المتن

الكلام عضو حى من أعضاء الوجود الحيوى البشرى، ومثلما يضمُرُ أى عضو نتيجة "عدم الاستعمال"، مثلما ضمرت فقرات ذيلنا وعضلاته لما توقّف أجدادنا عن التعلق بها فى الشجر، فإن أى عضو لا يُستعمل يضمُر حتى يَختفى أو يكاد، كذلك الكلام إن لم يستعمل فى وظيفته الأصلية نتيجة للقهر والقمع، يضمُر أو يصبح غير ما هو، لأنه يخدم غير ما نشأ من أجله .

حين يحال بين الإنسان وبين توظيف كلامه فى تأكيد ذاته،
وتوصيل فكره، والإسهام فى دعم إرادته، لاتخاذ قراره وتشكيل

إبداعه، ثم يطول هذا القهر والقمع، فإن كل ما يصدر من أصوات تشبه الكلام لا تكون كلاماً، ويبقى الكلام الأصل كما بنا بداخلنا دون تنشيط أو تدعيم، لأنه لم يعد له فائدة في تحقيق الوجود أو دفع المسيرة على طريق النمو، هكذا يموت اللفظ في ظلام القهر، يموت بالمنع، ثم يموت بالاستغناء، ، "اللفظ مات من ركنته، من لعبة العسكر وطول تحببته"،

هكذا يصبح الرمز رمزا ليس إلى ما يشير إليه، وإنما إلى نفسه، وتكاثف الرموز وتكاثرت وتزاحم بعضها بعضاً، حتى تصبح عبئاً على الوجود، مما يهيئ للمرض النفسي وللإغتراب العقلي هرباً من الإغتراب النمطي المفرغ من الوجود الحي.

هكذا يصبح الوجود البشري هيكلًا خاوياً (نعشاً) تتردد فيه أصوات لا تؤدي وظيفتها سواء في إثراء الوجود، أو في التواصل بين البشر، أو في تشكيل الإبداع تصعيداً أو تجديداً.

المأمل في الألفاظ اليومية المتبادلة بين الناس قد ينزعج من عدم ترابطها الأعمق، أو من خلوها من المعنى الأصلي لها، أو من خروجها من معناها الأصلي إلى معنى آخر قد يكون نقيض الأول، خذ مثلاً من يستعمل الفاظ: السلام (السلام عليكم)، والخير (صباح الخير) ولا يعنى بهما شيئاً. لا من السلام ولا من الخير.

هكذا تختفى المعاني التي كانت تحتويها الألفاظ، فيصبح اللفظ غطاءً لإناء بلا محتوى، وبلا نبض يحافظ على جدته وحيويته، "ظرف رصاص فاضي مصدى ف عليته"

ومع ذلك، فلا يوجد بديل، هو نفس اللفظ الخاوي، هو الوسيلة الوحيدة - تقريباً - التي يمكن أن أكتب بها هذا الكلام، هو هو الأجدية التي استعملها لأصفه هو نفسه أنه: "ظرف رصاص فاضي مصدى ف عليته"

ليكن...

لكن ما زال اللفظ موجوداً مهما أفرغ أو صدأ،

ومازلنا في أمس الحاجة إليه،

وعلينا أن نواصل بما تبقى منه، لعل وعسى..

أليس هو (اللفظ، مجواره لفظ، ثم لفظ مضاف إليه لفظ... إلخ) الذي يمكن الآن من مخاطبتك عزيزي القارئ، أليس هو الذي يعرئ ما جرى له، أي ما جرى لي، أي ما جرى لك؟

أليس هو الذي جعل الشباب يرفضون ما آل إليه حال الكلام فاللغة، فاخترعوا لغتهم بنفس الحروف، ولكن بتجديد مغامر، جعلت كل السلطات تخاف منهم، وتدمغهم وترفضهم، وهم لم يفعلوا شيئاً إلا إعلان أن كلامنا قد أصبح ظرف رصاص فاضي مصدى ف عليته.

أختم يومية اليوم عند هذا الحد مقتطفاً من ديواني "سر

اللعبة" (والذي كان شرحه هو الجزء الأول من هذا العمل) أقتطف نفس معنى الاغتراب الكلامي الذي بدا لي أنه كان بالفصيح أسهل، أو على الأقل أخف لسعا من نار العامية الملتهبة، مع أنه تكلم أيضا عن "الأحياء الموتى" قلت:

والأحياء الموتى في صخب دائم
ويجبل للواحد منهم أن الآخر يسمعه
والآخر لا تشغله إلا نفسه
أو موضوع آخر
لكن الرد الجاهز، دوما جاهز:
- ما حال الدنيا؟
= الدفع تأخر
- هل نمت الليلة؟
= الأسهم زادت
- كم سعر الذهب اليوم؟
= المأتم بعد العصر؟!
"والكل يدافع عن شيء لا يعرفه
جماس لا يهدأ أبدا،

وبعد

أتوقف هنا مع أنني لم أكمل المقدمة، إلى أن نلتقى الأسبوع القادم، لنقدم الجزء الثاني والأخير، ثم ندخل إلى الحالات.

وفيما يلي المتن المتبقى للشرح، وفيه نقد العلاج النفسي الكلامي (المشاع عنه أنه التحليل النفسي كما ذكرنا) ثم بعد ذلك نرى كيف تدب الحياة في الكلمات،

متن الجزء الثاني من المقدمة:

واحد نايم ميثصلطخ، وغنيه تفرج:
على رسم السقف وعلى أفكار اللي بتلف،
تلف، تلف، تلف.

وكلام في كلام .. هاتك يا كلام. يا حرام!!
والثاني قاعدلي وزاه، على كرسي مديون.
قلبه الأبيض طيب. وسماعه لم يتعيب،

عمال بيفسر أحلام

وصاحبنا يرص ف أوهام،

وغقيد، ومركب، و"المكتوب"

وقدر، وحقاوي، وصف ذنوب.

وأخينا شفايفه قفل رصاص،

وودائه يا خويا شريط حساس.

يسمع حكايات .. حكايات،

وتمر ساعات وساعات،

(ما أظنش أيوب مات).

"إشي عدى البحر ولا اتبلش"؟

"قالك: العجل ف بطن امه"!!

أرزاق ..!

وخلايق لابسه الوش زواقي.

ثم يصحو الكلام

وسياتي آخر وعلاج آخر:

اللفظ قام مِنْ رَقَبَتِهِ .
ربك كريم يَنْفُخُ فِي صُورَتِهِ وَمَعْنِيَّتِهِ .
يرجع يَغْنِي الطيرَ عَلَى فُرُوعِ الشَّجَرِ .
ويقول "يارب"،
وَجَيْلُهُ رَدَّ الدَّعْوَةَ مِنْ قَلْبِهِ الرَّطْبِ .

ألفاظ بتَهَرَّ الكُونُ ،
ويتَضَرَّبُ فِي المَلِيَانِ ،
وتَغْيِرُ طَعْمَ الضَّحْكَ ،
وتَشعُّ النُّورَ بِمَا الضَّلْمَةُ ،
ويتَفَضَّحُ كِدْبَ السَّاكِنِ ،
ويتَفَقِّصُ كُلَّ جَبَانِ .
شرح على المتن:
(الجزء الثاني من المقدمة)
الأسبوع القادم

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com
http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html
The Man & Evolution FORUM Web Site
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>
All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site
http://www.rakhawy.org/a_site

الثلاثاء 07-07-2009

676- التحليل النفسي: هل مات فعلاً؟

دراسة في علم السيكوياثولوجي (الكتاب الثاني)



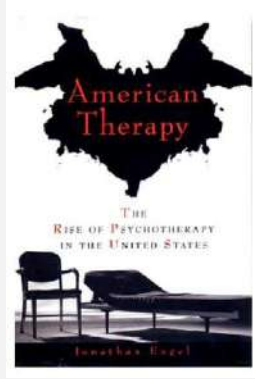
نوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس



الحلقة العاشرة

الجزء الثاني من مقدمة الفصل الأول

أثناء بحثي عن صورة لعنوان هذا المقال، عثرت على حوار هام مع الاستاذ الدكتور **Jonathan Engel**، وهو حاصل على دكتوراه في تاريخ العلوم والطب من جامعة **Yale**، وكان قد كتب كتاباً مؤخراً 2008 عن العلاج النفسي الأمريكي بعنوان **American Psychotherapy: The Rise of Psychotherapy in the United States**.



أجرى الحوار جابرييل بيركنر Gabrielle Birkner، ونشر في 18 فبراير سنة 2009، وقد رأيت أن أقتطف من هذا الحوار ما يبين كيف أن نقد التحليل النفسي قائم ومستمر وبعضه موضوعي حتى عهد قريب جدا.

قبل أن أقتطف بعض فقرات الحوار، أريد أن أعترف أنني حين قرأت تعبير "العلاج الأمريكي"، ونهوض العلاج النفسي في الولايات المتحدة الأمريكية، كنت أتصور أنه سوف يتكلم أكثر عن الثقافة الأمريكية المعاصرة، وعن تميزها بما أتاح ظهور علاج نفسي باسمها، لكنني لم أجد أيا من ذلك في كل فهرس المحتويات، ولا فيما استطعت الحصول عليه من موجزات ومقتطفات (لم أحصل على الكتاب الأصلي كله بعد) - نبهني ذلك أن ما تقوم به هذه النشرة من محاولات "تحميد علاج نفسي مصري"، ثم "علاج نفسي عربي"، هو أمر مشروع، بل أمر مطلوب منا ولنا، ربما أكثر بكثير مما هو كذلك عند الأمريكيين.

سأل المحاور "برنكنر" الدكتور "جوناثان إنجل" عن كيف حصل على الدكتوراه في فيينا، وحين كتب كتابا عن العلاج النفسي كتبه في أمريكا عن أمريكا، وأعتقد أن مثل هذا السؤال وجوابه قد يهدى بعضنا إلى ما ينبغى فعله، فهو ينطبق أكثر فأكثر على كثير منا.

المهم، سوف أقتطف من هذا الحوار ما قد يكفى شرحا لمتن هذه الحلقة.

ملحوظة: للأمانة، فقد نشر هذا الحوار تحت عنوان "الجذور اليهودية للتحليل النفسي"، وأنا لست متحمسا كثيرا لهذا العنوان، ولم أتوقف طويلا عند الذي دار حول هذه المسألة في الحوار، لأنني منذ أصدر الدكتور صبرى جرجس كتابه "التراث اليهودي الصهيوني والفكر والفرويدى اأضواء على الأصول الصهيونية لفكر سيجموند فرويد" 1969 وأنا حذر من هذا التوجه حتى لو صح بعضه.

وفيما يلي مقتطفات من الحوار، أرى أنها قد تكفى شرحا للمتن اللاحق:

المقتطفات

جابريل بيركنر: لقد ركزت في كتابك السابق على السياسة الصحية عامة مثل الإيدز وغيره ، فما الذى دعاك لتناول موضوع العلاج النفسى مؤخرا؟

جوناثان إنجل: لقد كانت أطروحتى أثناء دراستى الطب فى فيينا منذ حوالى 25 عاما عن حركة التحليل النفسى، وعلاقتها بالمجتمع اليهودى، فى فيينا، (...).

جابريل بيركنر: كيف أن أطروحة عن التحليل النفسى فى فيينا تتطور إلى كتاب عن العلاج النفسى فى أمريكا؟

جوناثان إنجل: لقد لاحظت أننا نفتقر إلى كتاب يشرح لنا كيف أنه لا أحد الآن - تقريبا - من الأمريكين يذهب للتحليل النفسى كما كان فى الماضى، بل دعنى أقول إن أحدا من الذين يذهبون لاستشارة الطبيب النفسى لا يفعل ذلك وهو يهدف إلى أن يعالج علجا نفسيا على وجه التحديد، لا شك أن مفهوم العلاج النفسى مازال شائعا عند العامة، لكنه لم يعد من مهام الطبيب النفسى بالذات، أما ما يمارس تحت اسم العلاج النفسى فهو ليس نابعا من، ولا محركا بـ، ما هو "تحليل نفسى" بالذات.

جابريل بيركنر: هل ثم مكان للتحليل النفسى حاليا فى مجال الطب النفسى؟

جوناثان إنجل: دعنى أقول لك شيئا هاما، إنك تسمع مثلا من يقول: "أنا أمارس من منطلق التحليل النفسى". لكننى افعل ذلك جنبا إلى جنب مع بعض مضادات الاكتئاب"، وهكذا، هذا كل ما هنالك.....

جابريل بيركنر: أرى أن أغلب الأطباء النفسيين هذه الأيام قد نحوا جانبا فكرة التحليل النفسى ، فهل فعلوا نفس الشيء مع ما يسمى العلاج النفسى؟

جوناثان إنجل: معظم الأطباء النفسيين يميلون إلى ممارسة نوعا من العلاج النفسى، وكثير منهم تدرب على ذلك لفترة ما، لكنهم يكسبون أكثر حين يتعاملون بالعقاقير بلا شك.

جابريل بيركنر: ما هى المواصفات التى تجعل من المعالج معالجا كفاءا

جوناثان إنجل: الذكاء والمواجدة (Empathy) فى إطار من الالتزام المهنى المنضبط، أنت تستطيع أن تجد كل ذلك وأنت تشرب قدحا من الجعة مع صديق، لكن أن تتواجد هذه الصفات الثلاثة هكذا بالالتزام مسئول، فهذا أمر آخر

جابريل بيركنر: لو أن التحليل النفسى كان بكل هذه الفاعلية، فما الذى جعله يستمر كل هذه المدة؟ لماذا لم يختلف تماما؟

جوناثان إنجل: كانت "التذكرة الفرويدية" هي أول التذاكر الواعدة بعرض جيد، بديلا عن ما كان ساريا في الثلاثينيات مثلا، لو أنك سألت أحد الممارسين عن ما كان يمكن تقديمه للمرضى النفسيين آنذاك ، لأجيبك أنه كان قليلا جدا، فظهر التحليل النفسي في هذه الآونة، فبدا وكأنه الدواء لكل الأمراض، صحيح أنه سار ببطء شديد، لكن بدا شيئا أفضل من لاشي.

جابريل بيركنر: لكن بعد ذلك ظهرت علاجات كثيرة، أسرع وأفضل نتائج، فلماذا استمر التحليل النفسي بعدها، ومعها، بكل هذا التأثير؟

جوناثان إنجل: (.... ليس هكذا تماما...)... ثم إنه مع تزايد التنظيم، وبالنظر إلى الاعتبارات الاقتصادية، والنتائج المتواضعة التي أجزها هذا النوع من العلاج، فإن هذا التأثير سوف ينحسر أكثر فأكثر باضطراد

جابريل بيركنر: هل تعتقد أن ثم أمل في أن يستعيد التحليل النفسي منزلته في وقت ما؟

جوناثان إنجل: لا ..، لقد مات.

(انتهى الحوار بهذه الجملة)

وبعد:

مع أنني لا أوثق ما يجيء بهذه النشرات في معظم الأحيان، ومع أن هذا المقتطف لم يضيف لي جديدا سواء ما جاء في المتن، أو في الشرح القديم، أو حتى فيما أنوى تطويره، إلا أنني اقتطفت منه، لأبين من خلاله ما يلي:

1. إن النقد والمراجعة ليس قاصرا على أمثالنا ممن لم يارسوا -غالبا- التحليل النفسي بالكثافة التي مورس بها في بلد مثل أمريكا لعشرات السنين

2. كما ذكرت في المقدمة، إذا كان هذا العالم الاستاذ في تاريخ الطب عامة، يرى أن ثم علاجا يمكن أن يسمى العلاج الأمريكي، فأولى بنا أن نفكر في ثقافتنا الشديدة الاختلاف عن ما يجري هناك، وعن ما جرى تاريخيا، أن نفكر في تميزنا سلبا وإيجابا عن غرنا وبالذات فيما يخص العلاج النفسي.

3. إن استمرار شيوع مفاهيم التحليل النفسي عند العامة على مستوى العالم ، بما في ذلك بلادنا، له أسباب ثقافية (إيجابية وسلبية) ، لا تتعلق غالبا بفكرة الطب ولا بفكرة العلاج بوجه خاص.

هذا، علما بأنني قد تجاوزت قصدا (برغم ما أشار إليه العنوان) ربط نقد هذا النوع من العلاج بغلبة اليهود فيمن يارسون هذا العلاج تاريخيا وحالا، بل إن سؤالا ورد في الحوار عن تفسير غلبة اليهود أيضا بين المرضى الذين يسعون إلى التداوى بهذا العلاج التحليلي، فلا أنا مقتنع بفكرة الربط، ولا عندي ما يثبت ذلك، ولا عندنا ما يقابل ذلك، (لهذا لم أقتطف هذه الفقرات أصلا)

4. إن المتن الشعري هنا الذى كتب سنة 1974 بالعامية المصرية، فى سطور قد تناول هذه القضية بإحاطة كافية، وكان له نفس التوجه تقريبا، ولعل رد د. إنجل أن التحليل النفسى "مات" ولا سبيل إلى إحيائه يرتبط بشكل ما بما ننقده من أنه ظاهرة التحليل النفسى الكلامى تحمل مخاطر الاحراك، سواء بفرط الاجتهاد والتفسير اللفظى، أم بسوء استعماله لعقلنة حركية الوجود وتوقيفها فى المحل، وهو ما نعنيه بالموت.

وبعد

فأنا لا أعرف بعد هذا المقتطف هل يحتاج المتن إلى مزيد من الشرح؟

المتن

واحدُ نائمٍ مَبْضَلُطَّحْ، وَغَنِيه تَتَفَرِّجْ:
على رسم السقفِ وَغَلَى أَفْكَارُو اللى بتلف،
تَلْفُفْ.. تَلْفُفْ..

وكلام فى كلام .. هاتك يا كَلَام. يا حرام!!
والتانى قاعِذلى وَزَاه، على كرسي مذهَّب.
قلبه الأبيض طيب. وسماغه لَمْ يتَعَيَّبْ،
عمال بيَفْسُرُ أخلَامْ

وصاحبنا يرص ف أوهام،
وَعُقَيْدْ، ومركب، و"المكتوب"
و:قَدْرُ"، وحكاوى، وَصَفْ ذُنُوب.
وأخينا شَفَايِفُهُ قِفْلُ زُصاص،
وؤدائه يا خويا شريط حَسَّاش.
يسمغ حكايات .. حكايات،
وتمر ساعات وساعات،
(ما أظنش أيوب مات).

"إشى عدى البحر ولا اتبَلَش"؟؟
"قالك: العجل ف بطن امه"!!
أزْزاق ..!
وخلایق لابسه الوش زَوَاقْ.

ملاحظات لاحقة محدودة:

(1) كثيرا ما يأتى المرضى عندنا يطلبون تحليلا نفسيا بالذات، وليس علاجا نفسيا، أو حتى علاجا فقط، وفى هذه الحالة قد أقول لهم مباشرة ، " أنا بعالج بس، لا باحلل، ولا باريح..!"

(2) إنه لا يوجد عندنا حاليا - إلا نادرا جدا - من يمارس التحليل النفسى بالمعنى الوارد لا فى الحوار مع مؤلف الكتاب الأمريكى ولا فى المتن الشعري.

(3) إن الصبر وحسن الاستماع الذى يتحلى بهما المحلل النفسى هما العوامل الفاعلة المسنولة عن التحسن أو الشفاء وليس محتوى ما يقال وليس أيضا صحة التفسير، ولا تأويله "قلبه الأبيض طيب، وسماغه لَمْ يتَعَيَّب"

(4) إن تعبير "فك العقد" هو تعبير شائع عندنا برغم أنه لا يستعمل عند الأجانب بهذا الاختزال، والاختطاف الساخر للضرورة: "إشي عدى البحر ولا اتبلش" وجوابها: "قال لك العجل في بطن أمه" يشير إلى احتمالات التسطيح أثناء التقعر في التفسير الأصعب، مع أن الأسهل حاضر، لأن أى شخص يركب مركبا صغير، (أو حتى يسير على كوبرى) ينطبق عليه أنه "عدى البحر ولا اتبلش" فلماذا تقتصر الإجابة على هذا المثال الصعب. هذا هو ما يقابل تعسف التفسير بالتحليل النفسى أحيانا مع أن التفسير الأصح يكون أقرب وأظهر.

(5) إن وظيفة "الفضضة" و "التنفيث"، و"طلع اللى فى قلبك" تغلب على فكر أغلب من يسعى إلى العلاج النفسى أو التحليل النفسى، وهى ليست مرادفة لأيهما مع أنها قد تكون جزءا يسيرا من العملية العلاجية ، خاصة فى البداية.

(6) إن الاعلام السطحى الحلقة (أنظر رقم [6] "نفسنة الحياة المعاصرة" 24-6-2009) والدراما التافهة يساهمان فى تشكيل وعى العامة عن موضوع العلاج النفسى والتحليل النفسى، وهما مسئولان عن تثييته عند مرحلة تاريخية انتهت (مع اسهام بعض النفسيين بشكل أو بآخر).

(7) إن الغالب عند العامة وهم يحاولون الاستعانة بالعلاج النفسى أو التحليل النفسى هو البحث فى الأسباب (الختمية السببية) وقد يصلح ذلك مدخلا إلى العلاج لكنه عادة يستخدم فى التبرير أو التفسير وليس كخطوة نحو العلاج النمائى وبسط الوقفة **Unblocking & Unfolding**

(8) لم أعرف من كنت أعنى بتعبير "وخلایق لابسه الوش زوايق"، ربما كنت اشير إلى الاعلام والدراما أكثر مما كنت أقصد الزملاء المحللين الذين مدحتهم أعلاه.

- About Jonathan Engel, Ph.D.

Jonathan Engel holds a Ph.D. in the history of science and medicine from Yale, and has written extensively about the historical development of U.S. medicine and health policy. Most recently, he has authored the 2008 book, American Psychotherapy: The Rise of Psychotherapy in the United States. His previous books are Doctors and Reformers: Discussion and Debate of Health Policy 1925- 1950, Poor People's Medicine: American Charity Care Since 1965, and The Epidemic: A Global History of AIDS. He is a professor of health care policy and management at Baruch College in New York City.

- صبرى جرجس (التراث اليهودى الصهيونى والفكر والفرويدى اضواء على الاصول الصهيونيه لفكر سيجموند فرويد) الناشر مكتبة عالم الكتب 1969- القاهرة.

- هذه الترجمة نحتها الابن د. إيهاب الخراط، ترجمة لكلمة empathy التي تعنى المشاركة الوجدانية وتتطلب درجة من التقمص والمواكبة معاً، وبذلك هي تميز عن كلمة sympathy التي تعنى الشفقة أو الاشفاق.

- ملحوظة : للأمانة ، كان العنوان الفرعى للمقال هو : "مؤلف كتاب العلاج الأمريكى ، يتحدث عن "فرويد"، و "أوباما"، وقد شدق العنوان نظراً لأننى كتبت وأكتب هذه الأيام عن أوباما بالذات، لكن لم أجد فى كل الحوار ما يبرر وضع اسم أوباما فى العنوان هكذا اللهم إلا قول إنجل: بأنه (أوباما) يملك تلقائياً: بتكوينه الفطرى، أو بما تعلمه، القدرة على التحكم فى عواطفه، وأنه بهذا يمثل نموذجاً للصحة النفسية، ذكر المؤلف ذلك بعد أن بين أن ثمة علاجات أخرى غير التحليل النفسى، تحقق هذا التحكم أسرع وأكفاً، وقد تعجبت من هذا الخسر هكذا، ولم أفهمه، ولم أستشهد به أو اقتطفه، وما زلت (ختاراً)

وقد اعترض أحد المعلقين على هذا الجزء من الحوار قائلاً: إن المؤلف لا يعرف كيف وصل أوباما إلى ما يصفه هكذا بأنه "صحة وجدانية" emotional health ، سواء من فطرته أو مما اكتسبه، ثم ما علاقة هذا أو ذاك بالمقال؟

انتهى تعقيب القارئ الذى رمز لاسمه بـ DT بتاريخ السبت 21 فبراير 2009، فاكتفيت بتعقيبه هذا عن تعقيبى، علماً بأننى لا أعرف شيئاً اسمه الصحة الوجدانية، ولا أظن أن السيد أوباما يتمتع بها بوجه خاص، ما الحكاية؟ أين نحن؟ فى مصر!!

وفيما يلى النص الانجليزى.

Barack Obama, for example, clearly has enormous mastery over his emotions. He's able to say, "I'm not going to get upset about this." Partially he was born with that, but I suspect that he's also learned to do that.

Comment : DT Sat. Feb 21, 2009

The author does not know how President Obama has come to a place of emotional health. He was born with that (mastery of his emotions)...or "I suspect"--neither belongs in this article.

وبما أن هذا ليس موضوعنا فدعونا نترك ذلك جانباً لأن "سيادة الرئيس أوباما" لم يذكر إلا فى هذه السطور.



الحلقة (11) الجزء الثالث من مقدمة الفصل الأول
إحياء المعنى يلاً الكلام!!
اللفظ قام من رَقْدِته .
ربك كريم يَنْفُخُ في صُورِته وَمَعْنِيته .
يرجع يغنى الطير على فروع الشجر .
ويقول "يارب" ،
وتجيله ردّ الدعوة من قلبه الرطب .

شرح على المتن:

في بداية شرح هذه المقدمة، (الجزء الأول) لعبة الكلام:
سبع جنازات بينا كيف يموت الكلام حين ينفصل عن معناه المفيد
والدافع والمسئول، لكننا أيضا بينا أن تم هذا الانفصال

للشبة معينة، فإنه يعتبر آلية جيدة، تسمح للألفاظ أن تتشابه مع بعضها بسهولة نسبية لتكوين المفاهيم والجمل المفيدة .

أشرت بعد ذلك إلى كيف أن لغة الشارع، وبالذات اللغة الشبابية، وأضاف هنا إليها اللغة المسماة: "البينة" هي - بشكل ما - تجديد للغة ولو بدا عشوائيا، من حيث أن ظهور هذه اللغة هكذا هو نوع من الاحتجاج على موت اللغة داخل الألفاظ المغترية نتيجة للقهر والإفراغ، ثم ألحت كيف أن **الشعر هو القادر على إحياء الألفاظ وهي رميم، بإعادة تشكيلها نغما وصورة.**

حين يقول المتن هنا: **"اللفظ قام من رقدته"**، إنما يذكرنا مرة أخرى بأنه مهما ماتت الألفاظ اغترابا فإنها هي هي الأجدية التي يمكن أن تشكل بها اللغة من جديد: شعرا وحفزا وثورة، ربما التعبير الأدق هو "الكمون" انتظارا لبعث ما .

في خيرة العلاج الجمعي، حين أواجه بعض المرضى لأطلب منهم ومنى، ملتزمين بقاعدة: **"هنا والآن"**، أن ينطق أى منا كلمة واحدة أو اثنين بمعناها الحقيقي مثل 'أنا أقدر' أو 'من حقى أن..'. .. تقابلي مقاومة غريبة لا أتوقعها ولايتصورها أحد، مع أن الكلمات تكون شديدة التداول، شديدة البساطة، فنستنتج أنه يبدو أن التركيز في أن يحضر الشخص (المريض) في "هنا والآن" المعنى الذى يحتويه التعبير المطلوب، هو السبب في هذه الصعوبة .

في الألعاب النفسية أيضا -التي عرضنا منها عينات كثيرة في هذه النشرات اليومية، نلاحظ أنه بمجرد أن تضيف صفة **"حقيقي"**، أو **"بحق وحقيق"** يختلف الامر ويحل نبض جديد في الجملة حتى تكتمل اللعبة كاشفة عن المضمون الذى تضمنته الألفاظ **"بحق وحقيق"**،

هل تذكر مثلا لعبة **"أنا باخاف أفرح بحق وحقيق، لحسن...."**، بل لعلنا لا نذهب بعيدا حين نتذكر آخر لعبة التي ما زلنا نناقشها هذه الأيام، ونضها: **يااااااه، دى طلعت صعبة بشااااكل، ولكن...**، وقد أوضحنا كيف أنه ليس من الضروري أن نحدد ما هي التي طلعت صعبة، لكن، ما إن ننتقل لفظ **"دى..."** في هذا السياق حتى تدب فيه الحياة، فيجرجر ما تيسر له أن يجرجر من مضمون حتى لو لم نتعرف عليه تحديدا، وهكذا .

في موقف محدد أذكره كمثال، كان شديد الصدق والعنف والدلالة، كانت إحدى الصديقات المريضات تستنقذ في مأزق علاجي بالله، ولكن تصيح بشكل روتيني فاتر، قائلة: **'يارب'** وإذا بمساعدي ينبهها (وهو شاب يحاول جاهدا أن يعيش ويستمر محتفظا بالمعنى) أنها لا تعنى ما تقول، **وأنها لو كانت تعنيه لأحست بنذبات اللفظ تخرج من تحت إظفر إصبع قدمها، لا حظت كيف ساعد حماس مساعدي وتلقائيته في أن يستعيد هذا اللفظ "يارب"** وهو الذى نقوله في اليوم عشرات المرات دون أن ينبض بحقه، كيف يستعيد نبضه حين يلتحم بالجسد، فينبض بمحتواه الصعب.

أعتقد أن مثل هذا الإحياء له مظاهر كثيرة في كثير من نشاطات الحياة التي تحاول في هذا الاتجاه، مثل الذكر عند بعض الصوفية بتزديد اسم معين، ومثل أداء بعض المغنين لنفس اللفظ وهم ممتثلون به، فيصل إلى المتلقى بما يحمله،

أم كلثوم ومايكل جاكسون:

لا أحسب أن عبقرية غناء أم كلثوم تكمن في جمال صوتها فحسب، بل هي - كما وصلتني بعد رحيلها بالذات - ترتبط بقدرتها الفائقة على أن تعطي لكل لفظ فرصة أن تنبض به حياة جديدة.

ثم أدركت مؤخرا سر شعبية الراحل مايكل جاكسون، حين شاهدته بعد وفاته كما جاء في يومية السبت الماضي، جاكسون لم يتوقف عند ملء اللفظ بمعناه، بل تهادى إلى تحقيق عبقرية تمازج اللفظ مع النغم مع الحركة **جسد "يقول"**، فتكتمل الرسالة وتحرك ما يقابلها في المتلقى فيتصاعد الأداء ويخترق محرّكا الوعي الفردي والجمعي بما هو.

القرآن الكريم بدون تفسير

أحيانا يكون تفسير اللفظ الخاص في سياق خاص مفسداً لعملية الإحياء والتحرك هذه، حين أدركت ذلك، حين كان بعض مرضى يلجأون إلى ما يسمى "العلاج بالقرآن" مغتربين منشقين عادة، إذ غالباً ما يقوم المعالج بالقرآن هو، وليس المريض، بقراءة بعض آيات القرآن الكريم معتقداً أن هذه الآيات أو الآيات تعالج ذلك بالذات، وهكذا، فكنت لا أشجب الفكرة تماماً، بل أحدد شروطاً الخاصة لاحتمال فاعليتها، فألفاظ القرآن الكريم وصفت بأنها يمكن أن تجعل الجبل خاشعاً من خشية الله، فهي - غالباً حتى تؤدي هذا الدور - لا تحتاج تفسيراً بشرياً، وصياً عليها، بقدر ما تتطلب أن ترد في سياق، وجرعة، وحالة من التهيؤ تسمح بأن تحرك وعي المتلقى بما هي، وليس بما تعنيه في المعاجم، أو بما يقوله المفسرون عنها، وبعد أن أذكر مريضى بآيات خشوع الجبل، أوصيه إن أراد الاستعانة بالقرآن الكريم أن يقرأ بنفسه جزءاً محمداً (ربع حزب مثلاً، كل ثلثي يوم) بالترتيب دون انتقاء ودون فهم ودون تفسير، وأنا لا أقصد بذلك مفعولاً سحرانياً، لكنني أحاول أن أحول ممارسته الاغترابية المفرطة المستسلمة التابعة عن طريق "وسيط"، إلى فرصة احتمال تواصل مباشر بين نعمته الخاصة، ونعمة "المابعد"، (الغيب) من خلال هذا الوسيط القادر، أعني الألفاظ المقدسة، بفضل نبضها الملتحم بالوعي الكوني: **"ربك كريم ينفخ في صورته ومعنته"** تتلاحم أنغام مستويات مع بعضها بكل هذا الثراء النابض في سياقها الخاص، دون لفظنتها الاغترابية.

ربما هذا التوجه، الذي لم أتبينه إلا مؤخراً، كان وراء ما جاء بالمتن منذ أكثر من ثلاثين عاماً مشيراً إلى أن ما يجيى الألفاظ لتنبض بمعانيها من جديد هو تلك الصحوه/البعث، التي تسمح بالتنغم بين الوعي الذاتي والوعي الكوني إلى وجه

المطلق توجهها إلى وجه الحق تعالى (وليسمه من يشاء ما يشاء)، فتصبح الألفاظ التي كانت قد تحولت بالقهر والإهمال إلى "ظرف رصاص فاضى مصدى ف عليته" تصبح ملتحمة بكل من معناها، في تشكيلها الجديد "ربك كريم ينفخ في صورته ومعنته".

التشكيل الأشمل للوعى الخاص والعام

التأكيد هنا على أن هذا الإحياء ليس عملية عقلنة منفصلة بقدر ما هو أمل في تشكيل تناغمي بين الوعى الذاتى والوعى المطلق أو الوعى الكونى من خلال الألفاظ استعادت حيويتها، هو ما يلحق ذلك من إشارة إلى وسيط آخر، وهو التناغم مع الطبيعة "يرجع يعنى الطير على فروع الشجر"، حين يترسخ الاغتراب حتى تموت الألفاظ أو تكمن هامة، ينفصل الإنسان عن الطبيعة، وحين يعزف اللحن النابض من جديد، يعود الإدراك إلى تلقى الأصوات لغة قادرة جديدة.

قلنا من قبل إن الكلام حين يموت، يصبح مجرد أصوات بلا معنى "مر الهوا صفر كان النعش بيطلع كلام"، فيتم الاغتراب، وتوقف حركية النمو، هنا انعكست الصورة فأصبحت الأصوات (أصوات الطير) غناء له معنى يروح يندمج في اللحن الأكبر فألكبر أيضاً، فيتم التواصل بين الوعى الذاتى، ووعى الطبيعة إلى الوعى الكونى، فهو اللحن البعث الجديد "ويقول يارب"،

الرد يأتى من داخلنا دليلاً على عمق التكامل مشيراً إلى بؤرة الوجود المتناغم "وتجيله رد الدعوة من قلبه الرطب" أى أن الرد يأتى ما هو أقرب من حبل الوريد، ممتداً إلى كرسية الذى وسع السموات والأرض سواء بسواء، ولعل هذا ما أعنيه عادة، بتناغم الوعى الذاتى مع الوعى الكونى.

هكذا تعود الألفاظ بكل عنفوانها وقدرتها لتقوم بدورها في الثورة، والتغيير، لتنتقل مسيرة النمو

بعض آليات إحياء الألفاظ في العلاج الجمعى:

في العلاج النفسى الجمعى، وهو موضوع الفصل الثانى في هذا العمل تقريبا، ندرج في إحياء الكلام بشكل غير مقصود مباشرة، لكن هذا هو ما يتم من خلال آليات محددة لا نقصد بها فكرة "إحياء الألفاظ" تحديداً، وإنما يكون ذلك بعض نتائجها الهامة.

ويمكن عرض بعض هذه الآليات في خطوطها العريضة على الوجه التالى:

1. التركيز شبه المطلق على أن يكون التفاعل في "هنا والآن"، وهو الأمر الذى يستتبعه الابتعاد عن التعميم والتبرير، والإقلال من التفسير والتأويل، وفي هذا يمارس المعالج نهياً متصاعداً عن استعمال تعبيرات تبدأ بألفاظ مثل "الواحد...."، "الناس...."، "الإنسان" .. إلخ

2. التنبيه إلى أن النصائح المباشرة ، إلا ما يمكن تطبيقه واختباره في "هنا والآن"، هي أيضا مهرب من احتواء اللفظ لمعناه لصعوبة اختبار تنفيذ فاعليته حالا

3. تحديد أسلوب التخاطب بـ "أنا ...أنت"، يتبعه تلقائيا تحمل مسؤولية الخطاب، والتلقى، فلا تستعمل صفات أو ضمائر الجمع مثل "كلكم، كلنا"، وأيضا لا يستعمل ضمير الغائب (هو، هي، هم) ما أمكن، وقد لاحظنا كيف أن ذلك يستتبعه تضيق مساحة الفائض اللفظي بشكل يجي نبض الألفاظ.

4. الألعاب العلاجية تتطلب كلا من التمثيل بكل معنى الكلمة، كما تسمح بتأليف بقية النص المحذوف ..(إبداعا مباشرا) مع ممارسة مبدأ "أنا "أنت" هنا والآن" في نفس الوقت، وبالتالي تتيح الفرصة لتكامل وسائل التعبير (الفقرة التالية بند 5)

5. استعمال وسائل أخرى للتواصل غير اللفظي (ليس فقط اللغة الإشارية، التي هي نوع آخر من الرموز) بما في ذلك لغة الجسد، ولغة العيون (أنظر الفصل الثانی) وتعابير الوجه ...إلخ، سواء في الألعاب أو غير الألعاب وهذا لا يدل على الاستغناء عن الألفاظ بل قد يكتشف المريض من خلاله إلى أي مدى كان مبتعدا بألفاظه عن ذاته، أو جسده، أو بقية وجوده، وقد يتم ذلك في نوع من النفسية: الصامتة، أو الناطقة.

6. استعمال الاحتمال العكسي للألفاظ والجملة، بتدريب وتمثيل أيضا، وهو وسيلة يتحدد بها كل من الأصل وعكسه، مثلا يقول المريض "أنا مش قادر أعبر"، فنطلب منه أن يقول (ويعتل) "أنا قادر أعبر"، ثم بالتبادل، فنحول بذلك دون تداخل الشكل مع الأرضية (بالتعبير الجشالتی)، فيمارس المريض، والمعالج، نوعا من التحديد الذي يسمح للفظ أن يستعيد مضمونه الدال

7. الإقلال من استعمال ألفاظ التقريب ما أمكن ذلك (مثل "تقريبا"، "نص نص" "مش قوى"، "يعنى... إلخ)

8. الإقلال من استعمال تعبيرات التأجيل مثل "إن شاء الله" (بالمعنى الهروبي)، "حاحاول"، .. إلخ

9. تجنب استعمال الحكم والأمثال ما أمكن ذلك منعا للاستدراج إلى التعميم والإفراط في التجريد

10. التعامل مع الأسئلة باعتبارها مشروع إجابات: يُطلب أحيانا من المريض أن يقلب سؤاله إلى جملة إخبارية برفع علامة الاستفهام، أو يطلب منه أن يجيب هو أولا على سؤاله إجابة محتملة، أو أن يقول مايتصور ان المسئول (معالج أو زميل مريض) سوف يجيبه به

إمراضية الإفراط بفرط تحميل اللفظ معناه

"برغم الحرص الشديد على أن يحتوي اللفظ معناه، فإننا أشرنا قبل حلقتين، وفي مقدمة هذه الحلقة، كيف أن ذلك هو

عبء شديد إذا ما بولغ فيه، وقد لاحظت في حالات الفصام، خاصة في نوع الفصام المبتدئ، وأيضا في بعض حالات الاكتئاب أن المريض يشعر فجأة أنه ينبغي عليه أن يعي ش كل لفظ ينطقه بحقه تماما، أى أن يكون اللفظ هو معناه بالضبط وكما ينبغي، فإذا تصورنا أن الجمل تتكون من وحدات متتالية مثل السلسلة المترابطة، فإن الأسهل أن تكون حلقات السلسلة مرنة وخفيفة حتى يتم الترابط والتسلسل بما يحقق تماسكها فوظيفتها الأشمل فالأشمل، فإذا تصورنا أن المبالغة المرضية في أن تكون كل وحدة (حلقة) مليئة ثقيلة بما تحويه من مضمون، فإن التسلسل قد ينقطع، وقد فسرت بذلك بعض ما ينتهي إليه المريض مما نسميه "فقد الترابط" incoherence ، الذى هو بهذا التفسير ليس نتيجة أن الألفاظ صارت بلا معنى، ولكنه نتيجة الألفاظ امتلأت بمضامينها مستقلة مثقلة حتى عجزت أن ترتبط مع ما قبلها وما بعدها.

الألفاظ الثورة:

حين تبعث الألفاظ من جديد، وتبئض بمضمونها، وتحفز إلى غايتها، تصبح ثورة في ذاتها، ولعل هذا بعض ما كان يعنيه أدونيس وهو يميز بين شعر الثورة (الشعر التجريضى)، وبين الشعر الثورة، الذى هو تشكيل مغير يجيى اللغة، والمتن التالى (نهاية المقدمة) يشير إلى كل من هذا وذاك معا:

ألفاظ بتهز الكون،
ويتضرب في الملبان،
وتغير طعم الضحكة،
وتشع النور ما الضلمة،
ويتفضح كذب الساكن،
ويتفقس كل جبان.

استشهادان ختاميان

الألفاظ التى تحتوى معناها، فيكون لها كل هذا النبض، وكل هذا الإحياء، ليست هى الألفاظ الجميلة، أو الرنانة أو الجذلة، بل هى "أى لفظ كان"، حالة كونه ينبض بمعناه سلسا منسابا

وفيما بلى مقتطفان يثبتان ذلك بشكل أو بآخر:

الأول: من أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ (1994)،
وقيامى بنقدها (يجيى الرخاوى سنة 2006)

والثانى: من قصيدة باكرة لى فى ديوان "البيت الزجاجى
والثعبان" (1983) استلهمتها من السعى بين الصفا والمروة،
ذات عمرة. (قبل اصداء محفوظ بعشر سنوات)

المقتطف الأول:

الصدى رقم 78 من أصداء السيرة، (مفوظ سنة 1994)

78 - البلاغة

قال الأستاذ " البلاغة سحر" فآمنا على قوله ورحنا نستيق
فى ضرب الأمثال. ثم سرح بي الخيال إلى ماض بعيد يهيم فى السذاجة.
تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها فى ذاتها مثل: أنت.. فىم تفكر

...؟ طيب، يا لك من مكرر... ولكن لسحرها الغريب الغامض
جن أناس،.. وتمثل آخرون بسعادة لا توصف،..

النقد: (يحيى الرخاوي: أصداء الأصداء)

على صغر هذه الفقرة، فإنها تطرحنا أمام قضية نقدية لأعمال محفوظ، أنا لست متأكدا من أنها نالت حقها من الدراسة، وهي قضية اللغة، وإن كنت قد قرأت أكثر عن علاقة يحيى حقي باللغة، مبدعا، وإلى درجة أقل ناقدا، فهنا ينبغي نحفظ إلى نوع من البلاغة تستأهل الوقوف عندها، وأنها ليست أبدا، ولا أصلا ذلك البريق الذي ينبعث من ظاهر الألفاظ أو زينة الأسلوب، وليست هي أيضا: الحكم الرصينة المختصرة التي تنطلق من مثل أو بيت شعر، بل إن الحديث بالأمثال والاستشهاد بالشعر قد يصبح ضد البلاغة بالمعنى الذي تتناوله هذه الفقرة، وربما بالمعنى الذي قال فيه صلاح عبد الصبور "يأتي من بعدى من لا يتحدث بالأمثال"، أما البلاغة التي يقدمها لنا هنا محفوظ فهي أن يحمل اللفظ - أي لفظ - معناه تماما، فيصبح سحرا قادرا أن يتمثل به الناس في سعادة لا توصف، وأن يجن في صحنه آخرون.

أية ألفاظ هذه التي تسكر وتجن؟ ألفاظ غاية في السذاجة، هي في ذاتها كأصوات - أبعد ما تكون عن البلاغة مثل "أنت" هكذا فقط : "أنت"، أو "فيم تفكر"؟ نعم "فيم تفكر" أو "طيب" أكرر : إنه لفظ "طيب" ثم "يا لك من مكرر"، أعنى "يا لك من مكرر"،

هل أدعوك - عزيزي القارئ - أن تتوقف عند هذه الألفاظ فتكررها أنت للمرة الثالثة بصوت مرتفع، ثم تترك كل لفظ (أو تعبير) منها يرن في وعيك شخصيا دون محاولة أن تكمل، ودون محاولة أن تتذكر حوله أو به أو منه شيئا، إذا فعلت ذلك "هكذا"، فسوف تعرف علاقة محفوظ باللغة، وربما تتصالح عليها، وربما.....

المقتطف الثاني:

من قصيدة "أخبار المسعى السبعة"

ديوان: البيت الزجاجي والثعبان (سنة 1983)

وتقول الناس الأنهار

للناس التيار:

.....

.....

قال النهر السادس:

لو أن السعى تناغم بعد السعى إلى السعى

لرجعنا أظهز من طفل لم يولد بعد

لا نتكأثر بالعدّة والعدّ

ولعاد المعنى

يملاً وجه الكلمة

يهتز الكون:

لو يعني القائل "أهلاً"

أن: "أهلاً"

الثلاثاء 14-07-2009

683-أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى !! (1 من 2)

دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)
الحلقة ١٢



لوحات تشکيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الفصل الأول

لعبة الكلام

تمهيد: فى الطبعة الأولى، كان عنوان هذا الفصل هو " سبع جنازات"، وهو نفس الاسم الذى ظهر فى مقدمة هذه النشرة، لكننى وجدت نفسى غير مرتاح لهذا الاسم حالا، لا أعرف لماذا، فوجدت أن الأفضل أن أعرض الحالات مرقمة دون أن أصفها بأنها جنازة، وربما أجد أثناء كتابة الشرح اسما أكثر إحاطة بما أريد أن أبلغه، كما أننى قمت بتغيير معظم عناوين القصائد، مفضلا أن يكون العنوان بيتا أو شطر بيت من القصيدة

الحالة (1)

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى !! (1 من 2)



العلاج النفسي هو مسيرة (معا) نحو **تغيير** طبيعي، ما أمكن ذلك.

يحدث ذلك عادة بعد **وقفة**، أو **قفلة**، أو **عرقلة**، (تسمى مرضاً)، حين يحول أى من ذلك دون استمرار مسيرة النمو الفردى.

أى **"تغيير"** حقيقى، هو مخاطرة من حيث المبدأ، ربما لهذا فإن التغيير يحدث عادة دون وعى كامل، بل هو عادة لا يحتاج إلى قرار واع أصلاً، **التغيير** هو نتاج طبيعى لحياة صحيحة طبيعية، والعلاج يهيئ الفرص لتحقيق هذا، ولكن هل توجد مواصفات محددة للتغيير الذى نعينه فى العلاج وغير العلاج؟ وما هى المقاييس التى نقيس بها ما نسميه: **"حياة طبيعية"**؟

لا شئ يستحق أن يوصف بصفة أنه **"حياة"** لو كان غير عرضة للتغيير، من البديهي أن نفترض أن التغيير لا بد أن يتم إلى أحسن، أما ما هو الأحسن وما هو الأسوأ فهذا أمر يختلف حوله للأسف بما لا يقاس.

فى الأحوال التى نسميها **"عادية"** لا يحتاج الأمر للحديث عن التغيير باعتبار أنه يجرى ولو من وراء ظهورنا،

أما فى حالات المرض، فالدعوة **للتغيير** تفرض نفسها من خلال ما يسمى **"العلاج"**، وذلك بهدف تحويل مسار التغيير السلى الذى كان نتاجه المرض، إلى تغيير إيجابى.

فى جميع الأحوال، ومهما صنفنا التغيير إلى سلى أو إيجابى، وكذلك مهما بدت حتميته أو أعلنت ضرورته من خلال ظهور الأعراض وتجسيد الإعاقة، فإنه يظل **مغامرة محفوفة بالمخاطر حتى لو سمي علاجاً**، لعل وراء هذا حكمة شعبية بالغة الدلالة تقول حذرة: **"اللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش"**، ليكن، لكن المرض هنا قد أعلن فى نهاية المطاف أن الذى نعرفه فى هذا الطرف بالذات هو ليس **"الأحسن"**، وهكذا نجد أنفسنا فى الموقف العلاجى وقد خرجت المسألة عن مجرد **"عرض"** اختياري (Option) للتغيير إلى أنه ضرورة يفرضها المرض بشكل أو بآخر (ولو من حيث المبدأ).

نحن لا نقصد بالتغيير من خلال العلاج مجرد اختفاء الأعراض الظاهرة على السطح، الأعراض تختفى أحياناً لتحل محلها **حالة من اللاأعراض** التى قد تكافئ أحياناً حالة من اللاحياة إذا ما توقفت الحركة لحساب مجرد اختفاء الأعراض، (فلا تغيير بعد اليوم !!).

قد تختفى الأعراض كجيلة دفاعية ضد احتمال التغيير الذى تدعونا إليه خبرة المرض، ذلك أن المرض بقدر ما هو سلى، قد يكون فرصة لإعادة النظر، ومن ثم التغيير، فهو دعوة ضمنية للتغيير، ومن هنا يبدأ التهديد.

ونظراً لأن أى تغيير هو مغامرة تحفها المخاطر، فقد يكون الحل عند المريض أن **"يرجع فى كلامه"** ويتنازل عن الحل المرضى، وبالتالي يتجنب مخاطرة التغيير، بمعنى أن الأعراض قد تختفى تحت تهديد التغيير.

نحن لا نرفض ذلك فقد يكون مفيدا مرحليا، لكننا ننبه فقط إلى أن مجرد اختفاء الأعراض في حد ذاته ليس دليلا على التغيير، بل إنه قد يكون تراجعا عن المحاولة (وهذا نوع - على أية حال- من العلاج لاينبغي رفضه لأنه الغالب)

المتن

(1)

الشط الثاني المِشْ بايــــن:

كل ما اقربَ لهُ، يتأخِرُ.

ومراكبُ، وقلوع، وسفاينُ،

والبحر الهيو مالوش آخِرُ.

شرح على المتن:

الشائع أن رحلة العلاج تبدأ بطلب مباشر أو غير مباشر من المريض أن "يرجع كما كان" (عايز أرجع زي ما كنت قبل ما اعبا)، وهو مطلب مشروع بداهة، لكن **العلاج النمائي Growth Oriented Therapy** ينيه، بطريق مباشر أو غير مباشر أن هذا المطلب، مع أنه منطقي وطيب ومعقول، إلا أنه ليس هو غاية المراد، لأن حالة الـ "**ما كان عليه**"، الذي يريد المريض أن يرجع إليها، هي التي أدت إلى المرض، ومن ثم نوصِل للمريض أن نهمّ معا لنطلب، أو نأمل، أو نعمل على : أن نرجع (يرجع المريض معنا) **أفضل مما كان**، طبعاً يوافق المريض أملاً، ويتمنى الطبيب مجتهداً، (لكن : ما كل ما يتمنى المرء يدركه).

الإشكال في هذه الدعوة (العزيمة) إلى أن نخرج أحسن مما كنا فيه هو أن **أي تغيير هو نقلة إلى مجهول ما**، الصورة هنا تبدوا وكأن المريض واقف على شاطئ هش، ينذر بالانهيار، أو انهار بعضه فعلاً، وبالتالي فهو يهيم أن يعبره إلى الشاطئ الآخر (التغيير)، لكن هذا الشاطئ الآخر، برغم التأكيد أنه موجود، إلا أنه غير ظاهر "**الشط الثاني المش باين**"، ليس هذا فحسب، بل إنه شاطئ يبتعد كلما اتجهنا نحوه، وكأنه سراب بشكل أو بآخر، حتى نشك أنه موجود أصلاً "**والبحر الهيو ما لوش آخر**"، هذا فضلاً عما يكتنف رحلة العبور من أهوال الزحام وأخطار التصادم "**ومراكب، وقلوع، وسفاين**".

إن ما يحدث في العلاج النفسي أنه كلما لاحت معالم تغيير ما، تم نفى الاحتمال تلقائياً، أو تم التراجع عنه بالحو، بمعنى أن المريض، من فرط تردده ورعبه من التغيير، وبرغم رغبته فيه في نفس الوقت ولو من حيث المبدأ، يبادر بأن يحوجه أولاً بأول،

إذن ليس الشاطئ هو الذي يتباعد باستمرار، ولكن المريض يكتشف أن المراد بعيداً وصعباً، وغير مضمون، "**كل ما اقربُ له يتأخِرُ**"، فيتخذ قراراً داخلياً أنه لا داعي (الطبيب احسن !!)، ويتراجع (داخل داخله، حتى لو بدا متعاوناً ظاهرياً)، وتظهر تيريرات التأجيل بما يشاع عن العلاج والتفسير والتأويل في الجزء التالي من المتن:

المتن:

(2)

لأَمْشِ لَاعِبٌ.

حاستنى نَمَا اعرف نفسى، من جوّه .

على شرط ما شوفيشى اللى جوّه .

وإذا شفته لقيتُه مش هُوّه ،

لازِمُ يفضّل زى ما هُوّه .

برغم أن التغيير هو محور العلاج كما أشرنا، إلا أن مقاومته أيضا هي قضية التحدى التى لا ينجح العلاج إلا بجمل مسئولية التصدى لها، إعلان المريض هنا (من مستوى أعمق، بعيدا عن ظاهر الوعى عادة) أنه لن يغامر بالتغيير الحقيقى "لأَمْشِ لَاعِبٌ"، هو التفاعل المبدئى الذى يجب أن ننتظره منه كاستجابة عميقة تعلن مخاوفه من مغامرة التغيير، وإلا فلماذا حضر إذن للعلاج؟

لا أحد يحضر للعلاج ليتغير بالمعنى الحرفى للكلمة، برغم أن هناك الكثير من المرضى يطلبون ذلك من أول مقابلة، لكن هُوَلا بالذات - غالبا - هم الذين لا يتغيرون أبدا، التغيير ليس مطلبيا من الوضع جالسا كأنك تطلب "واحد شأى!!"، لا يوجد شيء اسمه "عايز واحد تغيير وصلحه"، كما لا يوجد تغيير سهل مثل تغيير لون الشعر مثلا،

في جميع الأحوال علينا أن نتوقع، ونحترم هذا الموقف الراضى للتغيير، الخائف منه، هذا حق المريض وطبيعة الأشياء، بمجرد أن يدرك المريض، ولو من بعيد، أن المسألة جدا خالصة تحتاج جهدا حقيقيا، وليس مجرد تفريغ وترييح، تبدأ المقاومة.

هذا الموقف المقاوم هو موقف أصدق من زعم طلب التغيير دون دفع ثمنه،

وهنا يقفز إلى السطح سؤال بديهي، إذا كان الرفض هو الموقف الأصدق، فلماذا حضر المريض أصلا، وماذا يمكن عمله إزاء ذلك؟

كثيرا ما يحدد المريض أنه حضر لأنه يريد "أن يعرف نفسه"، ويتصور أن الطبيب قادر على أن يعرّفه نفسه، وكأن الطبيب يقرأ الطالع أو يحكى ما يقوله له الودع"،

وفي أحيان أخرى يتصور المريض أو يطلب من الطبيب أن يساعده على أن "يعرف نفسه"، وبالتالي: إن كان لا بد من التغيير فيكون بعد أن "يعرف نفسه"، وكأنه يقول إنه يريد أن يقبل ما يقبل، وأن يغير ما يغير، بناء على هذه المعرفة، فربما لا يحتاج الأمر إلى تغيير أصلا بناء على أنه "عرف نفسه، فوجدها تمام التمام !!".

التحليل النفسي، أو الإشاعات التي دارت حوله، هو مسئول نسبيا عن هذه الوقفة، صحيح أن العلاج يسمح بشحد البصيرة، ومن ثم معرفة النفس، وأنه كلما كان النور كافيا، كانت المسيرة أكثر أمانا، وأن المعرفة هي الخطوة الأولى نحو اتخاذ القرارات، لكن أن تكون المعرفة المعقلنة هي البداية والنهاية، فهذا هو تعطيل واضح، وقد يكون تعطيل دائما لمسيرة العلاج. بل إن المعرفة، حتى من خلال التحليل النفسي قد تدور بعيدا عما ينبغى أن نعرفه، فكثير من تحليلات المحللين النفسيين تدور في المساحة التي يسمحون بها لأنفسهم - من خلال إطارهم النظري- أن يبحثوا فيه، أما باقى الأحوال البعيدة عن نظريهم، وأحيانا البعيدة عن تحملهم، فهي تزداد إظلاما وبعدا، (يصدق هذا أيضا على كل منتم لنظرية نفسية أخرى ثابتة محكمة، مهما كانت الأقرب إلى الحقيقة والصواب)،

يأتى النص هنا وينبه أن المريض والطبيب معه يتوقفان عند حدود المنطقة المتاحة، حتى لو كان الزعم المبدئى هو كشف ما بالداخل (من جوه).

حين انفصل يونج عن فرويد، نبهنا إلى أن فرويد يلعب في ملعب تدرىي صغير، هو ما أسماه اللاشعور الشخصى، أما الملعب الأكبر، أو الأهم، فهو الملعب الأصلي الذى أسماه يونج "اللاشعور الجمعى". وقد كان غضب فرويد من يونج، (وحسده له، ربما) وتأثره من تركه، ليس فقط لأنه المسيحى الوحيد بن مريديه الأوائل، وإنما لأنه تجاوز المنطقة التى توقف عندها فرويد.

النص هنا ينبه إلى أنه من الجائز أن نجد، أو على الأقل أن نفترض، أن ثمّة طبقات تكمن وراء ما نكتشف باستمرار، وبهذا ينقلب العلاج النفسى إلى مسيرة من الكشف والإبداع تتواصل مع التقدم باضطراد وهى تنتقل من معرفة محتوى الداخل، وربما فك رموزه، إلى معرفة "الطريق" (المنهج) إلى المعرفة" بشكل ليس له نهاية (شئ قد يكون موازيا لقولة: الإيمان بالغيب، بمعنى الكشف المتواصل أبداً، معرفة المنهج بالتدريب العملى، أهم من قلب المحتوى، إذن فطلب المريض أن ينتظر حتى يعرف نفسه من الداخل، هو طلب لن يتحقق أبداً، لأنه لن يعرفها - كما هى أبداً، والمتن ينبهنا هنا إلى أن أغوار المريض تحذر أن تكشف عن نفسها، لأن صاحبها نفسه لا يريد ذلك "على شرط ما شوفشى الى جوه" .

ثم إنه حتى لو رضينا بالتوقف عند معرفة الممكن أو المسوح برؤيته، فإن هناك آلية دفاعية (ميكانيزما) جاهزة لتثبيت التوقف والاكْتفاء بالمعرفة دون الفعل، أى دون تغير حقيقى، المتنبهنا هنا إلى أن المريض لو اكتشف من خلال هذا المغامرة المعرفية (المعقلنة) أن هذا الذى رآه هو فعلا ليس كما ينبغى، أو كما يرجو، " وإذا شفته لقيته مش هوّه"، فإن تفاعله الأعمق، يمكن أن يكون عكس الظاهر، بمعنى أنه بدلا من أن تؤدى هذه المعرفة إلى التغيير كما بدأ التعاقد، فإنها قد تكون بديلة عن التغيير و "يستمر الحال على ما هو عليه، وعلى الأعراض أن تلجأ إلى الاختباء !!"،

وحتى لو لم تختلف الأعراض، فيمكن أن يكون الحل هو أن يعتادها المريض !!.

هناك نكتة قديمة، يمكن أن تكون حديثة، تطلق سخريه من التحليل النفسى تقول:

"إن مريضا كان يعانى من التبول اللاإرادى، وذهب إلى محلل نفسى، وحكى له، وطلب العون، فاقترح عليه المحلل أن ينتظم فى العلاج بشكل تقليدى، خمسة أيام فى الأسبوع، ساعة كل يوم .. إلخ، فتجاوب المريض مع النصيحة، وانتظم فى العلاج لعدة عدة سنوات، ثم قابل صديقا فسأله عن حاله، وعن فائدة العلاج ونتيجته، فأجابه بأنه: "كله تمام"، وأن الفائدة مائة فى المائة، ففرح الصديق وقال له "إذن فقد أصبح فراشاك جافا" (النكتة بالإنجليزية وهذه هى الترجمة الحرفية dry bed)، فأجابه المتحلل بأنه ما زال يتبول ليلا، لكن ذلك لم يعد يهمه "ما عدشى بيهمنى" I don't care any more،

هذه النكتة التى حضرتنى الآن تكاد تكون تصويرا لما يريد المتن أن يبينه كاحتمال جاهز "وان شفته لقيته مش هو، لازم يفضل زى ما هو".

أكتفى بهذا القدر اليوم، لأنشر المتن مكتملا حالا، أملا فى قراءته استعدادا لتكملة شرح ما تبقى منه غدا،

مع الاعتذار للشعر !!!

المتن كله :

(1)

الشط التانى المِش بايِن:

كل ما اقرب لهُ، يتأخِر.

ومراكب، وقلوع، وسفاين،

والبحر الهبّو مالوش آخر.

(2)

لأ مِش لاعب.

حاستنى لما اعرف نفسى، من جوّه.

على شرط ما شوفيشى اللى جوّه.

وإذا شفته لقيته مش هوّه،

لازم يفضل زى ما هوّه.

(3)

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى،

وباصبح زئى ما بامسى،
وان كان لازم ابنى اعدى:
زاح اعدى من شطى لشطى،
هوا ذا شرطى.

(4)

ولحد ما يهدى الموج،
واشترى عوامه واربطها على سارى الخوف،

ياللا نقول "ليه"؟

و"ازاى"؟

"كان ايمتى"؟

"يا سلام"!

"يبقى انا مظلوم".!!!!

!!...

شكر الله سعيك!!

- أستعمل كلمة الطبيب لتشمل كل من
الطبيب والمعالج حتى لو يكن طبيبا، وفي خبرتى
وتدريباتى للمعالجين لا أفرق بين الطبيب
والمعالج، على شرط أن يمارس المعالج مهمته طول
الوقت، أو معظم الوقت، وهو على اتصال
إشرافى مباشر مع بقية أطباء المؤسسة التى
ينتمى إليها، خاصة لو كان يمارس العلاج مع
أمراض جسيمة، مما تسمى عادة "الامراض
العقلية"، والتى هى ثروة المعرفة، ومفتاح
العلاج. ولن أكرر ما جاء فى هذا الهامش بعد
ذلك مع أنه صعب الإشارة إليه أو تذكره فى
هذا النشر المسلسل إلكترونيا.

الإثنين 14-07-2009

684-أنا ماشى "سريع" حوالين نفسي !! (2من 2)

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)

الحلقة ١٣



لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الفصل الأول: لعبة الكلام

الحالة (1) تكملة :

أنا ماشى سريع حوالين نفسي (2من 2)



نشرنا أمس الجزء الأول من هذه الحالة، وبيننا فيه أن ثمة خدعة قد تتم، عادة دون وعى كامل، وذلك حين نتصور أن "الكلام هو الحل"، سواء استعملنا تعبير "التحليل النفسى"، أم "فك العقد"، أم "أطع للى جوايا"، أم "أفضفض"، ..، وقد بينا - بسخرية قاسية - كيف أن التحليل النفسى قد يستمر سنين ولا يحقق إلا تثبيت ما هو موجود، مع قدر يسير من الرضا به، دون تغيير حقيقى.

في هذه الحلقة سوف نكمل نفس التأكيد على أن مجرد الكلام ، قد يكون وسيلة لتنمية بصيرة معقلنة، ليست أكثر من استبصار ذاتي مع وقف التغيير، مما قد يكون هو السبب في إعاقه النضج

المتن

(3)

أنا ماشى "سريع" حوالين نفسي،
وباصبح زئى ما بامسى،
وان كان لازم إنى أعدى:
رَاحَ اعدَى مِنْ شَطْطَى لَشَطْطَى،
هَوَا دَا شَرَطَى.

من أبطل الإشاعات التي روج لها بعض ما شاع عن التحليل
الفسى، وعموما، هي مقولة أنه: 'إذا عرف السبب بطل
العجب'،

وبالقياس نقول إنه قد يكون باطلا كذلك قولنا: 'إذا
فسر العرض بطل المرض'.

حتى إذا انتقلت 'المعرفة' إلى 'رؤية' ومواجهة و"انتقلت"
الرؤية إلى "كشف" وتعربة أعماق الأعماق ، فإنها وحدها
لاتكفى للنمو النفسى (التطور لذاتى).

ولكن بما أن الحياة هي الحركة، وبالتالي لا يمكن إيقافها
إلا بالموت الجسدى، فإن التوقف عادة لا يكون توقفا بمعنى
الوقوف في الموقع أو اللاحراك، وإنما بمعنى الحركة في الخل، "مملك
سر"، بل أحيانا ما تكون ثمة حركة نتاجها سلبى، كما سبق أن
ذكرنا في "المقدمة" (سرّ بضرهك).

ثمة حركة قد تتم بحماس شديد، لكنها تحمل مقومات إلغاء
نتائجها بنفس الحماس، ذلك لأنه قد يثبت أنه حماس مشروط بوقف
التنفيذ، المريض هنا، وأحيانا الحلل أو الطبيب قد يعلن
القبول - بل وضرورة القبول - بفكرة التغيير، وهو لا يأل
جهدا ظاهرا في السير في هذا الاتجاه، لكن يبدو أن المريض عادة
ما يفعل ذلك بناء عن ضمان سرى أنه في النهاية يملك آلية
محو كل ما تغير أولا بأول، ليبدأ من جديد نفس المحاولة وإن
تغيرت تفاصيلها، وهو ينتهي إلى نفس النقطة وهكذا، وقد
يسمى هذا أحيانا "تكرار النص" repetition of script

إن نظرية الاستعادة recapitulation theory وهي أساس
التطور برغم النقد الشديد الذى لقيته وتلقاه مؤخرأ،
تقول بتكرار النص (الانتوجينا تعيد نص الفيولوجينيا
..إخ)، لكن التكرار في نظرية الاستعادة لا ينتهي إلى نفس
النهاية بعد كل دورة، وإلا مات التطور من بدايته، إن
الاستعادة، غير الإعادة، لأنها تنتهي إلى إضافة - مهما كانت

ضئيلة- إلى ما كان عند البدء، أو هي تنتهي في كل دورة في نقطة غير نقطة البدء، أو هي تنتهي بتغير نوعي - مهما كان ضئيلا، لكنه تغيّر ما، أما إذا انتهت إلى حيث بدأت (موقعا وكما)، وبنفس المواصفات التي بدأت بها (كيفاً)، فإنها تكون معطلة للنمو (العلاج)، بل وتكون خدعة مغترّبة.

هذا هو الشرط الذي يعلنه المتن هنا، وهو ينطلق من داخل داخل المريض وليس من ظاهر حماسه، "وان كان لازم إني أعدى، راح اعدى من شطى لشطى، هوّا ده شرطى"

طبعاً مثل هذا الشرط لا يعلن صراحة، وبالذات لا يعلنه المريض لنفسه، فهو لا يصل إلى وعيه، ولكن على الطبيب أو المحلل أن ينتبه إلى احتمال أن يكون اطمئنان المريض إلى أنه "مهما تحرك، لن يتغير"، هو الذي يدفعه لتجاوب كاذب مع المعالج، لأنه ضامن - في النهاية - أنه في موقعه لا يتزحزح، مهما نشط.

كل هذا يكاد يشير إلى عكس ما يبدو أن المريض جاء من أجله، وكأن هدف المريض الأساسي هو ألا يشفى، فكيف ذلك وهو الذي سعى للعلاج؟ وطلب العون؟ ودفع الثمن (مادة أو وشما أو غير ذلك)؟

هذا كله محتمل أن يكون جانبا من الموقف أو الحقيقة، لكنه ليس كل الحقيقة، هو فقط ينبه إلى أنه ينبغي علينا ألا نستدرج إلى تغير مؤقت نرضى به وهو ليس تغيراً أصلاً، وأيضاً هو ينبه من جانب آخر أن نفهم كيف أن الشفاء هو مطلب رائع ظاهر، ولكن وراءه في العمق قرار أسبق هو ما نسميه "اختيار الحل المرضى" وهو اختيار على مستوى آخر من مستويات الوعي، وبالتالي فهو (المريض) في هذا المستوى الأول غير مستعد أن يتنازل عن اختياره الحل المرضى بسهولة، فهو يقاوم كل الضمانات التي تغريه بالتغيير باعتبارها غير مضمونة، ومن ثم التمسك باللاتغيير هكذا.

مهمة المعالج هي استيعاب كل ذلك (مع المريض)، واختراقه، فتجاوزه.

'التغيير الكاذب' وارد أيضاً، وكثيراً، ونعني به أن نوع الوجود لا يتغير، وحركية النمو لا تنطلق، ولكن يتغير الشكل من الظاهر فحسب، ومثال ذلك

. أن يحل عرض (أخفى) محل عرض (أكثر إزعاجاً)، (مثل: أن تحل اللامبالاة الدمثة محل الانفعال الطفلي الفج)

. أو تحل بصيرة مزيفة مرضية (أنا فعلاً متحوصل حول ذاتي) محل إنكار ما هو كذلك (بالعكس: أنا أحب كل الناس)، ثم لا حراك في الحلين.

كل هذا مجرد إحلال وإبدال وليس تغييراً

كثير من المرضى حين يمرون بهذا المأزق يصطنعون (لأنفسهم

وللمعالج وللآخرين) موقفا كأنه التغيير ذاته، ولكنه في الحقيقة خدعة تكشفها ضعف المعاناة، وانتفاء الألم أو الخوف الذى يصاحب البصيرة الفاعلة الموضوعية، وقد يعلن ذلك بألفاظ رنانة، وفرحة تسكينية، وكأن ثم تغيير قد تم بفضل العلاج وحسن النية، لكن اختبار نوعية التحول تثبت أنه تغيير اللون الظاهري كما ذكرنا، أو هو إعادة نفس النص للوصول إلى نقطة نهاية هي نقطة البداية.

فهى الدائرة المغلقة برغم كل صخب الحركة الخادعة.

مرة أخرى "راخ عدى من شطى لشطى، هوا دا شرطى".

يا ترى لماذا كل هذه المقاومة ؟

كل هذه الشروط، والمهارب والمناورات إنما تنبع من الخوف الأذى من النقلة النوعية التى هى علامة التطور الحقيقية.

المنقلة فى العلاج النفسى - وأثناء النمو- ليست بالضرورة قفزة فى الخلاء دون تدريب أو إعداد، لكن طالما أنها نوعية بالضرورة، فثم خوف يحيط بها، وثمة جسارة تحتاجها، مهما بلغ الإعداد والاستعداد.

○ ثمَّ خوف بدئى يقال إنه موجود من صدمة الميلاد، منذ الخروج من الرحم إلى الناس.

○ ثمَّ خوف من العودة إلى الرحم دون ناس (الموقف الشيزي)

○ ثمَّ خوف من العلاقة بالآخر (الموضوع) باعتباره مصدر الخطر لأنه مصدر الاختلاف (الموقف البارنوى)

وحين نكبر أكبر، تترى بنا مخاوف من مقدسات نسعى إليها حثيثا ونحن نخاف منها جدا:

○ ثمَّ خوف من الحرية (إريك فروم) ، حتى لا ندرك مدى مسئوليتنا عن كل ما يصيبنا.

○ ثمَّ خوف من الإيمان (أن نذوب فى الكون دون رجعة)

العلاج النفسى النمائى يضع ذلك كله فى الاعتبار، لا ينكره، ولا يخضع لشروطه أو مبالغاته، وهذا يحتاج من المعالج أن يمارس هو نفسه مواجهة مخاوفه الحقيقية ربما بنفس حجم مخاوف مريضه إن كان صادقا فى محاولة مواصلة نموه.

العلاج النفسى التسكينى أحيانا يكون دوره هو أن يبرر هذا الخوف، ويعترف به ويفسره دون أن يكسره، فيصبح ملطفا لخطته ، ومسكنا لإرعابه.

المتن

(4)

ولحد ما يهدى الموج،

واشترى عوامة وارتبطها على سارى الخوف،

ياللا نقول "ليه"؟

و"ازائى؟"

"كان إمئى"؟

"يا سَلَمْ!"

"يَبْقَى اَنَا مَظْلُومٌ".!!!!

شكر الله سعيك!!

قد يكون من باب احترام الواقع الموضوعى، وضبط الجرعة أن نرضى مرحليا بالعلاج التسكينى، فنسمح للعلاج النفسى أن يقوم بدور المرفأ الذى يلجأ إليه الخائف حتى يهدأ موج التهديد بالغرق في محيط الجهول، بل قد نرضى أن نوظفه بوعى ليحقق ذلك... (واشترى عوامة وارتبطها على سارى الخوف)

إذن فهو التأجيل! ليكن.

ولكن...: إلى متى؟

هذا هو فن التطبيب والعلاج.

الحاصل في أغلب الأحوال (والحالات) أن يتوقف العلاج عند هذه المرحلة، ليصبح التأجيل المتكرر هو نهاية المطاف، يتم ذلك حين يستدرجنا الكلام إلى الفرحة بالتفسير والتبرير، والرضا بالشفقة (دون التعاطف والمواجهة) وبالدعم الظاهرى، حتى يَحْتَفَى الخوف، أو يقل، لكن في نفس الوقت يتم تزييف الحركة أو تنغلق الدائرة.

وسط هذا الإعصار من التهديد بالتغيير، بما يشمل من تضخيم - لا شعورى- في مخاطر المغامرة به، تمر جلسات العلاج تلو الجلسات في البحث عن الأسباب وكيفية حدوث ما حدث، خاصة في فترة الطفولة!!!، مع ما تيسر من علامات التعجب ومظاهر المشاركة،

ياللا نقول "ليه"؟

و"ازائى؟"،

"كان إمئى"؟

"يا سَلَمْ!" (

.. وقد يتوقف العلاج عند هذه المرحلة، فيستمر تأجيل التغيير إلى أجل غير مسمى. (ليصبح هذا الأجل غاية الممكن الآن مرة أخرى حركة نشطة، لكن في الخلل).

لا بد أن نعترف، أن هذه المرحلة (التي لم تعد مرحلة، بل نهاية للمطاف كما ذكرنا)، هي الغالبة في كثير مما يسمى التحليل النفسى، بل والعلاج النفسى أحيانا،

الثلاثاء 21-07-2009

690- الفصل الأول: لعبة الكلام: الحالة الثانية (1 من 2)

الحلقة ١٤



دراسة في علم السيكيوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس



أداب وشروط "استخدام المرضى للتدريب والبحث العلمي"

(1)

طَيَّب...! طَيَّبْ!، واحدة واحدة.

أنا حاقلَع أهة:

أدى صورتى يا سيدى: شَرْمَطْهَا،

وإدى قصّة حبّ،

وإدى عقدة نقص، وكسرة قلب.

أهو كلّه كلام

مقدمة :

العلاقة بين المريض والطبيب هي من أكثر العلاقات حساسية ومسئولية،

المريض يطلب العلاج، والطبيب يمارس مهنته ليساعد مريضه على الشفاء، فأين الحساسية، وكيف المسئولية

لعل المتتبع لباب "التدريب عن بعد" الذى وصلت نشراته حتى الآن إلى "56" نشرة، قد لاحظ تلك التباديل والتوافيق التى تجرى بين المريض والمعالج، وكيف يلزم "إعادة التعاقد" بين الحين والحين، ثم كيف يمكن أن يختلف ما يجرى ظاهرا عن ما يتحقق داخليا، وكيف يستعمل المريض أحيانا العلاج لتحقيق اعتمادية سلبية ممتدة، أو للهروب من مواجهة موقف نمو مؤلم لآخ ولم يكتمل، أو لتبرير انحراف ما يتصور أنه باعترافه لطبيبه قد أعفى نفسه من مسئولية عواقبه، وهكذا،

كما لاحظنا - أثناء الإشراف "فى التدريب عن بعد"- كيف أن الطبيب يمكن أن يسقط على المريض بعض احتياجاته، أو ميوله، أو جوعه العاطفى، أو منظومة قيمه، وكيف أنه لو لم يلتفت ويراجع - بكل مستويات الإشراف بدءاً بالإشراف الذاتى - ما يجرى فيه ومنه هو شخصيا أثناء العلاج وبسببه، فإنه يمكن أن يعوق نفسه ويعوق مريضه .

لاحظنا كل ذلك وتناولناه بالقدر الذى يسمح به الإشراف، ونشرنا منه ما تيسر.

فى ظروف خاصة، تضاف إلى هذه الصعوبات أبعاد أخرى، مثل تلك التى تحدث فى المؤسسات التعليمية، أو بغرض البحث العلمى، وهذا هو ما تناول أحد وجوهه هذه النشرة اليوم بوجه خاص.

آداب المقابلات وحق المريض

بالنسبة للمؤسسات التعليمية، الجامعية خاصة، تقدم الخدمات بالجان غالباً، لكن ثم مقابل ضمنى، لا يعلن بشكل مباشر، وهو أن تتاح الفرصة للدارسين من الطلبة والأطباء أن يتعلموا من الشرح الإكلينيكي المباشر لحالة المريض علانية وجماعة، وفى حضور المريض. هذا أمر مشروع من حيث المبدأ، فهو متضمن عرفاً وواقعاً فى العقد المعلن باسم المستشفى "التعليمى"، أو "الجامعى" (فاسم وصفة المستشفى ليس سرا)، لكن هذا لا ينفى أن يكون أمراً مؤلماً ومحرماً، وعلينا أن نتناوله بمنتهى الأمانة والموضوعية، والأمر أصعب وأدق إذا تعرض المريض لإجراء ما يسمى "البحث العلمى"

لكى يقوم الأستاذ (أو المدرب أو الباحث) بمهمته هذه بمسئولية، واحترام، أقدم بعض اللزوميات كما يلي:

أولاً : بالنسبة للتدريب المباشر مع مدرب (أستاذ عادة) أكبر

• على المسئول أن يبدأ على قدر ما يُقدَّر بتقمص المريض في هذا الموقف - وذلك بأى درجة من الصدق بشكل مباشر أو غير مباشر - فيتصور نفسه هو، أو أحد أعرائه (ابنه، زوجته، ابنته...إلخ) وهو في موقع المريض، ويسأل نفسه: هل يقبل هذا الموقف أو يرفضه؟

• فإذا قبله طواعية، أو اضطرارا (حسب شطارة اطلاعه على داخله) مثل المريض في هذه الأحوال، فعليه أن يكتشف أنه - وهو في موقف المريض- قد يحكم على الطبيب، وعلى ما يفعله، وكذلك على الحضور، مثلما يحكم عليه المريض سواء بسواء، سواء حدث ذلك شعوريا أو لا شعوريا، **ومن** هذه اللوحة التشكيلية اليوم **هو من وجهة نظر مريض شجاع قوى ساخر**

• ينبغي أن يكون المريض على علم تام بأن هذا الاحتمال وارد، (عرض حالته على متدربين) وانه متضمن جزئيا في التعاقد المبدئى، وبديهي أنه يستحسن ألا يكون ذلك شرطا أساسيا لقبوله للعلاج، ولكنه بند إضافي مهم على أية حال، وهو بشكل غير مباشر -كما ذكرنا- يكاد يكون المقابل الذى يدفعه المريض مقابل علاجه مجانا، أو الإشراف على علاجه من أطباء أكبر، وليس "شرطا لعلاجه" على أية حال. (المقابل غير الشرط بداهة)

• ينبغي أن يتم إعداد المريض لذلك قبل المقابلة الإكلينيكية التدريبية بشكل واضح محدد وتفصيلي ما أمكن ذلك، فيعرف مسبقا من سيقابل، مثلا: اسم المدرب الأكبر، ومن سوف يكون حاضرا، وبأية صفة، وموعد المقابلة، ولمدة كم من الوقت...إلخ

• ينبغي أن يكون الهدف من المقابلة معلنا، وعادة ما نشرح للمريض - أيا كان تشخيصه أو خطورة حالته - أن الهدف هو تدريبي في المقام الأول (التعليم)، وأن هذا لا يعنى أن ذلك سوف يتم على حسابه، بل هو في نهاية النهاية لحسابه، لأن حالته سوف تدرس من خلال هذا اللقاء بشكل أعمق، وأكثر تفصيلا، ومن المتوقع أن يؤدي ذلك -غالبا- إلى تخطيط علاجي أفضل

• ينبغي أن يُخطر المريض أن النتيجة الإيجابية التى يمكن أن يخرج بها هو والمشاركون في هذا الاجتماع التدريبي لن تقتصر على حالته، يتم ذلك باتفاق صريح وليس ضمنيا، وباحترام حقيقى وليس مفتعلا، فنحن نقول له بالنص في بداية المقابلة : **"في الأغلب اللى حانوصل له مع بعض حاينفعلك إنت واللى زيك"** (والأرجح - بصراحة- أن كل ذلك يتحقق في أغلب الحالات على مختلف المستويات). ويستحسن أن تكون هذه النقطة واضحة بدرجة توصل له **فضله في المشاركة** في نفع الأطباء المتدربين، فيتحسنون، فيقدمون خدمات أفضل فأتقن لسائر المرضى وله، وأيضا هوشارك في الفضل في احتمال نفع المرضى الذين قد يستفيدون من الإنارة العلمية التى وصلت إلينا من فحص حالته بهذا العمق، وعادة ما نشكر المريض - صراحة - على فضله وتفضله بهذا وذاك.

• ينبغي أن يبلغ المريض صراحة أن من حقه ألا يرد على أي سؤال أو استفسار يرى أنه لا يريد أن يعرضه أمام "جماعة لا يعرفهم" علانية.

• ينبغي (أو على الأقل يستحسن في هذه المرحلة) أن يتم الشرح والمناقشات أثناء حضور المريض **باللغة التي يفهمها ، اللغة العربية**، وبما حبذا باللهجة المحلية، وأن يوضح له، خاصة إذا طلب، أي مصطلح علمي مستعمل أثناء المناقشات

• ينبغي أن يُستأذن المريض في تسجيل حالته بالصوت أو بالصورة إذا كان ذلك ضمن البرنامج التدريبي لأسباب تعليمية لاحقة، أو لبحث علمي، ويخطر المريض بذلك بشكل مباشر- وتوضع الكاميرات في موضع ظاهر حتى يتذكر طول الوقت أن هذا جار، وله الحق أن يعترض في أي وقت ويوقف التسجيل، علما بأنه يُخطر أن هذا التسجيل لن يستعمل لأى هدف إعلامى عام، وإنما هدفه محدد بأغراض العلم والتعليم بشكل استيعادى لأى غرض آخر. (هذا ما سجلناه ونشرناه نصا في أول كل حوار ونحن نعرض أطرافا من المقابلة في باب "**حالات وأحوال**" في هذه النشرات)

• لا ينبغي إخفاء الكاميرات ولا المشاهدين (غير المشاركين) من خارج التدريب، كما في حالة جلسات العلاج الجمعى، وقد بينا ذلك صراحة في النشرات التي عرضت لبعض الألعاب العلاجية التي جرت في العلاج الجمعى، كما فسرنا فائدة حضور الدائرة الأوسع للتدريب، والإعداد للتدريب، التي تتحلّق حول دائرة المجموعة العلاجية ظاهرة لكل الحاضرين، وتشارك في المناقشة بعد انتهاء الجلسة،

بصراحة أنا فضلت خلال أكثر من ثلاثين عاما أن يكون مثل هذا الحضور علانية هكذا (عيني عينك)، حتى نطمئن إلى موافقة المريض طول الوقت، ذلك لأن البدل هو أن تنقل الجلسة بدارة تليفزيونية للمشاهدين (وقد حضرت بعض ذلك في باريس مع البروفيسور ديداكين، والبروفيسور ليبوفسكي) وتوضع الشاشات العارضة في مكان آخر لا يعلمه المريض، أو أن يجلس المشاهدون خلف زجاج لا يسمح بالرؤية إلا من ناحية واحدة، (one way screen) وقد وجدت أن هذا وذاك فيه خدعة جزئية للمريض حتى لو أخذنا موافقته المبدئية، ونجحت مبادرتنا أكثر وأصدق، وحتى الآن. ثم إنني اعتدت أثناء الجلسة أن أتعمد الإشارة لهؤلاء الحضور وما يمثلونه لنا، وما تمثله لهم، وكأن من حقنا أن نتفرج عليهم، إذا هم كانوا يتفرجون علينا، وكثيرا ما أفاد ذلك في مقارنة المجتمع الخارجى (العادى) بمجتمع المجموعة العلاجية، يجرى مثل ذلك فيما بين أفراد المجموعة دون السماح لأى من المشاهدين بأى نوع من المداخلات أثناء العلاج، لكن من حقهم أن يشاركوا في المناقشة بعد نهاية كل جلسة.

وبعد

لا تمنع كل هذه التحفظات من أن يشعر بعض المرضى بالخرج، حتى ولو وافقوا احتراماً وتعاوناً، الأمر الذي تتيحه أعراف ثقافتنا الطبية غالباً، هذا الخرج لا يُعلن من قبل المريض باستمرار، وعلى الطبيب أن يتقمص مريضه مجدداً، ليشجعه على إعلان حرجه، أو سحب موافقته، أو على الأقل ليشعر أنه ممن لموافقته، وأنه سمدن له بشكل أو بآخر مقابل هذه الموافقة (مدن له بالعلاج أساساً، وبما يخرج به من هذا اللقاء لصاحبه، ولصالح من هو في مثل حالته)، أغلب مرضانا والحمد لله يتفهمون كل ذلك بدرجة مطمئنة.

ثانياً: بالنسبة للتعلم واكتساب الخبرة (وبالذات للأصغر وهو يكبر)

هناك بعد آخر أقل وضوحاً من بعد "التعليم"، وهو بعد "التعلم"، فالطبيب، خاصة في بداية ممارسته المهنة، يتعلم من مرضاه، بشكل مباشر، وغير مباشر، يتعلم من نجاحه، كما يتعلم من فشله، وهذه العملية تجرى بشكل تلقائي طول الوقت وحتى نهاية العمر، ومع ذلك فإن مجرد شعور المريض أن طبيبه يتعلم من خلال علاقته العلاجية به، يمكن أن يمثل قلقاً موضوعياً ما، وهذا أمر لا يمكن تجنبه لأنه يستحيل أن تنضج خبرة الأصغر، أو حتى أن ينضج الأصغر نفسه ليصبح أقدر فأقدر، إلا من خلال الممارسة

هذا أمر لا يحله، أو قل: لا يخفف من مضاعفاته، إلا **مستويات الإشراف المتعددة** التي عرضناها سابقاً (نشرة 1-2-2009)، بما في ذلك ما أسميناه "إشراف المريض" و"إشراف النتائج"، ولذلك يستحسن أن يطمئن المريض ولو بشكل غير مباشر على أن ثم إشرافاً جارياً طول الوقت، حين يرى المريض الجارى ببصيرته فيعقب على أداء الطبيب بشكل موضوعي يفيدهما معاً، فيتقبل الطبيب ذلك، وأيضاً حين يتجاوز نمو المريض مرحلة نمو الطبيب فيكتشف الطبيب ذلك بأمانة، فيضطرر نموه، أضف إلى ذلك "إشراف النتائج"، وبالذات إذا كان الحكم على النتائج ليس بمجرد اختفاء الأعراض.

فضلتُ في حالتنا الآن ألا أكتفى بإحالة القارئ إلى (نشرة 1-2-2009) وأن أقتطف نص ما جاء في "إشراف المريض" و"إشراف النتائج" هنا كالتالي:

1- إشراف المريض Patient's Supervision

ذكرت فيما سبق من نشرات حادثتين مرآ بي مع مريضين استفدت منهما بشكل جعلني أكرر تذكرهما، فذكرهما، كلما أتاحت الفرصة لذلك:

الحادثة الأولى: هي ما قاله لي مريض أثناء محاولتي دفعه على مسار خطوات نموه بما في ذلك من مآزق وصعوبات تبدو أحياناً شبه مستحيلة، قال لي هذا المريض: " هو أنت عابزنا نحقق حتى لنفسنا اللي انت ما قدرتش تحققه بنفسك (أو لنفسك - لا أذكر، وربما قالها مرة لنفسك ومرة بنفسك)؟"

الحادثة الثانية : هي ما قاله لي مريض آخر من أننى لا أصلح لعلاج، لأن رؤيتى - الناتجة من طول ممارستى غالبا - قد جعلت مساحة وعيى تتسع حتى تحتوى مساحة وعيه (وعى المريض) فهو - على حد قوله- لا يملك إزاء ذلك أن يتحرك معى إلا داخل دائرة وعيى التى تحيط بوعيه تماما، وهذا يعوق نموه كما يعوق حركية علاجه، وطلب منى هذا المريض أن أحوله لطبيب أصغر تسمح دائرة وعيه أن تتداخل مع دائرة وعى المريض، فتنحرك الدائرتان تقاربا وابتعادا بما يفيد الأثنين"

.....

إشراف آخر يتم من جانب المريض، وإن لم يكن يصلح معه استعمال كلمة إشراف هكذا: حين يتجاوز نمو المريض درجة نمو الطبيب، وهذا وارد ، ، ومع افتراض مرونة الطبيب واستعداده للتعلم بشكل مباشر أو غير مباشر، يحفز نمو مثل هذا المريض الذى تجاوز مرحلة نمو طبيبه، يحفز المريض الطبيب أن يلحق به، وقد يتجاوز الطبيب بدوره معه، أو مع مريض آخر، ويضطرر التواصل والتجاوز مع مريض ثالث وهكذا. قلت إن هذا ليس إشرافا مباشرا، لكنه ناتج إشراف ضمنى بشكل أو بآخر.

2- إشراف النتائج Results Supervision

يتم هذا النوع من الإشراف من خلال كل أنواع الإشراف الأخرى بشكل أو بآخر، ذلك أن نتيجة العلاج، المقيمة نوعيا بمحكات موضوعية، ليست مجرد اختفاء الأعراض، سواء كانت هذه النتائج هى نتائج تحقيق الأهداف المتوسطة السلوكية الواقعية المتفق عليها عادة أولا بأول، أو كانت النتائج القصوى غير محددة المعالم تماما، والتى ترتبط أساسا بإطلاق حركية النمو، واستعادة تنشيط الحياة بطزاجة واقية.

قصدت بهذا المقتطف أن أبرر تقمصى لمريض ما وأنا أكتب هذه القصيدة، حتى تخترم رؤيته مهما بلغت قسوتها (يومية باكر: الأربعة).

ثالثا: بالنسبة للبحث العلمى

من حيث المبدأ، وفى كل التخصصات، تعتبر إشكالية إجراء الأبحاث العلمية على المرضى فى أى تخصص إشكالية شديدة التعقيد، إذ لا ينبغى تحت أى ظرف أن يكون الإنسان سليما أو مريضا مجالا للتجريب أصلا،

لكن أغلب ما يطلق عليه صفة البحث العلمى هو تجريب أساسا فما العمل؟

هناك قواعد تبدو منضبطة ومهكمة للتجريب بالنسبة للعقاقير الجديدة مثلا، (مع أنها ليست كذلك تماما) حيث تبدأ التجريب بعيدا عن الأحياء *in vitro* ثم بالتجريب على الحيوانات، ثم بالتجريب فى متطوعين يعرفون كل الشروط، وكل المخاطر وكل الفوائد المحتملة،

وبرغم أن هذا وارد ضمنا في تجريب العقاقير الجديدة في الأمراض النفسية أيضا، إلا أن مجال الطب النفسى هو من أكثر المجالات التى جرى فيها التشويه، والتزييف، وغسيل المخ، والدعاية الكاذبة، والرشاوى الظاهرة والخفية، برغم كل المزاعم ضد كل هذا.

لن أتناول هذه القضية هنا بالتفصيل فقد عرجت إليها مرارا وتكرار، لكننى سوف أشير إلى ما يخص البحث العلمى فى حالة العلاج النفسى مؤجلا الآن الحديث عن البحث العلمى والعقاقير فى مجال الأمراض النفسية خاصة.

بعض ما يتميز به البحث فى العلاج النفسى

أولاً: معظم الابحاث التى تجرى فى مجال العلاج النفسى هى أبحاث "وصفية خبرائية" لا تجريبية مُقحمة.

ثانياً: أهم ما يشترط فى هذه الأبحاث هو أمانة التسجيل مع العناية بكل التفاصيل (بالشروط السالف ذكرها)

ثالثاً: يبدأ البحث العلمى هنا، مثل أى بحث آخر بفرض علمى قابل للاثبات أو النقض، لكن كثيراً ما ينبع الفرض أثناء المقابلة وبالذات أثناء التشكيل الوصفى المبدئى للتركيبه الإمراضية للحالة Psychopathological Formulation

رابعاً: يتم اختبار مبدئى لهذا الفرض الأساسى بالتفسير المناسب الذى يتفق أو يختلف مع الفرض.

خامساً: يتم تعديل الفرض بالمناقشة والتطبيق الآتى من خلال ربط المعلومات من المصادر المختلفة وبالأدوات المختلفة (المقابلة الإكلينيكية - القياسات النفسية - المعلومات المضافة من مصادر مختلفة ..إلخ)

سادساً: قد يولد هذا الفرض الأساسى فروضا فرعية أو يحل محله فرض بديل.

سابعاً: يتم تحقيق هذا الفرض بالمتابعة المسجلة أيضا ويتم تحويره أو ابداله أو التفريغ منه أولا بأول .

من كل ذلك يمكن أن نلاحظ أن كل هذه الإجراءات البحثية لا تؤثر أدنى تأثير على مسار المرض، أو فرص العلاج، إذ إنها لا تشمل إدخال عامل مفتعل على المريض تحاول أن نرى أثره، فالمقابلة هى المقابلة، والشروط هى الشروط، والوصف لا يخرج عن تسجيل الجارى، أما تحيل المحتوى والتفسير والتأويل والمناقشة العلمية فتأتى لاحقا،

وبرغم أن هذه الأبحاث الوصفية التتبعية تبدو من أسلم وأشرف أنواع الأبحاث فى كل فروع الطب حيث يتم فيها البحث العلمى دون أى تدخل مفتعل، إلا أن علينا أن نخطر المريض بوضوح أن هذا وارد، دون أى مساس بسرية حالته من أول تجنب ذكر اسمه حتى وظيفته حتى محل إقامته (كما لاحظنا فى باب "حالات وأحوال" فى هذه النشرة وكذلك فى باب "الإشراف عن بعد")

أما الأبحاث التي يدخل فيها تقييم فاعلية العقاقير علما بأن أغلب حالات العلاج النفسي لدينا، تتعاطى العقاقير، وخاصة حالات الذهان، أقول: أما تعميم وشروط إدخال هذه الجزئية (العقاقير) في الأبحاث في العلاج النفسي مهما كانت وصفية فتسرى عليها ما يسرى على الأبحاث العلمية بشأن العقاقير في أي مجال، مع صعوبة متزايدة في حالة الأمراض النفسية لأسباب لا مجال لذكرها هنا الآن، فهي مسألة تحتاج إلى شرح تفصيلي بعد ما لحقها من تشويه وتزييف بسبب التدخلات التجارية والاستهلاكية شبه العلمية لمؤسسات الأدوية العملاقة.

ولهذا حديث آخر.

وبعد

فقد طالت بنا المقدمة النظرية،

ولأهميتها، نرجى، الشرح على المتن إلى الغد لنفس الحالة الثانية هذه تحت اسم: "أنا قالع ملط، لكني مش عريان!"

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site

الإثنين 22-07-2009

691- الفصل الأول: لعبة الكلام: الحالة الثانية (2 من 2)

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

الحلقة ١٥



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على الممتن: ديوان أغوار النفس



أنا قالع ملط، لكنى مش عريان!

طيب...! طيبّ!، واحدة واحدة.

أنا حاقلّع أهة:

أدى صورتى يا سيدى: شزْمَطْنُها،

وإدى قصّة حبّ،

وإدى عقدة نقص، وكسرة قلب.

أهو كلّه كلام

مستويات الوعي بين التفريغ والتعليل

قلنا من البداية أن العلاج النفسي ليس هو العلاج بالكلام، وإن كان الكلام من أهم وسائله. في هذه النشرة اليوم سوف نتناول تقييم مستوى ومحتوى الكلام، وخاصة ما شاع عن العلاج النفسي، بل وبالذات عن التحليل النفسي. هذه الإشكالية شارك في إثارتها ما شاع عن التحليل النفسي بوجه خاص، وهي تتعلق باختزال العلاج النفسي إلى:

(1) الترييح

(2) التفريغ

(3) التركيز على البحث عن السبب وخصوصا في الطفولة،

وقد تناولنا هذه النقاط الثلاثة بالنقد التفصيلي في مواقع أخرى (أقربها حين رفضنا حكاية "إذا عرف السبب بطل العجب"، حتى وصل النقد إلى الزعم بأنه "إذا عرف السبب زاد العجب")،

المتن هنا هو على لسان مريض بلغت بصيرته الناقدة عمقا قاسيا وهو يعلنها هكذا :

• إن هناك احتمالا أن كل (أو أغلب) ما يحكيه المريض ليس إلا القشرة الظاهرة لما يعيشه أو يعانيه أو يتذكره،

• وأن هذا المريض (الذي يأتي المتن على لسانه) هو المريض الساخر الكاشف المختق - مثل كثير من المرضى - قد يحجب، بإرادة ما، ليست بالضرورة واعية، حقيقة داخل داخله،

• وأنه "بصراحة"، في مستوى ما من وجوده، لا يستأمن طبيبه عليها، (هذا إذا وصل هو إلى معرفتها أصلا).

معنى ذلك أن الكلام الظاهر قد يكون أبعد ما يكون :

○ عن الكلام الكامن،

○ ثم عن التركيب الغائر،

○ ثم عن الحقيقة.

وسواء كان المريض يعرف أنه لا يكشف عن "كل طبقات ذاته"، أولا يعرف، فإنه في كثير من الأحيان، يكون كل (أو أغلب) ما يحكيه ليس إلا

تصوره عن أسباب مرضه،

أو العوامل الظاهرة التي أدت لظهوره،

أو التي هيأت لظهوره،

على الطبيب إذن ألا يستدرج للاستلام لهذه القشرة الكلامية، التي تكون في كثير من الأحيان **تبريرية** أكثر منها **تعليقية**،

فقد يثبت أنه ليس المهم هو أن المريض حرم من الخنان أو أنكر الاعتراف بوجوده في طفولته، بقدر ما هو مهم النظر في التركيب الذي ألت إليه مجموع ذواته ومستويات وعيه، وهى ما يمثله هذا الكيان الإنساني الفرد المائل "الآن" للعلاج،

هذا التركيب الخالى هو الذى يحتاج إلى إعادة تشكيل، فضلا عن أنه المتاح لذلك،

أما سبب المرض، (خصوصا أن أغلب الأسباب قد حدثت في الماضى اللهم إلا الاضطرابات التفاعلية والموقفية الصرف)، فهو جزء من الماضى غالبا، وبما أننا لا نستطيع عادة تعديل الماضى، وكل ما نملك إزاءه هو **تذكره**، أو **تذكر بعضه**، أو حتى **تذكر ما أخفاه عنا دونه** (أخفى الماضى بظاهر ما يقال كما يشير النص):

أدى صورتى يا سيدى،....، شَرَّ مَطْئُهَا،

وإدى قصّة حبّ، وعقدة نقص، وكسرة قلب.

لابد - إذن- من تحجيم هذه الشائعة البالغة الشهرة، الجسيمة الخطأ فالإضرار التى تقول: إن العالج هو "كلام وتفريغ"

::::::::::

واضح من سخرية بصيرة المريض (المتن) أن تركيز الطبيب (المعالج) على محتوى ما يقوله المريض، وظاهر ما يحكى، إنما يبعد الطبيب عن صلب القضية

المريض هنا يقولها تنبيها ساخرا: "أهو كله كلام !!"

ثم هو يُلحق ذلك فورا بإيجاز رأيه، وإعلان أن مثل هذا الطبيب الذى استدرج إلى هذه المنطقة التبريرية التفسيرية التعليقة، هو أبعد ما يكون عن حقيقة أعماق مريضه وطبيعة تشكيله:

عودة إلى المتن:

أنا قالع مَلْط،

لكنى مش عريان.

هوّا انا مهبول؟

أديك نفسى حمة طرية؟

على إيه؟

لو أننا تعمقنا الموقف كما تدعونا بصيرة هذا المريض الساخرة هكذا، إذن لرأينا أن التفاصيل السطحية التي قد تملأ جلسات التحليل النفسي ليست إلا مظاهر جزئية لمشكلة الوجود الأعمق، فقد تكون إعلانا للوحدة القاسية البشعة التي اكتشفها المريض بلا حل، وعلى لسان هذا الجزء تصبح صورة المريض التي في تناول العلاج ليست هي حقيقته وإنما غطاؤه،

المريض هنا هو الذى يتفرج - من داخل داخله - على العلاج وهو يحاول أن يفسر ويؤول، أو حتى وهو (العلاج) يحاول أن يعيد تشكيل تركيب مريضه وذاته، من هذه المعلومات المتاحة بلا عمق أو جدوى، (لأنها ليست هي)

الطبيب على هذا المستوى السطحي لا يستطيع أن يمارس التشكيل النقدي العلاجي الذى يمكنه من أن يصيغ منه "الفرض" الأصلاح.

هذا الموقف الساخر يعرفه بعض الذهانين خاصة سواء المرضى منهم أم ذوى الرؤية الذهانية بعد أو قبيل المرض، وهم أحيانا يمارسونه بوعى جزئى على الأقل، ومن موقف السخرية هذا قد تطفو قصص الشعور بالذنب، وعقد النقص والفشل في الخب... إلخ.

المتن ينبهنا إلى أن كثيرا من هذه الحكاوى قد لا تكون إلا مجرد تفريغ كلامى، قد يخفف الضغط عن الجزء الأعلى من الشخصية ولكنه لا يغوص إلى جوهر مشكلة الوجود.

تحذير من التعميم

لا يمكن تعميم هذا الموقف بلا تمييز، إذ عادة ما ينشأ هذا الموقف ويمتد حين يشك المريض في قدرة العلاج على استيعابه، أو في جدية العلاج في مواكبته، أو حين يستشعر المريض انفصال العلاج على مسافة منه، إلى موقف أشبه بالفرجة، أو حتى الشفقة، دون مشاركة فعلية أو مواجهة.

أحيانا في موقف التعليم، يكون سؤال الطبيب الكبير (الأستاذ مثلا) للمريض "بتحس بإيه"، هو بغرض الشرح في موقف التدريب، حتى يعلم المتدرب كيف يسمى مثل هذه المشاعر باسم عرض معين، أو لكى يصل في النهاية إلى اسم مرض معين، فيكتمل الدرس،

قد يلتقط المريض هذا الموقف بجدسه، أو بذكائه، أو بكليهما فيصبح الموقف أكثر إيلاما له، وينطلق حكمه على ما يجرى أكثر سخرية وقسوة كما سيأتى في المتن حالا:

تت ثم إنه كثيرا ما يصعب على المريض أن يصف ما يشعر به (بحس بيه)،

تت أو قد يكون ما يعيشه ويعايشه من مشاعر ووجدان أكثر إيلاما وعمقا من أن يُعلن أصلا،

تأ وأحيانا يكون المريض أكثر استهانة بجدوى أن يقول
لمعالج بهذا البعد حقيقة ما يحس به

تبينت أبعاد هذا الموقف وكيف يصل إلى المرضى من خلال حماس
زملائى المبتدئين المتدربين معى أثناء العلاج الجمعى خاصة
وأورد بعض ذلك فيما يلى:

يدعو أحد المتدربين المريض فى موقف معين أن "يحس" بمشاعر
معينة" (الخوف مثلا) بدلا من أن يحكى عنها، أو أن "يشعر
بالتعاطف" مع زميل آخر يكون قد تعرى أو تألم أو أعلن ضعفه
أو احتياجه فى بعض مقاطع التفاعل فى المجموعة، كنت ساعتها
انظر للزميل المتدرب وهو يصير على أن المريض إن لم يكشف عن
مشاعره لخطتها بدرجة مناسبة، أو إن لم يشارك زميله بالعمق
الكافى، فهو" لا يحس"، لدرجة اتهامه أحيانا بالبلادة، كنت
أنظر إليه بما معناه "وأنت، هل لاحظت تعاطفك؟ مع من؟ وإلى
أى درجة؟ وكيف يمكنك أن تظهره"، وقد يتمادى المتدرب (أو
المعالج المنفصل) فى تحفيز المريض "أن يحس" بالجارى، أو بما به،
ضاربا بنفسه - دون بصيرة كافية- القدوة، فقد يقول للمريض
بشكل مباشر أو غير مباشر: "حس زى ما انا باحس"،

وهنا يحضرنى مثل مصرى عامى مهم يقول على لسان من
يُجلد عددا معينا من الجلدات "اللى بينجلد غير اللى
بيعد"،

ومثل آخر أقل انطباقا لكنه أكثر شيوعا يقول "إلى
إيده فى المية غير اللى إيده فى النار"،

وأغنية أقل فأقل وهى التى تقول "عوّام باللى على شط
الهوا عوّام"،

كل ذلك يشير إلى إحاطة الوعى الشعبى بحقيقة أن النصيح،
والحفز، والتوجيه لمن لا يعيش التجربة بحقيقة أبعادها، أى
لمن يرصدها من على مسافة، هو بلا جدوى من ناحية، وأيضا
هو يشعر المريض ببعد المعالج عنه من ناحية أخرى.

أحيانا يطلب الطبيب الأصغر من المريض أن يوقظ إحساسه
ليخترق اللامبالاة التى تورط فيها هربا من آلامه، والمتدرب
لايدرى حجم عبء ما يطلبه من المريض ولا خطورته فكأنه يطلب
تفجير ذرة كامنة وقد أحيطت بجدار اللامبالاة الواقى،

هذا ليس اتهاما للمعالج الأصغر بل هو تنبيه ضمنى على
مسار التدريب. وهو تنبيه مهم حتى لا يتصور المعالج المبتدئ،
والمعالج عموما، أنه هو صاحب الإحساس الحى النقى، وأن المريض
هو وحده فاقد الإحساس وأن عليه (على المريض) أن يتشبه به
ويتفاعله حتى يكون سويا حاضرا.

فشتان بين إحساس إنسان اختبأت مشاعره رعبا،

وبين إحساس شاب فى أول طريقه وهو يكتشف طبقات مشاعره مع
اكتشاف طبقات وعيه تدريجيا دون تهديد بالتفسخ أو المواجهة.

المتن هنا ينبهنا إلى أن مثل هذا المريض، خاصة إذا كان ذهاني بصري، يعلمنا ساخرا أن المريض لن يكشف داخل داخله إلا لمن يثق فيه بالقدر الذي يسمح له بمثل هذا الكشف، أو أقل.

الخلاصة :

كل هذا يشير في نهاية النهاية، وبرغم قسوة سخرية المتن،
 v أن الثقة بين مثل هذا المريض وبين الطبيب أو المعالج،
 هي المعبر الوحيد الذي يسمح بالتواصل فالكشف
 v وأن وراء كل ظاهر ما هو أهم وأعمق
 v وألا نقيس مشاعر مرضانا بمشاعرنا، أو بتصورنا عن
 مشاعرنا

بقية المتن حتى النهاية

(2)

أنا قالع ملط،
 لكنى مش عريان.
 هؤا انا مهبول؟
 أذك نفسي لمة طرية؟
 على إيه؟ !!!
 الناس الشرفا في الغابة أنبل منكم.
 ياكلوها علناً بشجاعة من غير ترير.
 ولا يجي واحد منهم بيه،
 يسأل بالعلم المتمكن: بيئجس بايه؟
 ويقلب سيخي،
 ويقول لى جس:
 بالنار من تحتك.
 كما إني باجس:
 مجلاوة رجيتك.
 الحالة دى صعبة ومهمة،
 تنفع للدرس.

تعبير "الحالة دى تنفع للدرس" هو تعبير مؤلم متواتر في المؤسسات التعليمية، وبرغم أنه حقيقة مقبولة ومشروعة (نشرة أمس)، إلا أن وصوله للمريض بهذه الصورة الفجة، ولو بطريق غير مباشر، هو الذي مثله المتن وقد صاح فينا هذا المريض الساخر،

أن آلامه ليس كمثله ألم،
وأنه كمن ينشوى بنارها،
ونحن الذين ندرس أو ندرّس، لا تصلنا إلا كمن يشم العابر
رائحة الشواء تتصاعد مما تقلبه النار !!
أظن أنه لو صار هذا البيت المرعب بين الناس مثلاً عامياً
جديداً لانتبهنا أكثر، وراعينا أكثر
مرة أخرى:
ويقول لى حس، بالنار من تحتك،
كما إنى باحس مجلاوة ريجتك"

أرسل تعليقه

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com
http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html
The Man & Evolution FORUM Web Site
[http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum /](http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/)
All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>
Pr. Yahia Rakhawy Web Site
http://www.rakhawy.org/a_site

الحلقة (16) من وحى الحالة الثالثة

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيفية من العلاج النفسي
من وحى حيوان : الخوار النفس

الركن بتاعى متحضر!!!،

هذا هو أول بيت في هذه القصيدة، (هذه الحالة)

دع ما سوف يلى بعد ذلك الآن من مظاهر وتجليات وسلبيات الانسحاب من أى علاقة،

ولو حتى العلاقة العلاجية، والذي يبدأ بـ :

"حارجعله واسينكم، ساعش أحسنكم"،

دع ذلك جانبا الآن، ودعنا نتساءل:

هل هناك أى منا ليس عنده هذا الحنين إلى العودة إلى هذا الركن الغائر في

تركيبه البشرى العادى؟؟ وهو هو الذى يسقطه أحيانا إلى خارجه في صورة

السعى إلى اللجوء

إلى موقع سرى خاص،

إلى دفة غامض خاص،

إلى سكون واعد خاص،

إلى وحدة مختارة خاصة،

إلى صمت مُنعم خاص،

(خطر ببالي خاطر لست متأكدا من وجاهته يقول: إن بعض المنقبات، خاصة اللائي يصلين أحيانا، يمارسون التنقب كنوع من اللجوء إلى ركنهم الخاص، "واللى عاجبه!!" ما رأيك؟ لست متأكدا!)



هذه الخواطر كانت بداية هذه الحلقة التي سوف تقلب هذا العمل كله (كما تلاحظ في تغيير العنوان) من "شرح على المتن"، إلى استلهام من المتن، بعنوان "من وحي..المتن" (كما تلاحظ أيضا من تغيير العنوان)

بصراحة، دعاني هذا التغيير المهم إلى إعادة النظر في عنوان الجزء الأول من هذا الكتاب "دراسة في علم السيكوباثولوجي"، والذي صدر منذ ثلاثين عاما، يا ترى : هل كان هو حقا شرحا على المتن، أم أنه كان استلهاما من المتن، غالبا كان استلهاما أكثر منه شرحا، (وقد أغير العنوان في الطبعة التالية) ، وإن كان المتن (ديوان سر اللعبة) قد أدى وظيفة أخرى، وهى إلزام الكاتب بحدود معينة منعت تداعياته واستطاداته التي لا تتوقف،

الأمر يختلف في حالتنا هنا نوعا ما، حيث المتن يتصل بعرض شعر بالعامية أثارته خبرة من واقع معايشة شخص ما، مريضا كان أم سويا، وبالتالي يصبح الشرح تشريح قبيح لتشكيل شعري هو صورة لا يجوز تشريحها (لعل هذا بعض ما حدث في الحلقات السابقة، وسوف أراجعها قبل النشر الورقي غالبا)

بعد هذه الإفافة التي أرجو ألا تكون قد تأخرت كثيرا، أرى أن الأمر لا بد أن يختلف:

وقد اختلف فعلاً كما يلي بدءاً بـ :

تغيير العنوان، من "شرح على المتن" إلى "من وحي المتن"

ثم أن النص المستلهم يسبق المتن،

وقد يخالفه،

وقد يشرح عكس ما يرد في التشكيل الشعري تحديداً ، (مثل ما هو الحال في هذه الحلقة بالذات)

ثم أن الاستطراد مسموح ، بل مطلوب

مثلاً : يحكى المتن هنا عن سلبية الانجذاب إلى الركن الخاص بدرجة لوجح، ومعادة، ومتعلقة بتجنب واضح وحاسم للوعى بأى علاقة بالآخر، خوفاً، وعزلة، أو حتى مرضاً، ثم إنه يرسم التشكيل الشعري بما ينبه إلى احتمال استخدام ما يسمى العلاج النفسى لتأكيد هذه الآلية الانسحابية المتكررة في مواجهة تكوين علاقة إنسانية حقيقية، بما في ذلك العلاقة العلاجية

استلهمتُ من كل هذا عكسه: بمعنى أن هذا المتن نهى إلى ما قدمته حالاً، من أن:

من حق أى منا أن يجترم نزوعه أحياناً إلى العودة إلى ركنه الخاص، بعض الوقت.

هل هى مسألة شخصية أم نموذج محتمل لظاهرة بشرية أساسية؟

استدرجتى هذه الحلقة إلى النظر في هذه الظاهرة التى قد تبدو أساسية في التركيب البشرى، هذه الظاهرة أنا عايشتها، وأعايشها شخصياً بشكل لوجح، وأذكر أنى تناولتها في كثير من أعمالى، خاصة الشعرية، و غير ما تيسر من حكى عن السيرة الذاتية، (غير أدب الرحلات أساساً في ترحالاتى الثلاثة)، ولم أكن أتصور أنها جوهرية إلى هذه الدرجة، لا في وجودى، ولا بصفة عامة:

ذلك أنى كنت، وما زلت، أشعر بمجنين ملح طول الوقت تقريباً إلى العودة (وليس بالضرورة إلى الانسحاب) إلى ركنى ما:

مكان صغير بعيد في حضن الطبيعة،

أعلى الجبل ،

على شاطئ خال،

في عشة منفردة بين الحقول،

في حجرة مستقلة (بها حمام خاص جداً) في بيتى (ما أمكن ذلك) .

.....

هذا بالنسبة لحنينى إلى ركن الخارج، أما ركن الداخل فدعه جانباً الآن.

هل ما بالداخل هو ركن واحد غائر بعيد يمكن أن تنتهى إليه كل الأركان؟

أم أنه أركان متعددة، متتالية أو متكاملة، مثل
الاستراحات على الطريق السريع؟

حين أشعر بهذا الحنين لا يحضرنى بالاسم الذى أطلقتته عليه
حالا "الحق فى الانسحاب"،

هو ليس انسحابا

ليس ابتعادا،

ليس دفعا لآخر احتماء منه

هو شىء أشبه:

بالاستئذان الحاسم،

مع وعد ضمنى بعودة عتملة

(أشعر أنه لو كانت الطمأنينة مطلقة أن العودة مضمونة
100% إذن لانتقص ذلك من حق الرجوع إلى الركن)

فعلا كلمة الرجوع أفضل كثيرا،

رجوع مؤقت، مع تلويح وأمل فى عودة أكثر صدقا وجاهزية.

الأرجح أنها ظاهرة طبيعية، مزروعة فى تركيبنا الحيوى منذ
نشأ ما يسمى الإيقاع الحيوى، ليس مهما الآن أن نعرف أن
الإيقاع الحيوى عامة، والإيقاع الحيوى البشرى، قد نشأ
ليتناغم مع طبيعة هى فى جوهرها مبنية على إيقاعية الكون
الحيوية، أم أنه طبيعة بيولوجية بدئية فى التركيب الحيوى
الأساسى، ثم راحت تتناغم مع الإيقاع الحيوى المحيط فى الطبيعة
والكون، هذه قضية لم تحسم، لكن نتيجتها واحدة، وهى أننا
نعيش فى إيقاع، وبإيقاع حيوى مستمر.

هذا الانسحاب :

إلى الداخل،

إلى الكهف،

إلى الغار،

إلى النوم،

إلى البيات الشتوى،.. إلخ

هو الضلع الضرورى الراجع لاستمرارية حركية الإيقاع
الحيوى، وبالذات فى نبضه مع برنامج "الذهاب والعودة": In-
and-Out Program

حين انتهت إلى هذه الحقيقة تذكرت ما ورد بشأن حالتى الخاصة
فى عمل واحد هو الجزء الثانى من الترحلات " الموت والحنين".

ثم إنى راجعت فى ذاكرتى، دون أن أرجع إلى أوراقى وكتبتى،
إلى بعض مثل ذلك مما ذكره جوستون باشلار، وخاصة فى كتابه
"شاعرية المكان".

يبدو أن الحق في الانسحاب إلى

ركن ما

قبو ما،

كهف ما،

هو حق أساسي،

وهو إذا مورس بسلاسة مثل كل الحقوق، فإنه يعفينا من أحد سبيلين:

الأول : الاضطرار إلى انسحاب جبان ومتكرر تعميقا وتثبيتا للموقف الشيزيدي Schizoid Position حيث "لا موضوع"، (وهو الذى جاء فى المتن الشعري، والذى سوف نعود إليه لاحق)

والثاني: الاضطرار إلى الاستمرار اضطرادا بالقصور الذاتى، مع التنبيه (تنبيه الواحد لنفسه، أو عدم سماح الآخرين له): بعدم الحنين إلى، أو طلب الحق فى، أو الاعتراف بـ :

حق للرجوع، ولو المؤقت (أحسن عيب كذا) ،

والنتيجة: هى ذلك الوجود المسطح، والعلاقات الزائفة، أو المغتربة، أو المرض. (وهو الرجوع هربا جبنا لا اختيارا: المتن)

تجليات هذا الموقف الشيزيدي بهذه الصورة فى العلاج النفسى بشكل سلبى فى العلاج النفسى، هو نص جاء بالمتن الشعري الذى لن نناقشه إلا لاحقا، ربما نعود إليه فى الأسبوع القادم.

لا بد أن أعترف فى هذه الحلقة أننى حين عدت إلى جويستان باشار شاعرا وناقدا أساسا قبل أن يكون فيلسوفا، سمعته بأذنى يوجئى توبيخا قاسيا، ومباشرا، على حكاية "شرح على المتن" هذه، لم يكن غاضبا مثل غضب المرحوم إبراهيم عبد الخليم منى حين نظر فى الشرح المبدئى لديوان أغوار النفس، ولا مستبعا هذا الاحتمال دهشة مثلما نبهنى المرحوم صلاح عبد الصبور بعد مناقشته ديوان سر اللعبة فى البرنامج الثانى، باشار نهرنى معقبا ناقدا ، وقبل أن أقتطف بعض باشار أوجز نقاط هذا التقديم كما يلى:

الخلاصة :

• الحنين إلى الرجوع إلى الركن الخاص فيه شيء من النكوص المشروع.

• الرغبة فى النكوص وممارسته دوريا هما من ضمن آليات الإيقاع الحيوى

• النوم هو من أعظم آليات النكوص المشروع،

• فى المدرسة التحليلية الإنجليزية (ميلانى كلين- فيبرن- جانتريب)، اعتراف بالأنسا الناكص دائم الجذب إلى وراء ،

الإثنين 29-07-2009

698- الحلقة (17) من وحى الحالة الثالثة

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
من وحى ديوان : أنوار النفس

الحق فى الرجوع (العود)

الحنين إلى "ركنك الخاص" (2 من 2)



خبرات شخصية: الركن القصى والجذب اللحوح

قبل المقدمة:

ذكرت أمس كيف أننى اكتشفت حنينى الشخصى إلى ركنى الخاص، كما سجلته بالذات فى الجزء الثانى من الترحلات "الموت والحنين"، وأعلنت تساؤلى هل يجوز أن أقتطف نفسى وكأنه النقد؟

يجوز أو لا يجوز، هذا ما كان، وسوف أتمد - لأجنب هذا الموقف النقدي- ألا أضيف للمقتطفات إلا عنوان فرعي أو تعليق محدود.

الركن: داخلي أم خارجي؟

لا ينفصل حنيني إلى ركني الخاص الداخلي عن انجذابي إلى ركني الخاص خارجي في الطبيعة بوجه خاص.

تنتهي هذه المقتطفات في نشرة اليوم بهذه العبارة:

".....ليكن ريف فرنسا في الشمال هو رحلتي إلى داخلي أكمل بها شرنقتي لعلّي أخرجُ فراشة حقيقية قادرة على البيض من جديد."

- الترحال الثاني: "الموت والحنين"

الفصل السادس ص 288

لاحظ: الشرنقة والفراشة

.....

وقد بدأت هذه الخيرة تحديدا حين رأيت من أعلى الجبل في طريقى من أثينا إلى تركيا عبر سالونيكى كوخا قد تجسد لى ركني الخاص، فجذبني إليه ليثبت لى حكاية الجاذبية الأرضية.

المقتطفات

(1) "....اكتشفت أننا في أعلى جبل ما. متى سعدنا إلى كل هذا الارتفاع؟ حين تكون بعيدا عن السفح، وعن الجبل قد يسحبك الطريق إلى أعلى دون أن تدري إلا من أين عربتك أو احتجاجها بالإبطاء دون سبب ظاهر. لسنا فقط في أعلى الجبل، بل إن هذا الجبل، مثل كثير من جبال اليونان تنتهي حافته إلى البحر(المتوسط طبعا). على مرمى البصر لُحْتُ كوخا (أو اثنين أو ثلاثة) قرب الشاطئ وبضع أشجار جميلة وسط الخضرة الممتدة، وعاودني حسدى لهم. قفزت إلى مخيلتي أحلام اقتناء كوخ منعزل وسط جبل أخضر، هاج علىّ الحنين إلى "الركن الصغير وسط غرباء طيبين"، ناديت على النادل أسأله عن هذا الكوخ (أو الأكواخ) بالإشارة طبعا: هل هو موتيل أم بيت أسرة صياد. لم تنج لغة الاشارات. لم يفهم شيئا. لكنني صممت أنه فهم. رجحت - بالعافية - أنه حتى لو كان كوخ أسرة صغيرة، فإنهم قد يسمعون بتأجير حجرة ليلة واحدة.

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 172

لاحظ: أن ليلة واحدة تكفى

.....

(2) "..... كانت زوجتي تتابع حوار الصم هذا متوجسة شطحة جديدة لا تعرف إلى أين سوف تنتهي

بنا، أنا أشير من جديد، وأغض عيني وأميل برأسي لأفهمه أني أريد أن أمضى ليلة في هذا الكوخ، وهو يشير إلى أسفل حيث الكوخ، بما لا أفهم، والخطر يزداد اقترابا من زوجتي، فتتحقق من مخاوفها حين سألتها عن رأيها لو أننا قضينا ليلة أو ببقية أيام الرحلة، في هذه الحجر المزعومة عند هذه الأسرة الصغيرة المفترضة، على هذا الشاطئ الجميل الواعد، في حوض الجبل الخائ، قلت كل ذلك، أو تصورت أنني قلته، وأنا في أشد حالات الحماس. الكوخ يجذبني إليه بشكل أقرب إلى قوانين جاذبية مغناطيس الحديد منه إلى رغبة بشرية، طأطأت زوجتي رأسها، وتباطأت، وامتقع وجهها، فقرأت حجم مقاومتها0 كان أكبر مما توقعت، ومع ذلك تماديت"

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 172 - 173

لاحظ: القوة الجاذبة

.....

(3) "..... ثم إنني أحلم وأنا أكتب هذا الموضوع بالذات أن ينزل على فتحة من البحر والغربة، أن أتجدد منطلقا في حوض الغلاء والسماء والجبل، أتصور أنه في هذا الكوخ البعيد المتفرد، قد يحدث كل ذلك، سوف تتاح لي الفرصة التي أنتظرها من زمن..."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 173

لاحظ: وظيفة الكوخ مفرحا للإبداع،

حتى غرينوى (العطر) في كوخه كان يبدع ذاته الإلهية.

.....

(4) "..... كل ذلك قلته أو لم أقله وصل إلى زوجتي وهي صامتة ووجهها يزداد امتقاعا. خليط من التوجس والخوف والتردد والغضب والرفض، ولا أستبعد درجة من الاشفاق على، وربما محاولة فهم. يصلني جفاح كل هذا وهو أنها لا توافق بمنتهى البساطة والوضوح. على الرغم من أنها لم تعلن رأيها بعد،

إلا أنني أعلنت عدوى عن كل ما قلت، عدلت راکضا نحو الناحية الأخرى: الاحتجاج الصامت، والانفصال المتجمد الحزين، حتى وددت لو بقيت جالسا في مطعم محطة الوقود هذه حتى يحين موعد عودتنا إلى مصر، كنت مثل طفل يحزن بعد أن رفضت أمه الاستجابة لمطلبه الذي يعتبره الحياة ذاتها...."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 173

لاحظ: كيف أن الركن

(برغم ترادفه مع الرحم أو القير كثيرا) يوصف هنا أنه الحياة ذاتها.

.....

(5) "..... لا لا لا. المسألة تكررت بشكل بدأت أنشغل عليه، لم تعد بصيرتى في هذا الجذب الملح تكفى أن تمنعه أو تحدد من قفزاته العشوائية، كم مرة شددت هكذا إليه، في فالورسين في جبال الألب، في ضاحية باريس ونحن نزور فرانسواز صاحبة ابنتى منى، في أبيثيا وبونيار (شمال أسبانيا)، في المنوات مقابل أبو صير، في الفيوم، في ذهب، في العين السخنة، في أعلى المقطم حيث أكتب الآن؟ في رأس الحكمة،

الانفعال الذى حل بي نتيجة موقف زوجتى الطبيعى من رغبتى هذه التى أرخج أنها تعلم شطحها الناشز هو الذى نبهنى من جديد إلى جذية مسألتى هذه، ومع ذلك فكل هذه البصيرة، وهذا النظر وهذا التنبيه لا تمنعنى من الاستجابة للحنين إلى حضنه."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 173 - 174

لاحظ: أن الكوخ هنا "حُضُنْ حان".

.....

(6) "..... أتهيأنا أكل المسقعة والزيتون الأسود في صمت تعرف زوجتى معناه ومضاعفاته، وانطلقنا إلى الشمال، رحت أتابع لافتات تقول سالونيكى وأخرى كاتيرينا والثالثة "باراليا" من أعلى إلى أسفل على التوالى. (الأسفل هو الأقرب). الصمت يزداد ثقلا وثرثرة معا. صورة الكوخ تراودنى وكأنها "الحل". لم يعد هناك أى شك في أنى أمارس - طول الوقت - "برنامج الذهاب والعودة" مع جذب متزايد نحو "الركن البعيد الصغير" "الواعد بنقلة ما"? ليس مهما إلى أين، لكننى لا أستطيع أن أوقف هذا الإلحاح الواعد أن هذا الكوخ، هذا الركن الصغير القصى سوف أخرج منه مختلفا حتى لو لم أكتب حرفا. بالذات لو لم أكتب حرفا. لو رصدت كم عدد من المرات حرك هذا الجذب المعاود خيالى نحو شئ ما، أمر ما، كشئ ما، شئ لم أعرفه أبدا، لوجدتها بلا حصر..."

- الترحال الثانى: الفصل الرابع ص 174

لاحظ: عدم ضرورة الوعى به أو اشتراط إنجاز بذاته.

* * *

مقتطفات أخرى

بداية باكرة للوعى بهذا الحنين للحوح

(1) لم يكن هناك امتحان بين سنة أول وسنة ثانية طب، كنت في الحديقة التى اتخذها أبى بمثابة ركنه الصغير هو أيضا (هذا ما أتبينه الآن بوضوح). حجرتان لا تسعنا نحن السبعة مجال، ومع ذلك اضطررنا للانتقال من منزلنا الكبير وسط القرية (ثلاثة أدوار كل دور ثلاثة حجرات). لم يضطرنا أبى، بل أظن أن أمى، وربما أخى الأكبرهما اللذان وجدا أن هذا هو الطبيعى. هاجر أبى من بيتنا الكبيردى الثلاثة أدوار غير البدروم إلى هاتين الحجرتين العتيقتين في تلك الحديقة التى تقع

مقابل المقابر مباشرة، - ذكرت ذلك قبلاً - وكان ثمة مقابر متفرقة بينها مفتوحة بسبب الإهمال أو فعل الذئاب، وكنت في حاجة إلى عظام آدمية من التي ندرس عليها التشريح، وكنت أحصل عليها ببساطة، وبوفرة تكفي وتزيد حتى أهدى زملائي القاهريين بعض ما يفيض عني. لم يكن يعتريني أى تردد أو خوف من تلك المقابر، أتذكر الآن كيف كنت أنسى وأنا أبحث عن عظمة ذراع أو فخذ، أنها مقابر أصلا، وأنها بقايا أعضاء بشرية فعلاً.

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 174

لاحظ: الوالد - الركن - القبر - السن!!

.....

(2) ".... في يوم ماء، في ذلك الصيف البعيد (1951)، سافر والدي إلى إخواني في القاهرة، وكانوا لم ينهوا امتحاناتهم بعد. أخطرتني أنه سيغيب يومين. وجدتي وحيداً، وبدون أى سبب، تحت شجرة مانجو عتيقة جداً، وجدتي أبكى بحرقه صادقة، ثم أفقت منتشياً وأنا أشعر أن وحدتي تتعمق بشكل رائع، فزحنت أتغزل فيها وكأنني عثرت على كنز عظيم، سجلت ذلك كتابة (على ما أذكر. على الرغم من أنني لم أجد له أثراً في أوراقى المبعثرة). حين ذهبت بعد ذلك إلى إحدى المقابر وحدي أستكمل بعض حاجتي من العظام، شعرت لأول مرة بهذا الجذب المريح الواعد، كانت لحظات عابرة لكنّها شديدة الوضوح، ثم نسيت الأمر تماماً، ولم أتذكره إلا الآن وأنا أعد هذا العمل للنشر (2000/6/7) بعد اكتشافى فقد مسودة هذا الفصل.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: كيف أن الجذب مريح واعد بعد انفعال عنيف عارم برغم أن خلفية الموقف هي تجميع عظام الموتى، أو ربما كان هذا سبب مثير في ذاته.

.....

(3) "... حتى حجرتي عند مدام كومباليزيه في الحى الثامن عشر قرب المونمارتر في باريس، اكتشفتُ الآن أنها كانت ركناً قصياً على طرف المونمارتر، بعيداً عن زملائي في الحى اللاتيني، وبعيداً عن كل ما هو قريب، كانت ركناً على طرف الدنيا، وليست حجرة في شقة. حين أبتعد، أقترب.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: "كانت ركناً على طرف الدنيا، وليست حجرة في شقة، حين أبتعد أقترب".

.....

(4) "... لا تكتمل صورة الركن عندي إلا إذا كان صغيراً (حجرة واحدة عادة) ملحق به، (الأفضل: في داخله) دورة مياه خاصة بهما، مهما صغرت، ونافتين على الأقل إحدهما بجرية،

بمجرد أن أجد نفسي فيه (ولو تخيلاً) أهدأ وأترك نفسي لها، لكنني لا أستكين كما يتبادر إلى الذهن، بل سرعان ما يبدأ نزوعي إلى حركة جديدة يقظة متحفزة، لكنها ليست حركة ضجرة ولا حوح.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: الانتباه إلى أن الركن - عادة - لا يكون ركنًا إلا إن كان صغيراً.

.....

(5) " .. أحياناً أتصوّر نهاية المطاف بعد التقاعد الاختياري أو الاضطراري فأركن إلى ركن خيالي وهات يا كتابة، أيضاً ذهاباً وعودة، وتقفز احتمالات ما لا أعرف بعد مشواري الطويل الذي خدعت نفسي فيه بمواصلة معرفة المتاح.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 175

لاحظ: ظهور برنامج الذهاب والعودة.

.....

(6) " .. بعد صمت ثقيل، قطعنا فيه مالا يقل عن ثلاثين كيلو متراً اكتشفت أن اسم البلد الأقرب لهذا الكوخ الملوح هو "باراليا"، قلت لزوجتي فجأة، وكأنني نسيت كل ما اهدت إليه بصيرتي مما سبق، قلت لها جاداً مكفهرًا في غضب لا يتناسب مع كل ما اعترفت به لنفسي عن نفسي: "إذا ميت، فأخبري أحد الأولاد أنني كنت أريد أن أبيت هنا في هذا المنزل على الشاطئ تحت أقدام هذا الجبل، ولو ليلة واحدة." لم ترد، ولم أشك أنها أخذت كلامي مأخذ الجد، ومع ذلك أكملت: أنا أعني ما أقول، اعتبريها وصية، البلد اسمها باراليا، والمكان هو مجوار أقرب محطتها في اتجاه لامبيا، ثم أضفت أيضاً: أو ربما تمكنت يوماً من العودة إليه وحدي. زاد صمتها غوراً واحتجاجاً، ورجحت - كما فرحت - أنها لم تشعر بالذنب، وأحسب أن هذا من أهم ما حفظ علينا حياتنا، حيث أتصور أن ما أمارسه معها من "تأثيم" كان جديراً أن يخرّب بيوتاً كثيرة، ونفوساً كثيرة، لكنها كانت دائماً أطيّب، وأظن أقوى من حركاتي تلك.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 175 - 176

لاحظ: أن الحنين يمتد بعد الموت وفي ما يشبه الوصية.

.....

(7) " .. الجو بيني وبين زوجتي مازال مكفهرًا قبيحاً، كأنني أخرجت فعلاً من رحم مزعوم قبل موعد الولادة الطبيعية، ولادة مبتسرة دون حضانة حانية ولو صناعية، أنا لم أدخل هذا الرحم المزعوم أصلاً فكيف تكون الولادة دون حمل، حتى لو كانت مبتسرة؟.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 176

لاحظ: اقتران الركن بالرحم بالولادة .

.....

(8) "...مع انفراج الطريق انفرجت أزمة الولادة المتعسرة بالاستسلام إلى الأمر الواقع. يبدو أني ولدت خطأ، ولدت في غير أواني، إما قبله وإما بعده.

هذا الجذب اللحوح، أحلام الرحم، نص (برنامج) "الذهاب والعودة.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 176

لاحظ: أحلام الرحم

.....

(9) "...لم انتبه - كالعادة - إلى محتويات السوق الأعظم (السوبر ماركت) الذي ظل مفتوحا حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل في هذه البلدة الـ "أسراجاليا"، لكن مجرد التواجد وسط الناس، وشراء بعض الفاكهة وبعض التذكارات كان كافيا لعودتي كما كنت قبل حكاية "الركن القصي، والجذب اللحوح".."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 178

لاحظ: كيف أصبحت حكاية الركن القصي والجذب اللوح علامة فارقة تتأرخ بها مراحل الرحلة .

.....

(10) "... ما هذا؟ لماذا؟ فسحة هي؟ رحلة؟ أم قهر ذاتي بلا مبرر؟!

كل ذلك لأنني لم أتمكن من الاستجابة لوهم جذب الركن القابع في داخلي أسقطه على أي زاوية مهجورة، وأنا على يقين من أنني لو أمضيت فيه عاما أو سبعة أعوام (مثل باتيست جرينوي- العطر. قرأته لاحقا. سبتمبر 2000، باتريك زوسكن. خفت) سوف أغادره وأنا أبحث عنه من جديد؟.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 179

لاحظ: الركن القابع في داخلي، ورغم وصفه "بوهم جذب الركن... الخ"

.....

(11) "...أذكر أثناء عودتنا ذات سفرة من سوريا عبر عمان أنني فكرت فجأة أن أخرف إلى البتراء، وكنت قد زرتها قبل ذلك مرتين على الأقل، لكن مثل هذه الأماكن لها جذب خاص،

أقل إلحاحا من نداء الركن القصى اللوح. في هذه المرة ضللت الطريق، حلّ ضباب كثيف كثيف، وكنا بين المغرب والعشاء، وكنت أحسب أن الضباب لا يتواجد إلا في الصباح، ثم بعد عدة خيرات خطرة عرفت أن الضباب قد يهجم في أى وقت ولو في منتصف الليل، و كانت هذه هي المرة الأولى التي يهبط علىّ فيها الضباب بعد المغرب مباشرة وكنا سنضيع، ولم نضع.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 187 - 188

لاحظ: الأماكن المتسعة الخالية لها جذبها المميز، لكنه مختلف عن نداء الركن الخاص.

.....

(12) "...بعد أن ودعت الرجل على باب القنصلية غير مصدق كل تسهيلات، التفت إلى زوجتي التي تابعت الحوار بقلب واجف، فهي تعلم أنني قد أعملها، احتارت هذه السيدة معي، أصر على الركون إلى الركن القصى الصغير يجتوي حتى أبدو أنني لن أخرج منه أبدا، أو أنطلق مستكشفا مغيرا طريقى وخططى وعودى مهما كانت المغامرة والصعوبات، ماذا تفعل هي في هذا البنى آدم هكذا؟.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 190

لاحظ: يجتوي حتى أبدو أنني لن أخرج منه أبدا.

.....

(13) "...رجل الفندق ذو الساق الصناعية في حربيات يفرح أننا من مصر، يتكلم العربية الشامية أحسن من فلسطيني في العريش، يعزم علينا بجناح مكوّن من حجرتين وصالة بنفس مَنّ الحجر الواحدة، كنوع من الكرم، فنقبل من باب الطمع، ولكن ما إن ندخل إليه حتى نجدنا كأننا في شقتنا في مصر، ما هذا؟ نحن نريد أن نساfer لا أن ننتقل من شقة إلى شقة؟ ونرفض عطية الرجل شاكرين ونفضل الحجر الصغيرة المطلة على الجبل، وتشاركني زوجتي الرفض، فأنظر إليها متئبا، هل أصابتها عدوى الحنين إلى الركن الصغير؟.."

- الترحال الثاني: الفصل الرابع ص 194

لاحظ: "عدوى" الحنين إلى الركن

.....

(14) "...ليكن كل ما قلته ليس له أساس من الصحة، لكنني سأجعله صحيحا بما أفعل الآن وما أقرر. فقررت أن تمتد الإجازة لغير ما سبب إلا أن أكمل انتهاز هذه الفرصة، فأجعل وجودى المنفرد هكذا لهذه الفترة هو ركنى إياه، لكنه ركن وسط الناس، ركن سرى، وسوف يريد هو ما أريد..."

الخميس 1993/6/24

- الترحال الثاني: الفصل السادس ص 282 -

لاحظ: تخليق الركن السرى إراديا وسط الناس

.....

(15) "... في هذا الجو هنا في مونترية، بدت لي الطبيعة مساحة مجسدة، هذا الفجرالمتد أجول فيه - جالسا - هو لا يمر بي، بل أنا الذى أجول فيه. أجول في الفجر وأتبين الخيط الأبيض من الأسود منه. هذا التشرنق الخالى الذى لم أعده من قبل في رحلاتي السريعة الإيقاع كان فجرا خالصا. الركن الذى كنت أسعى إليه دائما أبدا ثبت أنه موجود بداخلى طول الوقت، أستطيع أن أنصبه وسط أى زحام، أدخله في جوف الليل أوفى عز الظهر، حين يطلع على الفجر ولا أريد أن أغادره أستعى الليل إلى داخله، حتى طلوع الشمس لا يستطع أن يقتحمه. ياه !! فلماذا كان كل ذلك الإخاح من قبل. هل الخل هو أن يعثر كل منا على ركنه بداخله ليطمئن أنه يمكن أن "يكون" وسط كل الناس دون أن يقتحمه أحد دون إذن. أكتشف أيضا أن الفجر أحلى من الشروق..."

كانت شرفتي على شاطئ هذه البحيرة في حضن الجبل فجرا خالصا.."

الترحال الثاني: الفصل السادس ص 286 - 287

لاحظ: لاحظ كيف أن الحجرة الصغيرة - اختيارا - قد جمعت بين التشرنق والجبل والبحر فكانت "فجرا خالصا".

.....

(16) "... طلبت من صديقى الذى كنت أزمع زيارته في رين أن يحجز لي حجرة في الريف الفرنسى الشمالى عند أسرة فلاحية أقضى فيها أغلب إقامتي في فرنسا هذه المرة. أنا أحتاج إلى نقلة شديدة إلى أقصى الجانب الآخر، ياه !! أين اكتشفت أنني تخلصت من هذا الجذب الملح إلى الركن القصي، وأنه في داخلى وأن هذا الجذب إلى الركن في الخارج لم يغنى شيئا، وأنه وأنه...؟؟ يبدو أنني مازلت غير مطمئن إلى مصالحة باريس. الخصام السابق أدى إلى أن يجتزل باريس إلى الطقوس المعادة، والوجوه المتلفتة إلى غير وجهة، والخبز الذى أصبح يصنع في مصر فلم أعد أشتاق إليه. ليكن ريف فرنسا في الشمال هو رحلتى إلى داخلى أكمل بها..."

الترحال الثاني: الفصل السادس ص 288

لاحظ: ثم اقرأ بدقة.. "كيف أن الرحلة الأهم هي إلى الداخل..."!

.....

وبعد

هكذا توقفت عن مزيد من المقتطفات وإنى آسف على التكرار اللوح أيضا لكننى أردت أن أبين من كل ذلك ما يلي:

وبعد

هكذا توقفت عن مزيد من المقتطفات وإن آسف على التكرار اللحوق أيضا لكنني أردت أن أبين من كل ذلك ما يلي:

أولاً: حجم خبرتي الشخصية في جزء واحد من عمل واحد.

ثانياً: أنني كتبت كل ذلك دون أية رؤية للتنظير في تشريح النفس وتركيب البشر.

ثالثاً: أنني كنت أنتقل من ركني الداخلي إلى ركني الخارجي باستمرار حتى أنني أحيانا كنت أعجز عن التمييز بينهما.

رابعاً: أنني أرجح الجذب إلى الركن الخارجي ليس مجرد إسقاط للحنين إلى الركن الداخلي.

خامساً: أن الركن ليس "مكاناً" يقدر ما هو "حيز محدود من الأمان" سواء كان مكاناً أو زماناً.

سادساً: أن الركن يمكن أن يتواجد وسط حشد من الناس.

سابعاً: أن رحلات الداخل هي التي تعطي معنى وطعماً واحتمالاً لإبداع من رحلات الخارج.

ثامناً: أنني وضعت احتمالاً ضعيفاً ينبهي إلى ضرورة أن أفحص ما ذهبت إليه من تنظير خشية أن تكون المسألة برمتها أمراً شخصياً توطرت في تعميمه على سائر البشر.

...

وإلى الأسبوع القادم.

نرجع للمتن لنرى الوجه السلبي لسوء توجه هذا النزوع.

دراسة في علم السيكيوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
من وحي ديوان : الحوار النفسى

(تابع) الحالة الثالثة:

حين يصبح الركن قبراً لا ملائماً (1 من 2)

(1)

في النشرة الأولى من هذه السلسلة بينا أن الرجوع إلى ركن خاص هو طبيعة بشرية سوية، بل لعلها مطلوبة، وهي تجرى في النوم مثلاً، دون وعى كامل بها، ودون أن نسمى النوم ركناً مثلاً،

وفي النشرة الثانية، عرض الكاتب خبرته الخاصة جداً، والتي عبر فيها عن علاقته بهذه القضية وحنينه الجارف إلى الانسحاب إلى ركن دافئ حان، ولكن تبين أن هذا الانسحاب لا يكون آمناً إلا إن كان واعداً بعودة هي أقرب إلى إعادة الولادة، ومرة أخرى نذكر أن النوم الصحيح هو إعادة ولادة (الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور).

في الخلتين الحاليتين، اليوم وياكر، سوف نعرض الجانب الآخر من هذه الظاهرة، الجانب المرضى المعوق للنمو، الجاهز للانسحاب طول الوقت بمجرد التهديد بتكوين علاقة حقيقية مع آخر، سواء كان هذا الآخر حبيباً أو صديقاً أو زوجاً أو معالماً.

نعيد التذكرة ونحن نعرض هذه الخبرة بطبيعة هذا المتن، من حيث أنه لا يتعرض لحالات معينة، لا هي واقعية تماماً، ولا هي حدثت كما جاء في المتن، وإنما هي محاولة تشكيل لهذه الظاهرة أو تلك في صورة شعرية استلهمناها من هنا وهناك،

هذه الحالة تقول لنا عن الوجه السلبي لهذا النزوع إلى الرجوع إلى الرحم.

الموقف في العلاج النفسي:



ماذا يمكن أن يحدث في العلاج النفسي، وهو يهدف أساسا إلى تجاوز هذه العودة الجبائنة المتكررة بلا رجعة حقيقية، والتي أسماها المتن هنا (وفي كل هذا الفصل) "الموت"؟

هو موت نفسي، فهو لا يعني الموت الذي هو إعادة بعث، ولا الموت باختفاء الجسد الذي تبين لي مؤخرا أنه أرقى بكثير من الموت النفسي: الجمود العدم الذي نعنيه هنا.

قلنا وزدنا وأعدنا أن الحياة حركة ثنائية دائبة، وأن العلاج النفسي ليس إلا تحريك للحياة في اتجاهها، وأننا لا نكون بشرا إلا إذا مارسنا الوعي بأننا كذلك، مع من هو غيرنا من البشر الذي هو أيضا كذلك، وأننا إنما نمارس حياتنا "معا"، لكي نكون كذلك،

نكرر، ولن نمل، أن الكائن البشري قد صار مرجعا في أنه يعي أنه حي، وأنه ناطق، وأنه قادر من خلال اللغة وغيرها على التواصل مع آخر يحمل نفس الصفات، وأن هذا هو السبيل للنمو المضطرد في نبض حيوي حتى نهاية الفرد لتستمر الحلقات في أجيال أخرى، فإذا حال حائل دون استمرار هذه المسيرة، فهو المرض.

المرض النفسي من هذا المنطلق وقفة مؤقتة أو دائمة، وهو أيضا حركة إلى الوراء، وهو تفكيك دون تشكيل ناجح، مع احتمالات اندمالات تهدم الحركة باضطراب، وأيضا مع احتمالات خدعة التظاهر بالحركة الزائفة في الحلق، وهذا ما نسميه في هذا العمل بالذات في أكثر من موقع، نسميه الموت، (النفسي) الذي هو موضوع الفصل الأول كله (تحت الاسم الأقدم: سبع جنازات)

العلاج النفسي هو محاولة لتفادي هذا المصير، بتعديل هذا المسار السلبي.

العلاج إذن هو:

تحريك الوقفة،

وفك العرقلة،

وتشكيل التفكيك،

وتحويل المسار إلى وجهته

الشائع - كما ذكرنا- هو أن العلاج "ترييح" و"تسكين"، ليكن الترييح خطوة على طريق العلاج أحيانا، لكنها ليست العلاج كل العلاج، العلاج هو **استعادة حركية الحياة** بكل ما تحمل من راحة وألم ومخاطرة وتواصل وافتراق وعودة.

العملية العلاجية لا تسير هكذا ببساطة، ألعابها والتواءاتها وخدماتها هي بلا حصر، مهما بلغت النوايا الحسنة، ومهما بدا نشاط الحركة، فقد تكون الحركة في الخلل (كما في الحالة الأولى من هذا الفصل، "من شطى لشطى")، وقد تمتد أكثر قليلا لكنها لا تتخطى مرحلة إعادة النص (سكريبت)، وهو ما يشير إلى أن خطوات معينة تعاد باستمرار لتنتهي إلى نفس النقطة، فينغلق النمو، بمعنى أنه لا يحدث أي تغيير مهما ضؤل، بسبب الانتهاء بعد كل دورة إلى نفس النقطة.

هذا الخداع وذلك التلاعب لا يقتصر على الكيان الفردي، بل قد يتورط فيهما نوع "من الأحياء" بأكمله، فيتوقف تطوره أو ينقرض

الفرق بين ما عرضنا في الحلقتين السابقتين، وبين هذا التراجع المرضى هنا إلى ركن قبر يمثل ما هو ضد الحياة خوفا من التواصل، هو الفرق بين الصحة والمرض، وعلى قدر ما يطمئن هذا الشخص إلى أنه قادر على التراجع تماما، تكون حركته - الظاهرة- نحو الآخر. الشرط هنا يُعلن من البداية هكذا:

الركن بتاعى متحصّر،

حارجعلهُ واسيبكم،

ساغتين احس بُكم.

حافظلُ كدُهُ

طالع... نازل،

زى اليُو،

كدُهُ.

هذا الموقف لا يُعلن بداهة هكذا في العلاج النفسى، وإنما يستنتجه المعالج حين يلاحظ أن مريضه جاهز لأن ينسحب بمجرد أن يتهدد بالوعى بأن ثمة علاقة تنمو بينه وبين الطبيب. النص (السكريبت) يحدث هكذا عادة:

يتقدم المريض نحو الشفاء (ظاهريا) فيبدي تفهما، ويحاول تواصل، ويقترب من الواقع، ومن الآخر، ولا يعلن شروطه السلبية هذه صراحة، حتى لو كانت جاهزة من البداية بداخله، وهو عادة لا يعرفها، بل هو ينكرها إذا ووجه بها، ويتساءل أيضا، ومعه حق "إذن لماذا حضر للعلاج؟" ثم إنه عادة يبدو وكأنه يستجيب بشكل نشط للعلاج، لكن عند مأزق النقلة النوعية، سرعان ما يرجع إلى موقفه الأول بكل عنفوان مقاومته، إن تصریح داخله هكذا: "أنه لا يفعل شيئا إلا أنه **يطلع وينزل مثل اليويو**"، هو الضمان الذى يشجعه على استمرار المحاولة مطمئنا أنه لن يتغير.

وهكذا ينقلب العلاج إلى ما يشبه تزجية الوقت، ما لم ينتبه المعالج ويحاول كسر هذه الحلقة.

دور المعالج:

المتن هنا ليست وظيفته أن يبين كيف يمكن كسر الحلقة بقدر ما هو معنى بتجسيد صلابة ونوع لعبة المقاومة من هذا النوع.

يمكن للمعالج أن يدرك أن التقدم خادع، وأنها لعبة اليويو (طالع نازل) التي لا تنتهي أبدا حين يلاحظ رجوع المريض إلى نفس المستوى الوجودي/السلوكي السابق تحت أى تهديد بالاقتراب أو بالتواصل، فإذا تكرر ذلك مرارا فإن المسألة لا تصبح علاجا تطوريا نهائياً بقدر ما تصبح تأجيلا وتسكيना (وهذا طيب شريطة أن نعرف ذلك، وقد نقبله)

كل معالج، خصوصا من ينتمى إلى العلاج من منظور النمو، يعرف هذه الخيرة: خيرة التحسن الخادع برغم ظاهر حسنه، تحسن كأنه الواجهة التي أعيد دهانها دون تغيير حقيقي والطبيب قد يلاحظ تكرار ذلك باستمرار،

هذه المقاومة هي من أعنف أنواع المقاومة التي تبديها الشخصيات الشيزيدية بوجه خاص، إذ أنها شخصيات سريعة الاستبصار، تلتقط بسرعة ما يهدف إليه المعالج، وتستجيب بحماس واضح على مستوى الأمل والرؤية والكلام والعقلنة، ولكنها تفعل ذلك لأنها واثقة من امتلاك آلية الانسحاب فور الطلب، وحين نستمع إلى داخل داخلها نجد المبرر جاهزا، والمناورة معدة (كما رأينا في الحالة الأولى: من شطى لشطى)،

لا يوجد مجال للاتهام هنا، كما يفعل بعض المعالجين (إنت للى مش عايز تعمل علاقة أهه، = ها أنت لا تريد عمل علاقة مع آخر)، ذلك أن المريض (أو الشخص) المقاوم لهذه الدرجة عنده مبرراته، ربما ترجع لتكوين غائر في صورة برنامج جاهز ولد به، وربما خيرات سابقة رسخت الخوف من الاقتراب الحقيقي والتواصل، وربما لهذا وذاك معاً، ومن ثم فإن أية نقلة نوعية في اتجاه تواصل حقيقي مع الآخر، حتى أثناء العلاج مع المعالج، هي نقلة مرعبة، بلا ضمان،

وهذا هو المتن يعلن لنا ما يقوله داخل هذا الشخص في هذه الحالة في الفقرة التالية:

أصل انا خايف.

أنا خايف موت،

أنا ميتت خايف.

لكن قولى:

هو الميت بيخاف؟

طبعا بيخاف،

بيخاف يصحى.

وغدا نكمل استلهام المتن ونحن نتدارس أى موت هذا الذى نخاف أن نصحو منه.

الإثنين 05-08-2009

705- حين يصبح الركن قبراً لا ملاذا (2 من 2)

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
من وهي ديوان : أنوار النفس

(تابع) الحالة الثالثة:

حين يصبح الركن قبراً لا ملاذا
(2 من 2)

المتن

أصل أنا خائف.

أنا خائف موت، أنا ميت
خائف.

لكن قولتي:

هو الميت يخاف؟

طبعاً يخاف،

بيخاف يصحى.

ذكرت أمس أن "هذه الاستجابة الجبارة المتكررة بلا حركية حقيقية ضمن برنامج الذهاب والعودة، هي "الموت- حياً"!! هو موت نفسي، وهو عكس الموت إلى إعادة بعث، ولا هو الموت باختفاء الجسد، الذي تبين لي مؤخراً أنه أرقى بكثير من الموت النفسي الجمود العدم الذي نعنيه هنا.

يبدو أن الموت النفسي ألعن من الموت الذي نعرفه، ثم أن تعبير "أنا خائف موت" هنا، وعموماً، هو تعبير قد يشير إلى تجسيد حيلة دفاعية نتيجة الرعب الذي تواجهه بعض الحيوانات

الأدنى باللجوء إلى التجمد الساكن بجوار الأحجار أو الأشجار، حتى يحسبها المهاجم حمداً، وتصبح الحركة في هذه الحال مساوية للتلتهام من المغير الأخطر.

أما تعبير "ميت خايف" فهو تعبير غير مألوف، لكن الشطر التالي مباشرة يبين هذا النوع الأعمق من الخوف، ذلك أن الذى تصلب خوفاً، ليحافظ على نفسه بهذا الجمود الدفاعى، لا يلغى خوفه إذ تجمد، بل إنه يزيده ليحافظ على جموده هذا الذى يحميه. إنه يخاف خوفين: يخاف الخوف البدئى من المهاجم الذى تجمد حتى يتقيه، ثم إنه يخشى أن يتحرك من موقعه الثابت حتى لا ينقض المهاجم عليه بمجرد أن يتحرك فيتجسد في عين المهاجم كأننا حيا يصلح للافتراس.

الصحو الذى يخافه هذا الميت هو أن يستيقظ من موته الدفاعى هذا، فيتحرك، فيهلك.

امتدت آلية الدفاع هذه في البشر حتى أصبح الجمود والإنكار والهو هى الميكانزمات المكافئة للموت، وأصبح الخوف من الآخر وارد من حيث أن "الآخر" هو تهديد لكينونتي، لماهيتي، خريتي، هذا موقف نمر به جميعا في السنين الأولى بدءاً من الشهور الأولى ونحن نتحسس طريقنا إلى التواصل، وقد يفلح أغلبنا (المفروض يعنى) أن يتجاوزه إلى تحمل الآخر وهو يجفر سبيله إليه، ولكن إذا زاد الخوف من الاقتراب، وكان ميكانزم الانسحاب إلى الركن بهذه الجاهزية فإن المسألة تتجاوز مجرد الخوف والحذر إلى الانسحاب إلى الهكف بهذا الجمود هكذا (الموت النفسى)، وتصبح العودة إلى التواصل خطراً مضاعفاً، لأنها تمر من جديد بنفس الموقف (البارانوى) الذى أجبأ الشخص إلى الهرب في الجمود الكهف.

هذه العودة إلى الركن القبر، ثم الخوف من الصحو، هما من أهم ميكانزمات عرقلة النمو،

لكن المسألة هنا لا تتوقف عند هذا الخلل، بل إن الشيزيدى يتحایل لتغطية انسحابه ليس فقط عن الآخر، وإنما على نفسه أيضاً، بركة نشطة، يتوقف مدى نشاطها على مدى ضمان جاهزية الانسحاب إلى الكهف الجمود، مع ضمان إجهاض فاعلية حركية الذهاب <=> العودة

هذه الجاهزية للانسحاب الإجهاضى هى استعداد داخلى قوى، ونزوع واثق من القدرة على إلغاء التواصل بالآخر في أى لحظة.

قد يتم هذا الإلغاء بأن تنسحب العواطف من السطح، أو تشل فاعليتها تماماً، وهو ما يمكن أن نسميه "غطاء اللامبالاة"، هذا الغطاء هو بمثابة تصنيع جدار عازل، جاهز لتغليف النفس الحقيقية، كغطاء يقوم بدور الواقى ضد أى اقتراب أو اختراق من آخر، إنها آلية سحب المشاعر للداخل حتى لا تخاطر بالمشاركة التى تلوح باحتمال التواصل.

اللامبالاة حتى التبدل التى نصف بها عادة كثيراً من حالات

الفصام السالبة ليست سوى هذا الغطاء السميك الذى تكون ليخفى الرعب الساحق عن صاحبه من جهة، ثم ليحميه من أى احتمال للتواصل من جهة أخرى.

في بداية الفصام الحاد يتجسد هذا الرعب أعراضاً غامرة من الفزع والهلع، وتكون استجابة المريض رهيبية في مواجهة أى مؤثر يصله من خارجه، يبدو المريض وكأنه يتلقى المؤثرات الخسية لأول مرة، لا ليتعرف عليها ويستوعبها مثل الطفل حديث الولادة، وإنما ليخاف منها وينسحب بعيداً عنها إلى ركنه (قبره)، أو ليختبئ تحت غطاء لا مبالته.

في العلاج النفسى المكثف حالات الفصام نحتال لكي نخترق ستائر هذا الموت الظاهر الذى يخفى وراءه كل هذا الرعب، وكثيراً أثناء محاولة الاقتراب غير المحسوب جيداً نفاجاً بتفجير قدر هائل من المقاومة ومزيد من الإنكار فالبلادة، فإذا تواصلت المحاولة، وكسرنا حاجز اللامبالاة ونحن نشارك ما بالداخل دون توقف عند صد الخارج، فقد نواجه بشكل مفاجئ بتفجير درجة غامرة من الهلع المريع، والتوجس المتلفت، وقد يعقب ذلك مباشرة هياج مفاجئ حتى التحطيم، وهذه هى حركة الذراع الأخرى لإلغاء "الأخر" الذى يمثل كل هذا الخطر بمجرد وجوده أو اقترابه، الجمود والهجوم هنا هما وجهان لعملة واحدة،

تطبيقاً لهذا التأويل يمكن أن نرى بعض حالات العدوان التى قد يقدم عليها الذهاني، وكيف يتواتر القتل مثلاً أكثر بالنسبة للأقرب فالأقرب، لأن التهديد هنا يأتى من الأقرب لأنه هو الذى يهدد أسرع بعمل علاقة، قد يترتب عليها تحريك الحياة في ميت أمين لموته، فهو الرعب حتى الهجوم وربما القتل.

من هنا يمكن الانتباه كيف أنه علينا أن نتأني طويلاً قبل أن نحكم على مريض أنه "متبلد الشعور".

"الشعور لا يتبلد، والعواطف لا تنعدم"، وإنما هى تختبئ حماية وانسحاباً،

هذا الفرض جدير بأن يجعل الطبيب يتعامل مع المريض محترماً حتى تبلده، لأنه - بحسب هذا الفرض، يكمن وراء هذا التبلد الظاهر عواطف ووجدانات زاخرة بكل الصدق والألم، والرعب، وهى تظل موجودة نابضة في الداخل برغم كمونها، حتى لم يصلنا منها إلا ذبذبة بعيدة بعيدة تحت غطاء من اللامبالاة والتبلد.

في بؤرة هذه العواطف الهاربة يكمن الخوف، وبالذات الخوف من الحركة، الخوف من اليقظة، الخوف من البعث، الخوف من احتمال العودة إلى الحياة المليئة بالآخرين الخطيرين!

إن أخشى ما يخشاه مثل هذا المريض (أو الشخص) هو أن يتعرض خيرة إحياء مشاعره، ومن ثم احتمال استقبال أو إرسال بعضها، بما يترتب على ذلك من التهديد بعمل علاقة حقيقية بأى شخص حقيقى.

إذا ما تبني الطبيب النفسي هذا الفرض، أو استوعب هذه الاحتمالات، فإن ذلك قد يكون خليقاً أن يجعله:

1- يحترم اللامبالاة، بل وحتى يمكنه أن يحترم ما يسمى بالموت النفسي، فلا يتعامل مع هذا أو ذاك باعتبار أن أياً منهما هو مجرد مظهر سلبى لاختفاء المشاعر والبلادة.

2- يبذل جهداً آخر من نوع آخر، للنظر فيما وراء هذا الجدار الواقى للمريض ضد التواصل الخطر (من وجهة نظر المريض).

3- يتأنى في محاولة اختراق هذا الجدار إلا بعد أن يلتفت حوله لعله يوصل للمريض أية درجة من الأمان قبل محاولة كسره.

4- لا يُحبط إن هو فشل في كل ذلك، باعتبار أن المريض إنما يستعمل حقه في استعمال ما تيسر من دفاعات، بما في ذلك اللامبالاة حتى الموت (النفسي).

امتداد الخوف من التواصل حتى العلاج الجمعى

العلاج الجمعى، المفروض يعنى، هو أقدر على اختراق صعوبات التواصل هذه أكثر من العلاج المقتصر على الطبيب والمريض فقط، (العلاج الفردى)، ذلك لأنه من المفروض أنه حين يكون الاقتراب متعددًا، والائتناس وارداً من أكثر من مصدر (آخر)، وتكون اختبارات نتائج الاقتراب ممكنة ومعلنة وأنية بقدر ما، تكون الثقة متاحة، والخوف أقل. لكن الشيزيدى، أو داخله على الأقل، تزداد مخاوفه كلما ازدادت مصادر واحتمالات تكوين العلاقة، هذا الداخل يتعامل هنا في المتن مع محاولات التقارب في العلاج الجمعى بسخرية لاذعة، وهو يعلن أشكالاً من المقاومة والشكوك بشكل آخر، من نوع آخر، حيث يصف محاولات الاقتراب والحوار بأنها أشبه باللعب لتزجية الوقت أو تبادل الخداع، فهى أعجز من أن تقدم عرضاً كافياً يسمح بأى درجة من الأمان.

بالأبنا نلعب يا جماعة لعبة "هילה هُب".

نقعد مع بعض.

قال إيه، ونحس،

وكلام للصبح،

ونقول بنحب.

من أكثر ما يقع فيه المعالج النفسى الجمعى (المبتدئ عادة) هو أن يلجأ إلى استسهال استعمال تلك الألفاظ الشائعة، برغم بريق مضمونها، مثل "الإحساس" أو "الخب" أو "التعاطف"، في أحيان كثيرة قد يصبح المعالج في مريض ما: "يا أختى ما تحس بزمايلك" مثلاً، أو قد يتبادل أفراد المجموعة كلمات "مثل" "أنا احبك أكثر"، أو "أنا شاعر بيك جداً"،

وكلام من هذا. كل ذلك مقبول لأنه لا توجد ألفاظ أخرى بديلة، لكن الصورة التي أوردتها المتن هنا تنبهنا إلى ضرورة أن يكون وراء كل هذه الألفاظ ما يجعلها قادرة على تسهيل فعل التواصل، أو الحفز للسير على أرض الواقع، وإلا فالمسألة تصبح - كما تعلمنا من المريض منذ قليل- أشبه بتزجية الوقت. نتذكر في الحالة الثانية في هذا الفصل كيف كان اعتراض المريض على الطبيب الذي يكاد يطلب منه أن "يجس" بالنار من تحته، وأن يقتدى به إذ هو يجس بآلامه، وقد أسماها المتن سخرية "بجلاوة رجحتك"، الفقرة هنا تتعلق بمثل ذلك.

أيضا تذكرنا هذه الفقرة ما جاء في مقدمة الكتاب من التنبيه إلى أن العلاج النفسي ليس مرادفا لما هو: "علاج بالكلام"، فالكلام يمكن أن يستمر طول الليل، (حسب المتن هنا) بلا جدوى .

إذن ماذا؟

فيها لآخفيها، أنا فين بيها،
ما هي مش موجودة من أصله.
قدّم رجل تَغُوص الثانية،
دانا كل ما زاد الناس،
باغطس وبدون إحساس

بالرغم من كل ذلك، وبالرغم من يقظة داخل هذا الشيزيدي هكذا، فإنه قد لا يمانع - ساخرا- من المشاركة، بل إنه قد يشارك متحمسا سواء للكلام، أو للانضمام لمجموعة تعان مثلها، لكنه يكثف رؤيته الساخرة من البداية حتى تغل كل حماس، وتجهض كل احتمال لأي تواصل، فهو يعلن بذلك أنها مشاركة مستحيلة حيث أنه غير حاضر فيها أصلا. برغم ما يبذل من جهد من معظم الأطراف، لكن - من وجهة نظر هذا الشيزيدي الساخر- يظل كل واحد في خندقه بعيدين عن بعضهم البعض.

ثم إن افتقاد المريض للثقة الاساسية تجعله دائم التساؤل عن موقعه في المجموع أو حتى بالمجموع "أنا من بيها"، برغم حماسه البدئي "فيها لآخفيها"،

ننبه هنا إلى أنه بالرغم من كون العلاج الجمعي يعطي فرصا أكبر لتنمية التواصل بين عدد أكبر من البشر، إلا أن المسألة لا تحقق أهدافها بمجرد النقلة من علاقة ثنائية، إلى علاقة متعددة - أفراد المجموعة بما في ذلك المعالجون - لأنه أحيانا ما تكون كثرة العدد بمثابة فرصة للهروب في محيط مائع غير محدد، ضد قواعد ممارسات العلاج الجمعي التي تؤكد على قاعدة: "أنا و أنت"، بقدر ما تؤكد على "هنا و الآن":
"دانا كل ما زاد الناس، باغطس وبدون إحساس"

ينتهي النص مثلما بدأ وهو يعلن أن ما يحول دون أي حركة نمو من خلال تواصل البشر مع بعضهم البعض هو هذا

القرار المسبق بالانسحاب السلبي المشروط والعودة لنفس الموقع الذي بدأ منه لا أكثر، وكلما كان هذا القرار عميقا وراسخا، فإن المريض (أو الشخص) يسمح لنفسه بأى اقتراب أو تفاعل شكلي، لأنه مطمئن إلى الفشل المريح في النهاية، بزعم طاعته لتعليمات العلاج، وأحيانا لأوامر وتوصيات المعالج.

كثيرا ما يفعل المريض ذلك كنوع من إرضاء المعالج لا أكثر، إما اعترافا بجميل ماء، وإما رشوة لضمان استمرار المسافة كما هي، وإما للفعل من حماس التدخل للتغيير، وهذا ما نختتم به هذه الصورة من المتن دون تعقيب لاحق:



ومادام الركن متحضر هنا تحت الأرض:
راح انط لفقو،
وأعدى الطوق،
وارضى القردا تى.
يشترزق.

وبرغم الرفض العميق لأى احتمال تواصل، علاجى حقيقى، فإن العلاج قد يستمر لمدة التعاقد (سنة عادة أو أكثر)، وقد ينخدع الطبيب بذلك وخاصة إذا كان متحمسا مثاليا آملا، وكأن المريض بإرضائه ظاهريا، يعفى نفسه من مخاطر التغيير،

.....

وأخيرا فإنى أعتقد ان كثيرا من الأطباء والمعالجين يحتاجون إلى الإنصات إلى داخل مرضاهم بشكل واع، دون اتهام أو تسرع، حتى لا تخدع حيل الطاعة، والامتثال، أو حتى اختفاء الأعراض

وبعد

بانتهاه هذه الحالة الثالثة وجدت فى نفسى عزوفا شديدا - ولو مؤقتا- عن مواصلة هذا المشروع بالذات من وحي ديوان "أغوار النفس"، على حساب ما خزنه سويا من مواد النشر الأخرى المتنوعة .

ما رأيكم ؟

عذرا

الثلاثاء 11-08-2009

711- العلاج النفسي الاستجدائى الاعتمادى

الحالة (الرابعة) :

العلاج النفسى الاستجدائى الاعتمادى

(الفردى والجمعى)

مقدمة :

أحيانا يبلغ من سوء فهم، أو سوء استخدام العلاج النفسى أن يصبح مجرد مجال لاستدرار العطف والشفقة واستجداء التقبل بلا شروط، هذا الموقف ينبغى التنبيه على مدى سلبيته، خاصة في ثقافتنا نحن التى تدعم الاعتمادية بشكل أو بآخر، سواء الاعتمادية على رئيس أو كبير أو سلطة، أو الاعتمادية على رمز أو مقام أو فكرة، صحيح أننا نؤكد أيضا رفضنا للمبالغة في التأكيد على الاستقلال الباكر والبالغ والممتد، وهو ما تتصف به ثقافات أخرى ومجتمعات أخرى، لكن لا يصح أن يصل السماح بالاعتمادية إلى هذه الصورة الواردة بالمتن.

في مجال العلاج النفسى يعتبر تمدادى هذا الموقف الاعتمادى مسئولية كل من المعالج والمريض على حد سواء، بل إنه مسئولية المعالج أكثر. هذه الاعتمادية قد تتمدادى أكثر فأكثر لتصبح بمثابة النكوص، فالسكون، فالموت النفسى الذى أشيعناه شرحا وتفصيلا في الحالات الثلاثة السابقة، النكوص هنا طفلى يتأرجح ملتذاء، وإن كان المتق قد عزاه ليعلن أن الأرجوحة قد صارت نعشا.

(1)

لله ياسيادى...

غيل غلبان...

مسكين تعبان.

يستاهل العطف والشفقة، وشوية حب.

(2)

نفسى اتمرجح، وارجع تانى أرضع مالبز،
واتلذ.

عأيز ابقى معاكم، شايلى شيد،
حتى على خشبة نعش.

هिला بيلا، يا خللى.

العلاج الجمعى المكلمة الدافئة "معاً":

إذا كان النكوص المتأرجح حتى الموت وارد فى العلاج الفردى
حيث الطبيب يمثل رمزاً كبيراً خليق بأن يعتمد عليه إلى كل
مدى، فهل هو أيضاً كذلك فى العلاج الجمعى؟

بصراحة: نعم، لكن إلى درجة أقل، صعب أن يتعمق هذا
النوع من الاعتماد فى "مجموعة من المرضى والمعالجين، تنبض
بحركية النمو،

لكن هناك نوع من (أو احتمال لـ) سوء استعمال
العلاج الجمعى فى هذا الاتجاه إذا طالت مدته، وكذلك إذا غلب
الحكى فيه على فعل التفاعل، وخاصة إذا انفصلت المجموعة
باعتقاد أفرادها على بعضهم البعض أكثر فأكثر دون سائر
الاجتمع، أقول هناك احتمال أن تدور المجموعة بكاملها فى
دائرة مفرغة (مثل تلك التى ذكرناها فى الحالات السابقة)،
فيتوقف النمو "بس ما نمشيش قدام"، ويتواصل اللف فى الحل،

التشبيه هذه المرة بالكلب الذى يحاول أن يمسك ذيلة
فيلف حول نفسه بلا توقف أو نهاية.

"دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهاره وليله" فما بالك إذا
كان هذا اللف هو داخلى وخفى فى بؤرة وحدة جافة وعزلة
مغلقة برغم التواجد الجسدى فى المجموعة "وانا ديلى لاقف
جوايا، ولا حد منكم ويايا"

(3)

خلينا مع بعض: نتوئس،

وندردش.

بس ما نمشيش قدام.

وحامشى ليه؟

ما تبص يا بيه:

دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهاره وليله،

وانا ديلى لافف جوايا،

ولا حد منكم ويأى.

الخوف من التمداد فى "حلم العلاج" التطورى

من مضاعفات العلاج الجمعي (خاصة النوع الذى نمارسه هنا) أن تنفصل المجموعة ولو مؤقتا عن الواقع، وقد ينتبه المعالج، وأحيانا مريض أو أكثر، إلى أن المسألة هى أقرب إلى الحلم، وأن الفرض القائل بأن ظهور الأعراض هو إعلان ضمني لاحتمال تحريك مسيرة النمو (فالتطور) هو فرض أقرب إلى الحلم، والمتن ينتهى هنا بهذا التنبيه الساخر، الذى يعلن صاحبه اعتمادية من نوع آخر، كأنه يقول: "اعملوها انتم واحتفظوا لى بنصيى "وان كنتمو مصرين قال يعنى، هاتوا حته"،

يتم إعلان هذا الموقف بأمانة فعلية، وليس بالكلام عادة - وذلك في صورة الإصرار على الحفاظ على مسافة بعيدا عن الآخر، والتمسك بحق الدفاعات العامة "خايف أقرب ولا أجرب، خليها مستورة أنا ف عرضك".

(4)

مش نِعْقل ونبطلّ غلم .

واذا كنتمو مُصرين قال يعنى،

هاتوا حته .

خايف اقرب،

ولا أجرب

خليها مسّتورة أنا ف عرضك .

* * * *

وبعد

قد أعود كل مرة بعد التقديم والشرح إلى جمع المتن مرة أخرى متماسكاً، اعتذاراً له بعد هذا التشريح القبيح المفيد.

المتن مجتمعاً .

(1)

لله ياسيادى ..،

غيّل غلبان...،

مسكين تعبان .

يستاهل العطف والشفقة، وشوية حب .

(2)

نفسى اترجج، وارجع تانى أرضع مالبز،

وأتلذ .

عأيز ابثقى معاكم،

شايِلَي شيلْ،
حتى على خشبة نَعَشْ.

هيدا بيلا،
يا خَلُّي.

(3)

خَلِينا مع بعض: نتونَّش،
وندرْدَشْ.

بس ما نيمْشيش قدام.
وحامشي ليه؟

ما تبص يا بيه:

دا الكلب بيجرى ورا ديله، هاره وليْلُه،
وانا ديلي لاففْ جَوَايِـا،
ولا حدْ منكم ويَّائْ.

(4)

مش نِغْقَل ونِطَلْ غلم.

واذا كنتو مُصْرِين قَالْ يعنى،
هاتوا حته.

. . .

. . .

خايف اقْرَبْ،

ولأْ أُجْرَبْ

خليها مَسْتورة أنا فْ عرضك

712- التحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة

الحالة (الخامسة):

التحذير من تعرية مؤلمة، بلا حركة مشاركة
أولا: تعرية الاغتراب اللذ (الموت النفسى)

المواجهة أثناء العلاج النفسى بأن الوجود المغترب (مرضاً أو فرطاً عادياً) هو موت نفسى بشكل أو بآخر، تعتبر من الصدمات العلاجية المفيدة أحياناً، البضارة غالباً إذا ما زادت جرعة التعرية فالرؤية فالألم، أو إذا ما أخطأنا فى اختيار التوقيت المناسب،

الحياة التراكمية الاغترابية تواصل مسيرتها بسلسلة من الرشاوى التسكينية والنكوصية، وبالتالي يتمادى الخمود حتى الموت (توقف النمو) تحت غطاء من اللذائذ المؤقتة المنفصلة عن بعضها البعض، وعن عائدها،

كان عنوان هذه القصيدة فى الطبعة الأولى هو "الموت السرى المتدحلب"، ذلك أن هذا الموت لا يسمى موتاً أبداً، حيث أنه يتسحب تحت عنوانين شديدة الرشاقة بالغة الإغواء، مثل اللهو التفريفى الصاحب، أو الجنس الذى يمارس لذاته "مزيكا - أو جنس يا ويكا"، بل إن لذة الأكل أو تعاطى المسكرات، قد تنضم بشكل أو بآخر إلى هذه النشاطات المغتريه حين تصبح أهدافاً فى ذاتها "كل واشكر" شامى بالفستق أو كفته وكبده وحته كيف"، كل ذلك قد يندرج تحت بند الرفاهية واللذة والمتعة والترييح، ليكن، ولنعتزف أنه لا يوجد ما يدعو فى الحياة العادية أن ترفض ذلك أو أن ننكر حقنا فيه "قل من حرم زينة الله التى أحلها لعباده والطيبات من الرزق"، لكنه حق مشروط بالتفرقة بين الغاية والوسيلة، بين حق المتعة تصعيدياً إلى متعة أرقى فأرقى وبين المتعة اللذيه المتوسط كنهاية للمطاف.

هذا العمى الجيد فى الحياة العادية يصبح معطلاً فى العلاج النفسى، لأن كثيراً من الأمراض النفسية إنما ظهرت لتعلن أو على الأقل تعزى التوقف عند هذه المرحلة اللذيه التراكمية المغتريه

الاعتراف للمريض بأنه على حق في رفضه هذا، برغم فشله في إعطاء البديل، قد يجعل بصيرته تحتد أكثر فأكثر فيتمادى المعالج في إعلان أن كل هذه المظاهر هي نوع من الموت الذى علينا - بالعلاج- أن نتحفز لرفضه بتعريته، لكن ليس بالمرض ولكن بفرصة العلاج.

وهنا يعلن المتن تلك المقارنة الساخرة بين آلام إعلان الموت علنا، وبين التسليم لموت خفى يتسحب تحت اسماء تدليل خبيثة.

لا يا عم. كده أحسن.

.....

أصل الموت علنا بيخُص.

ولا حد يقول، ولا حد يرد.

ولا فيه مزّيكا،

ولا جنس يا ويكا،

ولا فيه كل واشكر بالفستق،

ولا كفتة وكبدة وحته كيف،

ولا فيه تصنيف.

ثانيا: تشكيلات أخرى للاغتراب

يعزى المتن بعد ذلك تشكيلات أخرى لتجليات الاغتراب، ففي الفقرة التالية يبنه بسخرية أيضا إلى لعبة الاغتراب في الكلام وفي المناقشات وفي تبادل الآراء بلا آراء (طق الحنك)، وفي مظاهر الاختيار بلا حرية حقيقية لا تتجلى إلا في وجود بدائل للقرارات المطلوب الاختيار فيما بينها، وقدرة على التمييز، ثم على الحسم، ثم على اختبار نتيجة الاختيار، ثم على تحمل مسئولية هذه النتيجة واحتمال إعادة الاختيار .. إلخ بدون كل ذلك يصبح الاختيار مظهراً خادعا يضم إلى تشكيلات الاغتراب (موتا سريا متدحلبا) حتى لو سُمى حرية.

خَلينا كده نلعب فى السر،

قال إيه عايشين.

وأقول: "أنا رأيي يا جماعة".

وكإني عندي رأى صحيح.

وراح اعمل زى ما اكون باختيار.

أو أرفع حاجي وأنا محتار.

كده،.. شبّه الجُد.

ثالثا: التحذير من الإيلام دون فعل

حين تتعري الأمور هكذا في سياق العلاج النفسي تصبح مهمة الطبيب (المعالج) أن يواصل التحرك بعد التعرية أملا في عرض بدائل علاجية نمائية، وهنا يتجلى مأزق اختياري جديد:

إذا توقف العلاج عند مرحلة تعرية هذه التشكيلات العادية (الرائعة) باعتبار أنها ليست إلا اغترابا مكافئا لموت تحذيري (فرط الدفاعات المسكنه)، وأن المرض لم يظهر إلا لأن داخل المريض رفضها قبل أن يقوم العلاج بتعريتها، أو بإكمال تعريتها حد الألم، إذا توقف العلاج عند هذه المرحلة دون مشاركة حقيقية من المعالج تصبح المسألة أقرب إلى الفرجة والتجريح، أكثر منها مواكبة ومواجهة علاجية.

وقد يلتقط المريض ذلك - كما ورد في المتن - منبها باحتجاج ساخر إلى سلبية إعلان هذه الرؤية بتسميتها "موتا" تحت زعم رفض الاغتراب، دون طرح بديل مع البداية في التحرك نحوهما بلغت الآلام.

من هنا تأتي صرخة المريض ورفضه لزيف الاقتراب بعد هذا الاعلان (العلاجي) الصريح بأن المريض متوقف ومتراجع (ميت) بعد إجهاض ثورته (العادي)،

السخرية هنا ترفض هذا الموقف العلاجي المتفرج برغم صدق النية.

هذا التحذير الساخر هو تعرية بدوره للعلاقة العلاجية الرسمية "من سته لتسعة، ببعاد سابق" حين يُفرغ العلاج من المواجهة والمواكبة، لحساب تسمية المرضى وإعلان الوفاة والتحسر على ما آلت إليه حركته من سكون هامد.

يا أحيانا:

لما انت عرفت اني ميت، بتقرب لييه؟

ماتكونشي عايز تفرج؟

على إيه؟

عايـز تعرف ازاى الميت بيحس.

إزاى بيطلع حس.

ولا حاتاخذ تفاصيل النعى؟

تكتب إعلان ويخط اسود وبينط عريش:

"إن المرحوم كان واحد بيه،

ولاخذشى نصيبه في الدنيا ويا عيني عليه.

والمعزى من سته لتسعة،

بـ "معاد سابق."

رابعاً: إما الألم فالنمو .. وإما الموت الاختياري الطيب

أحيانا يصل اليأس بالمعالج، والمقاومة من جانب المريض إلى الإقرار باستحالة تحريك الجمود المتحوصل داخل سياج من الدفاعات الاغترابية، وهنا يصبح التمادى في تعتعة حركية النمو نوعا من مضاعفة الألم بلا أمل، ومن ثم يقفز المتناهي عن مثل هذا العبث بمعنى:

إما محاولة متواصلة جادة تحت كل الظروف باعتبار أن هذا الموت بالاغتراب هو دفاع مشروع قابل للتحريك بقدر بذل الجهد ومواصلة الصحة،

وإما تسليم طيب بحق المريض في اختيار الدفاعات التي تناسبه، حتى لو كان المرض هو الذي بدأ بتعريتها،

وليس من حق المعالج في هذه الحال أن يسمى هذه الدفاعات موتا مادام لم يواصل مع المريض ليحققا البديل.

إما التسليم بحق الاغتراب

وإما مواصلة مسيرة النمو العلاجي بلا توقف أبدا.

بس ما تئساش:

ضرب الميْت أكبر حُرْمه.

إزْرع صَبَّار جنب التربة،

والشيخ "عارف" يقرأ سورة الرحمن.

وبعد

إليكم المتن مجتمعا لعله يغفر لنا ما فعلناه به.
المتن مجتمعا.

(1)

لا ياغم. كده أحسن.

.....

أصل الموت علنا بيخُص.

ولا حد يقول، ولاحد يرد.

ولا فيه مزِيكا،

ولا جنس يا وِكا،

ولا فيه كل واشكر بالفستق،

ولا كفتة وكبدة وحتة كيف،

ولا فيه تصنيف.

(2)

خلينا كده نلعب في السر،
قال إيه عايشين.
وأقول: "أنا رأي يا جماعة".
وكباني عندي رأي صحيح.
وراح اعمل زى ما اكون باختيار.
أو أرفع حاجبي وأنا محتار.
كده،.. شبه الجند.

(3)

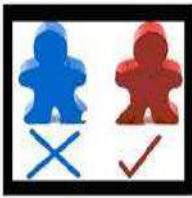
يا أختينا:
لما انت عرفت اني ميت، بتقرب ليه؟
ماتكونشي عايز تفرج؟
على إيه؟
عايز تعرف ازاي الميت بيحس.
إزاي بيطلع حس.
ولا حاتاخذ تفاصيل النعي؟
تكتب إعلان ومخط اسود وببنت عريض:
"إن المرحوم كان واحد بيه،
ولاخدشي نصيبه في الدنيا ويا عيني عليه.
والمعزى من ستة لتسعة،
بـ "معاد سابق".

(4)

بس ما تئساش:
ضرب الميت أكبر حُرمة.
إزرع صبار جنب التربة،
والشيخ "عارف" يقرأ سورة الرحمن.

الثلاثاء 18-08-2009

718 - عن العلاج النفسي والأيدولوجيا (1 من 2)



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

لهذه القصيدة حكاية، فقد صدرت في الطبعة الأولى للديوان باسم "شبه الإنسان" (في 166 كلمة)، ثم جرى تحديث محدود بعد ذلك، لم ينشر (غالبا)، ثم أجرى تحديث أخير وأنا أعدّها لأضمنها في هذا العمل الذي لا يريد أن يستقر على منهج، فإذا بها تصل إلى أربعة أضعاف حجمها (735 كلمة)،

طيب!!! بالله عليكم أليس من حقها أن تصدر مستقلة أولا دون وصاية من شرح، أو إلام بالتشريح

لست متأكدا!!

سوف أكتفى اليوم بتقديم الفكرة المقدمة

ثم ماتيسر من القصيدة بعد تحديثها

ثم نعود إلى ما تبقى غدا، متورطين أو غير متورطين في التشريح والتسطيح، ربنا يستر،

المقدمة وباعث القصيدة :



من "أصعب ما يواجه الطبيب النفسي أن يعالج" أصحاب المبادئ الثابتة"، ليس مهما أن تكون المبادئ سليمة، أو صحيحة، أو أصح، ولكن الصعوبة تأتي من أنها ثابتة، والمتابع حوارى مع الله استلها من مواقف ومخاطبات مولانا النفسى وهو يعلمنا خطورة العلم المستقر، وأيضا خطورة الجهل المستقر، خطورة هذا الاستقرار الجاثم على حركية نمونا، وبالتالي على توجهنا إلى الله تعالى، الجاثم بالعلم أو بالجهل فما بالك بالفكر المستقر، والنظرية المستقرة التي هي مرادفة للأيدولوجيا.

حين كتبت هذه القصيدة في صورتها الأولى سنة 1974 ، لم يكن الاتحاد السوفيتى قد تفكك بعد، ولم يكن فوكوياما قد أعلن - بحجة مؤقتة - موت التاريخ، كان -مثلما هو الآن- ما يشغلنى آنذاك هو "موت الإنسان" من حيث أنه حركة ووعى وتاريخ، وكان ما بلغنى من الممارسة الخاطئة للفكر الاشتراكى (وليس من حركية هذا الفكر البسيطة والبدئية والواقعية والممكنة) أن التاريخ توقف عندما فعله من قلبه أيدولوجية هذا الفكر الحركى إلى جامدة، مع أن المفروض أن الفكرة في عمق اصلتها، هي ضد فكرة الأيدولوجيا أصلا، شعرت أن حركية الفكر تخمدت عند من زعم امتلاك حق احتكار تطبيق العدل، فما بالك عن من تبعهم - منا- مقلدين بغياء أو بإدعاء ممن لم يستوعبوها أصلا، ولم يعرفوا عنها إلا ما شاع عنها، أو ما بلغهم من ظاهر تطبيقها وسفه منفيها.

الإشكالية في العلاج النفسى:

هذه قضية سياسية لسنا في موقع مناقشتها، وإن كانت القصيدة تبدو سياسية في المقام الأول، خاصة بعد تحديثها، إلا أن ما يهمنا هنا هو ذلك الإنسان المريض الذى جاء يعانى وقد سبق أن تورط في تقديس هذه المبادئ التي هي أصلا ضد "أى تقديس"، ثم نكتشف أن هذه المبادئ قد استعملها صاحبنا بتماسك بها حين قامت بحمايته شخصا بنجاح، كآلية دفاعية أساسا، أكثر منها كموقف أو كمذهب عام قابل للاختبار سعيا إلى إقامة العدل وتحريك التطور على أرض الواقع لكل الناس؟ هذا الشخص كان - غالبا - يستعمل النظرية الأيدولوجيا تماما كما يستعمل شخص متدين الدين، ليس لتسهيل توصيله إلى الإيمان كدحا إلى وجه الحق، وإنما يستعمله ليستقر في موقعه بعيدا عن حركية نموه (التي هي موازية - غالبا - لما أسماه كارل يونج : تجربة الرب) ، هنا

يصبح الدين آلية دفاعية Mechanism تماما مثلما تصبح الأيدولوجية الاشتراكية آلية دفاعية، وطالما نجحت هذه الآلية هنا أو هناك من قبل أن يعرض صاحبها، أو دون أن يمرض أصلا فليس للطب النفسى ولا العلاج النفسى حق حتى في مجرد نقدها، إنما ينشأ الإشكال حين يأتى صاحب هذه الآلية (في الدين الجامد أو الأيدولوجى المقدس)، ويعانى نفسيا، فيجد الطبيب نفسه مضطرا إلى التلميح أن هذه الآلية التي قامت بالواجب فيما قبل المرض، معرضة للفحص والنقد وإعادة النظر، مثل أية آلية أخرى،

هنا يقفز عامل آخر، وهو ما أُلحنا إليه في مواقع أخرى كثيرة.. هذا العامل هو: ماذا عن أيديولوجية المعالج نفسه، وكيف يمكن أن تكون عاملاً فاعلاً بعلمه أو يغير علمه في مسيرة العلاج، وهل يمكن أن يزعم المعالج أنه محايد في حين أن داخل داخله قد يحكم على هذه أيديولوجية مريضه بالزيف أو بالفشل أو بالعبث أو بالاغتراب أو بغير ذلك؟

في البلاد المتقدمة يتجنب هذا الخرج الممارس حين يمتنع الطبيب - بالأمر وبالعرف والقانون- أن يسأل مريضه عن دينه أو عن توجهه السياسي، وكأن مجرد تجهيل هذه المنطقة عند المريض، مع تصور الطبيب أنه أخفها أيضاً بالنسبة لنفسه (إيش أدراه؟) يمكن أن يصبح العلاج أكثر موضوعية. طبعاً هذا كلام سطحي، ناقشناه أيضاً مع موضوع استحالة الخياد المطلق في العلاج النفسي.

إذن ما العمل؟

ليس عندي اهتمام مباشر بالعمل السياسي، وإن كنت - مثل أى شخص يعيش في مجتمع تنظمه سلطة ما - سياسى رغم أنفى، تفقز لى هذه القضية بشكل شخصى حين اضطر، ولو بينى وبين نفسى أن أتساءل عن موقعى الشخصى من هذا المذهب السياسى أو ذاك، وأيضاً عن موقفى من هذا النوع من التدين أو ذاك، وهى قضية تحدد حين أواجه مريض صاحب مذهب واضح محدد، أو صاحب أسلوب لى -غالباً- أنه لو كان على صواب في مذهبه هذا أو في طريقة تدينه، لما مرض، ولما جاء يستشيرنى - أنا المهزوز على الأقل من وجهة نظرى وأمال نفسى بشكل مباشر أو غير مباشر أين مذهبه مما حدث له.

لا يجوز أن يجرى الأمر كذلك، وفي هذه الحالة (حين أضبط نفسى متلبساً بهذا السخف)، أتصور أننى كان يمكن أن أعفى نفسى من هذا الخرج بأن أدعى الخياد، لكننى عادة لا أستطيع فأتقدم خطوة لأعامل هذا الموقف الأيديولوجى الجامد أو طريقة التدين المستقرة بلا حراك، أعامل هذا أو ذاك باعتباره ميكانيزم معرض للاهتزاز مثل أى ميكانيزم، وهكذا تنتقل القضية من منافشة المحتوى (مضمون الأيديولوجى، أو مضمون طريقة التدين) إلى العمل على إنجاح أى منهما كما كان ناجحاً في الحفاظ على تماسك صاحب أيهما متوازناً غير مريض، فإذا فشلنا، فالأمر يحتاج إلى إعادة نظر، لإطلاق مسيرة النمو، وهو نفس ما نلجأ إليه في التعامل مع أى ميكانيزم.

هناك بعد آخر ينبغي وضعه للاعتبار في شأن المريض، قبل وبعد تعلقه بمنظومته الدفاعية: أيديولوجية "أو ديناً، ذلك أن بعض المرضى الذين يحضرون للعلاج يعلنون أن ما ألم بهم من مرض أو إعاقة إنما يرجع إلى تدهور قيم المجتمع عامة، والظلم السائد فيه، والاغتراب الغالب عليه، وكذا وكيت، وكأن الحل ليس في أن يشفوا هم، حتى يستطيعوا أن يواصلوا تغيير ما يعترضون عليه بالثورة أو الإبداع أو الإصلاح أو أى دور

القصيدة (مكتملة: بعد التحديث)

(1)

شيدوا الستايز،
كعب داير،
وُخيوطها من ليف الضلام،
والنضبة كانت مش كما الواجب،
ولا قد المقام،
وكبان مولانا ما كانشى
يوم إمام .

(2)

كان بودى ما شوفشى إن الحارة سد.
كان بودى ينجحوا، لكن بجد
كان بودى أصدق أن العُدل مُمكن.
كان بودى ، كان بودى !! ، قلت: "يكن".

(3)

جه صاحبنا يشتكى من نور بصيرته
قام مِرَاجِعُ كُلِّ سِرْتِه،
اتوجع، لكنهُ كَمَل،
حتى لو خُرَاجُه عمَل :

(4)

التعلب، فات فات،
وف راسهُ، أيذولُوجِيَّات.
والثورة: شوية كلمات،
ورجالها: لابسين باشوات،
بيحكُوا ويقولوا شعارات

(5)

"في الواقع: إن الواقع، واقع جداً،"
والبنى آدم يادوب: مادة وتاريخ،
والتاريخ عرَكة اللى فاز فيها بيركب.
يطلع المنبَرُ ويخطب:

إلعيال الشغالين هُمَّا اللّٰى فِئْهُمَّ،
 باسْمُهُم نَلْغَن أبو اللّٰى خَلْفُوهم
 "باسْمُهُم كل الحاجات تَبْقَى أليْسْطَا
 والنسا تلبس باطيشْطَا
 والرجال يتحجّبوا، عامِلْ وَأُسْطَى".

(6)

يعنى كل الناس، عُموْمُ الشعب يَعْنى:
 لم لايد إنه بيتغذى لحد ما بَطْنُه تَشْبَع.
 واما يَشْبَعُ يَبْقَى لازم إنه يَسْمَعُ.
 وان لَقَى سَمْعُه ياعيني ميش تمام،
 يَبْقَى يسجد بعد ما يوطى ويركع.
 بس يلزقُ ودنه عالارض كَبْوَيْسْ،
 وان سَمْعُ حاجَة تَزِيْقْ، تبقى جَزْمَة خَضْرَة الاخ اللّٰى عَيْن نَفْسُه
 "رَيْسْ".

لاجل ما يُعْوَضُ لَنَا حرمانَ زمان. إمَالِ ايه؟
 واللى يشبع منكُو أكل وشوف، ركوع، سَمْعَانْ كلام،
 يَقْدَرُ يِنَامُ:
 مُطْمَئِن،

أو ساعات يقدر يَفِينُ.
 واللى ما يسمعشى يبقى مُحْهُ فَوْتْ،
 أو غراب على عَشْهُ زُنْ.

(7)

والحاجات دى حلوة خالص بس إوعك تَسْتَمْنَى إنك تقيسها،
 أَضْلَهَا خُصُوصِي، ومُحْطُوطَة فى كيشها.
 وانت بس تَنْفَذَ الحِتَّةَ اللّٰى بَنَظَّتْ (يعنى بانة).
 إنت حُرَّ فُ كل حاجة، إلا إنك تبقى حر.
 (لأ، دى مش زَلْزَلَة قَلَم، ولا هَيْتَة هَفُوَة،
 مش ضرورى تَبْتَفْهَم، لكن مفيدة،
 زى تفكيكَة "داريدا").
 يعنى كل الناس يا حبة عيني ممكن تبقى حرة.

حرة كما وُلدوا وأكثر،
يعنى بلبوس حر خالص، بس ما ينطقشى كلمة،
..... يتخدش بيها حياءً حامى البلاد من كل غُمَّة،
ما هو مولانا رأى الرأى اللى ينفع،
الحكومة تقول، يقوم الكل يسمع.
واللى عايز أمر تانى، ينتبه للأولانى.
مش حا تفرق. قول يا باسط.
والوثائق فى المعانى، والمعانى فى الأوانى .
والأوانى فى المباني، والمباني شكل تانى!!
(برضه تفكيكة داريدا، تبقى هاصت).

وإلى الغد

نكمل ونرى

- لست متأكد هل كان ذلك فى الفصول الأولى من هذا الكتاب،
إنما أنا متأكد أننا عرجنا إليه فى ما نشرنا فى باب
التدريب عن بعد

- كما أذكر أنى أشرت إلى ذلك فى موقع آخر فى نشرات مختلفة
أيضا

- كلما ناقشنا موضوع استحالة الخيادية المطلقة فى
العلاقة العلاجية

الإربعاء 19-08-2009

719- عن العلاج النفسي والأبيولوجيا، وموت الانسان (2 من 2)



دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشکيلية من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

مقدمة:

أشرنا أمس كيف أن هذه القصيدة لها وضع خاص بالنسبة لما جرى بها من تحديث المرة تلو الأخرى، وأيضاً بالنسبة لعلاقتها بالعلاج النفسى، ثم تأكدت اليوم أنها تتضمن موقفاً، أو نقداً سياسياً ممتداً، قد يبدو بعيداً بدرجة أو بأخرى عن موقف العلاج النفسى تحديداً،

لهذا فضلت أن أكتفى بنشر المتن، ربما تكون له وظيفة إعلان موقفى الشخصى من الجارى فى مجتمعى بالطول والعرض - والذى لا بد أن يؤثر فى ممارستى المهنية .

وقد أنقذ هذا الاقتراح هذه القصيدة من ذلك التشريح القاسى الذى لا نعرف متى يتوقف.

ثم إنى فضلت اليوم أن أنشرها مجتمعه، أملاً فى استيعابها بما همى، ثم دعونا ننتظر ما سوف يصلنا من تعقيبات عامة (سياسية وغير ذلك) وخاصة (بما قد يتعلق بالعلاج النفسى، أو حتى بموقفى الشخصى معالجاً)

وربما احتاج الأمر إلى عودة لمناقشة الأمر، فى بريد الجمعة مثلاً.

(ما سبق نشره أمس من القصيدة بعد التحديث من 1-7)

(1)

شيدوا الستايز،

كعب داير،



وُخيوطها من ليف الضلام،
والنضبة كانت مش كما الواجب،
ولا قد المقام،
وكإن مولانا ما كانشى
يوم إمام .

(2)

كان بودى ما شوفشى إن الحارة سد.
كان بودى ينجحوا، لكن بجد
كان بودى أصدق أن العذل ممكن.
كان بودى ، كان بودى !! ، قلت: "يكن".

(3)

جه صاحبنا يشتكى من نور بصيرته
قام مزاجع كل سيرته،
اتوجع، لكنّه كمل،
حتى لو خراجّه عمّل :

(4)

التعلب، فات فات،
وف راسه، أيدولوجيات.
والثورة: شوية كلمات،
ورجالها: لابسين باشوات،

بيحكوا ويقولوا شعارات

(5)

"في الواقع: إن الواقع، واقع جداً،"
والبني آدم يادوب: مادة وتاريخ،
والتاريخ عركة التي فاز فيها بركب.

يطلع المنبر ويخطب:

إلعيال الشغالين هما التي فيهم،
باسمهم نلغن أبو التي خلفهم
"باسمهم كل الحاجات تبقى أليسطا

والنسا تلبس باطيشطا

والرجال يتحجبوا، عامل وأسطى".

(6)

يعنى كل الناس، عوم الشعب يعنى:

لم لابد إنه بيتغذى لحد ما بطنه تشبع.

واما يشبع يبقى لازم إنه يسمع.

وان لقي سمعه ياعيني ميش تام،

يبقى يسجد بعد ما يوطى ويركع.

بس يلزق وده عالارض كيويش،

وان سمع حاجة تزيق، تبقى جزمة خصرة الأخ التي عين نفسه
"زيش"

لاجل ما يعوض لنا حرمان زمان. إمالي ايه؟

والتي يشبع منكوا أكل وشوف، ركوع، سمعان كلام،

يقدر ينام:

مطمئن،

أو ساعات يقدر يفن.

واللى ما يسمعشى يبقى مخته فوت،

أو غراب على عشه زن.

(7)

والحاجات دى حلوة خالص بس إوعك تستملى إنك تقيسها،

أضلها خصوصى، ومطوطة فى كيشها.

وانت بس تنفذ الحتة اللى بَطَطْتُ (يعنى بانة) .
 إنت حُرِّ فُ كل حاجة، إلاً إنك تبقى حر.
 (لأ، دى مش زَلْلَةُ قَلَم، ولا هيئة هفوة،
 مش ضرورى تبتفهم، لكن مفيدة،
 زى تفكيكة "داريدا").

يعنى كل الناس يا حبة عينى ممكن تبقى حرة،
 حرة كما ولدوا وأكثر،

يعنى بلبوس حر خالص، بس ما ينطقشى كلمة،
 يتخدش بيها حياءً حامى البلاد من كل غُمَّة،

ما هو مولانا رأى الرأى اللى ينفع،

الحكومة تقول، يقوم الكل يسمع.

واللى عايز أمر تانى، ينتبه للأولانى.

مش حا تفرق. قول يا باسط.

والوثائق فى المعانى، والمعانى فى الأوانى .

والأوانى فى المباني، والمباني شكل تانى!!

(برضه تفكيكة داريدا، تبقى هاصت).

(بقية القصيدة: نشرها اليوم)

(8)

الدنيا دى طول عمرها تدى اللى يغلب:

سيف ومطووة

واللى مغلوب ينضرب فوق القفا فى كل خطوة

أصل باين إن "داروين" كان ناويلها:

إن أصحاب العروش.

ويأ أصحاب الفضيلة،

يعملولنا جنس تانى.

جنس أحسن.

إسمه: "إنسانٌ مُحسَّن،

واللى يفضل منا إحنا؟

مش مهم.

إحنا برضه لسة من جنس البشر. .. إلقديم.

يعنى "حيوانٌ بيَنطُق"،

مش كفاية؟؟

ليه بقى عايز يقلِّب، ولا يفهم؟

هوا إيه !!!

هى سايبته !!!

يعنى إيه الكل يفهم ؟!!!!

مش ضرورى،

يكفى إنه يقرا "ميثاق" السعادة،

واللى صعب عليه حايلقى شُرْحُه فى خُطْبِ القيادة.

واللى لسة برضه مش فاهم يُحاكَم.

وانْ تَبِتْ إنه برئ:

يتَنَزَّع نوط "العَبْط"

وانْ تَبِتْ إنه بيَفْهَم:

يبقى من أهل اللَّبْط.

"يعنى إيه؟"

زى واحد ناسى ساعتَه.

يعنى نَفْسُه فى حاجات، مَش بِتَأَعْتُه

"زى إيه؟"

(9)

زى واحد جه فى عه- لا مؤاخدة - يعيش كويس.

"برضه عيب"

هو يعنى ناقضه حاجَة؟

قال يا أمى، والنبي تدعى لنا إحنا والرئيس،

ربنا يبارك فى جهودنا يكتنر فى الفلوس.

بس لو نعرف معاهم قَد إيه، واحنا لينا كام فى إيه!

(10)

"آدى أخرة فَهَمَك اللى مالُوش مُناسِبَة.

طبْ خُدوه، وضبووه،

واحكموا بالعدل يعني: إغدلوهُ
 تُهمته ترويح "شفافيّه" مُعاصرةً
 (هذا ملعوبُ الخَواجَة)
 وان رمينا الكومي بدرى، تبقى بصرةً .
 "الكلام دا مش بتاغنا،
 دَش ما لهوش أى معنى"

تُهمته الثانية "البجاجة"
 واحنا في عز الصراخه،
 واللى عايز غير ما يُنشر،
 هوّه حر انه "يفكر"،
 في اللي عايزه .
 أو يشوفه جوا حلمه،
 وان حكاه يحكيه لأُمّه،
 وان أخذ باله وقاله مُوطى جسّه،
 مستحيل حد يمشه .

(11)

قالها يا مَه أنا شفت الليلاى:
 إني ماشى في المعادى .
 شفت نفسى باخترع نظريّة موضّه،
 زى ساكن في المقابر يبنى قصر ألف أوضه:
 "والعواطف أصبحت ملك الحكومة،
 والحكومة حلوة خالص .
 عبت الحب الأمومى، والحنان،
 جوا أكياس المطالبة بالسّلام،
 والطوابير اللي كانت طولها كيلو،
 اختفت ما عادتشى نافعة .
 "أصلنا شطبنا بيع وبلاش ملاوغة "
 واللى طاله من رضا الرئيس نصيب:

فأز، وقـلغ.

واللى لسه ما جاشى دوره. بات مولع.
قام سعادة البيه قايل لهُ: "تعالى بكُرهه"

[درس مش عايز مذاكرة"]

وُرحت صاحى.

(12)

قالوا إن أكرمتموا ميئتكو اذفنوه.

دا القبر رخام،

والنقش عليه آخر موضه، خلأله مقام،

واللى ذفنوه، سوا من مده،

نشيوا المرحوم كان مين.

أتاريه كان شبه الإنسان.

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيفية من العلاج النفسي شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الحالة السابعة (والأخيرة في الفصل الأول)

لا توجد كلمة شائعة الاستعمال، سهلة التناول، مقدسة أحيانا، وملتبسة كثيرا، مثل كلمة الحب، ولعل المتابع لهذه النشرة، التي يبلغ عمرها العامين بعد أيام، يعرف المساحة التي خصصناها للحب، وخاصة في الملف الذي أسميناه "ملف الحب والكراهية"، وقد تناولت النشرة حتى يغير هذا العنوان (مثلا في باب التدريب عن بعد، أو حالات وأحوال)، كثيرا من جوانب هذه الظاهرة الوجدانية الجوهرية، (المسماة: الحب) بأكثر من منهج. يمكن الاستنتاج من ذلك وغيره أن ظاهرة الحب ليست بالبساطة الظاهرة، وأن كل واحدٍ راها بطريقته اليقينية التي توحى له - وأحيانا لنا- أنه "هو الذي يعرف" الحب الحقيقي".

نحن نتداول هذه الكلمة بإفراط شديد طول العمر، طول الوقت. ربما يسمعها الرضيع قبل أن يسمع "بابا" و"ماما"، ثم خذ عندك: بمجرد ان يكبر وينتبه إلى ما يقال حتى يواجه بسيل من العبارات كلها تحمل كلمة الحب بشكل أو بآخر، فهي إما تعبير عن الحب، أو دعوة للحب، أو سؤال عن الحب (يتحجب ماما أكثر ولا بابا؟ باحبهم الاتنين!!)، ثم خذ عندك ادعاء حب المدرسة، ثم حب الصديق والصديقة، ثم الحب الذي هو حب، والحب الذي كنظام الحب، ثم يتدخل الجذب الجنسي في الموضوع، فيصبح الحب غراما وهياما، مع الإضافات المناسبة من الخيال والرومانسية والأحلام، وهات يا حب، ثم خذ أيضا حب الوطن (فرض عليّنا)، وحب النادي الأهلي، وحب النبي وأهل بيته، وحبية السيدة العذراء، وحب النفس، ولا مؤاخذه "الأناية" (وهي غير حب النفس)، وحب الناس، والحب في الله، والموت حبا، في المحبوب أو بسبب المحبوب، أو مع المحبوب (بالمرّة).

طيب بالله عليكم كيف نتناول هذه الكلمة، هذا المفهوم، هذه القضية، وهي هكذا، في سياق العلاج النفسى.

حين وصلت إلى هذه القصيدة، هذه الحالة، وجدت أنها تمثل نموذجاً له أهميته الخاصة لما تناوله من مقارنة بين نوعين على الأقل من أنواع الحب، رحمت أقلب فيما سبق وفيما لحق من قصائد هذا الديوان، فوجدت أن معظم القصائد، إن لم يكن كلها إنما تتناول قضية الحب أيضاً بشكل أو بآخر، بل لعلها تتناول قضية العلاقة البشرية، ليس تماماً في سياق العلاج النفسى مهنيًا، وإنما في السياق الذى كتبت فيه هذه القصائد (وهو لم يكن سياق علاج نفسى أصلاً، هذا إن وجدت هذه الشخصية التى تتحدث في القصيدة، أو التى عنها القصيدة (الباب الثانى) من الأصل!!).

ما العمل؟

ما هو الأفضل؟

أن نسميه حياءً ويذهب المتلقى إلى ما يذهب إليه بمجرد أن يسمع كلمة "حب"، أم نسميه العلاقات البشرية فنمسخه ونحن نهرب من مسئولية التحديد والتفنيد، ونتكلم عنه وكأننا نتكلم عن معادلة رياضية فاترة؟

هل أجمع القصائد من الديوان التى تناولت تشكيلات الحب بشكل مباشر، ثم أخرج منها بمنظومة نتعلم منها ما هو الحب وكيف يتجلى في مختلف صورته، فلا ألزم نفسى بقصيدة بذاتها تقدم الموضوع مخنوقاً منفصلاً، أم أتناول الموضوع من خلال كل قصيدة بحسب ترتيبها، ثم نجمع الخلاصة لاحقاً؟

قصيدتان قفزتا إلى من الباب الثانى وأنا أواجه هذا المأزق، قصيدة "الزعة سابت في الغيطان"، وقصيدة "دراكبول"، (ولست أدرى إن كانا سوف يظان محتفظتان بالعنوان أم لا).



الأولى: - التزعة سابت في الغيطان- هي تعرى نوعا من الحب فيه سهولة وعطاء ودمائة وصدق وإخلاص، بلا شروط ولا معاناة ولا مقابل (يعنى) وبالتالى بلا "آخر" آخر موضوعى حقيقى متميز (أنظر بعد)!!،

والثانية: -دراكيوولا- تجلى فيه ما سمي حبا بشكل التهامى احتوائى قاتل، كأنه موت يقتات بموت، ويغذيه، "بكره حا تحتاج موتى يا موت، وتموت جمعا" .. إلخ (أنظر بعد) .

المهم، هذه القصيدة الحالية تقدم لنا -على لسان صاحبها- ثلاثة مستويات من الحب

الأول: الحب الامتلاكى (ويشمل الخصوصية والأمان والاطمئنان السرى الاعتمادى)

الثانى: الحب الجوع الاحتياج، فاحتياج الاحتياج (ويشمل شرب الماء الماح، والاستعمال المتبادل أحيانا)

والثالث: الإشارة إلى صعوبة النقلة إلى الحب: "القدرة على الحب" الممتد إلى الدوائر الأوسع؟. (ويشمل الاستعداد للحب والقدرة على توليده وتوجيهه وتحويله مسئولية وتحمل وطول نفس)

هذه القصيدة تتناول النوع الأول، وبعض الثانى، كما تحذر من احتمال مثالية أو استحالة أو عقلنة النوع الثالث

دعونا نرى:

نبدا بالفقرة الأولى من القصيدة:

عايزين إيه منى؟

أنا مالى؟

أنا عايزه أعيش،

زى الباقيين،

يبقى لى عش صغير، وغيال.

ولفندى بتاعى (أيوه بتاعى ملكى)،

يرجعلى تملّى.. زى حمام الزاجل.

يحضنى أنا وعبالى،

يطوينى تحت جناحهُ،

وراح اربطُ رجلهُ بفتلة ليطير

تعبر هذه الفقرة عن أكثر أنواع الحب شيوعا، "زى الباقيين"

وهو الذى يتصف بما يلى (وغير ما يلى):

- 1- الخصوصية "يبقى لي عش صغير"
- 2- والملكية: لفندي بتاعي (أيوه بتاعي ملكي)
- 3- وتصور الأمان: يرجع لي تمل، يطوييني تحت جناحه
- 4- والأسرة الصغيرة (غالبا في المؤسسة الزوجية) **مجنّنى أنا وعيالي**
- 5- وضمانات ضد اللأمان: وراج اربط رجله **بفتلة، لي طير.**

هذا النوع من الحب الثنائي الخصوصي الامتلاكي يظل فاعلا مفيدا طالما سكنت حركة طرفيه، وهو يغذى نوعا من العلاقة التكميلية (لا التكافلية) وهي ما تسمى أحيانا "علاقة القفل بالمفتاح"، Key and Lock relation ويظل الطرفان يتبادلان -من خلال هذه العلاقة- الأمان، والتأمين، في مقابل (وعلى شرط) "أن يستمر الحال على ما هو عليه"، لأطول مدة ممكنة.

في حالات كثيرة، مع استمرار نمو كل من الطرفين، كل بطريقته وحسب ظروفه، تهتز هذه العلاقة لأنها تكاد تحول دون نمو أحد، أو كلا، طرفيها، فتظهر الأعراض، إما عند أحد الطرفين، أو فيما يسمى "مرض العلاقة ذاتها"، Pathology of Relation أى أن كلا من الطرفين وحده لا يعاني من أعراض بذاتها، وإنما إذا ما تفاعل الطرفان معاً، تظهر الصعوبة في العلاقة، والفشل، والأعراض كما ذكرنا.

حين يعلن هذا المأزق في **العلاج النفسي**، يحتاج الأمر إلى وقفة فاحصة ناقدة، تغرى الطبيب، أو تضره، في كثير من الأحيان، أن يتقدم نحو ما يسمى "إعادة التعاقد" بمعنى أن يعتبر أن العقد الثنائي السابق قد استنفد أغراضه في ظروفه التي كانت حتى الآن، وأن الأمر يحتاج نوعاً آخر من العلاقة، ويمكن إيجاز بعض ذلك كما يلي :

يسمح الطبيب أن تتخلخل العلاقة أكثر، ولو مرحلياً، لإعطاء الفرصة للانتقال إلى مستوى آخر من الحب، وهو مستوى القدرة على الحب : حب الآخرين، وليس فقط الآخر، فلا يعود هذا المحبوب محبوباً **بديلاً عن كل الناس**، بل يصبح **مثلاً لكل الناس**، وهو ما عبرت عنه ذات مرة ، بأن المرأة - مثلاً- تحب زوجها بالأصالة عن نفسها **والنيابة عن حب كل الرجال**، (وقس على ذلك). هنا تصبح المسألة أقل احتكاراً وأكثر حركية وحرية، تنتقل حركية **"التواجد الاستيعادي"** "معاً": من **"أنا أحبك دون غيرك"**، إلى **"أنا أستطيع أن أحبك أنت وغيرك"**، لكنني أمارس الحب معك لأنك أقرب وأطيب، وتقوم بنفس ما أقوم به، أو على الأقل أنا أتوقع منك ذلك، وأعمل على تحقيق ذلك، وأنت كذلك، تقوم به بدورك معي...وكلام من هذا، وهو كلام "كبير" هو الذي حذرث منه الحالة - القصيدة - وشككت في إمكان تحقيقه)

هذا النوع الأخير - مهما زعم المحبون أنه مقبول من حيث المبدأ - هو مرفوض من داخلهم، إلا نادراً، إذ يبدو الأمر لكل المحبين والخائفين والمحتاجين والجائعين أنه مبني على أمل بعيد، ومنطق خائب فاتر مرفوض غالباً في داخلنا مهما بدا علينا الحماس نحوه، وعلينا أن نعترف بأن النقلة من تخصيص الحب وتركيزه على فرد واحد طول الوقت، إلى القدرة على الحب، تبدو أكبر من قدرات أغلب الناس، ثم إنها قد تختلط **بنقلة إلى الخلف نكوصاً.**

نشأت المؤسسة الزوجية (وهي الممثلة الأكثر شيوعاً للحب الثنائي، فالأسرى)، كحركة تطويرية لتنظيم الجنس، وتربية الأولاد، وتكوين المجتمع الأحدث، وقد أدت وما زالت تؤدي، ووظيفة اجتماعية، وعلاقاتية، شديدة الأهمية، كما لم يوجد بديل لها أثبت قدرته على الاستمرار والنجاح بشكل يبرر تجاوزها أو إزاحتها أو الاستغناء عنها حتى الآن. من هنا نفهم مشروعية منطوق هذه الحالة في هذه القصيدة وهي تصر على حقها في الحفاظ على الاستمرار في هذه المؤسسة، الأكثر أماناً، حتى لو لم تكن الأكثر إبداعاً، أو امتداداً في الآخرين، حتى لو كانت مبنية على مبدأ الاحتياج المتبادل بعد التعديل!!، بمعنى أن يحتاج طرف طرفاً آخر، فيسعد هذا الطرف بهذا الاحتياج الذي أشعره بأن له وجوداً ما، فيحتاج هذا الاحتياج أكثر مما يحتاج صاحبه الذي احتاجه، وهذا ما يعبر عنه المتن بشكل مباشر في النص السابق الاستشهاد به: **"أنا نفسي حد يعوزني، وأعوز عوزانه.** الاحتياج غير مرفوض في ذاته، ولكن أن يظل هو الذي يحافظ طول الوقت على العلاقة، فهو أعجز من ذلك عادة.

الطبيب النفسي المعالج لا يملك - ولا هو من طبيعة عمله - أن يتصدى لهذا النوع البسيط الشائع من الحب، فبرغم أنه ليس غاية المراد إلا أنه يعلن بوضوح أن هذه هي المرحلة التي يعيشها أغلب الناس حالياً، تلك المرحلة التي تعلن نقص الإنسان حين يلج عليه احتياجه فيتبادلته مع آخر، ولكن يبدو أن لهذا النوع عمره الافتراضي المتوسط أو القصير، خاصة إذا اضطرد نمو أحد الطرفين أو كليهما، حتى تتخلخل العلاقة، وتظهر الأعراض على أحد أو كلا الأطراف، فيجد الطبيب نفسه في مأزق جديد من حيث أن عليه أن يصحح وضعاً انكسر فعلاً، وهو ينتبه إلى أنه بين أمرين:

إما أن يعيد الوضع إلى ما كان عليه دون إعادة تشكيل فيصبح أكثر عرضة للكسر من جديد، أو أكثر دفاعية وجموداً،

وإما أن يعرض، من خلال العلاج عامة، والعلاج الجمعي خاصة، (أو الخبرة الحياتية خارج سياق العلاج) يعرض تجاوز هذه المرحلة من الحب الثنائي السكوني المستقل إلى القدرة على الحب مع التنظيم الضروري،

إن دفع الشخص أو المريض في اتجاه هذا النموذج الأكثر

ولا شائله هم المطحون،
ولأقادرة أصحاب الجنون
ولأناوية أبطل بض ورض.
واهو كله كلام.

ادعاء - أو تصور- النمو بمجرد إطلاق الكلمات الرنانة شائع في كثير من الممارسات الناقصة في العلاج النفسي عامة، والعلاج الجمعي بوجه خاص، وأيضاً في الحياة العامة، وتنبيه الحالة هنا في القصيدة، للعلاج، وللمشاركين في نفس الوقت، هو تنبيه مشروع ومهم، حتى لا تصبح المسألة "مكلمة" مثالية لم تُختبر ذكرى، "مكلمة"، تتماهى على حساب هدم مؤسسات في مآزق حقيقي، مثل المؤسسة الزوجية التي لم يجد لها الإنسان بديلاً أفضل حتى تاريخه.

تعلن هذه الحالة أيضاً أسلوباً آخر للمقاومة، وهو الإستمرار الصوري مع الحذر المتماهى، "ما أنا برضه باجب أتي اتكلم، لكنى مش قد كلامى، دا كلام كده بش"، لا يحتاج الأمر إلى التذكرة بأن هناك أكثر من صوت تتكلم به هذه الإنسانية، أو أن هذه القصيدة إنما تترجم داخلها وليس خطابها مثل كل - أو معظم - قصائد الديوان.

كانت صاحبتنا هنا شديدة الحماس للكلام عن الناس والمطلق والخرية، وحين دخلت الاختبار الحقيقى هربت بكل ما عندها من قوة، وكان لسان حالها يردد هذا المنطق.. أن الكلام يمكن أن نساير به الشائع، بما في ذلك ان نزع اهتمامنا بالكل وحيناً لهم على حد سواء، وأنا تخلينا، أو قادرون على التخلي عن الامتلاك والخصوصية .. الخ ولا يهم بعد ذلك أن نحقق شيئاً من هذا أبداً

(3)

أنا عايضة حد يعوزنى،
وأعوز عوزائه،
إشعنى حسن ونعيما؟
إشعنى بتوع السّيما؟
أنا مش قدّ الحب التانى
وانّ كان لازم نتطور؟!
نتطور...!
ما يضُرّش.
بس ارجع تانى لعشى،

بالقدرة على الابتعاد عن الشريك للاقتراب منه على مستوى أنضج باستمرار (برنامج الدخول والخروج In and out Program) .

ثم بالتغير النوعي لطبيعة العلاقة ومسارها وإيقاعها
ثم باختبار القدرة على معايشة توجه المشاعر نحو "موضوع" (آخر) مع اختلاف ظروف التنفيذ الواقعي

ثم بمدى تواجد الآخرين المحيطين المحبين حول أصحاب هذه العلاقة الثنائية ... بما يمارسونه شخصيا في مجالاتهم، وأيضا بمباركتهم وتكافلهم. ...إخ

في العلاج النفسي (الجمعي خاصة)، وفي الروايات وفي الأفلام، وفي النظريات الباهرة، يكثر الحديث عن التطور - كما أفعل الآن حالا وكثيرا- وقد لا ينتبه المحاورون أن وفرة الحديث عن التطور هو ضد التطور، (مثلما أن الحديث عن الجدل، هو ضد الجدل)، السخرية في المتن من هذه العقلنة هنا شديدة الدلالة، "وأن كان لازم نتطور؟! نتطور!، ما يضرش!!!!!!"،

هذا النوع من السخرية ليس مرفوضا على طول الخط، وقد واجهت في خبرتي مثل ذلك وأقصى من مرضى يبنهون بعض زملائهم الذين يتحدثون عن التطور وكأنه فنجان شاي، أو نزهة ترفيحية، دون حركة أو ألم، وأحيانا ما يبنهون المعالج إلى ما في هذا الموقف من "طق حنك"!!!. قال أحدهم ذات مرة ما يوازي سخرية هذه الحالة، حين راح يبنه زميله أن المسألة ليست بمثابة: 'اديني واحد تطور وصلحه .. مثلا'

حين تتعمق مرحلة النمو في العلاج الجمعي وتلوح صعوبة التطور وما يصاحبه من مخاطر مرعبة، أتذكر فأعلن لنفسي إعادة اكتشاف أنه "...لن يتطور إنسان باختياره" .. وإنما **بالزام داخلي** .. نتيجة حركة مضطربة، وورطة موضوعية تجعل الرجوع إلى الحالة السابقة أملا مستحيلا.

وحتى لو رضى المريض (أو المريضة) بالرجوع، فكثيرا ما يكون الأوان قد فات، فإما التقدم، وإما التدهور،

أما الرجوع "كما كنت" فهذا هو مطلب يتكرر عادة بلا طائل عادة.

اعتدت في مثل هذه المآزق أن أواجه المريض -ونفسي- بأن عليه أن يراجع نفسه ولا يسير في الزحمة والسلام، فإما أن يتحمل آلام المرض ومصاعب النمو، وإما أن يجبئ الأعراض بمعرفته: بالتسكين أو بالتنازل عن أية آمال إنسانية أنضج أو باليأس، فتختفى الأعراض دفاعيا، **ولا مانع** من هذا الاحتمال ما دام هذا هو المتاح مرحليا!!!

وإما أن يضطر لمحاولة طرق باب الطريق الآخر، الأندر، والأكثر نضجا لأن المسألة ليست عرضا (أو عزيمة) .. فقد أعلن المرض، أو المعاناة، أو الشقاء، انتهاء العمر الافتراضي لمرحلة لم تعد تصلح، ولنوع من التواصل فشل برغم نجاحه النسبي لفترة ما.

* * *

ثم نختتم النشرة بهذه القصيدة مجتمعة كما اعتدنا:
(أقدمها وأنا أعتذر لها، لعلها تغفر لنا ما فعلناه بها)

(1)

عايزين إيه منى؟
أنا مالى؟
أنا عايزه أعيش،
زى الباقيين،
يبقى لى عش صغير، وغيال.
ولفندي بتاعى (أيوه بتاعى ملكى)،
يرجعلى تلى.. زى حمام الزاجل.
محضنى أنا وعيالى،
يطوينى تحت جناحه،
وراح اربط رجله بفتلة ليطير

(2)

أنا مالى بكل الناس؟
ما تحبهم.
هوا انا قتللكو انا باكره خد؟
حببهم بكلامكم يعنى،
مش حا يجسر.
ما انا برضة باجب انى اتكلم،
لكنى مش قد كلامى
دا كلام كده بس
ولا عايزه أصلخ خد،
ولا واخدة كلامكم جد،
ولا نفسى أعدل فى الكون،
ولا شائله هم المطحون،
ولأقادرة أصحاب المجنون
ولأناوية أبطل بش ورض.
واهو كله كلام.

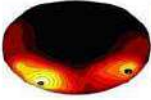
(3)

أنا عايزة حد يعوزني،
 وأعوز عوزائهُ،
 إشمعني حسن ونعيما؟
 إشعني بتوع السّيما؟
 أنا مش قدّ الحب التاني
 وأن كان لازم نتطور؟
 نتطور،
 ما يضرش.
 بس ارجع تاني لعشي،
 ولقندي بتاعي،
 يطويني تحت جناحه،
 وأنا ماسكة الخيط بالجامد
 تعبانة إنما راح اعاند
 ما هو لو سبته حايطير
 وأنا مش قد التغيير

الإربعاء 26-08-2009

726-قراءة فى عيون بشرية

دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)



لوحات تشكيلة من العلاج النفسى
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

الباب الثانى

قراءة فى عيون بشرية

مقدمة

انتهى الباب الأول بعد أن عرضنا سبع حالات ننقد من خلالها ما أسماه "العلاج بالكلام"، ومع الإقرار بأن الكلام هو وسيلة من أهم وسائل العلاج، إلا أنه ليس دائما الوسيلة الوحيدة، ولا الوسيلة الأولى، ولا الوسيلة الأجدى، كما تبين من خلال كل فصول الباب الأول.

وللتذكرة فإن العلاج النفسى ليس إلا استثمار علاقة بشرية منهجة لحفز عملية نمو اثنين فأكثر إلى ما خلقا به وله، وأعى: المريض الذى يعانى ويتوقف ويسأل النص، والطبيب (المعالج) الذى يواكب مريضه مسئولا يتحرك معه وبه وهو يقرأ نصين بشريين معظم الوقت، نفسه والمريض، فيعاد تشكيلهما معا (معظم الوقت).

وليتحقق ذلك فهو يستعمل كل قنوات التواصل، بين البشر، ومعظم ما يناسبه من معلومات علمية وخبرائية وتجريبية.

نقد النص البشرى "معاً"

منذ اكتشفت أن ما أمارسه فى العلاج عامة، وفى العلاج النفسى خاصة هو نوع من النقد، وأنا مطمئن إلى ما وصلني، رعا لأننى أمارس نقد النص الأدبى من قديم، ولكن لأننى أعرف أن النقد الحقيقى هو إعادة تشكيل النص، فقد ترددت طويلا قبل الفرحة بفرحتى باكتشاف هذا المصطلح الذى يعبر فعلا عن ما أمارسه، لأن المريض ليس مجال تشكيل من ناحيتى أساسا، أو أولا.

رويدا رودياء، وأنا أراجع ما أفعله مع مرضى، خاصة في العلاج الجمعي، اكتشفت أن نقد النص البشري (المريض) يختلف عن نقد النص الأدبي في أن المريض نفسه يشارك في عملية النقد، وأن الطبيب نفسه هو نص بشري آخر، وبالتالي فلا بد أن يكون عرضة للنقد من الطرفين طول الوقت. بهذا عدت للتصالح مع المصطلح الجديد، وتمنيت أن أضيف كلمة واحدة له هي "معا"، "أى نقد النص البشري معا"، ومن ثم فإعادة التشكيل هي واردة لكل النصين طول الوقت.

تمييز بين البابين: الأول والثاني:

الباب الأول، الذى كان اسمه فى الطبعة الورقية الأولى "سبع جنازات"، كان بمثابة نقد العلاج النفسى التسكينى الكلامى بالذات، وكان اختيار عنوان الفصل "جنازات" هو بمثابة التنبيه إلى خطورة أن تتوقف حركية النمو -الحياة- من خلال سلبية أو همول العلاج النفسى، عندما يقتصر على عمليات التفريغ الكلامى، فالتسكينى فالتثبيت، لعل القصائد الست الأولى فى الباب الأول قد أظهرت سلبيات العلاج حين يدور فى دائرة مغلقة (تكرار ذات النصوص المحدودة طول الوقت طول العمر)، أو حين لا ينتبه إلى دلالات الحركة فى المحل، أو إلى احتمال أن المعالج يستعمل المريض من على مسافة، كذلك أشرنا إلى احتمال الافتقار إلى المواقفة الحقيقية فى العملية العلاجية لحساب التعليم أو البحث العلمى، وكانت نمة إشارة إلى الرعب من التغير من حيث المبدأ، ومن ثم إرادة التوقف الداخلية والتسكينى حتى التثبيت، كما تمت تعرية وقفة النمو مع استجداء الشفقة حتى الاعتمادية الرضيعة المشلّة، وأخيراً حين بينا كيف يمكن أن يكون التوقف بسبب سجن مرحلة باكراً غير آمنة من العلاقات البشرية، تسمى الحب، وهو ما يواجهه العلاج النفسى أحيانا.

كان الفصل الأول نقداً خالصاً لكل من العلاج النفسى التسكينى، وما يقابله فى الحياة العامة بشكل أو بآخر، بما يؤدى إلى جمود حركية النضج، وتوقف النمو، حتى أسيينا ذلك باسم: "الموت النفسى"، وكانت أهم سلبية يمكن أن تؤدى إلى مثل ذلك هو تصور أن العلاج النفسى هو "مكلمة" تأويلية، وأحيانا تبريرية، لا أكثر.

قنوات أخرى للتواصل:

ولكن من حق أى شخص أن يتساءل أنه إن لم يكن الكلام هو الوسيلة (القناة) الأمثل للتواصل بين البشر، فى العلاج وغير العلاج، فما هى الوسائل والقنوات الأخرى؟

هذا الفصل يقدم ما أسميناه "قراءة فى عيون بشرية" بديلاً عن الاسم الذى استعمل فى الطبعة الأولى وهو "العبة السكات"، وقد تم هذا التعديل خشية أن نتصور أن حديث العيون، هو صمٌّ بشكل ما، إنه لغة أخرى ربما أكثر ثراء وعمقا وصدقا من الكلام اللسانى بالألفاظ.

العيون البشرية في هذا الباب لم تكن عيون مرضى بوجه خاص، ولم تكن أيضا عيون أشخاص محددين في عالم الواقع الموسم، وبالتالي فهذا الفصل هو أبعد ما يكون عن عرض حالات، أو وصف أشخاص بعينهم، هذا التأكيد ضروري. لا أنكر أنني استلهمت بدايات بعض القصائد من خبرة شخصية شارك فيها أصدقاء كرام، بلغ من شجاعتهم وصدقهم أنهم أتاحوا هذه الفرصة بهذا العمق، لم أقرأ عيونهم هم، بل استلهمت من صدق بعض مواقفهم ما أكملت به قصائدي دون أن أعني شخصا بذاته.

لم يقدم لنا فرويد وسيلة أفضل من الكلام، أو بصراحة غير الكلام، حتى حدسه التفسيري، وشرحه التأويلي كان يستمد من الكلمات، بل إن وضع التداعي الحر والمريض

مستلق على أريكة العلاج و المحلل يجلس خلفه بعيدا عن التقاء نظراته، كان نغيا عمليا لأي احتمال لاستعمال أي وسيلة أخرى غير الكلام، وبالذات لغة العيون، الوضع شديد الدلالة من حيث أنه وضع تجنب التقاء النظرات، حتى وصف "برلز" فرويد (أحد رواد العلاج الجمعي) ربما مازحا، بأنه كان مصابا بعرض التحديق Gaze Avoidance وبالتالي كان يخشى أن تلتقى نظارته بنظرات المريض، ومن ثم أصر - وأوصى- أن يجلس المحلل خلف المريض أثناء التداعي الحر، الذي نقدناه بقسوة في الفصل الأول ونحن نسخر من هذا الوضع بشكل خاص: واحد نائم متصلطح، وعنيه تتفرج، على رسم السقف وعلى أفكاره اللي بتلف، تلف تلف، والثاني قاعد لي وراه... إلخ.

خاطر التواصل بالجسد

انطلاقا من فرويد ونقدا له، ظهرت مدارس تؤكد أهمية التواصل عبر قنوات أخرى غير الكلام، بالإضافة إلى الكلام، ولعل أكثر القنوات مخاطرة هي القنوات التي سمحت بدرجة من التواصل عبر الجسد سواء في العلاجات الشعبية أو في بعض تنويعات العلاج السلوكي والخيالي، فقد ظهرت مضاعفات ليست قليلة من استعمال الأيدي والجسد، من بينها العدوان، وأيضا التجاوزات الجنسية، حتى اختلط الأمر على أحد أتباع فرويد - ويلهلم راوخ - وقد انفصل عنه، حين تمادى في الشطح واستعمل أدوات مساعدة لتوصيل رسائله العلاجية حتى جن تماما (بالعنى السليبي) وسجن قبل أن يقضى، وقد كان مبالغاً في ضرورة الالتحام الجسدي والتحرر الجنسي في العلاج وغيره... ثم ظهرت لاحقا محاولات ليست أقل خطورة مثل العلاج الذي ابتدعه جانوف، وأسماه علاج "الصرخة الأولى" Primal Scream.. إلخ القصائد في هذا الباب تؤكد على قنوات التواصل بالعين والوجه أساساً.

الاختراق بالنظر

لغة الاختراق بالنظر (البهلقة الكاشفة) في عمقها وثباتها هي لغة خطيرة ومهددة، وقد استعملتها مؤخرا (منذ سنوات) أثناء الفحص الإكلينيكي التعليمي في الكشف عن كثير من طبقات النفس التي لم تكن في متناول الكلمات:

الحزن مثلا حين تصفه الكلمات بالاكثاب أو "الدبّرشن"، أو حتى "الهم" أو "الزهقان" أو "الغم"، ليس هو الحزن الذي اكتشفته من خلال خبرتي في هذا الصدد. حين أسأل المريض عن **حزنه الخاص جدا، الدفين فعلا**، أو عن حقه في الحزن، أو عن من ذا الذي سمح له بالحزن، أو عن متى سمح لنفسه بالحزن، أسأله كل ذلك وعيّن توابك ألفاظي، محاولا مشاركته بالنظر، رافضا - لي وله - أن ننطق حرفا، ولدة دقائق قد تطول أحيانا (نادرة) إلى أكثر من نصف ساعة صامتتين تماما، من خلال هذا التواصل في الـ "هنا والآن" تتكشف الطبقات التي نتعارف من خلالها على نوع آخر من التواصل، ثم لعل وعسى....

أصعب من ذلك تكون الخبرة والمشاركة حين نقرب من إشكالية "الألم" (دع جانبا الآن الألم الجسدي وهو ظاهرة نفسية من أعمق ما يكون)، أعني الحق في الألم "معا"، وعن الحرمان من الحق في الألم، ثم نصمت ونُدع عيوننا تتكلم، وهكذا.

كتبت هذه القصائد قبل أن أغامر باستعمال هذه الآلية في العلاج، أو في التدريب، أو في البحث، ولم أكن أتصور أن هذه المشاعر بهذه الرقة والحدة والزخم هكذا بما لا يمكن وصفه بالألفاظ، وحين عدت لقراءة لغة العيون الآن في هذا الباب لأقوم بما تيسر من شرح ثقيل، بما يشمل من احتمال التشويه، عرفت أنني كنت أمارس لغة العيون بدرجة أو بأخرى، دون أن أسميها كذلك.

إطالة النظر مجدية سلسة تعمق النظر تلقائيا، وهي تكشف دون استئذان عادة.

في البلاد المتحضرة، على ما أسمع، تعتبر "البهلقة" نوعا من الوقاحة، فلا يجوز لك أن تطيل النظر في راكب أو راكبة في حافلة عامة (أتوبيس)، هذا بالنسبة للنظر إليها عشوائيا بأية صورة، فما بالك لو كان النظر في غور العينين مباشرة، أعتقد أنك (هناك) سوف تحول نظرك فورا، أو تتفقدان على موعد دون كلمات، أو تلعنك في سرها، أو جهرا.

أما في سياق العلاج، ولأن هذا الموقف غريب مهما مهدت له بالشرح، قد يخطر على المريض حين أطلب منه أن نتواصل دون كلمات (وأضيف أحيانا ودون المسارعة بتفسير أسباب ما يشعر به من حزن أو ألم أو غيره، لا بأحواله الراهنة، ولا حتى بذكرياته) أقول إن المنظر هو غير مألوف لدرجة أنه يمكن أن يوصف بالجنون، ومن هنا: ما جاء في المتن " **أنا مين؟!** " **ما تقولش.... جنون؟ ما تخافش. جرب تاني، ما لأول**، اللغة هنا لا تتواصل عبر غور العيون منفصلة عن تعبير الوجه، ونبض

اللون، والحركة عموماً، وفي الوجه خاصة، وكل هذا يؤكد أهمية لغة الجسد بصفة عامة، وكثيراً ما يستنتج الطبيب تناقضا داخلياً من خلال تأمله العميق للتناقض بين الكلمة والتعبير الجسدي، أو بين تعبير جزء من الجسد (الوجه مثلاً) وتعبير جزء آخر (اليدين أو العينين إلخ).

حين أطلب من المريض أن نتواصل بالنظر دون كلمات، يرفض، ويتساءل، ويتردد، وقد يصير، ومحاول، وقد لا يستطيع أن يكمل، وقد يتهيج، وقد يعود محاول، ثم يستمر ... إلخ.

خبرات متنوعة تؤكد كم أن الكلام، مجرد الكلام، ولو بوصف المشاعر، قد يكون حاجزاً دفاعياً برغم أنه -أساساً- وسيلة تواصلية.

وردت إشارات متعددة في الباب الأول تشير إلى مثل ذلك وهذا بعضها للذكورة:

• " ولحّد ما يهدا الموج، واشترى عوامة واربطها على سارى الخوف، ياللا نقول: "ليه"، وا"زاي"، "كان إمتي"، "يا سلام!!"، "يبقى انا مظلوم". أو:

• أو: "نقعد مع بعض..، قال إيه وخس!، وكلام للصبح، ونقول بنحب "

• أو: أذى صورتى يا سيدى شرمطها، وادى قصة حب، وادى عقله نقص وكسرة قلب، أهو كله كلام ... إلخ

إذا بلغت وظيفة "الكلام" الهروبية أن يغترب الإنسان عن إحساسه، يصبح التوقف عن الكلام مخاطرة قد تصل بالشخص إلى أن يدرك حقيقة اغترابه (وموته النفسى) من خلال الكلام وغيره، فيتألم حتى لا يطبق ويتراجع إلى الكلام قد يدفعه الألم إلى انتهاز فرصة إعادة البناء أو إعادة الولادة في أزمة تطور جديد على طريق النمو البشرى.

وكالعادة، نختتم بالمتن مكتملاً:

يالاً نلعب يا جماعة: لعبة "هس".

فَنُح عَيْنُكَ بُشْ،

إِنْ كُنْتَ شَاطِرُ جِسْ.

"أنا مين؟!"

ما تقولش.

مجنون؟

ما تخافش.

جَرَبْ تانى، ما لأول:

... راح تتعلم تقرا وتكتب من غير ألفاظ:

مش بس غنيك،
تدويرة وشك
وسلام بقتك على خدك،
والهزه ف دقتك،

وكلام اللون:
اللون ألباهت الميت،
واللون الأرضي الكلجان،
واللون اللى يطق شرار،
واللون اللى مالوش لون،
وعروق الوش،
والرقبة،
وخطوط القورة،
وطريقة بلعك ريقك
تشويجة إيدك...
إلى آخره.

لما حانسكت حانحس،
أو نعلن موتنا.

وخلص!

...

أو يمكن لما نحس،
نقدر نبتدى مالأول؟

- لم أجد مقابلا بالفصحى لكلمة "البحلقة" حتى كلمة
التحديق لم توصل لي ما أريد.

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى
من ومى ديوان : أنوار النفس

لولا أنى أضفت الفقرة قبل الأخيرة لهذه القصيدة، لعدلت عن نشرها فى هذه الطبعة فى هذا السياق، إذ ما علاقة خبرة شخصية أكثر منها مهنية بالعلاج النفسى، الذى هو موضوع هذا العمل فى صورته الجديدة؟ هل هناك سبيل لتصور ثمة علاقة دون تعسف؟

نبهت فى مقدمة هذا الباب الثانى أنه باب فيه قدر أقل من آليات العلاج النفسى، لكنى أعتقد أن فيه قدر أكبر من التعرية عموماً، والحدس والإسقاط المحتمل، وبالرغم من أنى أكدت فى المقدمة هذا أنه لا توجد حالة واحدة - اللهم إلا حالتى الشخصية، هى حالة واقعية لشخص بذاته، وأن الصور الشعرية - فى نهاية النهاية- هى من نسج خيالى، برغم ذلك فإنى أجد نفسى أحتاج إلى تنبيه جديد يؤكد نفس التنويه ، بالنسبة لهذه القصيدة بوجه خاص

ربما يكون من الأفضل أن أقدمه على أنه صديق برغم أنه من نسج الخيال، وهو صديق من أعز من عرفت، كنا فى فورة الشباب برغم فارق السن، نحلم كما يحلم الشباب، ولكن للكلام نهاية محدودة، وقدرات مختنقة، ولا فائدة حقيقية منه قبل أن يُختبر، ولم تكن فى الستينيات ثمة فرصة لاختبار كلامى أو كلامه أو كلام أى واحد أو واحدة، فقد تولت الحكومة أمر الناس أكثر من اللازم، وأخفت عنهم ما أخفت، ولم نكن قد دخلنا امتحان نهاية المرحلة يونيو 1967، قبل هذه الكارثة بعام أو أكثر، سافر صاحبى بكل ريفيته الأميلة، وخواجيته المكتسبة، وتواصلت المراسلات بيننا بشكل مهم، لا نحن كففنا عن الحلم بمستقبل أفضل لنا وبلدنا، ولا نحن اقتربنا من الحلم بشكل يبرر استمرار تكرار نفس الكلام .

سافرت بدورى للخارج بعد أن رسبت الحكومة، فى الاختبار السالف الذكر، فزادت المراسلات جدة بيننا عبر الأطلنطى، وزاد محتواها شطحا وأحلاما، (لاحظ: مازلت أكتب من نسج خيالى، وحتى نهاية القصيدة).

سجلت القصيدة هذه المرحلة فى علاقتنا هكذا :

(1)

يَا مَا قُلْنَا وَيَا مَا عَدْنَا، وَيَا مَا أَخْلَمْنَا خَدْتْنَا،
 كْنَا بِنَخْطُ وَنرسم، فى الرمال نَبْنِي بيوتنا .
 صاحبي سافر. خُفْنَا نِنْسَى،
 قلنا نكتب، حلم أَيْامنا اللى جايّة .
 والكلام فوق الورق: بيخطط الدنيا اللى هيّة .
 جَلْمِنَا بالعدل كان دائما شاغلنا،
 وَالوَلَايَا وَالغَلَبَا كانوا وِضْلُهُ حُب بيْنَا .
 كل خلق الله تَبَعْنَا .
 نشترى حتى اللى باعْنَا .
 وَالسَّمَاخ، والملاح،
 والشهادات، والنجاخ .
 كل ده ، قال و"احنا بره"،
 يعنى: بِالْحلمِ الْمسرة .

وحين لاحت لى إرهافات أن صاحبي على وشك اتخاذ قرار هجرة دائمة، فزعت، ورفضت، وصارحته بذلك، وقد أعدت تفاصيل هذه المصارحة شعرا فى نهاية هذا الديوان حين قلت "يا طبر يا طاير فى السما رايح بلاد الغرب ليه؟ إوعى يكون زهقك عماك، عن عصرنا، عن مصرنا، تقعد تلف تلف كما نورس حزين، حاطط فين والوجد بيشدك لفوق، الفوق فضا، الفوق قضا... إلخ (أنظر بعد) ، وعاد صاحبي حين سمحت له ظروفه بالعودة، و يبدو أننى تصورث أننى كنت أحد أسباب عودته، ولكن هذا كان مبالغة منى غالبا، فقد كان ارتباطه بنا سنا، وطين أرضنا، شديدا طول الوقت.

(2)

قلت له: دى بلدنا أولى،
 ناشنا واخدينها مقاوله .
 صبر، والشغل "غلاؤله" .

حَنّ قلبه وجانى طاير، بالبشاير.

بعد عودته استمرت المحاورات على مستويات متعددة، عملية، ومهنية، ومادية، وتجريبية، وإبداعية، وكان ظهور هذا العمل بالذات، "ديوان سر اللعبة"، هو أحد مظاهر هذه الحوارات المتعددة المستويات، بالاشتراك مع آخرين، وثقوا في جدية ما نحاول، واستصعبوه، لكنهم دعمونا بمشاركة صادقة مهممة، لكن ظلت العلاقة الثنائية بينه وبينى محورية، وأساسية معظم الوقت، وكانت الأمور قد تكشف عن مصائب السياسة، وتضليل الإعلام، وتشويه المهنة، وتمادى الظلم والاعتراب، لكن لم تتبين لنا سبلا عمليا للإسهام في التغيير العام، وإن كنا لم نكف، أو نتراجع عن المحاولات الذاتية، فرادى، وأصدقاء، ومع عمق الرؤية أكثر فأكثر، تأصل الألم أكثر فأكثر، ومع الاقتراب الفعلي بينى وبينه، تجسد الاختلاف الجوهرى، وكان صديقى يشبهه بالاختلاف بين موقف "لاو تسو" (هو) و"كونفووشوس" (أنا) في تاريخ الصين!! وبدأت أتبين أن الاختلاف بيننا ليس يسيرا ولا ثانويا، فأحلامي طينية، وأحلامه رقيقة طائرة:



(3)

قلنا يالله نغوص سوا ف طين أرضنا،
واحدة واحدة نَجْتِهْدُ على قَدْنَا.
وابتدينا من جديد،
حَطَّ إيده ف إيدي، قلنا مش بعيد.
صاحبي راجع "حَرَّ خالص"،
والكلام جاهز وهمايص.
صاحبي لابس عَمَّة خضره
بس يرطن مالشمال، ولا عنده فكرة،
مش على باله اللي جارى،
في الزوايا، في التُّرْب، أو في الحوارى.
قلت اشوف مين اللي هلَّ علىَّ يانى،

حين اقتربنا أكثر وجدت أن صدقه أبلغ، لكن ألامه أكثر طموحا، وأكثر نعومة، ويبدو أن تربيته المدرسية الأجنبية، وطيبته الاجتماعية، ورقته الأخلاقية، قد غلبت على موقفه العملي الواقعي الإقدامى، أو هذا ما خيل إلى أنذاك: رحت أتساءل من واقع الاختبارات العملية إن كان هذا الصديق هو مَنْ عرفته طوال سنوات سلفت، مع طول الحوار، وصدق المحاولة، أم أن السفر غيرَه، أم أنى لشدة حاجتى إليه لم أعرفه أصلا كاملا متكاملا، وأنى فقط أكتشف بقيته مع تهادى الاقتراب والاختبار، والاختبار والاقتراب، وقد تبينت وأنا أعيد قراءة هذه الفقرة من القصيدة، أنى حين لم أجده "هو هو"، لم أجدى أيضا "أنا أنا"، (مالقيتوش، مالقيت نفسى، ") :

هُوَهُ هُوَهُ؟ ولا جاني حد تاني؟

قلت اجزّب،

قلت أقرب،

ما لقيتوش. مالقيتشى نفسى،

قلت جوعى بيغمى حسى.

يبدو أنى لم أياس،

وتواصلت محاولاتى للقرب،

جنباً إلى جنب مع بداية القراءة فى العيون:

بس برضه فضلت ادور،

قلت أبص ف عينه أكثر:

مش يمكن الاقى البذره الناشفه الخايقه الضايغه ف مجر
كلام:

عايزة تنبت، مش قادرة؟

لا أحد يرتوى من داخله بنفسه لنفسه دون أن تحده ساقية مغلقة تصب ماءها فى بئرها ذاتها مهما دارت، لا بد من "آخر"، بالعنى الحقيقى لمن هو "آخر"، ولو بنسبة ماء، لا أحد يرفض أن تتاح له فرصة أن يروى جوعه إلى "البسط" unfolding "ليكون" to be فـ"يصير" to become "إليه"، اللهم إلا مضطرا، أو موهما نفسه أنه مضطر.

هذه "البذرة الناشفة الخايقة" هى كامنة فىنا جميعا، هى تحف حين يكون ما يصلنا من الآخرين غير كاف لإروائنا، إلا بقدر ما يجنون ثمارنا كما تصوروها. تحف بذرتنا بداخلنا، ثم يأتى الكلام مهما كان صادقا، وهميلا، ليعمل بمثابة غطاء يحمى هذه البذرة الجافة من الذبول حتى العفن، لكنه لا ينبتها، فلا تترعرع إلا باقتراب آخر.

هذا ما تصورت أنه قد حدث في صاحبي، (وفي نفسي غالباً، أو لاحقاً)، لم ننتبه بدرجة كافية، أو في الوقت المناسب أن علينا أن نكف عن الأمل في إبداع أنفسنا والناس بالكلمات والنوايا الحسنة.

حاولنا باقترابنا من بعضنا البعض، ومعنا بعض الأصدقاء أن يكون عائد ذلك ريباً لبذورنا ولبذور البشر الجافة من حولنا، الجاهزة للإنبات لو وصلها تواصلنا بهم إليهم، أعتقد أن الأمل كان يتجسد في هذا الاتجاه كلما التقينا أو حاولنا، أو هكذا كنت أحلم، وهو كذلك (غالباً).

مش يمكن نشرب شفقة حب تروينا بدال سيل الجوع ما يغرقنا؟

مش يمكن شوفنا لنأشنا يفوقنا؟

يبدو أن الشك ساورني في واقعية أحلامي هذه، ما دمنا بكل هذا الجفاف، وبكل هذا الجوع، ربما يكون العيب عيبه، أو عيبى، أو عيبنا كلينا.

واستمرت المحاولة بلا كلل أو ملل، وباضطراد متدرج، مع محاولة مزيد من الرؤية، ما أمكن ذلك حتى لا نهرب من بعضنا البعض إذا زادت الجرعة، لكن يبدو أن الإحباط كان ينتظرني بشكل لا حل معه، فواجهت السكون البعيد الخامد المغطى بعباءة الكلمات، وروائح حسن النية:

قلت أشوفه، ماظلموش،
دُخيت تدوير، مالقيتوش،
قالوا جوه... لسه حبه
قلت أدخل، حبه حبه

(4)

ولاقيتني جوا مجور ضلمه، مالهش شطان،
ولا جس لموج،
ولا نسمه تلاعب قلع شراع،
أو حتى تهز القشه العايمه المنسيه.
ولا ضربه ديل سمكه، ولا طحلب،
ولا قوقع ولا أي حياة !!!
هو الهو اتنهووى ازاي ؟
راح فين يابنى أنين الناي؟

وأنا أحدث هذا العمل الآن جاءتني الإفاقة التالية، وقد مر على كتابة القصيدة الأصل أكثر من خمس وثلاثين سنة، وهي ليست تراجعاً، بقدر ما هي محاولة رؤية عادلة، ولو بأثر رجعي.

أظن أنها إفاقة صالحة لهدف هذا العمل بصورته الجديدة، أعني توظيفه للإفادة في العلاج النفسي: ذلك أننا كثيراً ما نحكم على مريض ما أنه تبلى حتى أصبح لا يشعر بنا، وربما نحن الذين لا نشعر به، أو نتهمه أنه "بعيد"، وربما نكون نحن المسئولون عن هذا البعد، من هنا جاءت هذه الفقرة تقول:

(5)

مش يمكن كان نَفسى أرمى جملى عليه؟
مش يمكن جوعى صَوّر لى حاجات مش فيه؟

مش أحسن أبص على اللي بيجرالى من جَوْه؟
مش يمكن يطلع كل ده : "أنا" مش "هو"

سوا كده أو كده أو كده، دى الدنيا بقت هُش هُش!
يبقى نسكت، أو ياللا نرجع نتكلم ونرس !!

حين نكتشف اغترابنا فى الكلام، لا يكون الخل هو أن نكف عن الكلام، بل لعل الكلام يكون هو الممكن المتاح فى كثير من الأحيان، وليس أماننا إلا أن نستعمله بما هو حتى تدب فيه - فينا - الحياة، إذ يلتحم بقنوات التواصل الأخرى،

هذا الاستسلام للكلام فى نهاية القصيدة، وبرغم أنه بدا بأسا كاملا، وكأننا نعلن موت الفقيد، إلا أنه غالبا نوع من تأجيل الحكم، ربما انتظارا لبعث ما ، بشكل ما .

يا خبر يا جدع!! كدُهُ؟ !!!

لا يا عم .

نتكلم أحسن!

ما هو أصل المعزى:

"قهُوه ساده، وكلام".

ثم نختتم النشرة بهذه القصيدة مجتمعة كما اعتدنا:

(أقدمها وأنا أعتذر لها، لعلها تغفر لنا ما فعلناه بها)

(1)

يَآمَاقُلْنَا وَيَآمَاقُ عَدْنَا، وَيَآمَاقُ أَوْلَامُنَا خَدْتُنَا،
كُنَّا بِنَخْطُطُ وَنَرَسْمُ، فِى الرَّمَالِ نَبْنِى بِيوتِنَا .

صَاحِبِى سَافِرْ . خُفْنَا نَبْنِى،

قَلْنَا نَكْتَبُ، حَلْمِ أَيْمَانِنَا اللى جَايَةٌ .

وَالكَلَامِ فَوْقِ الوَرَقِ: بِيخْطُطُ الدُنْيَا اللى هِيَّة .

جَلْمِنَا بِالْعَدْلِ كَانِ دَائِمَا شَاغِلِنَا،

وَالوَلَايَا وَالغَلَابَا كَانُوا وَضَلَّةً حَبِ بَيْنَا .

كُلْ خَلَقَ اللهُ تَبَعْنِيَا .

نَشْتَرِى حَتَّى اللى بَاغِنَا .

وَالسَّمَاحُ، وَالْمِلاحُ،

وَالشَّهَادَاتُ، وَالنَّجَاحُ .

كُلْ دِهْ، قَالَ وَ"أَحْنَا بَرِهْ"،

يَعْنِى: بِالْحَلْمِ الْمَسْرَّة .

(2)

قَلْتِ لِهْ: دِى بِلْدِنَا أَوْلَى،

نَاسِنَا وَآخِدينَا مَقَاوِلِهْ .

صَبْرُ، وَالشَّغْلُ "غَلَاوْلَهْ" .

خَنَ قلبه وجانى طاير،
بالبشاير.

(3)

قلنا ياالله نغوص سوا ف طين أرضنا،
واحدة واحدة نَجْتِهدُ على قدنا.
وابتدينا من جديد،
خَطَّ إيده ف إيدي، قلنا مش بعيد.
صاحي راجع "خَرَّ خالص"،
والكلام جاهز وهـايس.
صاحي لايس عمّة خضره
بس يرطن مالشمال، ولا عنده فكرة،
مش على بالله اللى جارى،
ف الزوايا، ف التّرب، أو ف الخواري.
قلت اشوف مين اللى هلّ علّى ياني،
هوه هوه؟ ولا جاني حد تاني؟
قلت اجرّب،
قلت أقرب،
ما لقيتوش. مالقيتوشى نفسى،
قلت جوعى بيغمى حسى.

بس برضه فضلت ادوّر،
قلت أبص ف عينه أكثر:
مش يمكن الاقى البذره الناشفة الخايفه الضايغه ف بحر
كلام:
عايزة تّبتت، مش قادرة؟

مش يمكن نشرب شغطة حب تروينا بدال سيل الجوع ما
يغرّقنا؟
مش يمكن شوفنا لّناسنا يفوقنا؟

قلت أشوفه، ماظلموش،
دُخت تدوير، مالقيتوش،
قالوا جوه،.. لسه حبه
قلت أدخل، حبه حبه

(4)

ولاقيتني جوا مجور ضلمه، مالهاش شطآن،
ولا جس لموج،
ولا نسمة تلاعب قلع شرّاع،
أو حتى تهزّ القشه العامية المنسية.
ولا ضربة ديل سمكه، ولا طحلب،
ولا قوقع ولا أّى حياة!!!

هُواّ الهو اثنهوى ازاي؟
راح فين يابنى أنين الناي؟

(5)

مش يمكن كان نفسى أرمى جملى عليه؟
مش يمكن جوعى صور لى حاجات مش فيه؟

مش أحسن أبص على اللي بيجرالى من جوّة؟
مش يمكن يطلع كل ده : "أنا" مش "هو"

سوا كده أو كده أو كده، دى الدنيا بقت هُش هُش!
يبقى نسكت، أو ياللا نرجع نتكلم ونرص !!

يا خير يا جدع!! كده؟ !!!
لا يا عم .
نتكلم أحسن!
ما هو أصل المعزى:
"قهوه ساده، وكلام".

وبعد

مرة أخرى: ما دخل هذه الصورة التي تبدو شخصية تماما بتوظيف النص الشعري في هذا الديوان في الإرشاد إلى طبيعة العلاج النفسى؟

بالإضافة إلى ما أبحث فيما سبق، فإن التعرف على الخبرة الشخصية للطبيب النفسى في محاولته لتحقيق ما يدعو إليه مرضاه، يمكن أن يكشف جانباً إنسانياً في خطوات الطبيب النفسى على درب النمو المضطرب.

لا يمكن فصل الخبرات الشخصية، المعلنة والسرية، للطبيب النفسى، صغيراً أو كبيراً، عن ممارسته مهنته، بل عن اختياره طرق علاجه، بل وعن مسار تنظيره ومبعث وضع فروضه إن كان قد وصل إلى مرحلة تسمح له بذلك، إن حياة سيجموند فريد شخصياً، وأحلامه، وعلاقاته، وتاريخه، وجذوره الدينية (اللايدنية) والعرقية، قد أثرت جميعها ليس فقط في ممارسته، بل أيضاً في تنظيره.

إن تعرية تعامل الطبيب، مع صعوباته الشخصية، داخل المهنة وخارجها، هي التي تمهد الطريق الذى يتعلم منه جوهرية احترام المريض، وهى أيضاً التي تسمح للمريض أن يرى أن ما يسرى عليه، يسرى على من يعالجه.

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

[http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum /](http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/)

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site

الثلاثاء 08-09-2009

739- حركية استمالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

حين أعدت قراءة متن هذه القصيدة، فوجئت بهذا التكثيف المركز، والنقلات السريعة.

الصورة هنا كانت أكثر تنوعا وتداخلا وتدفيقا. لو صح الحدس الذي شكلها إذن فمهمة الطبيب النفسي تزداد صعوبة ومسئولية، حين يقول صلاح جاهين في رباعيته الرائعة: إيه تطلبي يا نفس فوق كل ده، حظك بيضحك واني متكده، ردت قالت لي النفس قول للبشر، ما يبصوليش بعينون حزينه كده"، تحترم هذا التلقى لعمق عيون البشر ووصفها بأنها حزينة، الأمر لا يتوقف عند تصنيف جاد مبدع: شعري أو طبي، بأن هذه نظرة حزينة، وتلك نظرة نداهة، وأخرى فرحة، وغيرها مندھشة، إذ يبدو أن هناك بعدا، أو أبعادا أخرى، على مستوى إنساني كلي، ومن خلال العيون اساسا، وليس تماما،

يمكن رصد هذه النداءات وهذه اللغات وهذه الألوان في العيون مع العجز التام عن تسميتها،

ما العمل؟

الجانب الآخر الذي وصلني حين قرأت هذه القصيدة من جديد، هو أن الحياة الطبيعية الحقيقية قد تكون بنفس هذا التداخل والتكثيف، وأن أي اختزال أو تحليل لها هو أيضا نوع من الاغتراب أو التشويه، فالسويقة (والسوق، والمولد، ومحطة القطار، وميدان في حى شعبي .. إلخ) في حركتها المتداخلة المتكاملة تكاد تكون هي الوجه الخارجي لهذه الوجدانات المتنوعة كما تطل من عيون تجلت في هذا التشكيل،

أن جميعهن (بعكسي طفلاً) كن متأكدات أنه لن يدهسن من ناحية، وفي نفس الوقت فإنه ليس له ميعاد ثابت فلا داعي لوضعه في الحساب.. ومع ذلك فقد كان يداخلني خوف من أن تخبب حساباتهن مرة، ويدهمن القطار على غرة، رغم أنه لا يعرف المباغثة.

كان القطار يأتي ويصفر ويتلجع حتى يتفرقن في مرح وفزع مصطنع، ولا يلبثن أن يعدن كما سبق يعد مروره، وبعد أن يركبه منهن من سوف تواصل السفر إلى سوق السبت :

والنظرةُ الصاحية الواسعة الزحمة ،

زئ سويقةُ السبت، في بلدنا.

زى القفف المليانة حاجات وحاجات،

محطوطه بالذات،

على قلب شريط قطر الدلتا.

كل ما القطر يصفّر، بتلاقى الزحمة اتفضت.

والقفف السودا النسوان، بتشيل القفف البيضا المليانة

حاجات وحاجات.

ومّا القطر يعدى: ترجع كومة القفف النسوان، القفف النسوان:

تتلخبط على بعض، كما دقن الشايب.



على "عايزه اختار"،

و"انا مالى ياعم"،

"مش عايزه ألم"،

على "نفسى أعيش"، "بس ما تمشيئش"،

"خلينى معاك"، "خلينى بعيداً"،

التناقض هنا ليس تناقضاً بقدر ما هو تداخل حركى جدلى متضمر، إذ يختلط النداء بالدفع فى نفس اللحظة، ويتداخل الألم مع الرغبة .. إلخ مما يمكن أن يمسح التشكيل كلما تمادينا فى التوصيف. قف.

ينتهى هذا المقطع بإعلان الرغبة فى الحياة بالمعنى البسيط، وفى نفس الوقت بالمعنى الحقيقى،

• قرار "أن تعيش" هو أصل كل الوجود، وهو قرار يستحيل بنوعه بشرية حقيقية إلا فى وجود آخر، إن مجرد الاعتراف بهذا القرار "قررت أن أعيش بشراً"، يعلن اعترافاً ضمنياً بأنه لا يعيش هكذا إلا فى رحاب وعى بشر "آخر" يقرر نفس القرار،

• فى الندوة الأخيرة لجمعية الطب النفسى التطورى (عودة لفتح ملف الفصام) يوم الجمعة الماضى (4 سبتمبر) انتبهت إلى أن الإنسان المعاصر ما زال يعيش فى الموقع البارنوى paranoid position فى معظم تعاملاته معظم الوقت، على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع أيضاً

• اكتشفت برغم طول الخبرة ندرة الموقع الاكتئابى الأكثر نضجاً على مسار النمو هو الذى ما يميز (المفروض يعنى) الإنسان الخالى النامى وهو يواصل تطوره ليتحمل مسئوليته الجديدة، لم تتضح لى ندرة هذا الموقف الاكتئابى إلا مؤخراً جداً، فما هو؟

هو الموقف الذى يعلن نوع العلاقة التى يمكن أن يتميز به الكائن البشرى دون غيره بوجه خاص،

آن الأوان أن أتوقف عند هذه التسمية ، "الموقف الشيزيدى" Schizoid Position، و"الموقف البارنوى Depressive Paranoid Position"، والموقف الاكتئابى Position أقول إنه قد آن الأوان أن نبحث عن تسميات أخرى تناسب ثقافتنا بوجه خاص:

إنك بمجرد أن تذكر أو تكتب أو تقرأ كلمة "اكتئابى" أو "بارانوى" يذهب فكرك إلى ما هو مرض، (ولست متأكداً إن كان ذلك يحدث عند ثقافة الإنجليز بالنسبة للكلمة الأصلية بالإنجليزية أم لا)، من هنا يبدأ الخلط إذ أننا فى مقام الكلام عن مراحل النمو التى يمر بها كل فرد بلا استثناء وليس فى مقام وصف مرض بذاته، أو إمراضية خاصة، وبالتالي فعلينا

أن نحذر استعمال أجدية من قاموس المرض النفسي لوصف النمو العادى، ولا يجوز أن نلوم الشخص العادى إذا ما سمع كلمة بارنوى، أو اكتئاب فذهب إدراكه واستقباله إلى أنه شىء يخص المرضى دون غيرهم، الأفضل ولو مرحليا أن نبتدع أسماء لهذه المواقف أقرب إلى طبيعة النمو لنبتعد قدر الإمكان عن هذا الخلط.

بالنسبة للموقف الشيزي فكرت أن أترك اسمه كما هو لأن الكلمة معربة وليست مترجمة، ولكن دعنا نتكلم عنه باسم "موقف اللاموضوع"، ثم نسمى الموقف البارنوى "الموقف الكرفرى" أو الموقف "الكرفرى" أو الأفضل حتى نكتسب شجاعة النحت "موقف الكرفرى" لمن لم يتعود على الإضغام في نحت الكلمات، ثم يأتى الموقف الاكتئابي فنسميه "الموقف العلاقتى البشرى"،

- اسمحولى أن أعيد توضيح بعض ذلك برغم أننى قمت به من قبل مرارا، ولكن دون هذه التسميات الجديدة:

§ **الموقف العلاقتى:** هو موقف يبدأ داخل الرحم ويمتد لأيام أو أسابيع خارجه، وهو التواجد بلا علاقة أصلا بموضوع منفصل عن الذات ("ليس أنا" not me) وهو قد يستمر طاغيا في كل مراحل النضج في معظم حالات اضطرابات الشخصية، بحيث يتحول العالم كله تقريبا إلى إسقاطات واستعمالات ذاتية بقدر هائل من الشخصية Personification والذاتوية Egoism فتصبح الموضوعات كلها مسقطه من الداخل بمعنى أنها موضوعات ذاتية Self Object وليست حقيقية، هذا الموقف يمكن إرجاعه تطوريا إلى مرحلة الكيانات الأحادية (حتى أحادية الخلية) حيث كانت لا تحتاج إلى موضوع، إلى آخره، حتى للتكاثر، فقد كانت تتكاثر بالانقسام (ودمتم)

§ **موقف "الكرفرى":** بمجرد أن يتعرف الكائن البشرى النامى على أنه لم يعد في بطن أمه، وأن هناك عالم خارجى، وأن هذا العالم الخارجى يحوى موضوعات غيرى، غير ما هو "أنا" Not Me، يعتبر هذا الكائن النامى أن أى موضوع خارجى هو خطر عليه، ومن هنا يبدأ في التجسس والحذر والخوف من الاقتراب والخوف من الحب والخوف من أية علاقة، وهو يمارس في هذه المرحلة آليات الكرف والفر والشك والحذر، يدافع بها عن كيانه وعن استمرار وجوده. هذا موقف فيه "موضوع حقيقى"، وهو يمارس نوعا من التفاعل معه، ولكن في اتجاه الدفاع عن الذات لا أكثر،

أما بالنسبة للعلاقات في هذه المرحلة (الكرف- الفر) بين الأفراد من نفس النوع فإن العلاقات ليست منعدمة، لكنها قاصرة على الرعاية لتنشئة الأصغر، وعلى اللذة لحفظ النوع (الجنس للتكاثر)، وعلى التجمع معا، أيضا للحماية، دفاعا عن النوع، إذن توجد علاقات في هذا الموقف، على هذا المستوى التلقائى، هذه العلاقات تحكمها آليات البقاء وغرائز حفظ الحياة والنوع، بأقل قدر من الاختيار والوعى على ما أعتقد.

يبدو أن الإنسان المعاصر، أعنى أغلب الناس - كما ذكرت منذ قليل - ما زالوا يعيشون معظم الوقت بهذا النوع من العلاقات **الكرّ-فرية**، وهى تظهر طول الوقت في التوجس المعاملاتى تحت مظلة ألفاظ القانون أو موثيق حقوق الإنسان كما تتجلى مباشرة فيما يسمى سياسة السوق، والتعصب الدينى المعلن والخبى، الشعورى واللاشعورى، والتعصب العرقى، والتعصب الطبقي، والتنافس في كل المجالات، خصوصا التنافس الاغترابي، والحروب بأنواعها القديمة والجديدة، (الاستعمارية، والاستغلالية، والاستباقية، والإرهابية...إلخ)، كل هذا ليس إلا كرفر بين الأفراد وبعضهم البعض، وبين المجموعات وبعضهم البعض، وبين الدول وبعضهم البعض)، هذه حقائق ليست مزعجة، وإنما هى حافزة للانتباه إلى تواضع موقعنا على سلم التطور، وإلى طول المشوار الذى ينتظر منا أن نقطعه دون ردة إلى ما يشبه الموقف الشيزيدى للعلاقاتى تحت زعم النظام العالمى الجديد أو أى نظام يقلل الفروق الفردية والثقافية على حساب العلاقات الإنسانية الأرقى والأصعب في المواقف البشرية الأكثر وعيا ومسئولية وجدلا

§ **الموقف العلاقتى البشرى:** اكتسب الإنسان الوعى، ثم الوعى بالوعى، كمرحلة أخيرة هى الغالبة الآن، وبما أن هذا قد تم مؤخرأ فإن مسيرة نموه عليها أن تمر بكل المراحل السابقة لتحتويها وتتجاوزها وتتكامل بها.

في تقديعى لندوة يوم الجمعة الماضى كما ذكرت، انتبهت إلى ما ذكرته حالا من أن أغلب البشر اليوم لم يصلوا إلى هذا المرحلة العلاقتية البشرية الحقيقية بحق، وأن أغلب الجهود المبذولة إبداعا، وتربوية، وتصحيحا، وتكافلا إنسانيا هى تهدف لزيادة حجم جرعة هذا النوع من العلاقات التى تميز البشر دون غيرهم من الكائنات، لكن يبدو أننا نسير ببطء شديد في الاتجاه الصحيح.

المصيبة أن مزاعم الحب والتضحية والسماح والمساواة ومثل هذا الكلام، تمثل أغلبها ردة شيزيدية أكثر من أنها محاولات تطويرية لاقتحام المرحلة التالية بما فيها من خيرة علاقاتية مؤلمة رائعة

الإنسان المعاصر ما زال يعيش الموقف الكرّ فزى، وأغلب المحاولات الجارية، لتجنب هذا الموقف أو التخفيف منه هى بالنكوص إلى الموقف الشيزيدى، وليس بالتقدم إلى الموقف العلاقتى البشرى.

الموقف العلاقتى البشرى: هو الذى يضع الإنسان على قمة هرم الحياة التى نعرفها،

فهو يعلن أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا في وجود، ومع، إنسان آخر،

ويكون هذا الإنسان الآخر هو مصدر الاعتراف به،

وهو مرصد شوفانه،

وهو أيضا مصب مشاعره المتبادلة من نفس هذا النوع،
وهنا يبدأ التميز البشرى في فرض صعوباته الرائعة.

لما كان الإنسان قد اكتسب الوعي، ثم الوعي بالوعي كما
قلنا، فقد أدرك أن ثم "آخرا" هو ضرورى لأنسته،

الآخر الحقيقى هو مصدر الحياة الأرقى بموقفه هذا الذى
يسمى الحب،

ثم يكتشف الإنسان في منطقة ما من مناطق وعيه، ليست
ظاهرة على السطح دائما، أن هذا الآخر الذى هو مصدر هذا
الحب (الحياة كإنسان) هو هو أيضا مصدر التهديد بالترك،
بالهجر، تبعا لطبيعة حركية العلاقة لا أكثر،

هكذا يقفز الحذر من هذا الحب الموضوعى فعلا، ليس حذرا
لدرجة إلغائه كما هو الحال في الموقف اللاعقاتى (الشيزيدى)
برغم مظاهر حميمة العلاقة،

وليس حذرا لدرجة تبرير استمرارية الكر والفر كسبيل
أوحد للحفاظ على الحياة، ولكنه حذر يقول :

أنا على يقين من أن مصدر بشريتى هو هذا الآخر الحب

أنا لا أستطيع الاستغناء عنه أو عن من هو مثله

أنا على يقين -في نفس الوقت- من أنه قد يتركنى

أنا سوف أتألم حين يتركنى، بل إننى متألم الآن مجرد التفكير في
هذا الاحتمال

أنا لن أتركه

أنا لن أتركه يتركنى

أنا أحبه

أنا أمارس معه نفس الدور تماما

هو يجبى

هو يمارس معى نفس الدور تماما

كيف أحفظ بهذا وذاك الآن هنا معا

هذا مؤلم جدا،

لكنه بشرى جدا،

وهو أفضل من أى حل آخر، أفضل من العودة إلى الكر والفر

وأفضل من الكذب بإسقاط آخر من داخلى بالمواصفات التى لا
تهددنى على هذا الشئ خارجى

وأفضل من العودة إلى قوقعتى لاغيا كل آخر

يا لروعة الألم الحب الرؤية الاستمرار يا لفخرى بي ساعيا، فرحا، متأما

لا أعرف ما الذى اضطررنا لهذا الاستطراد الطويل المعاد
غالبا

أهى ندوة الجمعة الماضية

أهى أنى اكتشفت أن كل ديوان سر اللعبة ثم شرحه فى ألف
صفحة (وهو الجزء الأول من هذا العمل) لم يتناول (تقريبا)
قضية إلا هذه القضية المستحيلة الرائعة الممكة؟ وكذا هذا
الديوان وهذا العمل؟

عن الزمن والحركة

لا يمكن أن تفهم إشكالية العلاقة البشرية الناضجة مجمها
وموضوعيتها إلا من خلال بعدى الزمن والحركة

"حتمية بُعد الحركة" هو الذى علمنى أنه لا علاقة بشرية
حقيقية إلا بتفعيل برنامج الدخول والخروج مع ترجيح جانبه
الإيجابى الذى يحتم عدم تساوى ذراعى الدخول والخروج،

لا يمكن مسخ هذا البرنامج إلى ما هو إيجابى خالص، أو ما هو
سلبى خالص، إذ يبدو أن المراوحة هى أيضا بين الحركة اقترابا
وابتعادا نشطا، وبين التوقف ترقبا وهمودا وخوفا، "خلينى
معاك، خلينى بعيد"

يمكن أن نقرأ هذا الموقف باعتباره موقف تردد سلبى قبيح،

كما يمكن قراءته باعتباره وعى بالجانين معا، دون
إيقاف نبض الحركة، مع تحمل الألم، واستمرار تبادل الوعى
والرؤى

عن حركية المسافة أيضا:

الفقرة التالية فى القصيدة تركز على ما يسمى
"المسافة":

وإذا قلت أنا أهة، أنا جى،

بسمعى كما صُفارة القطر، ويخَاف.

وينط كلام العين جُوه: فى البطن،

أو تحت الأرض.

وتلقى سوادها وبياضها بيجزوا ورا بعض،

زى النسوان اللى بتجرى بقفها.

واما ابعده تانى،

ترجع كل الكلمات الساكنة المليانة ألم وحاجات،
و "تعالى" و "رُوح" و "قوام" و "استننى"،
"وانا نفسى تُقَرَّب .. إلا شوية". "طب حبه كمان"
"بانهار مش فايث !!، أنا خايفة"،
"أنا ماشية".

إن إحياء حيوية المكان - المسافة- هو ضرورة لفهم
وتأكيد وتعميق حيوية العلاقة، جنبا إلى جنب مع حركية
الزمن.

لا توجد علاقة حقيقية بدون مسافة متغيرة، المسافة
الثابتة تعلن ضمنا أن العلاقة إما خامدة متجمدة، أو هي
غير موجودة أصلا، وأن كلا من برنامجي الدخول والخروج والإيقاع
الحيوى إما يعملان بطريقة آلية في الحبل، أو هما متوقفان فعلا
أو وظيفيا، أو أنها علاقة التهامية يحتوى طرف منها الطرف
الأخر داخله وبالعكس

نرجع نتذكر نقدنا في الباب الأول لموقف التحليل النفسى
التقليدى من مسألة غلبة التركيز على الماضى والتداعى الخرى،
ثم نضيف هنا هامشا على رؤيتنا لشكل المسافة وطبيعة الحركة
في هذا الموقف:

يبدو أن التحليل النفسى التقليدى قد ارتاح بوضع
المريض ممددا على الحشية، والطبيب (أو المحلل) قابع خلف رأس
المريض دون النظر في عينيه تحديدا،

في العلاج الأحدث "وجها لوجه"، وفي العلاج الجمعى، يختلف
الأمر تماما، حيث تتحرك المسافات ونحن جلوس في مواقعنا تحركا
فاعلا واقعا يكاد يرى بالعين المجردة، وإن صح ذلك في المرضى
العصابين، فهو لا يساعد الذهانيين والوجدانيين وكثيرين من
اضطرابات الشخصية.

نكتشف أثناء الخبرات النمائية العميقة -ومنها العلاج
النفسى العميق- أن الإنسان (مريضا أو غير مريض) قد يربح
ربعا شديدا من الاقتراب الحقيقى من إنسان حقيقى من خم ودم،
له وعى ووعى بالوعى، مثله، هذا هو ما أسميه في كثير
من صورى الشعرية : خطر الحب، برغم تحفظاتى من الالتباس
المحيط بهذه الكلمة كما ذكرت مكررا، الخوف من الحب (مثل الخوف
من الخرية) هو أعمق خوف يمكن أن نقابله في أعماق النفس
الإنسانية وبالتالي في المريض، حتى وإن لم يظهر بشكل مباشر
أو ظهر العكس،

نحن نواجه هذا الموقف في خبرة النمو أثناء العلاج الجمعى
حيث لا يكون "الأخر" عدوا ولا منافسا فقط ... بل رفيق طريق
أيضا ... مما يفتح الباب لاقتحام هذه المنطقة البشرية
بدلا عن لعبة الكر والفر تحت أو هام المطاردة، وأيضا بعيدا
عن الحب الناعم اللاغى للأخر برغم زعم وجوده. هذا الرعب

من هذا النوع الحقيقي من الحب هو نتيجة الخوف من التخلي عن دفاع الكرو والفر، الذي يوهمنا أنه هو وحده الذي يحافظ على الحياة والبقاء، وعن دفاع العمى التسكينى المؤقت.

وبما أن هذا الخوف من الحب له ما يبرره في الواقع حيث المجتمع التنافسي ما زال يحافظ على بقاء الأفراد فيه بآليات الكرو والفر، فعلى المعالج أن يضع ذلك دائما في اعتباره قبل أن يحاول أن يكسر هذا الدفاع الواقى أو ذاك.

ثم تنتهى القصيدة نهاية قائمة، لكنها مفتوحة

والقف المليانة الغلّة الكوسه البادجأن،

الحُبّ العطف الخوف العوّزان،

تفضى من كله .

ولا يفضل غير قضبان القطر.

زئ التعبان الميث.

مستنّيه السبت الجى،

اللّى ما بيـجيش.

هذه النهاية تقول إن ما يبدو من استحالة تحقيق النقلة البشرية المنتظرة، مع تزايد ألم المحاولة، قد يبدو مريرا للتنازل عن مواصل المحاولة، فتنسحب كل هذه الحركية إلى المجهول، إلى الداخل، إلى سكون الظلام، إلى حجر الثعبان الميت، كل هذا وارد لكنه ليس نهاية المطاف ما دام الإنسان إنسانا مازال به وعى ينبض.

نوع الإنتظار هنا لم يقفل تماما بهذه الصورة القائمة ، لم يترتب عليه انسحاب مطلق عودة إلى كهف الدار، استغناء عن زخم السويقة، بل إن صاحب أو صاحبة هذه العيون الحية، تظل قابعة بجوار قضبان القطار حتى لوبدت ثعبانا متيا، حتى لو قالت "أنا ماشية" فهي لم تمش، وهى لم تعلن أن "السبت الجى" عمره ما هو جى"، وإنما التعبير يقول أن الانتظار واعد، وبرغم أن القطار لا يأتى "الآن"، فهو سوف يأتى، وإلا فلماذا استمرار الانتظار بجوار القضبان؟

وبعد

استأذنكم في نشر النص الكامل غدا، حتى يتخلص هائيا من هذه الوصاية البشعة.

مع أمل ألا تنسوا أهمية ودلالات هذه الوصاية البشعة.



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياء
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

العين الثانية (2)

الحلقة (28)

قبل النص

نبهني صديق ناقد إلى فقرة جاءت في نشرة أمس، فهم منها أنني أخذ على صلاح جاهين أنه وصف الحزن الذي يطل في عيون الناس ليبر له أن نفسه متنكده مع أن حظها بيضحك، أخذ عليه أنه وصف حزنا ذا بعد واحد، وقد وصل احتجاج الصديق إلى أنه تصور أنني حاولت أن أبين أن شخصي قادر على وصف لغة العيون بالتكثيف الذي جاء في نص قصيدتي، بطريقة أفضل!!

وبرغم استحالة ذلك، إلا أنني وجدت أن من واجبي أن أقدم هذا التنويه الخال، ليس اعتذارا وإنما توضيحا واحتراما للناقد والشاعر معا.

لقد تعلمت من صلاح جاهين عن النفس البشرية مثلما تعلمت من ديستوفسكي ونجيب محفوظ وصلاح عبد المصور، فكيف يحظر على بال أحد أنني أكثر من تلميذ مجتهد.

تصحيحا لما وصل للناس، أو لما أسأث التعبير عنه، أرجو لمن يهتم أن يرجع إلى دراسة متكاملة قمت بها مقارنة بين رباعيات صلاح جاهين ونجيب سرور وعمر الخيام، ظهرت في كتاب كامل بعنوان "رباعيات ورباعيات" ليعرف قيمة هذا العبقري عندي، وكيف علمني (الكتاب موجود بالموقع "كتاب رباعيات ورباعيات")

ثم أكتفى هنا بأن أورد رباعيات أخرى لجاهين - بدءا برباعية أمس- دون تعليق، حتى نعرف كم أحاط هذا العبقري الجميل بلغة العيون إحاطة غائرة وغامرة طول الوقت

عذرا يا أبا به

أوحشتني

إيش تطلبي يا نفس فوق كلّ ده

حظك بيضحك وانتي متنكدة

ردت قالت لى النفس: قول للبشر

مايبصوليش بعيون حزينه كده

أعرف عيون هي الجمال والحسن

وأعرف عيون تأخذ القلوب بالحضن

وعيون خيفة وقاسية وعيون كثير

وباحسّ فيهم كلهم بالحزن

أهوى الهوى وهمس الهوى في العيون

وبسمة المغرم .. ودمعة الخنون

وزلزلات الحب نهد الصبا

أكون أنا المحبوب .. أو لا أكون

ورا كل شبك ألف عين مفتوحين

وأنا وانتي ماشين يا غرامى الحزين

لو التمكننا نموت بضربة حجر

ولو افترقانا نموت متحسرين

قطي العزيز راقد على الكنبات

في نوم لذيذ .. وبيلحس الشنبات

وانا كلّ عين فنجان مدلق قلق

صدق اللى قال إن الحياة منابت

والآن هل تسمح لى يا صلاح أن ألق بكل هذا الجمال النابض
نص قصيدة "السويقة" مكتملة وأنا واثق من أنها سوف أن
تتوارى وراء شمس إبداعك؟

أوحشتني يا رجل!!
 السويقة
 والنظرة الصاحية الواسعة الزحمة،
 زى سويقة السبت، في بلدنا.
 زى القفف المليانة حاجات وحاجات،
 محطوطه بالذات،
 على قلب شريط قطر الدلتا.
 كل ما القطر يصفر، بتلاقي الزحمة اتفضت.
 والقفف السودا النسوان،
 بتشيل القفف البيضا المليانة حاجات وحاجات.

ومًا القطر يعدى:
 ترجع كومة القفف النسوان، القفف النسوان:
 تتلخبط على بعض، كما دقن الشايب.

أهى نظرة عينه زى سويقة السبت،
 فيها كل كلام الدنيا، وف نفس الوقت

فيها "رغبة" على "دعوه"، على "إشعنى"، على "رعشة خوف"،
 على "صرخة طفل"، على "خلمة بز"،
 على "عايزه اختار"،
 و"انا مالى ياعم"،
 "مش عايزه أم"،
 على "نفسى أعيش"، "بس ما تمشيش"،
 "خلينى معاك"، "خلينى بعيد"،
 وادًا قلت أنا أهه، أنا جى،
 يسمعنى كما صُفارة القطر، ويخاف.
 وينط كلام العين جوة: في البطن،
 أو تحت الأرض.

وتلقى سواذها وبياضها بيجزوا ورا بعض،
 زى النسوان اللى بتجرى بقففها.
 واما ابع تانى،



ترجع كل الكلمات الساكته المليانه
 ألم وحاجات،

و "تعالى" و "زوح" و "قوام" و
 "استنى"،
 "وانا نفسى تقرب .. إلا شوية".
 "طب حبه كمان"
 "ياهار مش فايث !!، أنا خايقة"،
 "أنا ماشيه".

(3)

والقف المليانه الغله الكوسه البادجنان،
 الحب العطف الخوف العوزان،
 تفضى من كله.
 ولا يفضل غير قضبان القطر.
 زى التعبان الميت.
 مستنيته السبت الجى،
 اللى ما بيغيش.

أرسل تعليقك

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site

الباب الثاني الحالة (3)



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

.... الطريق إلى "الآخر" اقترابا، فتوجسا، فتراجعا

تتداخل مراحل النمو (أثناء النمو، أو أثناء العلاج) تداخلا خفيا ومتنوعا يحتاج إلى فحص متأن طول الوقت. لا يوجد موقف "كر- فر" (بارنوي) خالص، كما لا يوجد موقف "علاقاتي بشري" (اكتنابي) منفصل تماما، التداخل يشمل التذبذب والمراوحة طول الوقت.

في التشكيل الخالي المسألة لا تقتصر على التأكيد على الخوف من الاقتراب، من الحب، من الهجر، من الترك، التشكيل هنا لا يبدأ بالصد والدفع بعيدا بل بمبادأة الاقتراب لاختبار إمكانية العلاقة دون التخلي عن التوجس والخوف، هو ليس موقف "كر فر" صرف، بل إنه بمثابة محاولة نقلة، تذبذب خطوات تصف تنوعات متنوعة متبادلة ما بين عدة مواقف في نفس الوقت، طول الوقت، لكنها تنتهي - من فرط غلبة عدم الثقة والتوجس- إلى الموقف اللاعلاقاتي (الشيزيزي) "حافظ حجة من سقي، واجرى أكلها، تحت الكرسي المش باين".

الصورة تبدأ بإعلان محاولة التراجع عن موقف "الكر والفر" (البارنوي) بالتقدم نحو الموقف العلاقتي بشكل ما، كأنه يقدم أوراق اعتماده للآخر، ليعتبره "موضوعا بشريا" له حق الشوفان والاعتراف، وهو في نفس الوقت يجس نبض وجود الآخر في وعيه، وبالعكس، لعل وعسى:

والعين الخائفة اللى بتلمع في الضلْمَة
عمالة تختير الناس:

بتقرب من بحر حنائهم،

زي القط ما بيشمم لبن الطفل بشاربه.

في قصيدة "جلد بالقلوب" في ديوان سر اللعبة، كان الخوف من الاقتراب هو الأصل، بدأت القصيدة هناك بأمر كأنه نذير أو تحذير من الاقتراب (من العلاقة البشرية) دفاعاً ضد أي اقتراب:

لا تقربوا أكثر،

إذ أني

ألبس جلدى بالقلوب

حتى يدمى من لمس الآخر

فيخاف ويرتد إذ يصبغ كفيه نرؤ حى!

أما في الخبرة الحالية فقد حاولت أن أكشف كيف أن "التركيب البارنوي"، حين يحاول أن يخطو خطواته الأولى للتعرف على الموضوع إنما يفعل ذلك بتلقائية حذرة، وهو يتحسس طريقه للحصول على صك الوجود من خلال أن "يُشاف"، أن يُعرف به، هذه هي البداية التي تتيح له فرصة أن "يكون" فـ "يتواصل". قصيدة "جلد بالقلوب" (بالفصحى/سر اللعبة) تبدأ من بؤرة الموقف البارنوي (الكر-فر) بالدفع بعيداً، في حين أن التشكيل هنا يبدأ بإعلان تجربة الاقتراب برغم استمرار الخوف:

بتقرب من بحر حنائهم،

زي القط ما بيشمم لبن الطفل بشاربه.

عمالته بتسأل:

عايزينى؟

طب ليه؟

عايزينى ليه؟

توظيف هذا العمل (الشرح/الاستلهام) في خدمة الأمراض النفسية (السيكوباتولوجي) والعلاج النفسي، مع مخاطرة تشويه ومسح الشعر شعراء، يسمح لنا بالإشارة إلى كيف أن محاولة عمل علاقة مع صاحب (مرحلة) هذا التركيب هي مغامرة تحتاج إلى مهارة علاجية فائقة، علاقة حقيقية تحتوى أوهايم المطاردة ولا تكتفى بكتبها، ولا تتسطح بالنصائح والإقناع، في خبرتي وجدت أنها مرحلة عادة ما قد تحتاج إلى ما هو أكبر من العلاج الفردي، (بالإضافة إلى اللازم من عقاقير) لاحظت أن

العلاج الجمعي، وكذلك علاج الوسط هما أقدر على احتوائها بإعطاء المريض فرصة اختبار أكثر من "موضوع بشري واحد"، بما يزيد من فرصة نجاحه في محاولته مواصلة مسيرة النمو.

تبدأ هنا المحاولة انطلاقاً من موقف التوجس الحذر، بمراجعة الأمر عبر الاحتمالات الأخرى، وذلك من خلال طرح تساؤلات بديلة عن أن الموضوع (مَنْ هو "ليس أنا") هو خطر طول الوقت، الشخص في مسيرته النمائية في هذه المرحلة لا يكل من التساؤل عن ما إذا كان "مرغوباً فيه" أم لا (عايزني!!؟). وهو بذلك يحاول أن يتجاوز يقينا سابقاً كان يبرر له كره وفره طول الوقت، هذا اليقين الذي أكد له: "أَنْ أحداً لا يريدُه، لا يعترف به، لم يره، لا يرغب في الاعتراف به"، فهو بطرحه هذه الأسئلة يبدو أقرب استعداداً لتصديق الإجابة إن جاءت بالإيجاب، وهكذا يبدو أنه بدأ يخلخل يقينه من تجربته المريرة السابقة (توهماً أكثر منها حقيقة) التي ضاعفت عنده ما وصله من مشاعر: الإنكار، والإهمال، والرفض... فهو يتساءل - يسائل نفسه أساساً - ما الذي جدَّ، فيه أو فيهم، بحيث يشجعه على المضي في المراجعة ربما يصله أنه أصبح "مرغوباً فيه الآن؟"

إِشْمَعْنِي الْوَقْتِي؟

وهو يواصل التساؤل - مهما وصله من إجابات إيجابية - فهذه طبيعة المرحلة، التي لا تستبعد وصول أية رسالة ذات فاعلية نمائية إليه.

من الطبيعي أنه يلزم للإقرار بالرغبة في قبول "وجود" آخر، أن تعترف به، أن ترى حقيقته الكلية ابتداءً ما أمكن ذلك، الحاجة إلى "الشوفان" إلى الاعتراف، لا تتطلب مجرد الإعلان التقريري أو إطلاق ألفاظ الحب والرضا، ولا حتى الرعاية الظاهرية! إن الأم تريد ابنها بداهة و"نعوزه"، (إلا ما ندر)، لكن هل هي تريده وتظل تراه وهو في طريقه أن يكون كياناً مستقلاً منفصلاً عنها بشكل حقيقي؟ أم أنها تراه غالباً، أو تماماً، امتداداً لذاتها وكأنه ما زال قابلاً في رحمها؟ هل هي تراه "كله"، أم ترى الجزء الذي يظهر منه ويسمح لها بامتلاكه؟ حتى الطفل في هذه السن الباكرة يريد أن يرى كله، وأن يُعترف به كما هو، له، وليس باعتباره شيئاً مضافاً إلى ملكية الأسرة، إلى ملكية الأم بالذات، هذه المرحلة، هي طبيعة بيولوجية حيوية، وهي تستمر حتى نقضى.

اختفاء هذا الموقف البارنوي من ظاهر الوعي هو ادعى لافتراض أنه اختفى بالإنكار، لا أكثر، وذلك يتفق ما أشرنا إليه من غلبة هذا الموقف (الكر-فر) على معظم سلوك الإنسان المعاصر في مرحلة تطوره الحالية (الحالة السابقة).

بِصِحِيحِ عَايَزْنِي؟

بقي حَدْ شَايْفْنِي يَا نَاش؟

مِش لازم الواحد منكم يعرف:

هوه عايز مين؟

بقى حد شايفنى أنا؟

أنا مين؟

أنا أطلع إيه؟ وازاى؟

طب ليه؟

الله يسامحكُم . مِش قصدى .

السماح هنا ليس سماحا حقيقيا بقدر ما هو تسليم لمختلف الإجابات عن أسئلته اللوح: ("عايزنى؟؟") - بقى حد شايفنى "أنا" - أنا أطلع مين ..)

إن الاشتراط الضمنى الذى يربط "العوزان" بـ "الشوفان" بهذا القدر من الموضوعية، والكلية، قد يبدو أنه للتعجيز أكثر منه مطالبة حقيقية بالاعتراف، يبدو أن المناورة هنا تهدف للوصول إلى تبرير تجنب الخوض في علاقة حقيقية، إذ كيف يطالب الإنسان - في هذه المرحلة - الآخرين أن يروا داخله أيضا، أن يروه كله، في الوقت الذى يبذل فيه كل جهده لتحقيق عكس ذلك !!!

وصل الأمر بأحد مرضاى من الصعيد جدا أنه كان يطلب من زوجته أن تجيب على أى سؤال يطرحه .. بنفس الإجابة التى في ذهنه بنفس الألفاظ جدا، مثلا : إذا كان في ذهنه أنها سوف ترد بالإيجاب بـ "حاضر"، فهو ينتظر هذا اللفظ تحديدا دون أية لفظ آخر مثل "ماشى"، "موافقة"، أو "تمام"، وكانت إذا لم تأت باللفظ (أو الجملة) المحدد الذى في ذهنه، يرفض وقد يعطيها فرصة أخرى وأخرى حتى إذا عجزت تماما ثار واعتدى عليها عدوانا بدنيا فعلا تحت زعم أنها لا تراه، ولا تحس به، ثم يتطور الأمر إلى ما هو أخطر فأخطر حتى الاتهام بالخيانة .

حين تشتد الحاجة بمثل هذا الشخص، فإنه قد يرضى بأية علاقة حتى لو كانت سريعة، أو مؤقتة، وهو قد يكتفى أن تكون من جانبه هو فحسب، ولو كبدائية، ثم إنها حين تكون من جانبه بهذه المبادرة، فإنها قد تطمئنه إذ يظل هو المتحكم في شروطها، وكأنه يخطفها خففا دون إذن صاحبها، هذا الموقف يطمئنه جزئيا برغم استمرار توجهه ورفضه، وهو موقف انتظار بشكل ما، فيه درجة من البصيرة، لا تمنع استمرار المحاولة بل إنه يدل على عدم فقد الأمل في علاقة مهما كانت واهية أو مؤقتة أو مذبذبة، لكن المحاولة مستمرة

وإليكم بعض ما سوف نبدأ بمناقشته غدا:

أنا قاعد راضى بخوفى المِش راضى.

أنا قاعد لايئم أغراضى.

أنا قاعد راصدُ شاددُ جامد،
قاعد اتصنّت، فاتح وعيى الجوانى
على همس الست المش شايفانى،
وأسهيها،
واتمسح ف كعوب رجليها.
تتململ،
أخطف همسة "أيوه"، أو لمسة "يمكين".
واجرى اتدقى بـ "يغنى"،
وانسى الـ "مش مُمكن".

ونكمل غداً:



الإثنين 16-09-2009

747- القسط النمر بداخلنا (2 من 3)



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الباب الثاني الحالة (3)

الحلقة (30)

القط النمر بداخلنا (2 من 3)

واستخونكم ، واتعرى يمكن أطفشكم !

أنا قاعد راضى بخوفى المش راضى .

أنا قاعد لايهم أغراضى .

قاعد اتصنث ، فاتح وغى الجوان

على همس الست المش شايفانى ،

وأسهها ،

واتسح في كعوب رجليها .

تتململ ،

أخطف همسة "أيوه" ، أو لمسة "يمكين" .

واجرى اتدقى بـ "يغنى" ،

وانسى الـ "مش مُمكين" .

شرحنا أمس كيف أن هذا التشكيل، يغلب عليه محاولة حقيقية للاقتراب الخذر، ونحن نبدأ هذا الجزء الثاني من مفاجأة أن هذا الشخص بدأ يتحسس سبيله إلى "علاقة" ما، لكنه كان قد اتخذ موقف "الانتظار"، أكثر من استعداده لمواصلة برنامج

"الدخول والخروج"، الذى أشرنا إليه في الحالة السابقة (السويقة) نشرة 8-9-2009 حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)، وأيضاً هو يختبر هذه الخطوة الجديدة تجنباً للانسحاب الذى يغرى بأن يعفيه من مواصلة استجداء الرؤية تبادلاً مع أشواك التحفز.

موقف الانتظار هذا يتجسد في هذا التشكيل كنوع من "الرضا البزق بالبقاء على مسافة"، حتى لو ظل الخوف يلزمه. تجسيده للخوف هنا ككيان مستقل يشير إلى رفض موقف الانتظار هذا. الخوف هنا قد تملكه الضجر حتى أصبح حالة لا تطاق مهما كانت مبررات تطويل موقف الانتظار (راضى مجوف المش راضى).

هذا المقطع يظهر أنه مهما أعلن صاحب هذا الموقف رغبته في الاقتراب، ومهما حاول بداية مشواره نحو تقليل المسافة بينه وبين الآخر، ومهما رضى بالقليل من الاعتراف به، أو سرقة بعض الدفء العاطفى حتى من وراء صاحبه أو صاحبتة، فإنه يبدو كما لو كان لا يرحب بالتمادى في هذا الموقف. إنه يتبين -حقيقة أم توجسا- أن ما يصله غير كاف، بل غير خالص، وسواء كان ما يصله أصيلاً أو تفضلاً زائداً، فإنه سرعان ما يفترض أنه عطاء مشكوك فيه، مغلف بضرر يبطل احتمال أية علاقة حقيقية (وأسهبها، واتمسح في كُعب رجليها. تتململ)،

أغلب الظن أن كل هذه المشاعر هي استقباله هو، أكثر منها حقيقة الحادث خارجه، إنه هو الذى يتصور أنه غير مرغوب فيه لهذه الدرجة، وذلك استكمالاً لموقفه التوجسى الذى شرحناه أمس، وهو أيضاً امتداد لموقف **خطف العواطف، وسرقة بعض الدفء**. إن كل ذلك إنما يؤكد أن الثابت في قاع وعيه هو أنه "مستحيل أن يرى، أن يُقبل، أن يعترف به،

يحتاج اضطراد النمو، إلى المغامرة بقبول الاعتراف بأن ثم مصدرًا للحب موجود كموضوع حقيقى يشجع حفز التقدم، الذى يحدث هنا هو غير ذلك تماماً، بل هو عكس ذلك، إذ **سرعان ما تقفز ردة حادة بشكل أكثر توجسا، وأحد شكاء، والأرجح أن هذه الردة بهذا العنف هي نتيجة أنه سمح لنفسه ببعض التصديق الذى سزب إليه الدفء هكذا، (الفقرة السابقة)، ولعل هذا يقابل ما جاء في قصيدة ديوان سر اللعبة، (جلد بالقلوب).**

وبقدر شعورى مجناك:

سوف يكون هجومى لأشوه كل الحب وكل الصدق،

فلتحدز

إذ في الداخل

وحش سلبى متحفز

في صورة طفل جوعان

وكفى إغراء

وحذار فقد أطمع يوما في حقي أن أحيا مثل الناس في حقي في الحب

الأمر هنا في هذه القصيدة مختلف برغم أننا مازلنا في نفس الموقف (البارنوي) من حيث أن هذا الجائع إلى الحب والاعتراف، هو الذي اقترب، هو الذي يتحسس طريقه، هو الذي يحطف أية بارقة حنان، هو المستعد أن يرضى بأقل القليل حتى توهما، لكنه لا يكاد يقر أن ثم آخر، يعطى دفء ماء، حتى يرتد على عقبه فيدور مائة وثمانين درجة وهات يا توجس، وهات يا شك، وهات يا استخوان، وهات يا دفع بعيدا، ومن ثم الهجوم، والتهديد، والعدوان، بلا تردد، ولا هوادة. لم يس أحد له طرفا، لكنه ما كاد يصدق أن احتمال الحب والرؤية والاعتراف وارد، حتى فزع ورفض ودفع وتنمر، ربما هذا ما يقابل ما جاء في قصيدة "جلد بالقلوب" حيث يحث التوجس والهجوم والهرب، بالتحذير من الاغراء بالتلويح بالخب أو بالحنان (يا من تغريني بحنان صادق .. فلتحذر... إذ في الداخل: وحش سلى متحفز)

..... الخوف من الاقتراب هو خوف من الحب، مع أن القصيدة هنا كلها تعلن، ومنذ البداية، أن السعى كل السعى بدا أنه محاولة لطرق احتمال قبول جرعة ما من الاعتراف، والرؤية، والقبول.

كيف يمكن فهم هذا التناقض الظاهر؟

في الموقف العلاجي (والنمائي) يبدو أن هذا هو الذي يجري بدرجات مختلفة من عمق معين:

بمجرد أن تلوح علاقة حقيقية، يقفز دفاع التوجس فالعدوان، والتهديد، والتريبص، والدفع.

هذا المقطع بالذات يذكرنا بشدة بالفرض القائل إن هذه المواقف المتتالية، ليست فقط مترتبة على علاقة الأم بطفلها في مراحلها الباكرة، بل إنها برامج منزرعة في الإنسان نتيجة أنه يحمل في تكوينه - بفضل الحق تبارك وتعالى- كل تاريخ تطور الحياة البيولوجية حتى مرحلة الإنسان، وبالتالي فإن دور الأم يكون بمثابة "المطلق" releaser يبسط unfold هذه البرامج بناء على فرض القانون الحيوي biogenic law (= نظرية الاستعادة recapitulation theory)، ثم تستكمل الأم دورها بتدعيم هذا الموقف أو ذاك، حسب طريقة تربيته له، وأيضا حسب تكوينها هي في نفس الوقت.

هذه الفقرة من القصيدة تعزى هذه الردة الحادة بشكل صارخ



وأبص لكم من تحتي لئحت،
واستخونكم، واتعزى يمكن اطفشكم
وأبويا الأمر يفكركم:
زى ما هوه بياكل التعلب،

أنا باكل الفأر.
لكني لما بقيت إنسان، باكل الأطفال،
والنسوان المُنك.

هذا الموقف "الكر- فر" البارنوي لا يتميز فقط بالشك والتوجس، ثم الهجوم والهرب، لكنه يتميز أيضا باللجوء إلى طرق أخطر لإلغاء الآخر دون محوه، ليس بالرجوع إلى الموقف الشيزيدي (العودة إلى الرحم)، وإنما بإلغاء الآخر باحتوائه بداخله، إن جوع البارنوي إلى الحب، وفي نفس الوقت خوفه الشديد من الحب، أو بألفاظ أخرى: إن مغامرة البارنوي، وهو حريص كل الحرص على الاحتفاظ بالآخر (الموضوع) حتى لا يرتد هو إلى قوقعته وحيدا، تجعله يلجأ إلى آلية الاحتواء، التي تظهر غالبا في الاندفاع نحو التملك المطلق حتى الاتهام. هذا ما يشير إليه هذا المقطع من هذا التشكيل: (لكني لما بقيت إنسان، باكل الأطفال، والنسوان المُنك).

الموقف الاتهامي هنا، وهو أحد تجليات هذا الموقف البارنوي، يمكن ربطه بما ذكرناه في الحالة السابقة "السويقة" **نشرة 8-9-2009 حركية استحالة العلاقة الممكنة بين البشر (1 من 2)** من أن الإنسان المعاصر عامة، مازال يمارس معظم أشكال سلوكه من خلال هذا الموقف البارنوي، وأن هذا الموقف هو الذي يفسر الحروب والتنافس وسياسة السوق، ونضيف هنا: إنه يفسر أيضا التهام الكبير للصغير، ومعظم صنوف الاستغلال والاستعمال الظالم، والإبادة للمختلف، عرقيا أو دينيا أو مذهبيا (أيدولوجيا).

ومع هذه الردة إلى عنف آلية الكر والفر، يتواصل الطرد، والإبعاد (التطفيش)، وهو هو موقف "لا تقتربوا أكثر" الذي جاء في قصيدة "جلد بالقلوب".

تتنوع آليات الطرد هنا يختلف عن ما جاء في محاولة الطرد والدفع في القصيدة السابقة (بالفصحى)، هو ملىء بالتنفير والتشكيك، والضرر، والإملاء.

ما تحافوا بقى مئى وتنفصوا

منتظرين إيه؟

.. لسه الحدوتة ما خلصتشي؟

"ما لهاش آخر؟"

{طب قولى كان فين أولها؟...}

أو مين كان أصله اللي قايلها؟

ثم تعود التساؤلات وكأنها تهدئ من تسارع التراجع، تساؤلات تكمل محاولة التحمل وإعلان الحرص على مواصلة المحاولة:

أنا نفسي أصدّق:

إني متّعَاژ.

متّعَاژ وخلص.

إنشالله كلام!!

...

عايزنى ازاي؟

عايزنى كما الوحش الكاسر،

ولا مكشور القلب ذليل؟

دانا جملى ثقيل.

مؤالى طويل.

والناس ملهية.

إنما حاعملها....

لسه حوائى ماحدش خاف، ولا كدبني؟

طب هه:

راح اسيب.

من أخطر المواقف التي قد يمر بها المريض البارنوي (أو أي إنسان يمر بجدّة في مرحلة الموقف البارنوي) هو أن يتخلى عن دفاعات الكر والفر، والتوجس والتأمّر، وبالتالي أن يترك نفسه مطمئنا (جدا أو فجأة!!)، أو بتعبير أدق، أن يجرب خيرة الطمأنينة، قبل أوانها، الخطورة تأتي من أنه ينقلب فجأة إلى كائن طيب، رخو، هلامى يكاد يكون بلا دفاعات، ومن ثمّ بلا حول ولا قوة. من الناحية النظرية يمكن أن نتصور أن هذه التجربة يمكن أن تعتبر فرصة رائعة يتخلص بها من احتمال وقفته في هذا الموقف بقية عمره، على اعتبار أنه بهذا التخلي قد تتاح له فرصة جديدة لبداية مختلفة لمسار أكثر تدرجا، ودعما، لكن من واقع خبرتي: الشخصية والمهنية، لا يسير الأمر هكذا، لأن هذا التنازل عن الدفاعات في غير أوانها، يجعله نهبا لنفس الهواجس (أو الحقائق) وهو بلا حول ولا قوة، فيعانى أقصى المعاناة وأرعبها وهو يحاول أن يللم نفسه أمام نفس القوى المغيرة (حقيقة أو تخيلا) وهو يتصور ساعتها أنها انتهزت فرصة تنازله عن دفاعاته فانقضت عليه .

اكتشفت أنى صورت هذا الموقف من قبل في ديوانى سر اللعبة بالفصحى في قصيدة أخرى هي "جبل الرحمات"

أختم يومية اليوم بإثبات نص المقطعين من الديوانين بالفصحى والعامية تمهيدا لمناقشة هذا الموقف الصعب في حلقة الثلاثاء القادم.

أولاً: من قصيدة "جبل الرحمات" "ديوان سر اللعبة"

..للضعف الصادق، في ظل حنان الناس، دور أقوى

وتساقط دمعى أكثر
 والتف الكل حوالى،
 يغمرنى مجنان صادق،
 هدهدة حلوة،
 وتكور جسدى مؤتנסا،
 في حضن الودّ ودغدغته،
 واهتز كيانى بالفرحة،
 ليست فرحة،
 بل شيئاً آخر لا يوصف،
 إحساس مثل البسمة،
 أو مثل النسمة في يوم قائط،
 أو مثل الموج الهادئ حين يداعب سمكة،
 أو مثل سحابة صيف تلثم بَرْد القمة،
 أو مثل سوائل بطن الأم تحتضن جنينا لم يتشكل
 أى مثل الحب..،
 بل قبل الحب وبعد الحب،
 شئ يتكور في جوفى لا في عقلى أو في قلبى،
 وكأن الجبل السرى يعود يوصلنى لحقيقة ذاتى ..
 هو نبض الكون
 هو الروح القدسى
 أو الله.

-13-

.. .. واستسلمت،

لكن .. لكن... ماذا يجرى؟؟
 وتزيد الهددة علوا ...

ماذا يجري؟

تعلو أكثر

ليس كذلك...

تعلو أكثر

ليست همدمة "بل صفعا"

تعلو أكثر

بل ركلاً ضربا طحنا

تعلو أكثر

أنياب تنهش لحمي

الكلب الذئب انتهز الفرصة

اغتنم الضعف وأنى ألقيت سلاحى

.....

.....

ثانياً:

أما المتن المقابل في القصيدة الحالية فهو كما يلي:

لسه حوائى ماحدش خاف، ولا كدبى؟

طب هه:

راح اسيب.

أنا جسمى اتبعزق،

زى فطيرة مشلتتة لسه ما دخلتشى الفرن.

ولا عاد لى إيد ولا رجل،

ولا قادر اتلم..

...

ياحلاوة ذقة قلبى وهى بتحويكم.

يا حلاوة نفسى الطالع داخل وشطيكم.

طاير نواحيكم.

ناحية ربنا فيكم.

يا حلاوة الخية الهادية النادية:

لا بُتسأل مِنّ ولا ليه!!
 وانا برضه نسيت أنا مين، وانا إيه؟
 ولا عاد لي إيد ولا رجل
 ولا عارف اتعلم.

(7)

ولإمتي كده؟؟

لأ مش قادر.

أصل أنا خايف

أنا خايف موت،

إخص غلّي،

خايف من إيه؟

من لمس أيدين أيها ضاحي.

....

أهي كدا باظت،

باظت منّي، رجعت "لكن":

خايف تفعصني انت وهوّه، وتقولوا بنحِب.

إيش عرفكم باللّي ما كانشي،

باللّي ما لوهشي،

باللّي ما بانشي.

عمال باحسب همس حفيفكم.

باحسب خوفكم.

خوفى منكم.

حّي مصهلل، وبيتفرج،

ولا فيش فايده.

(8)

نطّ منّي، غضب عني،

جوعه مسعور، ويعايرني.

.....

شككني في الكلّ كليله.



رَجَعْنِي لِلوَحْدَةِ النَيْلَةِ!

لِيَتْنِي، وَيَارِيَتْنِي لِقِيَتْنِي. .

وحتى نلتقى الأسبوع القادم أرجو أن تخرجوا معي بعيدا عن
هذا الموقف الصعب، ولو بعض الوقت.

ربنا يسهل...

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

[http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum /](http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/)

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

الحالة (3)

خايف تفعضنى انت وموه، وتقولوا بنجّب!!

انهيت الجزء الثانى من هذه الحالة قائلا: إن من أخطر المواقف التي قد يمر بها المريض البارنوي (أو أى إنسان يمر بحدة في مرحلة الموقف البارنوي) هو أن "يتخلى" عن دفاعات الكر والفر، والتوجس والتأمر، فيتأخرى "يسبب نفسه" مطمئنا (جدا أو فجأة!!)، أو بتعبير أدق: أن يجرب خيرة الطمأنينة، قبل أوضاع، الخطورة تأتي من أنه قد ينقلب فجأة إلى كائن طيب، رخو، هلامى يكاد يكون بلا دفاعات، ومن ثم بلا حول ولا قوة.

اكتشفت أننى صورت هذا الموقف من قبل في ديوانى "سر اللعبة" بالفصحى في قصيدة أخرى هي "جبل الرحمات"، (من يعطى جبل الرحمات الرحمة؟!)، وجدت أن هذا الموقف الباكر يتميز عن الموقف هنا في أنه أدق وصفا لهذه المغامرة غير المحسوبة عادة، في هذه القصيدة الحالية من أغوار النفس، سمح الشخص لنفسه أن يتنازل عن دفاعاته بمجرد أن بلغه أن الآخر (الآخرين) لم يتركوه، ولم يكذبوه: "لسه حوائى ماحدش خاف، ولا كذبى؟ طب به: راج اسيب"،

وهكذا ترك نفسه لهم، في أمان واعد، وإن كان غير مضمون. فماذا حدث؟

ننظر أولا في الموقف الأصعب في القصيدة الباكراة جبل الرحمات، (وقد تناولته بالتفصيل في الكتاب الأول "دراسة في علم السيكوباتولوجي" (ص 285- ص 307):



..للضعف الصادق، في ظل حنان الناس، دور أقوى، وتساقط دمعى أكثر، والتف الكل حوالى، يغمرنى بجان صادق، همدمة حلوة، وتكور جسدى مؤنسا، في حضن الودّ ودغدغته، واهتز كيافى بالفرحة، ليست فرحة، بل شيئا آخر لا يوصف: إحساس مثل البسمة، أو مثل النسمة في يوم قانظ، أو مثل الموج الهادئ حين يداعب سمكة، أو مثل سحابة صيف تلثم برد القمة، أو مثل سوائل بطن الأم تحتضن جنينا لم يتشكل، أى مثل الحب..، بل قبل الحب وبعد الحب، شئ يتكور في جوفى لا في عقلى أو في قلبى، وكان الحب السرى يعود يوصلنى لحقيقة ذاتى .. ، هو نبض الكون، هو الروح القدسى، أو الله.

واقع الحال أن هذا الموقف لا يمكن أن يصل إلى وعى صاحبه لا أثناء العلاج، ولا في خيرات النمو، بهذه التفاصيل المحددة، ليس لأنه لا يحدث، وإنما لأنه إذا حدث بكل عمقه هكذا، لا يستغرق أكثر من ثوان، بل أقل، لكنه يحدث، ويتجلى في الإبداع كما يتجلى في الجنون، ونحن لا ندرك عادة إلا آثاره الإيجابية، أو السلبية، على المدى الطويل، الآثار السلبية هي الأكثر تواترا إذا لم نحسن الإعداد، والاستعداد له، وهى تحدث غالبا نتيجة لسوء التوقيت، واستسهال التخلّى والنسيان البعدى.

أشرنا، وسوف نشر كثيرا إلى هذه اللحظات الشديدة القصر، التى تتم فيها النقلات النوعية المتناهية الصغر (والتي لها علاقة بمحسّ اللحظة عند باشلار، وربما فاليمفوثانية عند زويل)، هذه اللحظات الدقيقة جدا، يعرفها المعالج بمجدهه اليقظ أكثر مما يرصدها بملاحظاته وحساباته، أما المريض (أو أى شخص ينمو)، فهو عاجز عادة عن رصدها إلا إحساسا غامضا إجماليا، لكن مهما ضوّلت هذه اللحظات، ومهما استعصت على الوصف، فإنها تثبت أن لها أثر باق حقيقى وممتد، ولو بعد سنوات، لسنوات.

ولعل محمود درويش كان يعنى شيئا من ذلك في قصيدته «أثر الفراشة».. يقول درويش:

«أثر الفراشة لا يُرى

أثر الفراشة لا يزول

هو جاذبية غامض يستدرج المعنى، ويرحلُ
حين يتضح السبيلُ
هو خفة الأبدى في اليومى
أشواق إلى أعلى
وإشراق جميل
هو شامة في الضوء تومئ
حين يرشدنا إلى الكلمات
باطننا الدليل
هو مثل أغنية تحاولُ
أن تقول، وتكتفى
بالاقتباس من الظلال
ولا تقول..
أثر الفراشة لا يُرى
أثر الفراشة لا يزول!«

المسئولية العلاجية بالذات (والعلاقاتية عامة) الهيطة
بهذه اللحظات العابرة الزاخرة الغامضة هي جسيمة فعلا، ومتى
شعر المعالج باحتمال مرور مريضه بمثل هذه الخبرة مهما ضوّلت،
فإنه لو غامر بالسماح بها، فلا بد أن ينتبه إلى ما يمكن أن
يترتب عليها، من فرصة رائعة وتغيير جذرى، أو من نكسة
تراجع فاندمال بشع.

إن التخلي عن مثل هذا الشخص (أو المريض) الذى أمين
فترك نفسه بلا دفاعات في رحاب من اعتقد أنه أهل لثقتهم ولو
للحظة أو بعض لحظة هو من أكبر الأخطاء التى يمكن أن تُرتكب
على مسار العلاج، والحمد لله أن قلة من المعالجين هم القادرون
على التلويح بمثل هذا الأمان، أو السماح به، لكن المريض،
من فرط وخز شوك الموقف البارائوى، ولهيب توجسه وحذره، قد
يغامر بحوض التجربة من تلقاء نفسه بدون اختبار احتمال
استعداد المعالج أن يتحمله، إن ذلك إذا ما حدث بمبادرة من
المريض أو بدعوة ضمنية من المعالج، فإنه ينبغي أن يسارع
المعالج بالتواجد المحيط الواثق بجوار المريض، فى متناوله،
ولكن من على مسافة مناسبة، حتى لا يتمادى المريض فى الأمل فى
الركون إلى أمان مطلق (عادة حسب تصوره)، أمان يسجبه إلى
احتمال الامحاء فى الرعاية الحاوية، ومن ثم يجد نفسه فى موقف
الاحتواء، المغرى بالانسحاب للموقف الشيزيدى ربما بغير رجعة.

الصورة فى قصيدة "جيل الرّمات" تشير إلى خطورة التخلي،
حين يتحقق احتمال أن "الأخر" (الآخرين) لم تبلغه (تبلغهم)
هذه النقطة، فيتمادى فى "الكر" دون "الفر" وهو يطلب
الإذعان من شخص ألقى دفاعاته فعلا: (... واستسلمتُ،
لكن ..، لكن... ماذا جرى؟؟ وتزيد الهدفة علوا .ماذا
جرى؟ تعلو أكثر ، ليس كذلك.. تعلو أكثر)

ولا يتبين الذى يمر بهذه التجربة مدى الخدعة فى أول الأمر، فيظل يستقبل الرسائل آمناً فى البداية، مع احتمال دهشة وبدايات توجس، ولكنه رويدا رويدا يتبين كيف تنقلب الهدفة إلى صفع، وركل، وطعن، وقد يتأخر إدراك ذلك حتى يكون الأوان قد فات فيعجز الشخص (أو المريض) أن يستعيد آليات كره وفره بالرجوع إلى الموقف البارائوى، ("ليست ههدة" بل صفعا"، تعلو أكثر، بل ركلاً ضرباً طحنا، تعلو أكثر، أنياب تنهش لحمي، الكلب الذئب انتهر الفرصة، اغتتم الضعف وأن ألقيت سلاحى.)

هذا الموقف يمكن تعميمه إلى بعض المواقف العامة فى الحروب خاصة، حين تستغل الهدنة، أو وقف إطلاق النار، للتجهيز لانقضاض خادع، بعد انخداع أحد الطرفين بإلقاء سلاحه، أو استرخاء دفاعاته، (لا أريد أن أشير إلى هدنة 48 فى فلسطين وما بعدها، وما بعدها، وما بعدها. خللنا فى موقفنا الفردى هنا):

فى حالة حدوث سوء التوقيت هذا، على مسار العلاج، بما يترتب عليه ما ذكرنا بما يمكن أن ينتهى إليه من تراجع، ومهانة، وإحباط، إذا حدث ذلك فإن معاودة طرح استعادة الثقة بالعلاج، أو بالوسط العلاجي، تصبح أصعب مما كانت عليه قبل بداية العلاج بشكل أو بآخر.

قبل أن ننبه إلى التحفظات اللازمة لتجنب ذلك، دعونا نقرأ الصورة المقابلة فى "قصيدة القط" من هذا الديوان، فهى أخف:

يبدو أن صاحب الخبرة فى قصيدة "القط" من هذا الديوان "أغوار النفس" هو الذى أقدم على التنازل عن دفاعاته البارائوية، بمجرد أن اطمأن إلى أنهم - الآخرين - لم يتركوه ولم يكذبوه (لَسَّه حَوَالِي مَا حَدَشْ خَاف، وَلَا كَذَبْنِي!! طَبْ هَه: رَاحَ اسِيْبْ")

دعونا نلاحظ الفرق بين هذا السيبان، وبين ما جاء فى قصيدة جبل الرحمات، فلعلنا ننتبه إلى أن "السيبان" هنا هو تَخل كامل عن دفاعات الموقف البارائوى، يصل إلى الشعور بعودة الجسد نفسه إلى معالم بدائية ممتزجة، بلا حول ولا قوة "أنا جسمى اتبعزقي، زى فطيرة مشلتة لَسَّه ما دخلتشي الفرن. ولا عاد لي إيد ولا رجل، ولا قادر اتلَمَّ..ياحلاوة دَقَّة قلبي وهى بَتَحويكم. يا حلاوة نفسى الطالع داخل وشطبيكم. طابير نواحيكم. ناحية ربنا فيكم. يا حلاوة الحنية الهادية النادية: لا بُتسأل مين ولا ليه!! ولا عاد لي إيد ولا رجل ولا عارف اتلم.)

ربما يكون الفرق المهم بين هذه الخبرة، وبين ما جاء فى القصيدة الفصحى، هو فى أمرين:

أن صاحب هذه القصيدة هنا لم يكن مريضاً، وبالتالي بدت تلقائيتها فى التنازل عن الدفاعات أقوى وأكثر مبادرة

ودافعة إلى مواصلة السعى إلى الآخر ("رايح نواحيكم") ، كما أن القوة الضامة المركزية التي أشرت إليها في مواقع كثيرة من قبل، وهي التي تستلهم قوتها ومشروعيتها من انجذاب الوعى الشخصى إلى ماء، وإلى من ، يجمع الناس بعضهم ببعض، (اجتمعا عليه وافترقا عليه)، بل إلى ماء، وإلى من، يجمع الأكوان إلى بعضها دون أن ينفصل عن الوعى الشخصى (اقرب إلى حبل الوريد) ربما هذا هو ما عبر عنه الخدس الشعرى، "يا حلاوة نفسى الطالع داخل وشطيكم. طايژ نواحيكم. ناحية ربنا فيكم"، (هذا ضمان موضوعى أتعامل معه في العلاج الجمعى عمليا، وفي علاج الوسط، وإلى درجة أقل في العلاج الفردى، بشكل واقعى شديد الإفادة).

أيضا تتميز هذه القصيدة هنا بإضافة تشير إلى أن عدم تدعيم هذا الموقف بالالفاظ (والتفسير) هو أمر مطلوب وجيد، (لا بتسأل من ولا ليه!!) كما نلاحظ أن ثمة إشارة إلى أن ما يسمى التغير النوعى لإدراك الذات depersonalization (وهو من علامات النمو أكثر منه عرضا مرضيا) قد تم التنويه عنه في المتن أيضا "وانا برضه نسيت أنا من، وانا إيه"

التراجع هنا في هذه القصيدة فقد بدأ من صاحب الخيرة نفسه حين لم يصدق أن هذا الحال يمكن أن يدوم، وأنه لا يمكن أن يُصبر عليه: "ولإمتى كده؟؟ لأ مش قادر". لم يكن نتيجة أن الآخر انتهز الفرصة فانقض عليه، إن المطمئن هنا (قبل الأوان) قد يملكه الخوف، وهو لا يسارع بلوم الآخرين واتهامهم بالتخلى أو الخيانة، بل إنه يتبين في نفسه التنشيط الذى حدث للموقف البارنوى داعيا للتراجع، بدءا بالخوف من الاقتراب (لا تقتربوا أكثر)، بالخوف من الثقة، بالخوف من الخب، بالخوف من الآخر، وهو هنا يدرك مسئوليته في الدفع والرفض، حتى أنه هو الذى يجهض التجربة، ويسارع بالعودة إلى ميكانزماته البارنوية بكل زحمها: (أصل انا خايف، أنا خايف موت، إخص غلى، خايف من إيه؟ من لمس أيدين أيها ضاحى: أمى كبا باظت، باظت منى، رجعت "لكن": خايف تفحصنى أنت وهوه، وتقولوا بنحيب). وهو يبرر ذلك ليس بانقضاضهم عليه، وإنما بعجزهم عن رؤيته، عن الاعتراف به، عن حبه. ("إيش عرفكم باللى ما كانشى باللى ما لوهشى، باللى ما بانشى). ويعودته إلى دفاعاته البارنوية، يرجع التوجس، واليقظة البشعة المتلفته، (عمال باحسب همس حفيفكم. باحسب خوفكم. خوفى منكم. حتى مصهلل، وبيتفرج، ولا فيش فايده).

يبدو أن هذه الخيرة هنا هكذا يمكن أن تنتهى بمضاعفات أقل من الخيرة التي وردت في القصيدة الأولى "جبل الرحمات"، فنلاحظ أن ثمة عودة تلوح في اتجاه استعادة دفاعات الموقف البارنوى دون اندمالات ظاهرة، فيعلن مثل هذا الشخص الجوع إلى الآخر شريطة ألا يقترب، إلا بمقدار، فهو الشك والتوجس، فالتذبذب بين الإقدام والإحجام الذى يتصف به الموقف البارنوى ، لكنه يبدو هنا أنه يتزايد باضطراد لا يعد بنهاية قريبة (نط منى، غصب عتى، جوعه مسعور، ويعايرنى..، شككى في الكُل كليله)

مع هذا التراجع والتمادى، يقفز تهديد جديد يلوح بالعودة إلى الخلف أكثر، إلى الموقف الشيذيدى، رجعى للوحدة النيلة! بلا طائل: **مَيْتْنِي، وياريتْنِي لقيتْنِي...**

ثم مزيد من التراجع إلى التحوصل،

من الصعب تماما أن يواصل مثل هذا الشخص (أو أى شخص) معاشة هذا الموقف طول الوقت، وهو إذ يحبط بكل هذا القدر، يجد نفسه في مواجهة واقع قاس متربص بعيد مستعد للانقضاض، فيحاول أن يللم نفسه وكأنه بذلك يحميها من استجداء آخر، بلا أمل،

ولكن هذا اللم لا يحقق له وجودا بشريا حقيقيا "يأخذ ويعطى"،

فهو موجود فردا منفصلا،

فهو غير موجود (مَيْتْنِي، وياريتْنِي لقيتْنِي)

ومع استمرار هذا الوضع يكون المعروض هو نكوص كامل إلى الرحم، أى إلى مكافئاته الممكنة، (الانسحاب- التوقع- اليأس من الحب... إلخ) لكن المتن هنا يعرى هذا الانسحاب باعتبار أن العودة إلى الرحم هى نكسة وهزيمة، لكنها الحل المطروح الجاهز ظاهر

(فينك يا مه؟ نغسى اتكوم جواكى تانى، بطنك يامه أامن واشرف من حركاتهم) ولكن هل هو حل فعلا؟؟!!

التراجع التمدادى يقدم هذه الخطوة كأنها حل ممكن، يعفى صاحبنا (يعفينا) من شوك الشك، وإهانة الصد، وقسوة الترك، ليكن، لكن لا بد أن نعلم أنه مهما بدت رغبة المريض (أو السليم) في تجنب كل ذلك بالانسحاب الأقصى، فإن طبيعة دفع الحياة في داخله، وفي خارجه أيضا، ترفض هذا الحل،

المتن هنا ينبه إلى صعوبة هذا التراجع مهما لوح بأنه الحل، فيجرى حوارا بين الرحم (الأم) الملجأ التى تنبه أنه ليس سهلا هذا القرار، وبين المتراجع، تحذر الأم:

وان ما قدرتش!!؟

نرى من خلال هذا الحوار كيف ان الموقف البارنوى المحبط بعد إلقاء سلاح دفاعاته هو أصعب من الموت نفسه، حتى الموت يبدو بعيد المنال:

= "لموت أهون".

- وان ما حصلشى؟

= تبقى الفرجة، وشك الغزبة، وشوك الوحدة.

إذا تبينت حقيقة قنوات النكوص إلى الرحم هكذا، وظهر مدى صعوبتها، وأيضا إذا امتنع العدم (الموت) لم يتبق

لشخص إلا العودة إلى الموقف البارنوي الذي يكون قد فقد زخم حدته تماما بعد أن ألقى سلاحه، فيغلب الجانب السلبي فيه: فهو لم يعد موقف كروفر، بل أصبح موقف شلل، وغربة، وألم، وانتظار، وهذا هو أقصى وأذل أوجه الموقف البارنوي: حين يعجز عن الخطو نحو الموقف العلاقاتي (الاكتئابي)، وفي نفس الوقت يعجز عن النكوص إلى الرحم،

وأیضا عن الاختفاء العدمي (الموت)، وأیضا وفي نفس الوقت يعجز عن أن يواصل شحذ آليات دفاعه كرا وفرا.

حين تسد الطرق هكذا يعلن المتن شكّل المآل المهين (تبقى الفرجة، وشك الغربة، وشوك الوحدة).

وكأن هذا هو غاية الممكن بعد ذلك الإحباط القاسي.

في العلاج النفسي، نحاول أن نتجنب هذا المآل الاستسلامي العاجز، حتى لو صاحبه اختفاء الأعراض المزعجة مثل الضلالات والهلاوس، خاصة ضلالات الاضطهاد، ليحل محله ضلالات الإشارة (مثلا)، ولعل هذا هو المقصود بـ "تبقى الفرجة"، وشك الغربة، وشوك الوحدة".

تنتهي الفقرة بأن هذا المصير هو الأمر الواقع الجديد (أهو دا اللي حصل!!).

هل يمكن أن يكون ذلك، أو بعض ذلك، هو مآل (أو مضاعفات) بعض العلاج النفسي غير الموفق؟

الإجابة هي بالإيجاب للأسف،

إن تعريض المريض للتخلي عن دفاعاته، دون جاهزية الإحاطة العلاجية، والدعم، والحوار الممتد، يمكن أن يؤدي إلى تأكيد الأمراض (السيكوباتولوجي) رغم احتمال تخفيف الأعراض الظاهرة.

لا توجد فائدة، والموقف كذلك، إلى التركيز على بحث الأسباب، أو لوم المحيطين، ذلك أن الشخص (أو المريض) في هذا الموقف يكون مشاركا فاعلا في تفاقم أحواله، الذي انتهى إلى هذا الاستسلام الذي يبدو أبعد ما يكون عن احتمال إعادة التحريك، فماذا يقيد التساؤل أو البحث عن الأسباب، ونحن أمام واقع جسيم حصل ورسخ

(- طب ليه يا بني؟

= "أهو دا اللي حصل".)

في كثير من الأحيان، يتجمد الموقف عند هذا الاستسلام، شعوريا أو لا شعوريا، فهي لم تعد معركة كرا، ولا هي تجاوزت ذلك إلى مخاطرة علاقة حقيقية بالموضوع مهما كانت ممولة، ولا هي سمحت بعودة إلى الرحم تراجعا طلبا لراحة سلبية وكرامة جنسية، فلا يتبقى أمامه من فرصة تلامس مع آخر إلا "خطف لعة عاطفية من هنا"، أو "توهم رؤية محتملة لوجوده من هناك"، ثم عودة سريعة إلى الحوصلة الشيزيدية، وهكذا طول الوقت

(راجع "كما كُنْتُ"، قاعدًا ساكتٌ تحت سريِر الستِّ،

حَاطِطٌ حَتَّى نَظَرَةٍ، أَوْ فَتْفُوتَةٍ حُبِّ،

وَاجِرَى آكَلِهَا لُوْخَدَى، تَحْتَ الكُرْسَى الـ"مِش بَايِن")

من هنا وجبت إعادة التحذير من جديد ضرورة إتقان حسابات التعرض لمثل هذه الخبرة، لأنها ما لم تكن محسوبة ومدروسة وتجري في مجتمع علاجي سليم، ووسط خاص وداعم وممتد للفترة الكافية، .. ما لم تكن هذه الشروط متوافرة فإن التعريض لهذه الخبرة يصبح تخطأ عشوائيا خطرا.

أنا لا أنكر أنني في أول حماسي لهذه الطرق العميقة الرائعة في العلاج النفسي المكثف، لم أكن كثير الحسابات ولا دقيقها مثل الآن، ولذلك فقدت كثيرا من أصدقائي ومازلت متألما ليس فقط لفقدهم، ولكن لما يمكن أن يكون قد أصابهم من جراء حماسي، وبرغم هذا الإحباط المبدئي فإن المتابعة بعد ذلك بسنوات أثبتت لي أن هذه الخبرة مهما ألغيت وحاول صاحبها أن يتناساها أو يطمسها يمكن أن تعود لتثرى وجوده باختياره ولو بعد حين، الأمر الذي بدأ يخفف من ألي، ويؤكد لي دائما قدرة الإنسان على استيعاب خبراته الإيجابية ولو طال الزمن .

وبعد

تختتم الحلقات الثلاثة بإعادة القصيدة مكتملة كما تعودنا،

مع السماح بالتحسر على ما لحق المتن من تشويه وتشريح بهذا الشرح الذي لا يغفر له إلا أن يكون مفيدا من الناحية العملية:

(1)

وَالعَيْنَ الخَائِفَةَ الِى بَتَلَمَعِ فِي الضَّلْمَةِ

عَمَالَةَ تَخْتَبِرُ النَّاسَ:

بِتَقَرَّبَ مِنْ بَخْرِ خَنَائِهِمْ،

زَى القُطِّ مَا بَيَشْمِشُم لَبَنَ الطِفْلِ بِشَارِبُهُ.

عَمَالَهُ بَتَسْأَلُ:

عَايَزِيْنِي؟

طَبُّ لِيهِ؟

عَايَزِيْنِي لِيهِ؟

.....

بِصَحِيحِ عَايَزِيْنِي؟

بقي حد شايْفني يا ناس؟
 ميش لازم الواحد منكم يعرف:
 هوّه عايز مين؟
 بقي حد شايْفني أنا؟
 أنا مين؟
 أنا أطلع إيه؟ وازاي؟
 طبّ ليه؟
 الله يسامحكُم . ميش قصدي .

أنا قاعد راضي بخوفي المش راضي.
 أنا قاعد لامم أغراضي.
 أنا قاعد راصد شادد جامد،
 قاعد اتصنّت، فاتح وعيني الجواني
 على همس الست المش شايْفاني،
 وأسهيها،
 واتسج ف كعوب رجليها.
 تتململ،
 أخطف همسة "أيوه"، أو لمسة "يمكين".
 واجري اتدقي بـ "يغني"،
 وانسي الـ "ميش مكين".
 (3)

وأبص لكم من تحت لئحت،
 واستخونكم، واتعري يمكين اطفشكم،
 وأبويّا التمر يفكركم:
 زي ما هوّه بياكل التعلب،
 أنا باكل الفار.
 لكني لما بقيت إنسان، باكل الأطفال،
 والنسوان الملتك.
 ما تحافوا بقي مئى وتفضوا

منتظرين إيه؟
 .. لسه الحدوتة ما خلصتشي؟
 "ما نهاش آخر؟"
 {طب قوتى كان فين أولها؟...،
 أو مين كان أصله اللى قايلها؟}
 (5)

أنا نفسى أصدق:
 إني متعاز.
 متعاز وخلص.
 إنشالله كلام!!

.....

عايزنى ازاي؟
 عايزنى كما الوحش الكاسر،
 ولا مكشور القلب ذليل؟
 دانا جملى تقيذ.
 موالى طويل.
 والناس ملهيه.
 إنما حاعملها....
 لسه حوالى ما حدش خاف، ولا كدبى؟
 طب هه:
 راح اسيب.

(6)

أنا جسمى اتبعزق،
 زى فطيرة مشلتتة لسه ما دخلتشي الفرن.
 ولا عاد لى إيد ولا رجل،
 ولا قادر اتلم..

ياحلاوة ذقة قلبى وهى بتحويكم.
 يا حلاوة نفسى الطالع داخل وشطبيكم.
 طايير نواحيكم.

ناحية ربنا فيكم .
يا حلاوة الخبث الهادية النادية:
لا بتسأل من ولا ليه!!
وانا برضه نسيت أنا من، وانا إيه؟
ولا عاد لي إيد ولا رجل
ولا عارف اتلم .
(7)

ولإمتي كده؟؟
لأ مش قادر .
أصل أنا خايف
أنا خايف موث،
إخص علي،
خايف من إيه؟
من لمس أيدين أيها ضاحي.
....

أهي كدا باظت،
باظت مني، رجعت "لكن":
خايف تفعصني انت وهوه، وتقولوا بينحب.
إيش عرفكم باللي ما كانشي،
باللي ما لوهشي،
باللي ما بانشي.
عمال باحسب همس حفيفكم .
باحسب خوفكم .
خوفي منكم .
مخى مصهلل، وبيتفرج،
ولا فيش فايدة .
(8)

نط مني، غضب عني،
جوعه مسعور، ويعايرني .
.....

شككنى فى الكُل كليله .
 رجعى للوحدة النيلة !
 ليئتنى، وياريتنى لقيتتى...
 (9)

فينك يا مه؟
 نفسى اتكوم جواكى تانى،
 بطنك يامه أأمَن واشرف من حركاتهم .
 - وان ما قدرتش؟
 = "لموت أهون".
 - وان ما حصلشى؟
 = تبقى الفرجة، وشك الغربة، وشوك الوحده .
 - طب ليه يا بنى؟
 = " أهو دا اللى حصل".

(10)
 راجع "كما كُنت"
 قاعد ساكت تحت سرير الست
 حاخطف حته نظرة،
 أو فتفتوتية حُب،
 واجرى آكلها لوخذى،
 تحت الكرسى الـ"ميش باين".

- (وقت كتابة المتن الأصلي كان 1976، فالشرح المبدئى
 1978، وقد اضطرر حرصى الذى أثبتته عليه عبر الثلث قرن
 التالى حتى الآن 2009)

الثلاثاء 29-09-2009

760- نمبر؟ أم "نعم بربح"؟



مقدمة:

حين وصلت إلى هذه الحالة الرابعة، بعنوان "البيركة"، تذكرت أنني استعملت هذه الصورة في بداية ظهور هذه النشرة اليومية وأنا أتناول أبعاد إشكالية التواصل البشري، قرأت ما سبق نشره، فوجدت به مادة تكاد تغطي كل ما كنت أنوى أن أقوله في هذه القصيدة وعنهما في هذا العمل الجديد، بل إنني اكتشفت في مقدمة تلك النشرة بتاريخ 7-أكتوبر 2007، أنني أقررت أن اهتمامي الأساسي، مهما اختلفت العناوين هو حول هذه المنطقة الحساسة التي تميز الإنسان كأننا راقبنا لا يستحق هذا الاسم "الإنسان" إلا حالة كونه "متوصلا مع إنسان" مثله.

كلمة "الحب" مثل كلمات الحرية والديمقراطية وحتى كلمة "الله"، (وليس حقيقة الله طبعاً/- النفرى)، تمثل عندي إشكالية بلا حدود، لن أكرر ما سبق أن قلته عشرات المرات، فالهم هو أن نفرق بين الحب الحب، والحب كنظام الحب، والحب اللاحب.

قبل أن أتم نشرة اليوم تصورت أن هذه النشرة لن تكون إلا إعادة للنشرة السابقة منذ سنتين، بعد إضافة ما تيسر من توضيح ضروري لما هو إمرضية، (في السواء والمرضى)، مع ما يلزم من إضافات لما يجري أحيانا في العلاج النفسي خاصة، وهو هدف هذا الشرح لكي يتناسب مع عنوان الكتاب!

لكن هل هذا هو ما حدث تماما، أم أن هناك إضافة وتحديث؟

يمكنك أن تحكم بنفسك! (قارن إن شئت نشرة 7-10-2007)

العلاقات التجاذبية السريعة، تتم غالبا، خاصة في بلاد تسمح بعلاقات حرة سهلة (هكذا تسمى)، دون تردد أو خوف،

كما أنها تكسر القيود (إن كانت ثمة قيود) سواء كانت قيوداً أخلاقية فوقية، أم دينية، أم تقاليد، لأنها تحدد الغرض منها: رغبة متبادلة، وانفاق معلن، وتخلّ جاهز، شيء أشبه بالوجبات السريعة اللذيذة.

هذه العلاقات تقوم بالواجب أحياناً، ولا يمكن شجبها على إطلاقها إلا بمقاييس أخلاقية ترتبط أساساً بالثقافة التي تتم فيها، فلكل ثقافة منظومتها الأخلاقية التي تسمح أو لا تسمح، تقرر أو تُجَبِّ، ونحن إنما نسعى إلى التعرف على الطبيعة البشرية بما تيسر من حدس وتجارب وإبداع، وما أتيج من العلم

يبدأ المتن هكذا :

والعين الهادية النعسانه بتقول أنا أهمة.

أنا ميشّ خايغه

لو الاقى حد يقرب لى

ولاقينى برضه باقرب له

خاخده بالخصن،

وكيانى باحب.

ميّتى رايقه، و هاديّه، وخضرا...'

..... وخلاص.

أهم ما يميز مثل هذه العلاقات هو أنها لا تدعى الحب، بل أحياناً تشترط ألا يكون في هذا التقارب الحدود حبا. . التعبير قرب نهاية هذه الفقرة في القصيدة، "وكيانى باحب"، لا يظهر عادة وعى من يتعاطون هذه الوجبات اللذيذة المؤقتة السريعة، وهو تعبير لا يتهم هذه العلاقات بالزيف، لكنه قد يكون قد حضرنى - شعرا - بمعنى " ما دام الحب الخلقى (أنظر بعد) غير موجود، فهيا "نلعب حبا"، (مثلما كنا صغارا نلعب "بيوتا" في الشرفة، ونهدما بمجرد أن تنادى علينا أمنا، أو نسمع صوت المفتاح يعلن قدوم والدنا من العمل).

كل ما أرجوه منكم هو أن نؤجل الأحكام الآن ومن لا يستطيع أن يفصل حماسه الجاهز، وقيمته الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه الاجتهادات غير المؤلفه، فليعتبر أننا ننقد شعرا لا أكثر (هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها)

إذا تأملنا أن مجموعة هذه القصائد تكشف - ضمن ما تكشف - ذواتنا المتعددة، فتعزى الزيف أو تبرره أو تسميه تلطفا باسم أرق، وربما أصدق، فإننا سوف نجد أن أغلب قراءتنا لهذه القصائد في هذا الكتاب بصفة عامة، ونحن نستلهم منها الطبيعة البشرية، أو على رأى الصديق الإبن أ.د. جمال التركي: نحاول أن نفك شفرة النص البشرى، هو أن نضيف ملاحظات هامة، وربما أساسية على عملية العلاج النفسى.

فكرة العيون التي بداخل العيون هي أساسية من حيث أنها شهادة مباشرة عن إمكانية الحوار مع ذوات متعددة، وبالتالي هي فكرة تتجاوز لغة الشعور والاشعور، مع أنه لا بد من الاعتراف بالفضل لسيجموند فرويد بهذا السبق، على الرغم من تعامله مع "الهُو" باعتباره "شواشا" ليس له حضور إلا من خلال الشعور الظاهر، (الأنَا)، القراءة هنا تتجاوز ذلك، كما تتجاوز أيضاً ثلاثية إريك بين، (الذوات الثلاثة : الطفل واليافع والوالد) فهي تتعامل مع أي عدد من الذوات باعتبارها كيانات كاملة، كل ذات منها (تنظيم- مستوى وعي- عقل آخر) لها موقف، ومشاعر، وفلسفة، ورؤية، لا تناقض بالضرورة الظاهر، لكنها قادرة بشكل غير مباشر على التعبير عن كل ذلك، إما بالأعراض، وإما من خلال آليات العلاج النفسي، أو غير ذلك.

القصائد عموماً في هذا العمل تجرى على لسان صاحب أو صاحبة العيون، ثم على لسان الذوات داخل العيون، ثم داخل العيون، إلى ما يمكن من مستويات وتنظيمات متعاقبة متكاملة متبادلة، أو متعارضة ناقدة محذرة ساخرة.

نبدأ بالنفاذة الخارجية، و"صاحبتنا الواجهة" تفتحها وتنادى، وتسمح، فهي تنكر خوفها، وتعلن استعدادها وجاهزيتها بنداء هادئ وشنان:

والعين الهادية النعسانه، بتقول أنا أهة.. أنا ميش خايغه،

لو الاقي حد يقرب لي، ولاقيني برضه باقرب له، حاخده بالخصن، وكاني باحب".

لكن العين الداخلية الناقدة الحذرة المحذرة تربص بها، فتتقنض بمجرد إعلان هذا الاعتراف الضمني بزيف الجارى: "وكاني باحب".، تنتهز هذه العين الأخرى الداخلية الفرصة فتقفز متمادية في تعرية هذه العلاقة قبل أن تبدأ هكذا :

والعين الثانية جواها بتقول عنديك:

باين على شكلك مش خايغه ؟

خايغه ليقولوا عليكى هايغه ؟

دانا خوف اتجمد من خوف،

دانا خايغه أخاف.

والمية هادية عشان ببركة،

مش نيل ولا بحمر.

حسب تحذير هذه العين الأخرى الناقدة نكتشف أن اختفاء الخوف خارجياً، وهو الذى سمح بالنداء الظاهري الجاهز، فهو إنكار للخوف، أكثر منه طمأنينة حقيقية، إذن فالدعوة الجريئة البادئة، ليست سوى الغطاء الذى يسهل مثل هذه

العلاقات السطحية السريعة المؤقتة، لحساب الانسحاب إلى الداخل الذي يساوى ما أشرنا إليه مكرراً تحت لافتة الموت النفسى، وكأنه اعتراف بأن هذه الوجبات لا تسمن ولا تغنى من جوع، وإنما هي تؤكد اختياراً إمراضياً انسحابياً خامداً.

مشوارى طويل.

خَلَوْنِي فُ حَالِي.

البِنَجْ خَلَالِي.

موتى بيحلال، يا خالِي.

هل كل ذلك يبرر شجب هذه العلاقات السطحية التسكينية على طول الخط؟

بصراحة: ليس بالضرورة.

قد ينجح مستوى العلاقات من نوع "الوجبات السريعة"، تلك طالما أن هذه العين الداخلية الناقدة المتربصة موافقة، أو نائمة، أو مُستبعدة، حتى لو أقرت -ساخرة أو راضية- بأن هذا التخدير الإنكارى هو موت لذيذ (موتى بيحلال ياخالى).

في العلاج النفسى - كما هو في الحياة عموماً - ليس المطلوب أن نرفض ومن البداية هذه المستويات التي نسميها مسطحة أو سريعة أو مؤقتة ما دامت هي العلاقات الممكنة على الأقل في البداية.

إذا بدأنا بتصديق كل هذه التعرية القاسية كما جاءت في القصيدة، فكيف يتدرج نضج العلاقات بقدر تدرج الكشف وجدل النمو؟

ليس المطلوب هو أن نعلن ومن البداية كل هذا الشجب الذي يتبدى لنا من خلال هذه التعرية القاسية هكذا، بل دعنا نقرأ هذا الشجب في عكس الاتجاه حين نقرأ هذه التعرية باعتبارها ليست دعوة حقيقية للتقدم نحو علاقات أعمق واصلق، بقدر ما هي مبرر لرفض العلاقة مع الآخر من حيث المبدأ إعلاناً للخوف الأزلى الأعمق من الحب، من الاقتراب، وبالتالي فإن هذا النقد الساخر - برغم صدقه - قد لا يوظف إلا لدفع الآخر بعيداً، تمهيداً للانسحاب الشيزيدى. (إلى الموقف العلاقاتى)

"الخوف من الحب" الحقيقى، هو الإشكالية الأساسية في كل هذا العمل، (هذا الديوان، هذا الشرح)، هنا ننبه أن المبالغة في التحذير من تجنب العلاقات جميعاً هكذا من حيث المبدأ، في انتظار الأضمن والأمن، هو تعرية قاسية تجهض أية محاولة بدئية أن نقبل أن "نلعب حياً"، إلى حين أن نعرف "كيف نحب".

أرجو ألا تُستقبل وجهة النظر هذه باعتبارها دعوة للاستسهال أو تبريراً للإنكار، فلعلها نوع من نقد النقد.

الذين يمارسون العلاج النفسى المكثف أو العميق، يقعون في مأزق حرج حين يتصورون أن ممارستهم لا بد أن تقتصر على تعهد إتاحة الفرصة لعلاقات موضوعية أبقى وأرقى، المفروض أن

العلاج النفسي هو علاقة مثل أية علاقة بشرية، تبدأ بالوجود ، وتندرج إلى الممكن، فالممكن، وهكذا، بدون توقف، وكلما انتقل العلاج من مرحلة إلى مرحلة، تعاد صياغة الاتفاق، إلى مكن آخر، أبعد وأرقى، وهكذا. هذا ما يمكن أن نسميه :

تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق، وهو وارد دائما في كل مجال ومع أي بشر يمارس العلاقات الإنسانية من أي نوع، والعلاج النفسي بعض ذلك.

هذه القصيدة، مثل معظم قصائد الديوان ، تبالغ في تعرية ما أسيناه "نلعب حبا"، لعبة "الوجبات السريعة"، مع أن هذا المستوى قد يكون جيدا من حيث المبدأ، حتى في العلاقات المستمرة المنظمة اجتماعيا أو دينيا، لكنه ليس بالضرورة غاية المراد، أو كل الإيجابي لكل مراحل النمو.

إن تجديد الفرق، بين "الخب"، و بين أن "نلعب حبا"، هو أمر مهم على الأقل من الناحية النظرية، ومن الناحية المهنية العملية فهو يمثل مسألة هامة في قدرة المعالج على قياس مهمته، خاصة فيما يتعلق بمنع النكسة، "اللعب حبا" - خاصة على مستوى العلاج النفسي- عمره قصير عادة، والكائن البشرى يرضى به كمرحلة، وأيضا المعالج بفعل ذلك، ربما يكون هذا مثلما يرضى الطفل بالزحف حتى يتمكن من المشي، أما أن يكون الزحف هو البداية وهو النهاية، فهذا ليس إلا إعلان لتقزيم النمو، وتوقفه.

الفرق بين المستويين

تواصل العين الداخلية هنا التعرية والتوعية بطبيعة الصفقة الظاهرة، فتنبهنا إلى ما ينخدع فيه "الآخرون" من أن هذه الواجهة من الوجود التي أتمت الاتفاق على لعبة الحب، هي منطقة، مهما بدت جميلة ولذيذة، إلا أنها في النهاية ساكنة بلا موج ولا حركة ممتدة إلا في مجالها الحدود، وأن الخضرة التي كانت توحى بالنبض والطرزجة قد تتكشف عن قشرة من الفطر .. (والمية هادية عشان بركة، مش نيل ولا مجر)

هذه الوجبات السريعة ، على فرض سماح المجتمع، وتماشيا مع منظومة قيم صاحبها، يمكن أن تعد ممارسة لذيفة أو مفيدة، باعتبارها أيضا حق طبيعي جوع طبيعي، ومع ذلك يبدو أنها ليست هي ما تميز الفطرة البشرية في حركتها النمائية طول الوقت، ولا هي غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله، وإذا كانت أغلب الحيوانات لا تجد بدلا عن مثل هذه العلاقات الشهوية المؤقتة، ولو كرشوة لمعظم إنائه حتى يواصل مهمة التكاثر (دون شرط التواصل)، فإن الإنسان قد تجاوز هذه الرشاوى (المفروض يعنى)، وأصبح التواصل عنده متعدد المستويات معا.

حتى هذا المستوى اللىذي الظاهر الذى رضى بلعبة الحب اضطرارا (قياسا يمكن أن نقولها هكذا: إيش رماك على "اللعب حبا"، قال لك: قلة الحب)، هذا المستوى نفسه، يود

لو أنه يكتمل ببقيته، فهو "يعرض" ضمنا على وعيه الداخلي أن يشارك في العلاقة، بدلا من أن يبتعد استسلاما بعد أن ألقى في وجه اللاعبين كل هذا النقد الذي كاد يفسد تلك الوجبة.

هذا "الكيان الداخلي" الناقد الساخر، هو الذي ارتضى التخدير طواعية وهو يعلن "الخوف من الحب" الحقيقي، بانسحابه، وكأنه يعرف - متأنا أو مستسلما أو كليهما - أن الحب الحقيقي له مواصفات أخرى، كما أنه يحتاج إلى تعاقبات أخرى، أهمها: ذلك الاطمئنان إلى عدم التخلي، والذي يبدو أنه افتقده في هذه الوجبات السريعة، فكان كل هذا النقد الساخر، فالانسحاب المتمادى.

مضى هذا الكيان الداخلي يؤكد موقف عدم الأمان الأساسي في الوجود البشرى، فهو يرفض منح الثقة للآخر دون ضمانات (مستحيلة عادة)،

خوف من العلاقة المهتزة، هو خوف من التخلي قبل الأوان، خوف من الخداع، من عدم تبادل مغامرة الخوض في علاقة، ويبدو أنه هو السبب في إفساد كل مستويات التقارب .

عايزنى أصحى؟

وجهتم خوفى مائيانى،

كما إبر التلج الحمية؟!

والناس حوائى بتتمنظر، زى ما هيئه!!!؟

من حقى أبعدهم عنى،

ولا أيها حاجة تطمئنى.

هذا المستوى الداخلي، الذى بدا لنا في أول الأمر أكثر يقظة، وأمانة في الرؤية، أصبح - بانسحابه هكذا - مشاركا ضمنا في لعبة نفى الآخر، أو على الأقل: هو يعلن أن العلاقة المعروضة بدلا عن العلاقة السطحية ليست كافية لإروائه، إنه بإعلانه ذلك يقول: أنه لا يوجد ما يطمئن في كل ما حوله ومن حوله، وبالتالي فإنه بإصراره على إبعاد الآخر الحقيقي (إن وجد أو وعد)، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه ابتداء، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته: "من حقى: أبعدهم عنى، ولا أيها حاجة تطمئنى"

هذه المشاركة من الوعى الداخلي يمكن أن تكون نوعا من المناورة لتشويه ما بدا أنه وافق عليه، فهو يتمادى في تعريته للصفقة الظاهرة أكثر سخرية وقسوة، وكأنه يؤكد مرة أخرى من جديد أنها لعبة "كنظام الحب"، بل إنها لعبة "الحب الزائف": حتى تبدو الصفقة رسما كاريكاتيريا متحديا وهو يقول:

أعملها وكبائى كبائى،

أتمأيلُ، يتقربُ مِنِّي.

أرسمها: عايِزة، ومغمُوزة،

أشاور لهُ، يفتح لي كازوزة.

الشائع عن هذه الوجبات السريعة، أنها رغبة صريحة متبادلة بين اثنين، وهذا صحيح، "أرسمها عايِزة، ومغمُوزة"، أشاورله، يفتح لي كازوزة"، لكن إذا كان هذا الكيان الداخلي غير راض بهذه الصفقات، أو على الأقل غير قانع بها، فلماذا لا يستيقظ، وينشط ويغامر بعلاقة حقيقية؟

ها هو يرد علينا بمبرراته التالية:

مانا لو حاصحِي،

ما انا لازمُ اخافُ

وأموت ماخوفُ

وارجعُ أصحى ألقائي باجس.

وانا خايِفةُ أحيسُ، وخايِفةُ أبصُ

هكذا أعلن الداخل صراحة أن "الخوف من الحب" ليس خوفاً من الحب ذاته، بقدر ما هو تحسباً للترك، ولو أتاحت لهذا الوعي الأعمق فرصة أن يقود مستويات الوعي معاً للتضفر المتبادل المتجدد، للتكامل، بيقظة كافية، إذن لوجب الخوف أكثر لو أنه تمسك بهذا الشجب والحذر والتحذير.

يتعاطم هذا الخوف لدرجة الرضا بالموت جوعاً، أو الموت شللاً بلا حراك، تجنباً لهذا الرعب من الترك، وهذا ما جاء أيضاً في ديوان "سر اللعبة تحديداً: في قصيدة "جلد بالقلوب" كالتالي:

لكن الموت الواحد، أمرٌ حتمي ومقدّر

أما في بستان الحب، فالخطر الأكبر:

أن تنسوف في الظل، ألا يغمرنى دفاء الشمس

أو يأكل برغم روعي دود الخوف،

فتموت الوردة في الكفن الأخضر،

لم تتفتح،

والشمس تعانق من حول كل الأزهار،

هذا موت أبشع،

العلاج النفسي هو فن تقدير التناسب بين جرعات الرؤية، وصعوبة الموقف، وقدر الخوف، ثم هو فن تقسيم هذا التقدير على مراحل العلاج المختلفة ما أمكن ذلك.

الخوف المشروع والضروري يأتي من مغامرة خوض عمق التداخل في العلاقة بين البشر، العلاقة العلاجية وغير العلاجية، ذلك العمق الذي يسمح بإعادة الولادة (البعث) من خلال تجديد الوعي "معا".

هنا تصبح البصيرة رائعة ومعطلة أيضاً، وهي تنشط في العلاج كما تنشط في أية علاقة نمو بين بشر وبشر، هي خبرة موت فبعث بشكل ما، والبعث هنا هو تخليق لوعي جديد يتولد من تجديد العلاقة من خلال اختراق هذا الخوف لاستعادة صدق العلاقة وحركيتها وأصالتها، في قصيدتنا الحالية:

"وارجع أصحى ألقاني باحس"،

هذا خوف آخر غير الخوف من الترك أو النسيان الذي أشرنا إليه حالاً،

هو خوف جديد مسئول ومبرر، لأنه المغامرة في اتجاه الإقرار باحتمال الاعتراف المتبادل مع آخر حقيقي، يُعتمد عليه، ويبقى في وعينا حتى لو رحل.

هذا نموذج بعيد المنال لدرجة الاستحالة أحياناً، وذلك نظراً لقصور مرحلة نمو البشر في مرحلة تطورهم الحالية، وإن كانوا على الأرجح في الطريق إليه أكثر فأكثر،

العلاج النفسي هو فن اختراق هذه الصعوبة من احتمال اقتراب يعطى فرصة حياة تستأهل.

ليس معنى أن "الآخر" هو نفسه "في حال" لا تسمح له بإعطاء كل الأمان المطلوب، أن نلغى محاولة عمل علاقة بشرية كلية كما يقول المتن فيما يلي:

خايفة أطمع فُ وجُودك جَنبِي

على ما اصْحَى واثوْث وارْجَعُ أصْحَى،

حاتكونُ مش فاكر حتى انا مين،

أؤْ كُنَّا فِ إيْه.

(راجع ما ذكرناه حالاً مقتطفاً من ديوان سر اللعبة.

"لكن أن تنسوني في الظل،....."

والشمس تعانق من حولي كل الأزهار

هذا موت أشبع !"

إن ضمان التخفيف من رعب "الترك" (الهجر)، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استيعادية بشكل مطلق (إنت وبس اللي حبيبي)، وبالتالي فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشاركة"، أو "احتمالات بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر، وربما هذا هو الذي أعطى للعلاج الجمعي مشروعيته وأفضليته أحياناً، وهذا ما تقوله الفقرة قبل الأخيرة،

لكن العين الداخلية المتوجسة الناقدة المرتعبة تسارع بنفسي حتى هذا الاحتمال أيضا، ربما لفرط الخوف من القرب حتى أنها تعمم الإنكار إلى الناس جميعا (طب فبن الناس؟)، فهي لم تقصر إنكارها للآخر على افتقادها لوجود فرد آخر مشارك لا يتخلى، وإنما بالغت حتى عمقت هكذا:

بتقولوا ان الدنيا الواسعة :

عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة

إلّا بالناس!!

طب فبن الناس؟؟

إن إلغاء وجود الناس بهذا الحسم، يعقبه تأكيد جديد على الخوف من الترك، والهجر، والإلغاء: (حاتكون مش فاكر حتى انا من... أو كناف إيه)

حين يصل الأمر إلى هذا المستوى من الرؤية، لا يتبقى إلا إعلان اليأس من الحب، ولو بوضع شروط معجزة لاستمراره، وتهينة ظروف لضمان تجديده بلا توقف.

تنتهي القصيدة بإعلان اليأس الساخر تسليما عبثيا بالوجود المُفرغ من كل حب !!

ما فيش احسن ما لب العيرة،

واللعب حسب التسعيرة

بس إوعى يا روى تجيب سيرة

* * * *

وبعد

في النهاية، كالعادة، نقدم القصيدة مجمعة

اعتذارا، وليس تراجعاً

(1)

والعين الهادية النعسانه بتقول أنا أهة.

أنا ميش خايغه !!

لو الاقى حد يقرب لى

ولاقينى عاوزه أقرب له:

حاخده بالخصن،

وكبانى باحب

ميّتى رايقه، و هاديته، وخضرا...'

وخلص.

(2)

والعين الثانية جواها بتقول عنديك:
 باين على شكلك مش خايفه؟
 خايفه ليقولوا عليكى هايغه؟
 دانا خوفى اتجمد من خوفى،
 دانا خايغه أخاف.
 والمية هادية عشان بركة،
 مش نيل ولا بحر.
 وخضارها مش زرع مننعنغ. دا الريم ايها.
 مشوارى طويل.
 خلونق فى حالي.
 البينج خلالي.
 موتى بيحلال، يا خالي.

(3)

عايزينى أصحى !!!
 وجهتم خوفى مالىاني،
 كما إبر التلج الحمية !?
 والناس حوالى بتتمنظر، زى ما هيئه !!!?
 من حقنى أبعدهم عنى،
 ولا أيها حاجة تطمئنى.
 أعملها وكائى كائى،
 أتُمائل، ... يتقرب منى.
 أرسمها: عايضة، ومنغموزة،
 أشاور لهُ، يفتح لى كازوزة.

(4)

مانا لو حاصخى،
 ما اتا لازم أخاف
 وأموت ماخوف
 وارجع أصحى ألقانى باجس.

وانا خايفة أحيش، وخايفة أبض
 خايفة أطمع ف وجوذك جنبي
 على ما اصحى واثوث وارجع اصحى،
 حاتكون مش فاكر حتى انا مين،
 أو كُننا ف إيه.

(5)

بتقولوا إن الدنيا الواسعة:

عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة:

إلا بالناس

(طب فين الناس؟)

ما فيش احسن مالمضحك العيرة،

والحب حسب التسعيرة

بس اوعى يا روى تجيب سيرة

- أستبعد من هذه العلاقات الـ "قوام قوام" علاقات
 الدعارة "مع أنها مثال جيد للعلاقات (العلاقات) السريعة
 المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إلا في حدود
 قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا،

لكن حتى في علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما
 ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها - بما
 تقوم به من احتمالات الحب والتواصل- ليست ضمن محتويات
 أو شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصققة، هذا ما أخبرني
 به صديق له في هذه الأمور عن بعض خبرته في الخارج، حين رفضت
 المرأة الفاضلة أن يقبل صديقي شفتيها، مشرة إلى أن عليه
 أن يلتزم بمنطقة السماح: نصفها الأسفل وما يعلوه حتى
 الرقبة (!!!).

الإثنين 14-10-2009

775- أن يحب أهدنا الآخر بما يليق بالكائن البشرى



دراسة فى علم السيکوباتولوجى (الكتاب الثانى)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على الممتن: ديوان أغوار النفس

الشغل فى المستحيل

تمهيد

تأملت - من جديد - المأزق الذى وجدت نفسى فيه مؤخرا (كما هو حال أغلب الناس ممن ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصرى") فوجدت أنه يتأرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحى الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعى بنفسه، وبضرورة الآخر شرطا لتواجده بشرا سويا، أو ما يسمى عادة **الخب**، وبين ما أسميه **جدل الموت والحياة**، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعى/الأمانة التى تورط فيه هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان

اكتشفت أن تناول لإشكالية العلاقات البشرية من خلال هذا المتن تحتاج إلى توضيح مبدئى قبل المضى قدما فى ذلك.

رحت أكتب مقدمة لهذه الحالة الخامسة فإذا بها تصلح مقدمة للعمل كله:

(1) مقدمة

نلتقى حين نسعى

هذه هى الحالة الخامسة، ويبدو أنها ليست إلا شرحاً على متن الحالة السابقة (الحالة الرابعة: الأسبوع الماضى)،

لاحظت حتى الآن - للأسف- أن تعريه العلاقات المسماة "الخب" حتى النخاع هكذا، تنتهى إلى ما يشير إلى بأس ماء، أو قل، إلى إجماع باستحالة أن يتحاب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعى، والوعى بالوعى" وأضيف الآن: "بما يشمل" مسئولية المشاركة فى جدل نمو الإنسان فردا ونوعا".

هذا تفسير العنوان الأول الذى تغير إلى العنوان الحالى،
العنوان الأول كان كالتى:

"مناورات ومخاوف الذوات داخلنا (فى ملعب الحب والحياة)"

أما أنها مناورات ومخاوف فهى كذلك نغيبا أن تكون - فقط-
صراعا أو سباقا تنافسيا حاضرا، مع أنها صراع محتمل وتنافس
مشروع ، علما بأن المناورات والمخاوف هى خطوات نحو هذا
الجدل الواعد.

أما أنها تجرى فى ملعب الحب والحياة، فذلك لأن كلمة "الخب"
هى التى شاعت أكثر من غيرها فى توصيف العلاقات البشرية،

فروض مستلهمة من الخطوط العامة للقصيدة:

نشرت فى الاسبوع الماضى المستويات العشرة للعلاقات
البشرية دون أى تطبيق أو تفصيل، وطلبت التأمل فيها حين
نشر المتن والشرح اليوم،

وهأنذا أعيدها - بعد تعديل طفيف - مع التذكرة بأن
القصيدة إنما تقوم بتعريف المستويات الثلاثة الأولى، وإلى
درجة أقل المستوى الرابع، وهى:

المستوى الأول: الجذب النداء والانعذاب المذهل.

المستوى الثانى: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معا - أحيانا.

المستوى الرابع: تبادل الاعتمادية

هذه المستويات الثلاثة + واحد، هى التى تعرضها هذه
القصيدة بوجه خاص، وللأسف فإنها تقوم بتعريف هذه المستويات
بقسوة بالغة (كما جاء فى شرح المتن فى نشرها السابق منذ
عامين بتاريخ 8 أكتوبر 2007 "من" يجب "من"...؟")

وهذا ما نبهنى إلى احتمال الرسالة السلبية التى قد تصل
من هذا المتن، حتى لو قمنا بشرحه هكذا دون حذر كاف.

الخوف كل الخوف هو من أن نتوقف عند هذه التعرية وكأننا
نرفض هذه المستويات ابتداء ودائما، وهذا ضد الطبيعة
البشرية الخالصة،

وقد ساءت نفسى عن مدى واقعية المستويات التالية،
خاصة أنى وجدت أن المتن الشعرى فى كل الديوان قد تناولها
بأقل القليل، فوجدت أنها مستويات تبدو نظرية أو مستحيلة.

الشعر شعر، ونحن لا نستطيع أن نقيم وصاية عليه حين
يتوقف عند مرحلة التعرية ليدفعنا نحن لمحاولة تحقيق
المستويات التالية مهما بدت مستحيلة ، وعلى الإنسان
العصرى أن يعيش شرف محنة قصوره عن معاشتها بما تستحق، بما
يلزمه بمواصلة السعى

هذه هي قضيتنا الممتدة بـ الشغل في المستقبل لنجعله
مكنا-

نحن نتعامل مع:

عدل مستحيل (تخلفه، وفي نفس الوقت تحقق ما تيسر منه:
قوانين مكتوبة خانقة محتنقة، مع أنها خطوة اضطرارية على
الطريق إليه)

حرية مستحيلة (تزيفها وتطمسها ديمقراطية عاجزة أو
زائفة مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليها)

حب مستحيل (يزيجه ويحل محله المستويات "الثلاثة الأولى +
واحد"، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

الحركة، الشغل، الكدح

أما لماذا استعملت كلمة الشغل، فهذا ما قد يحتاج مني إلى
شرح أخير يقول:

لم تعد القيمة المحرودة تهمنى، بقدر ما أريد التأكيد على
العملية الحارية فيها وبها وحولها

• لا يوجد شيء اسمه "حرية"، وإنما يوجد سعى دائم لزيادة
جرعة ما تدرس من الحرية

• لا يوجد شيء اسمه "الإنسان"، وإنما يوجد تطور مفتوح
النهاية نحو ما يمكن أن يكون إنسانا

• لا يوجد شيء اسمه "العدل" ، وإنما توجد معادلة متحركة
لتحقيق أكبر قدر من التوازن بين وحدات الوجود المتكافئة
لتعود على الجميع بما يحافظ عليها وينميها معا

• بل إن الحق تبارك وتعالى لا نؤمن به إلى حالة كوننا
نتعرف عليه بتحريك " الكدح" إليه

وعلى هذا القياس

• لا يوجد شيء اسمه الحبي، وإنما يوجد شغل طول الوقت
لتحقيق تصعيد جدلي خلاق بين أفراد البشر ومجاعاتهم لتتلاقح
مستويات التواصل فيما بينهم ما أمكن ذلك، إلى إمكانية
المستحيل.

يا ترى سهلتها أكثر؟ أم صعبتها لدرجة الاستحالة؟

وهل أمامنا سبيل آخر إلا أن نجعل المستحيل ممكنا؟

وبعد

آسف أن أكتفى بهذه المقدمة الضرورية،

وأعتذر بأن أعيد نشر المتق دون شرح (يمكن لمن يريد بعض
الشرح أن يعود إلى نشرة 8 أكتوبر 2007 "من" يجب
"من"....")

مع دعوة لحوح أن يشاركنا القارئ الصديق الصعوبة قبل أن نقدم على التعرّية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشرى البدنى

ولعل في نشر المتن هكذا حرا طليقا، ما يعتذر لهذه المقدمة الشائكة التي استغرقت نشرة بأكملها بهدف تخفيف قسوة التعرية ، فإذا بها أشد قسوة (أم ماذا؟)

هل يستطيع هذا المتن خالصا أن ينسينا كل ما سبق في هذه المقدمة

يا ليت

المتن

وعيون مكحولة مُنْذِيّة.

تشجرَ وتشدّ.

منديلها على وش الميّة

مستنى تمدّ:

إيدك، تسحبها تروح فيها،

ولا مبن شاف حدّ.

(1)

ماتكونشى يا واد النداهة؟

حركات الجنّية اياها؟

أنا خايف مالىّ مانيش عارفه.

أنا شايف إللى مانيش شايفه.

وتلاحظ خوفى تَطْمَنى.

وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :

ماتبصّش جوّه بزيادة،

خلّيك عالقدّ.

شوف حركة عودى الميّاة،

شوف لّون الخدّ

(2)

وأحس بهمّس اللى معاها،

أنوى أقربّ.

وأشوف الثانية جُؤَاهَا،
أحلى وأطيب.
والخوف يغالبني من ايَّاهَا،
لأ. مش خَاهِرْب.
والطفلة تشاور وتعافر،
بتقَرَب، ولأ بتتأخِرْ؟
وان مديت إيدي ناحيتها، بتخاف وتكش.
والثانية نط تخلصيها: تهرَبْ في العيش.
دى غيامة كدب وتغطية، ومؤامرة غش.
(3)

وما صدقشي،
ولا اسلمشي،
أنا واثق إنها ما متئشي
أنا سامع همس الماسكئشي
مش حاجي، لو هيّه ما جاتشي.

(4)

- جرى إيه يا أختينا؟ على فين؟
خاتصخي الناييم؟ بيضمان إيه؟
جرى إيه؟
مش عاجبك رسمي لحواجي، ولا لُون الرُوج؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوج؟
ما كفاكشي زواق الباب؟
هيّه وكالة من غير بوان؟
أنا مش ناقصة التقلية دية،
ولا فيش جوايا "المش هيّة"،
ولا فيه بنوتة بمرايلها،
ولا فيه عيل ماسك ديلها،

(5)

إوعى تخطي، أبعد مني، حاتلقى الهجو.

البيت دا ما لوهشي اضحاب.
 دُول سَافَرُوا قَبْلِ ما يِيَجُوا.
 من يوم ما بنينا السد:
 السد الجَوَافِي التاني.
 وان كان مش عاجبك، سدى البراني.
 تبقى فقت اللعبة،
 ومانيش لاعبة.

(6)

دور على واحدة تكون هبله،
 بتسورق من خصوة نبله.
 تديك قلب الخساية!!
 ومالكشي دعوة بجوايا

يا ما كان نفيسي،
 بس ياروخ قلبي "ما يُّخَمِشِي".

في خرتى المحدودة، كدت ألاحظ في كثيرات تناسباً عكسياً بين فرط التجميل والاهتمام بالشكل الظاهري، (والديكورات، والإكسسوارات، والميك اب)، وبين مدى الانسحاب الداخلي، والعجز عن التواصل المتعدد الأعماق للتكامل، (ليست قاعدة) هذه السدود التي نبنيها حولنا ثم داخلنا طبقة وراء طبقة، ليست سداً واحداً كما تصورناها من خلال التركيز على مستويين للوجود هما الشعور والاشعور، اللغة البيو-وجودية التي نتكلم بها هي لغة تتحدث عن "مستويات وعي" متمثلة في وجود عياني في شبكات دماغ نيورونية (مخية)، مرتبة هيراركيًا بحسب تاريخ التطور من جهة، وتاريخ النمو من جهة أخرى،

الذين يتناولون قضية التواصل بين البشر وكأنه تواصل بين اثنين أساساً فقط، ثم يصنفون الحب على هذا الأساس، لهم وجهة نظر سليمة، لكنها في نهاية النهاية "محدودة" (حتى بعض تصنيفات إريك فروم في "فن الحب") مع أنك تستطيع أن تقرأ حدسهم بهذا التعدد دون إعلانه مباشرة، وهذا ما يجعل بعض تصنيفاتهم مقبولة، ومفيدة.

حقيقة حركية الحب هي نوع من التفاعل المتكامل المتصاعد النابض بين عدد (حتى يشمل الكل) من مستويات الوعي، وعدد آخر، لا يفضل فيها مستوى عن الآخر اللهم إلا في مرحلة من مراحل التفاعل، ثم تنشيط مرحلة أخرى أو مراحل هكذا.

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل في محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر مستوى صفة الغواية الخارجي، في مقابل مستوى البحث عن الكيان الخائف الأكثر أصالة، ثم نرى حوار المقاومة، وأيضاً مناورات الخوف، و الاستبعاد، و الاحتزال، و الامل.

ذكرنا أمس أن هذه القصيدة إنما تقوم بتعرية المستويات الثلاثة الأولى، وإلى درجة أقل المستوى الرابع، (وسوف نعود لبقية المستويات لاحقاً قرب نهاية العمل)

المستوى الأول: الجذب النداء، والاحتجاب الذاهل.

المستوى الثاني: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معاً - أحياناً.

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل في محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر أن مستوى صفة الغواية الخارجية، هو السائد على حساب أى تطور للحوار الأعماق والأكثر تكاملاً، وقد حذرنا من الميل إلى شجب هذه المستويات البدئية، اللهم إلا إذا طغت حتى غطت على فرص التبادل والجدل مع سائر المستويات النابضة الأخرى. كما سوف نتبين مثل ذلك في هذه القصيدة، وبالذات قرب نهايتها، فنهايتها:

القراءة

في بداية هذه القصيدة، يبدو أن التركيز كان على مستوى

الجذ والاجذاب، وهو ما يسمى أحيانا الكيمياء الوجدانية المتبادلة، وهو مستوى - كما أشرنا حالا، وأمس- ليس مرفوضا من حيث المبدأ بل لعله بداية لازمة مهمة، ويبدو أن وسائل الجذب كانت تبدو فاعلة في بداية القصيدة لدرجة ثقة النداهة بسحرها القادر على جذب السائر على شط الترفة حتى تسحبه إلى غير رجعة (هذا ما يحكى عن الجنية النداهة في بلدنا، وهو بعض ما استلهمه يوسف إدريس في قصته النداهة). وهو ما خالج صاحبنا من أن هذا الجذب الساحر، يحمل وراءه الاختفاء الغامض، الذى يعقبه أو لا يعقبه أن يظهر في القرية هائما على وجهه مجذبا أو جنونا أو حبا جنونا.

القصيدة هنا تبدأ بتعريف هذا المستوى من النداء والغواية، وهو مستوى قد يقابله بعض بدايات التعاقد في العلاج النفسى الذى قد يتم بشكل مباشر أو غير مباشر بين معالج له حضور قوى يبعث على الثقة، وبين مريض يحتاج هذه الثقة فيستجيب لها بسرعة، وبأقل قدر من الشروط والحذر:

وعيون مكحولة مُنْذِيّة.

تسجّر وتشد.

منديلها على وش الميّة

مستنى تمذ:

إيدك، تسحبها تروح فيها،

ولا مَن شَاف حد.

لا بد أن لحكاية، أو اسطورة النداهة اصل شديد الغور في النفس الإنسانية، أسطورة النداهة من الأساطير الريفية المصرية، حيث يزعم الفلاحون أنها امرأة جميلة جدا وغريبة تظهر في الليالي الظلماء في الحقول، لتنادي باسم شخص معين فيقوم هذا الشخص مسحورا ويتبع النداء إلى أن يصل إليها ثم يجدونه ميتا في اليوم التالي، أو يلقونه وهو يهيم على وجهه جنونا، وقد يسخط حيوانا عقابا له أنه ترك النداهة الغاوية في عالمها السفلى بعد أن شدته إليه بغوايتها.

ماتكونشى يا واد النّداّهة؟

حركات الجنّية إياها؟

أنا خايف مالى مانيش عازّفه .

أنا شايف إلى مانيش شايفه .

.....

وتلايحظ خوفى تَطْمَنى.

وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :

ماتبصّسّ جوّه بزّيادة،

خلىك عالقّد.

شوف حركة عودي الميّاة،

شوف لون الحد

هذه القصيدة لا تستوحى أسطورة النداهة إلا من حيث هذا الانجذاب المسحور إلى النداء، ذلك لأنه في حين تؤكد الأسطورة على أنه حين يقترب صاحبنا من السطح، يكون منجذبا انجذابا خالصا لسحر الغواية، إذ يبدو أنه يريد ما وراء ذلك بشكل ذاهل، نلاحظ في هذه القصيدة من البداية أنه منجذب بقدر ما هو خائف، يقترب ويرجو ما تحت السطح، فتنبهه الغواية أن الصفقة ينبغي أن تقتصر على هذا المستوى، وأن عليه ألا يتجاوز الحدود، وأنه غير مسموح له أن يخطو إلى ما بعد السطح (ما تبصش جوه بزياده، خليك عالقد) ولتحقيق ذلك تذكره بجمال خارجها، وميادة عودها، ووردية خدودها.؟؟
إلخ،

هو يستمع إلى كل ذلك، لكن يأتيه هس من أعماقها، يناديه بلغة أخرى، وكأنه يستغل هذا الجذب المبدئي ليتعرف من وراء الظاهر إلى طبقة أكثر عمقا وتلقائية، وأقل صفقاتية وذهولا، وكأنه على من يحاول أن يواصل حركية جدل العلاقة، أن يستوعب مستوى الجذب ليتجاوزه وهو يحتويه، لينطلق منه إلى نكوص مشروع، ولعب حر، وهو ما تعنيه هذه الفقرة من تنشيط ما بالداخل من براءة الطفولة، وتلقائية الفطرة، وحلاوة اللعب، وبهذا نقرب من المستوى الثانى والثالث (اللذة المشتركة، واللعب الحر معا) مع الحذر الواجب من احتمال التوقف عند الجذب والانجذاب واللذة المنفصلة

وأحس بهنس إلى معاها،
أنوى أقرب.
وأشوف الثانية جُؤاها،
أحلى وأطيب.
والخوف يغالبني من ايها،
لأ مش حاهرب.

هذه الأخرى التى تناديه من عمق أبعد من جذب مندبل السطح، ربما هى الفطرة عروس البحر، ولكن من يضمن له إذ يتقدم إلى هذا العمق الأجل أن تستولى عليه النداهة المرتبطة بالمندبل السطحى، فيختفى فيها ومعها دون أن يكمل مشوار الحب التكاملى الجدل

(مستنى تمد: إيدك تسحبها تروح فيها، ولا مين شاف حد).

وحين يستشعر هذا الخطر، وتراوده فكرة التراجع يجد أنه لا سبيل إلى ذلك إن أراد جدل العلاقة أن يتواصل، فيقرر أن يواصل: فيتراجع عن التراجع

(لأ مش حاهرب)

استجابة لهذا التصميم يأتيه نداء الداخل ، مع الحذر المناسب من الاقتراب

الخب بقدر ما فيه قرب، فيه قدر مساو، وأحيانا أزيد من الخوف من القرب.

يسرى ذلك على من يقترب، وعلى من يستجيب لمحاولة الاقتراب

والطفلة تشاور وتعاقر،
بتقرب، ولا بتتأخر؟
وأن مديت إيدي ناجيتها، بتخاف وتكش.
والثانية تنط تخلّيها: تهزّب في العيش.
دى غيامة كذب وتغطيّة، ومؤامرة غش.

الوعى الداخلى، الطفولة المستجيبة، ضعيفة بطبيعتها ،
بقدر ما هي جميلة بتلقائيتها

الظاهر الجاذب المكتفى بهذا المستوى حتى لو كان الاختفاء في
الذهول هو نهايته لا يتزحزح عن محاولته إفساد أى خطوة تحاول
تجاوزه إلى داخل الداخل الصادق الواعد بل إنه يكتب هذه
المحاولة الأعمق حتى تنسحب الذات الأجل والأعمق على أثر
التخويف من الاقتراب الحقيقى، وبمزيد من الإغراء بالاستكفاء
بظاهر الجذب فالاجذاب، وهما ليسا إلا بديلا عن حقيقة العلاقة
وعمقها، ومن ثم نفهم كيف أن هذا الإبدال أو التوقف ليس
إلا: "غيامة كذب وتغطيّة، ومؤامرة غش"

تواصل السعى إلى الحوار والجدل مع المستوى الأعمق والأجل،
يرفض هذا الانسحاب من أثر الإحلال والتغطيّة، فهو لا يصدق أن
المستوى الأعمق غير موجود، أو كان وهما ، بل هو يعلن أنها -
حلوة الداخل- لم تمثّ، لأنها لا تموت ، مهما بعدت أو اختفت :

وما صدّقشى،
ولا اسلمشى،
أنا واثق إنها ما متّئشى
أنا سامع همس الماسكتشى
مش حاجى، لو هيه ما جاتشى.

فهو يواصل الإنصات، ويشترط لمواصلة الحوار (الخب) وجودها
ليكمل معها (وربما مع غيرها، لكن معها أساسا)

"أنا سامع همس الماسكتشى"

تلك الأخرى - على السطح - تتصور أنه وهو يقترب، يقترب،
منها هي ، استجابة لغوايتها، لكنه ينبهها، وربما ينبه
نفسه أنه: "مش حاجى لو هيا ما جاتشى"، مهما بدا إغراء
جذب السطح.

تنبيهه واجب هنا :

• إن المسألة هي ليست "إما أو"، اللهم إلا إذا
أصر "السطح" على استبعاد كل ما عداه،

• إن علاقة الخب الحقيقية هي حب لكل المستويات، بكل
المستويات، بما في ذلك حب الغاوية السطحية، ولو بابا إلى
العمق، ولكن ليس على حسابها،

• التى على السطح هنا لا تعترف إلا بنفسها، ولو وصل

الأمر إلى تفضيل أن "تلعب حيا" بدلا من "تحب"، ما هي تنبؤ لتحول بينهما، بين داخلها، والساعي إلى حب حقيقي، تحول بالمنع والتحذير والتشريط:

- جرى إليه يا أخي؟ علي فين؟
 خاتصحي الناييم؟ بضمن إليه؟
 جرى إليه؟
 مش عاجبك رسمي لحواجي، ولا لُون الرُوج؟
 مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حق اللووج؟
 ما كفاكشي زواق الباب؟
 هيّه وكالة من غير بواب؟

هذه الغاوية على السطح إنما تعلن وصايتها على سائر المستويات، معترضه على مواصلة السعي، فهي تدافع عن مشروعية، بل لذة الوجبات السريعة، وعلينا أن نتذكر أنه "إيش رماك على أن تلعب حيا، قال قلة الحب". هذه التي على السطح تريد ضمانا (بضمن إليه؟)، وهي مهملة قدم لها من ضمانات (بما في ذلك ورقة الزواج أيضا) لن تسلم - طالما هي منفصلة هكذا - وهي لا تسمح بجمعها أن يشاركوا في العلاقة المتعددة المستويات، أي في علاقة حب. وليس لعبة حب، فهي تتعجب من عدم رضاه بكل ما فعلته لإغوائه ليكتفى بهذا الظاهر (ما كفاكشي زواق الباب، هيا وكالة من غير بواب؟)

وقفة:

ماذا يحدث في العلاج النفسي على أى مستوى تتم العلاقة

بصراحة، إن العلاقات (العلاجات) المطروحة على مستوى الاقتران على الإيحاء والطمأنة والتسكين (بالعقائير أو بدونها) هو أقرب إلى مستوى الغواية والجذب والانجذاب، لانزعج أن نهايته هي بالذهول أو العدم مثلما هو الحال في أصل أسطورة النداهة، وإنما قد يكون نهايته السكون وتوقف مسيرة النضج.

تواصل العلاج النفسي الأعمق الذى قد يرتقى بالعلاقة إلى هذا التحاور على هذا المستوى، هو الذى يحفز النمو ويطلق جدل التطور بحيث يتم إعادة التشكيل من خلال أزمة المرض ما أمكن ذلك

لماذا يخاف أغلب المعالجين من المرضى المصنّ قديما إلى أبعد مما يسمى العلاج التسكينى، لا يوجد علاج حقيقى فيه إطلاق نمو أو إعادة تشكيل إلا ويمر المريض فيه بما نسميه "مأزق التغيير" بكل مخاطره وصعوباته والتهديد بمضاعفاته، من هنا، وبالذات في العلاج الجمعي، يكون الخذر والتحذير، مصاحب بالخوف والتخويف، وكثيرا ما يتمادى هذا الخوف والخذر إلى ظهور آليات دفاع أكثر حدة تجمّد مسيرة النمو فينقطع العلاج فجأة، أو تنتقل الزملة المرضية إلى زملة أكثر صلابة وأقدر مقاومة

إن الزملاء الذين يبدأون بالتسكين، وأحياناً يسمونه الطمانينة، وينتهون بالتسكين، مفضلين "السلامة" أولاً وأخيراً، وأن الطيب احسن لا ينتمون إلى مسيرة النمو من خلال العلاج، وربما إلى مسيرة النمو برمتها، لأنه لا يوجد نمو دون آلام ومخاطر من حيث المبدأ

أنا مش ناقصة التقلبية دية،
ولا فيش جَوَّاءِ "المِشْ هِيَّة"،
ولأ فيه بِنُوْتة بِمَرَايِلْهَا،
ولأ فيه عَيْل ماسك ديلها،

وبرغم كل ذلك التحذير والإنكار والحوء، فالطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية،

وهكذا يستمر النداء الخفى، ويتواصل إصرار حفز النمو، فيتواصل بالمقابل التحذير، ويحل الصد وإعلان الدفاعات المانعة من التواصل، محل الجذب الذى يثبت من خلال ذلك أنه كان "كنظام الحب" وليس "الحب"

إوعى تحطى، أبعد مئى، حاتلقى الهؤ.
البيت دا مالوئشى اضحاب.
دؤل سافروا قبل ما ييجوا.
من يوم ما بنينا السد.
السد الجوائى التانى.
وان كان مش عاجبك، سدئ البرانى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيش لاعبة.
هنا وقفة مهمة:

إن العلاقات البشرية تنبنى على أساس سلامة لبنات التواصل الأولى التي توضع في محلها، منذ الطفولة توضع في وقتها، لغرضها، وهي التي يبنى بها بيت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامى.

إن التي (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك في (لا ليستقل بـ) عملية الحب، لا بد أن تكون قد اطمانت طفلة (ثم بعد ذلك في أى ولادة جديدة في أزمات النمو) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين يريدونها ويعترفون بها فتردهم وتعترف بهم،

هكذا تتاح لها الفرصة أن تبخ نفسها "بيتا" (وليس لنفسها بيتا)، بيتا له أصحاب، هي أولهم، وليست آخرهم،

فالقصيصة هنا وهي تعرى هذا الخواء الداخلى: "البيت دا ما لوئشى اصحاب" إنما تعلن سبب هذا الهروب الكبير، وتعز إحلل المنديل على سطح التزعة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة،

"البيت" ليس له أصحاب لأنهم كانوا أشباحا لم يحضروا

واقعا مغذيا أمنا أبدا، وهم مهما تحركوا إنما يلعبون لعبة تشبه الحياة، تشبه الحب، تشبه التواصل، يلعبونها سرا مع أنفسهم، ويختلفون قبل أن يظهروا

"دول سافروا قبل ما ييجوا"

لكن هل يعقل أن يبني طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟

وكيف ينتمى وهو منذ وُجد لم تواجهه إلا الخواجز التي أقيمت لتحول دون التواصل الحقيقي (القبول والاعتراف والأخذ والعطاء) فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التي يمكن أن تؤتى أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا" ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التي حيل بينه وبين أن يتنامى بواسطة تلك التي أدت إلى الميكانزمات الاستغناء عنه بإقامة السدود، ليس فقط سد الغواية الرائية البديلة عن العلاقة، وإنما السد الجواني الثاني، وهو الذى يشير إلى عدم الأمان الأولى

إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن ليحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما يرجع السبب إلى الحاجز القديم "السد الجواني الثاني"، أما هذا السد الرائي، فكل المطلوب منه هو أن يقوم باللازم ليحقق المراد الجزئى فى وجبة سريعة، أو فى وجبات رسمية راتبية، كنظام الوجبات المستخرجة من "الديب فريزرعلى طول المدى (الزواج الساكن الخامد). دون أن يكون بداية لبنص جدلى تصعيدى منتظم إلى المستويات الأخرى، مع أنه يمكن أن يكون بابا إلى ذلك.

تنتهى القصيدة الخالة بتوصية ساخرة، بنكوص هروبى أيضا بديلا عن مسيرة النمو، وربما يكون هذا أكثر تمثيلا لمستوى العلاقة التى أسيناها "اللذة المشتركة بعض الوقت" (المستوى الثانى) ، وهو ليس أفضل كثيرا من مستوى الجذب والإنجذاب، فهو جاهز لتوقيف مسيرة النمو أيضا:

دور على واحدة تكون هيلة،

بئسوزق من حصة نيله.

تديلك قلب الحساية!!

ومالكشى دعوة بجوايا

.....

يا ما كان نفسى،

بس ياروخ قلبى "ما يُّخمشى".

وبعد

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن "يلعب حبا"، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ "قلب الحساية، ولا يكتفى بأوراقها أو رأسها.

ولكن هل يكون للخساية قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التي ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع في الحماية والدفاعات؟

إن من يريد أن يلقى هذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخساية هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قنّاص مستسهل.

وبعد (مرة أخرى):

خيل إلى أن المسألة أصبحت أصعب.

ليكن.

قلنا من البداية، حتى لو لم يكن لدينا بديلا: "نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".

فهل نستطيع ذلك في مسألة الحب هذه؟ (ربما مثلها مثل مسألة الديمقراطية والحرية والمال، وأشياء أخرى كثيرة)، وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب الدافع للتحرّك، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.

ترى هل أصبحت المسألة أسهل أم أصعب؟

هل نشتغل في المستحيل ليكون ممكنا،

أم نستسلم للممكن ليصبح مستحيلا

الإثنين 28-10-2009

789- فقه العلاقات بين البشر (العين الحرامية)



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

محاولات دائية، وألم متجدد، ونهاية سلبية: بالانسحاب
للفرجة....!!

والعين المهزوزة الخائفة الحرامية،

زى الكلب السارق عضمة:

بتبص لتحت، وساعات للجنب.

وساعات بتبرق وتبخلق حبه نونو،

ترجع تانى، تهرب منى، وتبص لفوق.

أجرى وراها قبل ما توصل شراعة الباب،

أو تنزل تتسحب منى كده تحت دولاب.

وساعات تترقص وبياضها يغطي سوادها،

وكأنه بيخلى بريئة واتهموها:

قرت بالذنب،

من غير ولا ذنب.

بيقولوا ظبطوها بتتسول: فضلات الحُب.

وارجع ابضلها تظط،

وتفط.

كما طفل على سلم تُرُمائي،
 بيبيع كبريت أو باغة،
 أو إيده خفيفة، عالساعة والولاعة.
 يخطف وينط.

القراءة:

في هذه الخبرة اتضح لي الفرق بين برنامج "الدخول والخروج"،
 in-and-out program وبرنامج الكر والفر، fight-flight
 علما بأن هذه الحالة لم تكن تمارس أيا منهما، وإن كانت
 أقرب إلى موقف للدخول والخروج على مستوى تجسس الطريق "نحو
 الموضوع" (الأخر) للأول، دون الثاني،

في الكر والفر دفع حتى الطرد، أو انسحاب حتى الهرب، وهما
 يتبادلان،

وفي الدخول والخروج، إقدام إلى الآخر والموضوع والواقع، ثم
 انسحاب إلى الرحم والاختفاء، وهكذا بالتبادل

الحالة هنا تعلن شيئا آخر، هي تظهر أن الخوف من
 الاقتراب له تشكيلات وتجليات متنوعة من أرقها: هذا النوع من
 الإقدام الخذر المتوجس، يتبادل مع الإحجام الناقص، على
 خلفية من الشعور بذنب ما، وفي نفس الوقت الرغبة في أخذ
 "الحق في القرب"، في الحب، في الاعتراف، التي تترجم مظاهرها في
 تجليات خاطفة ما بين السرقة والاستجداء والخوف والتردد:

والعين المهزوزة الخائفة الخرامية،

زي الكلب السارق عضمة:

بتبص لتحت، وساعات للجنب.

وساعات بتترق وتبحلق حبة نونو،

ترجع تاني، تهرب مني، وتبص لفيق.

أجري وراها قبل ما توصل شراعة الباب،

أو تنزل تتسحب مني: كده تحت دولا.

وساعات تترقص وبياضها يغطي سوادها،

وكانه بيخبي بريئة واتهموها:

قرت بالذنب،

من غير ولا ذنب

حين تُحرم من حقك في القرب، سواء كان ذلك نتيجة لهذا
 الموقف المترقب المتردد، أو لأنهم نسوك أو تجاوزوك أو أهملوك،
 أو في الواقع: نتيجة لكل ذلك معا، قد تضطر إلى أن تحصل
 عليه بما

يبدو أنه خطفاً أو سرقة، هذا الموقف الذي بدأت به واصفاً هذه الحالة يشير إلى أن الإقدام على عمل علاقة بآخر، حتى ولو خُطفها سرقة، لا يكشف تحايلاً للحصول على غير حقه، بل هو يعلن جوعاً لا يعرف طريقاً للإرواء غير ذلك، جوعاً للحصول على حق لم يصل صاحبه.

الواضح من هذا المقطع هو أنه بالرغم من الجوع الشديد إلى الآخر، فإن ثم شعوراً حقيقياً بأن المسئول عن ذلك ليس بالضرورة هو الآخر وحده. هذا الشعور، في هذه الحالة، كنموذج، ينبع أساساً من صعوبات صاحب هذا الموقف أكثر مما أنه نتيجة لرفض يأتيه من خارجه.

الشعور بالذنب لدرجة الاعتراف بإثم لم يرتكبه الشخص أصلاً، قد يكون هو العائق لاستقبال رسائل إيجابية من الآخر تعفيه من الاضطراب لسرقة العواطف أو خطفها هكذا، كما تعفيه من الاستجداء ومن غير ذلك مما سيأتي ذكره، هنا لا يوجد إثم أصلاً يحتاج أن نشعر إزاءه بذنب ما، هذا هو الغالب عند معظم البشر كمرحلة من التطور إلى البشرية الأكثر حرية ووعياً ومعية، إذن نحن لا نحتاج لاختلاق قصص وأساطير لتفسير هذا الشعور الأساسي بالذنب في التكوين البشرى المعاصر، إلا إسقاطاً لتفسير تكوين أساسي.

في أطروحتي عن الشعور بالذنب، ربطت بين الوعي بالوعي، وبين الوعي بانفصال الإنسان كأننا واعياً مستقلاً نسبياً عن الوعي الكلي، عن الوعي الهول الهلامي الأصلي، قدمت تفسيراً لهذا الشعور الأساسي أنه: **إعلان لورطة اختيار الإنسان أن يكون كأننا متفرداً له وعياً مستقلاً**، لا يحتاج الأمر - إذن، كما ذكرنا حلاً ونكرراً - لتبريرات لاحقة، جنسية أو أوديبية أو حارمية، اللهم إلا كنوع من التفسير اللاحق لإسقاط هذا الشعور الأساسي على منظومات التحريم والتنظيم، الفرض الذي طرحته سابقاً يوجز هذه القضية في هذه الجملة:

"أنا موجود ، أنا لى كيان مستقل، أنا واع بذاتى منفصلا عنهم وعنه="

إذن أنا مذنب، (دون أن اذنب)"،

هذا الشعور بالانفصال عن الأصل الكلى الهلامي، هو نفسه الدافع محاولة الوصل طول الوقت " كل من انفصل عن أصله، يطلب أيام وصله"،

وهو أيضاً الشعور الذى يكمن أيضاً وراء **مأزق السعى إلى المعرفة**،

المعرفة هي في ذاتها ذنب من هذا المنطلق الأساسي، ذنب رائع أيضاً، وهذا هو ما يغلب على كثير من تفسير حكاية (أسطورة، فكرة) الأكل من الشجرة المحرمة في الجنة، (بالإضافة إلى ما يقابل ذلك من جنان الأساطير والإبداع الأدبي)، إن ما ترتب على الأكل من الشجرة المحرمة هو العقاب بإنزال الإنسان

إلى ارض الواقع المسئول، مع منحه حرية الاختيار وأدوات التواصل الأساسية (الأسماء كلها)، وهى حرية شائكة، وأدوات ملتبسة، فهو قادر على الاختيار والكشف، وفي نفس الوقت خائف من المجهول والمعجز.

لا يحل هذا الموقف، أو حتى يخفف منه مجرد اقتراب صادق من آخر، فالمسألة تحتاج تجربة ومثابرة لعل رسالة مطمئنة تصل بدرجة تسمح بعلاقة ما .

التشكيل هنا يكشف من جوانب متعددة عن حركية **الاقتراب المغامر إلا قليلا، يقابله الانسحاب الحذر إلا قليلا،**

الجوع إلى العلاقة ليس دافعا تلقائيا للتقدم نحوها، بل كثيرا ما نجد أن العكس هو الذى يحدث،

فصاحبة هذا الموقف هنا يرفض الاقتراب حتى لو جاءت المبادرة من الآخر:

وأنت كلما حاولت الاقتراب منها حاولت هى الابتعاد، ربما لتحافظ على مسافة، **تعد ولا تفي ، لكنها (المسافة) لا تكف عن الوعد مجددا.**

الحاجة إلى الاقتراب أو الخب قد تحدد حتى تبدو تسولا من بعد معين، وهذا من أصعب ما يضطر إليه بشر لا يجد فرصة حقيقية للأمان والاعتراف،

قد يظهر ذلك التسول فى شكل تنازل عن كرامة،

أو قد يتم بصفقة سرية بها ظلم شديد عليه،

أو قد يتجلى فى تنقل سريع بين مصادر الخب المحتمل، دون ارتواء حقيقى.

هذا الموقف يقدمه المتن بقسوة عارية حين يصف هذا التنازل بأنه تسول، مع إحقاق أن هذا التسول لا يحقق لصاحبه **إلا فتاتا من فضلات لا تغنى، بل إنها قد تزيد الجوع حدة وسعارا.**

هذا الموقف يبين كيف يمكن أن يترجح صاحبه بين خطف ما تيسر من عواطف، أو رائحة علاقة، أو إشارة اعتراف، وبين نوع من التسول الذى يصاحبه اعتذار أو استغفار عن الذنب الأساسى ، **ذنب الانفصال عن الوعى الكلى سعيا إلى وعى ذاتى متفرد،** وهو موقف لا يحل الإشكال من جذوره بقدر ما يعلن طبيعة هذه الوقفة فى هذه المرحلة، **ومصوبة المحاولة،** وللأسف، فإنه موقف إذا طال وتكرر بلا عائد، فهو ينتهى إلى نتيجة سلبية كما انتهت الحالة فى هذا المتن، ذلك لأن الذى تظهره الحالة هو أنه:

إذا تذبذبت المحاولات إلى هذه الدرجة وطالت المدة، فإنها تجهض جميعها فى النهاية مهما استمرت وتكررت، ومهما قفزت من موقف إلى موقف فهى ليست فى النهاية إلا نوع من الخطف أو السرقة، ، ثم استجداء وتردد، فى مقابل الوعد بما لا يكون:

بيقولوا ظبطوها بتتسؤل: فضلات الخُب.

وارجع ابصلها تَنط،

وتفَط.

كما طفل على سلَم تُرُمائ،

بئبيع كريت أو باغة،

أو إيده خفيفة، عالشاعة والولاعة.

يحطف وينط.

هكذا يعرى المتن عمق هذا الموقف الذى لا يحله مجرد إعلان الإقرار بالوجود، أو التلويح بالإعفاء من مسئولية "سرقة الرؤية" و"تسؤل القبول"، هذه الحالة تكشف استمرار إصرار صاحبة الصورة على الحفاظ على نفس الموقف الخذر المتوسط المترجح بلا نهاية، ها هو المتن يعلن بشكل مباشر أن هذا التردد المشل لا يوصل إلى شيء:

عايزاكم .. ميش عايزاكم.

باشتخونكم، وباجيكم.

وباخاف مالتقرب.

وما طيقشي البعد.

وباخاف لو عيني جت في عنين ميش "هيته"،

وباخاف أكثر لو طلعت "هيته".

هذه الحالة تصف مرحلة انتقال حذرة، فهي تبدو نقلة حساسة من الموقف البارنوى إلى الموقف الاكتئابي، بالمعنى الذى أشرنا إليه سابقا موضحين أن ما يسمى الموقف الاكتئابي (وليس الاكتئاب) هو موقف محاولة اختبار، وتقبل صعوبه العلاقة بالآخر بوعى متبادل مسئول. (لهذا اقترحنا تسميته بالموقف العلاقاتى الإنسانى).

الموضوع (الآخر)، فى هذه النقلة هنا، لا يمثل خطرا يهدد وجودى، أو يقتحم هويتى، بل هو (الموضوع-الآخر) يحضر بداية بإقرار الاعتراف الخذر باكتشاف أن ما هو "آخر" هو مصدر حب ووعد بالتكافل معا للاستمرار دون أن يحو أحدنا الآخر، وفى نفس الوقت هو يحمل - بطبيعته- تهديداً يخطر الترك أو الهجر، ووجود هذين الشعورين معا معظم الوقت يترتب عليه ما يسمى **بتناقض الوجدان**.

نكرر: التناقض هنا غير تناقض الوجدان المتصادم المشل فى الأحوال المرضية، حيث التضاد فى المرض لا ينتهى إلا بنتيجة صفرية فارغة. هذا بعكس التناقض النمائى هنا الذى إنما يعلن طبيعية جدل العواطف التى تختزلها عادة بالاستقطاب باستمرار.

هذا الجدل النابع من حيوية التناقض الإيجابي هو الذى يفرز طاقة الدفع إلى استمرار نبض الحركية نحو الآخر، محصلة ذلك إن استمرت هذه الإيجابية هى ظهور الألم البشرى الأرقى، الذى ظهرت إحدى تجلياته فى هذا المتن فى نص عبارة: "والدمعة يا دوب حاتبان"،

لاحظتُ - فى خيرة العلاج الجماعى خاصة، وأيضاً فى لقاءات الفحص الصامت لإطلاق التعبير عن "الحق الألم" (أو الحزن) - مما قد أعود إليه لاحقاً فى عمل مستقل مع احتمال عرض صور حيه - لاحظت أن هذا الموقف الذى تفرق فيه العين باقتراب دمعة تلمع ولا تهطل، هو الموقف الذى تمثله هذه العبارة تحديداً، وقد ثبت أنه - فى تقديرى بعد عشرات أو مئات الحالات -

(موقف يعبر عن الألم الإنسانى الناتج عن الإصرار على مواصلة التواصل مع آخر مختلف، وفى نفس الوقت وعى بأن هذا الآخر هو كيان مستقل منفصل يحاول نفس المحاولة، مع إدراك الصعوبة والتهديد فى آن.)

فى خيرة العلاج الجمعى (وأيضاً فى اللقاء الإكلينيكى الصامت من حيث تجنب استعمال الكلمات المنطوقة) حين نصل (المريض وأنا) إلى مرحلة تعلن مثل هذا التواصل المؤلم، يتجلى هذا "الألم الحى" بعذوبته وصدقه فيما يعبر عنه عادة بتعبير هو ما يسمى: "اغرورقت عيناه بالدموع"،

هنا نلفت النظر إلى أننا لاحظنا مكرراً أنه إذا امتدت هذه الخيرة حتى إدرار الدموع، فإن هذا البكاء يجهد المحاولة، وتنقلب العلاقة إلى مستوى آخر أقل فاعلية، بل ربما يكون سلبياً دفاعياً، الأمر الذى دعانى -غالبا- إلى اتخاذ موقف علاجى يحول دون أن ينقلب اغروراق العيون، إلى دموع منسكبة

هذا الموقف - حين أساعد أحد المرضى أن يسمح للألم بالظهور دون الإسراع بلضغفه بسبب جاهز، وفى نفس الوقت ألا يسمح لنفسه بالتعبير عنه بالألفاظ حتى لا يجهد الخيرة - يبدو موقفاً غير مألوف إذا قيس بتعبيرات علاجية سهلة مثل الغضضة أو التنفيث، وكان بعض المرضى الآخرين، وبعض الزملاء والمشاهدين يستقبلون محاولتى هذه باعتبارها قسوة مؤلمة، ولم يكن الحال كذلك عند أغلب المرضى من داخل التجربة، بل إن الناتج فى النهاية كان، ويكون، نوعاً من الطمأنينة الواعية بحقيقة صعوبات وأبعاد العلاقة بالواقع، وبالأحر، بل ويكون هو هو الدافع إلى استمرار العلاقة العلاجية إلى المرحلة التالية من محاولات تنشيط مسيرة النمو التى هى غاية هذا النوع من العلاج.

إذن ما تحفل به هذه النقلة من تناقض الوجدان الإيجابي، بمعنى حضور أكثر من عاطفة فى نفس مستوى الوعى، بعضها يبدو عكس الآخر، إنما هو إعلان حركية التعاطف المتبادل اختباراً، وتراجعاً وتقدماً، وحذراً، (ومن ثم: جدلاً)، نقرأ مرة أخرى:

وبأخاف مألقرئ، وما طيقشي البعد. وبأخاف لو عيني
جت في غنين ميش "هيه"، وبأخاف أكثر لو طلعت "هيه"،

في خبرتي أيضا لاحظت أن إطالة هذا الموقف هو مرهق لدرجة
الخطر، لا أحد يستطيع أن يواصل كل هذا الألم الناشئ عن وعد
لا يتحقق، وفي نفس الوقت لا يتراجع، وعد بعلاقة حقيقية،
برؤية ماء، باعتراف ماء، بتواصل ماء، أقول إن إطالة هذا
الموقف دون أن يحقق أية درجة من الاقتراب الموضوعي الداعم
الداخلي، إنما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإنهك فالترجع عن
محاولة الاستمرار في هذا الجدل الضروري لتنشيط دائم لعلاقة
بشرية حقيقية.

العلاقة الحقيقية بين البشر هي حركة دائبة،

فالخطر هنا يصحبه احتمال الأمان،

وإلحاح يسير جنبا إلى جنب مع محاولة الاقتراب،

و الأمل في وجود آخر رغم التهديد المصاحب لذلك هو أمل
متجدد حقيقي وفعال.

وفي خبرتي - مصداقا لهذا التنظير - وجدت أن ظهور علامات
هذه المشاعر المشتملة للألم والحزن والدهشة وقدر من
الطمأنينة لخدمة المشاركة، هو أكبر دليل على نجاح العلاج
والتقدم على طريق النمو، وهذا يختلف تماما عن السائد من
أن هدف العلاج هو "إراحة المريض"، أو حتى هو السماح له
"بالتفريغ" أو "التنقيث".

لا بد من التنويه هنا إلى أن الحرص على "بسط" unfolding
هذه المشاعر المؤلمة لا ينبغي أن يكون هدفا علاجيا في ذاته،
وإنما يلتزم المعالج بأن يضبط الجرعة والمدة المناسبة لمعايشة
هذه الخبرة بما يحقق دفع عجلة النمو بالقدر البناء، ولا مانع
من العودة إلى نفس الخبرة مع كل نقلة نمو لاحقة.

إذا أساء المعالج (أو أي آخر) حسب الجرعة وطالت خبرة الألم بلا
نتائج حالي أو واعد، تهتد الكيان النامي بالتفسخ من فرط الألم،

هنا- مع التهديد بالتفسخ- تقفز الحاجة إلى التغطية
بأية آلية (ميكانزم) قديمة أو جديدة، بالكبت مثلا (غطون
كويس) أو بالانسحاب (خلون بعيد) تجنبنا لهذا التفسخ المهدد
نتيجة لفرط الألم بلا عائد، هكذا يعلنها النص:

غطون كويس،

خلون بعيد،

لا تَبْعُزُقْ.

نهاية هذه القصيدة (الخالة) هي سلبية لكنها واقعية
بشكل منبه ومؤلم، ذلك أنها أقرب إلى الحل اليائس الذي يعلن
صعوبة الاستمرار في معاناة هذه المشاعر بلا تقدم كاف نحو
غاية العلاج (أو العلاقة).

في العلاج الجمعي خاصة، وفي العلاج عامة، يمكن أن نقابل هذا الميكانزم الذي لا يكتشفه إلا خبير، أو ربما يتكشف نفس الميكانزم بعد بداية العلاج بفترة ليست قصيرة، وأحيانا يظهر بعد تحسن مؤقت، فتراجع منظم أو غير منظم،

هذا هو ما نسميه ميكانزم "الفُرْجَة"،

نعني بـ "الفُرْجَة" هنا: المشاركة بالمشاهدة، والفهم بالعقل، وأحيانا الحكم على الجارى، بالتفكير بل وبالرأى، وعى،

يتفرج مثل هذا المريض على زملائه، وأيضا على الأطباء، من مسافة آمنة، كما أن ثم احتمال أن بعض المعالجين (خاصة في موقف ما يسمى البحث العلمى) يتفرجون على المرضى، وهم يتعلمون منهم نظريا، إذ يرصدون أحوالهم وتركيبهم، لينشروه بحث أو يشرحوه لدارسين: (وقد سبق أن أشرنا لمثل ذلك في نشرة سابقة **الخالة دى صعبة ومهمة تنفع للدرس**)، يفعل الواحد منا هذا دون أن ينتبه إلى أن كل ذلك يجرى على حساب المشاركة الحقيقية، أى مواكبة المعالج للمريض أثناء مسيرة نموهما،

هذا نوع من الفرجة مهما كانت أغراضه نبيلة لتحقيق غرض آخر.

في العلاج الخاص، يمكن أن تتم "الفُرْجَة" المتبادلة بعيدا عن الوعى الظاهر لكل من المريض والطبيب، طالما أن التعاقد مستمر على مستوى أن وقت الطبيب هو بضاعة قابلة للشراء، وأن حضور المريض ليشغل هذا الوقت، وهو يعرض نفسه أيضا لفرجة ما، هو أيضا ضمن الاتفاق التحتى الذى يتم بينهما، وهكذا قد تستمر العلاقة بينهم على مسافة (أنا تذكرتى **بلكون**) ما دامت شروط العقد التحتى سارية (بفلوسى).

أنا تذكرتى بلكون،

وراح اتفرج للصبح.

.....بـفـلـوسـى.

إن اتخاذ موقف المتفرج، حتى على مسافة هكذا، قد يكون هو الحماية المناسبة ضد فرط جرعة التلويح بأمل لا يتحقق، أو التهديد بتفاعل إنسانى غامض المعالم وذلك أثناء العلاج، خاصة العلاج الجمعى،

من هنا نرى أن ميكانزم "الفُرْجَة" الذى قد تنتهى به خيرة التعرض للألم الرائع السالف الذكر، هو اقرب إلى ما أسميناه سابقا "**الهرب إلى الصحة، أو ما يشبه الصحة**"، من حيث أنه مع اختفاء هذا المؤلم بالتراجع، بما تيسر من ميكانزمات جديدة، يعتبر المريض نفسه، والطبيب أحيانا، أن العلاج قد حقق أغراضه، وهذا احتمال يمكن قبوله على مستوى معين من تعريفات "الصحة"، و"العادية".

هنا يحضرنا سؤال يقول:

ألا يكفي اختفاء الأعراض سببا وجيها يقرر أن يتوقف العلاج ما دام قد حقق هذه الأعراض مهما كانت متواضعة أو متوسطة؟

الإجابة الجاهزة المنطقية هي : نعم، هذا أوان مناسب لوقف العلاج.

لكن واقع الحال أن العلاج قد يستمر لفترة تطول أو تقصر بعد ذلك، ويتوقف السماح بذلك على موقف المعالج وأهدافه (خاصة على مستوى العلاج الخاص) وأيضا يتوقف على موقف المريض وقدراته (خاصة في نفس النوع: العلاج الخاص)، وهذا موقف يحتاج لشرح يطول بما لا يتناسب مع الالتزام بالمت هنا/الآن دون استطرادات مفصلة.

هامش مهم:

خطر ببالي أن أضيف هامشا يصنف أشكال "الفُرْجَة" التي رصدتها في نفسي وفي المرضى وزملائي أثناء الممارسة، إلا أنني وجدت أنه قد يضاعف حجم النشرة بما لا يتناسب مع طبيعتها، فقلت أعداد بعض العناوين والعناصر حتى تتاح عودة، وفيما يلي مجرد العناوين -تقريبا- على الوجه التالي:

أنواع "الفُرْجَة" وبعض أهدافها:

(عامة وليس فقط في مجال العلاج)

ملحوظة بادئة (1): لفظ "الفُرْجَة" هو من قاموس اللغة العامية المصرية أساسا، ولم أجد في مادة "فرج" بالفصحى ما يفيد نفس المعنى،

ملحوظة بادئة (2): (على فكرة: تتم "الفُرْجَة" بوعى أو بغير وعى، غالبا بغير وعى، وهي تنكشف في العلاج الجمعي بالذات، حين ننبه المريض على اتخاذه موقف المتفرج، ينكره عادة فورا، وأحيانا تماما)،

• "الفُرْجَة" للحفاظ على مسافة

خشية الاقتراب، ومن ثم تجنبًا لمعاناة آلام المحاولة (عمل علاقة)

• "الفُرْجَة" الانشاقية

أثناء العلاقة (حتى في الجنس)، حين ينفصل جزء مهم (أو ذات منشقة) عن كلية العلاقة المتمازجة أو المتبادلة، وكأن شخصا آخرًا يشاهد الجارى، سواء في نفس الشخص أو في شريكه، وهو يرصده، وقد يتابع أداءه من على مسافة ما، مما تتحقق به درجة من الاغتراب المُجَل

• "الفُرْجَة" للمشاهدة العقلنة

حين ينقلب المشارك (مريضا كان أم معالجا أم غير ذلك) إلى متفرج، كأنه يحضر مسرحية أو يشاهد فيلما أو مسلسلا

• "الفرجة" للإعفاء من المشاركة الآنية

من أهم القواعد التي تكسر موقف "ميكانزم" "الفرجة"، في العلاج الجمعي، هو الالتزام بمبدأ "هنا، والآن" (وأيضاً: "أنا - أنت")، ويفيد ذلك أيضاً في التخلص من موقف "الفرجة" للتأجيل (التأجيل عادة يكون بأغراض خفية مثل:

• حتى أستوفى شروطى السرية،

• أو حتى أطمئن،

• أو حتى أضمن لنفسي حق الرجعة.. إلخ)

• "الفرجة" من موضع: الشفقة الفوقية

نفرق دائماً بين الشفقة، (ونعبر عنها أحياناً في العلاج الجمعي، وإلى درجة أقل في العلاج الفردي بالمصممة - مصممة الشفاء، أو الصعبانية) وبين التعاطف المشارك،

أن "تتألم على..."، غير أن "تتألم مع..."،

فما بالك بالصعبانية والطبوبة من أعلى

(ولعل تعبير "تذكرتي بلكون" في المتن كان يشير إلى موقف الفرجة من أعلى، ومن بعيد معاً)

وبعد

(قف !!)

وإلا كتبت كتاباً بأكمله)

- بما أن المتن بالعامية، وبما أن العامية لغة كاملة، وبما أن اللفظ هنا يؤدي المراد، بلا بديل، فقد أثبتته ما هو حتى أتجنب تشويه الخيرة أو اختزال الموقف، أملاً أن يفتح الله على رجال جمع اللغة العربية فيدخلونه إلى الفصحى، دون تشويه أو ترجمة .



فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباتولوجى

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

مقدمة

الله يسامحك يا جمال وبارك فيك وينفع بك، تصور يا جمال
أننى لأول مرة أحمد الله أن فكرة "المنتدى" حول هذه النشرة
(الإنسان والتطور) وهى الفكرة التى خطرت لك منذ أكثر من
عامين وكنت "تأمل أن تنشط حركية التواصل فيما بيننا من
خلال ما ننشر ونفترض ونقترح"، تصور أننى لأول مرة أحمد الله أنها
لم تنجح وذلك بعد أن عشت اليوم تجربة الحوار الأعمق والجاد فى
هذا الحوار المستقل عن حوار الجمعة!!!!

فوجئت بصعوبة الوفاء بحق المشاركين فى الحوار حين ينشط
بعضهم جادين لمناقشة نشرة أو اثنتين فإذا بالمسألة تتشعب،
وتتعمق حتى لا أكاد ألاحقها.

ما إن وصلت دعوتك يا جمال إلى الدكتور صادق السامرائى،
وما أن نشرت الصديقة أمل حمود تعقيبها الجاد حول النشرة
الأخيرة فى هذا العمل (فقه العلاقات البشرية) حتى وجدت أن
متابعة ما وصلنى من حوارات حول نشرة واحدة أكبر من قدرتى
على ملاحظته بالمسئولية التى يستحقها.

بصراحة فرحت لبداية مشاركة أ.د. صادق السامرائى، كما
أنست بردود د. مدحت منصور، د.محمد أحمد الزخاوى على
الصديقة أمل حمود، وكانت لى آراء وردود وتعليقات فى كل
ذلك، غير الإشارة لما سبق نشره، فكرت فى الاستجابة لاقتراحك
يا جمال بأن أخصص نشرة مستقلة واحدة فى الشهر لمناقشة هذا
العمل، لكننى وجدت حلا أسرع وهو ما ما أمارسه الآن: هو
تخصيص يوم واحد أسبوعيا لحوار هذه السلسلة، بدءا

باليوم، بعيدا عن حوار الجمعة، وليكن يوم الخميس الذى سوف يخلو ابتداء من الأسبوع القادم نظرا لانتهائى من نقد كل أحلام فترة النقاهة (نجيب محفوظ) هذا الأسبوع (غدا)

وقفة للمراجعة

نشرة اليوم هى وقفة للمراجعة، ودعوة للمشاركة فى هذا الحوار الخاص بهذا العمل بل بنشرة واحدة وبعض أخرى، وقد تسلسل التفكير فى هذا الأمر تجاوبا مع اقتراحك يا جمال ، وسوف أكتفى بتقديم ما يلى :

1. تعليق د. جمال التركى على هذا العمل تحديدا ، مع إيراد ما اقتطفه للزملاء تحميسا لهم ودعوة للمشاركة .

2. استجابة د. صادق السامرائى للدعوة ورد د. يحيى عليه

3. إسهام د. صادق السامرائى وتفضله بملاحظاته على النشرة ، وربما على النشرات عموما .

4. تعليق د. مدحت منصور على تعقيب أ. أمل محمود على اليومية الأخيرة من هذه النشرة مع إشارة برابط إلى ن تعقيبها

5. تعليق د.محمد أ. الرخاوى على نفس التعقيب (أ. أمل محمود)

أما مداخلاتى أنا فى كل ذلك، فيما عدا حوارى مع د. صادق السامرائى، فقد أجلتها لخميس القادم

دعوة

وقبل أن أعرض تفاصيل ما سبق من عناوين، أدعو كل من يهمه الأمر أن يشارك بالرأى فى هذا اليوم المستقل حول هذا العمل من حيث:

(1) أى تعليق خاص بالنشرة الأخيرة بالذات، بعد قراءة التعليقات المنشورة اليوم، بعد الرجوع إلى التعليق أ. أمل محمود، وتعقيب د. مدحت، د.محمد أ. الرخاوى، وربما الإشارات إلى ما سبق الإشارة من نشرات سابقة الأسبوع الماضى.

(2) أى تعليق عن كل ما سبق نشره فى هذا الباب تحديدا حتى الآن سواء

(3) أى اقتراحات مناسبة لتيسير التواصل، وتعديل التحرير

أولا: د. جمال التركى

قراءة فى يومية 2009/10/23 - حوار/بريد الجمعة

المقتطف: أنى أبذل فى هذا الشرح الذى أقوم به، جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر، ومع ذلك لا يأتينى عنه ما أنتظر من تعليق، لا أدرى لماذا لا يعلق الأصدقاء؟

كان قد وصلني ذلك قبل أن تخطه يمينك... وصلني كم الجهد المبذول منكم دون تردد أو انقطاع... دون استراحة الحارب (وهي من حقه)... رغم دعوات صادقة، حبا لك وخشية عليك وأملا فيك...،

حبا لك لما تمثله من وجه مشرق للإنسان المكرم الكادح لوجهه تعالى،

وخشية عليك، لما قد يسببه لك هذا الجهد من إنهك وإرهاق وعندت، قد لا يتحملة جسد المثقل بكدح سبع عقود لوجه الحق

و أملا فيك، أن تبقى بيننا/فيينا إلى ما شاء الله، نورا تنير بصيرتنا بما أنعم الله به عليك...،

أملا فيك أن تكون بنا و نكون بك... تكون بنا منارة و نورا نهدي بهديها... ونكون بك 'كتابا مفتوحا' تقرأه مفككا شيفرته، فتعرّفنا على أنفسنا/الإنسان فينا، فنعرّف ذاتنا كدحا إليه إلى أن يأتينا اليقين. أما وقد أعلنت:

"أننى أيدّل في هذا الشرح الذى أقوم به، جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر"

فاسمح لى بإجابة خاصة بشخصى (أما الأصدقاء فلست مخلوا الإجابة عنهم...،

:إنى أطالع النشرة المتعلقة بـ. " دراسة فى علم السيكوباثولوجى (الكتاب 2) " أحيانا يوم صدورها وأخرى بعد أيام قليلة، فلا يصلنى منها أى قراءة إلا النزر اليسير لثراء النص وعمق المعانى الكامنة إضافة لعدم تمكّنى من العامية المصرية، فأعود لها ثانية و ثالثة (أحيانا أكثر)، وفى كل منها يصلنى ما لم يصلنى فى قراءة سابقة...فيتابعنى ما وصلنى فى وعيى و يبقي فكرى فى تفاعل معه... منه ما أقبله، فيصيح جزءا من منظومتى الفكرية (اثرأ لها) ومنه ما أتردد فى قبوله إلى مزيد المراجعة والتأمل ومنه ما يحول بينه وبينى حاجزا، فيرفع فكرى "فيتو" تجاهه.

- أما ما قبلته فلا حاجة لى عادة للتعليق عليه...،

- أما ما أتردد فى قبوله أكون فى حاجة أحيانا إلى التعليق عليه لمزيد تسليط الضوء وضوحا للرؤية...،

- أما من يوجه ذهنى فى حقه "فيتو" فهو ما أكون بحاجة فعلا للتعليق عليه... لكنى أحيانا أفعل وأكثرها أمسك... فإن فعلت، أكون بحاجة إلى فترة زمنية لصياغة ردى وعند صياغته، أبقى أراجعه المرة تلوى الأخرى إلى أن أطمئن نهائيا إليه فأرسله (وهذا يتطلب منى عادة من ثلاث إلى أربع أسابيع). وإن أمسكت عن التعليق فلا لرغبة منى... لكن عقارب الزمن المتسارعة تلاحقنى فلا أجد المساحة الزمنية الكافية لصياغة رأيى...،

انطلاقا من تجربتى الشخصية، أقترح عليكم أن تخصصوا بريد

" آخر جمعة من كل شهر" للرد على قراءات الأصدقاء نشره " دراسة في علم السيكوباتولوجي" وهكذا تسمح لنا بفسحة من الزمن للإطلاع والقراءة والتفكير ثم التعقيب عليها لاحقاً... تسمح لنا تقدير ثمار جهدكم بما هو أهل له واستيعاب ما جاء فيه للتفاعل به/ معه لاحقاً.

مقتطفات د. جمال التركي

نشرة "الإنسان والتطور" - السنة الثالثة، 2009-10-14 / العدد: 775

" دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب 2)"

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الشغل في المستحيل

أن يجب أهدنا الآخر بما يليق بالكائن البشري المعاصر

مقتطفات

تأملت - من جديد - المأزق الذي وجدت نفسي فيه مؤخراً (كما هو حال أغلب الناس ممن ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصري") فوجدت أنه يتأرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن الحي الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعي بنفسه، وبضرورة الآخر شرطاً لتواجه بشراً سوياً، أو ما يسمى عادة الحب، وبين ما أسماه جدل الموت والحياة، وكلتا القضيتين متعلقتين بدرجة الوعي/الأمانة التي تورط فيه هذا الكائن الخاص جدا المسمى الإنسان

أن أعمال الكاتب تكمل بعضها بعضاً، فإذا وصلت رسالة مثل الرسالة الحالية بها هذا القدر من التعرية لدرجة التلويح بالياس أو الاستحالة، فهي ليست فصل الخطاب، ومثل حروف وأرقام الشفرة (الكلمة المفتاح في بريدك الإلكتروني "ميلك" مثلاً) لا يمكن أن تفتح الشفرة إلا باكتمال إدخال الكلمة المفتاح حرفاً رقماً.

إن ما أحاول توصيله لا ينتهي بحكم يحتاج إلى تعليق (تعليق الحكم) بقدر ما هو دعوة لتحريك الوعي في اتجاه أرى أنه يصلح أن يجمعنا معاً كلما مضينا قدماً أكثر فأكثر، وعندى يقين بأننا نلتقى حين نسعى إلى أن نلتقى، لا حين نلتقى فعلاً (أنظر بعد):

إن أي علاقة بين إنسان وإنسان هي علاقة بين عدة أناس، وعدة أناس آخر، بداخلنا معاً:

فهي علاقة متشابكة متداخلة، بها من التنافس (والمناورات والخاوف بين الذات داخلنا) بقدر ما بها من التكامل والجدل،

وعلى الإنسان العصري أن يعيش شرف محنة قصوره عن معاشتها بما تستحق، بما يلزمه بمواصلة السعى

...ثم تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعي المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعي الكوني المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعال.

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطأ مستقيماً أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكناً مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

وأنا أتناول القضية تلو الأخرى بوصف الاستحالة، ثم أصر على أن نقتحم الاستحالة لنقلها إمكانية، هو ما أصفه أحياناً بـ "إمكانية المستحيل" وهو شرف الكفاح لتكون بشراً،

نحن نتعامل مع:

عدل مستحيل (تخنقه، وفي نفس الوقت تحقق ما تيسر منه: قوانين مكتوبة خانقة محتقة، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

حرية مستحيلة (تزيّفها وتطمسها ديمقراطية عاجزة أو زائفة مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليها)

حب مستحيل (يزججه ويحل محله المستويات "الثلاثة الأولى + واحد"، مع أنها خطوة اضطرارية على الطريق إليه)

لم تعد القيمة المجردة تهمنى، بقدر ما أريد التأكيد على العملية الجارية فيها وحولها

• لا يوجد شيء اسمه "حرية"، وإنما يوجد سعى دائم لزيادة جرعة ما تيسر من الحرية

• لا يوجد شيء اسمه "الإنسان"، وإنما يوجد تطور مفتوح النهاية نحو ما يمكن أن يكون إنسانا

• لا يوجد شيء اسمه "العدل" ، وإنما توجد معادلة متحركة لتحقيق أكبر قدر من التوازن بين وحدات الوجود المتكافئة لتعود على الجميع بما يحافظ عليها وينميها معا

• بل إن الحق تبارك وتعالى لا يؤمن به إلى حالة كوننا نتعرف عليه بتحريك" الكدح" إليه

• لا يوجد شيء اسمه الحب، وإنما يوجد شغل طول الوقت لتحقيق تصعيد جدلي خلاق بين أفراد البشر ومجاعاتهم لتتلاحق مستويات التواصل فيما بينهم ما أمكن ذلك، إلى إمكانية المستحيل.

مع دعوة لحوح أن يشاركنا القارئ الصديق الصعوبة قبل أن نقدم على التعرية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشري البدئي

نشرة "الإنسان والتطور" - السنة الثالثة، 2009-10-21
العدد: 782

" دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب 2) "

شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

"السدود" على طريق "جدل الحب" والنمو

مقتطفات

الحب بقدر ما فيه قرب، فيه قدر مساو، وأحيانا أزيد من الخوف من القرب.

يسرى ذلك على من يقترب، وعلى من يستجيب لمحاولة الاقتراب

ومزيد من الإغراء بالاستكفاء بظاهر الجذب فالاجذاب، وهما ليسا إلا بديلا عن حقيقة العلاقة وعمقها، ومن ثم نفهم كيف أن هذا الإبدال أو التوقف ليس إلا: "غيامة كذب وتغطية، ومؤامرة غش"

إن علاقة الحب الحقيقية هي حب لكل المستويات، بكل المستويات، بما في ذلك حب الغاوية السطحية، ولو بابا إلى العمق، ولكن ليس على حسابها،

إن العلاقات (العلاجات) المطروحة على مستوى الاقتصار على الإجماع والطمأنة والتسكين (بالعقاقير أو بدونها) هو أقرب إلى مستوى الغواية وال جذب والانجذاب

تواصل العلاج النفسي الأعمق الذى قد يرتقى بالعلاقة إلى هذا التحاور على هذا المستوى، هو الذى يحفز النمو ويطلق جدل التطور بحيث يتم إعادة التشكيل من خلال أزمة المرض ما أمكن ذلك

لا يوجد علاج حقيقى فيه إطلاق نمو أو إعادة تشكيل إلا ويمر المريض فيه بما نسميه "مأزق التغيير" بكل مخاطره ومعبواته والتهديد بمضاعفاته، من هنا، وبالذات فى العلاج الجمعى

إن العلاقات البشرية تنبنى على أساس سلامة لبنات التواصل الأولى التى توضع فى محلها، منذ الطفولة توضع فى وقتها، لغرضها، وهى التى يبنى بها بيت الثقة الأساسية فالكيان النابض النامى.

إن التى (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك فى (لا ليستقل بـ) عملية الحب، لا بد أن تكون قد اطمأنت طفلة (ثم بعد ذلك فى أى ولادة جديدة فى أزمات النمو) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين يريدونها ويعترفون بها فتردهم وتعترف بهم

لكن هل يعقل أن يبني طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟

... فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التى يمكن أن تؤتى أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا" ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التى حيل بينه وبين أن يتنامى بواسطة تلك التى أدت إلى الميكانيزمات الاستغناء عنه بإقامة السدود، ليس فقط سد الغواية الرائنية البديلة عن العلاقة، وإنما السد الجوانى الثانى، وهو الذى يشير إلى عدم الأمان الأولى

إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن ليحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما يرجع السبب إلى الحاجز القديم "السد الجوانى الثانى

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن "يلعب حبا"، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ "قلب الخساية، ولا يكتفى بأوراقها أو رأسها.

ولكن هل يكون للخساية قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التي ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع في الحماية والدفاعات؟

إن من يريد أن يلقى بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخساية هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.

حتى لو لم يكن لدينا بديلا: "نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".

وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب الدافع للتحريك، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.

تُرى هل أصبحت المسألة أسهل أم أصعب؟

هل نشتغل في المستحيل ليكون ممكنا،

أم نستسلم للممكن ليصبح مستحيلا

بدون تعليق

أنى أبذل في هذا الشرح الذى أقوم به، جهداً أكبر من أى نشرة يوم آخر، ومع ذلك لا يأتي عنى ما أنتظر من تعليق، لا أدري لماذا لا يعلق الأصدقاء؟

يحيى الرخاوي

حوار/بريد الجمعة 2009/10/23

ثانيا: استجابة د. صادق السامرائي

تحية طيبة

بودى أن اساهم بالرأى والحوار الفكري العلمي المتطور للدكتور الرخاوي...لكي أجد صعوبة...هل لديكم عنوان بريدي - إيميل آخر- يمكن التواصل من خلاله

د. يحيى:

الأخ الكريم أ.د. صادق السامرائي
أشكرك على كريم اهتمامك، ورقة مشاعرك
أنا أفضل أن يكون التعليق أو الحوار عن طريق بريد النشرة
في الموقع أولا بأول، حتى يستفيد الجميع،
شكرا مرة أخرى لك وللصديق الكريم صاحب الفضل المتجدد أ.د.
جمال التركي، كل دفعة منه برسالة واحدة تكفيني يا د.
صادق لمواصلة المحاولة عاما بأكمله، فما بالك وهو يدعو
مثلك إلى مآدبة التواصل
شكرا
الحمد لله
وعليك السلام

ثالثا: مشاركة د. صادق السامرائي، ومداخلاتي معه

الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي المحترم
مودتي وتقديري وتحيتي لهذا التوقد الفكري المنير
وودت أن أتفاعل مع أفكارك بهذه البداية المتواضعة.:
الإبحار في عالم الإنسان رحلة ممتعة وشائكة ومذهلة ، فما
أن تعرفه حتى تزداد جهلا به ، وتبقى متحيرا أمام لغة الكون
الصغير الذي يكتنز أكوانا بلا حدود.

د. يحيى:

أهلا بك يا د. صادق

أخيرا وجدنا من يأخذنا مأخذ الجد بفضل صبر وترحيب ودعوة
الإبن جمال التركي.

ثم دعني أقر وأعترف بالصعوبة، وأتحمل نصيب في مسؤولية ضعف
التواصل وعسر الحوار، وآمل أن يكون تخصيص يوم أسبوعيا
لمواصلة هذا الحوار الخاص سيلا لإعادة تحرير العمل بما يسهل
الأمر ولو قليلا حتى إذا صدر مكتملا - في صورة ورقية أو
إلكترونية - قد يكون أوضح وأكثر فائدة.

د. صادق السامرائي

يبدو أن هذا المخلوق (الإنسان) قد أصبح في مأزق معرفته
لنفسه وتشابك آليات فعله وقوانين سلوكه. ففي القرن العشرين
عرفنا عن أنفسنا ما لم نعرفه في القرون التي سبقتة ،

د. يحيى:

أعتقد أننا عرفنا أنفسنا أكثر وأروع فعلا، ولكننا
استعملنا في ذلك بفرحة مشروعة، العقل الحسبي الأحدث جدا، ثم
ذلك على حساب عقول أخرى تحملها أيضا من تاريخنا التطوري،
وهنا تجسّد لي المآزق أصعب وأعمق أنظر نشرة أنواع العقول

د. صادق السامرائي

هذه المعرفة شأنها كغيرها من المعارف تستخدم لأغراض متضادة مع بعضها.

د. يحيى:

أنا أقر أن استعمال المعارف له بعد أخلاقي ونفسي مهم، وهذا قد يقرب المعرفة إلى غير ما جعلت له، والمثل الأشهر هو معرفة سر تفجير الذرة الذي استعمل للتدمير والإبادة، كما استعمل للتطوير وتوفير الطاقة

لكنني لا أكتفى بهذا التحذير فحسب، لأن منهج المعرفة نفسه قد يكون اغترابا إذا كان مكترا أو منفصلاً عن بقية المناهج المكتملة له وربما الأعمق والأصدق منه.

د. صادق السامرائي

عندما نتأمل المحبة، نرى أن المعارف والحاجات والتفاعلات والظروف المتغيرة بسرعة، قد منحتها أشكالاً وصياغات غير معهودة وكذلك تفسيرات وتعزيزات غير مألوفة. وهذا يدفع إلى الشعور بغيبها وسيادة ضدها الذي تقف بوجهه سدا يمنعه من الفيضان والإجتياح الأليم.

د. يحيى:

استعمالك يا د. صادق لكلمة المحبة، ربما يكون مفيداً بعد أن التبس الأمر من فرط استعمال وسوء استعمال كلمة "الحب"، وأنا ما زلت أذكر كلمة التي استعملها ديستوفسكي في الأخوة كارامازوف، أظن أن ديستوفسكي استعملها قاصداً ليصف نوعاً خاصاً من الحب الإنساني الإيماني، وقد اختلفت الآراء حول ترجمة هذه الكلمة (وهي كلمة Agape)، حيث فضلت بعضها تعريبها "أجابيه" حتى لا تختلط بما شاع عن الحب في حين ترجمها آخرون إلى "المحبة"، وهي الكلمة التي استعملتها أنت هنا.

أما رأيك فيما ما لحق بكلمة المحبة، وقبلها وبعدها ما لحق كلمة على من تفسيرات وتعزيزات غير مألوفة فهو ما نحاول مناقشته في هذا العمل وغيره، ربما امتداد لمحاولات سابقة وبالذات لإريك فروم في كتابه "فن الحب"... إلخ.

د. صادق السامرائي

ويظهر أن هناك معادلة أرضية قاسية تخضع لها جميع المخلوقات فوقها ولا يمكنها الخلاص منها، وكأن الجاذبية تؤكدنا وتحقق نتائجها. وضمن هذه المعادلة تظهر رؤانا وتوضح معالم إدراكنا للمنبهات والاستجابات من حولنا وفيها. فكل متناقض أو متضاد موجود ومتفاعل "والضد يظهر حسنه الضد".

د. يحيى:

أما أن هناك معادلة، فهناك معادلة، وأتصور أنها برامج

البقاء والتطور التي احتواها التاريخ البشرى وهي مازالت قابضة فينا حتى هذه اللحظة.

أما أنها قاسية فهي قاسية رائعة واعدته .

أما أن جميع المخلوقات تخضع لها، فأرى أن الخضوع ليس كاملاً. ذلك لأن البشر يساهمون في تطويرها بقدر ما يخضعون لها، وبالتالي فهم يمكنهم الخلاص منها باحتوائها فيما يخلقون به أنفسهم انطلاقاً للخطوة التالية.

ولا أعتقد أن استعمال "كلمة الجاذبية" هنا هو الأنسب، وأنا أتصور أنك لا تعني ما تفيده الكلمة في الاستعمال العادي ربما تعني برنامجاً أشمل وأكثر إحاطة وامتداداً، دعنا نبحث عن اسم له .

وأخيراً، دعني أختتم ردي شاكراً وأنا أقول: إن انتمائي إلى الجدل الخلاق و الذي يجعلني أتحفظ على القول "بأن الضد يظهر حسنه الضد" أنا أرى أن "الضد يتخلق جدلاً مع ضده، فيتجلى جمال الآتى"،

وهكذا

رابعاً

تعقيب الأصدقاء على تعقيب أ. أمل محمود

النص الأصلي نشر كاملاً في بريد الجمعة نشرة الأسبوع الماضي ، دون رد تفصيلي، وقد جاءت الفرصة لنستمع إلى ما وصلنا ثم ندعو الأصدقاء لإعادة قراءته ليبدل من شاء بدلوه،

وأعد بأن أقوم بالرد على الجميع الخميس القادم ما أمكن ذلك.

د . مدحت منصور

بريد الجمعة 30 - 10 التعليق على مقال أ. أمل محمود

و الخبز يحتاجه البشر ، إن أصغر ما وجد معياراً عن المادة هو الذرة و التي تحتوي على نواة تحوي شحنات موجبة يدور في فلكها الشحنات السالبة و رغم أن رنين كلمة موجب تعبر عن القوة في إدراكنا كما أن رنين كلمة سالب تعبر عن العكس وصلنا من العلم أن الاثنان ضروريان لتستقر الذرة و تصبح متعادلة الشحنة متناغمة مع وظيفتها ، إن أول ما عبر عن كائن حي هو الخلية و نواتها و التي تشمل كروموسومات ذات قواعد نيروجينية تكمل بعضها البعض يمكن تجاوزاً اعتبار أن لكل سالب موجب يكمله فيما عدا كروموسوم Y المحد للجنس الذكري يكمله كروموسوم X الأنثوي و الذي نعتبره سالباً ليكون تركيب المرأة المحد للجنس XX مقابل XY في الذكر ،

أسف لذكر معلومات تعلمونها جميعا و لكن إذا كان التركيب الجيني ليس واحدا هكذا خلقه الله و كذلك وظيفة الإنجاب فلماذا نتحدث دائما عن مساواة بالمعنى الخساي و ليس المساواة بالمعنى التكاملي التناغمي , المفترض في الرجل أنه أقوى عضليا و أعلى حنجرة فوجد نفسه مؤهلا للصيد و أظن أن النساء في الكهف كن يقمن بأعمال تناسب مع القوة الأقل و الدقة الأكثر كسفن النصل مثلا. نأتي لرحلة آدم و حواء و التي بدأت بالمعرفة و كان أول ما عرفاه الجنس أظن لضرورته في إعمار الأرض و الذي هو جزء من عبادة أولاد آدم لله إن لم يكن الكل ثم جاءت أول جريمة على الأرض من صنع الرجال ليعرف الإنسان الذنب كما تخبرنا الأديان و تكون رحلته إلى البحث عن العدل و يصبح الرجل قاضيا و نبيا كما بدأ مجرما ، لقد قتل قابيل أخاه قبل ظهور قوانين أو أعراف فكيف يمكن القول بأن الشعور بالذنب مكتسب؟ لقد استشرى العدوان و القتل و السبي مع ظهور الجماعات المتشذمة و التي نمت لتصبح قبائلنا فشعوبا ، بدأت درءا للعدوان و طلبا للحماية إلى أن زاد الإحساس بالقوة كإحدى السلبيات للتكافل الاجتماعي, نأتي لمنطقة الجنس فالتقسيم إلى جنس لذي و جنس تواصلي و جنس إبداعي هي عملية معرفية تسهل علينا الفهم و الدراسة أما في أثنائها يحدث كل ذلك و قد تتحول العملية في أي لحظة بين هذا و ذاك و حتى لو أن ذلك لم يكن ماثلا في الوعي مسبقا و قد يحدث هذا حتى في علاقة عابرة أو مؤقتة ، فهل ننكر استمتاع المرأة بالجنس عبر التاريخ و قبل ظهور منظومة الأديان ثم فرض رموزها بعد ذلك سطوتهم على المجتمع في كافة مظاهر الحياة بما في ذلك الجنس ، كان الملك يمتلك عددا من الجوارى تتفنن في إرضائه فلماذا يجب جارية دون غيرها فيتزوجها , هل تذكرين كيف أعادت راحيل شعبها بأكماله من المنفى ، أما كان يكفيها ما عنده من جوارى, لقد أحب ملك فارس جاريته، ربما اختلف التعبير عن الحب، اما الحب فأظن أنه كان موجودا غريزيا أي جينيا في بني البشر.

المشكلة أننا لن نستطيع أن نحبي ذلك الشعور الطبيعي أو ننكره و نصير أنفسنا بأنه سيأتي يوم لا تصبح المرأة مثيرة للرجل و بالتالي لن يصبح الرجل مثيرا للمرأة و يتم التقارب بشكل لا يعتمد على كيمياء التقارب على الأقل كبدائية و لكن سيتم بالتقييم بشكل أو بآخر ثم من قال أن نظرة المجتمع على عمومه تدين المرأة المغتصبة مع أنك تبدين من مقالاتك أعلى ثقافة من كاتب تلك السطور و تعلمين أبعد من ذلك. أما عن علاقة الرجل بالمرأة و علاقة الاثنين بالحب فهل ينبغي كون الحب فعلا أن يكون في نفس الوقت احتياجا، الاعتراف فعل و هو في نفس الوقت احتياج و كذلك الرؤية ثم النظافة الشخصية و العامة و إعداد الطعام و هكذا , لقد عبرت المقالة عن منطلق رائع (الحب تتوافق رغبتى و رغبته زوجتي في الاقتراب سوبا الحب هو العدل بأبسط معانية) ألا و هو أن تظهر صفة من المجتمع تعبر الموقف البارائوي و الذي اتفقنا أنه السائد إلى الموقف الاكثابي و برنامج الدخول و الخروج لتعطي مثلا و تربى أجيالا على

ذلك لتتسع الدوائر أكثر فأكثر أما أن نقف موقف المتفرج أو موقف اليائس لنتفرج في حسرة أو إحباط فلن نفعل شيئا للأمام إذن منتظرين أن يفعل الآخرون , مسألة علاقة الرجل و المرأة بالحب لن يحلها نبكي أو نتباكى على ملايين النساء و اللواتي ظلمن في الماضي و لن يحلها أن نعمم حكم على علاقات الحب و الزواج بأنها علاقات صفقاتية أو تجارية انتفاعية أو طفيلية فمن خلال هذه العلاقات ستظهر أنماط أخرى على نهج التطور فالتطور لن يأتي من فراغ و لكن سيأتي من الموجود المتاح , لابد و أن نمضي قدما على درب التطور خطوة خطوة و أن نتحدث محاولات جهضة و لكنها سوف تضيف للوعي الجمعي و الذي سوف يتراكم بإذن الله العدل لتحدث تلك الطفرة التطورية .

د . محمد أحمد الرخاوي

والله قلبي علينا المواجه و هيجي علينا قضيتنا المحورية قضية الحب الحقيقي وما هيته و ادواته و علاماته وما نعيشه اليوم في هذه المرحلة التطورية الانقرضية من عمر البشر و علاقة كل هذا بماهية زيف ما يسمى الحضارة الغربية الحالية كاحد وجوه العملة ونفاق و غباء ما يسمى عكس الحضارة الغربية في الوجه الآخر للعملة في الغرب حيث اعيش لا يوجد ما يسمى حب اصلا وهذا شبه مكتوب في دستورهم الغير مكتوب!!!!!!

احبك بامارة ايه!!!!!!

حاجة كدة زي عبد الوهاب لما قالها و ازعل منك ليه مانتي بنت قحبة واطية!!!!!!

يحتنق الناس في الغرب في اليوم الواحد ملايين المرات بسبب هذا الجفاء الصارخ --دون ان يعترفوا به-- فيظهر في موجات العنف و التفسخ الاجتماعي و الشذوذ الذي (اعترف به وجودا اساسيا)

ينخر سوس الغباء و الانانية و الغطرسة و تقنين العدم (عكس الفطرة التي هي الحركة المركزية اليها) في هذا المسخ فسينهار حتما قريبا ولو بعد مئات السنين

ملحوظة :- يموت كثير من الناس في بيوتهم فلا يعلم احد بموتهم الا بعد ان تتعفن الجثث و تنبعث ريحة الجيف!!!!!!!!!!!!!!

علي الوجه الآخر من الوجود تكثر التشويهاات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فيا من رياء و نفاق و بالتالي جفاف حتى لو كان الناس في ظاهرم مجتمعون

الامثلة النادرة في التكافل الحق و الحب الحق هنا وهناك لاسف لا تكفي لاستمرار هذا الكائن الرائع الظالم الجاهل

اذن ماذا

اكرر ما ذكرته في البريد الماضي انه اذا لم يتولد وعي
جمعي حتمي فعلي العصر اللعنة والطوفان قريب

والله اعلم

أخيرا يا سيدة امل محمود لا تجزعي واعبدي ربك حتي يأتيكي
اليقين واليقين قد يكون هو الموت
ولكن اليقين اليقين هو ما يتخلق داخلنا مستمدا من
خالق اليقين!!!!

د . يحيى:

وفي انتظار إسهامات أخرى، آملي أن تكون مختصرة ما
أمكن، بما ذلك إسهامات الصديقة التي أشرت كل ذلك الحوار
شكرا.

الإربعاء 11-11-2009

804- امتداد وقفة المراجعة (2): الحق في الحب

بين الاخذ، والتسول، والسرقه، والخطف، والصفقة، والفرض!



في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكيوباتولوجي

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

عينة من جلسة من علاج جمعي (منذ أسبوع واحد)

مقدمة

أدت بنا هذه الوقفة للمراجعة إلى العودة إلى ملف الحب والكرهية، كما ورد في هذه النشرة بأشكال مختلفة خلال أكثر من عامين، من أول الألعاب النفسية، حتى أراجيز الأطفال، مروراً بما عرض في حالات وأحوال، كما دارت مناقشات لم ينشر أهمها حول تسول الحب، وأيضاً الحب كحق اساسي للوجود البشري، ..إلخ، وكنا على وشك مناقشة كل ذلك، إلى أنه قد حدث في الجلسة الأخيرة للعلاج الجمعي في قصر العين بتاريخ 4 نوفمبر 2009 أن أثير هذا الموضوع بشكل مباشر، فرأينا أن نعرض نص ما دار في الجلسة تأكيداً لأننا لا نتناول مواضيع نظرية، وإنما هي قضايا مستثارة بشكل مباشر في الحياة والعلاج علاحد سواء

سوف نعرض نص ما دار في الجلسة بهذا الشأن اليوم

ثم نعرض غدا نص "الميكرو دراما" ولو أنها لا بد أن تعرض بالفيديو، لكن يحول دون ذلك اعتبارات أخلاق المهنة.

ثم نعد أن نعرض الاسبوع القادم التعليق على هذا النص، ومناقشته مع الزملاء الذين حضروا هذه الجلسة واشتركوا في النقاش.

ثم نرجع إلى شرح ديوان أغوار النفس، علماً بأن كل هذا ليس إلا شرحاً له

هيا نرى ماذا حدث في المجموعة أولاً، حتى دون تعريف بأفرادها

اللهم إلا ترك أسماء الأطباء بدون تغيير، كما اعتدنا من قبل

.....
.....

هيام : أنا تعبانة

د.جيمي : هو فيه حد بيجي هنا غير عشان تعبان؟ يعنى انت وزملاتك واحنا بنيجي هنا الساعة سابعة ونص الصبح عشان نتعلم مزيك، ما عشان تعبائين، لأه يا هيام مش معقول بعد 4 أشهر نبتدى من الأول خالص أحنا عملنا اتفاق يا بنتى وعرفتى نوع اللى بنعمله مع بعض، لأ يا هيام آن الأوان تخطوة

هيام : أنا تعبانة، وعازوه ارتاح

د.جيمي : بدمتك احنا اتفقنا على كده؟ مش احنا قلنا احنا بنعالج، مش بنريح وخلص، ونتيجة العلاج بنحصل على راحة من نوع تانى، إحنا يا هيام لازم نستحمل واحنا طالعين سوا

هيام : أنا حاسه أنى أنا نزلت

د.جيمي : هو أنتى طلعتى عشان تنزلى يا بنت الحلال، الكلام ده على العين والرأس لكن مش حايئف يا هيام مش حايئف تقدرى تروحي تشوفيك علاج تانى وترجى لأه ياهله لازم دلوقتى نعمل حابه سوا سوا

هيام : أعمل إيه، أنا عايزة أموت

.....
.....
.....

د.جيمي : طب زى ما قولت لك فى الأول، حتى دى، بتقولها وانت واقفة مطرحك

هيام : إزاي يعنى؟

د.جيمي : لما تقول انا عايزه اموت ومش عارف ايه يبقى فيه هدف وراهاء، إنت بتقولها ومش شايف احتجاج فيها، ولا حتى علامات موقف مختلف، زى ما تكون بتشجى مننا حاجة كدة مش واضحة، شوفان، طبطبة، ما فكرتيش بدال ما تمدى إيدك كده عمال على بطلال، وما بيوصلشى ليكى حاجة، ما فكرتيش تدى لحد حاجة؟

هيام : لأه

د.جيمي : ليه؟

هيام : مش عارفة

د.جيمي : طب سمعتيني وانا باقول اللفظ القبيح ده بتاع الشحاته، إذا كنتي عايزة تشوفي قبحه قد إيه، ياللا نعممله بشكل مباشر، شحاته بشحاتة ياللا اشحتي مننا اللي انتي عايزاه، يمكن.....

هيام : انا عايزه حب

د.جيمي : حب!!!؟؟؟

هيام : آه

د.جيمي : ماشي، ياللا اشحتيه مننا واحد واحد، واحده واحده، ياللا: يافلانة والنبي ادبني شوية حب، يافلان حن على حبة حب، ياللا لفي علينا، إحنا كنا بنعلب زمان لعبة اسمها حبة ملح يقولك عند الجاره عارفاه، كنا نقعد كل واحد في ركن من أركان الأوده الأربعة، والخامس يلف علينا واحد واحد، يقول حبة ملح، اللي في الركن يقول له عند الجارة، وبعدين نسهيه ونتبادل الأركان، وان كان شاطر هوه يجري ويلحق ركن له قبل ما التبادل يتم، حاجة كده زى الكراسي الموسيقية، ياللي لفي علينا ومدى إيدك وقولى، حبة حب، واحنا يمكن نقول لك عند الجارة، وانت وشطارتك يمكن تلحقي حاجة، ولا حا تشحتي وانتي واقفة مطرحة وراسك مائلة بنفس الزاوية كده بقالك خمس شهور؟

هيام : مش عارفة

د.جيمي : يلا يا بنتي اشحتي شوية حب من ده ومن ده بنفس اللفظ ده عشان تشوفي نفسك، عشان تشوفي حا ينفع ولا ما ينفعشى؟ عشان تشوفي منظرك يا شيخة يمكن تفوفي، ياللا والنبي الله مخليكي، ياللا يا هيام بدال حكاية الموت دى، ولا حتى على ما ربنا يكتبها لك أديكي بتتسلى بدال مانتي قاعدة، ياللا يا هيام

هيام : دكتوراه منى انا عايزه شوية حب

د.جيمي : يابنتي اشحتي بمسكنه، مش انتي عارفة إننا ساعات بنمئل، ياللا اقلبيها دراما ومثلى

هيام : لأ ما اعرفش انا كده

د.جيمي : ما احنا بنتعلم، نفس اللي قلتيه، بس بمسكنة وشحاتة

هيام : بيبقى جوايا ده، بس ما بعرفش اطلعه

د.جيمي : ما احنا بنطلعه سوا سوا، واحده واحده، بنتلم ونكتشف نفسنا واحنا بنمئل، ياللا اشحتي يا هيام امال وحاول تتقنى الدور

هيام: مش عارفه اعملها

د.جيمي: هو انت بتعملى غيرها، لو تفكرى راسك دى وهى ماييلة على جنب بمسكنة كده، واننا عمال أحاول تعديلها بقالى شهور واقول لك تبصى للى بتكليمه، لو تعرف معنى الميلة دى، تعرفى إن راسك بتقول حاجة زى كده، حتى وانتي بتقول عايزة أموت، زى ما تكونو بتشحتى حد يوافقك على الفكرة، لأ ومش بس يوافقك ويسهلها لك كمان، ميلة راسك على كتفك دى بتشحت حب، حسك بيشحت حب، كتفك نازل على ناحية بيشحت حب، وقيتكت بتشحت حب، يا شيخة حرام عليكى فى حق نفسك، مش كده، هو انت بتعملى غير الشحاته، إيه رأيك؟ ياللا ندور على حاجة بدالها.

د.مى عبد السميع: آه آن الأوان بقى يا هيام

د.جيمي: يا ترى آن الأوان نعمل إيه يا مى، هوه إيه عكس الشحاته، ايه رأيك يا محمود؟ فيه فرق بين واحد بيشحت حب، وواحد معترف إنه عايز حب، بس ما بيشحتوش، تفكر بيعمل إيه،

محمود: بيدى، العطاء عكس الشحاتة،

د.جيمي: أنا موافق، بس ده حاجة تانية، خرينا دلوقتى فى الأخد، نأجل العطاء لبعدين، أصل اللى بيشحت ولا حتى اللى محتاج قوى، يمكن يكون عطاؤه استغماية، هوه مقبول صحيح أحسن من الشحاتة، بس حقه راح فىن لما يقلبها عطاء كده على طول وهو فى عز عوزانه للأخد يا شيخ، ما اتخافشى، إحنا كلنا مشتركين دكاترة ومرضى، كلنا محتاجين، بس مش لدرجة الشحاتة، الشحاتة شىء، والاحتياج شىء تانى.

محمود: الظاهر كده

د.جيمي: فيه حد هنا فينا كلنا مش عايز حب؟ طيب لو انت يا محمود عايز حب، واعترفت بكده، دا حقك الطبيعى، وما صلشى لك كفاية، أو ما وصلشى خالص، يا تشحتة يا إيه؟

محمود: بصراحة كلمة تشحتة دى صعب خالص

د.جيمي: ما انت عارفنا هنا، إحنا بنعري المسائل زى ما انت عارف، هه! يا تشحتة يا ايه

د.مى عبد السميع: ياخده

د.جيمي: ياخده؟ باين كده، هوه يا ترى الأخد غير الشحاتة؟ ما هو اللى بيشحت ما هو بياخد حاجه برضه، وأظن لما بيتأخروا عليه بيقلبها شحاتة، هوه ما فيش حاجة يا محمود غير كده عشان الواحد يتحصل على حقه؟ على حقا؟

د.محمود: يسرقه

جيمي: ماشى برضه، جرى إيه يا جدع انت بتسهلها ولا بتصعبها، أنا شايفك بتفاجئنى بمجارات مية مية، بس مش برضه

يا محمود السرقة تعتبر شحاة غير شرعية، حاجة كده الأخد من ورا صاحب الحاجة، لكن فيه نوع من السرقة زى قطع الطريق، عيني عينك، يعنى تروح خاطف الحاجة من صاحبها عيني عينك، وان كان عاجبه، دى بقى مش شحاة، دا انت بتاخذ بالعافية، بس اللي بتاخده ده مش حقه، فإذا كان حقه تبقى عامل زى اللص الشريف، بتستزده، حاجة كده، يعنى تروح خاطف الحب كده واللى عاجبه، حقه يا اخي،

عمود: إزاي يعنى فى حكاية الحب دى، إزاي يعنى يكون حقى وآخده بالعافية زى قاطع طريق

د. يحيى: لو واثق إن الحق ده طبيعى، وإن ربنا اداولنا بمجرد إن احنا اتولدنا، يبقى زى ما تكون بتقول للى حرمك منه، أو مش واخذ باله: "جرى إيه يا جدع انت"، إنت ما تحبنيش ليه؟ بأماره إيه؟ إيه رأيك يا محمود؟ يالله تختار حاجة من اللي اتقالت دى، وتجربها بطريقة الجروب، حسن احنا كده زى ما نكون بنتناقش، وهيام مش معانا خالص، ياللا نشتغل هنا ودلوقتي، يمكن هيام تاخذ بالها، وتشوف تبطل الشحاة اللي هيا بتذلها دى، وما بتخلصي، يعنى اختارك حاجه من اللي اتقال ده كله: يا "تسحت" يا "تخطف" يا "تسرق" يا "نفرض"

عمود: أختار أخطف

د. يحيى: ماشى: يا للا نشوف حاخطفه من مين فينا دلوقتي.

عمود: اخطفه من الدكتور يحيى الرخاوى

د. يحيى: عالبركة، إنت شايف أنا مرسوم ازاي النهارده، ولايس رسمى، عندي معاد مع الحكام بعد الجروب، ياللا اخطف لك شوية حب من غير ما تستأذني، يعنى تنقض على الحاجة اللي انت شايفها تخطف عندي بسرعة، وتخبيها وتجري، إنت ما شفتش حدايه وهي بتخطف كتكوت؟

عمود: لأ ما شفتشى، بس أنا بصراحة مستصعبها قوى

د. يحيى: عندك حق، بس حا نعمل إيه، إذا كان حق يبقى حق، يبقى بنمارس اللي ربنا خلقنا بيه، حتى لو خطف يا شيخ، حا نعمل إيه، أهو على الأقل أحسن من اللي هيام بتعمله فى نفسها ده، بس بيني وبينك: باين إننا كلنا بنعمله بس بدرجات مختلفة، واحنا مش داريانين. عايزين نبقى قد الكلام، إحنا انتقلنا من الشحاة والأخد، إلى الخطف، أظن فيه حاجة أحسن من كده، لو حق بصحيح يبقى نفرضه فرض

عمود: يعنى إيه الفرض بأه، هوه الحب بتفرض

د. يحيى: الحب ما بيتفرضشى، إغا الحق فى الحب بيتفرض يا اخي، وإذا كان الحب حق، ليه يعنى ما يتفرضشى، إذا كان اللي حواليك مش شايفينك، ولا شايفين حقوقك، شوفها انت يا اخي، وافرضها،

وإذا ما نفعنشي، إنت خسران إيه؟ مش ده اللي احنا بنتعلمه هنا، بدال الزن والمسكنة، إنك تخليك محتفظ بحقك حتى لو ما حدش إداهولك، أنت تخليك محتفظ بيه عشان ربنا هوا اللي اداهولك ما دام اتولدت بيه، ما دام انت بى آدم.

ناهد: ما يمكن انا باحب واللى جنبى مش شايف ان انا مجبه

د.جيمى: إنشالله ما شاف، يبقى هو مش واخذ باله من حقه، ما يرجعشى بقى يزن ويشحت يبهدل نفسه، زى هيام، الأول تشحت الحب، وبعدين ما تلاقيش، أو ما حدش يديها، أو ما ينفعشى، ما هو اللي بيتدى بالشحاة ده ما منوش فايده، ده شغل، زى قلته، وبالتكرار يتعود عليه خد ما يشحت كل حاجة، أنا بيتهاى لى هيام بتشحت الموت زى بنتشحت الحب .

ناهد: طب يعمل إيه الواحد لو اللي جنبه ما حسش إنه بيحبه

د.جيمى: هوه الأول يبتدى بنفسه، يعطى نفسه الحق قبل ما يدور على اللي جنبه، عشان المسألة تبقى طبيعية، مش يقعد يجب وهو ما بيتحبشى ومش واخذ باله، وحتى لو شعر بحقه، وما خدوش زى ما هو عايز، يتمسك بيه أكثر، مش معنى إنه ما وصلوشن إن يتنازل، كده يحسر مرتين، مرة وهو يحاول وما يحصلشى حاجة، ومره وهو محروم .

ناهد: طب انا أجيب الحاجات دى ازاي يعنى، حضرتك بتقول كلام جامد قوى، مش عادى

د.جيمى: حان نعمل إيه يا ناهد، ما هو العيا برضه مش عادى، بيدخلنا معاه فى مناطق مش عادية، يعنى عاجبك هيام كده؟ نسيبها تموت يعنى بعد ما تلاقيش، ولا نسيبها تحت رحمة شحاتتها وعجزها والإهانات اللي بتهينها لنفسها وتشلها مطرحها وعوجة رقيبتها كده زى التمثال يا شيخة حرام عليكى، ده وضع سلى جدا، عمره ما يوصل لحاجة

ناهد: يعنى إيه سلى؟

د. جيمى: زى ما نكون، أو تكونى، عايزه الحب يبقى معروض فى سوبر ماركت، الواحد يمد إيداه ياخده من عارف، إيه رأيك يا إبراهيم نقعد نشحت من بعضينا طول العمر، ولا نعمل إيه؟

إبراهيم: احنا ما بنشحتش

د.جيمى: هو احنا بنعمل حاجة تانية غير كده، يا راجل، يا راجل حرام عليك.

إبراهيم: إذا كنا انا عايز هيام تحبني؟ انا أحب هيام الاول

د.جيمى: انا باتكلم على حقك انت الأول، اللي انت بتقوله صح، بس نبتدى بيك إنت، عشان ما تربطشى دى بدى قوى هيام تزن تانى: عايزة أموت، وبعدين قلبتها عايزه حب، أصل انت جيت متأخر يا إبراهيم

إبراهيم: أنا آسف

د. يحيى: ولا يهملك، بس ما تعملهاش تانى، المهم، هيام النهارده عملت حاجه بسيطه خالص انها أعلنت انها عايز حب بطريقه وصلتنا انها شحاته، مش عارف هى صدقت ولا لأه، إحنا سبناها واشتغلنا مع بعضينا كلنا، عشان تتطمئن إنها مش هى بس اللى محتاجة كده قوى، لما نرجع لها حاتشاركنا إن شاء الله، فاحنا ما بنتكلمشى على إن احنا ناخد وندى دلوقتى، ده كلام كويس، أنا مش معترض عليه، كل الناس عايشة بيه، ما فيش مانع، ولو انها بينى وبينك، مرحلة ربنا يسهل واللى يقدر يعديها يعديها، أنا عمرى ما اعترضت على الصفقات، مش عيب، خصوصاً لما تبقى صفقات معلنة، وقابلة للمراجعة

إبراهيم: يعنى إيه

د. يحيى: لأنه بقى، ما هو مش درس بقى حاقعد أشرح، أنا مش خوجة، إحنا دلوقتى استبعدنا الشحاتة، والسرقة، والخطف فى السر، وبرضه عرفنا إن صفقة الجروب عمرها محدود من ساعة ما بدأنا، يا ترى فيه إيه فاضل دلوقتى قدامنا عشان ناخد حقنا زى ما ربنا خلقنا. احنا دلوقتى فى منطقة تانية، حتى الصفقات مش متاحة، أو مش كفاية، ولا هى متاحة وجاهزة، ويمكن ما عادشى نافعة بالنسبة لنا، بقينا نفقسها لو فيها ظلم أو كذب أو حاجة من دى، إحنا دلوقتى فى حقى وحقك، بعيد عن لعبة الصفقات شوية

إبراهيم: إزاي؟

د. يحيى: زى مانت شايف، إحنا دلوقتى فيه قصاد إن نشوف حقنا إن احنا نتحب ومش عارف ايه، إحنا بنتكلم إن انت عايز حب، وده حقك، تحصل عليه إزاي؟ هنا ودلوقتى؟ هل ممكن؟ هل فيه طريقة نتعلمها سواء، ولو حتى ما نمارسهاش غير عينة كده، طريقة تغنيانا عن إننا يا نشحت يا نسرق يا نخطف؟ ما هو الحق لو وصل لك إنه حق بصحيح، يبقى تتعلم إنك تفرضه واللى عاجبه .

إبراهيم: يعنى احترام مثلاً؟

د. يحيى: بصراحة أنا باعتبار الاحترام هو من أعلى مراتب الحب، بي يبقى احترام مش تفويت من فوق، يعنى يبقى فيه عدل بصحيح، خلينا فى الحب، ولو ان الكلمة دى برغم كتر استعمالنا ليها بقت بتلخبط، يا شيخ كل واحد بيستعملها شكل تانى، بس ما قدامناش حل تانى، إنت هنا ودلوقتى عايز حب من الدكتوراه متى عايز حب من ناهد عايز حب من أمجد، سيبك من أى كلام تانى دلوقتى، إنت بى آدم ربنا خلقك، يبقى لازم نتحب عشان تعيش، مش كده، يبقى من حقك نتحب، وانت كنت مش واحد بالك زى أى حد فينا، بدرجات يعنى، جيت الجروب المنيل ده، وهيام راحت قايلها، راحت مطلعها من جوانا كلنا، طلعتها على الوش عندنا كلنا، قالت أنا عايزة اموت، بعدها على طول، أنا عايزة حب، زى ما يكون لو ما لاقيتشى

الحب اللى هي بتتطلبه، يبقى ما فيش غير الموت، بس هي طلعت مش بتتطلبه، دى بتشعته، أنا شاكك بقى إن الشحاتة دى تنفع لأى حاجة، حتى لو وصل منها حاجة، حانبقى الحاجة اللى وصلت مغشوشة ومالهاش فايده، الشحاتة لا بتوصل حب ولا نيلة، وهيام وغير هيام بتقدر تفقس المسألة لما تتكشف لأى سبب، وكثير بتتكشف لوحدها بمرور الزمن

إبراهيم: إزاي يعنى

د.يحيى: يعنى بالعبا، بتجربة كده ولا كده، بكيران، الواحد يكبر عن المرحلة دى، أى حاجة

إبراهيم: يبقى ياريتنا ما نكشفهاش

د.يحيى: بس اهي اتكشفت واللى حصل حصل، وادى احنا زى ما يكون لقينا إن البضاعة دى فاسدة، الشحاتة يعنى، لا بتوصل حب ولا حاجة، دى بالعكس، يعنى يجوز تعمل بهدله وتشويه وحاجات كده،

إبراهيم: طب حا نعمل إيه فى المقلب ده، دا الواحد....

د.يحيى: لأه عندك، إحنا هنا ودلوقتي، ما نقولش بقى الواحد واخب وعلى الانسان ان يحب أخيه الإنسان، وكلام شعارات من دى، أنا عايز حب، إنت عايز حب، هيام عايضة، نشوف حانصرف ازاي، بعد كل اللى كشفناه ده، مش عايزين نشحت، وصفقة الجروب حتى لو رضينا بيها وصدقناها عارفين إن لها عمر محدود، ما ينفعشى تبقى بديل، إحنا بنتعلم منها إلى نعيش بيه بعدها، نعمل إيه؟

إبراهيم: طيب عايزين نتعلم

د.يحيى: لا يا عم، ما انت عارف، أنا مش خوجة، إحنا مش فى فصل هنا، إحنا بنجرب ونشوف، ونراجع، وحاجات كده، ياللا يا بو حميد باسم الله

إبراهيم: يعنى أعمل إيه

د.يحيى: أى حاجة حسب قواعد الجروب، ربنا حطنا فى اختبار يشوفنا نستاهل الحقوق اللى اداها لنا ولا لأه، أدى حقا، وادى حق هيام، وادى حقى، حانعمل إيه؟ ما هو ما خبيش عليكوا ما مانا من حقى اتحب برضه، مش عشان دكتور كبير تفرطسون؟ يعنى أنا باتكلم عن حقى انا شخصيا، زي يكم، انت عايز حب دلوقتي ولا لأه يا إبراهيم

إبراهيم: عايز طبعا

د.يحيى: أهي دى البدايه، تحصل عليه ازاي، وانا زيك وكلنا. ياللا عالبركة، إبتدى يا إبراهيم

إبراهيم: يا دكتور يحيى دلوقتي انا لازم احبك

د.يحيى: يا خير!!، شفت يا إبراهيم، برضه بديت بإنك

تبنى، وبإنه لازم، بقى ده اسمه كلام يا ابني ما تظلمش نفسك، إنت مصمم تدفع الحساب قبل حتى ما تتأكد إن البضاعة اللي انت دافع حسابها موجودة ولا لأه، إيه ده، حرام عليك

إبراهيم: يعنى حاتجبنى من غير ما انا احبك؟

د. يحيى: تانى؟ دى صفة جيده انا مش رافضها، ما هي دى اللي احنا عايشين بيها كلنا خد دلوقتى، بس احنا فى منطقة تانية اضطرينا ليها، منطقة تعرف حرك الأول، وبعدين تشوف حاتاخده ازاي، وكلام من ده، بعد كده نحسب دى قصاد دى، ما فيش مانع. يا ابني اللي انت بتقوله ده ماشى فى الدنيا كلها، ومقبول، واهو ستر وغطاء، بس احنا فى منطقة تانية.

إبراهيم: أعمل خير عشان تجبني مثلا يعنى

د. يحيى: برضه حاسبها من ناحيتك الأول، للمرة الألف أنا مش رافض الصفقات، الغناوين كلها كده، إيه المانع، "حبنى قد ما تقدر يا حبيب القلب حتى لك اكثر واكثر من كل الحب"، خمس قصاد ستة: "كتر له كترله، إن حيك كتر له وان لَبِك كترله"، حاجة كده " إن حبتنى أحبك اكثر وان ملتنى راح انسى هواك"، إحنا مش فى كده، كل ده مقبول، إنما بقى هنا ودلوقتى إحنا لقينا نفسنا مضطرين ندور على حاجة تانية، بعيد شوية عن الصفقات

إبراهيم: طب حضرتك حبنى من غير أى حاجة خالص هنا ودلوقتى

د. يحيى: إمال أنا باعمل إيه، بس عندك حق، إلظاهر أنا باحيك على شرط تخف، ما هي صفة برضه

إبراهيم: ما هو يا دكتور يحيى الحب مش حاجي إلا بالطريقه دى

د. يحيى: يا ابني إني انا اخد وادى، وتقدملى واقدملك دى قصاد دى، ماشى، أنا وموافق بس...

إبراهيم: ما عنديش حل تانى بصراحه

د. يحيى: طيب نيدي بيه، ونشوف هوه ده اللي حاجل إشكالنا وإشكال هيام ولا لأه.

إبراهيم: ما هو مسيرك حايترد لك برضه الحب

د. يحيى: يا أخی انت تاجر صعب، ناصح، ومع ذلك لازم فيه حاجة تانية

إبراهيم: ما عنديش حاجة اقولها

د. يحيى: انت عملت اللي عليك يا إبراهيم، وعنادك بيخلينا ندور أحسن، إوعى تفكر انك بتقول كلام غريب، انا اللي باقول كلام غريب، بس مضطر والله، حاسس إن هو ده العلاج، يمكن احنا عيانين، والدكاترة دول وانا منهم رضوا

بشاركوا العيانين، فاتورطوا معاهم ما يسكتوش على صفقات عمرها قصير، أو طويل بس في الآخر صفقات هس هس، ولا ايه يا (دكتور) منى، بس ما تنسيش إنت من ححك تولعى النور الاحمر في أى وقت، اللي مش عايزة تشاركي فيه، ترفضى لحد ما تولعى الاخضر، وبعيدين عينك ما تشوف إلا النور، هه حاتولغى النور الاحمر ولا نكفل؟

د. منى: نكفل

د. يحيى: يعنى انت دلوقتى عايزه حب ولا مش عايزة حب يا منى

د. منى: أكيد

د. يحيى: بلاش حكاية أكيد دى، خلىنا ناخذ وندى واحدة واحدة

د. منى: آه

د. يحيى: يعنى انت عايزه حب؟

د. منى: آه

د. يحيى: طيب، إنتى لاحظت إن الشحاتة مش نافعة، ورفضناها لما هيام ابدت بيها، ولاحظتى إننا بنرفضها (يلفتت إلى هيام) ..على فكرة يا هيام أحنا مش بنرفضها يا هيام علشان هى وحشه، لأه دى عشان هى مش نافعه، ويا ريت مش نافعة وبس، بتزود النصيبه نصيبتين، يعنى تذى نفسك وما تحصليش على حاجه، خدتى بالك؟ يعنى انا باقولك عيب تشحتى مش عشان العيب واللى مش عيب، لأه عشان مش نافعة زى ما انتى شايفة، هى نافعة ولا مش نافعة..

هيام: لأه

د. يحيى: طيب معلشى، خلىنا مع منى الاول، دكتورة برضه، إنت عايزه حب يا منى

د. منى: آه عايزه حب

د. يحيى: هى الشحاته نافعه يا منى، تحبى تجربى

د. منى: لأه

د. يحيى: هو انت بتعملى حاجه غير الشحاته

د. منى: آه، باعمل حاجات غير الشحاته، باذى كثير

د. يحيى: برضه بتعملى زى إبراهيم، تدى عشان تاخذى، يا بنتى ما فيش مانع، بس يابنت الحلال إحنا بندور دلوقتى على بداية تانية، إنك تحصلى على ححك، إنك تشعري بيه، إنك تتمسكى بيه، وبعيدين نشوف طريقة، تدى الأول وانت مش ضامنة تاخذى أصلاً، حا تاخذى ازاي وانتى مش شايفه إنه ححك من

د. يحيى: اى حد يا جماعة عنده حاجة يقترحها علينا يقول لنا نعمل إيه، نعمل إيه يا أمجد؟ مش انت عايز تتحب زينا كده برضه، يا أخی قل لنا طريقة للحصول عليه، أنا عارف إن انا صعبتها، مع إنى كنت متصور إنى باسهلها لما باقول إن دى خلقة ربنا، ما دام أنا اتولدت، يبقى من حقى أحب من غير ما اعمل أى حاجة، بالذمة إيه الصعوبة اللى فُده، نبيجي نطبقها، نلاقينا ركننا حقوقنا دى على جنب، وهات يا صفقات، حا نعمل إيه؟ ماشى، بس ما توصلشى للشحاة، والخطف والسرقه والبلاوى الزرقه دى. مش هما برضه أهلى هما اللى خلّفون، يعنى ربنا خلاهم مخلّفون عشان يركنوا جنب الخيطة، مش عايزين نلوم حد، إنما الظاهر المسائل يتمشى غلط، لما العيال ما ياخدوش حقوقهم، وهُب نلقى نفسنا كبار وناقصنا حقوق كثير، نقوم نلبخ، وبعدين نعيأ أو ما نعيأش ونواجه الموقف الأسمى من أول وجديد زى دلوقتى، نعمل إيه يا أمجد إعمل معروف، قول حاجة

أمجد: مش عارف

د. يحيى: ما هو اذا ما عرفناش كلنا، وده محتمل، يا نقبل الشحاته، يا نستغنى عن حقنا، أنا ما ليش نفس نهرب من الموقف بإنى أقترح لعبة، إنى عارفة يا مى أنا بانجذب للعب اليومين دول عشان احنا كبرنا، وبأخاف أكون باستسهل عشان الوقت يمر، أنا فاكر لعبنا لعبة أو أكثر فى المنطقة دى زى مثل "أنا من حقى أحب حتى لو..."، فاكدة، وكانت مفيدة جدا، بس كانت فى جروب تانى، وبرضه لعبة، "حتى لو ما حدشى حبنى، أنا..." ونكمل، فاكده،

مى: أيوه فاكده بس مش فى الجروب ده

يحيى: بصراحة أنا مش عارف ليه مش عايز أقترح لعبة دلوقتى، لأ عارف، أنا مش عايز استسهل، خلى الصعوبة تبان مجمها، مع إنى شفت فى وشك اقتراحات لعب كتيرة مش كده يا مى؟

مى: آه، ما هى زنة يمكن اللعبة تفكها

يحيى: لا والنبي، الله يخليكى، خلىنا نستحمل شوية ونحاول نفكها بطريقة تانية، تحب تلعب يا أمجد اللعبة اللى شاورنا عليها دلوقتى: "أنا من حقى إنك تحبنى حتى لو..."، يعنى قصدى، برغم إنى مش عايز أقترح لعبة، إلا إنى قلت أشوف يمكن حد عايز

أمجد: اجزب

د. يحيى: بصراحة أنا ما زلت مقاوم أى لعبة برضه، بالرغم من إنى اقترحتها عليك يا أمجد، إيه رأيك يا مى، نعمل إيه؟

د.مى عبد السميع: دكتور يحيى طب لو فرضناه، قصدى لو فرضنا الحب على اللى قدامنا، إنه مجبنا يعنى ما دام دى خلقة ربنا، مش يمكن ده بأكد حقنا سواء استجاب هو أو لأه،

د. يحيى: يا خير عليكى يا مى، دا انت بقيتى أروبة، بس انا خايف تطلع لعبة ما هو حكاية "أنا من حقى إنك تحبني حتى لو....."، ما هو فرض برضه

د.مى عبد السميع: لأ مش قصدى لعبة، يعنى نمثل إننا نفرضه، من غير ما نكمل الكلام ولا حاجة

د. يحيى: إزاي يعنى، برافو عليكى، أنا لقطت حاجة كده بس لسه مش واضحة قوى، كفى..

د.مى عبد السميع: يعنى مثلا من حقى يا ناهد إنك تحبيني غضب عنك وعن اللى يتشدد لك

د.مى يحيى: هى فكره جديده وكويسه بس فسريها لأنها ما وصلتنيش كفاية

د.مى عبد السميع: غضب عنك وعن اللى يتشددلك

د.مى يحيى: وعن اللى يتشدد لك؟ قصدك نeced نقولها كده واحد واحد تمثيل، من غير ما نكمل أى كلام ولا حاجة، تبقى مش لعبة صحيح، تبقى زى ميكرودراما، والله فكرة، إستنى لما اشوف كده (يلتفت إلى إبراهيم): يا إبراهيم انت بتحبنى غضب عنك وعن اللى يتشدد لك، أظن يا مى انت قلتى: أنا من حقى إنك تحبني، وانا من غير ما افكر قلبتها "إنت بتحبنى"، إيه رأيك؟

د. مى عبد السميع: اللى تشوفه حضرتك

د. يحيى: إلى اشوفه إيه، إنت صاحبة الاقتراح، خلينى أقول تفسير التعديل ده، ولو انى ما كنتش عارفه ساعة ما قلته، هو جه كده لوحده، أنا تصورت إن واحنا بنفحص كده خلقه ربنا مع بعض، إن ربنا خلقنا بنحب بعض، عشان نحب بعض، جاهزين نحب بعض، يعنى أما أقول لإبراهيم انت بتحبنى زى ما اكون باقرر حقيقة، باعلن طبيعة بشرية، إنما أما أقول أنا من حقى، يمكن أحسن إن فيها طلب برضه، زى ما اكون باطلب منه حقى، يتهألى فيه فرق

د. مى عبد السميع: آه فهمت، يبقى نمثلها زى ما حضرتك عدلتها

د. يحيى: طب وإيه بقى حكاية اللى يتشدد لك دى، هو مين اللى حاجوشه يحيى، ولا يحوشنى آخذ حقى

د. مى عبد السميع: مش عارفة

د. يحيى: إيه رأيك لو قلبناها غضب عنك وعن أهلك

د. مى عبد السميع: يا خير، تبقى جامدة، صعبة يعنى، لا ما يصحش، دى زى ما تكون شتيمة .

د. يحيى: شتيمة ليه، ما انت عارفة احنا هنا بنغامر، وبعدين التمثيل تمثيل، مش كده ولا إيه؟ \

د. مى عبد السميع: تمثيل، بس بر ضه

د. يحيى: طب إيه رأيك نسيب اللي عايز يمثل يختاره، يا إما يلعبها غصن عنك وعن اللي يتشدد لك، يا إما اللي عايز يمثل "غصن عنك وعن أهلك يلعبها زى ما هو عايز. ينفع؟

د. مى عبد السميع: ينفع

.....

.....

وبدأت الميكرو دراما،

نعرضها غدا بعد استئذان المحاورين (كلهم أو بعضهم)

فإن لم يأذنوا، نكمل الأسبوع القادم.

الخميس 12-11-2009

804- امتداد وقفلة المراجعة (3): الحق في الحب

بين الاخذ، والتسول، والسرقه، والخطف، والصفقة، والفرض!



في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكيوباتولوجي

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

مقدمة في المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)

قبل المقدمة:

هذا هو أول خميس منذ صدور هذه النشرة لا يظهر فيه نجيب محفوظ بشكل مباشر، أنا لا أعتذر له، فأنا أعرف ترحيبه بالمعرفة وبما أحاوله، ولا أفتقده، فهو حاضر بحضوره، وحاضر بسماحه لنا بهذه المساحة لفترة محدودة، وسوف أعود أخصص يوم الخميس له إن كان للنشرة استمراراً، وللعمر بقية، لأكمل ما بدأت منذ عامين، لنشرة أو اثنتين بعنوان "في شرف صحبة نجيب محفوظ".

عذرا يا شيخى الجليل،

لعلك راض عن كل هذا

مقدمة:

كما هو متوقع، سوف نكمل ما بدأناه أمس، مع أن المفروض أن هذا اليوم (الخميس) قد خصص بالاقتراح الجديد - لمناقشة ما يردنا من تعقيبات، تساؤلات حول هذا العمل، إلا أن ما حدث هو أنه لم يأتنا تعقيبات جديدة غير التي نشرناها في يومية الأربعاء الماضى، حوار خارج حوار بريد الجمعة، ولا حتى أنا نشرت ردى على تلك التعقيبات المختلفة، ليكن، ولنستمر برغم الصمت مع أن الصديق أ.د. جمال التركى صاحب الاقتراح قد تفضل بتعميم دعوة للمشاركة في مناقشة هذه التجربة في

شبكة الرائعة (الشبكة العربية للعلوم النفسية) ، ليس فقط بالنسبة للنشرة الحالية المعنية، وإنما بالنسبة لكل ما صدر من نشرات في هذا العمل "في فقه العلاقات البشرية"، الكتاب الثاني: دراسة في علم السيكوباتولوجي، شرح ديوان سر اللعبة"، حتى الآن.

وإلى أن يصلنا ما يفتح ، أو يواصل الحوار ، دعونا نكمل من ناحيتنا توضيحات مناسبة

عن تطور المنهج

1. من خلال النشر المسلسل، والمتقطع، وجدث أن التعقيبات والتساؤلات، تثرى المتن والشرح معاً، ورجحت أن الأصدقاء المشاركين بهذا الأسلوب، سوف يضيفون أولاً بأول ما ينبغي إضافته، وأن الرد عليهم سوف يثريني ويعدل بعض توجهاتي

2. خيل إلى أننا حين نصل إلى مرحلة النشر الورقي، ومن خلال مثل هذه المشاركة المستمرة، يمكن أن نصل إلى شكل مفيد ومتكامل، برغم هذه النقلات والاستطرادات أثناء النشر المسلسل

3. وصلتني صعوبة الأخوة العرب غير المصريين من حيث أن المتن بالعامية المصرية، لكن يبدو أنه لا يوجد حل آخر، إلا أن نقبل كل اللهجات واللغات العربية كمنطلق، وقد تصورت أن علينا حين نصل إلى مرحلة النشر الورقي، أن نجعل الأولوية والغلبة للشرح بالفصحى، ثم نستشهد بالمتن كلما عن لنا ذلك

4. قد يقوم أحد الزملاء من أي قطر آخر بترجمة المتن إلى اللهجة المحلية إذا شاء، أو ربما أستطيع أنا إعادة صياغته بالفصحى، وإن كنت لست متحمساً لذلك، لأنني اكتشفت أن كل المادة المحلية (المصرية) التي سوف تعرض سواء دعماً لهذا العمل، أو مستقلة، مثل أبواب (أو كتب): "حالات وأحوال"، أو "التدريب عن بعد"، أو "ألعاب نفسية"، أو "مقتطفات من العلاج الجمعي"، كل هذه الأبواب سوف تعرض شكاوى وأعراض وحوارات المرضى (والأطباء أثناء العلاج، والإشراف)، **بالعامية المصرية**، وعلينا أن نجتهد ونحن نتواصل كما فعل الأخ أ.د. جمال التركي في الألعاب النفسية التي عرضت طوال عامين، وأن نتحمل لهجات بعضنا البعض، ونتحسس الطريق للتواصل أسوة بما فعلناه ونفعله مع لغات أجنبية صرف (الفرنسية أو الإنجليزية)، علماً بأنه يستحيل أن نعرض - بأصالة تلقائية- لفهم النفس البشرية من خلال ثقافة معينة، إلا انطلاقاً من لغتها جداً، كما هي بما هي، مع أنها نفس بشرية من نفس نوع الأحياء البشر في كل مكان، لكنها شقاوة بني الإنسان الذين تفرقوا هكذا، ولكن يبدو أنهم يحاولون أن يتجمعوا ليتعارفوا من جديد.

5. المؤكد أن الشرح هنا وفي النشرة الورقية سوف يكون دائماً باللغة الفصحى

6. احتراماً لهذه الصعوبة (غلبة العامية المصرية في ثنانيا الكتاب)، قد يلزم عند الطبعة الورقية أن نجعل المتن على هامش جانبي، وأن نحرص على تماسك السياق بالفصحى في المتن الجديد، ولو وافق المتابعون من الزملاء على ذلك، فقد يتغير العرض ابتداءً من النشرات القادمة بهذه الصورة المقترحة، إذا استطعنا ذلك.

7. الأرحح أن يحتاج هذا العمل، ولو في طبعة تالية، أن يتدعم بنصوص أخرى غير المتن الشعري، مثلما تدعمت هذه النشرة الأخيرة التي كان لها فضل هذه الوقفة وتلك المراجعة، بهذا المقتطف أمس واليوم من جلسة علاج جماعي، وقد نلجأ لاحقاً إلى دعم من شكوى مريض، أو تتبع علاجي، أو غير ذلك

8. لا أظن، ولا أريد لهذا العمل أن تدعم مصداقيته أو يعتمد قبوله بتوثيق من خارجه، مهما بلغت هذه الوثائق والنظريات من تماسك وشيوع، حين أقول من خارجه أعني من خارج مادته: بدءاً بالمتن الشعري، مضافاً إليه الخبرة المحلية على مستوى الثقافة المحلية (المصرية) والعربية، سواء من خلال حالات أو حوارات، أو تعقيبات، أو نقد جار (كل خميس كما اتفقنا).

9. إن ذلك لا يعني بأية صورة من الصور الدعوة إلى الاستقلال، أو الاستغناء، عن مستحدثات العلم المعاصر، ونأمل أن تكون دعوة الدكتور جمال التركي قد وصلت إلى الزملاء الأكثر اطلاعات على ثقافات أخرى، ومصادر علمية أخرى، فإن ذلك يمكن أن يمثل هذه الفرصة المستمرة المتجددة للنقد المقارن، ونقد النقد وهكذا.

10. قد يستتبع أياً مما سبق ذلك أن يكون النشر المسلسل تتابعياً قاصراً على النص الجديد، ثم نلحق به النقد ونقد النقد نظرياً (متن مواز مثلاً) أو عملياً (حالة أو مقتطف علاجي) في الطبعة الورقية بمشيئة الله.

من نفس جلسة العلاج الجمعي

تكملة مقتطف أمس من نص ما دار في جلسة الأسبوع الماضي
من جلسات العلاج الجمعي بقصر العيني،

سوف نعرض اليوم نص تمثيل "الميكرو دراما" التي اقترحتها د. مى في نفس الجلسة.

(ملحوظة: يستحسن مراجعة نشرة أمس أولاً)

هذا، وأنبهه ابتداءً كيف أني أكتشفت أن عرض الدراما ثابتة النص بالألفاظ المكتوبة سوف يكون ضعيف الفائدة، فالأمر يختلف عن عرضنا للألعاب العلاجية سواء في العلاج الجمعي، أم في النشرات مباشرة، ذلك لأنه في الميكرودراما، لن يكون هناك إلا نفس النص يؤديه المريض أو المعالج، والفرق هو

في الأداء التمثيلي نفسه، عمقا وتسطيحا، بكل وسائل التمثيل جسدا وصوتا وحركات. ولكن ما باليد حيلة، فهذا هو الممكن مرحليا ما دمنا مصممين على تجنب استعمال الفيديو لاعتبارات أخلاق وآداب المهنة وحقوق المرضى.

.....)

مرة أخرى: يستحسن الرجوع إلى حالة أمس، وقراءة الحوار كله، الذي كان بعض أواخره كما يلي:

د. يحيى: (للدكتورة منى): احنا قلنا خمس حاجات تقريبا على قد ما انا فاكر، "تشحتي" "تسرقي" "مخطفني" و"تفرضني"، ومافرضناش قوى "تدى- تاخدني"، إنت حرة تجربي أى حاجة من دول، ولا يمكن عندك حاجة جديدة لنج غير دول، المهم تورينا إزاي حا تاخدني حقا إنك تتجني زى ما ربنا خلقك.

د. منى: بصراحة صعبة

.....

د. يحيى: أى حد يا جماعة عنده حاجة يقترحها علينا يقول لنا نعمل إيه

.....

د. مى عبد السميع: دكتور يحيى، طب لو فرضناه، قصدى لو فرضنا الحب على اللى قدامنا، إنه يجينا يعني ما دام دى خلقته ربنا، مش يمكن ده بأكد حقنا سواء استجاب هوه أو لأه،

د. يحيى: يا خير عليكى يا مى، دا انت بقيتي أروبة، بس انا خايف تطلع لعبه، ما هو حكاية "أنا من حقى إنك تحبني حتى لو....."، ما هو فرض برضه

د. مى عبد السميع: لأ مش قصدى لعبه، يعنى نمثل إننا نفرضه، من غير ما تكمل الكلام ولا حاجة

د. يحيى: إزاي يعنى، برافو عليكى، أنا لقطت حاجة كده بس لسه مش واضحة قوى، كملى..

د. مى عبد السميع: يعنى مثلا، من حقى يا ناهد إنك تحبيني غصب عنك وعن اللى يتشدد لك

.....

د. يحيى: إيه رأيك لو قلبناها غصب عنك وعن أهلك

د. مى عبد السميع: يا خير، تبقى جامدة، صعبة يعنى، لا ما يصحش، دى زى ما تكون شتيمة

د. يحيى: شتيمة ليه، ما انت عارفة احنا هنا بنغامر، وبعدين التمثيل تمثيل، مش كده ولا إيه؟

د. مى عبد السميع: تمثيل، بس برضه

د. يحيى: طب إيه رأيك نسيب اللى عايز يمثل يختار، يا إما يلعبها غصن عنك وعن اللى يتشدد لك، يا إما اللى عايز يمثل "غصن عنك وعن أهلك يلعبها زى ما هو عايز. ينفع؟

د. مى عبد السميع: ينفع

.....

.....

وبدأت الميكرو دراما

مرة أخرى: آسف لضعف نقل الصورة كما حدثت تماما، بمجرد تكرار نفس النص الكلامي، وفيما يلي:

أولا: بعض أشكال المقاومة

ثانيا: بعض الاختلافات التي سنعود إليها في "نقاش ما بعد جلسة العلاج".

.....

هيام: يا دكتوراه منى انت بتحبنى غضب عنك وعن اللى يتشددلك

د. يحيى: مش عارف انت مثلتيها ربع ربع، بس لو تمثليها جامد حاتققي اللى (د.) مى عايزاه ده

هيام: (مرة أخرى) يا دكتوراه منى إنتى بتحبنى غضب عنك وعن اللى يتشدد لك

د. يحيى: أحسن شوية، يا للا يا مى، إنت اللى ألفت النص، يبقى حا تلعبها مية مية.

د. مى عبد السميع: يا مريم إنتى بتحبنى غضب عنك وعن اللى يتشدد لك

إبراهيم: يا دكتور محمد أنت بتحبنى غضب عنك وعن اللى يتشدد لك

د. يحيى: أنت بقى بالذات يا إبراهيم حاتقولها غضب عنك وعن أهلك

إبراهيم: لأه ، مش لابع

د. يحيى: لأه؟ إيه؟ ليه؟ ما هو كله تمثيل، ثم هو انت عارف أهله ما يمكن بيحبوك، والتمثيل يقول أى كلام، ثم إن كلمة "أهله" دي إحنا بنتعامل معاها هنا حاجة تانية، ما بنقصدى الأهل بحق وحقيق.

إبراهيم: "اللى يتشدد له" أحسن

د. يحيى: يا جده طب ما تجرب دى وتجرب دى، مش يمكن فيه فرق مفيد

إبراهيم: لا هي اللى يتشدد له وخلص

د. يحيى: بصراحة "اللى يتشدد له" دي خفيفة شوية، أصل الفكرة إن التمثيل اللى اقترحته من بيقترض إن التاني هو بيحبك، يعنى إذا كان عليه هو بيحبك، بس الأهل بقى هم اللى يقعدوا ينفخوا في العيل من دول، وهات يا تنافس، وهات يا تحوصل، لحد ما يمنعونا نجب بعض، وبعدين لما نكبر، نلاقهم جوانا، برضه حاشينا عن بعض.

إبراهيم: يعنى يا دكتور يحيى عايزنى أقول ضرورى حكاية "وعن أهلك دي"

د. يحيى: يعنى، مش ضرورى ضرورى، لكن أدى احنا بنجرب، يمكن يطلع فيه فرق مجلى د. مى تعرف أنا حورت اللعبة ليه.

إبراهيم: لأه برضه

د. يحيى: لأه ليه يا أخی، إنت خايف ليه؟

إبراهيم: تمثيل يعنى تمثيل؟

د. يحيى: طبعاً، إنت خايف لأهله يضربوك؟

إبراهيم: يا دكتور محمد

د. يحيى: لا وشك كان النوبة اللى فاتت كان أحسن من كده، كان فيه حزم وغضب وتأكيد حقك، وحقيقة الموجود وكده، إنت خفت من أهله ولا إيه

إبراهيم: لا يا دكتور يحيى مش حاقولها، لأ.

د. يحيى: يا راجل ده انت بتعلن حقيقة إنه بيحبك تحت كل الظروف، حاتتنازل عن حقك عشان أهله؟

إبراهيم: يعنى أنا فرضت عليه الحب يعنى

د. يحيى: هو مش فرض قوى، إنت مديت إيدك على الحقة اللى بتحبك فيه، خلقة ربنا

إبراهيم: لأه، مش كده قوى، لأه، ولا يمكن كده

د. يحيى: طيب إنت شايف إيه الفرق بين "غصين عن اللى يتشدد لك"، وبين "غصين عن أهلك"

د.محمد صلاح: ما يمكن اللى حايشدد له حد غير أهله

د.يحيى: صحيح، بس زى ما يكون كلمة "أهلك" حاططع بُعد تانى فى الحدوته، خصوصا مع مقاومتك دى، إيه رأيك يا هيام؟

هيام: حاكلم الدكتوراة منى

د.يحيى: بس خلى بالك أهلها صعايدة يموتوكى

د.منى: ربنا يستر،

د.يحيى: خلى بالك إننى يا هيام انت لعبتيتها غصين عن اللى يشدد لك الأول، وبرضه مع الدكتوراة منى، دلوقتى حاتلعبها مع نفس الشخص بس حاتقول غصين عن أهلك

هيام: يادكتورا منى انتى بتحبينى غضب عنك وعن أهلك

د.يحيى: شوفنى فرقت أزاي ياغفريتة ، بان الفرق، إيه رأيك يا إبراهيم

إبراهيم: هى قالتها إنما أنا برضه مش حاقولها

د.يحيى: ليه؟

إبراهيم: قررت أن أنا مش حاقولها، يعنى مش حاقولها

د.يحيى: ليه بس؟

إبراهيم: من غير سبب

د.يحيى: أنا مش فاهم اوى يا إبراهيم

إبراهيم: مش فاهم ايه

د.يحيى: مش فاهم سبب رفضك الجامد ده، خصوصا بعد ما هيام لعبتها وطلعت إن فيه فرق، وغضبها أكثر وأفصح

إبراهيم: هو اللفظ اللفظ فى حد ذاته هو اللى

د.يحيى: اللفظ بتاع "أهلك" يعنى

إبراهيم: أيوه، حتى لو كان تمثيل

د.يحيى: إحنا يا إبراهيم بالتمثيل ده، بنحاول نتعرف على حقيقة طبيعتنا اللى إحنا افترضناها، افترضنا إن حبنا لبعض دى خلقة ربنا، والظاهر منى كانت حاسة إن فيه حد أو حاجة من برة هى اللى بتمنع ده، بتشوه الطبيعة دى، فجت كلمة اللى بيتشدد لك تشاور على حاجة عمومية، لكن غصين عن أهلك حدت التشويه بييجى غالبا منين

إبراهيم: (يلتفت للدكتور محمد، ثم يندفع بصوت مرتفع)
يادكتور محمد أنت بتحبينى غضب عنك وعن أهلك

د.يحيى: أخيرا !! دا احنا كنا بنتتبع فى جبل، أنا شاكرا يا إبراهيم

إبراهيم: معنى كده كويس يادكتور يحيى؟ كويس كده؟

د.محمد صلاح: عايز أرد عليه بقى عايز أرد عليه

د.يحيى: ...إتوكل

د.محمد صلاح: يا إبراهيم أنت بتحبني غضب عنك وعن أهلك

إبراهيم: برافوا عليك يا دكتور محمد ، أهو كده

د.يحيى: أيه رأيك يا إبراهيم عملها كويس؟

أحمد: بس في فرق يادكتور يحيى

د.يحيى: إيه

أحمد: فيه فرق

د.يحيى: فرق إيه

أحمد: أيوه فيه فرق بين الاتنين

د.يحيى: طبعاً فيه فرق، إبراهيم قال لأ مش لاعب، مش عايز ألعب حكاية أهلك دي، واحنا اتكينا عليه، فراح لاعبها، وشاف الفرق مش كده؟

أحمد: آه، طيب وهوه انا لازم ألعبها؟

د.يحيى: لازم

أحمد: مصمم حضرتك؟

د.يحيى: بس تمثيل وإبراهيم بقى اللي حياساعدك يعنى حيقول لك لأه ، أيوه، مثل أحسن، إديني كمان

أحمد: محمود انت بتحبني غضب عنك وعن اللي يتشدد لك

د.مى: خليها أهلك بقى ما دام ثبت إن فيه فرق

أحمد: أقولها تاني؟

د.يحيى: زى ما انت عايز

أحمد: محمود أنت بتحبني غضب عنك وعن أهلك

د.يحيى: هي أحسن سنه، إذا كنت عايز تخليها اللي هيه، ممكن تمسكه من قميصه وتهزه وانت بتقولها، ما هو تمثيل أقوى شوية

أحمد: أضربه يعنى؟

د.يحيى: لأ مش ضرب ، تمثيل بالحركة اصل الحركة بتخلي الحكاية أقوى شوية

أحمد: (وقف أحمد ومسك في محمود) يا محمود أنت بتحبني غضب عنك وعن أهلك

د. يحيى: يا أجد أنا عايزك تلاحظ ازاي اتغلبت على مقاومتك اللي كانت عمالة تزيد تزيد من شوية

أجد: غصن عنى

د. يحيى: صح بس عملتها فى الآخر

د. محمد صلاح: ده أنت بهدلتنى ، حد بقى بعدى يلعب،

د. يحيى: تخار مين ؟

د. محمد صلاح: ناهد

د. يحيى: ناهد دى جاهزة دى، إنتى بقى حاتلعببها يا ناهد مع المسئولة عن اللعبة الهبله دى، هي اللي ألفتها

ناهد: ألعبها مع الدكتوراه ضى يعنى

د. يحيى: زى ما انت عايزة

عمود: (مقاطعا) يا أجد إنت بتحبينى

د. محمد صلاح: قوم أف

عمود: (وقف محمود ومسك فى قميص أجد) أنت بتحبينى غصب عنك وعن أهللك

د. يحيى: الكلام طلع كويس، بس وشك مش هنا خالص، وشك ما كانشى فيه أجد، يعنى أجد ماكانش فى وعيك وأنت بتقول

عمود: أعمل أيه

د. يحيى: الدكتور محمود حايساعدك

د. محمد: قوم أف يا محمود تعال كده خطوة كده

د. يحيى: هيام بصى يا هيام حايعملها صح ولا غلط

عمود: أنت بتحبينى غصب عنك وعن أهللك

د. يحيى: ماتقطعش القميص، يلا يا ناهد الدور عليكى

ناهد: مع مين كله لعب

د. يحيى: لأه مش كله، دورى على حد، أى حد

ناهد: ماشى، ألعب مع مين طيب

د. يحيى: أى حد ينفع

د. منى: أختارى أى حد والعى معاه

ناهد: مع اللي لعب برضه

د. منى: آه مفيش مشاكل

ناهد: يا مريم إنتى بتحبينى غصب عنك وعن أهللك

د. يحيى: شوفتوا كان ليا حق أضمنها

ناهد: أعيد تاني ولا كفاية

د. يحيى: لا أنت بقيتي عفية في حاجات كتير ؟

يا ترى فيه حد مامثلشي؟

د. مي: لأه

د. يحيى: الحمد لله، احنا بدأنا بيكي يا هيام، قولتي أنا عايزة اموت بسلبية فظيعة جداً وأنعواج، قصدي رقيبك يعني، وبعدين انا عايزة أحب، قمنا قلبناها انا بشحت حب، يعني أنا ترجمتها لكده، طلع اللي بيشتت مابياخدش، ده بالعكس بييجوع أكثر، وبعدين مئى جت لها فكرة إن كل واحد يند إيدو على خلقة ربنا اللي فينا، واللى عاجبه، بصراحة الفكرة دى خطرت لى وأنا بشتغل مع عيانيين ساعات، وأنا باكتب أحياناً لاحت لى كده بس مش بالوضوح ده، إحنا هنا فجأة وببساطة لقينا إن احنا ممكن نتعلم منها حاجة جديدة،

يا ترى وصلك يا هيام حاجة غير "أنا مش نافعة، عايزة أموت" وبعدين "عايز حب"، والكلام الخايب ده؟

هيام: حسيت أن أنا بارضى عن الحب بطريقة تانية

د. يحيى: أظن احنا اتعلمنا حاجة تانية هنا ودلوقتي مختلفة عن الشحاتة والموت، احنا عادة ما بنحيش نقول إيه اللي وصل لنا من التمثيل أو اللعب، بس اللي حصل النهاردة محتاج يظهر أكثر، يثبت شوية

هيام: اظهرها أزاى

د. يحيى: ماينفعش لو قولت لكأنا قلت لك، يبقى درس وبتاع ومش عارف آيه

هيام: أظن فيه حاجة أتغيرت، حاجة كده كويسة

د. يحيى: شوفي أما أقول لك: ربنا حاسالك على النعمة اللي اداها لك دلوقتي، لو رفضتها أو فعصتها، مش كويس، أنا باكلمك جد، كل ده اتعمل من خلال اللي احنا بدأنا بيه النهاردة، إذا كان وصلك حاجة يابنتى تحافظى عليها، بس حاجة مختلفة وقوية، لكن هى بسيطة ممكن تبندى بسيطة وتكبر هى كانت تبان صعبة جداً واحنا بنمثل وأنتى بتمثلى، لكن هوب هوب بقيتي تعدل راسك من غير ما تبذل جهد ده عشان الكلام والتمثيل وصل حاجة تهمدى ربنا عليها، حاجة مش ضرورى تقوليها ولا تفسريها، بس احمدي ربنا عليها

هيام: الحمد لله

د. يحيى: بأقولك إيه: الحمد يعنى حمد، تحمديه من جوه جوه واحنا معاكى

هيام: الحمد لله

د.يجيى: حاتنسى ده ازاي بقى؟ "الحمد لله" طالعة من جوا جواكى، تيجى الجمعة الجاية تيجى تقولى عايضة أموت وعايضة أتحب؟ حاتنسى بدمتك دى ازاي؟ إنتى حمدتى ربنا على حاجة وصلت فعلاً حاتنسيها إزاي؟ بالذمة (ثم يلتفت للجميع)

حد وصله اللى وصل لهيام، هيام أصعب وأصعب بس مجرد أن هى توصل وتحمد ربنا بالشكل ده، يبقى الصعوبة خفت شوية

د.مى عبد السميع: أنا وصلنى

د.يجيى: مفهوم، من حقك، ما أنتى صاحبة اقتراح التمثيلية المهيبة دى، فيه حد وصله حاجة سوا وهو بيمثل سوا وزمايله بيمثلوا سوا عن نفسه أو عن غيره

د.منى: أنا وصلنى

د.يجيى: يعنى أنتى ومى دكاترة، طب يا ترى اللى مش دكاترة، يعنى والباقيين؟

ناهد: وصلنى، أنا وصلنى

د.يجيى: حاجة ماكنتيش تعرفيها قبل كده؟ هه؟! حد وصله حاجة زى اللى وصل لناهد أو لهيام أو لمى أو ليا أنا شخصيا بصراحة أنا وصلنى

أحمد: أكيد وصلنى

د.يجيى: اكيد وصلك، الله نور، طب وانتي يا مريم وصلك حاجة؟ حاجة عن حكاية الشحاتة والخطف، والسرقة، قصاد الحق اللى بنمد إيدنا ونأخده من غير إذن

مريم: مش فاهمة، كل ده عن الحب

د.يجيى: أيوه

مريم: شوية، بس مش واضحة الحكاية

د.يجيى: (يلتفت لهالة التى بدت بعيدة وغير منتبهة)، زى ما يكون يا هالة أنتى بدأت تدقى من دلوقتى بايد الهون على اللى حصل، أيوه يا إبراهيم، وانت؟

إبراهيم: أيوه وصلنى وصلنى حاجة

د.يجيى: لك وعنك، ولأ عننا

إبراهيم: مش واضح قوى

د.يجيى: (يلتفت إلى هيام من جديد) عرفتى يا هيام يعنى أيه تدقى بأيد الهون؟ يعنى بتحاولى تلغى كل اللى حصل، بتبسطيه

هيام: مش قادرة أكمل

د. يحيى: ماشى، واحدة واحدة، لكن حاتروحي منه فين، اللى وصل وصل، طب تقدرى توصلى حاجة طيبة لخد هنا ودلوقتى؟

هيام: (تلتفتت إلى ابراهيم)، أنا سعيدة أنك موجود معنا

د. يحيى: مصدقها يا ابراهيم

إبراهيم: آه

د. يحيى: انا كلمة سعيدة دى مباحبهاش أوى، بس أنا مصدقها دلوقتى، مش ملاحظين

المسافات قُربت إزاي من غير إذن!!

....

....

....

وبعد

الأسبوع القادم، (وربما امتدادا لما بعده) نأمل أن نعرض كلا من:

• المناقشة التى تمت بعد هذه الجلسة مباشرة بشأن هذه التجربة

• جانباً من استكمال آثار التمثيل وكيف تناولناه فى الأسبوع التالى

• الفرض الذى سوف نعرضه متكاملًا

ثم نعود إلى المتن الشعري "أغوار النفس"، وعرض الحالات

الإثنين 18-11-2009

810-ربنا خلقنا نجب بعضنا البعض، لنبقى بشرا



.. إنت بتحبني غصبن عنك!! (كيف؟)]

مقدمة :

توقفنا - مؤقتا والله العظيم- عن مواصلة شرح ديوان أغوار النفس وقدمنا مقتطفين من جلسة علاج جمعى حدثت مؤخرا، وذلك بعد أن بدأت التعقيبات تأخذ مأخذ الجد، والاختلاف، بالإضافة، والنقد، والتنوير

فتحول العمل ليصبح ذا ثلاثة منطلقات، أو ليسير على ثلاثة مسارات:

الأول: شرح المتن الشعري، وهو ما نتابعه كل أربعاء غالبا، اللهم إلا في مثل هذه الوقفة الاستطرادية التي سحت بمثل نشرة اليوم، أو إذا تراكمت مواد من القسمين التاليين.

الثاني: هو الاستطرادات الداعمة، أو المكملة، أو المصححة أو الناقدة للمتن الشعري وقراءته وإيجاءته، سواء كان ذلك من نص سابق للمؤلف، شعرا أو نثرا أو نظيرا علميا، أو من مقتطف واقعى من حالة إكلنيكية معروضة (حالات وأحوال)، أو جزءا من حالة مناقشة (التدريب عن بعد)

الثالث: هو حوارات الأصدقاء التي تدور حول هذا وذاك، أو تستوحى منه، (سواء من المتن الشعري، أو من الشرح عليه، أو من تعقيبات وحوارات منشورة عنه) وهو ما يختص به يوم الخميس (غالبا) من كل أسبوع تحت عنوان "حوارات فقه العلاقات البشرية".

أما كيف سيكون الحال بعد جمع هذه المادة كلها، إذا ما تراءى لنا أن يصدر في طبعة ورقية، إن كان ذلك مفيدا أصلا، فهذا أمر سابق لأوانه

دعونا نواصل، ونأمل، ونجتهد

والله المستعان.

وبعد

نشرنا في الأسبوع الماضي نشرتين متتاليتين لمقتطف من جلسة حديثة جدا من جلسات العلاج الجمعي، وهي الجلسات التي تجرى حاليا في قصر العينى، وكان ذلك بمناسبة بعض ما جاء في متن العمل وشرحه وتعقيبات بعض الأصدقاء عن تشكيلات العلاقة البشرية، وخاصة فيم يتعلق بما يسمى "تسول الحب" أو "الصفتات الثنائية" إلى "فعل الحب" المتبادل بين البشر في إطار من العدل والوعى المسئول.

واليوم هو موعد تقديم المناقشة الدالة التي دارت عقب نفس الجلسة، وهو تقليد متبع مجرى بعد كل جلسة بين المدرّب، المعالج الأساسى وبين المعالجين والمتدربين بمشاركة من يشاء من المشاهدين تحت الإعداد، (بإذن وسماح المرضى طبعاً) مع بعض التحرير اللازم للنقل من المشافهة إلى الكتابة

وكانت التمثيلية (الميكرودراما) هي جملة واحدة، اقترحتها الزميلة د. "مى" المتدربة في المجموعة، جملة يقولها أفراد المجموعة يؤدونها بما أمكن من تعبير درامى بكل إمكانات التعبير، يسرى ذلك على المرضى والمعالجين، ولرة واحدة، يقولها المؤدى وهو يتوجه بها لأى من زملائه أو زميلاته، والجملة هي:

"يا فلان: إنت بتحبنى غصين عنك، وعن اللى يتشدد لك، (أو:..... وعن أهلك)"

ولمتابعة المناقشة، ننصح الأصدقاء بضرورة الرجوع إلى نشرتى الأربعاء والخميس السابقتين أولاً:

- نشرة: 11-11-2009 [عينة من جلسة من علاج جمعى (منذ أسبوع واحد)]،

- نشرة: 12-11-2009 [مقدمة في المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)]

المناقشة: بعد جلسة العلاج النفسى

بتاريخ 4-11-2009

د.ميجى: أى سؤال أو تعليق؟

د.منى: هي جديدة فكرة فرض الحب دى بإدكتور ميجى

د.ميجى: فرض الحب!!؟ قصدك "فرض" بمعنى Hypothesis ولا بمعنى القهر

د.منى: بالمعنى اللى حصل في الجروب، يعنى الفرض اللى جربناه في الجروب

د.ميجى: أهو ده اللى عايزين نناقشه دلوقتى، هو اللى جرى ده قهر، ولا حلقة ربنا؟ لما أقول لواحد "إنت بتحبنى غصين عنك"، يبقى باقهره، ولا باخبره باللى هو مش واحد باله منه في تركيبته الطيبة؟ الطيبة حتى غصين عنه؟

د.منى: هوه ده تعليقى، يعنى أنا اكتشفت إن غالباً كلنا أو بالنسبة ليّا مثلاً يعنى، زى هالة كده يعنى، كلنا يعنى غالباً في معظم الأوقات، بنشحت الخب

د.جيسى: ما هو ده اللي خضنا وخلصنا نمثل نشوف إيه الحكاية، وهل فيه حاجة بديلة ولا إيه، إحنا الظاهر بنشحتة قصداً إن التانى يشحتة برضه، وده نوع من الصفقات اللي شاورنا عليها في الجروب، واحنا ما رفضناهاش، ما رفضناش الصفقات الشريفة المعلنة، إذا كان دى هي البضاعة الحاضرة، الأمر لله، بس تبقى بداية، مش كده وخلص، زى ما شوفنا فيه طرق كتير تانية نعيش بيها مع بعض غير الشحانة، زى ما شغنا كده

د.نهى: بس الدكتوراة "مى" عملت حاجة جديدة خالص، أنا مش عارفة عملتها ازاي، أنا أعتبر إنها عملت اختراق **Break through**

د.جيسى: بصراحة آه، الجروب سمح بده، ربنا فتح على "مى" وراحت شايفها

د.نهى: الجروب سمح للفكرة تطلع وتتخض وتتخبر وتتعاش بالطريقة اللي اتعاشت بيها

د.جيسى: هوه الجديد النهارده هو اكتشاف ثروة تانية، قصدي تالته، غير اللي انا قلت لكم عليهم، أنا فاكتر أنا قلت إنى اكتشفت ثروتين، قريب، قلت مرة واتنين إنك تقدر تحصل على الثروتين دول ببلاش، بمجرد الوعى بيهم، ونصحت أى حد فيكم إنه يجرب يمارسهم، فاكترين؟ فاكتر يا شادن؟ أظن أنا قلت الحكاية دى أكثر من مرة، ومكسوف أكررها، المهم، ما يجراش حاجة أقولها تانى وعاشر، الثروتين هما "إنك تعرف"، و"إنك تحب"، أظن أنا قلتهم بالفصحى، شكلهم أحسن، هما بصراحة وصلون بالفصحى مش عارف ليه "أَنْ تعرف"، و"أَنْ تحب"، تروح عامل ده أو ده من غير ما تستأذن، ولا يكون عندك أى غرض من ورا اللي بتعمله ده، سواء بتحب أو بتعرف، إلا إنك إنت نفسك تفرح بنفسك وانت بتاخذ حاجة حلوة، تلاقى نفسك بتتملا بيها وانت بتعملها من غير ما تستأذن حد، وتقربا من غير مقابل من اللي بيقلوا عليه، ثروتين بحق وحقيق اللي عايز ياخدهم يجرب، وحايلقى الحكاية مش مستحيلة، يعنى تقوم عارف حاجة جديدة كده!! معلومة حلوة، فكرة منورة، إضافة توسع أفقك، تقوم واخدها لك، تبقى بتاعتك من غير ما تعمل حساب وانت واخدها ليه، لا عشان تتباهى بيها وانت بتناقش حد، ولا عشان تمتحن فيها، تقريبا هي بقت بتاعتك وخلص، يمكن نعيش بيها بأياها شكل يوصلك منها، حكاية بقى إنك تحب أى حد من غير استئذان برضه غريبة جداً، أول ما وصلتني الحكاية دى أنا اتخضيت، ليه يعنى، بأمرة إيه، ما يمكن ما يستاهلشي، ما يمكن يرفض ويكسفك، وبعدين اكتشفت في نفس الوقت وانا باكتشف ثروة المعرفة المتاحة لأى حد ببلاش كده، اكتشفت إن ما دام انت اللي

بتعمل الحكاية دى، من غير استئذان التانى اللى بتعملها معاه، ومن غير ما تقول له من أصله إنت بتعمل إيه، يبقى مش حانتظز منه حاجة من أصله، إنت خسران إيه بالذمة؟ طبعاً دى غريبة ودى غريبة، بس بصراحة لو حد يجربها حتى وهو بيهزر يمكن تنفع، يعنى واحد كده ما فيش بينك وبينه حاجة، ولا يتحب ولا نيلة، تقوم حابه كده، صحيح فيه ناس مؤذنين مقرفين لا يمكن يتحبوا مثلاً زى شارون، أنا مش قصدى للدرجة دى، هى المسألة مش عبط، ولا بقششة عواطف، بس أنا كنت باتكلم، وما زلت عن الطبيعة البشرية، ربنا خلقنا محب بعض، نقوم محب، خلقنا نعرف، نقوم نعرف، وساعة ما نحب لأننا كده، أو نعرف لأن ربنا خلقنا كده، نفرح ونكمل، ونقعد نعمل الحكاية كده، واللى عاجبه، لحد ما يثبت استحالة عمالها، وما أظنش إن ده ممكن يثبت إلا لو كنت بتعملها غلط، لو كنت حاطط شروط مثلاً، لو كنت مستنى حاجة تانية بعد الخطوة دى، مش كده ولا إيه؟

د. محمد: إيه

د. يحيى: عندك حق، والله العظيم عندك حق، أنا بصراحة كل ما أقول لحد على الحكاية دى يا إما ما يصدقنيش، يا يفتكرني إهبلت، أقول له طب جرب تقوم حابب كده من غير إذن اللى بتحبه، وحتى يا شيخ من غير ما تعرفه، حاتلاقيك مبسوط، حاتلاقيك مبسوط والله العظيم، حاتلاقيك كسبت حاجه لك، تبقى ثروة دى ولا مش ثروة؟ جرب لما توصلك معلومة ما تعرفهاش مش تقعد تقيسها على اللى عندك عشان ترفضها احتياطي عشان ما تتلخبطشى أو عشان تفضل زى مانت، لاه، توصلك المعلومة، تسمع لها، يمكن هى دى الثروة، تفتش فيها يمكن فيها حاجة زيادة تضيف لك ولا مؤاخذه حتة حلوة هنا، ولا حتى حتة وحشة تفوقك، إنما تضيف والسلام، برضه تبقى ثروة، مش كده ولا إيه؟

د. محمد: ما انا قلت "إيه"

د. يحيى: إمال حاتعمل إيه فى اللى جى بقى يا محمد؟ حاتقول إيه فى اللى حصل النهارده؟ المهم: أنا لما اكتشفت الثروتين دول، وقعدت أوزعهم على اللى حوائى ببلاش، إفتكرت إني أنا إكتشفت سر الكون، وفرحت، كل ما قابل حد عزيز، ولاحتى مش عزيز، بس بيسمع، أقول له يا جدع انت أنا عندى ثروة ببلاش تاخذها؟ يقول ببلاش إيه يا جدع انت؟ هوا فيه ثروة ببلاش؟ أروح قايل له الكلمتين دول، يفتح بقه زى الدكتور محمد دلوقتى، ويبص لى، ويمكن أصعب عليه، أو ما اعرفشى إيه ساعتها اللى بيدور فى مخه، أقول له طب جرب كده، إنت خسران إيه، جرب تحب فلان، وانقى واحد يكون مش هوه، يقول لى ياخير!!!، لا يا عم ده ما يستاهلشى، أقول له يا أخى هوا انا قلت لك يستاهل أو ما يستاهلشى، إن شالله ما عنه استاهل، مش انت حبيته وهوه ما يستاهلشى، يبقى انت حلوه، وعملت اللى ربنا خلقك بيه، ويمكن بخبك ده حاساعده إنه يبقى يستاهل، حد عارف، ما دام انت ما

استأذنتوش، ولا طلبت حاجة قصاد ده، وكسبت حلاوتك، إنت مالك بيه بقى بعد كده، أو قبل كده يستاهل ولا ما يستاهلشى؟

د. نهى: بس إيه علاقة ده باللى حصل النهارده؟

د. يحيى: آه صحيح! أظن له علاقة، وعلاقته يمكن تطلع وثيقة جداً، صحيح إحنا هنا النهارده ما كناش بنعزم على بعض نحب بعض وخلص، زى العادة، ده احنا كنا بنمارس حقنا إننا نتحب، لأه ومش بس حقنا، وبنطالب بيه وكلام من ده، لأه، إن دى حقيقة موجودة، إننا فعلاً بنتحب، ومش فاضل إلا إنها توصل لنا، وما علينا إلا إن احنا نمد إيدنا ونعترف. دى بقى أصعب من الحكاية الأولانية ميت مرة، حكاية "إنك تعرف"، و"إنك تحب"، ("أَنْ تعرف"، و"أَنْ تحب")، ومع ذلك مثلناها بسهولة غريبة فعلاً، الدكتوراة "مى" ربنا يحليها راحت مادّه إيدها وجايبه التمثيلية، ما اعرفشى جابتها مين، لقينا نفسنا قدام حقيقة ثانية بسيطة، وباين عليها مهمة جداً.

د. نهى: يمكن عشان كده أنا قلت ده "اختراق"

د. يحيى: بالظبط، إحنا زى ما يكون اكتشفنا إن زى ما هَواش ضرورى أستأذن إني أحب، الظاهر مش ضرورى أقدم أوراق اعتماد بوجودى عشان أتحب، يعنى مافيش أى شرط إني أستأذن إني أنا أتحب! المفروض إن السؤال ده ما ينطرحشى من أصله! إنما الظاهر هوه بينطرح بعد ما الطبيعة البشرية قعدنا نلعب فيها ونبوطها باخوف والتوجس، والشك، والتحوصل واللى جارى، المهم: الدهشة اللى وصلتنى النهارده كانت غريبة شوية، زى ما اكتشفت إن مفيش داعى إني أستأذن وأنا باحب، الخبطة جات لى كده: يانهار ايض دا الظاهر إن كمان ما فيش داعى أسأل إن كنت باتحب ولا لأه، الظاهر إن البداية إني أتحب لأنى اتولدت، ولوده صحيح، لو ده وصل لنا بالتربية والطيبة، وإعادة التعرف على خلقه ربنا، يمكن الدنيا تتغير، فإذا احنا لقينا إن ده ما حصلشى، إن الناس، بدءاً من أهلنا الغلابة، حرمونا من إننا نتحب ونحب كدهه خلقه ربنا، الظاهر ده حصل لأنهم الظاهر هما كمان من الأول حرموا، أو احرموا، من ده، فراحوا مقفلين مخازن الحب اللى من النوع ده، الحب اللى هوه خلقه ربنا، وما فضلشى غير الخوف والامتلاك والتنافس والطمع والحاجات دى، قمنا احنا بقى إيه ما لقينا ش حدّ بصحيح نقدر نديه، ونأخذ منه بالطريق الطبيعى البسيط، فنبتدى نقلق، وندور، ونسأل، ويتطور الأمر إلى الصفقات، والشروط، حد ما يوصل للشحاة، والاختراب والجنون زى ما انتو شايقين، لو الكلام ده صحيح، واللى حصل النهارده مياشاور عليه، واحنا اكتشفناه، ولو حتى هوه صحيح، ولو حتى صغيرة، اكتشفنا إننا مخلوفين نقدر نحب ونتحب، وبعد ما اكتشفناه قدرنا ننميه ونحافظ عليه، لو كده يمكن تبقى نقلة مهمة جداً، يعنى لما يكون ده هوه الأصل، إن احنا بنحب بعض لأن ربنا خلقنا كده، تاريخ تطورنا بيقول إن احنا عشان نستمر أحياء بشر بحق وحقيق لازم نبقى كده، يبقى

كل اللي علينا إن احنا نعد إيدنا على الحتة اللي استخبت منا ورا الخوف والجشع والطمع والغباء، يعنى لما اقول لواحد أنت بتحبني زى ما حصل في الجروب، أنا مش بافرض عليه نفسى، أو بافرض عليه حاجة من بزاه، أنا بامد إيدي على مخزن الحب اللي ربنا خلقه فيه، وبأخذ حقي من غير ما استأذنه، حاجة زى كده، على فكرة فيه أمثلة عامية بتنبه إن ده مش صح، فيه مثل أنا مش فاكر نمه، أظن بيقول إن "كل شيء بالخناق إلا ده بالإتفاق" مش عارف ليه، المثل ده غلط لو اتطبق في الحتة اللي احنا وصلنا لها دى، ليه يعنى! ليه ماتقدرش تحب غضب عن التاني؟! مش بس كده، لأ وتقدر كمان تمد إيدك من غير إذنه برضه، تلاقيه بيحبك، حتى لو أنكرك، أظن التمثيلية دى وصلتنا للمنطقة دى، حاجة كده لو تتكلم فيها نظرياً (كما أكتبها الآن) ماتنفعشى، ماتصدقهاش، تيجي تعملها على أرض الواقع، تلاقياها نفعت، زى النكتة - أستغفر الله- بتاعة الصلاة من غير وضوء تنفع؟ قال لك لأه؟ قال لك وإيه رأيك إنها نفعت؟! أهو برضه لو تفكر في حكاية تمد إيدك من ورا التاني يحبك، تلاقياها ما تنفعشى، لما عملناها ومثلناها باين عليها نفعت،

وبعدين "مى" عملت عاملة بقى مش مسبوقة، هى انتبهت للصعوبة، وشافت إنى رافض نهرب في "العبة" عشان ما نستهلشى، ونقعد نقول "أنا من حقى ولكن....(ونكمل)"، وكلام من ده، ما احنا لعبناها قبل كده، راح ربنا فاتح على "مى"، وزى ما تكون شافت إن فيه حقيقة ورا كل ده، وهى إننا بنحب بعض فعلاً، بس مش واخدين بالننا، أو يمكن حايشين نفسنا عن إننا نشوف ده، ونكبره، ونمارسه، حاجة زى كده، طبعاً ده اللي وصلنى دلوقتي مش ساعتها، مى لما اقترحت التمثيلية زى ما تكون قررت احتمال إن ده حقيقة، زى ما تكون عرضت على كل واحد منا إنه يمد يده على الحتة اللي بتحب في التاني، خلقتة ربنا، ويأخذ منها اللي هوه عايزه، وهو بيعمل كده يروح زايج كل اللي يعترضه من حواجز أو حراس مانعاه عن باب مخزن الحب الرباني ده، فراحت منتبهه كده بجس ما لوش دعوة بأياها تنظير سابق، وراحت صايغها في الكلمات البسيطة دى. "أنت بتحبني غضبن عنك وعن اللي يتشدد لك، أو "وعن أهلك" (بعد التعديل).

د. نهى: بس دى صعب قوى، زى ما يكون على قد ما هى ممكن تحل إشكال الشحاتة والصفقات والذل والكلام ده، يمكن تخلى الناس تستغنى عن الحب العادى، اللي هوّه مهم جداً، ما احنا عايشين بيته، حتى لو ما فيش، أدى احنا بندور ونستنى، أنا خايفة لانكون بكده بنستغنى عنه، يبقى بتستغنى عن "الأخر"؟

د. يحيى: بصراحة آه، خوفك في محله بس يمكن المسألة ما تكونشى استغنا قوى، يمكن تكون تذكرة بإن فيه حاجة أكبر منا ورا الحب اللي احنا محتاجينه جداً، ده، حاجة ما تتعارضشى معاه، بس ما تخليهوش بالشكل الصفقاتى ده، ولا يوصل للشحاتة طبعاً، فما بالك بالمرض، والجوع للشوفان، وللاعراف، الجوع المسعور اللي بيودى في داھية زى ما انتي شايغة، وعارفة

د. نهى: بس ازاي نؤصل ده بده؟ يعني لما أكون أنا حا حب من غير ما استأذن، وكمان حامد إيدى فى مخزن التانى واتحب من غير ما اقول له، يبقى فين العلاقة؟

د. يحيى: والله ما فى عارف، أنا متصور إن ده شىء يهدد بناء كبير جدا إحنا عايشين جواه فى الحياة، وفى القصص، وفى التاريخ، وفى الأسر، بناء بتترى فيه وبتحتمى بيه، وبنربى أطفالنا جواه، وأنا مش معترض على اعتراضك، أنا متصور إن البناء دى منطقة أمان ضرورية، إنما فيه أمان أكبر، لما نكتشف إن الحب ده مسألة بديهية، طبيعة عادية قبل الطبيعة اللى إحنا بنفرضها على نفسنا ونسميها طبيعة، وهات يا نظريات، وهات يا فتاوى، الظاهر إن الامان الحقيقى ما يجيش من إنك توفرى آليات الأمان المصنوعة، لأه، إنك تدورى على معادلة الأمان الطبيعية، لما تكتشفى إن طبيعتنا زى ما ربنا خلقها هى إننا نحب بعض، يبقى لا يمكن مهمما تقعى حانتكسرى، لأن ربنا هو اللى عملنا كده، فلازم حايلقانا واحنا بنقع، يعنى لما حد يقع من الأدوار العالية بتاعة البنا المؤمن صناعى بالشكل إالى أنا شاورت عليه دلوقتى، يقوم ما يتكسرشى برضه حتى لو آليات الأمان مش كفاية، يلقى اللى يلقاه، اللى هى خلقه ربنا، يمكن يكون ده ضمان يجف شوية ولا شويتين من حكاية "إنت بتحبى، لأ ما بتحبينى، أنا عايزة اتحب، ما حدشى شايفنى"، والكلام ده، مش معنى كده إن ده كلام مش مشروع، أو كلام فارغ، لأ ده، **كلام إنسانى طيب ومهم جدا وحقيقى، وهو بيعلمن الضعف الرائع بتاع البشر،** لكن يبدو إن إحنا عشان نكمل المشوار ونكون بشر بحق وحقيق، لازم ما نقفشى عنده، آدى كل الحكاية، أنا عايزك يا نهى تقولى اللى إحنا بنتكلم فيه ده لأى حد من اللى بيحبوا بعض، يكون مثلا زعلان من اللى بيحبه، وكده، قولى له يا أخى دؤر على اللى ورا ده، على الحة اللى بتحبك فيه غضبن عنه، غضبن عن سوء الفهم ده، فى الغالب حاتلقاها، أظن الأغلبية حايقولوك لأ ما ينفعشى، دا قال ، وعاد، وكلام من ده، تقولى له، يا أخى طيب ما يمكن فيه حته جوا جوا وأنت مش واخذ بالك منها، ما تمد إيدك غضبن عنه وتصحيتها، ما تفتح مخازنها وتشوف الحكاية، يقول لك إلاء، مش حا يصدق اللى إحنا عملناه دلوقتى فى الجروب، طبعاً إنتى مش حاتيجيبى سيرة، مش معنى كده إن الحب مش كيميا، ولا إنه مافيهوش تميز، وإن الحكاية ساجدة وناجحة، لأه، إحنا هنا بنرجع لبديات البدليات، القدرة على الحب نفسها، إنما عند التطبيق: الخصوصى خصوصى، كله خصوصى، ما فيش مانع، يجى ينتهى العمر الافتراضى للخصوصى، نرجع نبتدى من الأصل، حاجة زى كده، أنا مش متأكد.

د. نهى: مش عارفة، مش فاهمه، إيه الفرق؟

د. يحيى: مش كل واحد فى الجروب قدامك مد إيده ورا خالص جوا الجدع اللى بيكلمه، ولأ الجدعة اللى بيكلمها، ولقى إن اللى بيعمله ده صح، ولما التمثيلية سمحت إن ينظ له اللى

بيمنعه أو يشككه، من خلال حكاية "غصين عنك" دى، يعنى وهو بيمد إيد، اضطر يزيح اللي حاشيه، إن كان الأهل (يعنى السلطة) هما اللي حاشونا عن بعض - سواء بخوف أو بغباء أو بقله أمان، مهما كانت حسن النية - أو غيرهم؟ وبرضه التمثيلية إدت الفرصة لمحاولة إزاحة أى حاجز تانى "اللى يتشدد له"، أى حاجز يبرر الوحدة والانسحاب والشك والكلام ده كله؟ مش ده اللي حصل؟

د . نهى: يمكن ، مش عارفة

د . يحيى: إحنا اتكلمنا فى الجروب عن الفرق بين "غصين عن اللي يتشدد لك"، وبين "غصين عن أهلك" مش كده يا منى

د . منى: أيوه

د . يحيى: أظن اللي بان من اللي حصل هو إن كلمة "اللى يتشدد لك" كانت بتشاور على كل العوامل اللي تحول دون انطلاق هذه الحقيقة البسيطة اللي اتعرت من التمثيلية، أما غصين "عن أهلك"، فيمكن بتشاور أكثر على السلطة الوالدية أو ما يعادلها اللي بتحول دون التواصل الإنسانى بينا وبين بعضينا حاجة كده، قصدى زى ما باكرر باستمرار ، زى خلقة ربنا

د . محمد: يعنى إيه ؟

د . يحيى: بصراحة يا محمد أنا باخاف أخش فى المنطقة دى، مع إن مستحيل تجنّبها، عشان كده كل ما اقرب لها أشاور على حدة منها، واكتفى بكده، أصل إحنا ربنا حطنا فى منطقة معرفة صعبة قوى، إحنا ، قصدى الدكاترة النفسيين اللي عايزين يعرفوا، بنشوف البنى آدم عريان وهوه بيتفركش، ويتشكل من خم الحى، إحنا بنتعرف عليه باستمرار، ما فيش حاجة ثابتة زى ما بيفرضوها علينا فى العلم، أو بالتفسير الجاهز من أى مصدر، الأصل عندى هو نقطة بداية مش أكثر، والفطرة، اللي هى خلقة ربنا هى حركية مستمرة عبر رحلة تطور عظيمة وصعبة ورائعة، هى قانون حركة البقاء، وفى حالة الجنس البشرى، يبدو لما اكتسبنا الوعي وكلام من ده، اخترعنا حاجة اسمها الحب، والقدرة على الحب، وابتدينا نشوف الصعوبات اللي حوالين الحكاية دى، بما فى ذلك ضرورة الكره، ما انت عارف إن الكره علاقة برضه، وإنه هو جزء من حركية الحب زى ما قلنا ألف مرة، الكره مش عكس الحب، وأنا كتبت فى الموقع كلام كتير من ده،

- نشرة 1-7-2008 [نحن نخاف من الحب...!! وننكر الكراهية!! إذن ماذا؟]،

- نشرة: 22-7-2008 [عن "الكره" و"الكراهية" خرة شخصية حديثة !!]،

- نشرة 19-8-2008 [مقدمة عن الحب والجنس ثم: تجليات الحنان]،

ولعبنا ألعاب كثر مع أصدقاء الموقع

- نشرة: 2008-7-15 [هل تمَّ وجدان جديد يتخلق: "ألعاب الحب"]،

- نشرة: 2009-9-24 [حتى لو ما حدث بحي: أنا من حقي...،]

وجبنا عينات من العلاج الجمعي دى، عايزن أقول لك إيه أكثر من كده، أنا بصراحة باحذركم من سوء استعمال الألفاظ فى المنطقة دى، ومن تحوير كلامى أو سوء فهمه، أقول ربنا تاخوها ربنا بتاع السلطة، وتبعده عننا سواء فى السعودية أو فى الجامع، أنا ربنا قاعد معانا هنا ودلوقتي، أنا باترعب لما اضطر أستعمل ألفاظ دينية شائعة، على طول بتوصل الناحية الثانية غالباً، مش بس الدين، آجى أقول الطفل اللي جوانا يتقلب طفل بتاع المرقعه والسببان والرضاعة والاعتمادية والكلام ده، خلوا بالكوا اللغة عملية متحركة ومسئولية، إعملوا معروف. بس أنا حامل إيه؟ حاجيب لغة منين؟ ما هو ده طفل صحيح بس مش لوحده، وده ربنا صحيح بس مش اللي هو استولوا عليه الرؤساء والمفتيين اللي واخدينها من على الوش، كده ما ينفعش

د. محمد: ما هو كل واحد بيتهياً له خلقه ربنا زى ما هو عايز، أو زى ما قالوا له

د. يحيى: بصراحة: الله نور، بس انت بتشوف هنا بعينك إحنا بنعمل إيه، يعنى بتشوف إحنا بدأنا النهارده بشحابة الحب، عَزِينَاها لقيناها باجحة ومُذلة ومش نافعة، قلنا صفقات، مشيت شوية بس مش مضمونة برضه، فجأة "مى" فتحت لنا فتحة وصلتنا للأصل، قلنا نجرب.

محمد: وليه ما نسميهاش حاجة تانية، إشعنى خلقه ربنا

د. يحيى: سميتها زى ما انت عايز، ما انت عارف أول الاتناشر خطوة فى علاج وتأهيل المدمنين يقول الواحد منهم: سلمت أمرى لله "كما أعرفه"، أو "كما أراه"، حاجة كده، يعنى ما يصحش نقف عند اللفظ ونقعد نتناقش فيه واحنا قاعدين على المكاتب، **إحنا بنشوف هنا ازاي فيه وعى بيتكون فى وسطينا واحنا حواليه، بناخد وندى منه، وبنشوف ازاي الوعى الجمعى ده بيبقى متصل بوعينا، واحنا جزء منه، وفى نفس الوقت بنحافظ على استقلالنا بوعينا، الحاجة اللي انا شخصياً بازودها بقى، مش بافرضها، هى إن الوعى الجمعى المشترك اللي بيتكون ده بيتصاعد بالتدرج وباستمرار من غير ما نحدد مدى تصعيده ولا مسار تصعيده، مش ده أساس العلاج الجماعى برضه؟ أنا عارف إن مش كل الانواع اللي جارية فى العالم بتتدرج لحد حكاية التصعيد دى، إنما أهو كل شيخ وله طريقة، وكل شيخ وله لغته برضه، وكل ثقافة ولها متابعها.**

د. محمد: بس لازم فيه لغة مشتركة

د. يحيى: طبعاً، إنما ما حدث يفرض أى لغة أو أى تفسير ينكر اللى جارى قدام عيني وعينك، إحنا مش حانوقف الجروب ونقول لهم إيه هوه تعريف الفطرة، ولا إيه هى برامج التطور، ولا يعنى إيه ربنا، إنت شفت هالة لما حصل التغير مهما كان بسيط، وطلبت منها تقول "الحمد لله"، أنا مش كنت بأذروش، أنا كنت باشاور على فضل القوة الضامة المركزية، إالى سمعتنا لحد ما تكونت الحاجة المشتركة بيننا، واللى أنا رأي هي إنها اللى بتميز الإنسان المتواصل بشرا بحق، أنا بقى باشوفها وباعاملها موضوعيا على إنها حقيقة واصله لربنا، وإن تدعيمها ممكن بكل شىء بنعمله صح عشان يعشق اللى شفتنا نفسنا اتخلقنا بيه أو عليه، واحد تانى يشوفها زى ما هو عايز، يسميها زى ما هو عايز، بالنسبة لى دى حقيقة موضوعية ومفيدة، وده يكفى، إنت عارف علاقتى بالتفسير العلمى للقرآن، أنا ضده مائة فى المائة، إنما الحقائق الموضوعية لما تتوازى مع الوعى الإيماني اللى انا باستلهمه من فطرتي، ومن ديني، زى ما كل واحد ممكن يستلهمه من دينه أو من مطرح ما هو عايز، الحقائق دى لما تبقى مفيدة، تبقى مفيدة، إحنا هنا جربنا إن خلقة ربنا معمولة عبر ملايين السنين - عشان نبقى بنى آدمين- بتسمح إننا نحب بعض، يبقى ننميها، يجي بقى الأهل خايفين أو مغتربين يحزنوا الطاقة دى من خوفهم أو طمعهم، ندعس احنا عليها، ونمد إيدنا ناخذ منها غضن عن "أهلك"، أسف عن الأهل اللى عملوا كده، تيجي عوامل تانية تساهم فى وضع الحواجز أو تقفل المخازن، يبقى غضن عن "اللى يتشدد لك"، أنا وصلتنى "اللى يتشدد لك" على إنها أى عوامل تحول دون أن نحب بعض بالمعنى البسيط ده .

د. نهى: بس دى حاجة زى ما تكون مثالية كده

د. يحيى: يمكن ، ويمكن لأه، يعنى الشحاتة هي اللى واقعية قوى ؟ يا شيخة!! ولا المذلة؟ خلى الصفقات على جنب، لأن احنا ما هاسمهاش قوى، باين إن هي دى البضاعة الحاضرة، بس باضيف عليها كلمة إن الصفقات مقبولة لأنها "مرحلية"، مادام إحنا ما شيين فى السكة اللى بنقول عليها النمو وكلام من ده، أصل انا لما اشتغلت فى منطقة فطرة برامج حركية الإيمان، ولسه ما نشرتهاش إلا فى مرة فى مؤتمر على باور بوينت، شفت إن العلاقة بين البشر فى وضعهم الحالى، وهما بيحملوا كل تاريخ الحياة، والكر والفر، والاستغماية والانقراض والكلام ده كله، وبعدين وهما بيحملوا كل تاريخ الإنسان بما حوى من معارك، وظلم، وإبادة، وجنس، ومحارم، وقتل، وإغارة، وده تاريخ رائع مرعب فى الأساطير، بعد ده كله لقيت إن ما ينفعشى نمسك اتنين نقول لهم حبوا بعض جدا بالبلى كده وهما شايلين كل ده جواهم، يعنى إيه "نعلم العيال إن" على الإنسان أن يحب أخيه الإنسان؟"؟ بأمارة إيه؟ إذا سطحنا الحكاية كده هما يا إما هاكذبوا، يا حا يبقى حب مؤقت عمره قصير، يا حايوقفوا وماعادوش يتحركوا نحو بشريتهم الحقيقية وسط بشر مثلهم فيه عامل بيجمعهم، لما أنا شفت الصعوبة التركيبية دى، بحثت عن جماع ده كله، لقيت الحركة

والجدل والكلام ده داير على ودنه، بس مش بشكل عشوائي يعنى ولا سطحى، لأ بصيت لقيت إن عشان نستحمل تاريخنا ده إحنا مضطرين نتناغم مع مستويات أعلى فأعلى من الوعى أكثر إحاطة وأتقن برامج، وأنجح حركة، هى مش بعيد عن تركيبنا، هى بتبدأ مننا وتتناغم مع دوائر أوسع فى أوسع، بصراحة كفاية لخد كده، الظاهر المسألة بقت تنظير بايخ،

د. نهى: حضرتك كده صعبتها وسبتها

د. يحيى: أصل أنا باخاف وأنا باقرب على المنطقة دى، أنا عادة باتوقع انكم تستسهلوا وتفهموها غلط، مع إنى باكرها كثير غصين عنى، إحنا صنايعية لنا هدف متواضع، إحنا المقياس اللى عندنا هنا هو مصلحة العيان، مسيرة العلاج، وبنقيس صحة الفروض بتاعتنا بنتائج اللى بنعمله حته بجهته، وعلى فكرة المنهج بتاعنا ده هو ضد المقارنة، وضد اثبت لى واثبت لك، دا منهج تانى خالص، اللى عايز يشوف يبجي يشوف، ما لوش حل تانى، وأنا مجربتى فى النقد باقول إن الإبداع الأدبى، وكل أنواع الإبداع بينى وبينكم، بيلعبوا صح فى المنطقة دى، أنا باشوف الحاجات دى فى الإبداع وفى المرضى، أكثر ما باشوفها فى الكتب، النفسية، وبصراحة الفلسفة عاملة شغل كويس برضه.

د. محمد: طيب، إحنا شغنا الفرق ما بين الشحانة، وما بين مد الإيد واقتحام لمخزن الخب من غير استئذان، ده بقى حايנفع الدكتوراة "مى" بإيه، وحاينفع الدكتوراة "منى" بإيه، وحتى حضرتك؟

د. يحيى: باللى انت شفته عيني عنيك، ثم إننا يا أخی زى ما انت عارف، ما بنقيسشى كل خطوة بكذا وكيت، ماهى النقلة من الشحانة، لتبادل الخب من غير تردد ولا حرق، ولا حتى صفقات غير صفقة قعدتنا مع بعضينا ساعة كل أسبوع لمدة سنة، النقلة دى، لحنها بمحمد الله عشان هو خلقنا بعد رحلة التطور دى كلها كده، خلقنا قادرين نستحمل كل تاريخنا ده، دى حاجات ما تترصدشى أول بأول، بالتراكم بتظهر النتائج فى حينها، وساعات ما يظهرشى أثرها إلا بعد سنين. وبعدين خلى بالك ساعات الحاجة تبقى صح، ولو إنها تبان صعبة أو مثالية أو أى حاجة من اللى انتو بتقولوا عليها، لأن غيرها زفت، هو فيه إيه عندك بدال اللى حصل ده، شحانة الخب، ولا خطفه، ولا سرقته، ولا إيه بالظبط؟ خلى الصفقات على جنب من فضلك، بس الزمن بيرجع يفلى فيها خلى بالك، ولما عمرها الافتراضى ينتهى، بتحتاج النقلة دى.

د. منى: بصراحة الشحانة لما اتعزت قوى كده، واحنا كلنا بنشحت عمال على بطال، حا تخلى الواحد يفتاس

د. يحيى: بصراحة آه، خصوصا إن ليها أشكال كثيرة ما اسمهاش شحانة، هى ساعات بتستخى فى صورة مجاملات، وعلاقات عادية، يعنى مثلا لما واحد بقى يعنى ويوصل لمراته، أو حبيته، أو صديقه إنه عيان قوى قوى، وهو مش عيان أوى ولا حاجة يبقى بيشتحت، وهكذا، ثم خلى بالك يا منى، إحنا مش بنرفض الشحانة من منطلق أخلاقى، إحنا بنرفضها من منطلق

نفعى، يعنى شايفة مع هالة، هى الشحاتة نفعت؟ لونغعت ما كانت بطلت، ما هى كل مرة عمالة تشحت بعوجة رقبتهها، وبأنها عايزة تموت، والنهارده أعلنتها: عايزة حب، رحنا لاعبين "حبة حب - عند الجارة" راحت الحكاية مفقوسة. المفروض إن الحاجة لما ما بتنفعشى بنبطلها، فى المرض ده ما بيحصلشى، إحنا بنقع نكرر نكرر نكرر وما بنزهقشى، وحتى يا شيخة فى الحياة العادية، زى ما انتى قلتي، هوه احنا بنعمل حاجة غير الشحاتة ، مش انتى اللي قايلة كده، وادى احنا شغنا إنها مش نافعة، يبقى نكررها ليه؟ المصيبة بقى إن حتى أبسط القواعد السلوكية احنا ما بنحاولشى نطبقتها ونتعلم منها، يعنى الشحاتة مش نافعة، والصفقات عمرها قصير، طب نعمل إيه واحنا بشر، تيجى تظهر لنا حاجة بسيطة وحلوة غير ده وغير ده، نقول عليها مثالية وصعبة ومستحيلة، نعمل إيه، ما هو لازم نتعلم من واقع الممارسة مش بس من الكتب ، وزى ما انتى شايفة المسألة مش مسألة كلام، إنت لو قلت لهالة النهادة ألف مرة "أنا باحك"، حاتنفع؟ مانتي شفتى وعارفة، وبره الجروب برضه، الصفقة حاجة تانية، أنا مش بدافع عندها، هى مش غاية المراد، إحنا اتعلمنا من إبراهيم إنها جاهزة لكن عزمنا عليه يعديها فعداها، إبراهيم زى ما لاحظت، هوه ابتدا بيها جوا الجروب ، "أنا أحب هيام تقوم هى تحبني"، يعنى، ومع ذلك ما رضيناش بيها، لأنها مش حل، لأن **عشان الصفقة تبقى جيدة وعمرها أطول شوية** ، يبقى لازم يكون فيه حاجتين، عدل، وعدم وجود شروط خفية من تحت لتحت، ساعات يسموه **تواطؤ غير معلن**، إذا كانت الصفقة عادلة إنت بتدى 5 بتاخدى 6 إنتى بتحترمى تسعة بيحترمك ثمانية ، يعنى فروق ملحوقة كده، بالشكل ده عمر الصفقة بيطول شوية، **الجماعة الخبيبة تجيب لهم سراة الصفقة دى يركبهم العصي**، تقولى عدل مش عدل، **تواطؤ مش تسهيل لهم**، حد طايل، الصفقة الصبح لازم تكسب الطرفين إنسانيتهم أكثر فى أكثر، الصفقة ساعات تتقلب شحاتة، وساعات تتقلب استغلال، لو إن العدل غاب، المصيبة لما الشحاتة تبقى سرية متبادلة، دى تبقى صفقة أخبث، عادة بتتم على حساب الأضعف، والمجتمع اللي بيظهر المرأة على ودنه، بيخليها خسراة فى الصفقات السرية دى خصوصا، وبرضه فى العلنية بينى وبينك، إلا لو لخت نفلسها، والأدهى عشان الراجل أخيب من كده مفيش، السرية والتواطؤ ما بيخلهوش يشوف الخسراة اللي هوه متدبس فيها لما يغيب العدل، ويعمى الوعى.

د . منى: طب نعمل إيه؟

د . مجيى: ما انا قلت، نرجع خلقة ربنا، ومش بالمعنى الدينى الخرفى، لاه، بمعنى الحركة نحو العامل المشترك الأعظم اللي بيتخلق ما بينا بالعدل والوعى، اللي بيخلينا بشر نستاهل تكريم ربنا واحنا بنتجمع بيه وحواليه وإليه، إنت عارفة أنا باكرر حكاية "اجتمعا عليه"، و"افترقا عليه"، وبخاف لتحسبوا إن ده تفسير علمى للدين وكلام من الكلام الخائب ده، أنا وقفت قدام "افترقا عليه" دى سنين طويلة لحد ما فهمتها وانا بامارس العلاج الجمعى بالذات، "اجتمعا عليه" ماشى،

أدى احنا ينجي، ونعمل دايرة ، والقاسم المشترك الأصغر بيتكون ما باناتنا، وبيسحبنا واحدة واحدة للقاسم المشترك الأعظم، ده حسب لغتي، كل واحد يقولها بالطريقة اللي ترجمه، نيجي بقى لحكاية "افترقا عليه" أحس إن احنا واحنا بنرؤح، والجروب بيتفض في نهاية كل جلسة، ويكون الوعي الجمعي اللي على قده ده ابتدا يتشكل ما بينا، أحس إنه بيفضل موصل جيد مع بعضنا حتى واحنا بعيد عن بعض، مش إن إحنا نفتكر بعض بالذاكرة، لأه، ده وعي بيجمع البنى آدمين مع بعض لوحده، أظن ده اللي بيميز الجنس البشرى بعد ما اكتسب الإنسان الوعي والكلام ده، هو ده برضه اللي يعتبر تكريم للبشر، لأنه فيه فعل، وفيه مسئولية، عشان نبقى بشر، ببقى لازم يتخلق بينا وعي جمعي بالعدل والأصول، وعي متصل بوعي أعلى عشان يلهمه، وده مش ميتافيزيقا ولا يحزنون، ده واقع مائل، بيولوجي، ربنا خلقنا قادرين على تكوينه، مجروب مش جروب، أنا عمال أقول "اجتمعوا" لأن الحديث الشريف أصله كده بيتكلم عن شابين تحابا في الله، هنا حقنا نقول "اجتمعوا عليه"، ثم ما تنسيش حرف "في" دي، "في الله" ، دي عندي لها معنى موضوعي، يكاد يكون بيولوجي، ما فيش وقت لشرحه، برضه عشان ما تقولوش تفسير علمي وكلام من ده، أنا باقف كثير عند التلات حروف جر دول: "في"، و "على" و "على"

نرجع مرجوعنا ازاي "نفترق عليه"، تلاقى الوعي الجمعي اللي بيتكون أثناء العلاج ده هو اللي بيلمنا برضه واحنا بنسب بعض، لأننا بنسب بعض تحت مظلة الواسعة جدا، يمكن هي كرسية اللي وسع السماوات والأرض، تلاقينا إذا كانت هذه القوة الموضوعية هي اللي بتجمعنا صح، ببقى مهمنا بعدنا عن بعض كأحاد، فاحنا مستظلين بالمظلة الكبيرة، يعني منتمين للوعي الجمعي تحت مظلة الوعي المطلق إلى وجه الحق تعالى، أنا متأسف، كل ما أحود التحويدات دي أخاف من الفهم الغلط، باخاف من اللي يحترزها لمعتقداته السطحية قوام قوام، وينسى إنها مسئوليته، وإنها مسألة قريبة نابعة منه راجعة له وكلام من ده، أنا أسف مجد،

د. نهى: يعني، يمكن فهمت شوية، لكن

د. يحيى: ستين لكن، ولا يهكم، الأحسن الواحد ما يفهمشي قوى، المهم إن فيه حاجة رائعة في الجنس البشرى ده، وإن العلاقات ما تتأخدش بالبساطة الشائعة، ولا بالاستسهال الجاهز،

د. منى: يبقى ممكن إيه بقى ؟

د. يحيى: والله ما ني عارف، يعني انتي فاكرة إني حليتها شخصيا يعني؟ أهو بنحاول مع بعض، على فكرة أنا مش عارف في بلاد بره بيحلوها ازاي، خصوصا الجماعة اللي بيتوقفوا عند العقل الظاهر، والحرية، وحقى وحقك، وكلام من ده، طبعا هما بيحبوا ويتحبوا والأشيا رضا، بس هما بيراجعوا أنفسهم، مجدنة عمال على بطلان، وبيأخدوا بالهم من حسابات العمر الافتراضي بتاع الحب المتاح، ومعدل التغير، وسرعة التبدل، وارتفاع

معدلات الطلاق، وده مش ضرورى يكون عيب قوى، ولا هو برضه دليل نجاح، إحنا مانترفلسشى ونحكم على غيرنا، واحنا لا عارفين التفاصيل، ولا ناجحين يعنى اسم الله، وعلاقتنا برينا مش هى اللى انا باشاور عليها، دا يمكن العكس، آسف، إحنا اللى شغناه فى الجروب ده هو لحات من اللى عايز أشاور عليه، يعنى هالة مثلا ساعة ما قالت "الحمد لله" أنا اتصورت إنها كانت فى الاتجاه ده، هى صحيح بلغتها بعدها بـ 5 ثوانى إنما أنا شايف فى خبرتى إنها مستحيل تلغىها تماما، مش احنا اتعلمنا كده برضه؟، اتعلمنا إن إحنا نشوف ونستنى ونشتغل وربنا يسهل، أهو اللى شغناه ده هو اللى حصل، والبنية حمدت ربنا وشكلها اتغير، يعنى هوا انا يعنى جيت حشرت فى محها ربنا بالعافية، مش كل اللى حصل إني عزمت عليها وطلعت منها رايقة ومختلفة، يبقى خلاص الحمد لله، ما هو ما حدش يقدر يرصد وفى نفس الوقت ما يقدرشى ينكر الحته اللى بتظهر قدام حواسه عيني عينك، وهى حته بتبان إنها عكس المنطق وعكس الصفقات وعكس المشايخ وعكس العلم وعكس الكتب، مش عكس يعنى ضد، لأه، يعنى مش هيه، بس نبص نلاقيها موجوده قدام عيننا نقول لها لاه ما شغناكيش، يمكن اللى قالته "مى" وكان سبب فى اختراع التمثيلية دى، جه من حته المعرفة الخفية دى، إحنا مش بنجّم، إحنا بنعيش الموجود، ونحترم النتائج، آدى كل الحكاية.

د . محمد: بس دول عيانيين

د . يحيى: قصدك إيه؟ يعنى العيانيين دول مش بنى آدمين ربنا كزّمهم برضه بأنهم بشر؟ دول فضلهم علينا يا راجل مالوش حدود، دول مش بس بيعرفونا يعنى إيه مرض، **دول بيعرفونا يعنى إيه بشر**، بيعرفونا أنفسنا يا راجل، ثم خلى بالك إحنا فى قصر العيني، وأغلبهم يا ما بيفكش الخط، يا ما كملشى ابتدائى، ونادر اللى عدى ثانوى، وناس غلابة وولاد حلال، بغض النظر عن التشخيص، ثم إحنا بندور على إيه؟ بندور على التحقق من اللى احنا شغناه، لقينا هنا فكرة، فرض طلع لنا لوحده لما شغنا بشاعة الشحاتة، وخيبة السرقة، وحسينا قصر عمر الصفقات، قام إيه، قام طلع لنا فرض بيقول: " **إن ربنا خلق البشر، خلق الناس، وفيهم ميكانزم، بروجرام إنهم يجوا بعض، وإن فيه حاجات إحنا عملناها فى نفسنا خبّت ده، أو منعته، أو صغّته، حاجة كده، فجّعنا حب وشوفان**"، فراحت "مى" ربنا يكرمها رازعة التمثيلية، رحنا شايفين اللى شغناه، ننكره بأمانة إيه؟ إنه مش مكتوب فى الكتب؟ يا صلاة النبي، مش ندور ازاي نستفيد منه يمكن نبطل شحاتة وكذب، مش يمكن نعرف فى الزنقات اياها نقول: **الى ما بيحجنيش ان شالله ما حبني، ما هو بيحجني برضه غصين عن أهله، وعن اللى يتشدد له**"، حلوه دى!! بس أنا قلتها يا دكتور محمد بالتمثيل الصامت معاك فى الجروب ساعة ما مسكتك من قميصك، أوريهم التمثيل الجد يبقى ازاي، ووصلك الكلام من غير كلام، مش كده؟ واهو انت اهه عمال تحبني دلوقتي غصين عنك وعن...

د . محمد: لأ بلاش، مش غضب عني ولا حاجة،

د . يحيى: ربنا يحليك

- هذه الروابط مضافة عند التحرير كتابة طبعا لتسهيل الرجوع إليها لاصدقاء الموقع.

الخميس 19-11-2009

811- مرة أخرى: عن المنهج والموضوع



(قبل التمداد خارج الفكرة الخورية، ثم: بعض الحوار)
مقدمة

مرة أخرى، ليست أخيرة غالبا ، أعود لتوضيح منهج ومسار هذا العمل، حتى يمكن أن يثريه الحوار كما أملنا:

المسألة ليست طرح نظرية جديدة متكاملة للمناقشة، بقدر ما هي استلهام فروض عاملة من نصوص حية وإبداعية، هذه النصوص نابعة من ثقافتنا أساسا، العربية عامة، والمصرية خاصة، والإيمانية عمقا، وهي بذلك تأمل أن ترسم خطوطا وتشكيلات واعدة لنظرية في الإنسان، وربما لمنهج في الحياة، يتناسب مع هذه الثقافة، ليتكامل مع ثقافات أخرى تثريه ويثريها.

مصدر هذه الفروض تبدأ بالنص البشري: مريضا أو غير ذلك، وتمتد إلى نصوص إبداعية للكاتب بوجه خاص، ثم ما يثريه الحوار الناقد لهذه المادة تحديدا،

وعلى ذلك، فإن الالتزام بالمصدر الأصلي للنصوص المحددة، ونقدها هو الخليق بأن يجعلنا نواصل معا استجلاء الفروض، ولا أقول تحقيقها، فهذا أمر سابق لأوانه إن كان ممكنا أصلا.

ما وصلني حتى الآن من تعقيبات وهو قليل جدا، هو طيب وكرم ومفيد، لكنه يحتاج إلى إنصات، واستمرار ومناقشة، نرجوا أن ننجح في ضبط خطاها، وتوجيه مسارها معا بشكل أو بآخر.

وبعد (1)

كنت قد أتهيت دعوتي للمشاركة في الحوار (2009/11/4) بهذه الجملة:

"وفي انتظار إسهامات أخرى، آمل أن تكون مختصرة ما أمكن، بما في ذلك إسهامات الصديقة التي أثارت كل ذلك الحوار".

إلا أن ما وصلني حتى الآن لم يكن إلا إضافات محدودة ، أساسا من الزميلين الذين اشتركوا في فتح باب الحوار مع الصديقة أ. أمل، أكثر مما فعلا مع النص الأصلي للنشرة المعنية (أو لسائر النشرات)، كنت قد أجلت التعقيب على تعقيبهما انتظارا لرأى صاحبة الأطروحة الناقدة الذي لم يصلنا حتى الآن.

نشرة اليوم هي عودة إلى لفت النظر إلى طبيعة العمل وحدوده وذلك بعد أن شعرت أنه من ألزم اللازم أن نحدد معا "كيف" و"إلى" "أين" حتى لا يخرج بنا الحوار عن المسار.

لهذا سوف أخصص أغلب نشرة اليوم لبعض ذلك، مع تعقيب ختصر على ما أجلت التعقيب عليه منذ أسبوعين.

بداية باكرة لها دلالتها

جاء في النشرة رقم 26 بتاريخ 26 سبتمبر 2007، (أى منذ أكثر من عامين كاملين) مايلي:

التواصل بين البشر ضرورة وجودية بقائية، ليس فقط لحفظ النوع، وإنما لتأسيس الإنسان توجها لمسيرته التطورية الرائعة،

هو ليس اختيارا ثانويا.

الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا تواصل مع إنسان آخر،

" طيب" ..، والحيوان؟؟ الحيوان يعيش بشكل جماعي منظم، بغرائز بقائية تصل في رقتها أحيانا إلى ما يمكن أن يتعلم منه الإنسان، نحن لا نعلم شيئا ذا بال عن الجزء الإرادي في هذا التعايش "معا ولا عن درجة الوعي بهذا التعايش.

يتميز الانسان - دون سائر الأحياء التي نعرفها - باكتسابه "الوعي" وما يترتب عليه (وبالذات: من الحرية أو الإرادة أو حمل الأمانة أو ماشابه)

التواصل لا يتم من خلال العواطف تماما أو فقط (خصوصا لمن يتعامل مع العواطف والانفعالات على أنها نوع من "الدوافع" أساسا) وإنما هو يتعلق بجزئية الوعي كله، بكل مستوياته (بدءا بالجسد إلى الوعي الإبداعي الفائق).

نبدأ بما يميز الإنسان من حيث هو إنسان حتى نتعرف على بعض إشكالات التواصل الذي يميز الإنسان إنسانا

الإنسان هو:

هو كائن حي يتمتع بالوعي، وهو يعرف ذلك: يعرف أنه واعٍ (الوعي بالوعي)

ولا يكون الإنسان إنسانا إلا بجزئية تربط هذا الوعي المركب بوعي مركب آخر (إنسان آخر) يحمل نفس المواصفات.

على أى مستوى يتم التواصل بين البشر؟

(خاصة التواصل الثنائى الذى أظهر تجلياته التى تتبدى فيما يسمى: "علاقة حب"، وتقليديا: فى "الزواج"؟)

هل يتم على مستوى نفعية العقل المنطق النفعى (صفقات عقلية أو معقلنة؟ صفقات شريفة أو مشبوهة)؟؟

أو على مستوى العواطف والأجذاب المتبادل (وهو أرق ما يوصف به التواصل)؟؟

أو على مستوى الحوار الفكرى والنقاش اللفظى؟

أو على مستوى الغرائز والمتعة المنفصلة (رشوة جنس أو صبيرة عشق فى انشفاق متبادل)؟

أو على المستوى الأخلاقى والدينى: العطاء والرعاية والمسئولية والعلانية والأوراق؟

أو على المستوى القانونى والشعارات: تنظيم المصالح ، وحقوق الإنسان ، وحقى وحكك، (ومثل هذا الكلام)؟

قبل أن أحتم كلمتى يقفز سؤال لا يمكن الهرب منه يقول؟ هل حلت أنا شخصا - فى حياتى الشخصية - هذا الإشكال؟ طبعاً لا؟ إذن فماذا؟ إذن فهذا!! يبدو أن هذا كل ذلك كان فى بؤرة وعيى وأنا أفتح على نفسى هذه الفتحة فى كتابة اليوميات يومياً "الإنسان والتطور".

وبعد (2)

بكل هذا الوضوح، ومنذ أكثر من سنتين فتحنا ملف "العلاقات البشرية"، وظل عرض الحالات يتوالى والألعاب النفسية تنوع؟ والحوارات تجرى بكل نشاط فى هذه المنطقة بالذات، حتى وصلنا إلى "شرح ديوان أغوار النفس" "فقه العلاقات البشرية"

فهل يمكن أن يبدأ الحوار الآن من هنا فحسب؟!

ثم إلى مقتطف أخير من آخر نشرة رقم (810) 2009/11/17، أمس

..... وهى مناقشة ما دار فى جلسة للعلاج الجمعى مؤخرا (منذ أسبوعين) كدعم ، لبعض جوانب الفروض المطروحة فى هذا العمل،

جاء فى المقدمة ما يلى :

... تحول العمل ليصبح ذا ثلاثة منطلقات، أو ليسير على ثلاثة مسارات:

الأول: شرح المتن الشعرى، وهو ما نتابعه كل أربعاء غالباً...

الثاني: هو الاستطرادات الداعمة، أو المكملة، أو المصححة أو الناقدة للمتن الشعري وقراءته وإجاءته، سواء كان ذلك من نص سابق للمؤلف، شعرا أو نثرا أو تنظيرا علميا، أو من مقتطف واقعي من حالة إكلنيكية معروضة (حالات وأحوال)، أو جزءا من حالة مناقشة (التدريب عن بعد)

الثالث: هو حوارات الأصدقاء التي تدور حول هذا وذاك، وهذا ما بدأت محاولته اليوم الذي يبدو أنه لن يكمل.

وبعد (3)

من هذا المنطلق يصبح المطلوب هو الالتزام بمناقشة هذه المحاولات تحديدا التي تستلهم نصوصا حية أكثر مما تستند إلى آراء وتنظرات واجتهادات وآراء رائعة وضرورية، لها مجالات أخرى ومناهج أخرى

ما بين هذه البداية الباكورة، منذ أكثر من سنتين والإيضاح المنهجي الأقرب (أمس) ظهرت نشرات كثيرة كثيرة تتناول نفس الموضوع وتنبيه إلى ترامي مراميه، ومن مثل ذلك نقرأ معا الآن مقتظفا من **نشرة (رقم 775) بتاريخ 14-10-2009، بعنوان الشغل في المستحيل (أن يجب أحدا الآخر بما يليق بالكائن البشرى المعاصر)**

.....

.....

هيا نوجز الإشكالة هكذا:

فروض مستلهمة

المستويات العشرة للعلاقات البشرية

المستوى الأول: الجذب النداء والانعذاب الذاهل.

المستوى الثاني: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الحر معا - أحيانا.

المستوى الرابع: تبادل الاعتمادية

.....

.....

المستوى الخامس: انتشار الفرحة تواسلا إلى محيط من البشر أوسع فأوسع.

(وهذا يحتاج إلى تعرّف على مانعنيه بالفرح والفرحة حالة كونهما وسادة المشاركة معا)

المستوى السادس: جدل النمو .

(فننتبه إلى أن الجدل الذي يستحيل التحدث عنه دون اختزاله أو تشويهه ، هو حقيقة ما ممارسه فعلا دون تسمية ، "لنكون فنصير" ، رضينا أم لم نرض)

المستوى السابع: إعادة الولادة .

(وهذا ما يجعل تقييما للتواصل البشرى بما يتبقى منه، وليس فقط بما يتحقق به مؤقتا)

المستوى الثامن: الامتداد إليهم (الناس) خُدا .

(ف نجد أنفسنا في دائرة الوعي الجمعي، وهو شرط لا بد من توفره يكون القاسم المشترك الأعظم الذي يبرر تحققنا أفرادا بشريين)

المستوى التاسع: الألم الخلاق كدحا إليه .

(تمتد بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعي المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعي الكوني المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى) .

المستوى العاشر: إعادة دورة جدل الإيقاع الحيوى في نبضة جديدة على مستوى أعلى، وهكذا .

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطأ مستقيما أو درجة بعد درجة، بقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية تجعل المستحيل ممكنا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

فهل يا ترى من أشار في تعقيبه إلى المستويات الثلاثة الأولى لا أكثر، يمكن مناقشته دون إحالته إلى المستويات السبعة الباقية التي لم نتناولها بعد؟

وهل يا ترى من ناقش أو سوف يناقش هذه النشرة سوف يرجع إلى النشرات الأقدم حتى تكتمل الصورة؟

أنا أزعم أن أحدا لا يجاورني، ويبدو أحيانا أنني أشكو من ذلك، وهأنذا أعترف أنني أخطأت، لأنني اثبت الآن أنني السبب في ذلك، وربما على أن اواصل إثبات رؤيتي شاكراً حامداً كل من لا يجاورني، بقدر ما احترم منصتا لكل من يجاورني.

وبعد (4)

دعوني أختم الآن هذه النشرة اليوم بمحاولة تعقيب موجز على الصديقين الذين اشركا في التعقيب على مداخلة الصديقة أ. أمل محمود، ولم أرد عليهما في حينه، معتذرا للكريم أ.د. صادق السامرائى وأنا استسمحه أن أوجل ردى عليه إلى الأسبوع القادم

تعقيب على التعقيين

(ملحوظة: من الأفضل طبعا أن يرجع القارئ أولا إلى كامل التعقيب الذى نشر في 2009/10/30 حوار/بريد الجمعة لأننى سوف أكتفى بتعقيب سريع موجز بعد اثبات مقتطفات محدودة أتبعها برأيي.

د . مدحت منصور

"... يمكن تجاوزا اعتبار أن لكل سالب موجب يكمله فيما عدا كروموسوم (Y) المحد للجنس الذكرى يكمله كروموسوم (X) الأنثوي و الذي نعتبره سالبا ليكون تركيب المرأة المحد للجنس (XX) مقابل (XY) في الذكر..". .. إلخ

د . يحيى

.. آسف يا مدحت، ما هذا؟ اصبح لى أن أقول لك أن المسألة بالنسبة لى على الأقل يصعب اختزالها إلى سالب وموجب، خاصة أن ما شاع وظهر على سطح وعينا هو أن الموجب هو إيجابي وأن السالب هو نقص وسلبى، وكل هذا اختزال لا يساعد فى فهم المرأة أو الرجل، مهما أكدنا على التكامل وكلام من هذا، بل إن هذا التكامل السكونى (سالب - موجب) لم يعد صالحا حتى فى فهم العلوم الطبيعية بالمفهوم الكموى الأحدث يا أحيى،

كما انتهز الفرصة للاعتذار للصديقة أ. أمل حيث كان عنوان مداخلتها "الخب يصنعه البشر، والخبز يتسوله الفقراء" فقد حذف الفقرة الأولى خطأ مكتبى، وهى فقرة تعنون رؤيتها أدق وأشمل.

د . مدحت منصور

.... فلماذا نتحدث دائما عن مساواة بالمعنى الحسابى و ليس المساواة بالمعنى التكاملى التناغمى، المفترض فى الرجل أنه أقوى عضليا و أعلى حنجرة فوجد نفسه مؤهلا للصيد و أظن أن النساء فى الكهف كن يقمن بأعمال تتناسب مع القوة الأقل و الدقة الأكثر كسن النصل مثلا.

د . يحيى

أظن يا مدحت أن ما وصلنى من مداخلة الصديقة أمل لا يركز على المساواة بهذا المعنى الذى وصلك وإنما على العدل، كما أن الفروق التاريخية وخاصة من واقع دراسة الأسطورة التى يبدو أن صاحبة المداخلة ملمة بها أكثر منى ومنك، هى فروق أعمق تاريخيا وأرسخ أصولا، وبالتالي لا ينبغي أن تختزل تاريخ الرجل والمرأة وأدوارهما عبر التاريخ إلى مثل ما وصلنى من كلامك، وخاصة تعبيرك "المرأة فى الكهف"، مع أن ما بلغنى من المداخلة هى أن المرأة لم تقبع فى الكهف أبدا بهذا التصوير الذى ذكرت، إنها قد أدخلت قسرا إلى الكهف المعنوى القهرى الظالم مؤخرا (واعتذر لكما جهلى الشديد بالتاريخ المكتوب خارج الدنا DNA الحى "الآن" وهو الذى استلهم منه

التاريخ الخيوى والبشرى كله وأحاول أن أحسن قراءته في مرضى، ونفسى، وبعض الأطفال والأمين اصدقائى).

د . مدحت منصور

"... نأتى لرحلة آدم و حواء و التي بدأت بالمعرفة و كان أول ما عرفاه الجنس أظن لضرورته في إعمار الأرض و الذي هو جزء من عبادة أولاد آدم لله إن لم يكن الكل ثم جاءت أول جريمة على الأرض من صنع الرجال ليعرف الإنسان الذنب كما تجربنا الأديان و تكون رحلته إلى البحث عن العدل و يصبح الرجل قاضيا و نبيا كما بدأ مجرما، لقد قتل قابيل أخاه قبل ظهور قوانين أو أعراف فكيف يمكن القول بأن الشعور بالذنب مكتسب؟... إلخ

د . يحيى

رجعت يا مدحت إلى أطروحتى عن الشعور بالذنب (الموسوعة النفسية "الذنب" - الإنسان والتطور إبريل 1988) ووجدت أن بها ما يرد على كثير من مقولاتك، وبعض مقولات أ. أمل، وأرجو أن ترجع إليها أن شئت المزيد، وقد تناولت قضية ما هو موروث وما هو مكتسب والعلاقة بينهما في موقع آخر وأنا أتعامل مع غريزة العدوان، دعنى أشكرك لأنك نهيتنى أن على أن أوضح موقفى من أن اقتراح الذنب غير الشعور بالذنب، وهو يكاد يكون منفصلا عنه تماما ربما لهذا لم أربط العدوان بالشعور بالذنب كما فعلت أنت حين ربطت الجريمة الأولى بالشعور بالذنب، بل دعنى أقول لك من خبرتى الاكاديمية إن أغلب من يعانون من الشعور بالذنب لم يرتكبوا ذنبا أصلا، وربما أغلب الذين يرتكبون أبشع الذنوب لا يشعرون بالذنب (نتانياهو ودبليو بوش مثلا)

أما علاقة الذنب بالمعرفة والانفصال عن الوعى الكونى فهذا أمر قد اكتمل عندى من بعد آخر عندما انفتح لى مؤخرا ملف "الموت" كقلمة من الوعى الخاص إلى الوعى الكونى وهو الذراع الثانى لحركية الوجود حيث الذراع الأول هو انفصال الوعى الفردى عن الوعى الكونى.

وهذا أمر يطول شرحه يا مدحت فدعنا نؤجله الآن، فاعذرنى مؤقتا.

د . مدحت منصور

"...نأتى لمنطقة الجنس: فالتقسيم إلى جنس لذى و جنس تواصلى و جنس إبداعي هي عملية معرفية تسهل علينا الفهم و الدراسة... و قد تتحول العملية في أي لحظة بين هذا و ذاك و حتى لو أن ذلك لم يكن ماثلا في الوعى مسبقا و قد يحدث هذا حتى في علاقة عابرة أو مؤقتة، فهل ننكر استمتاع المرأة بالجنس عبر التاريخ و قبل ظهور منظومة الأديان ثم فرض رموزها بعد ذلك سطوتهم على المجتمع في كافة مظاهر الحياة بما في ذلك الجنس"

د. يحيى

أنا معك جزئياً في مجمل ذلك، وأى تقسيم هو تقريب اضطراري عادة وليس فصلاً حاداً، وكل تداخل محتمل وكل نقلة جائزة، بل واردة.

د. مدحت منصور

"...المشكلة أننا لن نستطيع أن نخيئ ذلك الشعور الطبيعي أو ننكره و نصير أنفسنا بأنه سيأتي يوماً لا تصبح المرأة مثيرة للرجل و بالتالي لن يصبح الرجل مثيراً للمرأة و يتم التقارب بشكل لا يعتمد على كيمياء التقارب على الأقل كبدائية و لكن سيتم بالتقييم بشكل أو بآخر.

د. يحيى

حضرتي مثل هذا التساؤل في آخر أطروحتي عن احتمال تكامل الرجل بالمرأة في مجئ تحرير المرأة وتطور الإنسان، إنك حين تسألت عن مصير العلاقة الجنسية إذا تكامل الرجل بالمرأة في داخله وتكاملت المرأة بالرجل في داخلها، فانتبهت إلى حدود أطروحتي لأن التكامل بينهما خصوصاً التكامل بالحوار الجنسي هو من أهم ما يميز الوجود البشري حتى تاريخه، (الآن) أما لو حدثت هذه الفطرة (لا قدر الله - بيني وبينك -) فسوف نكون أمام جنس آخر له قوانين أخرى.

د. مدحت منصور

فهل ينبغي كون الحب فعلاً أن يكون في نفس الوقت احتياجاً

د. يحيى

أظن أنني تناولت العلاقة بين الاحتياج والحب واحتمال النقلة الطبيعية فيما بينهما، وذلك في النشرات الأخيرة، أو ربما في بريد الجمعة بوجه خاص.

د. مدحت منصور

"...مسألة علاقة الرجل و المرأة بالحب لن يحلها أن نبكي أو نتباكى على ملايين النساء و اللواتي ظلمن في الماضي و لن يحلها أن نعمم حكم على علاقات الحب و الزواج بأنها علاقات صفقاتية أو تجارية انتفاعية أو طفيلية فمن خلال هذه العلاقات ستظهر أنماط أخرى على نهج التطور فالتطور لن يأتي من فراغ و لكن سيأتي من الموجود المتاح ، لابد و أن نمضي قدماً على درب التطور خطوة خطوة و أن نتحدث محاولات مجهضة و لكنها سوف تضيف للوعي الجمعي والذي سوف يتراكم بإذن الله العدل لتحدث تلك الطفرة التطورية.

د. يحيى

أليس هذا يا مدحت بعض ما نحاوله هنا طول الوقت

د. محمد أحمد الرخاوي

والله قلبي علينا المواجه وهيجي علينا قضيتنا الخورية قضية الحب الحقيقي وما هيته وادواته وعلاماته وما نعيشه اليوم في هذه المرحلة التطورية الانقراضية من عمر البشر

د. يحيى

أليس هذا التقليل هو فضل هذه المخاولات؟ هل أنت تشكرها أم تلوّمها؟ وهل التعتة إلا تقليبات؟

ثم دعني أصارحك أنني أتردد كثيرا حين يصلني منك يا محمد ما أشعر معه أنك تستسهل استعمال الكلمات المتضادة متجاوزة بهذا الشكل السريع السريع مثل قولك: "المرحلة التطورية الانقراضية" ما هذا؟ أهكذا والسلام؟؟؟

ثم أين المواجه التي تقلبت لديك وأنت جاهز هكذا للحكم والرفض والشجب طول الوقت؟

الحب الحقيقي يا إبنى هو الحب الحقيقي سعيا حقيقيا معاً، ووعياً مسئولا متجددا بكل مستويات الوجود إلى ما لا نعرف مما هو نحن

هل بلغت ذلك قبل وبعد ألفاظك الشاردة البراقة.

د. محمد أحمد الرخاوي

.... وعلاقة كل هذا بماهية زيف ما يسمي الحضارة الغربية الحالية كاحد وجوه العملة ونفاق وغباء ما يسمي عكس الحضارة الغربية في الوجه الآخر للعملة

في الغرب حيث اعيش لا يوجد ما يسمي حب اصلا وهذا شبه مكتوب في دستورهم الغير مكتوب!!!!!!

احبك بأمانة ايه!!!!!!

د. يحيى

يا خير أسود يا محمد!! إيش أدخل الحضارة الغربية حشرا هكذا في مقولة بهذا العموم؟ ما هذا!! من قال لك هذا؟ يبدو أنك لم تذهب إلى الغرب اصلاً؟ أين تعيش يا رجل منذ سنوات؟ إن كنت تعنى بكلماتك هذه أنه لا يوجد ما يسمي حب اصلاً في الغرب فاسمح لي أن أسألك أن تخبرني من الذي أطلعك على هذا السر العظيم، إذا كنت لم تنظر حولك لترى البشر بشرا ينبضون بكل ما هو صادق وعميق، ألم تشاهد السينما التي ينتجونها؟ ألم تقرأ الإبداع الذي يكتبونه؟

أنت هكذا تهدر كل القيم الإنسانية بهذا التعميم الأعمى، ثم دعني أقول لك إن عجزت عن متابعة سطورك بعد ذلك حين أخطت هذا التعميم بقولك:

"أحبك بأمانة إيه؟"

هل تعنى أن الرجل الغربي يقول ذلك لصاحبه أو أن المرأة الغربية تقول ذلك لرجلها ما هذا؟ بأمانة إيه؟ اليسوا بشرا؟ وما علاقة هذا بالنشرة- أو بمداخلة أ. أمل؟

أنصحك يا محمد بقراءة يومية أمس يا رجل نشرة 18-11-2009 "ربنا خلقنا نجب بعضنا البعض، لنبقى بشرا" حتى يصلك كيف يجب بعضنا البعض - خلقة ربنا - في كل مكان وزمان، بأمانة أننا بشر غربا أو شرقا مسلمون، أو هندوسيون، إلى أن قلت فجأة يا محمد وبلا رابط:

د. محمد أحمد الرخاوى

حاجة كدة زي عبد الوهاب لما قالها وازعل منك ليه مانتى بنت قحبة واطية!!!!!!

د. يحيى

لم أفهم - حتى خفت عليك - كيف قفزت فجأة هكذا إلى استشهاد غي بألفاظ قبيحة هكذا، وكيف نسبت تلك المقولة إلى محمد عبد الوهاب الذى اشتهر بالدمائة والرقة بوجه خاص،

الأرجح عندى حتى اليقين أنه لا يمكن اثبات أن محمد عبد الوهاب قال ذلك أصلاً، وحتى لو أنه قاله فإنه استشهادك في غير محله، فهو يتكلم على "أزعل منك بأمانة إيه"، وإيش جاب أزعل منك بأمانة إيه إلى "أحبك بأمانة إيه"،

إن ما وصلنى من هذه الفقرة وهذا التفكك ربما هو الذى جعل بعض الأصدقاء من قراء الموقع يتصورون أنك توجه السباب لكاتبة المداخلة، مع أن هذا غير وراذ ولاهو حتى مرتبط بتفكك كلامك هكذا

يا ترى هل سقطت أسطر في الميل حتى بدا الأمر كذلك؟؟

د. محمد أحمد الرخاوى

يحتنق الناس في الغرب في اليوم الواحد ملايين المرات بسبب هذا الجفاء الصارخ --دون ان يعترفوا به- فيظهر في موجات العنف والتفسخ الاجتماعي والشذوذ الذي (اعترف به وجودا اساسيا)

د. يحيى

لا يا شيخ!!!!!!

د. محمد أحمد الرخاوى

علي الوجه الآخر من الوجود تكثر التشويهات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فيها من رياء ونفاق وبالتالي جفاف حتى لو كان الناس في ظاهرم مجتمعون

د. يحيى

كلام معاد وسخيف ولا ينفع أحدا، ولا ينفعك أنت بالذات

د. محمد أحمد الرخاوي

علي الوجه الآخر من الوجود تكثر التشبهات الصارخة للعلاقات بين البشر بما فينا من رياء ونفاق وبالتالي جفاف حتى لو كان الناس في ظاهرهم مجتمعون

د. يحيى

كعادتك تقفل الباب من الناحيتين فلا يبقى سواك، بكل هذه التشوه يا ابني، حرام عليك في نفسك

د. محمد أحمد الرخاوي

اكرر ما ذكرته في البريد الماضي انه اذا لم يتولد وعي جمعي حتمي فعلي العصر اللعنة والطوفان قريب

د. يحيى

كيف يتولد وعي جمعي من مثل موقفك هذا، كدت أقول بمثلك أو بأمثالك،

يبدو يا محمد أنني ضقت ذرعا بموقفك الصعب هذا الذي يؤذيك هكذا، والذي ما أن تخرج منه لو سويغات حتى ترتد إليه بكل هذا القبح!!!

لماذا؟

لماذا؟ يا ابني

ليس هكذا

الإربعاء 25-11-2009

817-استطواد آخر: بعض تجليات "تسول الحب"



مقتطفات من متن: "أغوار النفس"

مقدمة

مرة أخرى، الله يسامحك وينفع بك أكثر فأكثر يا جمال يا ابن التركي، منذ اقترحت تخصيص يوم مستقل لمناقشة هذا العمل (شرح ديوان سر اللعبة) وأنا أحاول أن أفي بما اقترحت لتيسير الفهم ودفع عجلة الحوار، إلا أنه ترتب على ذلك أن حبل الشرح انقطع لحساب الحوار، وأيضاً، لاحتمال تعديل المنهج.

حين جاء في عنوان الحلقة الأخيرة التي أثارته كل هذا الجدل كلمة "تسول الحب"، توالى الأسئلة تتساءل عن أبعاد هذه الظاهرة التي تتخفى وراء أسماء أخرى لذيدة، أو خبيثة.

وقد استدرجتنا فكرة فضح هذا التسول إلى الاستشهاد بمقطع من جلسة علاج جمعي يجري حالياً في قصر العين، فنشرنا تفاصيل ما حدث حول الميني دراما التي جرت في العلاج الجمعي حديثاً، وبدأت بطلب إحدى المريضات "حبة حب"، ثم أعلنت زميلة شجاعة أنه يبدو أننا لا نفعل شيئاً إلا أننا "نشحت الحبي"، ثم ابتدعت زميلتها المتدربة أيضاً تلك الميني دراما التي حاولنا من خلالها، ثم من خلال المناقشة بعدها، أن نسير أبعاد هذا التسول، سواء من حيث واقعيته، أو من حيث لزوم تجاوزه، كما ظهر في الميني دراما، منذ أن فتحنا هذا الملف والتساؤلات تترى، وأغلبها يرفض، هذه التعرية هكذا.

تذكرون من البداية أنني حذرت من احتمال أن الشرح يفسد المتن، وقد تحقق هذا الاحتمال ولو جزئياً

رحت أراجع المتن كله بسرعة، وإذا بي أعثر على صور صريجه تعرى هذه الظاهرة بشكل قوى، مباشر، وقد لاحظت أن بعض ما صادفتي هو وارد فيما سبق من نشرات، أما البعض الآخر، فسوف نلتقى معه في شرح نشرات لاحقة.

ومع أن أي مقتطف من قصيدة يفقد بعض ميزاته، وأحياناً كل ميزاته، حين ينفصل عن سياق كل القصيدة، إلى أن هذا السبيل قد يكون ضرورة لاستكمال العمل من الناحية العلمية، حتى على حساب بعض جمال الإبداع.

غامرت وخصصت هذه النشرة، لجمع بعض فقرات من المتن لشرح نفس الظاهرة من قصائد مختلفة، حتى ولو على حساب قطعها من السياق.

أنت المسئول يا جمال عن هذا التوقف، والتداعي، والاستطراد، فدعني أشكرك لأنني أتبين رويدا رويدا أن ذلك سوف يكون أكثر فائدة حين نصل إلى نهاية العمل ثم نعيد تحريره لنصدره معا في نسخة ورقية مع إعادة تحريره إن شاء المولى القدير.

أليس هو الكتاب الثانى فى دراسة فى علم السيكوباتولوجى.!!!؟

أورد المقتطفات دون تعقيب، سواء كانت هذه المقتطفات قد وردت مع شرحها في نشرات سابقة، أم أنها ستقابلنا لاحقاً، لعلها تظهر بعض تجليات ما أسميناه "تسول الحب" بشكل مباشر دون وصاية.

المقتطف الأول: قصيدة "الله يا سادى"

.....

الله يا سادى..،

عيل غلبان..،

مسكن تعبان.

بستاهل العطف والشفقة، وشوبة حب.

.....

نفسى اعرجح، وارجع تانى أرضع مالبز،

واتلذ.

عايز ابقى معاكم، شايلبنى شيل،

حتى على خشبة نعش.

هيا بيلا، يا خللى.

المقتطف الثاني: قصيدة "الله بأشادي"

.....

.....

.....

وحامشى ليه؟

ما تبص يا بيه:

دا الكلب بيجرى ورا ديله، نهارو وليأله،

وانا ديلى لافىف جوايا،

ولا حد منكم ويأينا.

.....

مش نِعقل ونبطل نعلم.

واذا كنتو مُصرين قال بعن،

هاتوا حته.

خايف اقرب،

ولا أجرب

خليها مسطورة أنا ف عرضك.

المقتطف الثالث: قصيدة "حمام الزاجل"

اشعنى حسن ونعدما؟

اشعنى بتوع السّما؟

أنا مش قد الحب التانى

وان كان لازم نتطور !!!

نتطور،

ما يضرش.

بس ارجع تانى لعشى،

ولفندى بتاعى،

بطويخ تحت جناحه،

وانا ماسكة الخيط بالحامد،

لنيطير.

المقتطف الرابع: قصيدة "القط"

.....
 قاعد اُصنُتْ، على همس السَّت المِسْ شايقان،

وأَسْهَبها،

وَأَمْسَحْ في كُعُوبِ رِجْلِها.

تَتَمَلَّمِ،

أُخْطَفُ هَمْسَةً "أَيُّوه"، أَوْ لَمْسَةً "يَمْكِن".

وَاجْرِي اتَدَقِّي بـ"تَخْنِي"، وَأَنْسِي الـ"مِشْ مُمْكِن".

.....

أنا نَفْسِي أَصَدِّقُ:

إني مِتْعَازُ.

مِتْعَازُ وَخِلاصُ.

إِنْشَاءهُ كَلَامٌ!!

.....

 دانا جِئلى تَقِيلُ.

مؤالى طَوِيلُ.

والناس مَلْهِيئَةٌ.

.....

نَطَّ مَتَّى، غِصْبَ عَتَّى،

جوعه مَسْعُور، وَعابِرَنى.

.....

 لُيْتَنى، وَيَارِيْتَنى لَقِيْتَنى.

.....

فِئكَ بِأَمِّه؟

نَفْسِي اتَكُومُ جِوَاكِي تَانى،

المقتطف الخامس: قصيدة "القط"

راجع "كما كُنْتُ"

قاعدٌ ساكثٌ تحت سرير السث

حَاخِطُفٌ حَتَّى نَظَرَةٍ،

أَوْ فَتْفُوتَةٌ حُبٌّ،

وَاجِرَى آكَلَهَا لَوَّحْدَى،

تَحْتَ الْكُرْسَى الْـ"مَشْ بَايْنِ".

المقتطف السادس: قصيدة "نايم في العسل"

والعيون التَّانِيَهْ دى بتقول كلامٌ،

زى تحاريف الصيام؛

الصيام عن نبضة الألم اللى تبنى،

الصيام عن أئ شئ فيه المُغَامَزَهْ،

.....

.....

والأفندى اللى لابسها في العسل نايم بيحلم،

.....

شرط إنه لم يخطى أو يسلم

مش على باله اللى جارى،

"إنه عقال يستخبى أو يدارى".

وان وصله، غضب عنه

بِتَرْمَى سَطِخَهُ وَتُطَلَّبُ حَتَّى مِئْتُهُ:

شَرَطُ إِنَّهُ يَجِئِلُهُ فِي الْبِزَازَةِ دَافِيَةً، جَنْبُ فُمَّهُ.

المقتطف السابع: قصيدة "نايم في العسل"

.....

ساح صاحبنا وعام ملزق واترسم،

خَلَّصَ الرُّضْعَةَ، وَمَدَّدَ، وَانْسَجَمَ.

قَائِلُهُ سَمْعًا كَمَا نَ حَيَّةٌ نَعْمُ: كَيْدُ الْعَدَاءِ،

يا سلام!! هوا جَوَاك كَلَّ دَا!؟

أنا نَفْسِي ابْقَى كده؟

بس حئونى كمان.

خُط حنَّه عالميزان.

أصلى متعود زمان:

إنى انام شعبان كلام.

المقتطف الثامن: قصيدة "نايم فى العسل"

"يا أحنينا مَدَّ إيدك

يا أحنينا همَّ حَبَّة.

الحكاية مش وكالة بِنَشْتَرِي منها المَحَبَّة."

قام صاحبنا بأنْ كانه مش ممانع،

بس قاعد ينتظر "بنج اللذاذة"

كله دايب فى الإجازة.

المقتطف التاسع: قصيدة "نايم فى العسل"

.....

قام صاحبنا راح مصدق،

رَاخ مَنَأُوْهُ عرضحال فيه المراد:

".. بعد موفور السلام:"

نفسى حنَّه خُب.. أو حنَّه حقيقه،

نفسى أفهم فى اللى جارى ولو دقيقه،

المقتطف العاشر: قصيدة "نايم فى العسل"

المعلم قاله: "ماشى، بالله بينا"

- بالله بينا!!!؟

بالله بينا؟ على فن؟

دانا مستنى سعادتك.

روح وهات لى زى عادتك.

أى حاجة فيها لذَّة،

الكلام الخلو، والمنزول، ومزَّة.

.....

إوعى تزعل مئى: دنّا عيّل،
باريّل،
لشّه عندى كلام كثير أنا نفسى اقوله،
عايز اؤصف فى مشاعرى وإحساساتى،
واقعد اوصفها سنين،
مش حا بَطْلُ، خايف ابَطْلُ،
لو أَبَطْلُ وصف فى الاحساس حَاجِسْ،
وانا مش قد الكلام دةً.

المقتطف الحادى عشر: قصيدة "التوعة سابت فى الغيطان"

.....

.....

من كُتُر ما انا عطشان بِأَخَافُ أَشْرِبْ كَيْدِهْ من غير حساب!
لكن كمان:

مش قادر أقول لأه وانا نفسى فى نِيدْعَة مِيَهْ من بحر الحنان!

يا هلترى:

أحسن أموت من العطش؟
ولا أموت من الغرق

وبعد

إذا كنا نتحدث عن العلاج النفسى، فإن ممارسة هذا العلاج دون الانتباه إلى هذا البعد الاعتمادى والاستجدائى المحتمل حضوره فى العلاقة العلاجية يصبح تعطيلًا للنمو لا دفعا له.

هذا وقد التقينا، كما سوف نلتقى بهذه المقتطفات فى سياق شرح متن القصائد التى احتوتها مكملة.

وغدا نناقش بعض ما وصلنا بشأننا نقشة هذا الباب كله، وخاصة النشرة التى بدأنا معها فصل الحوار هكذا، وبعض التعليقات الخاصة بها، وبغيرها، (وأيضًا بعض التعميمات بصفة استثنائية).

الخميس 26-11-2009

818- مزيد من التعقيب، وبعض الحوار، (وعوميات مؤقتنا)



دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني) الحلقة (37)

امتداد وقفة المراجعة (2):

الحق في الحب عينة من جلسة من علاج جمعي (منذ أسبوع واحد)
أ. زكريا عبد الحميد

ملاحظة 1: سطور أ. أمل ذكرتنى بكتابات د. نوال السعداوى في شبابها.

ملاحظة 2: تقول السطور "الحديث عن وعي كلي لدى الانسان أمر شديد الصعوبة.."، أعقب بدورى: أليس الحديث عن الرجال كحزمة واحدة أو كتلة واحدة أمر شديد الصعوبة كذلك؟..

ملاحظة 3: وأخيرا جملة "لو اعدنا تربية الأجيال في الحضانات والمدارس والجامعات على فعل الحب" ذكرتنى بواحدة من روايات الخيال العلمى لـ الدوس هسكلى (لا اذكر عنوانها) يهجو فيها هذا الأمر

د. يحيى:

ابتداء، لم أجد وجه الشبه الذى ذكرت في هذه المداخلة مع اجتهادات الدكتورة نوال السعداوى خاصة في شبابها، أنا لا أنكر أن لها فضل ما، لكن التناول هنا هو من زاوية أخرى بطريقة أخرى.

الإشكال يا زكريا هو أننا اعتدنا أن نختصر آراء ورؤى بعضنا البعض إلى أقرب واحد شاعت عنه مقولة بذاتها، فليس كل نصير للمرأة هو "قاسم أمين"، وليست كل من أرادت أن تضع

المرأة في مكانها الأولى بها تاريخاً وحاضراً هي د. نوال السعداوى، هذا اختزال يجرمنا من حسن تلقى واستيعاب الإضافات الإبداعية الحقيقية التي يمكن أن تصحح المسار من خلال جدية وتجديد تناول القضايا الجوهرية، للرجل والمرأة، أو لأى من قضايا التطور والمعرفة، خاصة لو كان التناول نابعا من مصادر لم نألف تناولها بهذا العمق، مثل الأسطورة والتاريخ، ونقدهما، وإعادة تشكيلهما

ثم أحيل ملاحظتك الثانية والثالثة إلى صاحبة الأطروحة، إن تفضلت بمواصلة الحوار، وقد أعود إليك لأقول رأي الخاص إن شئت ووجهت الحديث إلى شخصي.

أ. رامى عادل

الخب هو الروح، اوالمشكاه، القنديل اللى تجلى لرابعة العدوية، حين تجلى، فعرفت الهوى

د. يحيى:

لا أوافقك على اختزال الخب إلى تعريفك هذا هكذا، وربما إلى أى تعريف كان، كما لا أحب أن أحدهه في خيرة رابعة العدوية مع احترامى الشديد لتجربتها وانبهارى بها.

عندى أن الخب غير الهوى غير الغرام غير المحبة، غير كلمات كثيرة رددتها ونحسب أننا نتفق على ما تعنيه، وكل منا له قاموسه الخاص، وهذا ليس عيبا في ذاته، لكن علينا أن نضعه في الاعتبار حتى نتواصل بالرغم من اختلافنا حول تحديده من الألفاظ.

د. مدحت منصور

نريد أن نفرق بين (غضب عنك) وبين الإكراه، فأنا أرى أن "كل شئ بالحناق.." كان يشير إلى الإكراه أما "غضب عنك" التي استعملت في الدراما هنا فهي تشير إلى أنه موجود سواء قبلت أم رفضت، اعترفت أم أنكرت.

كى تحب شخصا غضب عنه هو صعب وبعيد عن مفهوم جيلنا عن الحب و لكن لتشعر بالامتلاء أعتقد أنك يجب أن تتجرد من كل تلك المفاهيم بما في ذلك الرغبة في القرب فتمتلئ فيتخطى الحب امرأة ليضم كل النساء ثم يضم كل الناس فلا تصبح وحيدا فتشعر بامتلاء أكبر يوصلك للخير وربما للإيمان. ولكن تخيلت أنه الخب كما في الأساطير أو في الإنسان الذى ندعى أنه كان بدانيا، يقابلها عند جدول الماء أو البحيرة في سكون الدنيا وسلامها فيحبها ثم تأتي إلى الجدول كل يوم باحثة عنه أو يأتى باحثا عنها ثم تتوالى القصة أو تنتهى بمأساة لتبدأ قصة جديدة.

د. يحيى:

إضافة شارحة، أتفق مع بعضها، وأختلف مع أخرى كما جاء في النشرات الثلاثة، وبالتالي فأنا مازلت أعتقد أننا مازلنا في بداية البداية...

شكرا

د. مها وصفى مباشر

لما مَرَّرت اللى حضرتك بتقوله على العيانيين وعلى نفسى ده لقيته قريب قوى وطبيعى خالص. طيب ليه بقى محتاج كل الجهد ده علشان نطلع من العيان ويستفيد منه بشكل صحى! يمكن علشان المعنى اللى حضرتك ذكرته " إن ربنا خلق البشر، خلق الناس، وفيهم ميكائزم، بروجرام إنهم مجبوا بعض، وإن فيه حاجات إحنا عملناها فى نفسنا خبّت ده، أو منعته، أو صعّبت، حاجة كده، فجّعنا حب وشوفان"

وعلى أى حال سوف أجريها اليوم فى العلاج الجمعى بشكل ما: حكاية الحق فى المعرفة والحق فى الحب.

المهم دلوقت يا د. يحيى أنا باحبك غصب عنك وكنت عايزة أقول لك كل سنة وإنّك طيب ومجرب وعطاء ماشاء الله فى يوم أو أسبوع ميلادك ولكنك كنت مسافر. وربنا يجليك لنا

د. يحيى:

أظن يا مها أننا نكتشف أن أعظم الأمور هي أبسطها وأقربها، كما يبدو أننا حين ابتعدنا عن "خلقة ربنا"، قد لعبنا فى تركيبتنا لعبة غبية فعلا، وما إن نرجع إلى أصل الأصول حتى نجد أن الجمال والسلاسة والحب أقرب من كل ما نتصوره عنها

المهم وصلت هديتك، وتهنئتك، وشكرت صدقك ووفائك، وفرحت بكلماتك واطمأنت أن لحياتى (أو ما تبقى من حياتى) فائدة تستحق

وأنت بالصحة والسلامة

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى) الحلقة (36)

حوار حول هذا العمل، خارج حوار الجمعة

أ. عابر سبيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محاولتكم لسير غور النفس البشرية وفهم العلاقات البشرية لامست تجربتنا الخاصة بدقة، وسؤالنا يدور حول:

ما مدى إمكانية معاودة الكر والفر أو الاقدام والانسحاب لمثل هذه العلاقة رغم وجود بديل للأخر لدى الطرف الأول وتأكيده على موت مشاعر الحب لخبه الأول؟؟؟؟

الواقع يحكى انه يستحيل لكن العقل الباطن يرفض الانصياع لمثل هذا المستحيل !!

فما السبيل لحل مثل هذا الصراع؟؟؟ وما هي الحكاية؟
أفيدونا وجوزيتم خيرا.

د. يحيى:

أولاً: أريد أن أنتهزها فرصة لأنبه الجميع إلى ضرورة التفرقة بين عدة مصطلحات تداخلت في بعضها البعض حتى اختلطت الأمور وهي، "الكر والفر"، و"الإقدام والانسحاب"، ثم "برنامج الدخول والخروج"، وأيضاً "حركة جماع الكره والحب" أرجو أن تتاح الفرصة للتمييز بينها من خلال استمرار هذا العمل، وهذا الحوار:

الكر والفر هو ما يقصد به: الهجوم عدوانا، والتراجع توجسا ومناورة، وهو ما يصف الموقف البارائى الأكثر بدائية

برنامج الدخول والخروج يقصد به ذراعى الإيقاع الحيوى، وهى حركة إيجابية شريطة ألا تنتهى نبضه الإيقاع فى نفس موقعها، فالنوم واليقظة مثلا يمثلان دخولا وخروجا ثنائيا، إن أدبا وظيفتهما بكفاءة، تماما مثل دورات النوم الحالم "ريم" REM تبادل مع النوم غير الحالم، وكل هذا يختلف عن موقف تناقض الوجدان الذى يجمع الحب مع الكره، كما يجمع الكره مع إما سلبا حتى الشلل وإما جد لا حتى التخلق من جديد.

أسف للإيجاز المُخل، لكننا سنعود مرارا وتكرارا لتأكيد هذه الفروق وتوضيحها.

ثانيا:

مشاعر الحب لا تموت، وإن تغير منطلقها ومصبتها،
وطاقة الحب تتجدد باستمرار،

والقدرة على الحب - كما بدا فى جلسة العلاج الجمعى- هى طاقة مرهجة فطريا جاهزة للتفعيل قبل وبعد، مع وبدون موقعة الحب فعلا ظاهرا، هذه طبيعة بشرية بقائية مهما اختلفت التسميات، وتنوعت درجات وعينا بها

ثالثا: إنه لا يحل حب محل حب وإنما يضاف إليه حب جديد يحتويه ويرتقى به (أحيانا بعد التعديل أو التحديث من خلال الخبرة أو الخبرات السابقة).

أ.رامى عادل

فى انتظار قراءة الأسطر الثلاثة المرسله للاستاذة أمل محمود من حوالى اسبعين أو اكثر قليلا، ليس مره ثانيه يا عم يحيى، غضب عن اهلى عايز اشوف سطور عزيزه، من غير ما تعلق

د. يحيى:

والله يارامى لا أدرى أين هذه السطور، ولا حتى أين الاستاذة أمل، سوف أعاود سؤال السكرتارية، الله يساعهم، اعتذر لك، ولها، وأرجو أن ترسلها لنا هذه السطور ثانية، وأعدك ألا أعلق.

د. محمد أحمد الرخاوي

ترددت كثيرا قبل ان ارد على سيل السلخ والشتائم التي تخصني بها وحدي المهم ان هذا ليس موضوعي فقط اذكرك ان الغرب هم من اباد الهنود الخمر في امريكا والسكان الاصليين في استراليا بالملايين ان الغرب قتل حوالي 80 مليون من بعضه البعض في الحرب العالمية الاولى والثانية!!!!!!

ان الغرب هو الذي انشأ اسرائيل وهو الذي يناصرها حتى الساعة جهارا نهارا والى عاجبه انت لا تعيش في الغرب وبالتالي تحكم على رؤيتي دون ان تعرفها

ابداعاتهم مقفولة ولن تجدى حين يحل الانقراض

اخيرا موضوع اغنية عبد الوهاب دى نكتة. عبد الوهاب طبعاً ما قالهاش.

انا كنت فاكرك عارفها. صارت مثلا لما حد يقول للتان زعلت منى ولا ايه يقوم يرد عليه :- ابدأ وحازعل منك ليه مانت ابنكل سنة وانت طيب وربنا يسامحك

د. يحيى:

وانت بالصحة والسلامة

حين تقول يا محمد قولاً طيباً أرد ردّاً طيباً، أما حين تصرخ وتشجب وتعمم على الناحيتين، فأنا أوقفك عند حدك ما أمكن ذلك، وعادة لا يمكن ذلك

لو سمحت إقرأ نفسك الآن وانت تقول "ابداعاتهم مقفولة" هكذا "خبط لصق"!

هل انت قرأت واحد على مائة من إبداعاتهم الحالية أو السابقة بكل ما فيها من نقد ومراجعة وأصالة وإضافة؟،

إن أعظم ما فيهم هو تلك الابداعات الجادة المتقنة الناقدة الذاهية العائدة طول الوقت،

لماذا تظلم نفسك يا محمد بالإصرار على هذا الموقف وأنت تعيش بينهم وتجنس مجنستهم؟ وربما تتزوج إحدى كريماتك أو كلتاها منهم.

واحدة واحدة يا محمد من أجلك أنت

أما أنا فمن حقى أن اقتلك حرصاً عليك، وفي الإسلام كما تعلم "لا قصاص لقاتل ولده"

وأخيراً، كنت أتمنى ألا ترجع لهذا الاستشهاد القبيح في غير محله، حتى بالشرح أو بالاعتذار، نحن نتكلم عن الحب، وهذا الاستشهاد هو عن الزعل، وأنا لا أعرف النكتة التي أشرت إليها، وهى باجحة، وتتكلم عن "حازعل منك ليه" وليس حاجبك ليه؟

ما هذا؟

لماذا فتحت هذه السيرة مرة ثانية يا إبنى.
لولا أن أمك الطيبة الجميلة هي ابنة عمي، لقلت لك أهو
انت اللي
كل سنة وانت طيب.

* * * *

دراسة في علم السيكيوباتولوجي (الكتاب الثاني) الحلقة
(37)

امتداد وقفة المراجعة (2):

الحق في الحب عينة من جلسة من علاج جمعي (منذ أسبوع واحد)
د . محمد أحمد الرخاوي

فكرتني الحكاية دي بموضوع العلاقة مع الآخر دون نيس كلمة
فعلا فيه لغة شديدة الدلالة موجودة فعلا بين الناس دون كلام،
ذلك كثيرا لدرجة ان ساعات يتهيألك ان في واحد مثلا عدوك
ومفروض يكون عدوك (حسب الدور المطلوب) وبعدين تلاقى راح
فط شايفك من جوة عشان شفته من جوه، ويصبح الاتنين اللي
جوة مصاحبين بعض ويجبوا بعض من غير ما يتكلموا ولا كلمة
وساعات ما حتى لو ما شافوش بعض تاني

المسألة كلها سماح وصدق وموقف وجودى مع اقل القليل من
اللغة التي نعرفها الآن تصور فعلا ان احنا في مرحلة تطورنا
او تدهورنا الحالية اصبح من الختميات تخلق لغة جديدة دون
كلام!!!!!!!

د . يحيى:

أخيراً يا محمد مددت يدك بداخلك فوجدت هذه القدرة على
الحسد وهذا القدر من السماح،

المهم، هي لقطة درامية مجموعة من البشر، مرضى ومعالجين،
استطاعوا، أن يجتبروا صفة إنسانية، برنامجا بشريا من خلال
القيام بتمثيل ميني دراما شديدة القصر، هذه الصفة
الرائعة، القدرة على الحب، نحن قد دمرناها بالعمى والخوف
والشك طول الوقت، ومع ذلك ما إن مددنا يدينا إليها دون
استئذان، ودون مخاوف وحسابات مسبقة، حتى وجدناها، ولو
كعينة.

الدنيا بخير يا محمد

شكرا، وأرجو أن تتعهد هذا الجانب فيك أكثر فأكثر

د . مدحت منصور

فضلت أن أعلق قبل أن أقرأ الفرض في الحلقة التالية حتى لا
تأثر به، ما وصلني أن هناك حب هو حقي وحقك وحق الناس

فيه سواء أن تحب أو تحب (ضم النون و فتح الحاء) هو ما خلقنا الله به وهناك حب ما أخص به أحد أو ما يخصني به أحد أو هو حب موجه وهو أيضا حق وأيضا خلقنا به اما النوع الأول فلا نسأل أنفسنا كيف ولماذا وماذا نأخذ و ماذا نعطي وأما الثاني فهو ما يحدث فيه هذا الخلط والاختلاط بين ما هو شحانه وما هو صفقة وما هو سرقة أو فرض و كأننا نحتاجه جدا ولا نطمئن أننا سنحصل عليه أوتوماتيكيا فيحدث كل التحايل في وسائل الحصول عليه من صفقة لرشوة إلى آخر وسائل التحايل ويبدو أن شئ ما (ربما الاطمئنان) لو حصلنا عليه مع الحب لارتقى للنوع الأول أو هو نوع من التركيبة التي تستطيع أن تحب دون أن تسأل لماذا تحب وتشعر بالحب دون أن تسأل لماذا تحب (ضم التاء و فتح الحاء) يعني الموقف يقول : أنا أحبك لأنني أحبك و فقط وأشعر أنك تحبني لأنك تحبني و فقط وأظن أحبك وإن لم يصلني حبك وأشعر أنك تحبني وإن لم يصلك حبي.

د. يحيى:

شكراً

وأرجو أن يكون ما نشر لاحقا في الحلقة الثانية (الحق في الحب بين الاخذ، والتسول، والسرقه، والخطف، والصفقة، والفرض!) والمناقشة (ربما خلقنا حب بعضنا البعض، لنبقى بشرا) ما يرد على تعليقك بما يكفى.

* * * *

دراسة في علم السيكيوباتولوجي (الكتاب الثاني) الحلقة (38)
امتداد وقفة المراجعة (3): الحق في الحب بين الاخذ، والتسول، والسرقه، والخطف، والصفقة، والفرض! مقدمة في المنهج ثم تكملة نشرة أمس (2/2/3)

د. أسامة عرفة

"متاهة البحث عن الحب المجهول"

عذرا وجدتي رافضا بشدة هذه المرة هذه المحاولة الجادة لاقتناص ما أطلق عليه الحب

لم اعد أحتمل طلب ما لا أعرف و ما لا أستطيع أن أفرضه .

دعنا نستبدل الحق في الحب بالحق في العدل إني أتصور جدلا أنني أستطيع فرض العدل حتى ولو بالقوة لكنني لا أستطيع فرض الحب بالقوة فالحب لا يفرض إلا بالحب

ما رأيكم في مقولة الحب القائم على العدل .. هل يجتمع حب و ظلم .. هل يقوم الحب في نطاقه الأوسع بدون العدل

وإلى مزيد من الحوار

د. يحيى:

أولا: من قال إننا نبحث عن الحب "المجهول"، ومن قال أنه "اقتناص"؟

إننا نمد يدينا لنغرف من الفطرة، من برنامج القدرة على الحب، وهو موجود -خلقة ربنا- ونحن الذين أخفيناه عن أنفسنا حتى صار مجهولا نحن نتحدث عن "الحب الموجود" وهو عكس "الحب المجهول" تماما.

ثانياً: أرجوك يا أسامة أن تشاركنا في استيعاب المفاجأة التي وصلتنا من خلال "الميني دراما" التي جرت في العلاج الجمعي وقد ناقشناها بعد هذه النشرة بعنوان "ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، لنبقى بشرا"

ثالثاً: أوافقك تماما على مقولة الحب القائم على العدل إلا أنك لابد أن تعلم أن العدل أصعب من الحب.

وأخيراً: هناك فرق بين أن تفرض الحب، وبين أن تمد يدك دون استئذان، لتأخذ ما هو موجود لك فعلا عند الآخر، (وبالعكس: ما هو موجود عندك له) من بعض "خلقة ربنا"، وهو ما جرى في "الجروب" غالبا.

في انتظار حضورك معنا صابرا مثابرا في المستحيل الممكن، وأذكرك أنني أكره المثالية كره العمى،

ربنا لم يخلقنا مثاليين، لذلك نحن نبحث في خلقه ربنا، كما هي، وليس كما ينبغي أن تكون

أما أن الحب لا يفرض إلا بالحب فهذا وارد وهو غير مرفوض، لكنها قضيتنا الآن، نحن لسنا في هذه المنطقة الآن، لعلها منطقة "الصفقات الأرقى" ونحن لم نرفض مبدأ الصفقات الشريفة العادلة، تلاحظ ذلك لو عندك وقت لمراجعة ما طرح في مقتطفات العلاج الجمعي في المجموعة وفي مناقشة السيكدوراما.

أ. نادية حامد

أول مرة انتبه بالشكل ده لحقى في الحب من اللي قدامى بمختلف المعاني التي طرحتها حضرتك من (الأخذ/التسول/الفرض) وصلني الإصرار الشديد على هذا الحق؟

د. يحيى:

عندك حق

أ. علاء عبد الهادي

بعد ما قرأت الحق في الحب لقيت نفسي باخذ حقى باخطف والصفقة والسرقة مع كل واحد بشكل مختلف، مش عارف اتراجع ولا أكمل .. حاسس إنها عدم إمانة؟

د. يحيى:

هذا غير صحيح،

الحق حق

وأخذ الحق بأى طريقة هو حق

وهذا منتهى الأمانة .

أ. رامى عادل

هو فيه علاقه بين ان الواحد يفرض على الناس حبه، وبين انه "ما استعصى على قوم منال اذا الإقدام كان لهم ركابا"، هذا إذا اعتبرنا الحب هو المنال.

د. يحيى:

أعتقد أنها علاقة شكلية مسطحة .

ثم لعلك لاحظت أنني لا أرحب كثيرا بالاستشهاد بالشعر والحكم الشائعة وحتى بالنصوص المقدسة، ربما لأننى أستشعر ان كل هذه الاستشهادات، تحشرنا فيما شاعت عنه هذه النصوص، بدلا من أن توصلنا لحالة الوعى الإبداعي الذى أخرج هذه النصوص مكتملة لتحركنا، إلى الممكن خارج سجن النص، فما بالك لو كان "خطابيا" هكذا

أعذرنى يارامى، لكننى لم اشعر أن ما جرى فى المجموعة كان له علاقة لا بـ"منالا" ولا بـ : "الإقدام ركابا".

المسألة ليست بالعافية هكذا .

أ. السيدة

هل يمكن ان يحيا الانسان بدون حب انا فعلا ممكن افرض حى على الاخر بس يكون يستاهل يتحب فيه كلمه احنا ديمنا بنردددها بتوضح ده هي\نفسك معنا\ وهى استلهام الحب والروح والوجودووووود حتى لو الشخص ده مش حانا من خلال حى ليك اضر الحب احساس وتواصل وأخذ وعطاء انا من خلال حى ليك دخلت على النت وعلى الموقع واستفدت كثير حاسة انى بدأت اكتشف الناس من جديد وقرارتى بقت افضل على فكره فيه ناس كلتير زى د. محمد احمد الرخاوى عاشقين للاختلاف ومنفرين\بالضمة\ بصراحه انازهقت منه لكن حضرتك لازم تتحب غضب عن اى حد

د. يحيى:

ولماذا غضب

المهم الناس

ونحن منهم، ومعهم

أ.د. صادق السمرائى

الدكتور يحيى الرخاوى المحترم: شكرا على هذا التفاعل الفكرى الأصيل ، وتقديرى للدكتور جمال التركى على إتاحتها الفرصة للتواصل معكم والأخوة الزملاء على هذه الشبكة الحيوية...وأرجو ان لا أكون قد أسهبت ، فبعد أن قرأت مداخلتك ، أجاد القلم بهذه الموضوعات فى سحنة نادرة من الوقت ...

تقديرى للإجتهاد الفكرى المضيء

د. يحيى:

أشرك يا د. صادق على فضل كرمك، وأشارك في إرجاع الفضل للأخ والإبن والصديق د. جمال التركي، وأستسمحك أن أنشر باقى رسالتك مكتملة دون تعليق مباشر، لأننى لاحظت أنك تعرض من خلالها أفكارا موازيا، أكثر من أنها تحمل تعليقا محمدا عن ما ينشر في هذا الباب (الكتاب الثانى فى السيكوباثولوجى، شرح ديوان أغوار النفس)، وقد خصصنا يوم الخميس لذلك بناء على اقتراح د.جمال.

أعلم أنك تفضلت بتوضيح كثير مما استوضحته أنا فى حوارنا السابق، إلا أننى أوضحت بعد ذلك أملى فى أن يكون هذا اليوم هو مشاركة حوارية فى نقد هذه المحاولة المستمرة التى تهدف للتعرف على النص البشرى، من خلال هذا النص الإبداعى (أغوار النفس)، بالإضافة إلى النص البشرى المتعرى خاصة (المريض)، (مثل الدراما فى العلاج الجمعى).

وفيما يلى نص رسالتك الكريمة دون تقطيع، ثم قد أجتهد فى تذييل موجز فى النهاية نعود بعده معا إن شاء الله إلى النص البشرى والإبداعى المحدد وتداعياته.

أ.د. صادق السمرائى

الجاذبية...هى أحد أسرار المخلوق المسمى "إنسان"، هى طاقة كامنة فيه، تحفز حيننا ونحمد حيننا آخر. وفى الخاليتين، تحقق تفاعلا متوافقا مع قدراتها الفعالة والمؤثرة فى الذات والموضوع.

لا أستطيع أن أسميها أو أرسها، لكنها تحدد مساره وتسوقه إلى حيث تريد.

هل هى فكرة، إدراك، وعى، تجلى، إشراق، تفاعل، إنتماء...؟ لا أدري!

هذه القوة أجدما فى مرضاى وأعرفها عند الآخرين من الأفاذ أصحاب الأثر الكبير فى فتح الآفاق. وهى التى تقرر بأن المخلوق يريد أو لا يريد الحياة، وربما تكمن وراء جوهر ديناميكيات "الغرائبية" فى السلوك الفردى والجمعى عند البشر. إنها طاقة مهيمنة، مستعبدة لنا.

وباختصار ربما إنها قوة انجذاب البشر نحو التراب أو الغياب!

وأرجو ان لا تقترب منها بمنظار التبسيط وتقل لى بأنها إرادة الموت أو غريزته وملحقاتها، فنحن فى صدد البحث فى أسرار الإنسان.

المعرفة سلطان السلوك، ويقدر ما نعرف تكون طبيعة السلوك المولود والمتحقق فى الواقع أو المحيط الذى نسعى فيه

، وباختلاف المعارف يتنوع السلوك البشري. فعندما نتأمل ثقافات الشعوب ونغوص في أعماق المجتمعات ونتحسسها عن قرب، يتضح دور المعرفة في تحديد معالم سلوكها. وكلما توسعت المعرفة أصبح السلوك أكثر تعقيدا وتركيبا . وكلما أمعن البشر بالجهل ، ينحدر سلوكه إلى تلك الآليات الأولية البدائية الدفاعية البسيطة المباشرة. وبين المعرفة والجهل ما لا يحصى من طبقات السلوك والتفاعلات النفسية الصاخبة التي تضح بها الحياة وتستعر.

المحبة: أوسع وأشمل من الحب ، لأنها القدرة على التمازج النقي الخلاق مع أختينا الإنسان، والإطلاع على أرقى وأنبل وأسمى المشاعر الصادقة المتموجة في أعماقه. إنها إرادة السعي المتوهج الدفاق بسحر الصفاء والألفة والمودة والرجاء .

لنبحر في محيط الإنسان ونزور جزره المرجانية ونطلع على ما يدور في دياجير أعماقه من احتدامات وصراعات ، ونصيخ السمع لدوى انفجارات الرغبات الهائلة التي تبحث عن ديمومة انتماء أبدى لنسخ الخلود وسر البقاء. وربما سنقوم بجولة غير معهودة في ربوعه السحيقة المتأججة المتسعة الملتهبة كالكون الشاسع الرحيب.

وأمنياتي بمزيد من الفوز بمكنونات التجلى وجواهر الوعي والإشراق.

أيها الإنسان مهلاء، هل ترى أم كوهم يتراءى ما ترى؟!!

عبثا تسعى وتدرى من سعى دونها يبقى يعانى ما جرى

سرّ أسرار الوجود المنتفى نقطة فيها صراخٌ قد سرى

الإنسان: مدينة الأعماق الإنسانية قد وضعت أسسها منذ ما لا يحصى من القرون، ومضت على نهجها الأجيال مقلدة ومتكيفة مع بعض متغيرات المحيط الذى تكون فيه، لكن التغيرات الخارجية التي تستدعى تكيفا معها لم تكن سريعة ومعقدة، بل يمكن القول بأنها ثبتت وترسخت على طول المدى، وكذلك خريطة مدينتنا الخفية قد تأكدت وثبتت، ولم تواجه التحدى والإهتزاز العنيف إلا في القرن العشرين، وخصوصا النصف الثانى منه ولا زالت في دوامة التحديات. وهذا أصاب مدينة اعماقنا بهزات شديدة واضطرابات متسارعة، أفقدتها القدرة اللازمة على التواصل والتكيف مع المتغيرات المتحققة في الواقع الذى عليها أن تكون فيه وتتأقلم معه. أى أن المسافة أخذت تتسع ما بين الذى فينا والذى من حولنا، وهذا قد دفع إلى الإنشطار والتعدد والتفتت النفسى وتشظى طاقاتنا الغريزية ودوافعنا الذاتية، وأصاب عالمنا الداخلى بالتشوش والارتباك ، حتى لترانا نطارد السراب. فالذى جرى ويجرى هو زعزعة غير معهودة أو منظورة لأجهزتنا النفسية والروحية ومزقات متنافرة لطبقات وعينا وإدراكنا. ولهذا يكون من الصعب علينا أن نتبين حقيقة الإنسان المعاصر في هذا الجيل أو الأجيال القليلة القادمة،

لأن خريطة الأعماق بحاجة إلى زمن طويل لكي تنضج وترسخ وتكتسب القدرة على السيطرة والتواصل المتوازن مع إرادة الذات وديمومة النوع. وهذا يعنى أننا نستخدم آلياتنا وأجهزتنا النفسية القديمة المهيمنة علينا للتفاعل مع مستجدات بحاجة إلى آليات ومهارات لم نتعلمها من الأجداد، وهذا ربما سيدفع بنا إلى ترسيخ آلية التقليد والتعدد الذاتي. وهكذا فأنا سنشهد اضطرابات عنيفة ومتفاقمة- بدأت في النصف الثاني من القرن العشرين- وستعظم على مدى القرن الحادى والعشرين، ولن نعرف الهدوء والحكمة إلا بعد أن نتمكن من بناء أجهزة نفسية جديدة في ديانا الخائفة. فالعلاقات البشرية ستعكس هذا التشوش القائم فينا ولأن الواقع من حولنا هو مرآة لما نخفى ونضمر، وبهذا نرسم مأساتنا ونصنع حياتنا.

كما أن ما يحصل أوجد تناقضا ما بين الصورة الذهنية للذات الفردية وحقيقتها الواقعية والغريزية، فأصبحت حالة تناقض وصراع، يدفع بالإنسان إلى الخسران، لأنه يعبر عن اختلال قدرات التكيف والتوازن والتواءم مع التبدلات المتنامية في محيطه، ولنمو إطلاعه على العالم الذى هو فيه، وتفاقم ضخ المعلومات وانتشارها وتوفرها، أضع قدرات التواصل ما بينه وبين ذاته، وأصيب بمجالة من التشتت أو تعدد الأدوار والاستجابات وتنافرها التام.

أرجو أن لا أكون قد أثقلت عليك، فهذا غيض من فيض، وأملى أن يسمح لى وقتى بالمزيد إذا رغبت... ومرحبا بك فى حوار جديد.

وفى الحوارات القادمة سنتناول موضوعا محمدا ونسير أغواره إذا رأيت هذا الاقتراح معقولا، أم أجدر تميل إلى التنوع والتعدد لتعكس لوحة الحياة على السطور.

تذييل

د. يحيى:

أحترم كل هذا الالتزام بالتعريف الواضح لما تعنيه بكل من الجاذبية والمعرفة والحبة، ثم احترامك الشديد لطبيعة الإنسان الغامضة الرائعة معا، خاصة وانت تتكلم عن "مدينة الأعماق الإنسانية" فتذكرنى بجمهورية أفلاطون التى اعتبرها أفلاطون مجرد تكبير بالغ للنفس الإنسانية، فى حين تعامل معها الكافة على أنها جمهورية مائلة،

توقفت عند تعبيرك القائل: إن "الجاذبية" ربما تكون "قوة" أمجاد البشر نحو التراب أو الغياب"، وفرحت، ووافقت مجذرا. شكراً

أما رؤيتك لضرورة تغير الإنسان المعاصر ليتلاءم مع الانجازات التى ابتدعها عقله أو أبدعتها عقوله، فهى رؤية تحفزنا إلى حمل مسئولية التطور وأمانة الحياة

وأخيراً، دعني أكرر أنني في انتظار نقدك البناء لهذا العمل المتواصل في هذا الكتاب الخدد الذي يتوالى صدوره يوم الأربعاء، مثلما جاء في أغلب بريد اليوم المخصص لذلك كمثال:

بريد الخميس خاص بما يثيره المتن والشرح والاستطرادات من قضايا حول "دراسة في علم السيكوباتولوجي شرح ديوان سر اللعبة"، وما يثيره النص البشري إذ يتعري من فروض ورؤى، نعرضها ونناقشها فنتعرف علينا "ثقافة مختلفة، وإنسان واحد".

وأكرر شكرى
وعليكم السلام

الإثنين 02-12-2009

824- الحزن اليقظ، وآلام الرؤية/البصيرة



فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكيوباتولوجى
لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة الـ 43

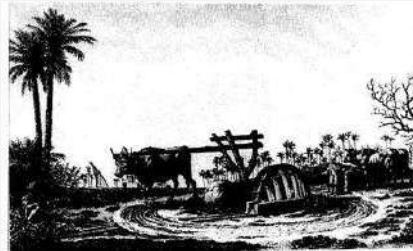
الحزن اليقظ، وآلام الرؤية/البصيرة

(الدّمة الخيانة)

ملاحظة بادئة:

ملتزمٌ أنا بترتيب القصائد كما وردت فى الديوان، وهذا قد يبعثنا مؤقتاً عن "فقه العلاقات البشرية"، وإن كان واقع الحال لا يمكن أن يفصل أية رؤية للكائن البشرى عن علاقة ما بهذه التيمة الأساسية: "هل يكون البشر بشراً إلا إذا تواصلوا بحق؟!"

الرؤية التعرية هنا لا تستبعد رؤية صعوبة العلاقات البشرية، بل لعل هذه الصعوبة تقع فى بؤرتها، وهى المرحلة التى تميز محاولة الإنسان المعاصر أن يقيم علاقة جدلية واقعية بآخر حقيقى، وهذا هو موضوعنا الأم.



تهيد

كنت صغيراً، حين أجلس بجوار الساقية (الخلزونة) أتعجب لماذا يُحكَمون الغُما (الكيس المجدول على ناحيتين لتغطية نصف وجه البقرة الأعلى، بما في ذلك العينين) أثناء دوراتها منفردة (أحياناً تدور مزدوجة في صحبة أخرى!!) و"الناف" على رقبته متصل بعمود محوري يقع في مركز دائرة الساقية تماماً. لم أعرف إلا مؤخراً أن حدس الفلاح المصرى قد وصل إلى أن هذه الطريقة توحى للبقرة أنها تسير قُدماً في خط مستقيم، فتنسى - أو هو يرجو بجدسه أن تنسى- أنها تدور في نفس الدائرة طول الوقت، حين أدركت هذا أو تصورته، فزعت للخدعة، ورفضتها، لكنني حين عدت أتأملها، وجدت أن بها نوعاً من الرحمة الخبيثة، التي يمكن أن تكون ضمن ما يسمى لؤم الفلاح المصرى (تنطق بعامية بلدنا، "لؤن"، بمعنى الذكاء الخاص!!) الذى لم أكن أتصور أنه يشمل نشاط حدسه.

كنت أشاهد أيضاً تلك البقرة الأخرى المربوطة في شجرة التوت أو الجميز، تنتظر دورها بعد أن تجهد البقرة المغماة من الدوران مغمضة العينين، فتحل البقرة المربوطة محلها، وتنقل البقرة المربوطة إلى الساقية، في حين تربط البقرة التي كانت مغماة في نفس الشجرة، لتأخذ قسطها من الراحة بعد أن يفكوا عنها غماها.

هذا المنظر هو الذى أوحى لى بهذا التشكيل الشعري، وأنا أنظر في هذه العين (غالبا في المرآة)

(1)

والعين الواعية الصاحية المليانة حُزُن:

، ، ، ،

عمركىشى شفت بقرة واقفة لوخديها،
مربوطة ف شجرة توت، جنب الساقية،

وغنيها الصاحية تحتيها دمعة،

لا بتنزّل ولا بتجفّ؟

عمالة تُبصّ لزميلتها المربوطة في النّاف،

والغمى محبوك عالراش،

والخافر يُخفّر في الأرض السكة اللى مالهاش أول ولا آخر؟

مع كل أزمة نمو، أو خيرة إبداع حقيقي، تحدث مثل هذه الوقفة بوعى فائق: هي وقفة نقد يقظ، وقفة مراجعة، وقفة استعداد لبداية جديدة في اتجاه مجهول، وهي وقفة حتمية يمر بها كل إنسان ما دام مازال حيا ينمو، لكنها قد لا تصل إلى الوعى الظاهر في كثير من الأحيان، وإن وصلت فقد يتم محوها بعد ثوان حتى لا تجرؤ أن تطل ولو كذكرى عابرة، هذه الوقفة

تجلى أكثر وضوحاً وأطول عمراً في عملية الإبداع الحقيقي طول الوقت، وهي تحتد في البداية، وإن لم تكن بالضرورة تسمى وقفة أو تدرك بما هي كما هي، لكن نتائجها تدل عليها عادة .

في **أزمات النمو**، وخاصة أثناء المراهقة وأيضاً أزمة منتصف العمر، بل وسائر أزمات النمو، قد تعاش هذه الوقفة بعمق كاف ومسئولية مؤلمة، فتحفز النمو، وتسهم في إعادة إبداع الذات.

في **المرض**، (بدايات أى مرض نفسى جسيم تقل فيه الميكانزمات فجأة) تحتد هذه الوقفة، ومن ثمّ: تتعاطم الرؤية بشكل مضاعف حتى تصبح معجزة برغم نفس حدة الكشف، وعمق النقد، وبدلاً من أن تكون فرصة مراجعة لبداية جديدة، تصبح سبباً أو مبرر إعاقة من فرط الألم الذى عجز "الوعى/الفعل" أن يستوعبه، أو يحتميه، يحدث ذلك أكثر في الاكتئاب الحيوى اليقظ (أسميه أحياناً **الاكتئاب البيولوجى النشط** تمييزاً له عن عكسه تماماً، الذى أسميه **الاكتئاب اللزج النعاب**، وأسماء أخرى).

في **العلاج**، تتم المواجهة، باحتواء هذه الرؤية الأعمق باعتبار أنها خطوة ضرورية لا بد من دفع ثمنها إن كان العلاج هو مواكبة عملية النمو للحفز على استكمالها، وليس إجهاد نبضة النمو.

المتن هذه المرة أوضح من أن يحتاج إلى شرح.

هو يعرى الاغتراب الذى يلزم لاستمراره أن تظل الميكانزمات العامية نشطة طول الوقت، بحيث تنقلب مسيرة النمو إلى "دائرة مغلقة"، التى هى ليست إلا وقفة دائمة خادعة، وهى أكثر خداعاً من "السير فى الحُل"، فهى تمثل سيرا إلى الأمام، أو ما يشبه الأمام، ينتهى إلى نفس النقطة طول الوقت، طول الوقت.

هذه الرؤية الكاشفة قد تحدث تلقائياً كما ذكرنا، وقد تحدث نتيجة إفاقة تحدث كنوع من التلقى المبدع.

تأتى الاستثارة من مُحبِّ صادق مُواكب، أو من إبداع محرّك، أو من علاج مغامر،

العلاقة بين تبديل البقرة بزميلتها، لتحصل على نوبة راحتها، وهكذا، تذكرنا من جديد بطبيعة الإيقاع الحيوى، وحتمية تناوب نشاط مستويات الوعى.

هل تصدق أن الأحلام هى نوع من هذا الكشف السرى، حتى دون أن نتذكرها أو نحكيها؟

إن التقلب الذى يحدث أثناء النشاط الحالم (نوم الريم REM: نوم حركة العين السريعة) يشمل نوعاً من الرؤية السرية، التى ينتج عنها إعادة تنسيق المعلومات Re-

patterning ، من البديهي هنا أن كلمة "الرؤية" تستعمل مجازاً بشكل مبالغ فيه، الرؤية هنا مفترضة، لا تُستنتج إلا من خلال نتائجها حين تكون كل "دورة" "نوم/حلم/يقظة" هي دورة إعادة ولادة بشكل أو بآخر (الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور- كما ذكرنا سالفاً مراراً).

حين يقول المتن على لسان البقرة المربوطة في شجرة التوت "أنا كنت باليقّ ومش دارية، كان لازمته إيه؟ بتشيلوا الغمّا من على عيني، وتفكّوني ليه"، هي لا تحتج، بل تعلن ألم الكشف الذي أكد لها أنها لم تكن تسير إلى الامام، بل كانت تدور في نفس الدائرة مثلما تدور زميلتها الآن، "والغمّا محبوك عالراس، والحافر يحفر في الأرض السكة اللى مالهاش أول ولا آخر".

في كثير من الأحيان، إن لم يكن في معظم الأحيان، يرجو الإنسان، ويسعى أن يرى الحقيقة عارية أكثر فأكثر، وهو يتصور أن هذا حقه من ناحية، وأنه سوف يرتاح حين يرى ما يريد أن يراه، هذه طبيعة بشرية ترتبط بأليات المعرفة المتجددة المغامرة بشكل عام، (حتى يمكن ربطها بأكل الفاكهة الحمرّة)، وبقدر الحرص على رؤية ما في "الحجرة المغلقة" المحظور فتحها، وبقدر السعي إلى اختبار ما بداخلها بالذات، تكون مفاجأة المعرفة، والأسف المبدئي (أنظر الملحق). الذي يلحق هذه المعرفة المفاجئة إنما يعلن رغبة شكلية في التراجع عن هذه الرؤية، لكن من رأى، حتى لو أغمض عينيه بعدها، فسوف يظل ما رآه ماثلاً أمامه، ليس ماثلاً فقط، بل ومانعاً له أن يرتد إلى الاعتزاب العامى من جديد.

أغلب العلاج الميكئي المخمّد، هو نوع من "تلبيس" "الغمّا تاني"، وهذا هو ما جاء في المتن حرفياً:

(2)

والبقرة الواقفة تقول:

أنا كنت باليقّ ومش دارية كان لازمته إيه؟

بتشيلوا الغمّا من على عيني وتفكّوني ليه؟

علشان أرتاح؟؟!!

هئى دى راحة إني أشوف ده ؟!

لو حتى لبست الغمّي تاني ماننا برضه حاشوف.

وساعتها يا ناس:

مش حاقدر ألق.

.... ما هو لازم الواحد ما يشوفشى،

لو كان حايلق.

العلاج النفسي المنطلق من منظور نمائى لا يكتفى بأن يستوعب هذه الرؤية مجملها الموضوعى، وأن يساعد المريض الذى حضر بها أو عاشها أن يحتويها، ويواكبها حتى يتجاوز آلامها دون أن يتنازل عن مواصلة مسيرته، بل إن العلاج يستثير مثل هذه الرؤية بجرعات مجزأة، وذلك لمن يخشى أن يخوض وحده، هذا النوع من العلاج النفسى لا يكتفى بالحفاظ على هذه الرؤية مع ضبط جرعة الألم، وإنما هو يعمل على ضبط جرعة التنشيط بتعريية محسوبة، بالحد من اللجوء إلى الميكانزمات تدريجياً، بحيث يسمح لمن يمر بها تلقائياً - من خلال أزمة المرض- أن يعايشها بالقدر الذى يمكن به أن يستوعبها. يتم ذلك بوجه خاص في **العلاج النفسى الجمعى**.

حين تشترك المجموعة، بما فى ذلك المعالجون، فى هذا الكشف، للإقبال من الميكانزمات، يصبح الألم المصاحب أكثر احتمالاً، ومن ثم يصبح حفز النمو أكثر جاهزية،

أغلب - إن لم يكن كل - ما عرضناه فى هذه النشرة خلال أكثر من عامين معينات مما أسميناه "**الالعاب النفسية**"، والتي شارك فيها كثيرون من أصدقاء الموقع، كانت تقوم بدور تحفيز الرؤية حتى لو بدت مؤلمة، وليس اخذ منها، الفرق بين أن تمر بهذه الخبرة من خلال مفاجأة مرعبة، وأنت وحدك تماماً، وبين أن تمر بجرعة فجرة منها، وأنت وسط آخرين يمرّون بنفس التجربة، هو الفرق بين بداية ما يمكن أن يتطور إلى مرض (أو إبداع) وبين العلاج النفسى الجماعى بوجه خاص (الذى هو ضمناً: إبداع الذات ما أمكن ذلك).

كثيراً ما نعيش محاولة من أحد المرضى (أو المعالجين) لمحو الرؤية الجديدة التى مارسها أثناء العلاج الجمعى، بنسيانها، أو التراجع عنها، أو سوء تأويلها، وقد يلاحظ ذلك زميل مريض آخر، أو معالج، حين يهتم أحدهم بالإنسحاب لعدم قدرته على تحمل هذه الجرعة، فيقول له: وحاتعمل إيه بعد ما اتديست وشفت ده دلوقتى ("وماذا ستفعل بمعرفتك ورؤيتك التى مرت بك هنا الآن؟") فيرد قائلا: "إيه يعنى، حانسى واغمض أو أطنش تانى" (سأحاول أن أنسى وأغمض عينى من جديد) "فيسخر الأول "إبقى قايلنى"... وقد يعلق ثالث "دا بعدك"... أو "يعيد عن شنيك"، وغير ذلك من تعليقات تشير إلى أن هذه الرؤية يصعب محوها.. بعد ظهورها فى هذا السياق وضبط جرعتها.

الهدف الأهم لما يسمى "**العلاج النمائى التوجه**" هو استيعاب هذه الرؤية للنمو من خلالها لتكملة المسيرة بإيجابياتها وآلامها.

ينتهى المتن بالإشارة إلى ما يصاحب هذه الرؤية، الأقرب إلى الإبداع منها إلى المرض، من سماح وصبر وأمل فى أن تكون بداية التعرف على "آخر" يصاحبه وهو يعايش هذه الخبرة عبر مسيرته، مسيرتهما، مسيرتهم، معا.

هنا تتأكد علاقة: المعرفة، بالعلاقة بالآخر، بالألم الحى
الخلق، بالحنن الإبداعي....،

لِتَوَاجِدْنَا مَعاً

(3)

الله يسامحك، دلوقتي:

لا انا قادرة ارتاخ،

ولا قادرة ألقأ.

لا الدمعه بِنَزَلْ،

ولا راضية تجفأ.

أشرت في المقدمة كيف أن هذه الرؤية مرتبطة بشكل أو بآخر بموضوعنا الأساسي "فقه العلاقات البشرية". الإنسان المعاصر يعيش أزمة ممتدة هي أقرب إلى ما يسمى "الموقف الاكتئابي" كما أسمته ميلان كلين، والذي فضلت أن أسميه "الموقف العلاقتي البشرى" وهو الذى يحاول الإنسان المعاصر فيه أن يرسى قواعد من ألم، ورؤية، وإقدام وتحمل، وفرحة معاً، ليكون بذلك هو النوع الأغلب في العلاقات بين البشر، ليكونوا بشرا . الإنسان - كما ذكرنا- لا يكون إنساناً إلا إذا كان واعياً وبعده ما بوعيه حالة كونه إنساناً (لا يتحاور فحسب) مع وعى إنسان آخر يحاول معه نفس المحاولة، هذه العلاقة الأرقى هي التى يتكون منها نوع من الحزن الذى وصفناه بأنه "حزن" "إيجابي" "نشط"، وعلى ذلك فالفروض أن نفرح به شريطة أن تضبط جرعته، هذه الخبرة التى هي أقرب إلى ما يسمى "الحزن الصامت الأصيل، يكون فيها:

الألم صحوة،

والمثابرة اقتراباً،

والاحتياج طلباً شريفاً،

والعطاء فرحة

والفرحة طيبة لا تلغى ألم الرؤية،

ولا تقف بعيداً عن الخبرة،

ولا تتجاوز عدل التبادل العلاقتي.

إنه بالرغم من الألم الذى يعانیه من يمر بهذه الخبرة الرؤية الضرورية ليكون "بشراً"، فإن ذلك لا يترتب عليه سخط أو سخرية أو انسحاب، أو عدوان، بل الأرجح أنه يجذبنا إلى بعضنا البعض في إطار من التسامح المؤلم، (هنا "الله يسامحك دلوقتي... الخ").

قمة إيجابية تجربة هذا الحزن اليقظ الذي يمثله هذا الموقف تشمل:

التوقف للمراجعة ،
والسماح للاقتراب ،
والرغبة في " الحياة معا " ،
مع الاعتراف بالعجز المرحلي ..

أعتقد أنني ذكرت في أكثر من موقع (ربما في التعليق على مقاطع من العلاج الجمعي، أو في مقابلة مع مريض عرضناه في باب " حالات وأحوال ") أنني أفرق بين الحزن وبين البكاء، وأن الدموع حين تترقرق في العيون، ولا تسيل، هي أصدق تعبير عن موقف هذا الحزن الإيجابي الأصدق، أما حين تتدفق بلا حساب فهي أبعد عن هذه الخبرة، بل إن الامر قد وصل بي إلى أن أربط - في كثير من الأحوال - ربطا عكسيا بين هذا وذاك، بمعنى أنه كلما انسكبت الدموع، خفتت الخبرة الأكثر عمقا،

* * * *

ملحق النشرة (إبداع مواز)

مقطع من قصيدة لى بالفصحى بعنوان: " **عفواً فعلتها** " دون تعليق يشير إلى خبرة موازية

ياليتنى طفوتُ دون وزن
ياليتنى عبرتُ نهرَ الحزن
من غير أن يبتل طرفي فرقا .

ياليت ليلى ما انجلي،
ولا عرفتُ شفرة الرموز والأجنّة .
إي هجرة الطيور ،
في الشاطئ المهجور .
عفوا فعلتها ...

-2-

المهرّبُ الجبان ،
العمرُ بعد ما بدا ،
المهرّبُ الأمان .
فك الجبالُ صلت السلاسل،
العمر بعد ما انقضي .

-3-

أشلاؤها: تفجرت مضيئه .
نرى ، ندور نكفئ .

إلخ.....

الخميس 03-12-2009

825- عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض الصمت



ربما كانت دعوة سابقة لأوانها، أن نخصص اليوم حوار حول هذا العمل!

ربما ثبت أن الأصدقاء المعقَّبين يفضلون أن ينتظروا حتى يكتمل العمل ثم يعقبون

أو أن هذا العمل، مثل سائر ما تحتويه النشرة، به من المفاجآت أو غير المؤلف ما يجعل المعقب يفضل الرجوع إلى مراجعه، وليس إلى خبرته الذاتية أو المهنية قبل أن يعقب،

لاحظت أن ما وصلني من تعقيبات هي شديدة الجودة، والإفادة، لكنها بدت لي "مماسية" tangential، والعجيب أن التعقيبات على التعقيبات قد جاءت حول هذا "التماس" حتى بدت خارج الفكرة المحورية، ولعل الخطأ هو من جاني لكثرة الاستطرادات وتعدد الفروض

هذا الكتاب الثاني في "السيكيوباتولوجي"، الذي انتهى إلى أن يكون أساساً في "فقه العلاقات البشرية"، لا يتناول قضية العلاقات بين المرأة والرجل مثلاً كقضية محورية أو أصلية، وإنما هو يحاول أن يستهدى من نص شعري محدد، (ديوان أغوار النفس) قضية العلاقات البشرية الأساسية، بين الفرد والآخر، ولكن ما أن انفتح ملف العلاقة بين الرجل والمرأة، وتاريخها، وما وصلت إليه هذه العلاقة من ظلم وقهر للمرأة وعدم تكافؤ الفرص...إلخ، حتى جاءت التعقيبات تناقش هذه القضية دون الفكرة المحورية عن "فقه العلاقات البشرية"، حتى التعقيب الوحيد الذي جاءني هذا الأسبوع كان مناقشة

د. مدحت منصور لأطروحة الأستاذة أمل محمود، وهو يعاتبها لها أنها لم ترد حتى الآن، بل ويكاد يتهمها أنها تتفرج على الردود، وإن كنت أوافق على العتاب فإنني لا أوافق على الاتهام بالفرجة، فنحن لا نعرف ظروفها، أو لعلها لاحظت أننا خرجنا خارج الموضوع الأصلي، من يدري

المهم، كسبنا فضل الاستجابة لاقتراح أ.د. جمال التركي، وإسهام الدكتور صادق السامرائي، والأستاذة أمل محمود والدكتور مدحت منصور والدكتور محمد أحمد الرخاوي، وآخرين من الأصدقاء الطيبين الذين ساهموا في هذه المحاولة قصيرة العمر.

آخر لحظة: (الساعة 12 ظهر الأربعاء)

وصلني حالاً تعقيب من د. أسامة عرفة، ود. أحمد عثمان، على نشرة اليوم "الأربعاء"، ولم أترجع، وسوف أرد عليه غداً.

تراجع واقتراح

ابتداءً من اليوم، سوف أوقف تخصيص هذا اليوم لهذا الحوار، وسوف أوصل نشر ما يصلني تبعاً حول هذا العمل ضمن حوار الجمعة، فإن تجمّع ما يحتاج لتخصيص يوم الجمعة الأول من كل شهر لمناقشة هذا العمل بالذات، وهو الاقتراح الأول للدكتور جمال التركي، فقد يكون ذلك مناسباً،

وإنّي إذ أعتذر عن هذه النقلات المفاجئة، والأبواب المجهضة، وتشتت المواضيع، أذكر الأصدقاء أن هذا هو ما يميز - ويعيب - هذه النشرة منذ صدورها .

الاقتراح الجديد (في نهاية هذه النشرة) هو تحايل جديد لإشراك الأصدقاء في القضايا التي يطرحها المتن، وملحقاته.

فقد تذكرت مدى إقبال أصدقاء النشرة والموقع على المشاركة في الاستجابة لما كنا نعرضه من "**ألعاب نفسية**" نختبر به ومعها قضايا حساسة، بمنهج طليق، فوضعت - أيضاً على سبيل التجربة - عشر ألعاب جديدة، عن طبيعة "العلاقات البشرية"، (وأهمها حالياً ما يسمى الحب) وقلت أجرب الدعوة إلى المشاركة عن هذا السبيل المباشر، لعل وعسى:

دعوة لاستجلاب المناقشة "باللعب"!!!

نذكر القراء بقواعد اللعبة فقد مضت شهور دون أن نطرح لعبة جديدة، والقواعد كالتالي:

1. تتكون اللعبة من جملة ناقصة، عليك أن تكلمها، يستحسن مشافهة، ثم نكتبها فيما بعد
2. اقرأ الجملة بصوت عال وكملها بسرعة باقل قدر من التفكير المنطقي

- (1) لقد خلقنا الله نحب بعضنا البعض تلقائياً، لكن ما يحدث فعلاً هو (أكمل)
- (2) لا..لا..هذا غير ممكن، أنا لكى أحب، لا بد أن أحب أولاً، إذن (أكمل)
- (3) لكن كيف بالله عليك أحب أحدا وأنا أعلم تماماً أنه يمكن أن يتركنى فى أى وقت، !!! لكن أيضاً (أكمل)
- (4) ليكون..، وماذا سوف أخسره لو أننى أحببت من لا يستأهل حبي، طالما أنا لا أنتظر منه مقابلاً أصلاً، ولكن أيضاً (أكمل)
- (5) الأفضل أن أحب من يحبى، وكفى، فمن أين لى أن أضمن أن (أكمل)
- (6) أنا لا أستطيع أن أحب أحدا لا أعرفه، ألا يجوز أن (أكمل)
- (7) لنفرض أننى قبلت ما يقال، وجعلت أحب ، وأحب، وأحب، ثم لم يحبى أنا أحد، ألا يعنى ذلك أنى (أكمل)
- (8) يبدو فعلاً أننى لو مددت يدى بداخل أى إنسان سوف أكتشف انه يحبى، ولكن كيف أضمن (أكمل)
- (9) لقد خلقنا ونحن نخاف من بعضنا البعض، ونتعارك مع بعضنا البعض، ثم يأتى الحب حين نطمئن لبعضنا البعض، لكن ماذا إذا حدث أن (أكمل)
- (10) يبدو أنه من الافضل ألا نستعمل كلمة "حب" من حيث المبدأ طالما الاختلاف حول معناها هو بهذا الحجم، أنا أقترح (أكمل)

الإثنين 09-12-2009

831- تسول الحب، والاعتمادية الرضعية (1 من 2)

قبل الحالة:

تعودت من القارئ وصدیق النشرة وصدیق الموقع أن يصروا علىّ حتى تماديت في الطمع في كرمه وسماحه!!

وجدت أننا ابتعدنا عن الكتاب الأصلي ولم نعد نقدم حالات جديدة، فقررت أن أوّجّل التعقيبات والاستجابة للألعاب إلى الأسبوع القادم لصالح نشر الحالة التاسعة؟؟ على جزأين اليوم وغدا

أنا أحبكم

وأنتم كذلك

فسامحوني

يحيى



في فقه العلاقات البشرية: دراسة في علم السيكوباتولوجي

لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة: (8)

مرة أخرى:

(وهامش عن جرعة الرؤية في العلاج النفسي الجمعي خاصة)

تكاد تكون هذه الحالة تطبيقا مباشرا لما أسميناه "تسول الحب"، يتجلى ذلك هنا في موقف علاجي محدد، يكاد يعرض مقارنة حادة بين العلاج النفسي الفردي التسكيني بالكلام، وبين العلاج الجمعي المواجهي
Confrontation Growth-Oriented Group Therapy، النمائي،

هذه الحالة بوجه خاص، كانت لها تاريخ طويل في العلاج النفسي الفردي، أُنجزت من خلاله درجة معقولة من التكيف، والتسكين حتى تخرّج صاحبها من كلية قمة، واختفت الأعراض البائدة. ثم إنه قرر بوضوح أن يواصل العلاج الجمعي، باعتبار أنه مرحلة لاحقة تفيده في استكمال النمو، حسب ما سمع، خاصة وأنه - بتخرجه - لم يعد في حاجة إلى جرعة زائدة من آليات الدفاع العامية، وقد كان صادق النية في أن يحاول وأن يكمل.

الذي حدث هو العكس تماما، فقد عزّت تجربة العلاج الجمعي المواجهي الجرعة المفرطة من الاعتمادية التي ربما اعتادها صاحبنا أثناء العلاج الفردي، وقبله، لكنه اصر على مواصلة المحاولة، وكلما تقدم فيها، أكد موقف "المتفرج" دون مشاركة، ازدادت ميكانيزمات العقلنة والاعتمادية، حتى صار واضحا للجميع أنه لا ينوى أن يتقدم إن لم يتراجع.

كان صاحبنا شاطرا تماما في وصف ما به، بل وما بغيره، كما كان حاذقا في الإعجاب بما يجرى حوله من محاولات وتجارب، ومفاجآت مخاطر، لكنه كان دائما يحمي نفسه بمزيد من الطلبات من موقف سلبى متلق، بلا محاولة جادة من جانبه لأي حركة نحو التغير الكيفى الحقيقى.

كان صاحبنا مثابرا منتظما في حضور اللقاءات كلها تقريبا، دون أى تغيير من جانبه، وحين تكررت المواجهة، وتعرى موقفه أكثر فأكثر، بدأ العدوان الاحتجاجى يحل محل المقاومة الاعتمادية، ليختم تجربته بالاحتجاج على قائد المجموعة، معاجه القديم، وكان احتجاجه موضوعيا منبها، مؤكدا ما ذهبنا إليه في العلاج النفسى بأنواعه، من ضرورة ضبط جرعة الرؤية الجديدة، لتتناسب مع فرص احتوائها، وظروف واقعها، على مسار النمو.

المتن أيضا تعرض لمقارنة مباشرة - ساخرة - ما بين الاقتصار على العلاج بالتسكين وال ضبط والربط باستعمال العقاقير أساسا، وبين العلاج التكاملى الذى يستعمل العقاقير دعما لمسيرة النمو بجرعات متغيرة حسب مسيرة الحالة كما ذكرنا دائما.

والآن إلى المتن:

(1)

والعيون التَّائِيَه دى بتقول كلام،

زى تخاريف الصيام؛

الصيام عن نبضة الأَلَم اللى تَبْنِي،

الصيام عن أَى شَى فيه المُغامَرَه،

الصيام عن إن لازم كل بنى آدم يَفْتَح،

مش يتنح

الصيام عن أى حاجة فيها إني: عايز أكون:

زى خلقه ربنا"

مسألة أن أكون "زى خلقه ربنا" تكررت كثيرا في هذا العمل، وأنا - بصراحة - لا أجد لها بدلا ، حتى كلمة "الفطرة" أجدها بدلا أكثر غموضا فعلا من "زى خلقه ربنا"

يتحفظ العلماء عادة على هذه اللغة، وربما عندهم حق، فما أن تنطق بهذا التعبير "زى خلقه ربنا" أو "كما خلقنا الله" ينرى أهل السلطة الدينية ليستولوا على كل ما بعد ذلك لصالح تعميق سلطتهم، وليس لصالح إطلاق المسيرة البشرية لتكامل مشوارها "إليه"، وأيضا ينرى العلماء المحدودون يتهمونك بالقفز وراء الحقائق العلمية المحددة إلى ما يسمونه الميتافيزيقا، الذى أقصده، وغالبا يقصده الناس، بهذا التعبير، هو أن يكون الإنسان إنسانا، كائننا متميزا، يحمل تاريخ تطوره كله، لا يلغى أوله لصالح آخره، ولا يطلق لأوله العنان على حساب مكاسب تطوره، هذا ليس حلا توفيقيا وسطا، لكنه تاريخ الحياة وتاريخ الإنسان، هو الحركة الدائبة، المتناوبة، لتتحقق الجدل في دوراتها المتعاقبة، هذا تحديدا ما أتصور أن الحق تعالى من خلال التطور قد هيأه لهذا الكائن الفائق الرقى، الظالم نفسه برقيه المنقوص.

حين يقول المتن إن صاحبا قد أغلق وعيه فضاء عن أى احتمال أن يكون كذلك، فإن المقصود، (وهو الذى حدث في هذه الخيرة) أنه راح يقاوم كل محاولة تفاعل يمكن أن تهزم ما استقر عليه من دفاعات مجمّدة، وبالذات تلك الدفاعات التى قويت أثناء العلاج الفردى، وكذلك حتى انتهت الخيرة (القصيصة) كان يضع اللوم على قائد المجموعة (لعالج السابق) وهو لا يتحرك من موقعه، خوفا من: "نبضة الألم اللى تبني"، من "أى شئ فيه المُغامرَه"، من الرؤية الجديدة إن لازم كل بنى آدم يفتّح، مش يتنح"

حتى لو كنت قد حددت هذا التعبير من (زى خلقه ربنا) بفكرى التطورى ضمنا في الخلقين السابقتين بأن ربنا خلقنا نحب بعضنا البعض، وأن ما يحدث بعد ذلك ليحول دون ذلك، هو بفعل فاعل، حين يرفض هذا الصديق أن يكون "زى خلقه ربنا"، فإن هذا يعنى أنه متمسك بميكانيزماته التى اكتسبها لتحميه من التهديد بشطج غير محسوب على مسار النمو، هذا ليس عيبا ولا نقصا في مرحلة معينة، أم أن يكون هذا هو نهاية المطاف، فهو الامر الذى نتوقف عنده، ونتعلم من مثل هذه الحالة أن المسألة ليست كذلك.

حين أتيقن من مثل هذه الحالات أن موقفها صلب وحاسم، أتراجع عن الحماس للنصح بالعلاج الجمعى خاصة، وأحيانا، ولو أنها نادرة، أنصح مثل هذا الشخص بالتوقف فعلا عن المشاركة في علاجات تعرضه لما ليس في حسبانته، نعم، أن يتوقف عن التردد

على هذا النوع من العلاج النفسي الجمعي، لكن الذي يحدث عادة هو أن يصبر مريضاً ما على أن يخوض التجربة، وله كل الحق، وفي هذه الحالة أستسلم للانتقاء الطبيعي، فكم من مريض تصورت أنه لن يتحمل أن يكمل معنا المسيرة، وإذا به يفعلها ونصف، وكم من آخر بدا متحمساً جاهزاً للتغيير، لكن ما إن تبدأ الخبرة حتى يتراجع بسرعة إلى دفاعاته المتينة تماماً، حتى ينقطع عن العلاج المههد لمخلقتها.

أهم صفة تصف هذه الوقفة هي الاستسهال وتجنب الألم وتصور العلاج تصوراً سحرياً يحل المشاكل بدون ألم (بالبنج)،

ورغم انبهار صاحبنا الكلامي بما يجري، وإعلانه البدئي أنه يريد أن يكمل المسيرة، إلا أنه، ومن البداية، يحدد طريقه الذي يؤدي به إلى عكس ما يعلن دون أن يدري. هذه الصورة الاعتمادية المرفوضة من حيث المبدأ لها ماوراءها من ميررات، أهمها، وفي هذه القصيدة بالذات: تجنب الألم مهما ضوّلت درجته، ناقشنا في الحالة السابقة "ألم البصرة"، ودافعنا عنه وأوضحناه في حوار بريد الجمعة بشكل تفصيلي، وإن كان غير كامل، لكن الذي مفرطة من الألم (يحدث ذلك عادة في بداية أزمات التطور الحادة أو بداية الخبرة المرضية) ثم لم يجد أحداً يجواره، ولم يجد دفعا بداخله لتحمله أو تجاوزه، ثم لملم نفسه بدفاعات أيا كانت، إن من مر بمثل هذه الخبرة يأبي - عادة - أن يعود إليها تحت أي إغراء، ولو رأى أن هذا هو السبيل الوحيد لاستعادة دفع الخطى على مسار النمو. لكن العجيب في مثل هذه الأحوال أنه لا يستسلم لدفاعاته - مثل أغلب العاديين - بل يظل يتصور أن في الإمكان أن يحقق أمنيته النظرية، والاعتمادية من الهددة والتفريغ والحمل (أن يجعله آخر) والاعتمادية. ويظل الموقف هكذا طول الوقت، كما تبين القصيدة: لا هو يكف عن إعلان المحاولة دون محاولة، ولا هو يحاول فعلاً، ولو بأي درجة كانت، صاحبنا كان يبدو، دون بقية المجموعة، مرتاحاً، حالمًا، مستقراً، لكنه دائم الإعلان عن نيته في المشاركة، ولكن بشروطه.

(2)

العيون دى صرّحت إن صاحبنا

عمره ما حايعلن يسيينا

بس شرطه يتّنه نايم في العسل، عمال بيحلّم،

بس عامل نفسه بيحاول، ويتكلّم، ويجكّم،

شرط إنه لم يخطى أو يسلم

مش على باله اللي جارى،

"كل همّه، يستخبّي أو يدارى".

وان وصلّه، غضب عنّه

يترقى سطوحه ويُطلب حته منة:

شرط إنه يحيله في البزازة دافية، جنب فمة.

أعتقد أن هذا الجزء من المتن، هو المقابل الشعري المباشر لما سبق شرحه حالا قبل عرض النص، إن الذي كان يميز هذا الموقف بوجه خاص هو إلحاح صاحب هذه العيون لإعلان "نيتته" في المشاركة، وفي نفس الوقت طلبه المباشر أن يعطيه أحدهم ما يتصور أنه حقه دون سعى من جانبه إليه (برجاء مراجعة المقطع الذي نشرناه من جلسة العلاج الجمعي: عايضة حُب نشرة 2009-11-12 "الحق في الحب بين الأخذ والتسول") دعما لشرح مثل هذا المتن

هذه الرؤية العقلنة هي مكافئة تماما للعمى الكامل، "مش على باله اللي جاري"، لأنها رؤية مع وقف التنفيذ إلا بهذه الشروط التي هي ضد كل قواعد ما يسمى "مسيرة النمو".

مرة أخرى: إن مما يستدعي العجب هو تساؤل يقول: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يصر صاحب كل هذه الدفاعات القوية، على استمرار المحاولة بهذا الإلحاح والانتظام في طرق الأبواب؟ بالرغم ما يصله من صعوبات، وما يرى من مشقة وألم لازمين للخوض في التجربة؟

إن التفسير الأقرب هو نجاح آلية (ميكانزم) العقلنة بشكل فائق بما يجعله يواصل الرصد لما يجري من على مسافة آمنة، بحيث يصبح العقل النشط المتفرج مصدا قويا طول الوقت، ضد التغير، ويصبح صاحبه غير مهتد فعلا بالتغير الفعلي، فهو لذلك يواصل المطالبة بالتغيير ألفاظا منطوقة لا أكثر.

لكن هل هذه هو كل ما في الامر؟

لكن المسألة لا تقتصر على هذه القناة للتوصيل بالكلمات والرموز العقلنة، فالجسم يتلقى، والوجدان يتلقى، والوعي بمستوياته - يتلقى، ومن هنا تأتي أهمية البيت في المتن "وان وصل له غضب عنه"، نعم الذي يحدث أن الرسائل التي تصل لمثل صاحبنا من وراء ظهره، تصله فعلا غضبا عنه، وهو لا يرفضها بل يحوها فورا بعكس ما نتصوره، يحوها بأن يتقبلها ويطلبها من الوضع مستلقيا رضيعا، "وان وصل له غضب عنه، يترقى سطوحه ويطلب حته منه!!"

ثانيا: في هذه المرحلة يستغنى صاحبنا عن فعل التغيير بمتابعة كل ما يجري، وبالتالي يتجنب مواجهة داخله وكأن أفراد المجموعة تحقق بالنيابة عنه أمانيه وتحل صراعاته أما هو فيتصور أنه "عرف" الحكاية فلا توجد مشاكل ولا خطوات بعد ذلك.

ثالثا: في نفس الوقت يجد صاحبنا نفسه في موقف المقاومة العنيفة بإعلان "عدم الفهم" متى ما اقتربت الرؤية الذاتية منه، أو تهدد بضرورة التفاعل.

رابعاً: هذا لا ينفي أبداً أن يصله ما يغير تركيبه الدفاعي ولو من خلف ظهره.. أو من خلال ما يسمى الانتباه السلبي، فلا شيء بهذه الجدية يمكن أن يُهدر بلا جدوى تماماً حتى ولو توقف وصوله عند مرحلة التنظير والعقلنة.

خامساً: وبسبب هذه الزحمة من المتناقضات: (مثل الحضور مع المقاومة، والفرجة برغم الاستيعاب السري) يستمر هذا الموقف ربما إلى أجل غير مسمى.. وينبغي على المعالج أن ينتبه إلى ذلك كله وأن يتعامل معه على هذا الأساس في حينه.

(3)

كان صاحبنا حلوا خالص في الكلام
كان بيتفرج، وهو بعيد تمام،
كل ما نديله حتّه، يت رسم ويقول كمان.

عايز أخطي، بس شرطي، في الأمان
كان مركّز عاللي كان واخذ عليه
لما كان بيحكّي للى شافه "بيه":

كلّه "مين"، و"زمان" و"ليه"!!
شيخ طريقة أو حكيم ما اعرفشى إيه،

.....

.....

بس دى ياناش لقاها حكاية تانية -
يعنى شغل "هنا" و "حالا" كل ثانية
كل ما واحد يهّم

نفسه يعنى يهّم زيّه، بس لأ، من غير ألم !!
يقلب الخبرة مشاهدة كانه فيلم:

.....

قاله سمعنا كمان حبة نغم:

كيد العدا،

يا سلام!! هوا جواك كل دا!؟

أنا نفسي ابقى كده؟

بس حبوني كمان.

خط حته عالميزان.

أصلي متعود زمان:

إني انام شعبان كلام.

تأكيد جديد لنفس الموقف، لكن يضاف إليه الحذر من موقف المتفرج، الذي انفصل عن المشاركة حتى بدا مستلذا بألم الذي يحاول، "بس سمعنا كمان حبة نغم"، أما إضافة "كيد العدا" فقد تكون إشارة إلى أنه يقر أن هذه المحاولة يرفضها أغلب الناس، بل وقد يدمغونها باعتبارها اختلافاً يصل إلى درجة مخاطرة الجنون، لكن صاحبنا يتصور أنه يربأ بنفسه أن يكون من هؤلاء، فهو يصفق لمن خاض هذه التجربة الجديدة، نيابة عنه غالباً، وبالتالي هو "يكيد العدا" أيضاً نيابة عنه.

ليس هذا فقط، بل إنه يبدي إعجابه بالمؤدى، "يا سلام!!
هوه جواك كل ده!!"، وأمنيته (الكلامية) أن يتقمصه "أنا
نفسى ابقى كده"

هذا الموقف يعتبر أكثر سلبية بكثير من موقف الشخص اذى رضى بالعادية، أو بفرط العادية كنهاية للمطاف، فصاحبنا هنا لا يرفض المحاولة كما قلنا، لكنه حتى وهو يعلن أنه يتمنى أن يمر بمثل ما يمر به هذا المتقلب على صهر الحقيقة، يلحق نفسه بما يكشف أن هذا التمنى نفسه هو الذى يجدهه ويجول بينه وبين المحاولة الحقيقية، فهو يلحق أمنيته فوراً بأن يد يده "متسولا" بس حُبُونى كمان.

"حُط حُتْهُ عالميزان"، وهو يعزو ذلك إلى خبرته السابقة في العلاج الفردى الكلامى التسكينى التأويلى، "أصلى متعود زمان: إني انام شعبان كلام.

الذى حدث ان المجموعة وقائدها انتبهوا إلى كل هذه السلبيات التى جعلت وجود صاحبنا مثيراً للدهشة من ناحية - لماذا يستمر؟- ومانعا للمشاركة الزائفة السطحية التى كان يمثلها أصدق تمثيل حتى أن الباقيين لم يكتفوا برفضه، بل خافوا ورفضوا أن يسلكوا سبيله.

المقطع التالى يمكن أن نقرأه على لسان حال المجموعة، أو على لسان حال قائدها (وهى ليس لها قائد بطبيعتها) وهى تبدأ بتنبيه صاحبنا أن يكف عن التسول ويشرع فى المبادأة، إن كان صادقاً فى أنه "أنا نفسى ابقى كده".

ويتكرر الموقف وكأنه سوف يهيم أن يفعلها، لكن سلوكه، وإعلانه، وإصراره على التمسك بموقع المتلقى طول الوقت، يكشف نفسه بسرعة هائلة: قام صاحبنا بأن كانه مش ممانع، بس قاعد ينتظر "بنج اللذاذة"، كله دايب فى الإزاة"

هذه الفقرة بالذات، وتعبير بنج اللذاذة، كله دايب فى الإزاة، هى من أصرح الفقرات نهياً عن المفهوم الشائع: إن العلاج النفسى هو تريح وتسكين وتفريق..، معظم المرضى، وأهلهم أكثر منهم لا يطلبون من الاستشارة النفسية، أو العلاج النفسى وبالذات فى البداية إلا "أن يرتاحوا"، وقد ناقشنا ذلك فى هذا الكتاب مراراً، ونكرر هنا أن هذا حقهم، ولكن ليس على حساب رحلة نموهم.

كل هذا لا يعنى أن يمتنع المعالج أن يعطى جرعة "الترييح" الضرورى بين الحين والحين، وخاصة في البداية، ولو على سبيل الرشوة حتى تستمر مسيرة العلاج إلى أن يعاد التعاقد لدفع عجلة النمو.

يقول لسان حال المجموعة، الذى يستحسن أن نتمثله في قائد مفترض حالاً:

(4)

"يا أختينا مَدِّ إيدك

يا أختينا هَمَّ حَبَّةُ.

الحكاية مِش وكالة بِنْتَشَتِرِي منها المَحَبَّةُ".

قام صاحينا بأن كانه مِش مِمَانِغْ،

بس قاعد ينتظر "بِنَجِ اللذاذة"

كلّه دايب في الإزاة

رضعة الحب اللى جى جاهز ودافى

رضعه كاملة إلدَسَم، سَكَّرها وافى !!

وبعد

نتوقف هنا حتى نستوعب هذا الموقف غير المألوف، ظاهر التناقض دون تناقض، لنكمل نفس الحالة غداً على حساب استجابة المشاركين في اختبار فرض "الحب الجاهز: حلقة رينا" بمنهج اللعب النفسى التى قدمنا من خلاله عشرة ألعاب الأسبوع الماضى. نشرة 2009-12-3 "عودة إلى الألعاب النفسية، لتعويض الصمت"

وإلى الغد

وأكرر الاعتذار

حلقة الغد

غداً يبدأ "المعلم" قائد المجموعة (أو لسان حال المجموعة) بكشف موقف صاحينا بأن يعرض (أو يتصنع أنه مستعد) أن يوصل له جرعة الحب والرعاية حتى بؤرة قلبه (توصيل المنازل Delivery)

وفيما يلى نص تصنع هذه الاستجابة الكاشفة كما جاءت في المتن:

(5)

والمعلم ضبرة مجاله الطويلة،
قال "لابد أشوف لهُ حيله":
قال له يا ابني تعالى جنبي
إنت تطلب، وأنا البى،
راح صاحبنا معرى جوعه، نط كل اللى مذارية
عرضحال كاتب جميع ما نفسُه فيه:
" .. بعد موفور السلام،
نفسى حبة حُب .. أو حبة حقيقة،
نفسى أفهم في اللى جارى ولو دقيقة،
نفسى أعرف في اللى بتقولوا عليه،
نفسى اشوف دا اسمه إيه"

وغدا نناقشها

الخميس 10-12-2009

832- تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية (2 من 2)



فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكيوباتولوجى

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحالة: الثامنة

مرة أخرى:

تسول الحب، والاعتمادية الرضيعية (2 من 2)

(وهامش عن جرعة الرؤية فى العلاج النفسى الجمعى خاصة)

توصية:

أنصح بقراءة حلقة أمس لضمان تواصل المتابعة

مقدمة:

توقفنا أمس عندما بدأ "المعلم" (قائد المجموعة أو لسان حال المجموعة) يعرض على صاحبنا ساخرأ أن يطلب ما يشاء!! وختمنا حلقة أمس بالمتن الذى يعلن ذلك.

ونبدأ حلقة اليوم بنفس المتن:

(5)

والمعلم ضبرة مجاله الطويلة،

قال "لابد أشوف لهُ حيلة":

قال له يا ابنى تعالى جننى

إنت تطلب، وانا البى،

.....

راح صاحبنا معرّي جوعه، نطّ كل اللي مُدارية
عرضحال كاتب جميع ما نِفْسُه فيه:

".. بعد موفور السلام،

نفسى حبّة حُب .. أو حبّة حقيقه،

نفسى أفهم في اللي جارى ولو دقيقة،

نفسى أعرف في اللي بتقولوا عليه،

نفسى اشوف دا اسمه إيه"

موقف صريح آخر لإعلان التسول، لكن التسول هنا يتجاوز تسول الحب، فهو يتسول أيضا المعرفة، فهو يدرك - من بعد أعمق - أن كل رؤيته لحقيقة الجارى، ولأنّ الذى يحاول أن يخوض التجربة، ليست إلا رؤية زائفة، بل إنها يمكن أن توصف بأنها حتى: "ضد الرؤية" (قارن الحالة السابقة)، وقد عرى المتن داخل صاحبنا حين يقرن تسوله للحب، بتسوله للحقيقة، ويلحق ذلك مباشرة بإعلان جهله بما يجرى حوله برغم كل مزاعمه أنه يراه ويعرفه، وبالتالي يطلب منه، ويحاول أن يكونه، بل إنه يعترف أن كل الأسماء التى أطلقها على هذه الخبرة أو الخبرات، غير كافية للإحاطة بها: "نفسى أعرف في اللي بتقولوا عليه، نفسى أشوف دا اسمه إيه".

في خبرتى كنت أترك مثل هذا الشخص وكأني أهمله، لعله يستثار من بعيد لبعيد، وبعد فتره تطول أو تقصر حسب حساباتى أحاول بداية الحوار معه، ومن ثمّ الأمل في التفاعل، ولكنه في العادة يعود يكرر الكلمات الجارية في المجموعة .. دون إحاطة كافية بضمونها، أو تحمل مسئوليتها، أو حتى محاولة احترام حفزها.

الذى حدث - كما قلنا سابقا- أن المعالج السابق لصاحبنا كان هو الذى ظهر في المتن وكأنه يحاور صاحبه القديم، وهو يحاول أن يظهر له الفرق بين خبرة العلاج الفردى، وخبرة العلاج الجمعى،

الفقرة التالية من المتن تظهر محاولات هذا المعالج استدراج صاحبنا إلى كشف مدى ما يريد من هذه الاعتمادية، التى حلت محل المواكبة التى لَوَح المعلم بها: "المعلم قال له: ماشى ياللاً بينا "

ولكن بلا جدوى أيضا:

(6)

المعلّم قاله: "ماشى، يالله بينا"

- يالله بينا!!! يالله بينا؟ على فين؟

دانا مستنى سعادتك.

روح وهات لى زى عادتك.

أى حاجة فيها لذة،

الكلام الخلو، والمنزول، ومرة.

أنا أحكى، وانت تتصرف براحتك.

أنا تعجبني صراحتك،

يبدو في هذه الصورة من جديد الأثر السلبي للإصرار على مفهوم أن العلاج النفسى ليس إلا تفرغاً بالكلام، الخين هنا إلى مرحلة العلاج الفردى الكلامى التسيكى واضح بصورة صارخة.

كثير من المرضى يتصورون أن دورهم ينتهى عند الحكى، والباقى على المعالج "أنا أحكى، وانت تتصرف براحتك"، وإعجاب صاحبنا بصراحة المعالج قد يكون إشارة إلى استقباله هو وليس إلى دور المعالج الحقيقى، فأى معالج مهما بلغ تعاطفه مع مريضه، وتأثره بفكرة الترييح والتسكين والتفريغ، لا يمكن أن يقبل أن يطول هذا الوضع، وإلا انتهى إلى غاية السلبية، صراحة المعالج حتى في رفض القيام بهذا الدور، قد يقلبها مثل هذا المريض إلى تصفيق للمعالج دون أن يصله رفض المعالج لكل هذه الاعتمادية.

وهنا أحب أن أشير إلى أن التحسن الظاهرى الذى قد يتوهم المريض والمعالج معا أنه تم في العلاج الفردى.. قد تبين طبيعته الهروبية والدفاعية إذا ما أتاحت الفرصة لاختباره في بوتقة العلاج الجمعى بما يحمله من مواجهة وتفاعل ومقارنة واختيار، خاصة حين يتصاعد موقف المعالج حتى يرفض مثل هذا المريض، وكأنه يعاقبه "يزعل منه" بهمله، يكشفه، يواجهه، يهدده بقطع العلاج، لكن صاحبنا يكاد يكون على يقين من حقه في ألا يتغير مهما تغيّر نوع العلاج،

نقرأ المتن:

إوغى تزعل منى: دنأ عيّل باريل،

لسّه عندى كلام كتير أنا نفسى اقوله،

عايز اوصف في مشاعرى وإحساساتى،

واقعد اوصفها سنين،

مش حا بطلّ، خايف ابطلّ،

لو أبطلّ وصف في الأحساس حاجس،

وانا مش قد الكلام دة.

يلاحظ هنا أن الخطاب هو بلغة الجزء الأعمق من النفس. كما هو الحال في هذا العمل كله.. لأن كل هذه الدفاعات تحدث - طبعاً - بعيداً عن وعى المريض الظاهر، أمّا الطبيب "أو

المعالج" فإنه يلتقطها من خلال تقمصه بالجزء الأعمق لمريضه، ثم قد يتبينها المريض فيما بعد، أو لا يتبينها. عندما أشرح هذه الفكرة التي تقول "لو أبطل وصف في الإحساس حا حس"، لا يصدقني أغلب تلاميذي أو زملائي الأصغر، ناهيك عن مرضاي.

المعتقد العام هو في الاتجاه العكسي (كما أشرنا سابقا غالبا)، معظم الناس يعتقدون أن وصف الإحساس هو سبيل إلى تعميق الإحساس، النص هنا ينه إلى أنه في كثير من الأحيان، ولا مجال للتعميم بدهاءة، يكون وصف الإحساس بالالفاظ هو بديل عن معايشة هذا الإحساس، وفيما يلي مشهدين يؤكدان ذلك، الأرجح أنني اشرت إليهما سالفًا أيضا وهما

أولا: فترات الصمت التي تحدث مصادفة في العلاج الجمعي، تفتتجر خلالها أحاسيس مختلفة، لمن يجمي نفسه بسبات خفيف أو عميق، أو على الأقل بسرحان ممتد، قد يكسره زيادة فترة الصمت أكثر وأكثر، في هذه الحالات التي عايشتها في العلاج الجمعي عددا متوسطا من المرات، كانت المشاعر الحقيقية التي تظهر خلال الصمت أعمق، مما يسهل علينا التقدم إلى طبقات أخرى من الوجدان، ومستويات أخرى من الوعي.

ثانيا: تلك التجربة التي وصفتها أيضا في حلقات سابقة: حين أعرض على مريض في لقاء إكلينكي - تعليمي في الغالب - أن يسمح لحزنه أن يظهر دون (أ) أن يعزوه إلى سبب، حالي أو سابق، وأيضا (ب) دون أن يعبر عنه بالالفاظ، (أحيانا أستعمل تعبير: بمارس حقهُ في "الأم")، وإذا بنوع آخر من الأحاسيس يطل من العينين والوجه والجسد دون أَلْفَاظ مؤكدا الفكرة التي جاءت في المتن هنا: أنه "لو أبطل وصف في الإحساس حا حس"،

داخل "صاحبنا" هنا، يعلنها هكذا: أنه لن يسمح لمشاعر أصدق أن تطل منه رغما عنه.

ينبغي أن ننبه هنا إلى أن وصف الإحساس ليس منهيًا عنه على طول الخط، فالقدرة على ترجمة الأحاسيس إلى أَلْفَاظ هي أداة للفنانين والشعراء خاصة، وإن كانت قد مرت على فترة شعرت فيها أن الشعر بالذات قد يكون ضد الثورة، اللهم إلا شعر التحريض، وهو ليس شعرا جدا، أو على الأقل ليس من أفضل الشعر، وإذا كنا نشجع الطفل في غوه العادي أن يتعلم الرموز (الكلام) في طريقه إلى التفوق الإنساني، فإن الرموز اللفظية التي تصف الانفعال بوجه خاص هي من أعجز الرموز وأكثرها غموضا وتداخلا. إن النمو عند الأطفال وغيرهم لا يعني أن يحل الرمز محل الخبرة.. الكلام يساعد الطفل ليستطيع بعض خبراته بما تيسر من رموز.

في هذه الصورة التي أقدمها هنا يخرج اللفظ عن هذه الوظيفة - كما ذكرنا - ويصبح بديلا عن الخبرة .. يصبح اغترابا عن الوجود.

حين يتأكد هذا الموقف هكذا، من داخل داخل المريض، يصبح الاستمرار بنفس شروط التعاقد البدئي مضيعة للوقت في أغلب الأحوال، وهنا يحق للمعالج أن يفرض توقف العلاج (حتى الطرد). وأنبه هنا أن من قواعد العلاج الجمعي الذي غارسه أنه يحق لأي فرد، معالج أو مريض، أن يعلن رغبته في طرد أى فرد آخر (معالج أو مريض)، على شرط أن للمطروود أن يستمر غضبا عن الطارد، وكثيرا ما يحدث ذلك أثناء العلاج، لكن لم يحدث أبدا أن طردَ مريض معالجا، وإن كان هذا وارد من حيث المبدأ، وحين يستعمل المطروود حقه في الاستمرار غضبا عن طارده حتى لو كان المعالج، ونطلب من المريض أن يفرض حضوره رغما عن طارده (المعالج)، بالألفاظ تارة، وبالبقاء دون تنفيذ الطرد تاريخ أخرى، يحدث عادة في هذا الموقف نوع من "إعادة التعاقد"، وهذا يوثق العلاقة الجديدة برغم ما يبدو في ظاهر الأمر من شكل القسوة.

المقطع التالى فى المتن يعلن مثل هذا الموقف من المعالج ببساطة "شوف لك حد غبرى"، ولعل هذا يبين أيضا أن هذا الإجراء ليس حرمانا من العلاج، وإنما هو اقتراح بعلاج آخر، قد يكون المريض فيه أقل مقاومة، وأكثر استفادة حسب شروطه.

المقطع التالى يعرض أيضا مقارنة ساخرة بين العلاج التسكينى بالعقاقير المهدئة أو القامعة (مع أنها هى التى تستعمل منظمة، ومنشقة مع اختلاف الطريقة والجرعة والتوقيت بحسب مسيرة العلاج التكاملى)، وهو - المقطع - يشير أيضا إلى وسائل هروبية أخرى، من أول الهجرة الهروبية إلى التوقف عن مسيرة النمو تماما مما نسميه أحيانا - برغم قسوة الاسم - الموت النفسى، وهو يقابل الاغتراب المزمّن، وما يسمى "فرط العادية الروتينية المعادة"، وهو ما يدل عليه تعبير "إنه مش لازم نعيش".

بديهى أن هذه الجملة ليست دعوة للانتحار بقدر ما هى حفز إلى الحياة مرة أخرى "كما خلقنا الله".

(7)

المعلم قاله: شوف لك حد غبرى،

جنينا دكانة تانية،

فيها "بيتزا" مالى هيه،

أو "لازانيا".

فيها برضك وصفه تشفى مالعقد،

إسمها "سبب البلد".

فيها توليفة حبوب من شغل برة.

تمنع التكشيرة، والتفكير، وتملك بالمسرة.

فيها حقنة تحلى بالك مستريح.

تنتشى وتفضل متئخ.

فيها سر ما يتنيسش.

إنه "مش لازم نعيش"!!

المتن يظهر لنا كيف استجاب صاحبنا لهذا الطرد الصريح بأن أعلن مقاومته للتغيير رغما عنه، وهذا لا يتعارض مع إصراره البدئي على التغيير مثل الآخرين "أنا نَفْسِي ابقِي كده"، لكن حين وصل الأمر إلى التهديد بـ... "إنهاء التعاقد" هكذا، استثار هذا الموقف مقاوكة صاحبنا فراح يكشف عن أسبابه للمقاومة.

هذا النوع من العلاج بالمواجهة والتعريية، إن لم تضبط جرعته، ويمتد زمنه إلى درجة كافية، ومهما كانت حسن نية من يشترك فيه، وموافقته على شروطه، وأيضا مهما سمي أنه علاج من منظور النمو والتطور ومثل هذا الكلام، فإن فيه خطورة أن يطغى عليه فكر مثالي، تحت تأثير معالج له حضور قوى، أو منظومة ذاتية طاغية ظاهرة أو خفية، وبالتالي، فإن المريض الذى يلتقط أيا من هذا مهما كان حماسه، يخشى على هويته، على منظومته الخاصة من الاهتزاز، سواء كانت منظومة دينية، أو أيديولوجية سياسية، أو ذاتية ظاهرة أو خفية، يخشى عليها لدرجة أن أية دعوة للمخاطرة بالتغيير تترجم لديه بأنها إغارة من منظومة المعالج الأقوى، أو من منظومة المجموعة ككل، وهنا تقفز المقاومة (المشروعة بصراحة)، ولا تهدأ إلا حين يكتشف المشارك أن له حق الاحتفاظ "بنفسه وهويته كما هي"، وأن المطلوب هو السماح بإضافة جدلية من خلال الاختلاف الموضوعى المقاس بمقاييس النمو والتكيف والإنجاز معا.

هذا ما أعلنه صاحبنا بصريح العبارة هكذا :

(8)

قام صاحبنا إنْقَمَضَ، بس ابْتَسَمَ .

قال عليك نور يا معلم ،

(بسّ انا مش ناوى اسلم .)

قال لِنَفْسُهُ مش حاشوف غير اللى انا قادر أشوفه .

هَى لعبه؟

هوه عايزنى أكون من صنع إيدته؟

واللى بيَقُولُهُ، أعيدُهُ؟

إنما بعيد عن شواربُهُ،

مَش مصاخبُهُ .

حانزل اتدبّر شُؤونى

وسط هيمه الناس حاضيع .

لما أصييع ،

زنقة الستات ألد .

ما لحقيقه اللي تهز.

بس ياخساره مانيش راجل يسد،

والنسا واخداها جد.

الاحتجاج هنا والمقاومة يعلنهما "داخل" صاحبنا، وليس ظاهره، كما أشرنا سالفاء، وحين ترفض علاقة الاعتمادية العلاجية بهذا الموضوع، سواء بسبب لا جدواها، أو بسبب تناقضها مع قيم هذا النوع من العلاج وأهدافه، تتجلى في داخل المريض بدائل استسهالية ليس فيها مخاطر الرؤية، ولا اشواك العلاقة الموضوعية، ومن أهمها الاعتماد على المواد (حتى الإدمان الطبي أو غير الطبي)، هذه البدائل الهرابية لا ينبغي الحكم عليها بأحكام أخلاقية أو دينية ابتداءً، وإنما بمدى سلبيتها أو إيجابيتها على مسيرة النمو، فقد يكون في مثل هذا الاستسهال تنازل عن الهوية الحقيقية بقبول الضياع وسط كتلة الناس الممتزجة "وسط هيصة الناس حاضيع لما اصيع"،

مثل هذه الحلول ليست بالضرورة سلبية على طول الخط، حسب الثقافة التي تتم فيها، وحسب العائد منها على المشاركين فيها، وعلى المجتمع الأوسع، في ثقافتنا هنا الأرجح أنه يتم استعمال المرأة بشكل يخلو من العدل نظرا لظروفها الأكثر انسحاقا، تاريخيا وحاضرا.

صاحبنا هنا يأمل أن يجد من تقبله هكذا مستسهلا، أو حتى مُستعملا، لكن يبدو أنه حتى هذا ليس متاحا لمثل هذا الشخصيات الاعتمادية المرتعدة، وها هو داخله يعلنه أنه لن تتحقق ذاته، ولا حتى لذته، وهو بهذه الصفات، لأن المرأة التي يمكن أن تمارس علاقة حقيقية، لا تريد هذا النوع من الاعتماد من ناحية، ولا تستطيع أن تملأ احتياجا مثقوبا هكذا، من ناحية أخرى.

المقطع التالي يعلن أن هذا الحل "الدون جواني" هو فاشل أيضا لأن صاحبنا (وأمثاله) ليس حتى دون جوانا.

كثيرا ما يندفع الناس في مثل هذه التصرفات الدون جوانيه وكأنها تصرفات ناجحة مثرية، إلا أني في خيرتي المهنية على الأقل كنت أتبين من خلال معلومات متراكمة أن كثيرا من هؤلاء الذين يلجأون إلى هذه الوسائل لتأكيد الذات .. كثيرا منهم يعاني من ضعف جنسي إن عاجلا أو آجلا بشكل أو بآخر، وتفسير ذلك عندي أن هذه المحاولات الدون جوانيه تتم بشكل نكوصي منسق (وليس نكوصا واعيا) وبالتالي تأتي الإعاقة من جانب من النفس في مواجهة الجانب الناكص على المستوى اللاشعوري وكأن أحدهما يقول للآخر: **إذا كنت نجحت في الإغراء فسأفشلك في التواصل ..** ومن ثم ستعرف ما هو الفشل الحقيقي، مع استمرار السعار وراء تعدد العلاقات .. واستبدالها وتكرارها بلا جدوى.

ها هو المتن يعلن على لسان "داخل صاحبنا الناقد" احتمال فشل هذا الحل هكذا:

"النَّسَا عايزألها راجل يملى راسها،
مش يبيع روحه لها علشان ما باشها.
النَّسَا عايزه اللي عيبُّه مش في جيبه، وماشِي حالُّه،
عايزه واحد يَنْتبه لِيَّي في بالها، زى مايشوف ما في بالُّه،
النَّسَا عايزه اللي يعرف امتي بيقولُّها "أَنْ لَأه"،
أيوه "لَأه"، بس "لَأه" ليها بيها.
عايزه واحد تَحْتويه، بس تضمن إنُّه قادر يَحْتويها."
وانا مش قد الكلام ده!!

الاعتراف هنا صريح من جانب هذا "الداخل الناقد" بأن هذا الخلل الذي لاح له في البداية ، والمتن هنا يعبر عن أن العلاقة الحقيقية التي تبني الطرفين، هي علاقة نذية بها من العدل والرؤية ما يؤكد أنها علاقة بين اثنين من جنس البشر، وليس بين مُلتهم ومأذبة، ولا بين مستعمل وأداة، من هنا، وعلى لسان نفس الناقد الداخلي، وليس المعالج، ولا زملاء التجربة ، يظهر المتن بوضوح موقف المرأة التي تقبل وتستطيع أن تمنحه الاعتراف، وليس مجرد اللذة والتفريغ، مثل هذه المرأة تريد شريكا يمثل لها آخرا حقيقيا، بما يشمل تواصل متعدد القنوات، من أول أن يملأ كل منهما وعى الآخر، "يملا راسها" ، وليس من يذل نفسه طلبا لرضاها، أو رشوة للحصول عليها، أو يشترها بما في جيبه ليس إلا، وأيضا: تتعدد قنوات التواصل لتشمل الخدس المتبادل "عايزه واحد يَنْتبه لِيَّي في بالها، زى مايشوف ما في بالُّه"،

وأیضا: صاحبنا يَنْبِه داخله إلى أن العدل المتبادل يسمح له أن يعترض على شريكته بأمانة موضوعية، وليس مجرد دفاعا عن النفس، فلا أن يتنازل عن حق الاعتراض المسئول مجرد إرضائها، ويكون حق الاعتراض "إن لَأه" متبادل ومسئول بقدر ما يعود عائده علي دفع العلاقة أكثر فأكثر إلا علاقة إنسانية حقيقية، النَّسَا عايزه اللي يعرف امتي بيقولُّها "أَنْ لَأه"، أَيوه "لَأه"، بس "لَأه" ليها بيها.

وأخيرا، فيبدو أن داخل صاحبنا يعرف مدى بعده عن كل ما تتطلبه المرأة التي تجاوزت أن تكون مجرد جسم أنثوى منحشر في "زئقة الستات"، بهذا الشكل،

والمتن ينهي هذه الرؤية بإظهار أن العلاقة الحقيقية، سواء مع امرأة، أم في العلاج الجمعي، وما شابه، هو تبادل الاحتواء لتعميق حركية "الدخول والخروج"، بدلا عن الاتهام، أو الاستعمال، "عايزه واحد تَحْتويه، بس تضمن إنُّه قادر يَحْتويها".

يعود صاحبنا الذي نحمد له استمراره هكذا، ينتبه إلى أن هذا الوعي الناقد الذي كشف له شخصيا فشل مهاربه، هو

نتاج من خبرته في هذا النوع من العلاج، وبالتالى جعله كمن رقص على السلم، فلا هو أعمى تماما يمشى حاله مثل غيره، ولا هو يواصل رحلة النمو ويدفع ثمنها، حتى الخلل الهروى الذى، يبدو أنه أفشله قبل أن يبدأ، لم يأت الإفشال من نصائح المعالج، ولا من القياس على خبرة الذين يحاولون فى المجموعة، لكنه جاء من واقع رؤيته الأمينه، برغم أنها لم تنفعه حافزا لاستمرار تجربة نموه، فهي رؤية صادقة وكاملة، برغم أنها عاجزة، وذلك لأنها معقلنة تماما.

هل هذه الرؤية الناقدة دفعت صاحبنا، أو تدفع مثله، أن يواصل رحلة النمو الصعبة، من خلال المغامرة المغفوفة بالمخاطر، والألم الواعد بالتجاوز؟ الإجابة هي أن الوعى المعقلن، حتى من داخل الداخل ناقدا قويا هكذا، ليس كافيا - عادة - للتغلب على مثل هذه المقاومة القوية.

وها هو صاحبنا يعلن أسفه أنه لم يستطع أن يتخلص مما وصله من رؤية، وفى نفس الوقت لم يستطع أن يكمل، فيروح يضع اللوم كل اللوم على من عرّضه لهذه الجرعة المفرطة، دون أن يتأكد من قدرته على تحملها،

هذا هو ما تناولناه فى حلقات سابقة مكررا (هنا، فى باب التدريب عن بعد أيضا)، عن ضرورة ضبط الجرعة، ليس فقط جرعة العقاقير وتناسبها مع مسيرة النمو، وإنما أساسا جرعة الرؤية، وتناسبها مع الألم، والحركة.

نسمع عتاب صاحبنا الهجومى على المعالج، وهو محق فيه، برغم احتمال عدم موضوعيته:

(9)

كله منك يا معلم:

ليه تفتح عينى وتوريني نفسى؟

ليه تلوح باللى عمره ما كان فى نفسى؟

واحد واحد، كنت هدى،

قبل ما تحنّسنى، يعنى، بالحاجات دى.

ليه تخلّى الأعمى يتلخبط ويرقص عالسلام؟

كنت سيبنى فى الطراوة، يعنى صاحى زى نايم.

داهية تلعن يوم ما شفتك.

يوم ما فكرت استريخ جوا خيمتك.

يوم ما جيتلك تانى بعد ما كنت سبتك.

يا معلم: إما إنك تقبل الركاب جميعاً

اللى واقف، واللى قاعد، واللى متشعبط كمان،

ختتم هذا الشرح بشيء من الإعادة (التي يمكن أن تنجح لاحقاً حين يجمع الكتاب في طبعة ورقية)، وهي إعادة تتعلق بنفس القضية الخطيرة التي تبدأ بالتساؤل :

إلى أي مدى يحق للمعالج أن يغير من نوع وجود المريض، وقيمه؟

إن احتجاج صاحبنا الأخير هذا هو إعلان من جانبه - رغم سلبيته - محذر رائع،

الاختلاف حول هذه القضية شديد، وأغلب الآراء ترجح صراحة أنه ليس من حق المعالج أن يتدخل بأية صورة في نوعية وجود آخر، أو منظومة قيمه، وبرغم أنني مع هذا الرأي ابتداءً إلا أنني أعيد صياغة التعبير هكذا :

.. "ليس من حق المعالج من حيث المبدأ - أن يتدخل في نوعية وجود آخر أو منظومات قيم من يعالجه، بشكل مباشر، ولكن أيضاً ليس مطلوباً منه أن يخفى عن مريضه نوع وجوده هو (وجود المعالج)، خاصة مع المريض الذهاني، فالأرجح أن هذا الأخير سوف يلتقط منه ما يشاء دون إذن، وعلى ذلك:

فكلما كان التدخل واعياً كان آمناً وأكثر انضباطاً، وأضيف:

إن الحديث عن المعالج والعلاج يختص بدائرة محدودة في المجتمع، وأن الذي قد يسمح للمعالج بهذا التدخل الواعي المسئول هو عاملين أساسيين:

أولاً: وجود أعراض ضاق بها المريض وبالتالي فهو ساع إلى التغيير ابتداءً،

ثانياً: حضور المريض باختياره النسبي للعلاج، ثم تأكيد حضوره هذا بانتظامه في الحضور برغم كل شيء .

إذا ما توفر أحد هذين الشرطين فهو اعتراف ضمني بأن المريض يوافق على تغيير ما، والمعالج عادة - كما تبينت أثناء خبرتي- يعرض تغييرين:

أحدهما تغيير ثوري نحو النمو والتطور.. (وعليه أن يكون ناجحاً شخصياً في ممارسة هذا السبيل ولو جزئياً، وإلا فالخدعة أخطر من كل تصور).. فهو يقف مع هذا التغيير ويساهم بالمشاركة في استمراره، وهو يشير ضمناً، من واقع ممارسته إلى نتائجه،

أما التغيير الآخر الذي يعرضه المعالج - بطريق غير مباشر فهو تعديل ما استجد من أحوال مرضية (أعراض وإعاقة) بالرجوع إلى نوع الوجود القديم شريطة اختفاء الأعراض والاستمرار في الاداء على أرض الواقع

على المعالج أن يترك المريض يلجأ إلى هذا التغيير الأخير بنفسه - وربما ضد محاولات دفعه لمواصلة النمو - حتى يتحمل مسئولية نتائجه

أما الذى ينبغى أن يرفضه المعالج فهو الحل الوسط المائع المتذبذب فى صورة استمرار الأعراض أو استمرار الاعتمادية أو استمرار الخداع "بالرقص على السلم" بين الاختيارات المطروحة .

الخلاصة :

نستنج من كل هذا أن المطلب الذى انتهى به المتن على لسان صاحبنا المحتج، هو مطلب حر فى ظاهره، لكنه تيريرى سلبى فى نهاية الأمر، لأنه لم يدفع المريض للانسحاب من الخيرة ، وتحمل مسؤولية ذلك.

صاحبنا هنا يتمنى - ويطلب ويعمل على - أن يوقف المسيرة

لكنه يفتح الباب بأمانة شديدة، لاحتمال استمرار النمو إذا أحسن ضبط الجرعات جميعاً، وتناسب البصيرة، مع الألم، مع الحركة، مع المواقبة، مع النمو.

يا معلّم: إما إنك تقبل الركاب جميعاً
اللى واقف، واللى قاعد، واللى متشعبط كمان،
أو تحط اليافطة تعلن فىن خطوط خدّ الأمان.
كل واحد شاف كده غير اللى شايقهُ،
يبقى يعرف إنه يمكن لسه مش قَدّ اللى عرفهُ.

الخميس 17-12-2009

839 - بنضج الوجدان البشري: حركية "لتعارفوا" (الحب)



فى فقه العلاقات البشرية: دراسة فى علم السيكوباتولوجى

لوحات تشكيلية من العلاج النفسى والحياة
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

تابع استجابات أصدقاء الفرض الخاص

بنضج الوجدان البشري: حركية "لتعارفوا" (الحب)

مقدمة:

نشرنا أمس إستجابة ست لأصدقاء اللعبة المكتملة للفرض المطروح للمناقشة، والذي نرى أن تحدده على الوجه التالى:

"إن ما يميز الإنسان هو قدرته أن يتعهد جماع مراحل تطوره كما هيأها له خالقه ليطلق طاقة التواصل (المسماة الحب) لتحقيق الوجود البشرى وهو المستوعب لكل تاريخه مراحل تطوره حتى الآن".

وسوف نعرض اليوم تسع إستجابات لنفس اللعبة ثم نناقش الإستجابات الخمسة عشرة الأسبوع القادم.

ملحوظة: يقتصر النشر اليوم على الاستجابات فقط دون ما أضافه المشاركون من تعقيبات تالية لإستجاباتهم مما سوف نناقشه فى بريد الجمعة 2010/1/1 الخاص بمناقشة هذا الفرض الممتد.

دراسة فى علم السيكوباتولوجى (الكتاب الثانى)

عودة إلى الألعاب النفسية

أ. أحمد سعيد

- 1- ربنا خلقنا نجب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى **إننا بنخلق أسباب للجب**
- 2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتجب الأول، يبقى بقى..... **الجب أصله الجب**
- 3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (ا) ممكن يسببني (تسببني) في أى وقت؟!!!! بس برضه **باحبه وممكن كمان أتمسك بيه**
- 4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشي الجب، ما دام مش مستنى منه حاجة.....، إنما يعنى..... **أنا استاهل أعيش الجب جوايا**
- 5- أحسن حاجة الواحد يجب اللى بيحبه وبس، طب وأنا أضمن منين إن **اللى باحبه بيحبنى أو اللى بيننا جب اصلا ولا لأ**
- 6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن **هو أتعرف عليا**
- 7- طيب، إيفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعت أحب أحب أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **مايعرفش أتجب**
- 8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حلاقيه بيحبنى، بس إيش ضئى **إنى حاقدر أشيل مسئولية الجب ده**
- 9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والجب بقى بيجى بعدين لما نطمئن لبعض، طيب!! يحصل إيه بقى لو..... **بعدها ماطمنت عرفت إن الجب ده ماينفعش**
- 10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة جب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **مساحة القرب في مقابل البعد**

أ. إسرائء فاروق

- 1- ربنا خلقنا نجب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى **الخوف كتير بيضيع المعنى الحقيقي للجب**
- 2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتجب الأول، يبقى بقى اعرف يعنى أيه جب عشان أعرف استقبله صح
- 3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (ا) ممكن يسببني (تسببني) في أى وقت؟!!!! بس برضه **هاحبه أيا كانت النتيجة**

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستني منه حاجة....، إنما يعنى..... **أنا إنسان**
محتاج احس إني بأخذ زى ما بأعطي

5- أحسن حاجة الواحد يجب اللي بيحبه وبس، طب وانا
أضمن منين إن **أعرف أكمل على طول كده**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
يجرحنى

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللي بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **أنا**
نفسى محتاج شغل مع نفسى

8- الظاهر إني أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حلاقيه
بيحبنى، بس إيش ضئى **إن ده موجود فعلاً**

9- إحنا مخلوقين تخاف من بعض، ونتخافق مع بعض، والحب بقى
ييجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لوه.....
حبينا بغض النظر عن أى حاجة (خوف أو خناق)

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام
إحنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **كلمة**
القبول للآخر بديل لحد ما ربنا يكرم

أ. أيمن عبد العزيز

1- ربنا خلقنا نجب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللي
بيحصل بقى **أنا بنجب نفسنا وبنترى على حسابات**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى
بقى..... **أنا باصعبها على نفسى**

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وانا عارف إنه (ا) ممكن
يسيبنى (تسيى) فى أى وقت؟!!! بس برضه **يفضل جوايا**
مشاعر تجاهه

4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستني منه حاجة....، إنما يعنى..... **ما قدرش**
أعمل ده لأنى هازعل من نفسى

5- أحسن حاجة الواحد يجب اللي بيحبه وبس، طب وانا
أضمن منين إن **الخب ده مايعطلىش**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
اتاذى أو أذيه جى ده

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللي بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **يبقى**
فى أنا حاجة غلط

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالقيه
بيجبني، بس إيش ضئى **أنى ألقى نفسى باحبه**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والخب بقى
بيجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو.
حبينا بعض من الأول يمكن مانعرفش معنى الحب

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام
احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **أن كل
واحد يعملها بطريقته**

أ. عبر محمد

1- ربنا خلقنا نخب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللى
بيحصل بقى **إننا بنخاف من الحب ده**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أحب الأول، يبقى
بقى. **عمرى ما أحب**

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (ا) ممكن
يسينى (تسينى) فى أى وقت؟!؟!؟! بس برضه **هاحرم نفسى
ليه من الخبرة دى، مش يمكن مايسينيش**

4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستنى منه حاجة. إنما يعنى. **لو هو
كمان بيجبني ويستاهل حيبقى أحسن كتير**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيجبه وبس، طب وأنا
أضمن منين إن **إن الحد ده بيجبني مجد**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
يجرحنى

7- طيب، إيفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى.
ماحبيتش مجد

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالقيه
بيجبني، بس إيش ضئى **مش حاينجاف يقرب زي**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والخب بقى
بيجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو.
ما جاش

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام
احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **إننا
نسيب نفسنا شوية ونسمح بالقرب يمكن نكتشف انك بتحب من غير
ما ما تحس**

د. أسامة فيكتور

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى **أن احنا بنعمله بالعقل**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، بس يمكن مش شرط، يبقى بقى..... **أحب وخلص**

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (ا) ممكن يسببني (تسببني) في أى وقت؟!!! بس برضه..... **لازم نجرّب ونتوجع**

4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة بالمقابل، إنما يعنى..... **ربنا موجود**

5- أحسن حاجة الواحد يجب اللى بيحبه وبس، طب وأنا أضمن منين انه..... **حايجي وقت ومش حايجني**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن..... **مايجينش**

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب أحب أحب، وما حدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إن..... **باحب خلقه ربنا**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقية بيحبنى، بس إيش ضفى..... **ده حب حب**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخافق مع بعض، والحب بقى بيجي بعدين لما نطمئن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو..... **اطمنا بدرى بدرى**

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح..... **نكمل جنب بعض واللى يحصل كل واحد يسميه براحته**

د. محمود حجازى

1- ربنا خلقنا نحب بعض كدهه من غير أى حاجة، بس اللى بيحصل بقى **إن ما فيش حد مطمئن لحد**

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، بس جايز الواحد ما يعرفش يجب يبقى بقى **يعمل إيه**

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (ا) ممكن يسببني (تسببني) في أى وقت؟!!! بس برضه..... **لازم نحب**

4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب، ما دام مش مستنى منه حاجة.....، إنما يعنى..... **أكيد كسبت حاجة حلوة**

- 5- أحسن حاجة الواحد يجب اللى بيحبه وبس، طب وانا
أضمن منين إن **الشخص ده بيحبنى**
- 6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
يكون حد بيحبنى
- 7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **خسرت**
- 8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حلاقية
بيحبنى، بس إيش ضفى **إنى أنا أحبه**
- 9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخايق مع بعض، والحب بقى
ييجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو.....
ما اطمناش
- 10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام
إحنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح
نارسها فقط دون التسمية

أ. علاء عبد الهادى

- 1- ربنا خلقنا نحب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللى
بيحصل بقى **غير كده**
- 2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى
بقى **لو حبيت لازم استحمل**
- 3- ما هو ازاي أحب واحدة) وانا عارف إنه (1) ممكن يسببى
(تسببى) فى أى وقت؟!!! بس برضه **حاكمل يمكن يتغير**
- 4- طب وانا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستنى منه حاجة.....، إنما يعنى..... **حاسبب**
مكان فاضى عندى واحس خسارة
- 5- أحسن حاجة الواحد يجب اللى بيحبه وبس، طب وانا
أضمن منين إن **بيحبنى**
- 6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
ما يحسش بىجى ده
- 7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **فى**
حاجة غلط
- 8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حلاقية
بيحبنى، بس إيش ضفى **أنه بيحبنى**
- 9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخايق مع بعض، والحب بقى
ييجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو.....
حبيتنا بعض

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دي من أصله ما دام
احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح إن
احنا نكمل بالوجود دلوقتى لأن مؤمن بوجودها

د. إسلام إبراهيم

1- ربنا خلقنا نحب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللى
بيحصل بقى طب وأنا هاخسر إيه

حبيت واحد مايتاهلش الحب مادام مش مستتنى منها حاجة

كنت محتاج حد معايا

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى
يبقى يلعن أبو الحب

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (أ) ممكن
يسينى (تسينى) فى أى وقت؟!!!! بس برضه غصب عنى باحب

4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستتنى منه حاجة.....، إنما يعنى..... لو طلع
كويس كان يبقى أحسن

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وأنا
أضمن منين إن الحب ده يستمر

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
يطلع بيمثل عليا

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبنى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... فاشل

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حلاقية
بيحبنى، بس إيش ضمنى إنى استعمل الناس

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخافق مع بعض، والحب بقى
بيجى بعدين لما نظمن لبعض، طيب!! يحصل إيه بقى لو.....
الحب انتشر اكثر

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دي من أصله ما دام
احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح ألا
تعب عن مشاعرنا بالكلام لأن الكلام يفقد المشاعر مصداقيتها

أ. هيثم عبد الفتاح

1- ربنا خلقنا نحب بعض كده من غير أى حاجة، بس اللى
بيحصل بقى ما بنعرفش نحب بعض

2- لأ مش ممكن...!!! أنا عشان أحب لازم أتحب الأول، يبقى
يبقى اصبح إنى أتحب

3- ما هو ازاي أحب واحد(ة) وأنا عارف إنه (أ) ممكن
يسينى (تسينى) فى أى وقت؟!!!!! بس برضه **هأحبه لو
سابى**

4- طب وأنا حاخسر إيه لو حبيت واحد ما يستاهلشى الحب،
ما دام مش مستنى منه حاجة....، إنما يعنى..... **أنا محتاج
لها**

5- أحسن حاجة الواحد يحب اللى بيحبه وبس، طب وأنا
أضمن منين إن **الحب يبقى حب**

6- أنا ما اقدرشى أحب حد ما اعرفوش، مش يمكن
يكدعنى

7- طيب، إفرض أنا صدقت اللى بتقولوه، وقعدت أحب أحب
أحب ، وماحدشى حبى، مش برضه يبقى معنى كده إنى..... **هياس
فى الآخر**

8- الظاهر إنى أنا فعلا لو مديت إيدى جوه أى حد حالاقيه
بيحبنى، بس إيش ضمنى **إن حيننا يكمل بعضنا**

9- إحنا مخلوقين نخاف من بعض، ونتخانق مع بعض، والحب بقى
ييجى بعدين لما نضمن لبعض، طيب !! يحصل إيه بقى لو.....
إطمئنا من الأول

10- أحسن حاجة بلاش نستعمل كلمة حب دى من أصله ما دام
احنا مش قادرين نتفق على معناها، أنا أقترح **ننسى
المعنى خالص**

الإثنين 06-01-2010

859- "نيجاتيف" إنسان، وتعريفة قاسية مادة



الحالة (16)

مقدمة

توقفنا عن عرض بقية اللوحات التشكيلية عدة أسابيع، لاختبار فرض "تلقائية الحب كأصل طبيعي (خلقة رينا)، في مقابل تسؤل الحب، وصفقات الحب الجيدة والمشبوهة، واستشهدنا بعينات من العلاج الجمعي، وألعاب نفسية شارك فيها أصدقاء كُثُر للموقع، وبدأنا في قراءة وتفسير استجاباتهم في الحلقة السابقة بعد عرضها

قبل ذلك مباشرة، انتبهت فجأة إلى أننا ابتعدنا عن أصل المتن، وعن شرح الديوان، فطلبت من السكرتارية أن يجمعوا لي ما نشرناه في هذه الحلقات، وإذا بها تربو على خمسمائة صفحة من الحجم الكبير A 4 وهو ما يقابل سبعمائة صفحة من الحجم المعروف للقطع الكبير في الكتب (حجم X 70 100)، كل ذلك ولم نصل بعد إلى شرح نصف الديوان!!!.

قررت أن أتوقف فورا عن الاستطرادات، وأن أكمل اللوحات والشرح، ثم نرجع بعد ذلك، لما يتفتق عنه الشرح من "فروض"

لا أجد في نفسي رغبة في الاعتذار، لكنني أجد تفسيراً لعزوف الأصدقاء والقراء، أو عجزهم، عن المتابعة والمشاركة في مناقشة عمل بهذا التنوع والتذبذب طول الوقت،

معكم حق

دعونا نكمل ونحن نتعلم معا .

لوحات تشكيلية وليست حالات

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف،

أعيد هذا التنويه وأؤكد عليه لسببين :

الأول: أن أنفى تماما أية شبهة أنني أصف شخصا بذاته ممن عرفت أو ممن يحيطون بي، مهما تشابهت بعض السمات والأحوال (اللهم إلا شخصي أنا: قصيدة "المعلم")، أنظر بعد .

الثاني: هو أن أنفى عن مرضى تلك الصورة السلبية التي تظهر مضخمة في بعض الحالات، وكأنها كاريكاتير لإبراز ملامح معينة، وقد نبهني إلى ذلك صديق علق في البريد معترضاً على ما جاء بالحلقة الماضية بعنوان **"تسول الحب، والاعتمادية الرضيعة"**، حين تصور أن ما جاء بالمتن من تعرية موقف التسول المعتمد، هو حالة مريض بذاته، وأن مخاطبته بهذا الأسلوب الذي جاء أيضاً في المتن ثم في الشرح، لا يليق، طبعاً هذا لم يحدث، ولا يجوز أن يحدث، بالرغم من أننا ذكرنا أن هذه القصيدة هي فعلاً من وحي صديق شاركنا بعض التجربة، وكانت له خبرة بالعلاج الفردي من قبل، لكن أبداً ليس هو هو، وقد أكدنا على ذلك في بداية العمل، لكن يبدو أن الصديق المحتج - وعنده بعض الحق - لم ينتبه إلى هذا التنويه الباكر، فوجبت إعادة التوضيح، وعلى من يريد أن يتابع ماذا يحدث فعلاً مع المرضى، احتراماً ومشاركة، أن يتابع باب "حالات وأحوال"، أو باب "التدريب عن بعد".

• هذا العمل يتناول فروضا علمية، وردت في متن شعري، كتب بالعامية المصرية عن، "فقه العلاقات البشرية"، التي تتجلى في المرض وغير المرض، والتي نأمل أن يكون لها مكان فيما أسماه الصديق الجميل د. جمال التركي "فك شفرة النص البشري"، ومن ثم قد تساعدنا في لأم شروخ وجروح وتمزق المريض النفسي.

يا ترى هل نعيد هذه الفقرة كل مرة حتى ينتفى اللبس

المهم : بدءاً من هذه النشرة، سوف نلتزم ما أمكن بالترتيب التالي:

(1) الشرح على المتن أساساً

(2) ثم نرى بعد ذلك كيف نتناول نفس الفروض التي سوف تستخرج منه، بكل الدعم المتاح من واقع ما يلي:

- الممارسة الإكلينيكية،
- والعلاج النفسي،

• والخبرات الذاتية التي قد نكتشفها من خلال الألعاب،
والتقاش

تصحيح شكلي:

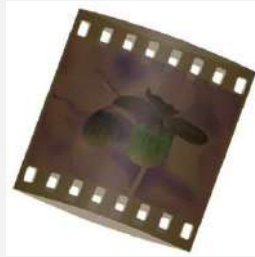
الحالة السابقة مباشرة نشرت باعتبار أنها "الحالة الثامنة"، لكن واقع ترتيب وترقيم الحالات كما جاءت في النشرات، وليس في المتن أنها الحالة الخامسة عشر وتفسير ذلك هو أنها جاءت في المتن باعتبارها الثامنة فعلا، فهي "العين الثامنة" في الفصل الثاني في المتن الشعري الذي اشتمل على "خمستاشر عين"، أما الفصل الأول فقد اشتمل على سبع حالات، بعنوان "سبع جنازات"، أما وقد جمعنا الجنازات (الفصل الأول) على العيون (الفصل الثاني) لعرض الحالات مجتمعة مسلسلة، فالأفضل أن يتواصل ترقيم الحالات جميعها بتسلسل مضطرد، وأفضل الأفضل أن نصحح الاسم، فبدلا من أن نسميها "حالة" فيظن القارئ أنها حالة مرضية بالضرورة، سوف نسميها "لوحة تشكيلية" 1-2.....بدا من الآن"،

وسوف نقوم بتصحيح هذه التسمية في الموقع بالنسبة للحالات السابقة، فتكون هذه النشرة هي التشكيل هي الحالة الخامسة عشر، وسوف نصحح التسلسل في النشرات السابقة في الموقع فورا

وقد وجدنا الأنسب بعد هذه المرحلة أن نصحح عنوان الكتاب كله، بفضل المناقشات التي دارت حوله، وخاصة من الإبن د. جمال التركي إلى العنوان الذي جاء في هذه النشرة (أنظر العنوان، شكرا)

اللوحة التشكيلية (16)

نيجاتيف إنسان: وتعريف قاسية صادقة



هذه الحالة (مرة أخرى: التي هي ليست حالة مريض ولا شخص بذاته) تصف ظاهرة بشرية معاصرة لما يحدث للإنسان المعاصر من اغتراب حتى لا يعود إلا ظل كيان خال من المعالم، مجرد رقم مفرغ من وجوده الذاتي تماما، "كأنه هو"، مشروع لم يكتمل "زى نيجاتيف صورة مش متحمضة".

هي تشكيل لموقف "متفرج يائس عنيد"، أعدم أية بارقة أمل من هول الألم، واكتفى برؤية ورصد بشاعة وجودة الممثل لما يراه الوجود العصري الغالب في مرحلة الإنسان الحالية، حين يعجز أن يحول الألم إلى طاقة تدفعه لمواصلة التحدى.

الكلام على لسان صاحب الصورة نفسه، كما هو الأمر في معظم المتن.

صاحبنا يعرى هذا الموقف الاغترابى بشجاعة، وهو يعلن بكل وضوح أن الألم الساحق يحقق الوجود البشرى النابض ويقبله شبحا بلا حضور، ثم هو ينسحب إثر ذلك رافضا أى مزيد من المواجهة أو التعرية، فلم تعد ثمة مساحة لتحمل ألم جديد، شجاعته في آخر جولة قبل إعلان الهزيمة هي أنه قادر على إعلان موقفه الرافض لأية حركة تلوح بجمتية مزيد من تحمل الحقيقة العارية للانطلاق منها، ولذلك فهو يبحث عن وسيلة (آلية= ميكانيزم) يعمى بها من جديد، وينبه الذين لم يخوضوا التجربة حتى النخاع مثله، أن يبتعدوا عنه، حتى لا يسدوا عليه سبل هربه الذى لم يعد أمامه إلا أن يلجأ إليه تجنباً لمزيد من الرؤية، أى مزيد من الألم:

راح اسيبكم تلموا

آنا من كتر الألم بطلت حلم

صرت حلم

صرت نيجاتيف صورة مش متحمضة

الحلم هنا يشير إلى معنى آخر، غير معنى حلم الليل أثناء النوم، هو ظل الشخص أو صورته المسطحة التي تحل محله، برغم أنها تحمل اسمه، ويا ليتها صورة، بل هي "نيجاتيف" هذه الصورة، ويا ليتته "نيجاتيف" يكتسب مشروعيتها من أنه قابل للتحميص ليصبح صورة، بل هو مشروع مجهض من فرط التعرية مجرد ظل باهت يحل محله. إن المطروح الوحيد على أى منا، إذا أفرغوه، أو أفرغ نفسه من ذاته، هو أن يستمر "كأنه هو"، في حين أنه غير موجود أصلاً، وكلما هم أن يحقق بعض "ما هو" بمزيد من البحث والرؤية، لحقه ألم المواجهة ساحقا حتى يفسد المحاولة، التي تشلها شدة جرعة الرؤية الصارخة "حاكم النور - مانت عارف- بوظ التحميص يا عم".

قمة هذا النوع من اليأس هو الموقف العدمى المشوه حين يصبح الوجود مجرد "عفريته" لإمكانية وجود لا يتحقق، يحدث هو أقرب إلى صورة نفسه المشوهه Distorted Self-Image نقرأ هذه الجزئية من المتن على بعضها :

....

آنا من كتر الألم بطلت حلم .

صرت حلم .

صرت نيجاتيف صورة مش متحمّضه .
 بكره خاتمّص في أوضه مُظلمه .
 اسمها أودة العمى .
 ليه بتيجوا تَنوَرُوها بالحقيقة .
 حاكم النُّور- ما انت عارف-
 بَوَظ التحميص ياعم .

بألفاظ أخرى: هذه إشارة إلى أن الذات الداخلية، إذا بلغت درجة بشعة من التشويه، من فرط ما لحقها من إنكار، وإلغاء، وإهمال، وإيلام، وسحق، لا يكون هناك حل إلا إخفاءها تماماً ببيكانزمات شديدة التغطية، "بكره حاتمّص في أوضه" مظلمة، إسها أودة العمى"، الذى يخفى صورة النفس المشوهة هي الخيل الدفاعية (العمى)، وحين تتراجع هذه الخيل أو تضمحل وفي نفس الوقت تشتد البصيرة يعجز الإنسان عن أن يخفى على نفسه هذا الإدراك المؤلم، وفي نفس الوقت يعجز أن يعيش مجرد صورة - مثل سائر الناس - وليس كيانا حيا متطورا .

والأن نقرأ نصف المتن على بعضه :

(1)

والعيون دى رخره واضحه مصممة؛
 بالصّراحة والشجاعة تقول بصدق:
 راح اسيبكّم تلمّوا .

(2)

"إقفل الباب وانت خارج".

هوّا ده شرط الحياة اللى احنا عايشنها النهارده .

إما تحلم، وانت قاعد، فى العَضارى، أو حوالين الشوالى،
 وسَط ناس مُغمى عليها من حلاوة الحلم أو مِن ظَبْط معيار
 المزاج .

إما تحلم من هنا للصبح أو ...

أو تصير الحلم نفسه .

مرة أخرى: هو يضع اختيارين عدميين:

• إما مشاركة الأغلبية العمى والضياع والاغتراب،
 والتخدير الجماعى،

• وإما الاستسلام لوجود زائف "أوتصير الحلم نفسه"، تصير
 الحلم بالمعنى الذى أشرنا إليه فى المقدمة .

والمتم يفرق بعد ذلك بوضوح بين هذا الحلم الشبح (النيجاتيف) كما يصفه، وبين الحلم الذى هو أمل أن نعيش كما خلقنا دون تشويه، الذى يقوله الجزء الثانى من القصيد أننا نترى على أن تحقيق حلمنا المشروع أن نكون بشرا كما خلقنا الله هو المستحيل نفسه "لما قالوا الحلم ذكته مستحيل يبقى حقيقة"، أى أنه: حين حيل بيننا وبين أن نكون أنفسنا، أن نواصل تحقيق أسطورتنا الذاتية، لم يعد أمامنا إلا الاستسلام بأن نلغى وجودنا لنصبح هذا الحلم الشبح نيجاتيف الصورة، وهذا ما يعنيه المتن "الحقيقة تبقى حلم".

(3)

ما هو مش ممكن يا عالم غير كده!
لما قالو "الحلم ذكته" مستحيل يبقى حقيقه،
يبقى لازم إحقيقه تبقى حلم
زى نيجاتيف صورة مش متخمصه،
حتى لو حمصتها آهى بزضه صورة،
مش حقيقه.

برغم أن هذه اللوحة لا تصف حالة فصام بالذات، إلا أننا نتعلم من الفصام جذور إشكاله الإمراضى من داخلنا، هذه الرؤية تعتبر تمهيدا لإمراضية الفصام مع أنها يمكن أن تكون عامة وكامنة عند الأسوياء.

يقول "شولمان" فى كتابه "مقالات عن الفصام" أن مشكلة الفصامى هى أنه يسعى إلى المثالية المطلقة.. ويصر على تحقيق التكامل الإنسانى التام وإذا به يجد الطريق إلى ذلك مستحيلا وليس مجرد شاق "بعكس التأثير الذى يصر على تحقيق نفس الحلم ولكن بأسلوب واقعى متدرج"

وأضيف من واقع المتن هنا:

إن الإنسان (وليس بالضرورة الفصامى) حين يواجه باستحالة تحقيق هذا التكامل الإنسانى المثالى المطلق، قد لا يقبل فكرة التدرج المتناغم المضطرب على مسار نبض النمو المتزايد، وإنما هو يسارع بتشويه وجوده بأن يسقط أبشع ما فيه على العالم. ثم هو لا يستقبل إلا هذه البشاعة المشوهة حتى دون اللجوء إلى الخيل الدفاعية التى تخفى هذه الرؤية المزعجة وهو بذلك يكفى بهذه الوقفة فى موقف ذى البصيرة المستقلة الحادة المخترقة وفى نفس الوقت العاجزة اليائسة، هى التى برغم أنها لا تنطفئ بسهولة، لا تدفع لعمل أى شئ نحو التغيير، هذا الإنسان لا يقبل أن يعيش الحياة العادية بصورة جيدة، مقبولة والسلام، لكنها ليست الحقيقية، وفى نفس الوقت هو لا يستطيع أن يتكامل تكاملا مطلقا وفورا، فلا يتبقى له إلا وجود شائه.. يمثل جزءا من الحقيقة ولكن بلا فاعلية إطلاقا.

أَوْ تَصِيرَ الْحَلْمَ نَفْسَهُ .

(3)

ما هو مش ممكن يا عالم غير كده!
لَمَّا قَالُوا " الْحَلْمَ دُكَّهُ " مستحيل يبقى حقيقه،
يبقى لازم إلحقيقة تبقى حلم
زى نيجاتيف صورة مش متخمنه،
حتى لو حمتها آهى برضه صورة،
مش حقيقه .

ثم الجزء الذى كان محذوفا:

صَبَّحَ بِالْخَيْرِ يَا عَمَى أَفْلَاتُون
لما قلت ان السرير: هو أصله مش سرير
دا بس صورة
والبنى آدم كمان ليام دمه
برضه صورة

.....

بس وكفاية كده

هيه سورة!!!؟

- استعمل هذا المفهوم لأول مرة بمناسبة ما
كتبته نقدا مقارنا لرحلة ابن فطومة لحفوظ،
مقارنة بالسيمائي لكويلهوء، بعنوان: الأسطورة
الذاتية: بين سعى كويلهوء وكذح محفوظ"، وسوف
ينشر قريبا في دورية نقد نجيب محفوظ التي تصدرها
المجلس الأعلى للثقافة، وقد أنشر منه هنا بعض
مقتطفات في يوم "محفوظ"، الخميس.
- سيلفانو أريتي: وصفها أساسا في إمراضية
الفصام

الإثنين 13-01-2010

866- "نيجاتيف" إنسان، وتعريية قاسية صادقة

مقدمة :

وصلتني هذه القراءة الأمانة الحركة من الصديق صاحب الفضل ، الإبن أ.د. جمال الترك، وأنا أعرف مدى اهتمامه بما أكتب، وتقديره لما أحاول، واحترامه لما أرى فقررت أن أخصص هذه النشرة اليوم ، التي يعتبر النقاش فيها تكملة لنشرة الأربعاء الماضي.

الحالة (16)

"نيجاتيف" إنسان، وتعريية قاسية صادقة

(الحلقة الثانية)

حوار:

د. جمال التركي X د. يحيى الرخاوي

المقتطف " لا أجد في نفسي رغبة في الاعتذار، لكنني أجد تفسيراً لعزوف الأصدقاء والقراء، أو عجزهم، عن المتابعة والمشاركة في مناقشة عمل بهذا التنوع والتذبذب طول الوقت

د. جمال التركي:

من يعتذر لمن .. أجزيث فأوفيت، أنت حجة علينا/على قصورنا/على اغترابنا/... أنت تعري دفاعاتنا الواهية حتى لا تبقى لنا حجة أمام ذواتنا/ الإنسان/ الحق... علنا نلقى السمع ونشهد...

د. يحيى:

أستغفر الله العظيم يا جمال، أكثر الله خيك يا رجل، قصور ماذا وتقصير ماذا والناس في حال أنت أدري بها؟، كل الحكاية أننا تعودنا على التلقى والتزديد، أكثر من النقد أو حتى النقض، نقيس حياتنا، وعلما ومعرفتنا "كميا" فقط بمقاييس

ليست من صنعنا، ولا تنتمي لثقافتنا، إن ما تتفضل به أنت، وكل أبنائي وبناتي الذين يساهمون بسؤال، أو إقرار، أو تصحيح، هم زادي وزوادي لأستمر، برغم أن أغلب المشاركين إنما يشاركون بضغط تعليمي متى كما تعرف، لكنني أمل بعد مضي المدة، أن يعتاد بعضهم على الأخذ والرد، فلا يتوقف بعد رفع الضغط، ولو من باب العادة، ثم خذ عندك هذا المثل الكريم: ضيف جديد، لعله زميل عزيز، اسمه د. أشرف، يكتب لنا من كندا، في البدء كتب لنا بالإنجليزية منذ أسابيع، وقمنا بالترجمة ترحيبا به، ثم طلبنا منه الكتابة بالعربية، -أو بخط اليد- (صورة)، فأنا أعرف صعوبات من يقيم في الخارج ويستعمل حاسوبا ليس به إمكانية الكتابة بالعربية، لكنه تفضل مشكورا وحل الإشكال بطريقة ما، وكتب لنا بالعربية الجميلة تعقيبا، وتصحيحا، وإضافة كانت من أهل وأعمق ما تلقيت، أليس هذا كافيا يا رجل؟ (أرجو أن تقرأ حوارنا معه يوم الجمعة الماضي) أكثر الله خيره وخيركم جميعا.

المقتطف " ... الألم الساحق يحق الوجود
البشرى النابض ويقبله شبعا بلا حضور.

د. جمال التركي:

الألم الجسدي (مهما بلغت قسوته) لا يرقى إلى الألم
النفسي/ المعنوي/ الروحي... ألم الخواء.. ألم اللامعنى... ألم
العبت الوجودي. إنه ألم يسحق الوجود البشرى النابض.. إنه
يحوله شبعا فاقد الملامح... وهل من سحق أكثر...

د. يحيى:

أنت تعرف طبعا أنني لا أعنى الألم الجسدي ابتداء، وإن كان
من أرقى وأصعب الخبرات، كما أنني لا أرحب بالألم النفسي
الساحق، لكنني أعلن دوماً أنه بدون ألم حقيقي ومناسب، فلا
علاج ولا نمو، حتى أنني كتبت مؤخراً عن ما أسموه "شريان
الحياة" أعلنت تخاوفي أن نستدرج إلى الحلول التوسكينية كبديل
عن المواجهة المؤلمة، بما في ذلك إعلان الاستسلام، وكنت أود أن
أقول: إن حرباً يموت فيها أربعين مليون مصرياً، ويتألم
الباقيين لفقدانهم، (ناهيك عن من يفضل من العرب ليستشهد
معنا)، لهي أفضل الف مرة من الانجرار وراء إلهاء متعمد،
وتسكين خبيث، تحت مظلة الشفقة الإعلامية، دون تغير النظم
الظالمة القاهرة، أنا لم أطلب إغلاق المعابر أو الحدود كما
تصور البعض، وإنما نبهت إلى أن شريان الحياة هو الشريان
الذي تجري فيه دماء العدل، وبلازما الحقوق الإنسانية
الحقيقية، وليس مجرد المعونات الاحتفالية مهما كانت ثرية
وجادة، الألم الإنساني الأرقى كدحا إلى وجهه تعالى هو الذي
التقطته مؤخراً في نقدي المقارن بين السيميائي لكويلهو، وبين
"رحلة ابن فطومة" لنجيب محفوظ، والذي سوف ينشر قريباً في
دوريته النقدية، يصفه نجيب محفوظ على لسان قنديل (ابن
فطومة) أثناء رحلته وهو يسعى إلى امتداد الذات نحو الحق
تعالى، يصفه محفوظ قائلاً: "فنضجت الرغبة الأبدية في الرحلة

على لهيب الألم الدائم، وقد علقت على ذلك في نقدي بقولي : " أليس هذا هو "الكدح" إليه تحديداً!!؟، في هذه الأطروحة قارنت بين امتداد الذات إلى الوعي الكوني فوجه الله، وهو ما يميز ثقافة المؤمنين عامة، وثقافتنا إن كنا مؤمنين أو في طريقنا إلى ذلك، وهي الفكرة المحورية في رواية ابن فطومة، وبين تحقيق الذات التي فلقونا بها حتى تضخمت ذاتنا على حسابنا، ودمتم (سوف أرسل لك في بريدك الخاص هذه الأطروحة التي فكرت في إنزالها بالنشرة، ولكنها عشرون صفحة من الحجم الكبير : حوالى 7000 كلمة).

المقتطف: "إن المطروح الوحيد على أى منا، إذا أفرغوه، أو أفرغ نفسه من ذاته، هو أن يستمر "كأنه هو"، في حين أنه غير موجود أصلاً، وكلما همَّ أن يحقق بعض "ما هو" بمزيد من البحث والرؤية، لحقه ألم المواجهة ساحقاً حتى يفسد المحاولة، التي تشلها شدة جرعة الرؤية الصارخة ..."

د. جمال التركي:

أفرغوه/ أفرغوهم/ أفرغونا/ أفرغوا الإنسان ... مفهومهم إنهم مسؤولون، إنهم من تعرف من لوبيات "قوى خفية" ولا تعلم/ أعلم/ نعلم أكثرهم

إذا أفرغ ذاته... وهل يفرغ الإنسان ذاته، إلا إذا بُرمج (مبنى للمجهول) عن وعي منه أو دون ذلك (و ما أكثر البرامج الخفية التي تعمل فينا ولاندرکها/ يدركونها هم) وتم تضبيبها في عقولنا فعملت فعلها فينا و نحن نعتقد أننا أحرار في قراراتنا واختياراتنا وتوجهاتنا. إنها قوة البرمجة... أن تنفذ إرادة واضع البرنامج معتقداً أنها إرادتك وأنت تفعل ما تريد/ يريدون دون أن تعي أو حتى تشك.

د. يحيى:

هذا صحيح، أرجو أن يكون عندك الوقت لتتبع ما أنشره كل اثنين عن " الحرية"، من وحي ما تعلمته من مرضى "حكمة الجانين"، وقد وصلت إلى الحلقة الأخيرة (العاشرة) أول أمس. إن منهج "نعم- لا"، هو منهج "إما - أو"، وهو يمتزج المعرفة إلى معرفة "كمية" يمتزجون بها وجود البشر، إلى ما يريدون، لأننا لا نستعمل فيها إلا أقل ما هو نحن، أعني ذلك الجزء الذي يسمونه العقل، وهو ليس إلا العقل الظاهر المرمج بواسطة السلطات الطاغية، الخائبة في نفس الوقت، برغم أنها منتشرة في كل مكان، وهل هناك فضيحة أكبر من برمجة العالم جميعه على الاعتقاد بأن ثم مرضا وهميا جديدا قد ظهر فجأة، وما هو إلا أنفلونزا كل سنة، وهو أقل خطورة وأضعف انتشارا، وأقل وفيات، هو هو الأنفلونزا منذ كانت الأنفلونزا مرضا له حجمه وتاريخه كما تقول الإحصاءات، لكنهم أضافوا عليها هذا العام مضافا إليه كنوع من التذليل فأصبحت "أنفلونزا الخنازير"، وهات يا إى ون وإتش ون، وهات يا بيع مصل

وعقاقر كما تشاء لمن لا يعيد النظر في أى شيء، كل هذه الموجة من التضليل والتخويف والتهويل والكذب هي شعار هذه المؤسسات على مستوى العالم، ولعلك تابعت يا جمال كيف كشفت الخدعة رسميا حتى نوقشت أخيرا على مستوى البرلمان الأوربي الذى قرر كما جاء في صفح اليوم (الأحد) المطالبة بالتحقيق فورا في أسباب تصنيف هذه الإشاعة وباء عالميا، كما قرر مساءلة شركات نوفارتس، وجلاسكو وغيرها، وأيضا مساءلة مسئولين في منظمة الصحة العالمية، ومع أنى أرجح أنهم لن ينتهوا إلى إدانة، فالقانون لا يدين العلماء على علم زائف، تدعمه كل هذه القوى، هذا مثل صارخ لما يحدث في كل شيء من أول 19 سبتمبر والرجين إياهم، وأوهام القاعدة حتى حرب العراق وحوادث الإرهاب المصنوعة منهم أنفسهم في كل مكان. لا أريد أن انتقل بك إلى السياسة، فلهذا مقام آخر، وكلام آخر، لكننى أوافقك على التحذير من البرجة، بما في ذلك البرجة العلمية، أعنى شبه العلمية.

المقتطف: "....أن الذات الداخلية، إذا بلغت درجة بشعة من التشويه، من فرط ما لحقها من إنكار، وإلغاء، وإهمال، وإيلام، وسحق، لا يكون هناك حل إلا إخفاءها تماما بىكانزمات شديدة التغطية.."

د. جمال التركي:

هذه الميكانيزمات الشديدة التغطية تعتم "الذات الداخلية" عن الوعي.. فلا يدرك الإنسان ما لحقها من تشوه يشع ويظل ينعم بالعيش الرغد... إنها العيش القشرة/ العيش السطح، وأى ألم فظيع يلحق من تجرأ فك هذه الميكانيزمات و الإطلاع عما وراء القشرة.

د. يحيى:

ما زلت مجتهدا يا جمال في تدريب نفسى، وزملانى على ضبط جرعة الألم التى نسمح بها، أو نسعى إلى تنشيطها عند المريض وعند أنفسنا أثناء رحلة العلاج (والتربية والنمو)، ضبط جرعة الألم أصعب طبعاً من ضبط جرعة الدواء، وكلامها ضرورى، لا يجوز أن نروج لإيجابية الألم إلا إذا أحسنا الحسبة، حتى لا ينقلب الألم سحقا معجزا، وهذا بعض ما جاء في هذه اليومية، وسوف يأتى كثيرا في بقية هذا العمل.

أما عن انشغالى بالذات الداخلية، فسوف تجد تفاصيل البحث عنها، ثم التفرقة بينها وبين الأسطورة الذاتية، وأيضا بينها وبين الذات الممتدة إلى الوعي الكونى فوجه الحق تعالى، سوف تجدها أيضا في أطروحة النقد المقارن السالفة الذكر بين كويلهو وحفظ، وهى التى سوف أرسلها لك بصفة شخصية، يوم الأربعاء، يوم نشر هذا الرد بمشيئة الله.

المقتطف: "الذى يحفى صورة النفس المشوهة هي الخيل الدفاعية (العمى)، وحين تتراجع هذه الخيل أو تضمحل وفي نفس الوقت تشتد البصيرة يعجز الإنسان عن أن يحفى على نفسه هذا الإدراك المؤلم، وفي نفس الوقت يعجز أن يعيش مجرد صورة - مثل سائر الناس - وليس كيانا حيا متطورا".

وغياب من اعترف بما لم يقترف، ليتباهى بقدرات يستحيل أن يمتلكها أصلاً، وبعد قتل الشيخ يسن دون محاكمة بقرار رسمي من مجلس وزراء دولة معترف بها عضواً في الأمم المتحدة، وبعد اجتياح غزة، وغير غزة، وكل غزة، وبعد شراء العلماء، وبرجة الأبحاث لصالح أصحاب الأموال لتزويج مصل وعقار، وبعد شراء منظمات عالمية، وبعد... وبعد... وبعد... علينا أن نطلق نفيراً طويلاً عالياً فعلاً ينبه أن الجنس البشري أصبح معرضاً للانقراض أسرع مما كنا نتصور. لكن عندك!! دعني أطمئنك، وأطمئن كل من يسعى كدحا: إن تواصل حركية النمو تجعل الكدح محصن بمصل ضد الاغتراب والتشظى لصالح التواصل مع من مثله ممن يحاول نفس المحاولة، في أي مكان في العالم المسكين الممزق هكذا الآن، الأمل يزداد خاصة بعد تمادى ثورة التواصل الأحدث (وأنت وما تفعله خير مثال على ذلك)، كل ذلك يفتح باب التفاؤل على مصراعيه آمليين أن يتجاوز كل الناس خطر الانقراض لو أحسنوا التواصل وداموا الكدح، وقاوموا البرجة الخبيثة الجارية على الناحية الأخرى.

المقتطف: "ويتم الانتقال من استقبال الموضوع على أنه موضوع ذاتي إلى موضوع حقيقي ليس فقط على مسار النضج العادي الذي يتواصل أو لا يتواصل، وإنما يبدو أنه هو أيضاً آلية رحلة الكدح إلى التناغم مع الوعي المطلق، إلى وجه الحق تعالى، أو لعلهما واحداً".

د. جمال التركي:

الانتقال في الموضوع " من " الذاتي " إلى " الحقيقي " عبر مسيرة النضج... إن لهذه النقلة/الرحلة أدوات ومتطلبات.. فهل المتاح من حولنا من إعلام، فكر، سياسة، فلسفة.. يدفع برحلة الكدح هذه إلى التناغم مع الوعي المطلق فيثريها ليسمو الإنسان فيما هو إنسان أم يعوقها فينتكس لما هو فيه بدائي حيواني؟

د. يحيى:

هو انتقال تدريجي إيقاعي حيوي بالضرورة، نحن نبدأ مسيرة الإدراك من إدراكنا للموضوع خارجنا كما نحب أن نراه، وكما نسقط عليه منا ما تيسر حتى لا يعود هو، وهذا هو الموضوع الذاتي، ثم تتدرج المسألة مع اضطراب النمو، حتى نتمكن من أن نراه رويدا رويدا بما هو كما هو، أي نراه موضوعاً حقيقياً، وكل هذا يحتاج طبعاً إلى أدواته الخاصة جداً، والأساسية جداً، كما تقول، وهي موجودة بفضل الله، اكتسبها الإنسان بعناد رائع عبر تاريخ تطوره، فهو يستحقها، أما ما يجري الآن حولنا، وهو المتاح لنا منهم (لا منا، ولا من ربنا)، فهو كما تقول، وألعن، لكن يذهب الزبد جفاء يا جمال، يذهب الزبد جفاء بلا أدنى شك.

أنتهز هذه الفرصة لأطمئنك أن مواصلة كتابة النشرة يومية أعطتني أنا شخصياً فرصاً كثيرة لإعادة النظر فيما كنت

قد توقفت عنده من أفكار وفروض، خذ مثلا كيف أن هذا الجزء من المتق الذي استشهدت فيه بأفلاطون، وكنت قد حذفته، ثم أعدته وأنا أكتب هذا الشرح على المتق، كيف أنه فجأة جعلني أتصالح مع أفلاطون جزئيا، ذلك أنني كنت قد استقبلت أفلاطون كما استقبله الكثيرون باعتباره مثاليا ميتافيزيقيا منظرًا، وكلام من هذا، لكنني حين أعدت النظر من خلال مدخل "الموضوع الذاتي" و"الموضوع الحقيقي" هكذا، عرفت أنه رأى ما نرى الآن بلغة أخرى، ولم يملك إلا أن يعبر عنها بما كان، جزاء الله خيرا من عنده، وغفر لنا وله، أنا لم أحب أفلاطون، ولا أرسطو الذي سجن الفكر الإنساني في "منطقه" قرنين من الزمان، أحببت سقراط طبعًا وخاصة من خلال حاكمته، لكن يبدو أنني مثل غيري لم ننتبه أننا لم نعرف أغلب سقراط إلا عن طريق أفلاطون في محاوراته، فقد أجرى أفلاطون محاوراته على لسان سقراط احترامًا وعرفانا، أو تحايلا واختراقًا، لست أدري، وإني أأمل أن أصالح أرسطوًا فربما عرفت عن طريق من عرفت به وليس منه مباشرة، باب المعرفة مفتوحه، وإعادة النظر ممكنة دائمًا، لقد فرحت يا جمال فرحة شديدة وأنا أعيد اكتشاف أفلاطون أثناء كتابتي، فشعرت بفضل النشرة على شخصيا حتى لو لم يجاورنا إلا بضعة نفر، فلا تشغل بالك.

المقسط: ف: .. الأرجح أننا ندرك دواخلنا على مسار متدرج أيضا من "الموضوع الداخلي الذاتي، إلى الموضوع الداخلي الحقيقي"، وبالتالي، نحن معرضون لخبرة رؤية حقيقة داخلنا مرحلة فمرحلة، حسب كدح النمو، وتناسب المسؤولية، فإذا اختلف هذا التناسب يبدأ التخوف والتحذير واحتمال المفاجآت"

د. جمال التركي:

نعم مرحلة فمرحلة، حسب كدح النمو... لكني أرى أن هذا "النمو الكادح" يتراجع أكثر فأكثر ليغدو لمصالح "النمو البيولوجي/ النباتي/ الغرائزي/ الدوافعي"، خاضعا فقط لـ"نوتة الشفرة" المركب فينا... ومع تدنى مستوى النمو الكادح لوجه الحق تعالى رفعة بالإنسان يتقهقر إنسان هذا العصر إنسانيا... إلا نكون مقبلين على زمن شهد/سيشهد فيه الإنسان من القلق والخيرة والضياع ما لم يعرفه على مدى تاريخه (رغم انفجار معرفي علمي لا يبقى ولا يذر)

د. يحيى:

عندك يا جمال، أنا استعمل "البيولوجي" لاحتواء كل شيء حتى ما يدور حولنا في الكون، بيو:حياه، لوجي: علم، وهل هناك ما يقع خارج "علم الحياة" لا علم المؤسسات المغلق عليهم، تصور يا جمال أنني من فرط عناد تفاؤلي، أنعامل مع الغرائز باعتبارها برامج متطورة متحورة، لا ساكنة ولا بدائية، هذه البرامج هي أيضا بيولوجية، تكاملية نولد بها بشرا منذ وجدت، إلى أن نتكامل بها ومعها، وعلينا تعهدا وإطلاقها إلى غايتها، وربما تتطور بدورها من واقع الممارسات

الأقوى، وقد تعاملت مع غريزة الجنس في أطروحتي "الغريزة الجنسية من التكاثر إلى التواصل" من هذا المنطلق، ثم هكذا أيضا تعاملت مع الإيمان في أطروحتي عن الغريزة الإيقاعية التوازنية، من هنا بدأ تصالحي مع الغرائز التي نسميها نباتية، أو بدائية، لأنها لا تكون كذلك إلا إذا استقلت وارتدت إلى فجاجتها المنفصلة عن باقى البرامج التطورية (الغرائز) الأحدث فالأحدث، الجنس إذا استقل كان نشاطا بيولوجيا لذيا تكاثريا على أحسن الفروض، لكنه إذا تكامل مع الوعى الأرقى، مع الغريزة التواصلية، وحتى مع العدوان في حضوره الإبداعى لا التحطيمى أصبح هو ما يسمى "إيروس"، وهو لفظ لم أجد له مقابلا بالعربية حتى الآن ففضلت تعريبه لا ترجمته، نشرة 8-1-2010 "حوار/بريد الجمعة" كذلك توصلت من خلال هذه الفكرة نفسها إلى فرض يتعلق بما أسميته " الغريزة الإيقاعية التوازنية"، وهى البرنامج الذى يوجهنا بفطرتنا إلى هارمونية التناسق مع الوعى الكونى إلى وجه الحق تعالى، منذ ذلك الحين وأنا لا أتكلم عن الغريزة كغريزة إلا إذا كانت منفصلة، أما إذا اتصلت بمستويات الوجود الإنسانى، فالكون، في حركية جدلية تطويرية، فهى برامج إنسانية راقية ورائعة تحتوى ما قبلها باستمرار ومجدد، تصور يا جمال أنى حين تعاملت مع هذا الفرض، قابلت أناسا عاديين ومرضى يخافون من الإيمان فيكبتونه أو يعقلنونه خشية أن يتحرك برنامجهم بداخلهم، مثلما يخاف غيرهم من انطلاقة الجنس فجأ أو محارميا فيكبتونه، جاءنى أحدهم يتصور أنه ملحد، وكنت قد أبلغته رأى (أو فرضى) أن الخلايا لا تستطيع أن تلحد ما دمنا ما زينا على قيد الحياة، جاءنى منزعا أنه حلم أنه يصلى، وأنه بعد أن قرأ التحيات التفت يمينا ويسارا وقال السلام عليكم ورحمة الله، "هل هذا كلام"؟ هكذا قال، كان منزعا وخائفا أن يكون هذا معناه ردة إلى التخلف، وكذا وكيت، طمأنته إلى أنه مازال ملحدا بفضل عقله، إلى ان يتصاخ مع باقى خلاياه، وباقى عقوله، كان صديقا طيبا، فابتسم وهو يودعى، وخف رعبه من هذه الغريزة الإنسانية الأرقى.

الغريزة الإيمانية يا جمال يكتبها المرعوب من انطلاق برنامجها خشية أن يمتد ذاته إلى "ملا يعرف"، (الغيب)، وهو حين ينجح في كبتها، حتى لو حسب نفسه متدينا لا يتبقى له إلا شكل الدين، أو هو يُعقلنها فيختزلها في تفسيرات لفظية مغتربة عن الوعى الحركى الذى يصلنا مثلا من القرآن الكريم مباشرة، والنتيجة هى ألا يبقى لدينا إلا صورة دين مغترب يحبس النص النابض، في اللفظ القابض، فلا يشحد جدل الكدح النواى إلى الغيب، الإبداع اليقين،

أسف للإطالة، (وللحديث بقية)

ولك شكرى،

وعليك السلام.

الإربعاء 20-01-2010

873- لوحات تشكيلية وابست حالات (سوف نكرر هذا التوبة كل مرة)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى مَختلجة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هى تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التى استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

اللوحة (17)

الحب بالراحة !!!

الرى "بالراحة"، هو تعبير من بلدنا، وهو ذلك النوع من الرى الذى لا تستعمل فيه أية آلة (ولا حتى الطنبور أو الخلونة). لا يمكن الرى بهذه الراحة إلا حين يكون مستوى الماء فى التربة أعلى من مستوى الأرض، ويكفى الفلاح أن "يقطع" مدخل المياه من التربة فتنسب المياه إلى الأرض "بالراحة".

كانت هذه اللوحة التشكيلية، لصاحبة هذه العيون التى تملك هذه القدرة التى تسمح بأن ينساب نهر حنائها وحبها وطيبتها إلى كل من يطلب منها "شفطة" مياه، سواء كان عطشانا، أم كان يرى هذه السيدة الكريمة سيلا من حقه أن يأخذ منه نصيبه "بالراحة"، وكانت هى تكاد لا تمنع بنفس السهولة والكرم، وحين هممت أن أقمص بعض الجارى، اكتشفت التناقض بين ما دار بجلدى، وبينى ما أنا أنبح صوتى به ليل نهار لأبين صعوبة العلاقات البشرية، وأظهر مدى التناقضات الشائكة والمخيرة، التى تحفز إلى المثابرة المستمرة، حتى تتحول أسهم المواجهة المتصادمة فى التواصل البشرى إلى حركية الجدال فالنمو المتجدد.

كنت أتعجب من صاحبة هذه العيون التى لا تضع شروطا ولا مواصفات لمن تغرقه بمياه حنائها وغمر دفنئها.

ما هذا الذى تمنحه هذه السيدة الفاضلة؟

هل هو الحب الذى نتحدث عنه أم شيء آخر؟

ملأني العجب وأنا أصف الجارى (أو المتخيل):
والنظرة دى رَحْرَه عجب.

ماباشوفشى فيها إلاشى كما الحنان.
لا لهُ شروط ولا سبب.

وأقول لنفسى يا ترى:

هوا حنان الدنيا كله اجمّع الليله هنا؟
عمال بيغمرُنّا كده من غير حساب،

كَمَا تِرعه سابتٌ في الغيطان،

إلى بطونها اتشَقَّقَت

الحاجة إلى الحنان حاجة ملحة وشاملة .. وهى تتحد في الحزين ،
والوحيد، والمنعزل، كما أنها تظهر تلقائيا مثلما تحتاج أى أرض
إلى مياه الري، كما أن هذه الحاجة تتحد أكثر بعد توالى الإحباط
..، وعند شدة الاحتياج، كما أن كل هؤلاء، يعملون عادة عن
إشكالية طبيعة هذا الخب السهل المنساب بلا حساب.

في قريتي أيضا، تترك الأرض مددا طويلة في فصل الجفاف حتى
تتشقق تماما جوعا إلى المياه، ويفيد هذا الجوع في أن يعرض
باطن الشقوق للهواء والشمس بدرجة تجعلها أكثر خصوبة
وإثمارا، وحين يأتى وقت الري بعد فترة معلومة، يقال إن
الفلاح "يطفى" الشرقى، وهو تعبير مختلف عن "يروى الأرض"،
لأنه فعلا يغمر هذه الأرض المتشققة من الجفاف، الملتهبة من
التعرض للشمس المشتاقة إلى المياه، يطفئها غمرا بما يملأ
شقوقها حتى تفيض، وتشبع، وهذا الغمر يقوم بوظيفته
التخصيبية استعدادا للزراعة المناسبة.

المقابل في كرم طوفان حنان هذه السيدة - ومن مثله -
وصلنى من ملاحظتى أن الغالبية الغالبة تطلبه، وتسعى إليه،
سواء في الحياة، أو في مقام العلاج النفسى، ونشرت أن هذا
حقهم من حيث المبدأ، سواء كان طالب الارتواء: قلبا حزينا،
أو قلبا وحيدا، أو قلبا جفّ وتشف، أو قلبا مجروحا "من
عمال الناس"، أو قلبا متهالكا "متمهمطا" من كثرة
القهر والتمزيق والإهانة والاستهانة، أو قلبا منبوذا
موصوما بالتجاوز أو حتى بالهرطقة لجرد أنه تجرأ على النظر
في المقدسات، أو نقد السلطة، أو قلبا مبدعا تجرأ فكشف عن
جانب من الحقيقة (مش صحّت الأسطى إمام من عُقلته، واللى
يصجى الناس يا ناس، أكبر غلط) فلم ينل إلا الرفض والنبد.
كل هؤلاء يمثلون جمهور العطاشى الذين يتقبلون الغمر من
مصدر المياه "بالراحة" بدون تمييز، وأيضا بلا صعوبة.

لكن هل يرتوون هكذا بدون جهد من جانبهم؟، بدون
إسهامهم في السعى إلى الري؟ ناهيك عن تحمل أن تكون العلاقة
متكافئة، والمسئولية مشتركة؟

في كثير من الأحيان يأتي المريض طلباً للعلاج ليرتاح، ليعتمد، ليجد الحل جاهزاً، والتفسير مقنعاً، والعقدة لها من محلها دون أن يشارك هو بالقدر الكافي في ذلك، وقد تجلّى ذلك تماماً في نشرة سابقة **(نشرة 2010-1-6 "نيجاتيف" إنسان، وتعربة قاسية صادقة)** وقد يتحقق له ذلك، أو بعض ذلك في بداية رحلة العلاج، أو مع تعاطي بعض المسكنات، أو المريحة من عقاقير وساج، لكن العلاج الحقيقي، مثله مثل التربية والنمو في أي مجال يتطلب غير ذلك، ويسرى في طريق مختلف.

والمية بالراحة بتطفي في "الشراقي"

من دُون ولا ساقية تَنُوح،

ولا قَادُوس ولا شَادُوف.

المية تُغْمَرُ وَاخْتَانُ بِيَبْشِبْشِ القلب الحزِينُ،

والقلب إلى مَالُوش حبيبُ،

والقلب إلى من عمائل الناس بقي حنّة خشب،

والقلب إلى اتمهمت دقائقه أصبح مثل كوره من الشراب،

تضربها رجلين العيال طول النهار.

وان جت على أزاز ام هاشم يبقى يوم أزرق وطين،

بالكوره تتشرمط يا إمّا ان العيال يتفركشوا.

حتى إذا ازاز "ام هاشم" ما اتكشرش.

مش صحت "الأسطي إمّام" من غفلتة.

"واللى يصحى الناس يانّاش أكبر غلط!"

هؤلاء العطاشى لا يرتوون عادة "بالراحة" مجرد أن لهم حقهم في الرى، قد يجذرون أو يهدأون، لكن الارتواء شيء آخر، مع التأكيد أنهم عطاشى فعلاً، بغير ذنب جنوه غالباً!! إذن ماذا؟

في خبرتى، لاحظت أن هذا الحب السهل الجاهز، حتى عند معالج نفسى طيب، ليس هو الذى يلزم المريض لينمو به ومن خلاله، هو حب أقرب إلى الفيزياء الذى لا يتوجه تحديداً إلى واحد بذاته، ليس بمعنى القدرة على الحب، ولكن بمعنى أن هذا الغامر بلا تمييز لا يحدد الفروق الفردية في الذات المعنية (الموضوع)، موضوع الحب، بل إنه يغمر من يجده دون تفرقة: "من يعطش يشرب" (وخلص)، فهل يا ترى هذا هو الحب الذى يميز الكائن البشرى بما سبق ان أشرنا إليه من أنه اكتسب الوعى، ثم الوعى بالوعى، ثم هو يثابر طول الوقت، ليميز الموضوع "كما هو"، كما اشرنا في اللوحة السابقة؟ **(نشرة 2010-1-13 "نيجاتيف" إنسان، وتعربة قاسية صادقة 2" حوار: د.جمال التركي X د. يحيى الرخاوى)** هل هذا هو الحب الذى يحاول أن

ينمو باضطراب حتى يقلب "الموضوع الذاتي" إلى "موضوع حقيقي" يسمح بعلاقة بشرية تليق بالبشر؟ هل لهذا الغمر دون تمييز ودون جهد عمر يسمح بتطوره، لنتغير من خلاله إلى ما هو أكثر مسئولية، وأقوى اقتراباً من بعضنا البعض، وأصعب أيضاً؟

وارجع أشوف نهر الخنآن

ألقاه بيطفى في الشراقى بدون "أوان"

لكين الشراقى مَهْمَا شَقَّقَهَا الجفاف؛

الميه راح ترويهها ضُخ،

لكن كمان

إن سابت الميّه على العَمَّالْ على البَطَّالْ حاتغرق أرضنا،

حتى لو الأرض شراقى مُشَقَّقَه،

ولاً الزراعة بدونْ أُولُو؟

مش لازم الأرض تجف وتتعرق؟!!

أو ضَرْبَة المِجْرَاتْ تَشُقُّ الأرض تَقْلِبْ تَبْرَهَا؟!!

في العلاج النفسى ، مثلما هو الحال في التربية والنمو، يكون عامل التوقيت من أهم العوامل، إن لم يكن أهمها في دفع النمو (والشفاء) في مساره الطبيعى، والمتبع لما ننشره هنا في هذه النشرة في باب "التدريب عن بعد" لا بد أنه لاحظ أن كثيرا من التوصيات، والتوجيهات، والاستشارات، تنتهى ليس إلى أن علينا أن نفعّل كذا أو كيت، بقدر ما تنتهى إلى "متى نفعّل ما تقرر أن نفعّله"، أى متى يكون القرار فاعلا، فيكون صوابا، ومتى يكون نفس القرار خطأ في وقت آخر، وهكذا، أضف إلى ذلك عامل "الوقت" اللازم لسبك عملية النمو مع التذكرة بأن "الوقت" نغيز التوقيت.

لا يمكن أن يتم نمو بدون وقت، قفزات التغير لها دلالتها الرائعة، لكنها وحدها، بدون أن يتم الإعداد لها في وقت كاف لإنضاجها، وبدون أن يلحقها بعدها فعل مناسب لاستثمارها، لا تدل على شيء إيجابى بالضرورة.

وارجع أشوف نهر الخنآن،

ألقاه بيطفى في الشراقى بدون "أوان" ،

بدون أوان هنا، إشارة إلى سوء التوقيت،

نتكلم دائما في العلاج النفسى والتربية والنمو عن "الجرعة"، إضافة إلى التوقيت، عن أن ضبط جرعات الدعم المباشر، وجرعة المسافة، وجرعة النصح، (نشرة 9-12-2009 "تسول الحب، والاعتمادية الرضعية" "1 من 2") لا يقل أهمية وحساسية عن ضبط جرعة الدواء،

شعرت من هذه الخبرة أيضا أن فرط غمر الحنان هكذا قد يأتي بعكس الرى، وهو الغرق.

لكن الشراقى مَهْمَا شَقَّقَهَا جَفَافٌ؛

الميه راح ترويهَا صُخٌّ،

لكن كَمَا نْ

إن سابت الميَّة على العَمَّالْ على البَطَّالْ حَاتغِرَقْ أرضنَا،

حتى لو الأرض شراقى مَشَقَّقَه،

ولآ الزراعة بدونْ أُصُولْ؟

أصول الزراعة، مثل أصول التربية، مثل أصول العلاج النفسى: لابد لها من الإعداد، والتدرج، وضبط جرعة المسافة المتغيرة، وتسميد الأرض مثل تسميد الوعى، ثم خذ عندك تقليب التربة، وتخطيط الخطوط، مثل تعتة الوعى، ورسم المسار فى التربية والعلاج النفسى (بل والإبداع). إذن فالمسألة ليست غمرا بالخب والحنان والود والإراحة، بقدر ما هى تخطيط مناسب لحركية الوعى بمستوياته "معا"، وتحريك منضبط على مسار معدّ، هذا ما يشير إليه المتن هكذا:

مش لازم الأرض تجف وتعزق؟!!

أو ضربة المخرات تشق الأرض تقلب تيرها؟!!

العلاج النفسى كما أشرنا، يحتاج - بالإضافة إلى عاملى الوقت والتوقيت الذى ذكرناهما حالا- إلى خطوات منظمة، وإلى ضبط العواطف وأحيانا منعها حتى تجف الأرض، ليس بالإهمال ولكن بالحساب، ثم إلى جرعات منظمة من الألم والعمل (العزيق) أو جرعات قاسية من الرؤية العميقة للوصول إلى الجوهر (ضربة المخرات تشق الأرض تقلب تيرها)

كما لاحظنا فى النشرة قبل السابقة (الحالة 16 "نيجاتيف" إنسان، وتعريية قاسية صادقة "الحلقة الأولى")، أن سوء فهم العلاج النفسى، يؤدى إلى فرط الاعتمادية، وانتظار الحل السحرى من المعالج، كما أن أغلب الناس، وبعض الأطباء والمعالجين، يتجنبون كل ما يؤلم المريض، ونحن نكرر باستمرار أنه لا يمكن عمل علاقة حقيقية بين البشر بدون صعوبة حقيقية، ولا يوجد نمو بدون ألم، ومع ذلك فإن الإعلام وبعض التربويين يبالغون فى التأكيد على التفويت، والإراحة، ويحتجون احتجاجا قويا على أى ضغط، على طالب النصح، أو المريض، مثلما يحتجون على صعوبة الامتحانات، وعلى صعوبة الالتزام، وعلى صعوبة انضباط المواعيد، كل ذلك هو ما كتبه فى المتن احتجاجا من هذه السيدة الكريمة، وهى تتقطع شفقة على الأرض وسلاح المخرات يخرق طبقاتها، كما تخرق رؤية المعالج والمريض نفسه طبقات وعيه حين يكتسب البصيرة، تحتج هذه السيدة الكريمة فى المتن على أى احتمال شدة مهما كانت لازمة فتقول:

والنظرة إلى بُتْغَمِر الكون بالحنان من غير حساب بتقول:
"خرام.."

ياناس خرام:

أرض الشراقي مُشَقَّقة، جاهزه،

بلاش نُجْرَح شُغُورُها بالسَّلَاح..."

أعود إلى رفضي ما يجرى، وأنا أتعجب من هذه الشفقة الرجراجة،

ينبه المتن أن غمر المياه، ليس هو الرى المناسب، ثم إنه يحتاج إلى "صرف" سريع لزائد المياه حتى لا تفسد البذور، وقد أحلوا الرى بالتنقيط، أو بالرش، محل الرى بالغمر حتى لا تفسد البذور، وأيضاً توفيراً لجهود الصرف الضرورى اللاحق، بل إن الاهتمام بالرى المتدفق (وهو ما يقابل هنا: الحنان والشفقة والمبالغة في تخفيف الألم على حساب معاناة النمو في العلاج النفسى) قد يلهينا عن ضرورة وضع البذرة ابتداءً (البذرة في العلاج النفسى هي: المعنى، حتم التغير النوعى، إشرافة النقلة الكيفية... الخ) حتى تأتى الإحاطة والرعاية والتنمية والحنان لترعاها بعد غرسها.

من هنا فاض بي فصرخت محتجا:

يا ناس يا هُو: بقى دا كلام؟ بقى دا حنان؟

"الزرع لازم يثروى!" أيوه صحيح،!!

بس كمان: الزرع لازم يثررع أول،

ماذا وإلا البذرة حاثنبت وبس.

تأكيد جديد لنفس المعنى، وللأسف فهذا المعنى - التلقائية بلا حدود .. وتجنب الإيلام - هو الشائع في الكذبة التي كادت تضع أطفالنا تحت اسم "التربية الحديثة"، وهى هى التي تشوه معنى العلاج النفسى البناء وتصوره وكأنه مجرد نزهة للتبرير والطبعية، وكثيرا ما قابلت شبابا ونساء كانت ثورتهم الحقيقية في داخل داخلهم هى أن المسئولين عنهم في مرحلة ما من مراحل عجزهم كانوا أجبن من أن يقولوا لهم "لا"، وأعنى بها "اللا" المحبة المسئولة مهما بدت قاسية أحيانا. وهو المعنى الذى سوف يأتى ذكره في لوحة لاحقة "وغياال ليأم دى غلابة، لا فى عصا ترهمهم ولا حكمة، من مش الجان!" إن الغمر بالحنان إذا لم يسبقه ويلحقه ويصاحبه تهيئة النظام التربوى الذى يستوعبه ويستفيد منه يصبح إطلاقا للسلبيات تحت عناوين حديثة براقعة.

وهكذا أعلنت في المتن خوفا من أن تكون هذه العواطف المناسبة هكذا دون حساب، هى نوع من التخلي عن مسئولية العلاقة الموضوعية، المميزة، أن تكون خوفا من هذا المستوى الآخر من الجدل الشائك، والحركة المغامرة الضرورية في إرساء علاقة بين البشر.

كَمَا تَرَعَهُ سَابِثٌ فِي الْغَيْطَانِ،

إِلَى بَطُونِهَا اتَّشَقَّقَتْ

(2)

وَالْمِيَهُ بِالرَّاحَةِ بِتَطْفِي فِي " الشَّرَاقِي "

مِنْ دُونَ وَلَا سَاقِيَهُ تَنْوُحُ،

وَلَا قَادُوشَ وَلَا شَادُوفَ.

الْمِيَةُ تُغْمَرُ وَالْحَنَانُ يَنْبَشِبِشِ الْقَلْبَ الْحَزِينُ،

وَالْقَلْبَ إِلَى مَالُوشِ حَبِيبُ،

وَالْقَلْبَ إِلَى مِنْ عَمَائِلِ النَّاسِ بَقِيَ حَتَّى خَشَبِ،

وَالْقَلْبَ إِلَى اتَّمَهَمَطَتِ دَقَاتِهِ أَصْبَحَ مِثْلَ كُورِهِ مِنْ الشَّرَابِ،

تَضْرِبُهَا رَجْلَيْنِ الْعِيَالِ طَوِيلِ النَّهَارِ.

وَأَنْ جَتِ عَلَى أَزَازِ أُمِّ هَاشِمٍ يَبْقَى يَوْمَ أَرْزَقِ وَطِينِ،

يَالْكُورِهِ تَتَشْرِمَطُ يَا إِمَامًا أَنْ الْعِيَالِ يَتَفْرَكُشُوا.

حَتَّى إِذَا أَزَازَ " أُمِّ هَاشِمٍ " مَا اتَّكَسَّرِشْ.

مَشَّ صَحْتِ " الْأَسْطَى إِمَامٍ " مِنْ غَفْلَتِهِ.

" وَاللَّى يَصْحَى النَّاسُ يَأْنَسُ أَكْبَرَ غَلَطٍ "!

(3)

وَارْجَعِ أَشُوفِ نَهْرِ الْحَنَانِ

أَلْقَاهُ بِيَطْفِي فِي الشَّرَاقِي بَدُونِ " أُوَانِ "

لَكِنَّ الشَّرَاقِي مَهْمَا شَقَّقَهَا الْجَفَافُ؛

الْمِيَهُ رَاحَ تَرْوِيهَا صُخٌّ،

لَكِنَّ كَمَا

إِنْ سَابَتِ الْمِيَهُ عَلَى الْعَمَائِلِ عَلَى الْبَطَّالِ حَاتَغَرَقَ أَرْضْنَا،

حَتَّى لَوْ الْأَرْضُ شَرَاقِي مَشَقَّقَتَهُ،

وَلَا الزَّرَاعَةَ بَدُونِ أَصُولٍ؟

مَشَّ لَازِمَ الْأَرْضِ تَجْفُ وَتَتَعَزَّقُ؟!

أَوْ ضَرْبَةَ الْحَرَاثِ تَشَقُّ الْأَرْضُ تَقْلِبُ تَبْرِهَا؟!

(4)

وَالنَّظْرَهُ إِلَى بَتُّغْمَرِ الْكُونِ بِالْحَنَانِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ بِتَقُولِ:

"حرام...! ياناس حرام:
أرض الشراقي مُشَقَّعة، جاهزه،
بلاش نَجْرَح شُعُورَها بالسَّلَاخ..."
.....

يا ناس يا هُوهُ!!!:
بقي دا كلام؟!! بقي دا حنان؟!!
"الزرع لازم يثروي!" أيوه صحيح،
بس كمان: الزرع لازم يثزرع أول،
ماذا وإلا: البذرة حاتنبت وبس.
(5)

يا ست ياساخبة ببحور الحب والخير والحنان:
إوعى يكون حُبك دا خوف،
إوعى يكون حبك دَههُ "قلَّة مافيش".
إوعى يكون جيك طريقه للهرب من ماشكه الخرات، وضخيانك
بطول الليل ليغرق زرعنا.

(6)
من كثر ما انا عطشان بأخاف أشرب كده من غير حساب!
لكن كمان:
مش قادر أقول لأه وانا نفسى فى ندعة مية من بحر الحنان!
يا هلترى:
أحسن أموت من العطش؟
ولا أموت من الغرق؟!

الإربعاء 27-01-2010

880-أبواب وسراييب (1 من 3)

اللوحة الثامنة عشرة

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

مقدمة

هذه اللوحة تمثل واحدة من أصعب الخبرات التي مرتت بها في هذا الاستكشاف، كنت كلما وصلت فيها إلى تصور لمستوى من مستويات الوعي (أو حالة ذات أو سمها كما شئت) أطمئن كأني حللت اللغز، لكنني أجد وراء هذا المستوى من الأسرار والمفاجآت ما لم أكن أتصور، وقد تالتت السراييب والأبواب المسحورة، حتى إذا ما انتهيت إلى آخر سرداب، أو ما تصورته كذلك، فوجئت بأنني ربما كنت أسير إلى عمق صعب لا يزال مغلقا على، أكثر مني مستكشفا لما حيرني باباً من وراء باب، وسردابا بعد سرداب.

قراءة اللوحة

دعوني أعتزف أنني أحرزت تشكيل هذه اللوحة أثناء المحاولة الشعرية الأولى شهورا طويلة، إذ يبدو أنني كنت أتوقع تلك الصعوبة فعلا، أما من ناحية الشكل فقد وجدت أنها أقرب اللوحات إلى القصة الشعبي وهو كما أشرت في البداية أقرب إلى هذا العمل الذي أقدمه ربما كجزء من هذا الفن الذي كاد ينقرض تحت وطأة ضربات التقنية والسرعة، إلا أنني بعد أن انتهيت من صياغتها شعرا، على مراحل، تماما كما كان استكشافي لها على مراحل، رحلت أقرأها مجتمعة، وإذا بي أكتشف أنها ليست لهذا الشخص الذي استلهمت منه اللوحة، ولا لغيره، ربما هي صورة طبقات الوجود البشرى وتراكماته بشكل أو بآخر.

نحن الآن في مجال استكشاف "فقه العلاقات البشرية"، هذه اللوحة بالذات، لا تتناول هذه القضية بشكل مباشر مثل ما سبقها أو ما سوف يلحقها، إنها تشكيلات "واعدة طارده" طول

الوقت، وكأنها بقدر ما تغرينا أن العلاقات البشرية ممكنة، وأن التعرية لا تمنع تحمل رؤية بعضنا البعض ومن ثم مغامرة الاقتراب، هي تكشف لنا أن وراء كل باب سرداب، ولكنه سرداب لا ينتهي إلى الحجرة المسحورة التي تكشف السر كما يبدو لأول وهلة، وإنما ينتهي إلى باب آخر لا نعرف ما وراءه إلا بما يشبه الوعد، فأى مغلق، يغرينا أن نتصور أن وراءه شيء يحتاج أن يغلق عليه باب ما.

أكاد أشفق على قارئ المتن أن يرفض الصورة برمتها من كثرة تتالي الإحباط، وقد يجعلني ذلك أفضل أن أنشرها على ثلاثة أجزاء أو أكثر، أو كما تسير الأمور

أحب أن أشير ابتداءً إلى ضرورة الصبر في إصدار الأحكام مجال العلاج النفسي خاصة (والحياة عامة) وإلا عوقت الأحكام مسيرة التقارب والنمو، وعلى المعالج أن يكون متفتحاً للمفاجآت ..، وأن يتذكر أن أى تفسير إمرضى (سيكوباتولوجي) هو مجرد فرض، وأن الفرض الجيد هو القادر على توليد فروض أجود، وليس بالضرورة أن ترتبط جودته بمدى صحة إثباته.

وبرغم ضرورة التمسك "بنظرية ما" كبدية، إلا أن المعالج ينبغي أن يكون هو سيد النظرية لا عبداً لها، وفي رأي أن فرويد رغم تطويره نفسه ورؤيته ونظرياته باستمرار، إلا أنه كان سجين فكره خاصة بالنسبة لما اعتبره هو أهم فتح فتحه التحليل النفسي عليه، وهو تفسير الأحلام، أردد كثيراً رأي آسفاً: أنه سجن نفسه فيما فرخ به إلى هذه الدرجة، ثم إنه، لظروف تطوره واكتفائه بعمله العيادي الخاص، لم تفتح له فرصة ممارسة علاج الجنون بالعلاج النفسي، ولا معاشة المجانين كما كان الحال مع جاك لكان مثلاً أو مع سيلفانو أريتي، تلك الخبرة التي أتاحتها لنا العقاقير الحديثة، أكثر فأكثر حتى سمحت لنا أن نتخطى حدود فرويد، مع احترامنا لكل محاولاته.

كانت واجهة عيون صاحب هذه اللوحة رائقة هادئة، قوية النداء، وكأنها سوف تبوح بكل ما فيها إلى ما بعدها لمن يتقدم نحوها، إذا ما اقترب منها، كانت واعدة بأسرار جاهزة، لكنني كنت كلما اقتربت منها، أكتشف - كما قلت - أن وراء الأسرار أسرار، ووراء كشف اللغز، ما هو الغز.

نبدأ بالفقرة الأولى من المتن:

(1)

وعيون عمالة بتوعد من غير وعد.

بتشاووز: على باب مكتوب فوق منه:

"سرداب السعد"،

بوابة تصب ف بوابة،

والجئى بينفخ في الغابة،
والبنورة قدام الساحر،
والآخِر: ما باينلوش آخِر.
يا ترى حانلاقي قلب نضيف وضغير وبرئ،
كما قلب العصفور في الجنة،
ولا حانلاقي نقاية مِشمِش: جامدة وخايفة وملمومة،
وإذا حتّى اتكسرت، مرارتها صغَب؟

هذا التساؤل البادئ هو ما جاء حالا في المقدمة، وهو يشير بوضوح إلى مدى حاجتنا إلى فتح هذا الملف الصعب، إن عمق الوجود البشرى هو نتيجة لتراكم وتداخل مستويات تطوره، وأنه في جدل دائم لن يتم أبدا حالة كونه يتشكل باستمرار في رحلة تطور كتب عليه أن يعى بعضها، وأن يشارك بقدر ما يستطيع في توجيه مسارها.

يبدو أن الاستقطاب في نهاية المقطع هو ضد ما عشته بعد كتابة هذا المت منذ خمس وثلاثين سنة، إن عمق الوجود البشرى لا يمكن اختزاله إلى "إما.....أو"، ربما كان ما تركتني فيه هذه العين من حيرة بعد هذه الرحلة الطويلة هو الذى جعلنى أتصور أن استقطابا معاً يمكن أن يرمحنى من طول ومشقة هذه الرحلة المحيرة، هذا الاستقطاب يرجعنا إلى بؤرة إشكالية الوجود البشرى: هل أصل الفطرة هو تلك الطفولة الطاهرة الرينة المنطلقة، أم هى قلق المادة غير الحية الجافة التى تولدت منها الحياة بفضل الله، مهما كان هذا التصور حقيقة مرة تهز أحلامنا عن أنفسنا بشكل أو بآخر. لقد تناولنا بعض جوانب هذه القضية في هذه النشرة في أكثر من موضع بأكثر من عنوان **نشرة 6-11-2007 عن الفطرة والجسد وتضمين الألفاظ**، **نشرة 30-9-2007 الصوفية والفطرة والتركيب البشرى**؟ (قضية مامية الفطرة وطبيعتها) ولن أسدرج الآن للعودة إليها الآن، فأكتفى بأن أعلن رفضى لهذا الاستقطاب الذى جاء بالمتن هكذا، وإن كان لا بد أن أختار فأنا أميل إلى ترجيح هذا القلق المخفى وفي نفس الوقت المفجر للحياة: مهما كان مرا، أو مهما بدا مرا، أفضل من السذاجة التى قد يثبت عجزها برغم أنها "قلب نضيف وصغير وبرئ كما قلب العصفور في الجنة" فأنا أميل أن نفهم الفطرة كقانون وبرنامج حركى قادر أن يخلق الحياة مهما بدا : "نقاية مِشمِش جامدة وخايفة وملمومة"

ما وراء "الباب الأول"

بمجرد أن فتحت هذا الباب الأول، اختفى هذا النداء الواعد الذى لاح لى وأنا لم أطرقه بعد، فأطلت على نعيب هو نذير بالتشاؤم، والخراب، ينقع بسخرية لاذعة.

أول طبقة في الوجود الإنسانى المغترب هى طبقة تبدو خاوية

(خراب) يمكن أن تتصف باللامبالاة، ولكن بالتأمل فيها قد يثبت أنها دفاع ضد الأجرار إلى النفاق من خلال التعبير السطحي بالامتلاء، أو تردي أصوات أوهام حب عابر أو انجذاب ظاهر.

هذا هو ما نحاول التأكيد عليه باستمرار ونحن نشرح للأصغر كيف أن وصف الفصامي مثلا (ناهيك عن الشخص العادي) باللامبالاة، أو التبلد، أو فقد المشاعر، هو وصف سريع جائر، فكما ألفت سابقا فإن مثل هذه الأعراض ماهي إلا إعلان خراب "وجود" ماء، وعدم جدواه، وميزتها الأساسية - رغم طبيعتها المرضية - أنها تعلن فشل هذا الوجود وعجزه، ومن هنا أصبحت، ورغم وصفها عادة بالسلبية، ذات قيمة دالة إذا أحسنّا ترجمتها إلى ما نقوله. وإن كانت في ذاتها تمثل مصيبة لصاحبها إن لم يستفد منها ويستوعب ماوراءها.

الاجتماع (نحن) عادة ما يرفض المريض النفسي (المجنون خاصة) لأنه يعلن فشل وجودنا المغترب هذا، فنقابل ذلك بأن نهاجم المريض، أو نفيه، أو ننظر إليه من أعلى بنفس منطلقنا الذي انفصل عنه ليحكم عليه. إن دفاعاتنا لتغطية ما في داخلنا مما يشبه هذا الذي يعلنه المجنون هي دفاعات هامة ومطلوبة في كثير من الأحيان، لأنها تحميّا من مواجهة هذه الحقيقة:

فيينا من يخاف المجنون ويفر منه فراره من الأسد،

وفيينا من يشفق عليه شفقة تنفيه تماما وتبعده عنا ونحن ننظر إليه من أعلى نحصص شفاهنا.

قابلت في خبرتي أشخاصا عاديين أصيبوا برهابات مختلفة، من بينها رهاب فقد السيطرة، مجرد أنهم قابلوا مجنونا من الذين يهيمون في الشوارع

وثمة مجموعة أخرى من الأسوياء الدارسين للطب العام، أو لعلم النفس، أصابهم مثل ذلك وغيره، بعد زيارة عابرة، هي جزء من مقرر دراسي، لمستشفى أمراض عقلية،

صحيح أن نعيق البومة ليس رمزا كاملا يصلح لمقابلة بصيحة المجنون، لكنني اخترت جزئية تشاؤمنا من نعيقها، وتطيرنا من رؤيتها.

المجنون - على لسان البومة هنا - ينبهنا إلى أن البومة المتهمّة بأنها لا تهوى إلا العيش في الخرابات (الخراب)، إلا أن هذا الخراب الظاهر هو أقل خطرا وأجهز للتعمير من خراب خفي قد يعشش داخلنا، (بتبصوليّ ليه؟ أنا مالي؟ حوألّي خراب؟ دا خرابكم إنتم. دانا كتر خرى.

عماله بازغق وأقول: "فيه لشه حياة .. حتى في خرابه". ونحن لا نفعل إلا أن ننكر هذا الخراب، ونغطيه برفضنا أي تلمييح له أو إعلان عنه كما يرمز إليه نعيق البومة هنا.

إذا كان الجنون عارا سلبيا في طريق مسيرة الحياة، فهو الوجه الآخر للوجود المفرغ الذي نعيشه، وميزة الجنون أنه يعلن ذلك صريحا.

المرض بهذه الصورة هو رفض للموت النفسى الخبيث إذا لبس ثوب الحياة العادية المتجمدة المغترية، لكنه رفض فاشل، لانه هو في ذاته موت آخر متحلل.. لكنه عموما صيحة منذرة قد تبعث حياة فيمن يحسن تلقيها، حتى لو لم يتحمل مسئوليتها من أطلقها: (المريض).

ولقيت في الأول صورة البومة

بتبص، وتبحلق:

وتقول جري إيه؟

بتبصولى ليه؟

أنا مالى؟

حوالى خراب؟

دا خرابكم إنتم.

دانا كتر خرى.

عماله بازعق وأقول:

"فيه لشه حياة .. حتى في خرابه".

تكونوش عايزينها، تخزب في السر؟

"خليها تعدى"، "خليها تمر"!

ولا حد ينبه، ولا حد يزن

والإسم حياة، والفعل "كان"

وبدال ما نغير، نحكى ونفن؟

مرت على فترة من فترات حماسي في تحقيق نبض فكرى "حالا"، كنت أميل فيها إلى رفض الفن كمهرب بديل عن الحياة، كما رفضته كتفريغ إسقاطى لما يعتمل بنفوسنا، ولم أفهم رفض أفلاطون للفن واعتباره "تقليد التقليد" إلا خلال هذه الفترة تحديدا، رفضت الفن التنفيثي، أو التفريغى أو الإبدالى، أو حتى بلغة أرسطو: "التطهيرى"، رفضته - في تلك الفترة - واعتبرته خدعة مخدرة تؤجل مواجهتنا بالتزام اللحظة الراهنة، وكنت آنذاك في أشد حالات إصرارى على أننا "إما نعيش الآن .. أو .. لا نعيش"، ثم مرت الأيام وصدمنى الواقع والفشل، وأدركت أن بعد الزمن ضرورى للتطور ورأيت قصور مرحلة وجودنا البشرى الخالى .. وعدت أنصاح مع الفن كروية للمستقبل، وإيقاظ للوعى، وبديل عن الجنون وتعلمت أنه لا يضير الفنان ألا يعيش - شخصا - رؤيته العميقة في الحياة اليومية، فهو يبلغ الرسالة إلى أهلها، ويقوم بدوره بغض النظر عن نوعية وجوده الشخصى، كما تعلمت أن إيقاظ الوعى التنويى السائد إنما يتم بنجاح أكبر بصدمة الفن الحى .. وإلا فقد يتم بثورة الجنون بسلبياته. ومخاطر التناثر من جرائه.

ويبدو أنني حين كتبت هذه اللمحة كنت أعلن احتجاجي على لسان المريض الذي يعلن خراب حياتنا على هذه الصورة لو أننا اكتفينا بطرح وجودنا الآخر ومشاكلنا في صورة فن "بديل عن الحياة" (مرة أخرى كما قال أفلاطون: تقليد التقليد) ، لكنني تراجعت كثيرا كما ذكرت.

تجمدت الصورة، تصنمت اللمبالاة، وصارت العين التي كانت نذير الشر من الزجاج تعمل كزر للباب الثاني

(3)

وأقربُّ أكثرَ ما الصُّوره ،

وأبص ف عين البومه .

واستغرب!

دى عيونها إزاز .

عاملين كده ليه؟

حسّس، جرب، يمكن،

وألقى العين مش عين،

دى زرار،

وأجرب أزع. تتحرك كُلُّ الصورة،

والباب الثاني يُبان:

الباب الثاني:

أشعر أن من الأفضل أن اتوقف عند هذا الباب اليوم،
لأكمل نفس اللوحة المرة القادمة،

لكن هل ياترى سوف نظل نذكر ما قلناه اليوم؟

ربما يكون مناسباً لصعوبة اللوحة أن نطرح المتن كله اليوم في نهاية هذه النشرة، لمن شاء أن يمر به جميعه دون شرح (مشوّه) قبل أن نعود إليه، وربما نطرحه مرة أخرى في نهاية حلقات هذه اللوحة، إذ يبدو أنه يستحق ذلك.

وفي نفس الوقت قد يكون في نشر هذا المتن بالذات مجتمعا، ما يفسر ما جاء في المقدمة من تعدد النقلات، وتكرار الإحباط

(1)

وعيون عمّالة بتوعد من غير وعد .

بتشاور: على باب مكتوب فوق منه:

"سرداب السعد"،

بوابة تصب في بوابة،

دى زَرَار،
وأَجْرَبَ أَرْق. تتحرك كُـلُّ الصورة،
والباب الثاني يُبان:

(4)

الشيخ قاعدٌ وَشُّهُ مَنْوَرُ،
مركون على عصا بيفكر.
وعنيه بتشع الحكمة.
دا شبه سيدنا سليمان
وعيالٌ لِإِيَامِ دى غَلَابَةِ،
لافي عَصَا تَرْخَمُهُمْ ولا حِكْمَةَ،
مِنْ مَسِّ الْجَانِ
والجان أَيَّامْنَا، لابسين جلد الإنسان.
ولا عاد بيهم الواحد منهم سورة "الكرسى"،
ولا سورة "الناس".
والحكمة مَا مَاتِتْ مِنْ مُدَّه.
ما فاضلشي إلا الحكمة الموضه،
تَلْقَاهَا مَلْفُوفَةً،
حوالين جِنَّةِ شَكُولَاتِهِ، جَوَا الصالونات.
- إَلْحَقْنَا يَا عَمَى الشَّيْخِ شُفْنَا .
- "أَلْحَقُوا زَائِي؟"
إنت اهل؟ وَلَا بُتِستَهبل؟
ذَانَا صوره".
وَأَبْصُ كُوَيْسُ.
"دى النملة بتزحف في بياضها".
وعيون الحكمة الصابرة الغرقانة فُجْرَ آلامِ الناس،
تستنجدني:
- إعمل معروف شيل النملة دى بتقرصني،
ذَانَا صوره، ذَانَا مَيْتْ،
وغصاتي السوسُ بهدلها،

حائِكْفِي عَلَيَّ وَشَى تَوَمَا تَبْقَى دَقِيْقًا،
والكل حاي فرح .

"دَقِّي يَا مَزِيكَا ،
سَمْنَا يَا وَيكَا".

"إعمل معروف شيل النملة" .
وأحاول اشيلها،

أتاريها التانية زرار،
والباب المسحور بيئزيق.

(5)

هَوَا انْتِ؟

بالبسة الهادية النادية،

والعين اللي بتجرى وراك بحنائها،
وَبْتَنْدَهْلَك مَاطْرُخْ مَاطْرُوحْ.

هَوَا انْتِ؟ موناليزا الطاهرة الفاجرة؟

الواحد عايز إيه غير بسمة حُب، وِحْنَان،
والصدق الدافئ وَكُلُّ الطيْبَةِ يَلْفُونِي،

وَكِبَانِ الشَّرْهُ مَا كَانَ.

وَكِبَانِ الدُّنْيَا أَمَانٌ فِي إِيمَانِ،

وَكِبَانِ الْبِسْمَةِ الصَّادِقَةِ تَدُوْبُ أَيَّهَا حَقْدٌ، وَأَيُّهَا خَوْفٌ.

....

جرى إيه؟ الواحد كان حايصدق، وِكِبَانِ الصُّورَةُ حَقِيْقَةً؟

يَا أُخِيْنَا:

مِنِ الْمَسْئُولِ عَنِ بَعْضِيْنَا؟

عَنِ أَكْلِ الْعَيْشِ؟

عَنِ قَتْلِ الْغَدْرِ؟

عَنِ طِفْلِ عَايِزٍ يَتْرَبِّي وَسَطَ الْمَكْنِ، الْقِرْشُ الدُّوْشَةُ الدَّمُّ؟

عَنِ جُوعِ النَّاسِ؟

عَنِ بَيْعِ الشَّرْفِ الْأَمَلِ الْبُكْرَةَ: امبارح؟

وَأَبْسَ لَهَا تَانِي وَأَقُولُ:

بالذمه بتضحكى على إيه؟
 دى البسمة الحلوة الرايقة المليانَة حنانٌ .. وخلص،
 يمكن تبقى مصيبه الأيام دى!
 حاتحلى الواحد يتهيأ له إن الدنيا بخير، وينام،
 يحلم بالجنه...،
 وخلص!

وعشان أبعد تأثيرها:
 قهقهت كما بثُوع الحَيَّة،
 فى المُولِدِ.
 بصَّيتَ للصُّورَة،
 طَلَعَتِ لِسَانِي:
 تكشيره امال...! .. كدِهه!
 تبويزه امال...! .. كدِهه!"
 وتغيظنى ولا تبوزش.

وأنا أعمل عقلى بعقليها من كتر الغيظ،
 "بلا نيلة بتضحكى على إيه؟"
 وأحاول اشوه ضحكتها، وأغطيها،
 يا خرابى!!
 الصورة دى رخره بتتحرك،
 ويفتح باب:

(6)

الشاب وسيم وجليوه .. واقف منطور،
 والوش بريء ربانى. مافيهوش رجمة التعبير،
 واسمه "دوريان"
 هوا انت الصورة اياها؟
 ودا صاحبك إالى اتنى ف يوم نجدعنا
 ما يبانشى عليه بصمات السن،
 ولا ختم الشر، ولا صوت لضمير.
 وان كان لازم تتسجل كل عمايله:

راح عامل صورة يبان فيها التغيير.
 وكأنها صورة الحق الجوانى البشع العريان".
 إنما دى الصورة هنا مايعه؟
 ما يكونشى جواها البشعه؟
 أقلبها:

يظهر لى الباب الأخرانى.
 دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!

(7)

والاقيلك بحر التيه، من تحت البحر الميت،
 والطفلة الغلبانة بتبكى، ولا حد شايفها.
 والميه مية نار، والجلد صدف وعمار،
 لا هى قادره تصرخ، ولا راضية تموت.
 يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟

ولا أنا غلطان؟

أنا نفسى أطلع غلطان،

أحسن ما اشوف:

طفل بيتشوه،

من كتر الخوف،

وسط العميان.

الإثنين 03-02-2010

887- أبواب وسراييب (2 من 3)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية لوحات تشكيفية من الحياة والعلاج النفسى شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

اللوحة (18)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري طليق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمتها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات أسطورتى الذاتية.

وصلنا في الحلقة الأولى من هذه اللوحة إلى أن البومة التي ظهرت وراء أول باب، والتي نعتبرها عادة نذير شؤم، وإعلان عن خراب إنما كانت نذرننا بأننا نكرهها ونتشاءم منها لأنها تكشفنا "تكونوش عايزينها تخرب في السر"، "دا خرابكم إنتم".

ونكمل السير فيما وراء الباب الأول إلى الثانى.

وأقرب أكثر مالمصوره،

وأبص ف عين البومه.

واستغرب!

دى عيونها إزاز.

عاملين كده ليه؟

حسّس، جرب، يمكن،

وألقى العين مش عين،

دى زرار، وأجرب أرق. تتحرك كُل الصورة،

والباب الثاني يُبان:

قلنا أنه برغم ما يعد أي باب مغلق بفك الطلسم إذا ما فتحناه لنعرف ما وراءه، فإننا لا نجد في هذه اللوحة وراءه إلا سرداب يغرينا بالسير إلى نهايته لعلنا نجد ما يشفى الغليل، غليل المعرفة ابتداءً.

الذي حدث أنني اكتشفت أن وراء هذا النذير الصادر من البومة المحذرة، والتي قلنا حلالاً أنها كانت تنبهنا إلى احتمال أن الخراب هو في داخلنا وليس في خارجنا كما نزع، أقول إنني حين انتبهت إلى هذا التحذير، اكتشفت أن وراءه حكمة بالغة، تمثلت لي في حكمة سيدنا سليمان بكل الحقائق والأساطير المنسوجة حوله، بما ذلك عمره، وكيف أن الجان ظل يحسبه حياً وهو ميت متكئ على عصاه، إلى أن نخرها السوس فانكسرت، فانكفاً على وجهه، فعرف الجان، لست أدري بعد كم من السنين، أنه مات، فانطلق في نشاطه العبثي والتعددي من جديد.

الجان عندي حقيقة واقعية كما الأحلام وكما الواقع سواء بسواء، كل ما في الحكاية أنني آراه وجوداً ماثلاً في داخلنا، كما أرى الأحلام بما هي، لا بما تحكيه عنها كأنها هي، وجوداً ماثلاً أيضاً يكملنا، وهذه الرؤى (الفروض) تسهل الأمر على وأنا أتعامل مع مرضى حين يسألون عن إيمان بوجود الجان، فأقر بصدق أنني أفعّل، وأحترم، وأفهم مع هذه الذوات الأخرى بما يفيد الكل النامي، كل الفرق أنني أسهبها أسماء علمية أحياناً، وأتعامل معها باحترام يسمح بالجدل فالتكامل في كل نبضة نمو.

الحكمة التي يمثلها هنا سيدنا سليمان هي التي تكمن وراء البومة النذير المحذر وفي نفس القوت هي تمثل غلبة العقل والتعقل (وليس العقلنة)، العقل "القادر الحاسب الحاسب"، ولها أسماء أخرى في مدارس أخرى. نحن - في ثقافتنا - نبالغ في تقييم دور هذا الحكيم القابع داخلنا، وهو ليس بالضرورة مرادف للضمير، أو للأنا الأعلى، (فرويد)، أو حتى للذات الوالدية (إريك بيرن)، هو تنظيم يحترم الواقع بقدر ما يحتوي بقية مستويات الوعي ومحيط بها

الأرجح أن هذا المستوى الحكيم من الوعي قد يمثل تكثيقاً لمفهومين من مدرستين متباعدتين: المفهوم الأول هو مفهوم يونج (كارل جوستاف) عن اللاشعور الجمعي وأن الإنسان عمره لا يبدأ يوم يولد ولكنه يحمل دهوراً من الحكمة والغرائز البتاءة في أعماق أعماقه، والمفهوم الثاني مستمد من لغة إريك بيرن (مدرسة التحليل التفاعلاتي) في حديثه عن حالة الأنا الوالدية التي تشمل الجد وجد الجد .. في التحليل الأعمق.. هذه الحكمة العميقة والجاهزة هي إشارة إلى أن التركيب البشري ممتد عبر الأجيال: ليس فقط بوراثة استعداد بذاته بالمعنى السطحي، ولكن بمعنى البصم ببرامج بيولوجية معقدة تتكون منها الذاكرة الجينية بكل طبقاتها.

ربما ما أردته هنا، أو ما وجدته، أو قرأته في هذه اللوحة، هو أن القديم المتجدد، والحكمة المحيطة، لهما تمثيل كامل في وجودنا، ومن ثم فإن استيعابهما وتمثلهما في الحاضر في تكامل مع طاقة الغريزة ودفعها هو السبيل الحقيقي لمسيرة التطور، وإلا فإهمال أى جزء جهلا أو خوفا لا ينتج إلا إنسانا ناقصا أو مشوها .

ودى صورة مين؟

عمره كام دهر؟

الشيخ قاعد وشه منور،

مركون على عصا بيفكر.

وعنيه بتشع الحكمة .

أسطورة المرأتين في قصة سيدنا سليمان، حين احتكمت إليه وكل منهما تدعى أنها أم الطفل، ثم حكم سيدنا سليمان المبثى بأن الخل هو أن يشق الطفل مناصفة بينهما، قاصداً أن يتبين من هى الأم الحقيقية، ربما يكون فيها تلميح رمزي إلى الإنقسام الذى يحدث أثناء النمو للنفس البشرية، وهذا في تصورى هو ما يقابل الانشقاق المبكر حسب فكر المدرسة التحليلية الإنجليزية الحديثة (ميلان كلاين وفريون وجانترين). عندي أن الترجمة النفسية لهذه الأسطورة هى أن الأم التى تمارس أمومتها بنجاح هى التى تستطيع أن تتعهد هذا الانشقاق، لكنها ترفضه إذا كان انشقاقا يعنى الاغتراب المتباعد فى اضطراد، حتى أنها تفضل أن تحافظ على "كلية" حياة طفلها ولو مرحلة ماء، حتى لو تعهدته أمٌ سيئة فى تلك المرحلة، وحين يكتشف سيدنا سليمان من هى الأم الحقيقية، لا يتحقق الانشقاق بمعنى الاغتراب أو الهلاك، ولكن يظهر الأمل فى خلخلة تؤدى إلى تحريك مرحلى فى رحاب أم مرنة، ومن ثم إلى تلاحم جدلى نام، وهكذا، فضلا عن الانشقاق الدورى الطولى من خلال نبضات الإيقاع الخيوى (دورات "النوم/الخلم/اليقظة" أساسا)،

"فاكرين القصة ؟؟

مين أنقذ طفل الأم

من جشع الست الثانية !!؟

سيدنا سليمان.

" مين كلم نمل، وذل الملكة " ؟

- سيدنا سليمان

هذا النوع من تقديس الحكمة الغائرة فى وجودنا يعطى لهذه الحكمة قدرات وينسج حولها معجزات مبالغ فيها تسمح به، أو تدعو إلى ، اعتمادية معطلة للنمو، وإذا كانت حكمة سيدنا سليمان قد تجلت فى حكمه بقسمة الطفل ، فظهرت الأم الحقيقية،

فإن قدراته على التحكم في الجان (مستويات الوعي التحتية)، والتخاطب مع الحيوانات والحشرات والطيور، هي من قبيل هذا التقديس، وهكذا، يمكن أن يتجاوز هذا المستوى دوره الإيجابي بشكل أو بآخر، خصوصا في التربية.

هكذا تَعَرَّت أمامي طبيعة وحقيقة القوة الظاهرة التي تكمن وراء باب الحكمة الراسخة، وحينذاك قفزت إلى ذهني إشكالية علاقة هذا المستوى بالنمو عامة، وبتربية الأطفال بوجه خاص، وأنه حين تثبت هشاشة هذه القوة، وأنها قوة من فوق السطح، يفتقد الأطفال إلى من يلهمهم إلى أنفسهم، بديلا عن التسبب بلا معلم، تحت رحمة القوى البدائية (الجان) أو الانشطار بلا عودة.

يبقى البومة كان عندها حق

طب فين الكذب وفين الصدق؟

وفين الضرب وفين الحب

وفين العفو وفين الذنب

إزاي نسمح لعيالنا:

بالشق، الضم، النبش، الود،

اللعب، الجري، العَد:

على عزف الناي

حانري عيالنا ازاي؟

وعيال لِيَّامْ دِي غَلَابَهْ،

لا في عَصَا تَرْحَمُهُمْ ولا حِكْمَة،

مِنْ مَسَّ الْجَان

والجان أَيَّامْنَا، لابسين جلد الإنسان.

ولا عاد بيهم الواحد منهم سورة "الكرسى"،

ولا سورة "الناس".

والحكمة مَا مَاتَتْ مِنْ مُدَّه.

ما فاضلشي إلا الحكمة الموضه،

تَلَقَّاهَا مَلْفُوفَهْ،

حوالين جِئَة شكلاته، جَوَا الصالونات.

المخاطر البشرية التي تحيط بالبشر، وبالأطفال بالذات، من خلال القهر والسحق والظلم والبلبله والتخبط، وأحادية

التوجه، واستقطاب القيم، هي مخاطر واقعة ومتزايدة، وإذا لم نضع ذلك في الاعتبار في تربية الأطفال بتهيئة التناسب بين جرعات الخنان والقسوة وحسن توقيتهما ... فالنتيجة هي السحق تحت أقدام الشر المعاصر الذي استحوذ على طاقة العدوان واستعملها في العنف القاتل المغير على بعضنا البعض، هذا العدوان الصريح الذي جعل من الإنسان المعاصر قاتلاً لأفراد من نفس نوعه دون عائد بقائى.

لم يعد مطروحا حالياً ما يمكن أن يسمى " العصى الرحيمة" في تربية الأطفال (لا في عصا ترحمهم، ولا حكمة، من مس الجان)

لم يعد العنف البشرى العدوانى يرتدع بردع داخلى أو خارجى، ولم يعد للكبير أو الإله أو 'الحكيم قيمة فاعلة، مات كونفوشيوس في العصر الحديث، وأرى أن كل ذلك يمرنا أصلاً من التفاعل الجدلى الضرورى للنمو والتكامل، وقد بلغت تفاهة الحكمة المطروحة في السوق، واغتراب النصائح مبلغاً جعل الاستشهاد بأى من ذلك مدعاة للسخرية أكثر منه سبيلاً للنمو.

ثم يتجلى لى العجز الغائر وراء صورة هذا الشيخ المقدسة التي تعرت عن هشاشة داخلية، لكننى أكتشف أنه برغم إعلان موته، وأنه لم يتبق منه إلى ما يشبه الحكمة، مازال يستطيع أن يتألم، ليس لنفسه فحسب، بل لنا أيضاً، وهو ينبهنا أن يتولى كل منا أمر نفسه دون انتظار معجزة من مقدس، بل إنه نفسه يطلب أن نلحقه هو نخفف عنه ما ألم به، لا أن يلحقنا لينقذنا مما آل إليه حالنا،

- إلقنا يا عمى الشيخ شُفناً .

- "ألحقو ازائى؟

إنت اهل؟ ولا بُتستهبِل؟

دانا صورة"

دا انا ميت.

وأبص كويس جوا عين الصورة

وألقى النملة بتزحف في بياضها

والنمل اصحابه من مدة

إنما كات عينه يا خوانا مليانة ألم،

مش قادر يستحمل ألمه، وببيكى بدال الدمع الدم

- إعمل معروف شيل النملة دى بتقرصنى،

وعصاتى السوس بهلها،

حانكفي على وشى تو ما تبقى دقيقتى،

حين يتكشف هذا المستوى من الحكمة الطيبة، والقدرة الواعية، عن كل هذا الضعف الذى يحتاج إلى أن يعان لا أن يعين، دون إعداد كاف لضمان استمرار النمو في اتجاه التكامل، أى النضج الحقيقى، تنقض القوى البدائية بعنفوان فجاعتها (الجان) لتخرب الدنيا، وهى تبرر النكوص وما يشبه الخيبة، وكذا تبرر وتدعم اللذة قصيرة العمر.

والجان الإنسان الجنّ،

حايقيم أفراحه مش حايونّ

في الخمارة: في الحارة السدّ

في الدائرة المقفولة الضلمة، ما فيهاش حدّ

"دقّى يا مزيكا ،

شّمنا يا ويكا".

إن ما يمثله القديم الحكيم .. سواء بجذوره في اللاشعور الجمعى، أو فاعليته كحالة من حالات الأنا الوالدية أو علاقاته الزائفة المغلقة على نفسه .. هو هذا الذى ينطلق حين ينكشف عجز هذه الحكمة عن قيادة واحتواء سائر المستويات.

وفي استغاثة أخيرة يصيح الشيخ الميت المتألم :

إعمل معروف شيل النملة

فأستجيب رحمة به واحتراما لأله، وإذا بي أكتشف وراء كل هذه الحكمة، مستوى وعى آخر لم يكن في حسابان.

وأحاول اشيلها،

أتاريها الثانية زرار،

والباب المسحور بيُرَيِّق.

نعم باب آخر لم يكن في الحسابان.

وإلى بقية اللوحة في الحلقة القادمة.

- يلاحظ أن المتن هنا تعدل قليلا عن ما ورد في النشرة السابقة الأسبوع الماضى.

، في هذه الحالة (اللوحة السادسة عشرة) حين وصلتُ إلى ما بعد طبقة الوعي السابقة حلقة (2-4) التي حذرت فيها من الاستسلام إلى اعتبارها إيجابية على طول الخط، فوجئت بمستوى أكثر تحييراً من مجرد شكل الحكمة، أو شؤم البومة وتحذيرها، وهو المستوى من الوجود الأقرب إلى دعوة للكشف من خلاله منه إلى إبلاغ بالواقع، فما يميز لوحة الجيوكانده، هو أنها تسمح بالإسقاط بشكل متنوع متعدد، بحيث يبلغ الناظر إليها، أو الذي يتلقى نظرتها المتابعة له حيث ذهب، أن يسقط عليها ما يريد، إلى أن يجد نفسه في رحابة الإبداع يأخذ منها ما شاء لما شاء،

وصلني أن هذه النظرة هي تعبير عن مستوى من الوعي فج راق في نفس الوقت، يكمن داخل كل منا، وهو يحمل ما يحمل من نداء الغموض، وتداخل المشاعر، بحيث لا يمكن تسميته أو تجريد رمزا، وهو ما حاولنا تجريبه مؤخرا في لعبة متحدية في ندوة هذا الشهر، (فبراير 2010) لنثبت من خلاله أن التعبير عن المشاعر البشرية في لفظ واحد أمر شديد الصعوبة، برغم ظاهر سهولته، وهو يؤدي عادة إلى اختزال المشاعر المكثفة والمتداخلة إلى ما لا يمكن أن يتمله هذا اللفظ، وغالبا ما يترتب على ذلك أن تحتنق المشاعر داخل الألفاظ بما قد يعيق التواصل الأشمل والأرحب. قبل ان نعرض للفرض وبعض نتائج التجربة دعونا نقرأ معا ما جاء في أول المتن:

هوَ انْتِي!!!
 بالبسمة الهادية النادية،
 والعين اللي بتجري وراك بحنائها،
 وبتبندملك ماطرخ ماترؤخ.
 هَوَا انت؟ موناليزا الطاهرة الفاجرة؟
 الواحد عايز إيه غير بسمة حُب، وحنين،
 والصدق الدافئ وكُلّ الطيبة يلفون،
 وكإن الشر عمره ما كان.
 وكإن الدنيا أمان في أمان،
 وكإن البسمة الصادقة تدوّب أيها حقد، وأبئها خوف.

طفولة + جنس + جسارة				
5	4	3	2	1
تسخ	الحلم	شباب	لعوب جنس عارم قلّة أهب شقاوة	عفريت كلّ اللس منضج مخلقه ربنا مراة شبة حرية مراة نفسى فيها منضوج مبكر الحياة الحب والعلاقة بالآخر فانتسى عجرم؟؟ بطلاق الحياة حياة حلوة فقرة

هذه الطبقة من النفس قد تكون أقرب إلى الفطرة وهي تلامس في نفس الوقت ما يسمى الغريزة (الطاهرة الفاجرة)، وبديهي أنه يصعب على الشخص العادي أن يتصور اجتماع هذين النقيضين (ظاهرا)، إلا أن اجتماعهما -على عمق بذاته- هو أكثر تواترا من كل تصور، بل إن البديل عن قبول تواكبهما هو: إما الاختزال، وإما الإنكار والتجنيب.

التجربة التي أجريناها في ندوة المقطم هذا الشهر بدأت من واقع ما رددت به علي د. أميمة رفعت في **باب "استشارات مهنية"** عن حالة وصفت أنا سلوكها في ردّي بأنه "مزيج من الطفولة والجنس والجسارة"، ثم عدنا عند النقاش والتجريب إلى **مزيد من اختبار احتمال خنق المشاعر داخل ألفاظها**، ومن ثمّ الخيلولة دون استيعابنا لتنوعات المزيج بينها كما ذكرنا حالا.

أجرينا تجربة مع بعض من تطوع من حضور الندوة، بأن طلبنا منهم أن يسموا هذا المزيج الذي ورد في التعليق على الحالة باسم واحد، أو بعبارة قصيرة، فجاءت النتائج كما هو مبين في الجدول الأول.

حين رحنا نقرأ النتائج لم ننجح أن نصنف أية مجموعة من الاستجابات مع بعضها

البعض تحت اسم بذاته، فجعلناها في خمسة مجموعات دون تسمية كما هو مبين في الجدول الأول أيضا.

ثم تمادينا في التجربة بطرح بعض "المزج" العشوائي (تقريبا) حتى نتأكد من هذا التحدى الذى علينا أن نضعه في الاعتبار أثناء تسمية عواطفنا، وقد جاءت النتائج على الوجه المبين في الجدولين الثانى والثالث.

أولاً + ثانياً + ثرواً				
1	2	3	4	5
• طلب • حب نرفق • خنق • حب منحرف • إمرأة تنسربا	• نضك تنسربا • لإبنا لهسربا	• نضك تنسربا		

ثالثاً + رابعاً + خامساً				
1	2	3	4	5
• سلبا • طفنا • صلبا مبارك	• صديق خنق • صديق خنق	• كبتوا ونظروا • نظروا ثم لا سوبوا		

مئل + طفة + تروا				
5	4	3	2	1
			• جمل الآن هذا الصلبي	جس
			• بها	
			• ترويا	

لين + قولة + تروا				
5	4	3	2	1
			• عده التروجات	• عده
			• عده	• عده
			• عده	• عده

ليس هذا موضوعنا الآن، لكنني أردت أن أوضح فيما يتعلق بفقه العلاقات البشرية: إن التعامل مع العلاقات البشرية تحت لافتات اساء العواطف، ليس هو بالضرورة اقرب ولا أصدق قنوات التعامل. إن ما يجرى بين الحيوانات مما حفظ بقاءهم لم يكن له أسماء غالباً، ولكن الكائنات التي نجحت ألا تنقرض (مرة أخرى: واحد في الألف عبر تاريخ الحياة) قد نجحت أن تتواصل دون تسمية المشاعر التي تواصلت بها.

في هذا المستوى من الوعي، أطلّ على التحدي هذه اللوحة، إذ وجدت وراء باب الحكمة (الحلقة السابقة، هذا المستوى الغامض الواعد الساحر المغري، فوصفته كما سبق، لكنني اسرعت بنقد ما وصلني من حيث أنه لو استقبلنا ظاهره وحده كما يبدو، استقبلناه استسلاماً لغواية غموضه ووعوده، قد يكون خدعة لا تحدم عمق العلاقات البشرية، إذ قد نلتقط مما يصلنا الجانب السهل الظاهر من التشكيل، وبالذات من النظرة،

هيا نقرأ كيف تشكل الاحتجاج والنقد "في المتن" لهذا الاحتمال:

جری إیه؟

الواحد كان حایصدق، وکإن الصورة حقیقه؟

یا أخینا:

مین المسئول عن بعضیننا ؟

عن أکل العیش؟

عن قتل الغدر؟

عن طفل عايز يثرى وسط المكن، القرش الدوشه الدم؟
 عن جوع الناس؟
 عن بيع الشرف الأمل البكره: امبارح؟
 وأبش لها تاني واقول:
 بالذمه بتضحكى على إيه؟
 دى البسمه الحلوة الرايقه المليانَه حنان .. وخلص،
 يمكن تبقى مصيبه الأيام دى!
 حا تحلى الواحد يتهاى له إن الدنيا خير، وينام،
 يحلم باجنه...،
 وخلص!

في العلاج النفسى، وخاصة العلاج الجمعى، نتواصل مع بعضنا البعض بالألفاظ بداهة، إلا أن ثم تواصل آخر يجرى طول الوقت من خلال قنوات أخرى، لا نعرف أغلبها، ولا نعرف أنها نجحت أم فشلت إلا من خلال نتائجها كما ذكرنا مرارا من قبل.

هذا المستوى الذى ظهر لى هكذا في هذه اللوحة يعلن بوضوح أن التواصل البشرى لا يتم، وبالتالى يصعب أن يكون بناء وحقيقيا وخليقا بما هو إنسان، إلا على مستويات متعددة، ومنها، أو لعله أهمها هذا المستوى الغامض الواعد هكذا. علينا إذن أن نحترم الألفاظ التى نتبادلها في العلاج وغير العلاج، لكن علينا أيضا ألا نتوقف عندها، ولا نقدر مضمونها الشائع في نفس الوقت، خذ مثلا الالفاظ التى تعبر عن الحب على ناحية، وتلك التى تعبر عن الحقد (مثلا) الناحية الأخرى، حين يقول أحدهم لآخر "أنا احبك..". في العلاج (الجمعى خاصة) أو في غير العلاج، في الحياة العامة، يمكن أن نتساءل، دون أن نشكك، عن: ماذا تعنى - بالضبط- هذه الكلمة! "الخب"،

القراء والأصدقاء الذين واصلوا معنا اللعب (النفسى) في هذه النشرة منذ نشأتها، لا بد قد تعجبوا لما أظهرته هذه الألعاب من تصالح مع عواطف نعتبرها سلبية، مثل الكراهية، وأيضا لابد أن أى صديق شاركنا قد تحفظ -معنا- على المبالغة في تقديس ألفاظ قد لا تكون لها حق في أية قدسية،

إن قبول التناقض، وتحمل الغموض tolerance of ambiguity هو أساس حركية الإبداع على سواء مسيرة النمو، أو على مستوى الإنشاء التشكيلى، أو على مستوى النقد. في أطروحتى عن العلوم النفسية والنقد الأدبى & التى ظهرت أيضا في كتابى "تبادل الأقنعة"، أخذت على عباس العقاد الذى يعد ناقدا رائدا، عجزه عن استيعاب تناقض العواطف خاصة في نقده الرائع لابن الرومى، فقد استقطب ذلك التناقض الذى:

..... تتشكل منه المسيرة الولافية التى لا يمكن استيعابها إلا باحتمال رؤية - وممارسة - ومواجهة الضدين للتفاعل أخلاق والتوليد التصاعدي. لكن يبدو أن العقاد لا يهتم ذلك أصلا، فاهتمام (العقاد) المفرط بتأكيد نمط محدد للشخصية إنما

يشير إلى موقفه الساكن، ومن ثم تسكينه لما يرى وبالتالي :
 الميل إلى الاستقطاب أو الاختزال. العقاد يميل غالبا إلى
 افتراض رجحان أحد الضدين، وهو يلتمس التأويلات لظهور الضد
 المقابل. على سبيل المثال نراه يفسر شهادة ابن الرومي على
 نفسه بالحدق بأنه ادعاء للحدق وليس حقا، أو بأنه لتخويف
 الناس من قدرته على الحدق، أو بأنه كان يتعاطى صناعة
 البرهان فأحب أن يمتحن قوته في المنطق والفلسفة ويستشهد على
 ذلك - ضمن شواهد أخرى - بأن ابن الرومي قد ذم الحدق كما
 مدحه. وكل هذه الاستنتاجات والدفاعات تشير إلى أحادية
 زاوية الرؤية نتيجة للعجز عن استيعاب الحركة الجدلية، وعن
 عدم تحمل مواكبة "قفزات النمو الكيفية". وقد يرجع ذلك إلى
 شخصية العقاد الصارمة - برغم موسوعيته - كما قد يرجع إلى
 منهجه الفكري الذي يميل في أحيان كثيرة إلى الإفراط في
 "الالتقاط - فالتعميم". ولكن من أين لابن الرومي
 أن يقول:

وما الحدق إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن
 إلى بعض

(إبن الرومي). . . . قد أبلغنا رؤية متداخلة لا فكاك من
 الاعتراف بأنها إنما تعلن لحظة حدس عميق، اكتشف فيها الشاعر
 المبدع كيف ينتسب الحدق إلى الشكر والعكس بالعكس. وهذا
 الانتساب لا يقتصر على وحدة الأصل بل على ولاف المسار. (وقد)
 ذهب العقاد ينفى بالحجة تلو الحجة حدق ابن الرومي
 أصلا، ويذهب إلى أن اعترافه به أدل على عدم وجوده. والناقد
 هنا أول باللوم من الشاعر: ذلك أن "حركة" بصيرة الشاعر
 المخترقة لطبقات وعيه ذهابا وإيابا قد تفرض عليه رؤية ما
 لا يُحتمل وقد يتراجع، وقد يعود، وعلى الناقد أن يواكب
 "حركته" هذه، لا ليبرر تناقضاتها ويرجح أحد شقيها، وإنما
 ليجمع مفرداتها في كل جديد لم يقدر الشاعر بفيض صورته أن
 يلم به. العقاد بتفسيره النفسي الأحادي البعد، اضطر إلى
 تثبيت عامل غالب يقيسه بمقياس محدد الوحدات، وأغفل -
 مضطرا في الأغلب - الوضع الدائم النمو لما هو شعر وشاعر،
 حيث تكون الصفة الأساسية هي عنف الترحال بين الداخل
 والخارج، وسرعة الانتقال من "مستوى رؤية" إلى "مستوى رؤية
 آخر"، إلى مستوى سلوك،

هذه اللوحة، على هذا المستوى من الشعور تعلن بوضوح
 أهمية استيعاب الكائن البشري لمستويات من التواصل، ليس لها
 اسم من ناحية، كما أنها كثيرا ما تكون مزيجا مما لا نقبله
 عادة إلا استقطابا.

يختتم المتن تشكيل هذه اللوحة بالتحذير من الاستسلام إلى
 تأثير ظاهر السهولة التي تصلنا من عيون الجيوكانده، وذلك
 بتعرية مبالغ فيها لما وراء هذه الابتسامة الواعدة.

وعشان أبعد تأثيرها:

قهقهت كما بنوع الخبث،

في المُولِدِ .

بصَّيْتُ لِلصُّورَةِ ،

طَلَعَتِ لِسَانِي :

تكشيره امال ..! .. كِدِهْه !

تبويزه امال ..! .. كِدِهْه !"

وتغيظني ولا تبوزش.

وأنا أعمل عقلي بعقليها من كتر الغيظ،

"بلا نيلة بتضحكى على إيه؟"

نلاحظ في هذا التشكيل المتعدد الطبقات أن الانتقال من مستوى إلى آخر، يتم بعد تعرية المستوى الذي بدا وكأنه غاية المراد، كما نلاحظ أن التعرية تبلغ عادة من القسوة ما يكاد ينسينا دور هذا المستوى من الوعي في تشكيل العلاقات البشرية، وهذا خطأ مجت، فليس معنى أننا نعري مستوى فنكشف حدود دوره دون أن نرفضه، أن ننكر موقعه ودوره، كل المطلوب هو ألا نتوقف عنده أو نخدع بظاهره، إن تعريته ليست سوى تنبيه لما بعد ذلك، لنقبل التعدد لنؤلف بين المستويات أبدا على طريق النمو.

وهكذا يلوح لنا من جديد في نهاية هذا السرداب أيضا، وقد كنا نحسبه نهاية المطاف، باب جديد، يغرى بتواصل حركتنا إلى مستوى وعي أعمق هكذا:

وأحاول اشوّه ضحكها، وأغطيها،

يا خراي !!

الصورة دي زخره بتتحرك،

وبيفتح باب:

وإلى الحلقة القادمة والأخيرة، بالنسبة لهذه اللوحة، نرى ما وراء هذا الباب،

وإلى أي سرداب آخر يقودنا.



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

مقدمة :

اكتشفتُ مصادفةً أثناء بحثي في حاسوبٍ أني قمت بتحديث بداية هذه القصيدة بإضافة ستة أسطر لم أثبتها في الحلقة الأولى من هذه السلسلة "أبواب وسراييب" (1 من 4)، وقد أرجعت سبب هذه الإضافة إلى أنني فزعت من نهاية هذه اللوحة (التي تمثلت في العثور على طفل في آخر سرداب وهو يبكي إذ يتقلب في "ماء النار"، وقد تجمد جلده (صدف وجمار) وهو لا يستطيع أن يبصر، ولا حتى أن يموت، ومن هول هذه النهاية رجحت أن تكون رؤيتي هذه هي مبالغة شديدة نتيجة الخوف من أن يكون هذا هو حقيقة داخل داخلنا إذا مضى الأمر هكذا، وقد تمنيت أن أكتشف خطئي: "أنا نفسي أطلع غلطان" حتى لا أرى كل هذه التشوية الذي يمكن أن يلحق بفطرتنا لأننا لا نراها أصلا، من فرط رعبنا أن نرى الحقيقة ("طفل بيتشوه، من كثر الخوف وسط العميان").

هل يا ترى نجت هذه المقدمة المضافة أن تخفف من هذه الرؤية المتألمة المرتعبة؟، هل يمكن أن ينجح هذا الاستدراك في أن يفتح باب الأمل، إذا نحن غامرنا بالتعرف على بعضنا

البعض بما هو نحن "خلقة ربنا"، وبالتالي استطعنا أن نحمل أمانة "أن نكون معاً"، بأقل قدر من إلغاء أحداً للآخر، وبأكبر من قدر من التحمل للاستمرار، وبالتالي نستحق أن نكون بشراً بحق إذ نتعرف على حقيقتنا الجميلة؟؟

نبدأ هذه النشرة الأخيرة بتلك المقدمة المزيده وأيضاً سوف أنهى الحلقات بها، تأكيد الترجيح الأمل، مهما بلغ الخوف من احتمال مرارة الحقيقة العارية:

ما تيالاً نقايس نستحمل، نفضل مع بعض،

دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،

إنما فيه بذرة منسيه،

مستنية،

نرويها نشوفها انها هيه،

تكبر، تمتد!

بهذه السلسلة، تصورت أن المسألة، برغم كل السرايب الخادعة والنهاية المرعبة، لا تحتاج منا إلا أن نتذكر ما نسيناه، وما أنسانا إياه إلا الرعب والجشع الشيطاني أن نذكره، يبدو فعلاً، كما يقول المتن في هذه المقدمة أن كل ما علينا هو أن نُقَرِّ بوجود هذه الطبيعة الجميلة الحيوية كأصل للوجود البشري، وأنها قابلة للنمو والتوسع بمجرد أن نعترف بها ونطلقها على سجيته معاً "بذرة منسية، مستنية، نرويها نشوفها انها هيه، تكبر تمتد."

وبعد

بعد جرعة التخفيف هذه، ربما يمكننا أن نتحمل أن نواصل فتح آخر الأبواب، الذي فتح لنا حين حاولنا -ساخرين- أن ندفع جدي "الموناليزا" إلى أعلى حتى نحو ابتسامتها الغاوية الغامضة الواعدة، وإذا باللوحة تتحرك، ونكتشف أنها هي الباب الأخير، الذي يظهر من ورائه سرداب يؤدي إلى هذه الصورة هكذا:

....

والساحر قاعد متأخر،

والآخِر، ما بايلنلوش آخِر.

وعيونه بتوعد،

من غير وعد.

يا ترى حانلقى قلب نضيف وصغير وبريء ،

كما قلب العصفور في الجنة؟

ولا حانلقى نقاية مشمش، مافيهاش رجمة الروح.

وإذا حتى اتكسرت، مرارثها صعب ؟

ويأتى الجواب بظهور ما وراء هذا الباب الأخير وهو تشكيل يعلن التحذير من المراوغة وإخفاء البشاعة وراء وجه أملس ، بالغ البراءة، أو حتى هو يورى كأنه الجمال الخادع، كل هذا تجسد لى فى اسطورة "دوريان جراى"

الشاب وسيم وحليوه .. واقف منطور،

والوش بريء رباني.مافيهوش رجة التعبير،

لكن باين، وكأنه جميل،

واسمه "دوريان"

هوا انتي؟ لصوره اياها؟

ودا صاحبك إالى اتقى ف يوم نجدعنا

ما تباشى عليه بصمات السن،

ولا ختم الشر، ولا صوت لضمير.

وان كان لازم تتسجل كل عمايله:

راح عامل صورة يبان فيها التغيير.

وكإنها صورة الحق الجوانى البشع العريان".

قصة صورة "دوريان جراى" لأوسكار وايلد" أشهر من أن تحكى، فكرت أن أكتب موجزا لها، إلا أنى اكتفيت بما ورد فى المتن هنا، أما ورود هذه الصورة على هذا العمق الرابع فى هذا التشكيل، فكان تعبيرا عن أن هذه البراءة والهدوء والتلميح بالخلود فى المستوى السابق (موناليزا)، لا يدل على عجز فقط عن مواجهة الواقع بل إنه قد يخفى وراءه نقيضه تماما

هذه القضية تواجهنى بشكل مؤلم يحذرنى كثيرا من تصديق ظاهر رقة الناس وبراءتهم فى مجتمع قاهر قاس كما هو حالنا الآن، وقد تكرر إعلان شكى فى أكثر من نقطة وصورة فى هذا العمل (راجع مثلا العين الرابعة نشرة 2009-9-29 "نحب؟ أم "نلعب حبا"؟)، ونشرة "الجب بالراحة"

الحذر من هذه الصورة البريئة والبسمة الفطرية الساحرة .. هو حذر، الانخداع بها وهى تخفى وراءها الوجه الآخر لبشاعة الوجود إذا استسلمنا لها ولم نعتبرها مجرد بداية لرحلة النمو والجدل فى مواجهة بشاعة تشويه التركيب البشرى حين تنفصل طبقاته عن بعضها البعض، فتصبح عرضه لنهش أى ظالم مفترس.

بعد كل هذه الرحلة الطويلة والافتراضات المتلاحقة، تركنى صاحب هذه العيون فى حيرة من أمره لا أدرك ماذا يقبع فى سرايب أغواره فى نهاية النهاية، بصراحة، عزوث هذا الغموض

بسبب كثيف كل هذه الطبقات هكذا، إلى أنه قد أسقط كل وضعه وشده وقسوته ونوازعه على شريكه هذا وهو (هى) أقرب الناس إليه .. وبذلك بدا هو رائق رقيق ملغز، في حين بدا هذا القريب الحميم مشوها عاجزا.. وهذا أشبه بما يعرف في الطب النفسي بالجنون المُقحم Folie imposé الذى قابلته متواترا في خبرتى في ثقافتنا بالذات حين رحلت أشاهده في بعض حالات الإدمان التى أسميتها "الإدمان بالنيابة" حين يدمن الابن نيابة عن والده، أو بعض حالات الانفلات الجنسى بالنيابة حين تنحرف البنت "نيابة" عن أمها... الخ

وبعد

لقد أردت من مجمل هذا التشكيل هنا أن أوضح مدى الصعوبة في إدراك طبقات النفس حين تغطي إحداها الأخرى وكيف أن علينا ألا نتوقف عند مستوى تحتى وكأنه نهاية المطاف مهما بدا مفاجأة، فربما وراءه ما هو أكثر غورا وأهم دلالة.

الفقرة الأخيرة في المتن كانت من البشاعة والإرعاب ما جعلنى أخففها بالمقدمة المزيدة التى جاءت في أول هذه النشرة، والتى سنكررها - كما قلنا - في نهاية القصيدة أيضا.

إنما دى الصورة هنا مايعه ؟.

ما يكونشى جواها البشعه؟

أقلبها:

يظهر لى الباب الأخرانى.

دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!

(5)

والاقيلك بحر التيه، من تحت البحر الميت،

والطفلة الغلبانة بتبكى، ولا حد شايفها .

واليه مية نار، والجلد صدف وعمار،

لا هى قادره تصرّخ، ولا راضية تموت.

يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟

ولا انا غلطان ؟

أنا نفسى أطلع غلطان،

أحسن ما أشوف:

طفل بيتشوة،

من كتر الخوف،

وسط العميان.

ملحق الحلقة الأخيرة

اعتذاراً عن احتمال تشويه المتن الشعري بهذا التشريح
الشارح للأسف، نختتم حلقات هذه اللوحة - كما فعلنا في الحلقة
الأولى- بإعادة نشر المتن مجتمعا بعد ما أمضينا معه شهرا
كاملا نفتح أبوابا، ونتوه في سراديب،
لعل في إعادة فائدة أن تصدر القصيدة تلك الفقرة
المزيدة التي تتركنا آمليين بكل المسؤولية والتحدى والحفز
لفعل معاً، وأيضا أن ننهيا بها، وكأننا نضعها بين "قوسين
من الأصل القادر"

(1)

ما تيالاً نقايس نستحمل، نفضل مع بعض،
دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،
إنما فيه بذرة منسيّة،
مستنيّة،
نرويها نشوفها انها هيه،
تكبر، تمتد!

(2)

وعيون عمالة بتوعد من غير وغد.
بتشاور: على باب مكتوب فوق منه:
"سرداب السعد"،
بوابة تصب في بوابة،
والجنى بينفخ في الغابة،
والبنورة قدام الساحر،
والآخِر: ما باينلوش آخِر.
يا ترى حانلقى قلب نضيف وضغير وبرئ،
كما قلب العصفور في الجنة،
ولأ حانلقى نقاية مِشمِش، جامدة وخايفه وملمومة
واذا حنّى اتكسرت، مرارتها صغب؟

(3)

ولقيت في الأول صورة البومة
بتبش، وتبخلق:

وتقول جزى إيه؟

بتبصُّولى ليه؟

أنا مالى؟

حوالى خراب؟

دا خرابكم إنتم.

دانا كتر خرى.

عماله بازعق وأقول:

"فيه لسه حياة .. حتى فى خرابه".

تكونوش عايزينها،

تخرب فى السر؟

"خليها تعدى"، "خليها تمر" !

ولا حد يبنه، ولا حد يزن

والإسم حياة، والفعل "كان"

وبدال ما نغير، نخكى ونفن؟

(4)

وأقرب أكثر مالصوره،

وأبص فى عين البومه.

واستغرب!

دى عيونها إزاز.

عاملين كده ليه؟

حسس، جرب، يمكن،

وألقى العين مش عين،

دى زرار،

وأجرب أزق. تتحرك كل الصورة،

والباب التانى يبان:

(5)

الشيخ قاعد وشه منور،

مركون على عصا بيفكر.

وعنيه بتشع الحكمة.

دا شبه سيدنا سليمان
 وعيال لايام دى غلابه،
 لافى عصا ترخمهم ولا حكمة،
 مين مس الجان
 والجان ايامنا، لابس جلد الإنسان.
 ولا عاد بيهم الواحد منهم سورة "الكرسى"،
 ولا سورة "الناس".
 والحكمة ما ماتت من مده.
 ما فاضلشى إلا الحكمة الموضه،
 تلقاها ملقوفه،
 حوالين جثة شكولاته، جوا الصالونات.
 - إلقنا يا عمى الشيخ شفا .
 - "ألحقو ازائي؟
 إنت اهل؟ ولا بتستهيل؟
 دانا صوره".
 وأبص كويش.
 "دى النملة بتزحف فى بياضها".
 وعيون الحكمة الصابرة الغرقانة فى بحر آلام الناس،
 تستنجد بى:
 - إعمل معروف شيل النملة دى بتقرصنى،
 دانا صوره، دانا ميئت،
 وعصاى السوس بهلها،
 حانكفى على وشى تو ما تبقى دقيقتى،
 والكل حايفرح.
 "دقى يا مزيكا ،
 شئنا يا وىكا".
 "إعمل معروف شيل النملة".
 وأحاول اشيلها،
 أتاريها الثانية زرار،

والباب المسحور بـيُزَيِّقُ.

(6)

هَوَا انْتِ؟

بالبسة الهادية النادية،

والعين اللى بـتجـرى وراك بحنائها،

وَبـتـنـدـمـلـك مـاـطـرـخ مـاـتـرُـوـخ.

هَوَا انْتِ؟ موناليزا الطاهرة الفاجرة؟

الواحد عايز إيه غير بسة حُب، وِحنان،

والصدق الدافى وَكُلُّ الطيبنة يـلـفـوـنى،

وِكـان الشر عمره ما كان.

وِكـان الدنيا أمان فى إيمان،

وِكـان البسمه الصادقة تـدوِّبُ أيها حقد، وأيُّها خوف.

....

جرى إيه؟ الواحد كان حايفدق، وِكـان الصورة حقيقه؟

يا أحيانا:

مين المسئول عن بعضينا؟

عن أكل العيش؟

عن قتل الغدر؟

عن طفل عايز بـتـرـبـى وِسـط المـكـن، القـرـش الدُـشـه الدَم؟

عن جوع الناس؟

عن بيع الشرف الأمل البُكـرَه: امبارح؟

وأبص لها تانى واقول:

بالذمه بتضحكى على إيه؟

دى البسة الحلوة الرايقة المليانه حنان .. وِخلاق،

يكن تبقى مصيبه الأيام دى!

حا تحلى الواحد يتهاى له إن الدنيا بحر، وِينام،

يـلمـ بالـجـنـه...،

وِخلاق!

وعشان أبعد تأثيرها:

قهقهت كما بثُوع الحثَّة،
 في المُولدِ.
 بصَّيتُ للصُّورَةَ،
 طَلَعَتِ لِسَانِي:
 تكشيره امال..! .. كدِهه!
 تبويزه امال..! .. كدِهه!"
 وتغيظني ولا تبوزش.
 وأنا أعمل عقلي بعقليها من كتر الغيظ،
 "بلا نيلة بتضحكى على إيه؟"
 وأحاول اشوه ضحكتها، وأغطيها،
 يا خراي !!
 الصورة دى رخره بتتحرك،
 ويفتج باب:

(7)

الشاب وسيم وجليوه .. واقف منطور،
 والوش بريء رباني. مافيهوش ريحة التعبير،
 واسمه "دوريان"
 هوا انت الصورة اياها؟
 ودا صاحبك إلى اتنى ف يوم نجدنا
 ما يبانشى عليه بصمات السن،
 ولا ختم الشر، ولا صوت لضمير.
 وان كان لازم تتسجل كل عمايله:
 راح عامل صورة يبان فيها التغيير.
 وكإنها صورة الحق الجوانى البشع العريان".
 أقلبها:
 يظهر لى الباب الأخراني.
 دا مفيش ورا آخر باب، ولا أوده ولا بواب!!
 إنما دى الصورة هنا مايعه؟
 ما يكونشى جواها البشعه؟

والاقيلك جمر التيه، من تحت البحر الميت،
والطفلة الغلبانة بتبكي، ولا حد شايفها.
والميه مية نار، والجلد صدف ومخار،
لا هي قادره تصرخ، ولا راضية تموت.

يا ترى يا جماعه الطفله دهه "صورة، صورة" دوريان؟
ولا أنا غلطان؟
أنا نفسي أطلع غلطان،
أحسن ما اشوف:
طفل بيتشوه،
من كتر الخوف،
وسط العميان.
ثم نعيد المقدمة، الأمل، التراجع إلى الأمل:
ما تيالاً نقايس نستحمل، نفضل مع بعض،
دا الموت الوغد بيتسحب من تحت الأرض،
إنما فيه بذرة منسيّة،
مستنيّة،
نرويها نشوفها انها هيه،
تكبر، تمتد!

الإثنين 24-02-2010

908 - فانوس ألوان



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيفية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

فانوس ألوان

(ضبط جرعة التعرية والرؤية)

مقدمة:

هذه اللوحة تشكيل جديد يجذر من التماهى في تعرية الذات، أو الآخر، تحت زعم صدق الرؤية، وتعميق البصيرة، لدرجة قد تصيب صاحبها بالعجز عن التغيير الممكن فعلا، هذا ما أسميته في شرح سابق "الرؤية المرة"، أو "الصدق المعقوف". كانت محاولات هذه السيدة بوجه خاص محاولات عنيدة وهي تصر على مواصلة الكشف دون حذر، وكنت أحيانا أتمنى لها العمى، وأحذرها من أن فرط بهر النور قد يعشى البصر. لكن، والحق يقال، كانت كلما ازدادت صدقا، زاد إصرارها على مواصلة الرؤية، دون الانتباه إلى ضرورة التناسب اللازم بين ثالوث "الرؤية- الحفز- الفعل". كانت حركية الجماعة التي تحاول معهم نفس محاولتها، ولكن بدرجات مختلفة، تجذبها إلى صحبتهم متصورة أنها كلما رأت داخلها، وواقعا أكثر، كانت أقرب للطريق السليم الذي تحاول السير فيه، واقدر على التغيير اللازم لذلك.

في نفس الوقت لم تكن تنكر أن هذه الرؤية مؤلمة غاية الألم، ويبدو أنها كانت تكفي بالألم تكفيرا، عن المسؤولية فعلا، وحين كانت تستعبط لتوهم نفسها أنها لا ترى ما ترى، كانت سرعان ما تكتشف أنها تكذب على نفسها أولا، في محاولات تعمية نفسها بأى مستوى من الوعي، بلا طائل، وكان كل ذلك يجعلها تخاف أن ترى أكثر، وتخاف أن ترى أقل (تعمى)، تخاف أن تتألم أكثر، وتخاف أن تتبلد فتندع، كانت تحافظ على المسافة بينها وبين أى آخر، دون أى استغناء، وأيضاً دون أية مغامرة باقتراب أكثر.

والنظرة دى صادقته، ومختاره، وخايفته؛

خايفه من الصدق وكثر الشوف المر.

خايفه من بكرة.

عماله بتقول:

"نفسى آجى معاكو.. حتى ماشيته حافيه

بس شوك الأرض بيخزق عنيته.

نفسى اعتمض، نفسى اعمى.

بس برضه الشوك فى قلبى،

حتى لو قلت الضلام ستر وغطا،

أبقى شايفه .. إني عاميه."

و حين كانت تبلغ درجة قصوى من الخوف والألم وبهر الرؤية، كانت تحاول أن تشكك نفسها فيما يجرى، بما في ذلك ضرورة أو جدوى أو معنى هذا الكشف المتلاحق، فتحاول أن تسمح للشك في صدق الجارى ولزومه أن يتسحب إلى داخلها، وهى لا تشك في الآخرين بقدر ما تشك في نفسها، بل وأيضاً في رؤيتها شخصياً، أعنى في صدق رؤيتها، لا في فاعليتها أو ما يترتب عليها .

والشك الشوك بيشككك:

"مش يمكن كل كلامكو الصح: مش صح؟

مش يمكن أنا باعملكو فخ؟

مش يمكن بالكذب.

لاجل أهزب والعب..؟

هذه كلها صورة مؤلفة تسمح لى أن أبين كيف أنه في العلاج النفسى ينبغى الحذر من هذا التعميق في الرؤية بجرعة أكبر من القدرة على استيعابها، ويعتبر ضبط جرعة التعرية بتهيير الدفاعات النفسية المعيقة (وأحيانا العادية) من أصعب مهام العلاج، أصعب كثيراً من ضبط جرعة العقاقير حسب مرحلة مسار العلاج، ثم إن ضبط جرعة الرؤية لا يلزم بالنسبة

للمريض فحسب، بل هو يشمل المعالج أيضا وباستمرار، ولا توجد مؤشرات، أو خطوات، أو تعليمات محددة تُحفظ فتنفذ، فتساعد المعالج على ضبط جرعة تعرية المريض بل والمعالج أيضا. المعالج هو دائم التجربة، دائم المراجعة دون تردد، هو يعمل على استيعاب كل جرعة أولا بأول، وعليه ضبط الخطوة تلو الخطوة من خلال النتائج المرحلية يجزته المتنامية.

أحيانا، من فرط جرعة الرؤية يتعامل المريض معها، بشكل قد يندع المعالج، وذلك باللجوء إلى استعمال ما تيسر من ميكانزمات أخرى أهمها العقلنة، وأحيانا تقوم هذه العقلنة بتعطيل مسار العلاج بقدر أكبر.

في العلاج الجمعي بالذات قد تخدع آليه "العقلنة" كلا من المعالجين والمرضى على حد سواء، وقد يطمئن صاحب هذه الرؤية إلى انبهار الآخرين بقدرته على الغوص ليس فقط في داخله، وإنما في داخلهم، بشكل عميق ومخترق أيضا، وفي هذه الحالة قد يكون الاستمرار في التصفيق (بمعنى فرط القبول بإعجاب وحماس) لهذه الرؤية هو ضد مسيرة العلاج النمائي بشكل أو بآخر. ثم إن بعض من هم مثل هذه الحالة قد يفخر بأنه يرى حجم سلبياته وطبيعية ميكانزماته التي عزّاه لدرجة تصور له أنه -بذلك- قد كَفَّرَ عنها، مع أن واقع وقفته منظرًا تقول إنه لم يخط بعد ذلك أية خطوة في محاولة تغييرها، وكأنه يعلن سلبياته ليثبتها لا ليتخلص منها.

وحين ينتبه صاحب هذه البصيرة، العقلنة جزئيا، إلى لعبة العقلنة والتكفير دون تغيير، قد يحاول أن يخفي بعض رؤيته هذه عن المعالج، وربما عن الآخرين، وأحيانا عن نفسه، لكنه عادة لا ينجح:

الناسِ بِتَخَاوُلِ تَخْفِي الكُذْبِ،

إِنَّمَا صَاحِبِنَا بِتَخْفِي الصُّدُقِ.

والكذب خباله طويله،

والصدق مصيبته ثقيله،

هذا ما حدث مع صاحبة هذه اللوحة - تخيلاً- حتى تصورت أن حاولتها أخذت تتمادى في كل اتجاه دون أن تعلم أنها تدور حول نفسها، فطغت الحلول المثالية، والأحلام المؤجلة على كل ما يمكن أن يترتب على إدراك هذا الواقع العارى من حركة نمائية مسئولة، وبرغم ذلك يتواصل استمرار الرؤية العقلنة، وكانت هذه السيدة تتخفى طول الوقت من الجميع ومن نفسها بكثرة النقلات بين التفاعلات والانفعالات المتنوعة الصادقة أيضا:

خُدْ عندك: حقة كذب،

على نبضة صدق،

على رسمة حب،

على صرخة همّ ،
على سكتة غمّ ،
وتلخبط كل حاجاتها على كل حاجاتها ،
بالقصد .

في العلاج النفسي حين يحدث مثل ذلك لا يكون عادة دليلاً على خوض مأزق التغير بقدر ما يكون ربكة تعطل صاحبها وتحدع المعالج أو المجموعة بالتالي، ومن ثم لا يترتب على هذا الموقف أي تحفيز نحو التقدم للخطوة التالية .

صاحبتنا كانت تبدو أنها تلجأ إلى هذه الخلطة المقصودة المتقلبة بسرعة من حال إلى حال فلا تسمح لأحد بالاقتراب، لأنه يمكن حين يقترب الآخر أكثر أن يفاجأ بنقله إلى موقع آخر، أو مشاعر أخرى، أو موقف آخر دون توقع فينسحب، وتطمئن هي إلى ثبات موقفها وموقعها محتفظة بمسافة من الأمان الدفاعي الخامي .

في مثل هذه الأحوال تنجح الحالة أن تحافظ على تلك المسافة ثابتة بينها وبين "الآخر" (الموضوع)، أو على الأقل تتحرك في دائرة مغلقة، أي أنها برغم ظاهر الاقتراب والابتعاد لا يتغير وضعها في النهاية. وتزداد مقاومتها مع استمرار انسحابها أمام أي اقتراب، برغم حاجتها إلى الآخر "الموضوع"، بشكل متزايد .

وإن جَهْ وَاوَدَّ عَقْلَهُ يَقْرَبُ:
تَحْرَنُ وَتَرْفُصُ،
تَضْرِبُ تَبْمَلِّصُ
وَتَعَانِدُ زِي الْعَيْلِ لِمَا يَزِقُ الْبَزُّ،
مَعَ إِنَّهُ جَعَانُ .

يتضاعف الموقف بالجوء إلى درجة من الاستعلاء حين تعلن لنفسها ولغيرها أنها تفهم أكثر، وترى أعمق، وتحس أصدق، وتفكر أعم، وكل هذا يكون صحيحاً من حيث القدرة على الفهم والوصف والتنظير، لكنه يكون غالباً بعيداً عن اختبار الواقع، فتهرب أكثر فأكثر في المثالية التي نبهنا إلى سلبيتها في أكثر من لوحة تشكيلية في هذا العمل، ويظل الزعم بالمثالية هو المطروح والمسئول عن إطلاق الشعارات، والتعامل مع أحلام اليقظة الشاردة كأنها واقع محتمل:

وتقول أنا حَيَّ مَافِيشَ زِيَّهْ،
وتدوّر عالي مَافِيشَ زِيَّهْ :
وتلاقي: "يسقط شر الناس،
ويعيش الحب"

وخلص.

- إزاي؟

- مِشْ شغلى.

المفروض أن مرارة الرؤية، وشوك المسيرة، هما الناتج الطبيعي لصدق الرؤية، وهما الدافع حركية النمو، أما المثاليه المزركشه فهى عكس ذلك، إذُ ترسم الأهداف مميّلة جذابة، لكنها تلحق ذلك بتعريية صعوبة الطرق الموصلة إليها بطريقة مبالغ فيها تجعل الوصول إلى هذه الأهداف يكاد يكون مستحيلًا، فتُجل ذلك النكوص الطفلى ومزيد من المثالية، محل التوجه الهادف المسئول، دون التخفيف حتى من آلام كل ذلك،

ومجور المرّ بتزوى الشوك الصبر.

والبحر بعيد، ومالوش شطآن.

ولا فيش مقداف ولا دقه،

ولا ريّس، ولا بمبوطى.

كان من أكثر الأمور إيلاما لى ما واجهنى حين كنت أتابع صاحبة هذه اللوحة وهى تتمزق بين ما تراه من تناقض ظاهر بين أمومتها الطيبة، وبين طموحها المثالى الطوباوى تقريبا، وكانت تحاول أن تحل المشكلة محل وسط، أقرب إلى التسوية المثالية المعقلنة الساكنة منه إلى حركية النمو الجدلية الواقعية المسئولة الأصعب:

والطفلة تشقلّ فى اللفة وتقول:

رمضان اهو جى، وحاقول وحوى،

واستنى الفجر.

وليالٍ عشر.

وراح افتح طاقة القدر.

وأطلّع منها فانوس ألوان.

بس كبير خاليس.

قد الدنيا مجالها.

ولآقيني قاعده ف وسط عيالى،

وعيالى كتار، وكبار.

يبقى حليتها يا خللى.

لا انا سببت غيالي،

ولا سببت الناس.

بصراحة، ومن خلال خبرتي، في العلاج النفسي، لاحظت أن المرض الذي يصل إلى هذه الدرجة من الرؤية المخترقة المعقلنة معاً، وفي نفس الوقت يتوقف عند هذه التسوية المثالية الساكنة، لا يحاول أن يهرب من رؤية داخله مها بدا شائها أو متمزقا أو مؤلماً، قد ينجح أن يخفيه فقط عن الآخرين، بعض الوقت، حسب مقتضى الحال لا أكثر.

أحياناً تستعمل مثل هذه الرؤية العميقة المخترقة منطلقاً لإبداع فائق، هذا إذا ما أفرغها صاحبها في إبداع خلاق خارجي، حتى ولو على حساب نموه شخصياً، بمعنى أنه بدلا من أن يبدع ذاته من خلال ما رأى، يكتفى بأن يسجل بأدوات إبداعه تشكيلا جميلا جديداً بدلا عن إبداع ذاته،

وقد سبق أن ذكرت أنني قد مرت على فترة رفضت هذا الإبدال، لكنني عدت فقبلته باعتباره محطة قد تكون لازمة، ومفيدة، لكل من صاحب الرؤية المبدعة ومن يتلقى نتائجها على السواء.

كثيراً ما تختلط أجزاء رؤية الحقيقة مع محاولات إخفائها عن الآخرين بشكل مشوش مما يزيد الموقف غموضاً، وقد يكون ذلك مقصوداً من عمق آخر، وبالتالي تتوقف مسيرة النمو بل سلبى مختار نسبياً، في هذه الحالة لا ينفذ العلاج النفسي التقليدي عادة، لأن مثل هذه الحالة قد تعرف وتفسر كل ميكانزماتها أدق وأعمق من المعالج نفسه، أما العلاج النفسي المكثف المخترق فهو يقابل من صاحبة هذه الرؤية بعناد وتحد بلا هوادة، وكأنها مبارزة تحد مستمر، وتصبح كل طاقة المريض موجهة إلى تملك ناصية الوعي والإرادة يستعملهما ضد أية محاولة تغيير أو اقتراب من الخارج. وبرغم هذا العناد القوي، إلا أنه لا يؤدي إلى أي حل حقيقي مهما نجح ظاهرياً، فهو موقف تتصاعد مرارته باستمرار نتيجة اصطدام حدة الرؤية، مع عناد الجمود، مع الخوف من الاستسلام والاعتماد على آخر، مع العجز عن النسيان والعمى، أو حتى التعامى ..

ولا يأتي الغد الموعد أبداً.

وقد يخفف من وطأة هذا الموقف بعض الوقت -تكرار ظهور تلك الأحلام الوردية ولو في أفق بعيد، إلا أنه بالنسبة لهذا التشكيل، كانت هذه الأحلام دائماً مضروبة بحقيقة الرؤية ومرارتها.

وبرغم وضوح عناد التوقف، وأوهام المثالية، وقوة المقاومة، إلى أنني لم أستطع أبداً أن أستسلم لأي حكم سلبى على صاحبة هذا التشكيل، وانتهت اللوحة وأنا بين التصديق والتكذيب، بين اليأس أو أن يفتتح أمامي باب احتمال آخر لا أعرف ما وراءه، فأنكره مفتوحاً، آملاً منتظراً إلى ما لا نهاية.

وأبص بشك، وأحاول أصدق.
 وتبص بعند، وتقول أنا قدك.
 والطفل اللي جوائ يقول "أنا مالى، مش يمكن!"
 والشيخ اللي برأى يقول: "لا يا عم، مش ممكن".
 وتبص، وأبص.
 وأشوفلك طاقةِ القدر فى عينها،
 من غير فوانيس، ولا ناس.
 والنور بقى نار بثلهلِب.
 إنما جواها: فيه "بكره". أو "يمكن!"
 "... مش يمكن!!!"

حين يفرض تحدٍ مثالي على الطبيب - أو المعالج - النفسى،
 فلا بد أن يفتح عقله لاحتمال تحقيقه وألا يبادر بالرفض أو
 التعجيز، وخاصة إذا كان صاحب التحدى يحمل مسئوليته، (وهو
 أمر نادر فى موقف العلاج النفسى وإلا فلماذا للعلاج؟)
 والطبيب (أو المعالج) عموماً يستفيد من فتح أبواب عقله لكل
 الاحتمالات الجديدة الممكنة ليتطور هو ذاته.. وفى نفس الوقت
 يسمح للمريض أن يحس بذاتيته .. ويتحمل مسئوليته فى
 النهاية .. سواء نجح فى مواصلة الطريق، أم رضى بالتوقف.
 كثيراً ما يصلنى - شخصياً - من هذه النهاية المفتوحة عِزْ
 يقول:

إذا لم يتمكن الآخر (بما فى ذلك المريض) ان ينجح فى هذه
 الرحلة، فليكملها الطبيب او المعالج لنفسه، بنفسه،
 وهكذا يظل الباب مفتوحاً باستمرار.

ملحق النشرة:

نجحت فكرة عرض المتن الشعر مكتملاً بعد هذا الشرح التشرىحى
 الذى يسرق منه شاعريته بشكل أو بآخر، وهانحن نواصل ذلك
 هذه النشرة، ونسأل الأصدقاء الرأى هل نفعل مثل ذلك مع كل
 لوحة ولو فى نهاية فقراتها؟

المتن مكتملاً:

والنظرة دى صادقه، ومختاره، وخايفه؛
 خايفه من الصدق وكثر الشوف المر.
 خايفه من بكره.

عمّالُه بتقول:

"نفسى آجى معاكو.. حتى ماشيه حافيه

بس شوك الأرض بيخرق عنيّه .

نفسى اعْمَضْ، نفسى أَعْمَى .

بس برضه الشوك فى قلبى،

حتى لو قلت الضلام ستر وغطا،

أبقى شايفه .. إنى عاميه."

والشك الشوك بيشكشك:

"مش يمكن كل كلامكو الصح: مش صح؟

مش يمكن أنا باعملكوا فخ؟

مش يمكن باكذب .

لاجلْ أهزب والعب..؟

الناس بتحاول تخفى الكذب،

إنما صاخبئنا بتخفى الصدق .

والكذب خباله طويله،

والصدق مصيبتة ثقيله،

خُدْ عندك: حته كذب،

على نبضة صدق،

على رسمة حب،

على صرخة هم،

على سكتة غم،

وتلخبط كل حاجاتها على كل حاجاتها،

بالقصد .

وانْ جَهْ واحد وُشاوِرْ عقله يقرب:

تحرَن وترقص،

تضرب تيملم

وتعانَد زى العيّل لما يزق البز،

مع إنه جعان.

وتقول أنا محي مافيش زيّه،

وتدور عالي مافيش زيئه :

وتلقى: "يسقط شر الناس،

ويعيش الحب"

وخلص.

- إزاي؟

- ميش شغلي.

ومجور المر بتزوي الشوك الصبر.

والبحر بعيد، ومالوش شطآن.

ولا فيش مقداف ولا دفة،

ولا ريس، ولا مبطوي.

والطفلة تشقل في اللفة وتقول:

رمضان اهو جي، وحاقول وحوي،

واستنى الفجر.

وليال عشر.

وراح افتح طاقة القدر.

وأطلع منها فانوس ألوان.

بس كبير خالص.

قد الدنيا مجالها.

ولآييني قاعده ف وسط عيالي،

وعيالي كتار، وكبار.

يبقى حليتها يا خللي.

لا انا سبت عيالي،

ولا سبت الناس.

وأبص بشك، وأحاول أصدق.

وتبص بعند، وتقول أنا قذك.

والطفل اللي جوائ يقول "أنا مالي، ميش يمكن!"

والشيخ اللي برأى يقول: "لا يا عم، مش ممكن".

وتبص، وأبص.

وأشوقك طاقةِ القدر ف عينها ،
من غير فوانيس، ولا ناس.
والنور بقى نار بثلهب.
إنما جواها: فيه "بكره". أو "يمكن!".
"... مش يمكن!!!"

- العقلنة Intellectualization هى آلية أو حيلة نفسية "ميكانزم" تشير إلى استعمال المنطق العقلى المنظم منفصلا عن كل من الوجدان المصاحب، وأيضا دون التزام بمفاز الفعل المترتب على هذا المنطق الصحيح عادة.

الإربعاء 03-03-2010

915- أن تكون "ذاتك" معه، معهم!



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أن تكون "ذاتك" معه، معهم!

مقدمة:

هذه اللوحة مستوحاة من حالة استلهمها خيالي من حالة قريبة مني جدا، لم أسمع للخيال أن يقترب من حقيقتها الطيبة، إلا بعد أن أخفيت معالمها، فجاءت هذه اللوحة لتكمل بعض أبعاد إشكالية "فقه العلاقات البشرية"

هو شخص ذو طبع صامت هادئ، يوحى بالطمأنينة لكل من يقترب منه، أو يسأله، أو يستنصحه، أو يستعين به، كان من اليبهوى أن أشارك في ذلك لشدة حاجتي .. للطمأنينة، والدعم، والتصديق، بل والاعتماد، أحسست أن في ذلك ظلم له، فمعي أن يطمئن الجميع له بهذه الدرجة وبهذا الإجماع أنه لن يأخذ حقه بدوره في مثل ذلك، وقد ينوء بجملة، أو تتعثر خطاه، المعنى الأصعب هو أن يستمد هو معنى وجوده من هذه الطمأنينة إليه، والاعتماد عليه، فتتوقف خطى نموه شخصيا.

في العلاج النفسي ينبغي أن يكون المعالج على وعى كامل باعتماده على مرضاه .. ، أو بتعبير أدق باعتماده على اعتماد مرضاه عليه.

وفي العلاج النفسي الجمعي خاصة قد يظهر مثل هذا الشخص المغرّى بالاعتماد عليه من بين المرضى، فيقوم بهذا الدور المطمئن طول الوقت (على العمال على البطال) .. فيعوق مسيرة اعتماد الآخرين على أنفسهم بشكل ما .. ويستمد وجوده - على حساب نموه - من ذلك الاعتماد الذي يلعب فيه بشكل غير مباشر دور المعالج **Playing Psychiatry**.

وعيونُه الرايقه الهاديه،

قال إيه؟! بتظمن !!؟

بس أنا مش قادر اتظمن،

أصله بعيد عن بعضه قوى!!

ينبغي أن نفرق بين أن تكون مستويات الوجود البشري للفرد بعيدة عن بعضها، من أن تكون متصارعة مع بعضها من أن تكون متصادمة مع بعضها ..

وعلى الجانب الآخر أن تكون: .. متعاونة مع بعضها أو متفقه ساكنة مع بعضها أو متكاملة في بعضها.

في هذا التشكيل نحن أمام أول صفة: أن تكون بعيدة عن بعضها.

وصلني أن هذا البعد الذي بدا لي أكبر من تصور الجميع (ومن هنا ثققتهم واعتماديتهم) هو نتيجة لتنامي قشرة صلبة اضطر صاحبها لتقويتها بكل ما أوتى من صبر وعناد، وقد رجحت أن ظروف الواقع طويلا قد اضطرته أن ينمي هذه القشرة لمواجهة العالم الخارجي القاسي المتحفز من البداية، هذا الاضطراب هو مشروع من حيث المبدأ، شريطة أن يكون مرحليا، أما إذا كان نهائيا وثابتا حتى تغطي هذه القشرة على حاجاته الفطرية وحقه في الضعف والأخذ .. فإن الأمر يصبح تقزيا وإعاقة دائمة معجزة.

أن يبتعد بعضنا (مستوى من مستويات وجودنا) عن بعضنا (مستوى آخر) هو مقبول لو كان مرحلة ضرورية لها عمرها الافتراضي، ثم تنبعث الحركة وتتغير المسافات باستمرار.

في العلاج النفسي كثيرا ما نواجه بهذه القشرة وقد تجمدت لدرجة تكاد تعلن أن التوقف دائم وأنه لا سبيل إلى التعتة للتقريب بين المتباعدين، وعلينا أن نحترم ذلك، ونعطي الفرصة الكافية من الزمن والإصرار، ونحن حريصون كل الحرص ألا ننخدع بحركة زائفة، أو عقلنة تعلن الحاجة إلى الحركة، لكنها لا تؤدي إلا إلى مظهر الحركة دون حركة، بمعنى الحركة الزائفة (أو المغلقة في المحل) بشكل أو بآخر.

في اضطراب الشخصية، وفي العصاب المزمن، وفي فرط العادية **Hyper-normality** نقابل هذا الابتعاد ويحتاج الأمر إلى ما ذكرنا.

في المرض الجسيم تتشقق هذه القشرة وتنفلت منها فقاعات طاقة عشوائية، أو تتكسر تماما، ويحدث التناثر.

وقد يتم التفاهم أو التعاون بالتناوب بين المستويين (وأى مستويين أو أكثر) مما يتفق مع قانون جيد هو أساس جوهرى في تفكيرى، ألا وهو الإيقاع الحيوى، ويحدث هذا التناوب بطريقة منظمة أظهرها التناوب بين النوم واليقظة، وبين الخلم واللاحلم أثناء النوم، وكذلك التناوب بين العمل والراحة، بين المنطق الأرسطى والانطلاق الخلاق، ولكن هذا التناوب يكون صحيحا وصحيحا إذا لم يتم في دائرة مغلقة، وهو يصبح ضابط إيقاع التكامل حين تنتهى كل دورة أعلى من موقعها بأى قدر حتى لو لم يكن النمو ملموسا حالا.

هذا هو ما نأمل أن نوضحه في مسيرة كل من العلاج النفسى، والنمو، فما العلاج النفسى إلى موجز مهنى مبرمج يتوجه نحو إطلاق سراح الطبيعة في نبضها النامى، المفروض أن العلاقة بين هذين المستويين تنقلب بفضل هذا النبض الحيوى إلى تناقض تأليفى حيوى نابض، فيصبح عمل القشرة في ذاته إثراءا للجوهر الأعمق، ويصبح الجوهر الأعمق هو الطاقة المختزنة القادرة على خلخلة جهود القشرة، ومن ثم تهيئة مسامية سامة منضبطة في نفس الوقت، ولا يتم هذا التكامل إلا بحوار تطورى يؤلف بين الأضداد دون تسوية حلوسطية.

حاولت أن أرصد مثل هذا النبض بطريقة تطمئننى إليه مثل سائر المتطمئنين، فعجزت، وكثيرا ما عزوت هذا العجز لطمعى في تحريكه، ربما لنفسى، أكثر مما ينبغى، أو يستطيع.

البعد بين أجزاء صاحبنا (أصله بعيد عن بعضه قوى) لم يصلنى في شكل الصراع أو التصادم، وإنما حضرتنى صيغة أكثر عدلا، فأسميته "تصالح مؤجل"، وقد كان على أن أرصد محاولات اقتراب صاحبنا هذا من بعضه قبل أن أسمح لنفسى بالتفاؤل باستمرار مسيرة التكامل.

في العلاج النفسى، لا بد من هذا الإصرار على رصد أية بارقة حركة مهما ضؤلت أو خفت صوتها، إن أى تراخ يبعد بنا عن صلابة التفاؤل من خلال احترامنا المطلق للطبيعة البشرية هو ضد ما هو علاج نمائى حقيقى، الأمر الذى أصر على ترادفه بأنه ضد "خلقة ربنا".

شايف حاجتين بقليله:

إشى جوه قوى .. قوى خالص،

واشى بره قوى .. قوى خالص،

والهو بناتهم بيخوف.

(2)

نظراته تمدد.

وشكاته يخض،
وحسابه يعد.
ويقلل لما بيضحك،
وبيضحك لما بيسكت،
وبيسكت لما بيحس.
راكن على سور التراسينه،
كما زير فخار شكله مزوق.
والعطشان منا يروح جنبه،
يمكن يشرب.

ولأن هذا البعد بين أجزاء صاحبنا ليس صراعا أو تصادما .. فإنه كان كثير الصمت، حاد الانتباه ..، حاذق الحسابات ..، إلا أن ذلك كله كان مدعاة لتساؤل وانتظارى للمفاجآت.

كان هذا الوجود الخاص المتباعد عن بعضه إلى هذه الدرجة - من وجهة نظرى- يعلن العجز عن التعبير عن الخبرة الداخلية أو معاشتها إلا بتفجرات تكاد تصل إلى ما يشبه التشنج أحيانا، كانت أحيانا تفجرات ضاحكة، وأحيانا انقضاضات صاعقة، يتبادل ذلك مع صمت دفاعى ممتد، وكأنه قلب النبض الحيوى المتبادل إلى نبض آخر (في الحبل غالبا) بين طورين بديلين هما: **الانقضاض الصارخ، والانسحاب الصامت.** صمته هذا كان يصل إلى الأغلبية على أنه حكمة هادئة، في حين أنني كنت أشعر وراءه بمزيج من خوفه الذى قد يصل إلى الجبن، واحتمال التأجيل الذى يدل على متانة الأمل في الخطوة الواثقة التالية، فأطمئن إلى التفسير الأخير، لكن لا يستمر هذا الاطمئنان طويلا.

في **العلاج النفسى**، لا ينبغى أن يسمح المعالج لنفسه بالاستقرار في مرحلة معينة أكثر من اللازم، إن ما يصلنا من معلومات نبئى عليها رأيها في مرحلة ما، هو مجرد **فرض قابل للاختبار** باستمرار على طول مسيرة العلاج المتغير أبدا:

(3)

وارجع وأشك ف تسهيمته:
ما يكونشى الزير دا منحس؟
ولا هوا يلطشه ولا يبرد،
ولا بيطرى عالقلب.

الاقتراب من هذا التركيب المتباعد عن بعضه البعض، الصلب القشرة، الواعد بتفاؤل هادئ عنيد، المهذب بتفجر صاحب خطر، ينبغى أن يتم بمنتهى الخذر حتى لا يتفجر منك بغير

احتمال رأب الصدع، وهنا تصبح الحسبة مع مثل هذا التركيب من أصعب ما يمكن، لكن لا مفر من المحاولة، كنت كلما اقتربت منه بأمل أن يطمئن هذا الذى يطمئن إليه الجميع فيحرمونه من حقه في الطمأنينة بدوره، كان يقابلني بمقاومة لا حدود لها، تظهر في اعتراضات غاضبة، أو انفجارات صاخبة، أو عشوائية خائبة، وكل ذلك لا يسمح بأى تمهيد للسبيل إلى تواصل مهما بدت المحاولات جادة من الجانبين

مانا كل ما اجرّب أمّيله حبّه: بيكركر، وببقلل،

والميه لما بتنزل - إذا نزلت - بتطرطش،

وتغرق وشى قبل ما توصل زورى،

إذا وصلت خالص.

في العلاج الجمعى خاصة يكون الأمر شديد الصعوبة، وبالتالي فإن الحذر وضبط الجرعة هو من أهم أسلحة التعامل مع مثل هذا التركيب، وقد كنت أخشى طول الوقت أن يكون هذا الصمت والحكمة المبكرة هو نوع من التبلد الدفاعى الخادع الذى يبدو كأنه الحكمة، وهو ليس سوى الحذر من الاقتراب.

اقتحام هذا التركيب بالتلويح بالعطاء، والطمأننة، والاقتراب الواعد، يقابل عادة بالرفض، والتأجيل، والثقة بالقدرة على الاعتماد على النفس، دون حاجة لأى عون خارجي، ورفض عنيف لأى مبادرة بالعطاء مهما كانت جادة وأصيلة:

(4)

وأحاول أحرم حلقه،

أو اصنفر جلده.

وصاحبنا يزرجن ويقوللى:

"أنا حا تصنفر من جوه".

ينفخ نفسه ويبعجر،

وأخاف يتفجر.

لا ينبغى أن تؤخذ هذه الدرجة من المقاومة على أنها علامة سلبية تحول دون استمرار العملية العلاجية الآملة في إزالة عرقلة حركية النمو، إن المبالغة في الحرص على الاستقلال، وعلى تفضيل البدء من داخله دون اعتمادية (أنا حا تصنفر من جوه)، قد تثبت في النهاية أنها طريق أضمن تجنبا للتقليد أو الاعتمادية أو التبعية.

في العلاج النفسى الجمعى خاصة تصعب تماما التفرقة بين هذا العناد الاعتزازى الصريح الواعد بانطلاق مستقل منضم إلى التوجه المشترك المحيط، وبين العناد المغرور المعتز بذاته على حساب أى علاقة حقيقية فيها تهديد لما استقرت عليه صورة الذات بما يشمل الثقة المفرطة التى تصل إلى الغرور،

وما دمنا نتكلم عن "فقه العلاقات البشرية"، فدعونا نتعرف بأمانة على هذه الصعوبة الجديدة من شخص له كل هذا الحضور الواعد الإيجابي ظاهراً، ومع ذلك هو يمارس كل هذه المقاومة بكل هذا العناد الذي قد يتمادى حتى يحمل صاحبه ما لا طاقة له به، مما قد يوقفه في النهاية.

هذا بعض ما حيرني طول الوقت وأنا أصر على ترجيح إيجابية محاولته (يتهيأ لي الهو بيمغر، ويقرب حبه من نفسه، ويقرب بعضه على بعضه)

وأجملق جوا عنيه:

يتهيأ لي الهو بيمغر،

ويقرب حبه من نفسه

ويقرب بعضه على بعضه

واسمع لك قرش سنانه،

وعنيه بتطرق شرار،

وصداغه بتنفخ نار.

طريق العلاج الصحيح (والنمو..مهما كررنا) هو أن تكون المسيرة صحبة إيجابية، صحبة تسمح "بالانفراد" بقدر ما تمارس احترام المسافة والاختلاف، وفي نفس الوقت تكون حاضرة جاهزة لرفض الانسحاب مهما بلغ الخوف من الاعتماد والتبعية، لا أريد أن أكرر تعبير "أن تكون وحدك مع" **to be alone with** بشكل يفقده أهميته، دعونا نستعمل تعبير " أن تكون نفسك معهم وبهم "بدلاً من أن "تكون وحدك مع" وترجمه بالمرّة حتى لا يزعج أحد **To be yourself along with = them**

الإنسان (مريضاً أو متطوراً) يحتاج إلى رفيق سلاح .. ولا يحتاج إلى محفة نقل، ولا إلى مخبأ مصفحة، وهكذا ، هكذا فقط يمكن أن تقرب أعضائنا من بعضها، مهما بلغت المشقة وتضاعف للجهد.

(6)

لا يا عم، الطيب أحسن.

مالناش غير إننا نمشي، ونمشي، ونمشي.

وما دام ما احناش حا نبطل،

يبقى لم بد حانوصل.

يا حلاوة المشى الجذ

حتى لو قال العنّد

لأه، مش عايز حد.

في النهاية - كما هو في البداية - فإن الضمان الأوجد على طول الطريق مع تقين بالمغية، هو الاستمرار بجدية الكدح المثابر أما تبادل الطمأنينة مؤقتا فهو دور محدود..، وقد يكون مقبولا لفترة، ولكنه لا يقوم مقام 'جهاد البقاء' وهو الجهاد الأكبر.

مواصلة السير، مع الاثناس بأن هناك من يقوم بنفس المحاولة.. لنفس الهدف العام هو السبيل الوحيد للطمأنينة والأمان. ومن ثم النمو.

وهكذا تصبح كل صعوبة هي بعث لأمل واقعي جديد.

ملحق النشرة:

ننشر المتن مجتمعا كما اعتدنا مؤخرا.

المتن مكتملا:

وعيوناه الرايقه الهاديه،

قال إيه؟! بتطمين!!؟

بس أنا مش قادر اتطمين،

أصله بعيد عن بعضه قوى!!

شايف حاجتين بقليله:

إشى جوه قوى .. قوى خالص،

واشى بره قوى .. قوى خالص،

والهو بناقهم بيخوف.

(2)

نظراته تمــــد.

وشكاته يخض،

وحسابه يجعد.

ويقلل لما بيضحك،

وبيضحك لما بيسكت،

وبيسكت لما بيحس.

راكن على سور التراسينه،

كما زير فخار شكله مزوق.

والعطشان منا يروح جنبه،

يمكن يشرب.

(3)

وارجع وأشك ف تسهيمته:
 ما يكونشى الزير دا منحس؟
 ولا هوا يلطشه ولا يبرد،
 ولا بيطرى عالقلب.
 مانا كل ما اجرّب أميله حبّه: بيكركر، ويبقلل،
 والميه لما بتنزل - إذا نزلت - بتطرطش،
 وتغرق وشى قبل ما توصل زورى،
 إذا وصلت خالص .

(4)

وأحاول أحرم حلقه،
 أو اصنفر جلده .
 وصاحبنا يزرجن ويقوللى:
 "أنا حا تصنفر من جوه".
 ينفخ نفسه ويبعجر،
 وأخاف يتفجر .
 وأجلق جوا عنيه:
 يتهيا لى الهؤ بيصغر،
 ويقرب حبّه من نفسه
 ويقرب بعضه على بعضه
 واسمع لك قرش سنانه،
 وعنيه بتطق شرار،
 وصداغه بتنفخ نار .

(6)

لا يا عم، الطيب أحسن.
 مالناش غير إننا نمشى، ونمشى، ونمشى.
 وما دام ما احناش حا نبطل،
 يبقى لم بد حانوصل.
 يا حلاوة المشى الجد
 حتى لو قال العند
 لأه، مش عايز حد .

الإثنين 10-03-2010

922- فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان اغوار النفس

فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)

(1) دراكيولا

مقدمة:

هذا التشكيل مستوحى من تصور مبالغ فيه عن نوع من العلاقات بين البشر، هو أقرب إلى التهلكة المتبادلة، وإن كانت تسمى في بعض مراحلها بنفس الاسم: "الخب"، هو تشكيل من أشع ما تصورت (وبينى وبينكم، ما عايشت) مما أسميه أيضا "الصفقات القاتلة لطرفيها"، برغم أنه شائع تحت نفس الاسم (مرة أخرى: الخب).

هذه علاقة تتجاوز كثيرا صفة الاحتياج المتبادل، والتأمين الثنائي، (نشرة 25-8-2009 دفاعات ضد "حركة" تجليات "الخب" على مسار النضج) وهي أيضا تعرى مستوى أخطر وأخبر لا يقارن بمستوى ما سبق أن نقدناه من الغمر بالخان حتى الإغراق بلا علاقة حقيقية، مثلما ورد في (نشرة 20-1-2010 "الخب بالراحة")

ترددت كثيرا في محاولة مواجهة هذه الخدعة، وتشريح أبعادها، ولكني لم أملك إزاء حقيقة ما وصلني من مخاطرها وخداعها إلا أن أعربها وهي بكل هذه البشاعة، وبما تثيره من ألم أيضا.

التناول هنا يعرى تلك الطبقة الأعمق من النفس البشرية التي لا تحقق أمانها إلا من خلال الاتهام المسعور، بكل عواقبه السلبية حتى: الهلاك والإهلاك.

الموت الذي يتكرر ذكره هنا هو نوع آخر من المفاهيم التي استعملت فيها نفس اللفظ "الموت"، هذا النوع من الموت المذكور هنا يمكن أن يطلق عليه "حركة العدم"، وهو غير "الموت السكون ضد الحركة" أصلا، وهو أيضا غير "الموت الهيام التلاشي" في بعضنا البعض (باصوت فيه وبيموت فيه)، كل هذه تنويعات لبعض أشكال الموت بمعناه السلبي الساكن العدمي، أما الموت الذي سبق أن تناولته باعتباره "نقطة الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني" (نشرة 8-7-2009 "إحياء المعنى عملاً الكلام!!")، وأيضاً باعتباره "أزمة نمو" (نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة)، فهو عكس كل هذا الإهلاك والعدم والإعدام على طول الخط.

الموت هنا في هذا التشكيل هو خليط من أنواع المجموعة السلبية الأولى، وهو أقرب إلى غريزة الموت التي قال بها سيجموند فرويد ولم يتعهدا بالقدر الكافي، وهي الغريزة المسؤولة عن التدمير، والتهلكة، والانسحاب فالعدم، ضد الحب والقرب والإبداع وإعادة الولادة، والتعرية شديدة الصعوبة حيث الخلط وارد، الإنكار جاهز، والأشياء التي يسمى بها هذا الموت قد تكون العكس تماما، (تصور أنه يسمى هنا "الحب"!؟).

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

هذا التشكيل هو أخطر أنواع ما يسمى الحب الثنائي (حصريا إن صح التعبير المستحدث).

نقد الحب الثنائي المتفرد وارد منذ أفلاطون الذي نقده ووصف حبا أرحب وأرقى، فاتهم ظلما بأنه دعى إلى ما تصوره أنه الحب العذرى، حتى أصبحت كلمة الحب الأفلاطوني دالة على الخيال واللاواقعية وهي غير ذلك، حقيقة أن الإنسان برغم مرور آلاف السنين - لم يرتق بعد إلى ممارسة القدرة على الحب انطلاقا من هذا الحب الثنائي، الحب الثنائي طبيعة بشرية، وتنظيم اجتماعي، وتطور طبيعي، لكن ليس على حساب القدرة على الحب، أو على حساب الانطلاق منه إلى مزيد من الحب،

التوفيق بين هذا الحب الثنائي والحفاظ على القدرة على الحب إنما يتم بأن يكون الشريك هو ممثل للجنس الآخر، أو للجنس البشري عامة، بما عبرت عنه هكذا: "أحبك بالأصالة عن نفسك، والنيابة عن سائر النوع، أو سائر البشر"، وهو ما تبينت صعوبته حتى الرفض في **(نشرة 20-8-2009 دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب" على مسار النضج)** "دفاع ضد الحب العام"

أن تكون العلاقة الثنائية مجرد تنظيم اجتماعي وديني يحتمى حب اثنين فأكثر هو أمر طبيعي ومهم ووارد باعتباره اختباراً ليطور والتكامل معا بما يتيح أيضاً أفضل مجال صحي لتربية الأطفال ..، لكن الانطلاق منه إلى حب أكبر فأكبر، ليس على حسابه، (ليس على حساب الحب الثنائي) هو أمر صعب كما بينا في أكثر من نشرة، كما أن العجز عن تحقيق ذلك الحب الممتد الأكبر لا ينبغي أن يقلل من ضرورة السعي لتحقيقه، فهو الحب الأرقى والأبقى حتى لو أجلت ممارسته على أرض الواقع مهما أجلت، إن الصعوبة لا ينبغي أن تنتقص من لزومه أو تحدش من صلابته. (دع جانباً الآن العوامل التي تسمح بذلك سواء في الفرد أو في المجتمع أو في التربية أو في العلاقة بالكون ..إلخ).

في نفس الوقت علينا أن نحترم النقد المتواصل لأنواع الحب الأخرى، لأنها ليست كلها سطحية أو بلا لازمة، ولكن لأنها تعلن عن مرحلة نقص رائعة، ربما ضرورية، على طريق مسيرة الإنسان الخالية. إن فشل المؤسسة الزوجية الذي تعلن زيادته باستمرار هو بمثابة دعوة إلى الانتقال منها وبها إلى ما يعد به التقارب بين البشر من تطور وتكافل لصالح النوع كافة.

اود لو أعتذر ابتداءً عن البشاعة التي قد رسمت بها هذه الصورة (كما سترد: هكذا)

إلا أني لا أملك أمام التزامي بمحاولة الصدق في تقديم ما رأيت إلا أن أقدمها كما وصلتني فشكلتها بما رأيت، وقد يغفر لي ما انفتح في آخرها من باب أمل واعد برغم كل ما تقدم من قبح وموت والتهام وعدم، هكذا أطل الأمل واثقا في النهاية وصاحبنا تقول:

لو ما لاقيش الموت حوالى حاموت موتى

.....

لحظة كل شواهد القبر تطلع خضرة

.....

لحظة طفلة صغيرة ثائرة تقدر تقتل

تقتل وحش يمص الدم

تبدأ الصورة، بتعريفها تعلن أن المتحدث البادئة هي العيون الأخرى (عيون جوه عيون بتقول: = مستوى منظومي أعمق من الوعي)،

وهي عيون تبدو محذرة (حاسب عندك)، لكنه ليس تحذيرا بالمعنى العادي، لكنه نوع من التحدي المنذر بالتمادي إن لم تنبهه إلى جدية النذير:

وعيون جوا عيون بتقول:

حاسب عندك:

إوعى كمنك عطشان تعمى وتشرب منى،

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن اخوت

والبوسة بتشلب دم،

والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

يبدأ الطفل حديث الولادة فردا يتحسس طريقه خائفا من العالم الخارجى، وهو يبني علاقاته الأولى مع هذا العالم بقوانين عدم الأمن (وهو الموقف البارنوى أساسا) فيروح يمارس علاقته بالآخر من خلال الكر والفر، الذى هو اعتراف ضمنى بالآخر، برغم ظاهر الخذر واحتمال سلبية المآل، ومع ذلك فهى علاقة موضوعية لا تسمى حبا طبعاء، لكن بها من التواصل ما يتفق مع قوانين هذا الموقف (وقد تناولناها بالتفصيل في نشرة سابقة صورة "القط" أساسا **(نشرة 15-9-2009 " القط/النمر**

يداخلنا) وقد يتعمق هذا الموقف البارنوى بمزيد من عدم الأمان المتضاعف يتزايد حتى يبرر الانسحاب إلى حيث "لا - موضوع" (الموقف الشيزيدى)، وقد سبق أيضا الإشارة إليه في نفس النشرة، (راجع ساكت تحت سرير الست حاخطف حنة نظرة من ستي واجرى أكلها لوحدى تحت الكرسي المش بآين)، وقد يحل الموقف البارنوى محل أكثر عدمية، وذلك باقتحام التهامى يحتفى معه الموضوع من العالم الخارجى في داخل المهاجم الملتهم الخائف في نفس الوقت، هذا ما أشرنا إليه في نفس قصيدة القط أيضا (ياكل الأطفال والنسوان الملك).

دراكيولا هنا لا تلتهم الموضوع لتستمتع بذلك، بقدر ما أنها تلتهمه لتلغيه، أى أن هذه الصورة تجسد الجانب الإلتهامى بالذات، وفي نفس الوقت هى تعلن أن الضحية تشارك في التسليم لهذا الإلتهام، وأنها (الضحية) تتغافل عن طبيعته، حتى تسميه بنفس الاسم "الخب"، (والناس عايزة تحب تحب تموت)، لكن "دراكيولا" هنا تبدو أكثر أمانة وأقل مناورة، فهى تعلن أن هذا الذى تسميه الضحية حبا، ليس إلا الموت، وأن هذا النوع من الموت هو ما تستلم له الضحية، وما نخذع فيه تحت اسم الخب، مع أنه - من نص أقوال الملتهم -

ليس إلا عدم داخل "بطن الحوت"، مع أن آثار الجريمة ماثلة للعيان، والدم يلطخ الشفاه (والبوسة بتشلب دم)

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،

كيف بالله عليكم، يمكن أن يكون هذا هو حقيقة الجارى في مثل هذه العلاقات، وفي نفس الوقت، تسعى إليه غالبية الناس؟ (والناس عايزه تحب تحب تموت، أيوه تموت، جوا بطن الحوت)، يبدو أن هذا النص في المتن، يريد أن يؤكد أنه مهما تواتر هذا النوع من العلاقات، ومهما كان هو المتاح، إلى أن تعريته ربما تكون أول خطوة لتجاوزه.

أحيانا يكون الدافع لقبول هذا النوع من التسليم لمثل هذه العلاقة وبرغم ما تحمل طبيعتها من إرهابات الإلغاء واخو بالالتهم وغيره، وأيضا برغم ما يعلن من أنه جريمة ملطخة بالدم، أحيانا يكون مطلوباً كنوع من التخدير هرباً من وحدة بشعة لا تطاق.

يقول المتن إن هذا النوع من الحب ما هو إلا الموت نفسه في أخفى صورة، التخدير هنا ليس فقط تغييباً للوعي، لكنه تخدير بسم زعاف مدسوس داخل كهف العدم الذي يمثله هنا: "بطن الحوت"، ربما كرمز للعودة إلى الرحم القبر، (وليس الرحم لإعادة الولادة = خروج يونس من بطن الحوت استجابة لتواصل وعيه مع الوعي الكوني المطلق، نتيجة وعيه باخرافة مساره سابقاً: لا إله إلا أنت سبحانك، إن كنت من الظالمين)، الانسحاب هنا بالالتهم الدراكيول إلى جوف الحوت هو انسحاب بلا رجعة.

يعرف كل من يتابع هذه النشرة عزوفى عن، بل رفضى لأية، محاولة مما يسمى "التفسير العلمى لأى نص مقدس"، لهذا أنبه أن هذا ليس تفسيراً علمياً لأى نص، بقدر ما هو تذكرة برفض أساسى يكاد يكون فكرة محورية استلهمت من مصادر هذا العمل، فكرة تلف حولها فروض هذا العمل "فقه العلاقات البشرية"، ها هي:

"إن العلاقة الثنائية" وجها لوجه، دون رابط مساعد يجمعهما، ويتصاعد بهما إلى المطلق، هي التى أنشأت كل هذه الصعوبات الخالية، وقد سبق أن أشرت بجزر شديد، إلى معنى "اجتمعا عليه"، و"افترقا عليه"، فى الحديث الشريف وأيضا "تحابا فيه"، وبالتالي فلا بد من أن نؤم برنامجاً آخر يلزم للحفاظ على التواصل والاستمرارية بين اثنين، التفرقة هنا

والبوسة بتشلب دم،
والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.
وبدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،
بنبيع بعضينا لبعض، والقبيض عدم .
ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،
ولا فيش برهان،
تَكْرُوا الرحمان.

(2)

لسه عيونها بتقول:
إوعك منى ..!
... لو بتحب صحيح ما تصصح.
لو تتأمل حبه حا تعرف،
لو ماتخافش الموت حاتشوفنى إنى الموت،
وبامس الدم .
لكن الدم الماخ ينزل يهرى ف جوفى،
ويجلىنى أعطش أكثر.
ولا يروينى إلا الدم .
ولا يروينى الدم .
ولا يروينى إلا أشوفك ميت زيي.
وارمى مصاصتك،
وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،
"نفس القصة".

(3)

لو ماتخافشى الموت: موتى،
موت موتى،
لو بتحب الدنيا صحيح، إوعى تسببنى لنفسى.

(4)

بس الموت جواك بيقول: إوعك تصحى .
أيوه صحيح أنا جيتكو لوحدى !

جيتكم ليه ؟

أخفى جريمتي ؟

جيت أتعلم: لما أمس الدم ما بانشى ؟

ما يطرطشى ؟

جيتكو أموت وسطيكم يعني؟

واسمى باحاول ؟

ولا بينشى ؟

(5)

إنما باظت منى اللعبة،

ولا كنت اعرف.

ولا كنت اعرف إن الناس الخلوه كتار.

ولا كنت اعرف إن صباع الرجل الحى،

أقوى كتير من مليون ميت.

آه ياخساره فقستوا اللعبة.

وانا فرحانه،

وخايفه،

وعايزه،

ورافضه،

نوركم جامد يعمى عنيه.

زى فراشه تحب النور،

تجرى عليه، وتحوم حوالية

وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها،

"آه يا حلاوه النور موتني"

....

هو النور بيموت برضه إلا الضلمه ؟

بعدها نور الفجر بيشرق من جواي.

(6)

بس انا خايفة

أصلى ضعيفة، وطفلة لوحدي، وبأخبي ف حجر الناس
واتلخبط.

لأ، حاستي..، لأ مش طالعة .
خايفه لدكهه تمثل دورى:
تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،
أو تتصرف زى الناصحة،
تعرض فكره،
يمكن تنسوا.

وانت تعوزها تاني في السر.

(7)

دكهه الثانية الوعدة تقول:

بكره حا تحتاج موتى يا موت، ونموت جمعا.
بكره حا تحتاج تخفى جريمتك، جوا جريمتي،
بكره بتاع الناس بينور.
بكره بتاعى وحش يعور،
آه فين بكره، آه من بكره.

(8)

ترجع برضه الطفلة تعافر، وبستنجد:

شمس الحق اللى في عنيكم تقتل ليلى اللى اسمه بكره،
ليل اللعبة الضلمة الثانية، ليل السرقة الوسخه
العامية.

ليل الوغد يموت روحى، وروحك فيه.
وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشة فينا،
حاكم الخوف عايز يسحبنا بعيد وحدينا.

(9)

بس الثانية الناصحة كهينة وعارفه طريقها:

واقفه تعايره:

إوعى تلومني.

إنت عايزنى كده.

تقتل روحك وبتمسكن، وتقول حاسي؟

هوا انا ممكن أقتل إلا اللى اختار قتله ؟
تبقى جريمة عاملها اتنين.
كل جريمة عاملها اتنين.
ذنب المقتول زى القاتل،
أصله استسلم.

(10)

وانا حذرتة وقلتلته حاسب.
إوعك تعمي.
إوعى لاموتك يحليلى موتي.
أنا نبهتك .. إوعك تنسي.
لو مالاقيش الموت حوالى، حاموت موتي.
لكن الطفلة عفية وصاحية، تضرب تقلب، وبتتنطط:
- أنا صاحيالك،
إنقى تموتى تروحي ف داهيه، أنا ماباموتشي.
أنا باستنى اللحظة بتاعى، علشان أطلع.
أنا جايباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.
من ورا ضهرك .
بعد شويه أجرى وابرطع.
غصين عنك .
غصين عنه .

(11)

أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظة دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تزرع خضره .
لحظة كل الناس الحلوه تموت موتي.
لحظة طفله صغيره ثايره، تقدر تقتل.
تقتل وحش يمس الدم .
لحظة لما الله سبحانه يرضى عليًا:
"أحلف، يحصل .
أصله وعدنى،
وانا صدقتة .

الإثنين 17-03-2010

929- فشل علاقة الموت المتبادل: عندما (2) من



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

دراكيولا (2)

فشل علاقة الموت المتبادل: عندما (2 من 3)

قبل النشرة

أما وقد وصلنا إلى هذه المرحلة،

("جملة" اعتراضية وسط التسلسل)

فإليك الاختيارات المطروحة التي تحاول هذه القصيدة - وغيرها - أن تجسدها باستمرار وإلحاح طوال هذا العمل باختصار:

v إما أن تحب غيرك فيكون هو مفتاح الحب إلى غيره، فالحياة.

s وإما أن تحبه جدا جدا، دون غيره لأنه لا يوجد مثله ولن يوجد.

v إما أن تحب لأن الله خلقنا محب بعضنا بعضا: حتى نتعاش
بشرا نحافظ على النوع وعلى الحياة.

S وإما أن تحب لأنك جائع جدا جدا إلى من يبليغك أنه
"يريدك" بغض النظر عن الثمن الذي تدفعه مقابل ذلك.

v إما أن تحب محبوتك طريقا إلى غيرها من البشر فهي
بداية.

S وإما أن تحبها دون غيرها فهي بداية المطاف، ونهايته
معا

v إما أن تحبه لأنك التقيته فتقاربتما دون إنكار
احتياجكما لبعضكما البعض <=== إلى الناس .

S وإما أن تحبه لأنك تحتاج إلى احتياجه إليك، وهو كذلك،
ودمتم.

v إما أن تحبها بالأصالة عن نفسها والنيابة عن سائر
غيرها (فالنوع)

S وإما أن تحبها لأنها لا مثيل لها الآن وقبلا ومستقبلا

v إما أن تحبه، فتستطيع أن تحبه هو وغيره أكثر
فأكثر باستمرار.

S وإما أن تحبه فيحتكر طاقة الحب التي لديك له
"حصريا".

v إما أن تحبه لتستعمله ويستعملك لتسدا بذلك نقصكما
الدافع أكثر لحب الناس الناقصين أيضا، وباستمرار...

S وإما أن تحبه لتستعمله فيستعملك في دائرة خاصة، فلا
ينسد النقص لأن الدائرة انغلقت عليكما.

v إما أن تحرص على تنمية "القدرة على الحب"، فتتولد
وتتزايد قدرات حبك لتغمر بها مساحات أكبر فأكبر

S وإما أن تغرقه بكم هائل من الحب، هو في مضطرد
نقصان بطبيعته الكمية غير المتولدة.

وبعد:

أعتقد أن على أن أتوقف، وأن أترف بتداخل هذه الاختيارات حتى تبدو أنها واحدة،
وهي فعلاً واحدة،

وقد أرجع إليها في الفصل الأخير، في هذا العمل، باعتبارها العناصر اللازم تناولها لتوصيل فروض هذا العمل "فقه العلاقات البشرية"، إذ يبدو أنه ينبغي أت تجمع الاستشهادات الدالة، والتصنيفات المقارنة من قصائد كثيرة وشروح متنوعة.

أما لماذا قفزت إلى هذه الاختيارات الجذرية الآن وأنا لم أكمل بعد شرح هذه القصيدة "دراكبولا"، فذلك لأنه قد بلغنى أن ما وصل من هذه القصيدة بالذات هو تعرية صارخة وصاخبة، ربما مبالغ فيها، لهذا النوع من الحب الذي تحذر منه، حتى لا يستأهل أصلاً أن يطلق عليه كلمة حب،

وفي نفس الوقت لم يصل من نفس القصيدة أن دراكبولا نفسها التي تمارس امتصاص الدم فالإهلاك بانندفاع جائع ملتهم، هي التي تحذر فريستها من الهلاك الذي يتعاونان في إتمامه، وهي التي ترجو من هذه الفريسة أن تساعدنا في أن توقف الدائرة الجهنمية التي ينحدران من خلالها نحو هاوية العدم معاً.

كما لم يصل أيضاً إلى أي من الذين قرأوا القصيدة مجمعة في النشرة السابقة مدى قوة وعنقوان وذكاء تلك "الطفلة الفطرية العملاق الطيب" التي تقاوم بعناد عنيد حتى تنتصر في نهاية القصيدة.

من هنا جاءت فكرة التوقف عن تتابع شرح المتن لأقوم بعمل عملية جراحية أشبه باستئصال سرطان خبيث، حتى لا يتماهى فيلتهم الخلايا السليمة الحية الفطرية، ثم نعود إلى الشرح في حلقات قادمة.

النشرة

عملية تشريح واستئصال "سرطان" عدم الأمان

برغم أن عنوان الحلقة السابقة بدأ بكلمة "فشل ما هو: علاقة الموت المتبادل عدما"، حتى لو سمي حياً، إلا أن ما نشر من هذا التشكيل (الجزء الأول) أثار نفورا واشمئزازا واستبعادا بشكل أدهشني، برغم أن بعض هذه المشاعر كانت لدى شخصياً حتى أعلنت حرجي من تعرية هذا النوع من العلاقات كل هذه التعرية.

حاولت أن أرد في بريد الجمعة على بعض هذه الانطباعات المنزعجة من صورة هذا الحب الثنائي العدمي، إلا أنني وجدت نفسي أرد بأن أوصي بالانتظار حتى تنتهي الحلقات الكاملة لهذا التشكيل الذي وصل مَفزَعاً هكذا في البداية.

رجعنا إلى المتن الشعري قبل أن أكتب هذا الجزء الثاني، فوجدت أن القصيدة إنما تعلن فشل هذا النوع من التواصل العدمي مهما سمى "حبا" أو "عشقا" أو "غراما" أو "هياما"، بل إن التحذير من مضاعفات هذا الحب جاء على لسان "بصيرة" مصاصة الدم "دراكيوولا" نفسها طول الوقت تقريبا.

رحت أجمع من القصيدة (المتن) ما وصف هذا الحب الاتهامي (الجريمة المشتركة) الذي أسميته بصريح العبارة "التهلكة المتبادلة"، فوجدت أنني لم أورد على لسان دراكيوولا، ولا الطفلة بداخلها التي انتصرت في النهاية أية إشارة إلى أن هذا الجانب السلبي البشع يمكن أن ترجح كفته مهما بلغ عنفوانه وتغطرت قوته وعمادى تحديه.

مسحتُ بمقياس الأورام الذرى مساحة هذا الجزء الذي يمثل هذا الجانب السرطاني مصاص الدم، وفي نفس الوقت يعلن ألامه ومناوراتها، ثم قمت بتشريحيه جراحيا حتى أتت فصله عن الجزء السليم (الأصل) الذي يقاومه ويتحداه، وهو "خلقة ربنا" داخلنا، فاكشفنا أنني طوال الخدس الشعري الذي أفرز القصيدة، كنت منبها إلى قوة الفطرة في الداخل التي تجسدت في طفلة جميلة طيبة قادرة عملاقة وهي التي انتصرت في النهاية،

شعرتُ وأنا أفعل ذلك أنني إنما أقوم بعملية جراحية صعبة، لاشك أنها قد تشوه المتن شعرا، لكنني أحسست أنه لا مفر من إجرائها لانقاذ الفطرة وإظهارها،

فصلتُ الجزء السرطاني عن الفطرة القوية المتحدية، المنتصرة في النهاية، فوجدت أن المسألة ليست بها أي لبس، وأن عملية استئصال السرطان قد نجحت وانتصر الحب الحياة، الفطرة، الخلق، البناء، الإيمان على العشق الاتهامي، مصاص الدم، "الموت العدمي معا".

قررت أن أغامر اليوم بأن أخصص النشرة لعرض خطوات العملية ونتيجتها، بعد تشريح المتن واستئصال الورم،

فأعرض الجزء السرطاني وحده أولا مستقلا،

ثم أعرض ما تبقى من حياة ونبض بعد نجاح العملية سعيا إلى وجه الحق تعالى.

لست متأكدا إن كان هذا سوف يزيد الأمر وضوحا، أم أنه لن يقدم إلا مزيدا من التشويه للمتن الشعري.

التشكيل التركيبي :

الفكرة التي قد تساعد على قبول إجراء هذه العملية أن في هذا التشكيل المتداخل عدة كيانات معا:

v كيان ظاهر غير آمن، مرعوب ملتهم جانع، يندفع إلى احتواء "الموضوع" الآخر، حتى الموت العدمي، وهو (هي: دراكيوولا) تتصور أن هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على الأمان وكأنه الحب:

هذا الكيان يعرف ماذا يفعل، وهو يجد فريسته بشكل سريع، ولفرط ثقته بأنه قادر على التهامها، يجرد فريسته طول الوقت من أنها مسئولة ليس فقط عن مآلها العدمي، وإنما أيضا عن ضياعه هو ، فهو يعرف في قرارة نفسه أنه لن يحصل على الأمان مهما تمادى في الالتهام ومص الدم

"ولا يرويني إلا الدم، ولا يرويني الدم"

٧ يوجد داخل هذا الكيان، كيان آخر،

"وعيون جوه عيون بتقول:

حاسب عندك"،

هذا الكيان الوغد الملتهم يتمتع ببصيرة ناقدة لدرجة التحيز، وهو يعلن كلاما فيه محاولة إيقاف التمدادى في طريق خاسر، لكنها بصيرة عاجزة تساعده في النهاية على التمدادى في جريمة الإعدام الانتحارى .

"بكره حا تحتاج موتى يا موت، وتموت جمعاً"،

بصراحة هذا المستوى البصرى الناقد محير فعلا، ذلك لأنه يبدو أنه يريد من يوقفه عن التمدادى في هذا السعار الهلاكى حتى أنه يستنقذ بفريسته ألا تقبل التسليم له، ربما يكون في ذلك إنقاذ لهما معا، لكنه في نفس الوقت يشل حركتها، الاستنقاذ يظهر جليا في قولها:

"لو بتحب الدنيا صحيح:

إوعى تسبني لنفسى"،

وأیضا هى تتهم فريستها أنها ترفض أن تراجع عن التمدادى في التسليم بالالتهام، فالموت:

"بس الموت جواك بيقولنى: "إوعك تصحى".

بلغت حدة بصيرة دراكيولا مصاصة الدم أنها أعلنت موقفا مَرَجحا يتساءل : ما الذى أتى بها إلى وسط هؤلاء الناس (الناس مع بعضهم البعض يكسرون احتكار الحب الثنائى حصريا) ، ما الضى بها إليهم بعد أن كانت قد ألغتهم من حسابها أصلا. هل كانت تناور؟ أم تحدد؟ أم توهم نفسها بأنها تريد أن تراجع أو تتوب عن جرائمها المسعورة، حتى إذا عجزت عن ذلك، تمادت في مص الدم والالتهام ، فالإعدام المشترك،

" أيوه صحيح !!! أنا جيتكم ليه؟

أخفى جريمى؟

جيت أتعلم لما أمص الدم ما بانشى؟ ما يطرطشى؟

جيتكو أموت وسطيكم يعن، واسمى باحاول، ولا ابينشى؟"

برغم كل هذه الرؤية، إلا أن هذا الكيان غير الآمن "دراكيولا" يتمادى في جريمته وهو لا يفيق أبدا بمحض إرادته، إلى أن يأتيه الفشل/الإفشل من انتصار داخله الفطرى الأقوى "الطفلة الفطرة العملاق الطيب".

حضور الفريسة في القصيدة كان متوترا، لكنها لم تتكلم بلسانها مباشرة أبدا، ولم تدافع عن نفسها، مع أنها متهمه من جانب دراكيولا المفترسة مصاصة الدم ، بأنها مشتركة في عملية الإعدام المشترك، وذلك بالتمادى في العمى إنكارا للعدم، مع أنها لا تحقق إلا العدم نفسه بهذا الاستسلام،

ودراكيولا تتحدى فريستها أن تستغنى عنها :

"لو ما تحافشى الموت حاتشوفنى إني الموت، وبامس الدم"

وهكذا لا يتحقق الوجود العدمي لكليهما إلى من خلال هذه المؤامرة العدمية الانتحارية معا:

"بكره حاجتاج موتى يا موت، وتموت جمعا"

وبعد

أكتفى فيما يلى بإعادة تقديم أغلب المتن، بعد تشرجه بالعملية الجراحية، وفصل هذا عن ذاك، فأقدمه من جديد بالترتيب التالى:

أولا: السرطان الذى تم استئصاله .

ثانيا: "الطفلة الفطرة العملاق الطيب" الذى انتصر أخيرا

أولا:

"احب التهلكة معا":

العدم المشترك (السرطان المُستأصل)

(1)

.....

أنا مش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايظه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،

والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

وبدال ما الزهره الطفله تبت جوه الورده القلب،

بنبيع بعضينا لبعض، والقبض عدم .

ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،

ولا فيش برهان،
نكروا الرحمان.

.....
.....

(2)

لكن الدم المالح ينزل يهرى ف جوفى،
ويجلينى أعطش أكثر.
ولا يروينى إلا الدم.
ولا يروينى الدم.
ولا يروينى إلا أشوفك ميت زيي.

وارمى مُصاصتك ،
وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،
"نفس القصة".

(3)

بكره حا تحتاج موتى يا موث، ونموت جمعا.
بكره حا تحتاج تحفى جريبتك، جوا جريمتى،
بكره بتاع الناس بينور.
بكره بتاعى وحش يعور،

(10)

إوعى تلومنى.

إنْت عايزنى كده.

تقتل روحك وبتتمسكن، وتقول حاشي؟
هوا انا ممكن أقتل إلا اللى اختار قتله؟
تبقى جريمة عاملها اتنين.
كل جريمة عاملها اتنين.
يبقى المقتول هو القاتل، أصله استسلم.

والآن:

نعود إلى الكيان الحى بعد استئصال السرطان منه
لنتأكد معا من قوة التركيب الفطرى الطفلى العملاق المحب
المؤمن الأقوى، (خلقة ربنا)، وهو الذى انتصر فى النهاية بل
وعلى مدى القصيدة، ومع ذلك فقد كان خافيا على قراء
النشرة السابقة مع أننى تعمدت نشر القصيدة كلها،

ربما لهذا السبب استأصلنا السرطان الدراكيوي، حتى نشاهد أصل الفطرة ونطمئن قبل أن نكمل:

ثانياً:

"الطفل الفطرة / العملاق الطيب"

(5)

ولا كنت اعرف... .

ولا كنت اعرف إن الناس الحلوة كُنَّاز.

ولا كنت اعرف إن ضباع الرجل الحى،

أقوى كثير من مليون ميت.

....

وانا فرحانه،

وخايفه،

وعايزه،

ورافضه،

نوركم جامد يعمى عنيه.

زى فراشه تحب النور،

تجرى عليه، وتحوم حواليه

وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها،

"آه يا حلاوه النور مؤتني"

لأ ماحصلشى!!

....

هو النور بدموت برضه إلا الضلمه ؟

بعدها نور الفجر بشرق من جوايا.

(7)

بس انا خايفة

أصلى ضعيفه، وطفلة لوحدى، وبأخى ف حجر الناس
واتلخبط.

لأ، حاستي..، لأ مش طالعة .

خايفه لدكهه تمثل دورى:

تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،
أو تتصرف زى الناصحة،
تعرض فكرة !!،
يمكن تنشوا.
وانت تعوزها تاني في السر.

(9)

.....

.....

ترجع برضه الطفلة تعافر، وبستنجد:
شس الحق اللي في عنيكم تقتل ليها اللي اسمه بكره،
ليل اللعبة الضلمة الثانية،
ليل السرقة الوسخه العامية.
ليل الوغد يموت روحى، وروحك فيّه.
وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشه فينا،
حاكم الخوف عايز بسحنا بعيد وحدينا.

(10)

لكن الطفله الأصل الصخ عفة وصاحه،

تضرب قلب، وتتنتط وتتحدى:

- أنا صاحالك،

انق تموتى تروحي ف داهيه، أنا ماباموتشى.

أنا باستنى اللحظة بتاعق، علشان أطلع.

أنا جاباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.

من ورا ضهرك .

بعد شويه أجرى وابرطع.

غصن عنك .

غصن عنه .

أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظة دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تنبت خضره .

لحظة كل الناس الحلوه تموت موتى.

لحظة طفله صغره ثايره، تقدر تقتل.

تقتل وحش يمص الدم.

لحظة لما الله سبحانه برضى علينا

أحلف يحصل

أصله وعدنى

وانا صدقته

وبعد

ولكن ما علاقة كل ذلك بالعلاج النفسى؟

وهل العلاج النفسى إلا علاقة حب مسئول، بآخر حقيقى،
يبنيان معاً كل ما يمكنهما من اعتراف متبادل فانطلاق إلى
رحاب الناس تحت مظلة رحمة الحق سبحانه، بأقل قدر من
الاعتمادية والتملك والإحتواء والشروط.

وهذا ما سوف نرجع إليه فيما تبقى من أجزاء هذه
القصيدة بعد هذه **الجملة الاعتراضية** التى احتلت نشرة
بأكملها.

الإثنين 17-03-2010

929- فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (2 من 3)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

دراكيولا (2)

فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (2 من 3)

قبل النشرة

أما وقد وصلنا إلى هذه المرحلة،

("جملة" اعتراضية وسط التسلسل)

فإليك الاختيارات المطروحة التي تحاول هذه القصيدة - وغيرها - أن تجسدها باستمرار وإلحاح طوال هذا العمل باختصار:

v إما أن تحب غيرك فيكون هو مفتاح الحب إلى غيره، فالحياة.

s وإما أن تحبه جدا جدا، دون غيره لأنه لا يوجد مثله ولن يوجد.

v إما أن تحب لأن الله خلقنا محب بعضنا بعضا: حتى نتعاش
بشرا نحافظ على النوع وعلى الحياة.

§ وإما أن تحب لأنك جائع جدا جدا إلى من يبليغك أنه
"يريدك" بغض النظر عن الثمن الذي تدفعه مقابل ذلك.

v إما أن تحب محبوتك طريقا إلى غيرها من البشر فهي
بداية.

§ وإما أن تحبها دون غيرها فهي بداية المطاف، ونهايته
معا

v إما أن تحبه لأنك التقيته فتقاربتما دون إنكار
احتياجكما لبعضكم البعض <=== إلى الناس .

§ وإما أن تحبه لأنك تحتاج إلى احتياجه إليك، وهو كذلك،
ودمتم.

v إما أن تحبها بالأصالة عن نفسها والنيابة عن سائر
غيرها (فالنوع)

§ وإما أن تحبها لأنها لا مثيل لها الآن وقبلا ومستقبلا

v إما أن تحبه، فتستطيع أن تحبه هو وغيره أكثر
فأكثر باستمرار.

§ وإما أن تحبه فيحتكر طاقة الحب التي لديك له
"حصريا".

v إما أن تحبه لتستعمله ويستعملك لتسدا بذلك نقصكما
الدافع أكثر لحب الناس الناقصين أيضا، وباستمرار...

§ وإما أن تحبه لتستعمله فيستعملك في دائرة خاصة، فلا
ينسد النقص لأن الدائرة انغلقت عليكما.

v إما أن تحرص على تنمية "القدرة على الحب"، فتتولد
وتتزايد قدرات حبك لتغمر بها مساحات أكبر فأكبر

§ وإما أن تغرقه بكم هائل من الحب، هو في مضطرد
نقصان بطبيعته الكمية غير المتولدة.

وبعد:

أعتقد أن على أن أتوقف، وأن أترف بتداخل هذه الاختيارات حتى تبدو أنها واحدة،
وهي فعلاً واحدة،

وقد أرجع إليها في الفصل الأخير، في هذا العمل، باعتبارها العناصر اللازم تناولها لتوصيل فروض هذا العمل "فقه العلاقات البشرية"، إذ يبدو أنه ينبغي أت تجمع الاستشادات الدالة، والتصنيفات المقارنة من قصائد كثيرة وشروح متنوعة.

أما لماذا قفزت إلى هذه الاختيارات الجذرية الآن وأنا لم أكمل بعد شرح هذه القصيدة "دراكيولا"، فذلك لأنه قد بلغنى أن ما وصل من هذه القصيدة بالذات هو تعرية صارخة وصاخبة، ربما مبالغ فيها، لهذا النوع من الحب الذى تحذر منه، حتى لا يستأهل أصلاً أن يطلق عليه كلمة حب،

وفي نفس الوقت لم يصل من نفس القصيدة أن دراكيولا نفسها التى تمارس امتصاص الدم فالإهلاك بانندفاع جائع ملتهم، هى التى تحذر فريستها من الهلاك الذى يتعاونان فى إتمامه، وهى التى ترجو من هذه الفريسة أن تساعدنا فى أن توقف الدائرة الجهنمية التى ينحدران من خلالها نحو هاوية العدم معاً.

كما لم يصل أيضاً إلى أى من الذين قرأوا القصيدة مجمعة فى النشرة السابقة مدى قوة وعنقوان وذكاء تلك "الطفلة الفطرية العملاق الطيب" التى تقاوم بعناد عنيد حتى تنتصر فى نهاية القصيدة.

من هنا جاءت فكرة التوقف عن تتابع شرح المتن لأقوم بعمل عملية جراحية أشبه باستئصال سرطان خبيث، حتى لا يتماهى فيلتهم الخلايا السليمة الحية الفطرية، ثم نعود إلى الشرح فى حلقات قادمة.

النشرة

عملية تشريح واستئصال "سرطان" عدم الأمان

برغم أن عنوان الحلقة السابقة بدأ بكلمة "فشل ما هو: علاقة الموت المتبادل عدماً"، حتى لو سمي حياً، إلا أن ما نشر من هذا التشكيل (الجزء الأول) أثار نفورا واشمئزازا واستبعادا بشكل أدهشنى، برغم أن بعض هذه المشاعر كانت لدى شخصياً حتى أعلنت حرجى من تعرية هذا النوع من العلاقات كل هذه التعرية.

حاولت أن أرد فى بريد الجمعة على بعض هذه الانطباعات المنزعجة من صورة هذا الحب الثنائى العدمى، إلا أننى وجدت نفسى أرد بأن أوصى بالانتظار حتى تنتهى الحلقات الكاملة لهذا التشكيل الذى وصل مُفزعاً هكذا فى البداية.

رجعنا إلى المتن الشعري قبل أن أكتب هذا الجزء الثاني، فوجدت أن القصيدة إنما تعلن فشل هذا النوع من التواصل العدمي مهما سمى "حبا" أو "عشقا" أو "غراما" أو "هياما"، بل إن التحذير من مضاعفات هذا الحب جاء على لسان "بصيرة" مصاصة الدم "دراكيوولا" نفسها طول الوقت تقريبا.

رحت أجمع من القصيدة (المتن) ما وصف هذا الحب الاتهامي (الجريمة المشتركة) الذي أسميته بصريح العبارة "التهلكة المتبادلة"، فوجدت أنني لم أورد على لسان دراكيوولا، ولا الطفلة بداخلها التي انتصرت في النهاية أية إشارة إلى أن هذا الجانب السلبي البشع يمكن أن ترجح كفته مهما بلغ عنفوانه وتغطرت قوته وعمادى تحديه.

مسحتُ بمقياس الأورام الذرى مساحة هذا الجزء الذي يمثل هذا الجانب السرطاني مصاص الدم، وفي نفس الوقت يعلن ألامه ومناوراتها، ثم قمت بتسريحه جراحيا حتى أتممت فصله عن الجزء السليم (الأصل) الذي يقاومه ويتحداه، وهو "خلقة ربنا" داخلنا، فاكشفنا أنني طوال الخدس الشعري الذي أفرز القصيدة، كنت منبها إلى قوة الفطرة في الداخل التي تجسدت في طفلة جميلة طيبة قادرة عملاقة وهي التي انتصرت في النهاية،

شعرتُ وأنا أفعل ذلك أنني إنما أقوم بعملية جراحية صعبة، لاشك أنها قد تشوه المتن شعرا، لكنني أحسست أنه لا مفر من إجرائها لانقاذ الفطرة وإظهارها،

فصلتُ الجزء السرطاني عن الفطرة القوية المتحدية، المنتصرة في النهاية، فوجدت أن المسألة ليست بها أي لبس، وأن عملية استئصال السرطان قد نجحت وانتصر الحب الحياة، الفطرة، الخلق، البناء، الإيمان على العشق الاتهامي، مصاص الدم، "الموت العدمي معا".

قررت أن أغامر اليوم بأن أخصص النشرة لعرض خطوات العملية ونتيجتها، بعد تشريح المتن واستئصال الورم،

فأعرض الجزء السرطاني وحده أولا مستقلا،

ثم أعرض ما تبقى من حياة ونبض بعد نجاح العملية سعيا إلى وجه الحق تعالى.

لست متأكدا إن كان هذا سوف يزيد الأمر وضوحا، أم أنه لن يقدم إلا مزيدا من التشويه للمتن الشعري.

التشكيل التركيبي :

الفكرة التي قد تساعد على قبول إجراء هذه العملية أن هذا التشكيل المتداخل عدة كيانات معا:

v كيان ظاهر غير آمن، مرعوب ملتهم جانع، يندفع إلى احتواء "الموضوع" الآخر، حتى الموت العدمي، وهو (هي: دراكيوولا) تتصور أن هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على الأمان وكأنه الحب:

هذا الكيان يعرف ماذا يفعل، وهو يجد فريسته بشكل سريع، ولفرط ثقته بأنه قادر على التهامها، يجرد فريسته طول الوقت من أنها مسئولة ليس فقط عن مآلها العدمي، وإنما أيضا عن ضياعه هو ، فهو يعرف في قرارة نفسه أنه لن يحصل على الأمان مهما تمادى في الالتهام ومص الدم

"ولا يرويني إلا الدم، ولا يرويني الدم"

٧ يوجد داخل هذا الكيان، كيان آخر،

"وعيون جوه عيون بتقول:

حاسب عندك"،

هذا الكيان الوغد الملتهم يتمتع ببصيرة ناقدة لدرجة التحيز، وهو يعلن كلاما فيه محاولة إيقاف التمدادى في طريق خاسر، لكنها بصيرة عاجزة تساعده في النهاية على التمدادى في جريمة الإعدام الانتحارى .

"بكره حا تحتاج موتى يا موت، وتموت جمعاً"،

بصراحة هذا المستوى البصرى الناقد محير فعلا، ذلك لأنه يبدو أنه يريد من يوقفه عن التمدادى في هذا السعار الهلاكى حتى أنه يستنقذ بفريسته ألا تقبل التسليم له، ربما يكون في ذلك إنقاذ لهما معا، لكنه في نفس الوقت يشل حركتها، الاستنقاذ يظهر جليا في قولها:

"لو بتحب الدنيا صحيح:

إوعى تسبني لنفسى"،

وأیضا هى تتهم فريستها أنها ترفض أن تراجع عن التمدادى في التسليم بالالتهام، فالموت:

"بس الموت جواك بيقولنى: "إوعك تصحى".

بلغت حدة بصيرة دراكيولا مصاصة الدم أنها أعلنت موقفا مَرَجعا يتساءل : ما الذى أتى بها إلى وسط هؤلاء الناس (الناس مع بعضهم البعض يكسرون احتكار الحب الثنائى حصريا) ، ما الضى بها إليهم بعد أن كانت قد ألغتهم من حسابها أصلا. هل كانت تناور؟ أم تحدد؟ أم توهم نفسها بأنها تريد أن تراجع أو تتوب عن جرائمها المسعورة، حتى إذا عجزت عن ذلك، تمادت في مص الدم والالتهام ، فالإعدام المشترك،

" أيوه صحيح !!! أنا جيتكم ليه؟

أخفى جريمى؟

جيت أتعلم لما أمص الدم ما بانشى؟ ما يطرطشى؟

جيتكو أموت وسطيكم يعن، واسمى باحاول، ولا ابينشى؟"

برغم كل هذه الرؤية، إلا أن هذا الكيان غير الآمن "دراكيولا" يتمادى في جريمته وهو لا يفيق أبدا بمحض إرادته، إلى أن يأتيه الفشل/الإفشل من انتصار داخله الفطرى الأقوى "الطفلة الفطرة العملاق الطيب".

حضور الفريسة في القصيدة كان متوترا، لكنها لم تتكلم بلسانها مباشرة أبدا، ولم تدافع عن نفسها، مع أنها متهمه من جانب دراكيولا المفترسة مصاصة الدم ، بأنها مشتركة في عملية الإعدام المشترك، وذلك بالتمادى في العمى إنكارا للعدم، مع أنها لا تحقق إلا العدم نفسه بهذا الاستسلام،

ودراكيولا تتحدى فريستها أن تستغنى عنها :

"لو ما تحافشى الموت حاتشوفنى إني الموت، وبامص الدم"

وهكذا لا يتحقق الوجود العدمي لكليهما إلى من خلال هذه المؤامرة العدمية الانتحارية معا:

"بكره حاجتاج موتى يا موت، وتموت جمعا"

وبعد

أكتفى فيما يلى بإعادة تقديم أغلب المتن، بعد تشرجه بالعملية الجراحية، وفصل هذا عن ذاك، فأقدمه من جديد بالترتيب التالى:

أولا: السرطان الذى تم استئصاله .

ثانيا: "الطفلة الفطرة العملاق الطيب" الذى انتصر أخيرا

أولا:

"احب التهلكة معا":

العدم المشترك (السرطان المُستأصل)

(1)

.....

أنا مش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،

والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

وبدال ما الزهره الطفله تبت جوه الورده القلب،

بنبيع بعضينا لبعض، والقبض عدم .

ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،

ولا فيش برهان،
نكروا الرحمان.

.....
.....

(2)

لكن الدم المالح ينزل يهرى ف جوفى،
ويجلينى أعطش أكثر.
ولا يروينى إلا الدم.
ولا يروينى الدم.
ولا يروينى إلا أشوفك ميت زيي.

وارمى مُصاصتك ،
وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،
"نفس القصة".

(3)

بكره حا تحتاج موتى يا موث، ونموت جمعا.
بكره حا تحتاج تحفى جريبتك، جوا جريمتى،
بكره بتاع الناس بينور.
بكره بتاعى وحش يعور،

(10)

إوعى تلومنى.

إنْت عايزنى كده.

تقتل روحك وبتتمسكن، وتقول حاشي؟
هوا انا ممكن أقتل إلا اللى اختار قتله؟
تبقى جريمة عاملها اتنين.
كل جريمة عاملها اتنين.
يبقى المقتول هو القاتل، أصله استسلم.

والآن:

نعود إلى الكيان الحى بعد استئصال السرطان منه
لنتأكد معا من قوة التركيب الفطرى الطفلى العملاق المحب
المؤمن الأقوى، (خلقة ربنا)، وهو الذى انتصر فى النهاية بل
وعلى مدى القصيدة، ومع ذلك فقد كان خافيا على قراء
النشرة السابقة مع أننى تعمدت نشر القصيدة كلها،

ربما لهذا السبب استأصلنا السرطان الدراكيوي، حتى نشاهد أصل الفطرة ونطمئن قبل أن نكمل:

ثانياً:

"الطفل الفطرة / العملاق الطيب"

(5)

ولا كنت اعرف... .

ولا كنت اعرف إن الناس الخلوّة كُنْتَار.

ولا كنت اعرف إن ضباع الرجل الحى،

أقوى كثير من مليون ميت.

....

وانا فرحانه،

وخايفه،

وعايزه،

ورافضه،

نوركم جامد يعمى عنيه.

زى فراشه تحب النور،

تجرى عليه، وتحوم حواليه

وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها،

"آه يا حلاوه النور مؤتني"

لأ ماحصلشى!!

....

هو النور بدموت برضه إلا الضلمه ؟

بعدها نور الفجر بشرق من جوايا.

(7)

بس انا خايفة

أصلى ضعيفه، وطفلة لوحدى، وبأخى ف حجر الناس
واتلخبط.

لأ، حاستي..، لأ مش طالعة .

خايفه لدكهه تمثّل دورى:

تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،
أو تتصرف زى الناصحة ،
تعرض فكرة !!،
يمكن تنشوا.
وانت تعوزها تاني في السر.

(9)

.....

.....

ترجع برضه الطفلة تعافر، وبستنجد:
شس الحق اللي في عنيكم تقتل ليها اللي اسمه بكره،
ليل اللعبة الضلمة الثانية،
ليل السرقة الوسخه العامية.
ليل الوغد يموت روحى، وروحك فيّه.
وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشه فينا،
حاكم الخوف عايز بسحنا بعيد وحدينا.

(10)

لكن الطفله الأصل الصخ عفة وصاحه،

تضرب قلب، وتتنتط وتتحدى:

- أنا صاحالك،

انق تموتى تروحي ف داهيه، أنا ماباموتشى.

أنا باستنى اللحظة بتاعق، علشان أطلع.

أنا جاباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.

من ورا ضهرك .

بعد شويه أجرى وابرطع.

غصن عنك .

غصن عنه .

أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظة دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تنبت خضره .

لحظة كل الناس الحلوه تموت موتى.

لحظة طفله صغره ثايره، تقدر تقتل.

تقتل وحش يمص الدم.

لحظة لما الله سبحانه برضى علنا

أحلف يحصل

أصله وعدنى

وانا صدقتة

وبعد

ولكن ما علاقة كل ذلك بالعلاج النفسى؟

وهل العلاج النفسى إلا علاقة حب مسئول، بآخر حقيقى،
يبنيان معاً كل ما يمكنهما من اعتراف متبادل فانطلاق إلى
رحاب الناس تحت مظلة رحمة الحق سبحانه، بأقل قدر من
الاعتمادية والتملك والإحتواء والشروط.

وهذا ما سوف نرجع إليه فيما تبقى من أجزاء هذه
القصيدة بعد هذه **الجملة الاعتراضية** التى احتلت نشرة
بأكملها.

الإربعاء 24-03-2010

936- تشكيلات ومراتب العلاقات، وملامح أخرى للفرض



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

استطرد آخر عن العلاقات الثنائية إلى الناس إلى الهارموني المطلق وبعض معالم الفرض

دراكيولا (3 من ٢٠٠؟)

جملة اعتراضية أخرى:

تشكيلات ومراتب العلاقات، وملامح أخرى للفرض

كان ذلك يوم 15 إبريل سنة 2008، أي قبل سنتين إلا أيام، هنا في نشرة الإنسان والتطور رقم 228 ، وكان العنوان هو "تشكيلات الارتباط الثنائي بين الأحياء، (والبشر!) .

لا أظن أن أحدا من الذين يتابعوننا يذكر هذه النشرة ، (وهل أحد يذكر نشرة أول أمس يا رجل؟)، الموضوع كان مقتطفا من أصل البحث "تحرير المرأة وتطور الإنسان" الذي أشر إليه في يوميات سابقة خلال هذا الاسبوع، وأيضا سوف نعود إليه يوم الأحد القادم. وهو عن أنواع الارتباط الثنائي بين البشر، ما له وما عليه، وكيف يتدرج ، أو ينتقل، من نوع إلى نوع.

اكتشفت اليوم وأنا أهم بكتابة هذا الجزء الثالث شرحا على قصيدة "دراكيلولا" ، وأيضا بعد مراجعة ما وصلني من تعقيبات تشير إلى الفزع من بشاعة هذا النوع من العلاقة النمطية حتى حال هذا الفزع دون رؤية الوجه الآخر للمحاولة ، مما أدى بي إلى القيام بالعملية الجراحية التي أجريتها للنص الشعري الأسبوع الماضي، لفصل سرطان هذا الارتباط "التهلكي المتبادل"، عن بقية جسم القصيدة، ليظهر النوع الأكثر نضجا من خلال مقاومة "التهلكة معا" إذ يبزغ احتمال الارتباط الثنائي "إليهم"، ثم "إليه"، اكتشفت من خلال كل ذلك ضرورة العودة إلى مراجعة ما جاء في البحث سالف الذكر عن تطور المرأة، ثم ما اقتطفت منه في النشرة المذكورة. (15 أبريل 2008)

أبدأ الآن بإعادة نشر الجدول الذي صنّف أنواع الارتباط الثنائي، استلهاما من أنواع الارتباط بين الأحياء

نوع الارتباط الثنائي بين الأحياء	الكائن الأول (أى كائن حى)	الكائن الثانى (أى كائن حى)	المقابل البشرى الثنائى (مثلا: الزواج)
(1) الارتباط التكافلى Mutualism	يستفيد وينمو بما هو، لما هو من خلال مواكبته للأخر.	يستفيد وينمو أيضا بما هو، لما هو من خلال مواكبته للأخر	العلاقة التي ينمو من خلالها كل من الطرفين، بالرؤية، والتكافل، والقرب، والحركة، والتقارب الجسدى، والتباعد الحميم، مع الاحتفاظ بمسافة مرنة متغيرة متجددة طول الوقت.
(2) الارتباط التعايشى Commensalism	يستفيد من خلال التواجد مع الآخر، وليس على حسابه.	لا يستفيد ولا يتضرر بما يفعله الآخر، ويواصل هو حياته وهو يسمح لهذا الآخر بما يأخذه حسب الأحوال والمتاح.	العلاقة (الزواج) من جانب واحد، حيث يستمر أحد الأطراف (الرجل) عادة، موافقا على ما يأخذه الطرف الآخر منه، أحيانا في مقابل

<p>استعمال هذا الطرف استعمالاً طرئياً برضاً نسيء، أو بدون هذا الاستعمال، فتتحقق -مثلاً- المؤسسة الزوجية للرجل تأكيد رجولته ومواصلة إنجازه في حين تمارس المرأة (الزوجة) - ربة المنزل دون عمل خارجه عادة - اعتمادها غير الطفيلي عليه، وهو ماض في سبيله لنفسه وتقتصر استفادتها على الحصول على احتياجاتها الأساسية برغم توقف نموها نسيباً أو تماماً. (وطبعاً قد يحدث العكس تماماً حين الزوج هو المعتمد، وتمضى الزوجة في نموها ودعمه دون أن تتضرر)</p>			
<p>الارتباط (الزواج) الذي اتصل فيه الاعتمادية الطفيلية إلى درجة أن يستعمل أحدهما الآخر لتفريغ شحناته على حساب انسانية هذا الآخر ونمائه وحقوقه، فمثلاً: الرجل يستعمل المرأة أمماً أو مجالاً لتفريغ</p>	<p>يصاب بالضرر من هذه العلاقة الاعتمادية الماضة، المستهلكة.</p>	<p>يستفيد ويعيش على حساب الطرف الآخر معتمداً عليه، مستهلكاً طاقته، (مأصاً غذاءه).</p>	<p>(3) الارتباط الطفيلي Parasitism</p>

<p>على حساب كيانها واستقلالها، أو تستعمل المرأة الرجل كعمول للمصاريف أو مُذبذب للجنس، لا أكثر فيعاق ويُستنزف فقط.</p>			
<p>مثل الزواج (أو العلاقة) التي تدفع فيه الزوجة - عادة - ثمن يتأثر الزوج إذ يعضى في طريقه المستقل (الناجح عادة) يستعملها بعض الوقت، كما يمكن أن يستبدلها أحياناً أو يضيف إليها، وهكذا يتفقم الضرر وتمادى الإعاقة خاصة لو الظروف فرضت استمرار هذه العلاقة الظلمة مدداً طويلة.</p>	<p>لا يتأثر ولا ضرراً ولا فائدة، وكأن أثره السلبي على الطرف الآخر هو نتيجة ثانوية يتحملها الطرف الآخر وحده الذي ارتضى ذلك، أو احتاج لذلك، أو اضطر لذلك</p>	<p>يعاق أو يصاب بالضرر نتيجة لهذا الارتباط</p>	<p>(4) الارتباط بلا دعم Amensalism (أسف للترجمة مؤقتاً)</p>
<p>مثل الزواج أو العلاقة التي تعطل الأثنين معا حتى لو أرضتهما بعض الوقت، إرضاء طرّفياً يبرر بعض الاستمرار حتى التهلكة، ويبدو أن هذا النوع علي خطورته يحقق نزوعاً لكلا الطرفين. (وهو يتم بنوع من التواطؤ: هو ما ظهر جلياً حتى الآن في قصيدة دراكيولا 2010/3/23)</p>	<p>يتحطم ويعاق أيضاً حتى التهلكة من خلال وبسبب هذه العلاقة الثنائية .</p>	<p>يتحطم ويعاق حتى التهلكة من خلاله وبسبب هذه العلاقة الثنائية .</p>	<p>(5) الارتباط التّحطيمي التّهلّكي Synnecrosis</p>

ملاحظات مضافة :

في هذه النشرة وجدتها فرصة للكشف عن مزيد من معالم ما أسميناه سابقا "الارتباط التحطيمي التهلكي"، وهو ما أسميناه في نشرة الأسبوع الماضي "الارتباط التهلكي المتبادل"، وأيضا: "الحب التهلكة معا"

ينبغي أن نؤكد مرة أخرى ما أشرت إليه منذ أسبوع، ثم في النشرة الباكرة، (2008/4/15) من أن كل أنواع العلاقات يمكن أن تعتبر مرحلة، بما في ذلك هذا الارتباط التهلكي، إذ أنه من البديهي - إلا في الحالات المرضية فعلا، ولو لم تسم كذلك - أنه بمجرد أن يشعر أحد الطرفين، أو كلاهما، أنها تهلكة، فسوف يجد نفسه مضطرا إلى فصم هذا الارتباط، أو استبداله بما هو أقل خطرا منه، وهكذا

ثم إنني لاحظت في النشرة الباكرة منذ سنتين: أن النوع التكافلي (رقم "1" الذي هو الأفضل) قد ركز على توصيف إيجابيات هذه العلاقة بين "اثنين" بما فيها من حركة وتنوع، ومسافة، وفائدة لكلا الطرفين، دون إشارة ولو ضمنية إلى امتداد هذه العلاقة الخلاقة - بطبيعتها - إلى الآخرين بما أسميناه في الأسبوع الماضي "القدرة على الحب"، وهو ما حاولنا أن ننبه ونحن نؤكد "أن الناس الحلوة كتار" وأن "صباح الرجل الخي أقوى كثير من مليون ميت!!" وهو ما ركزنا عليه كعلامة على نوع الحب الإيجابي الذي يبدأ باثنين ولا ينتهي بهما، أي الذي يكون فيه حب الاثنين لبعضهما البعض هو المدخل إلى حب الآخرين، فالتناغم مع الطبيعة، فالطلق، وهذا ما وصفناه بالتوجه نحو القاسم المشترك الأعظم، إلى وجه الحق تعالى. هذا الامتداد التلقائي تناغما وتناسقا وصلاة وإيمانا (بكل التشكيلات الإبداعية الممكنة)، هو نوع الحب الذي لا يجل محل الحب الثنائي ولا يستغنى عنه، لكنه ينطلق منه، وهذا ما صفناه في النشرة السابقة ما رأيته، بعد التساؤلات التي وصلتني، أنه قد يكون أوضح حين نبينه في جدول كالتالي (برجاء ملاحظة ظاهر التكرار، دون تكرار):

إما أن تحب غيرك فيكون هو مفتاح الحب إلى غيره، فالحياة.	وإما أن تحبه جدا جدا، دون غيره لأنه لا يوجد مثله ولن يوجد.
إما أن تحب لأن الله خلقنا نحيب بعضنا بعضا: حتى نتعاشق بشرا نحافظ على النوع وعلى الحياة.	وإما أن تحب لأنيك جائم جدا جدا إلى من يئليغك أنه "بريدك" أنت جدا بغض النظر عن الثمن الذي تدفعه مقابل ذلك.
إما أن تحب محبوبتك (محبوبك) طريقا إلى غيرها (غيره) من البشر فهي بداية.	وإما أن تحبها دون غيرها فهي بداية المطاف، ونهايته معا
إما أن تحب لأنك تحتاجه وهو يحتاجك لتطلقا معا إلى احتياج الناس لكما معا.	وإما أن تحبه لأنك تحتاج إلى احتياجه إليك، وهو كذلك، ودمتم.

وإما أن تحبها لأنها لا مثيل لها الآن وقبلًا ومستقبلًا	إما أن تحبها بالأصالة عن نفسها والنيابة عن سائر غيرها (فالنوع)
وإما أن تحبه <u>فيحتكر</u> طاقة الحب التي لديك له " <u>حصرياً</u> ".	إما أن تحبه، فتستطيع أن تحبه هو وغيره أكثر فأكثر باستمرار.
وإما أن تحبه <u>لتستعمله</u> <u>فيستعملك</u> في دائرة مغلقة خاصة، فلا ينسد النقص ولا تنتفح الدائرة	إما أن تحبه لتستعمله ويستعملك لتسدًا بذلك نقصكما الدافع أكثر <u>حب الناس</u> الناقصين أيضاً، وباستمرار...
وإما أن تغرقه بكم هائل من الحب، هو في نقصان مضطرد <u>بطبيعته الكمية غير المتولدة</u>	إما أن تحرص على تنمية "القدرة على الحب"، فتتولد وتتزايد قدرات حبك لتغمر بها مساحات أكبر فأكبر
وإما أن تحبك (تحبها) <u>بدلاً</u> <u>عنهم، غائباً (غائبة) فيكما</u> <u>على حسابهم.</u>	إما أن تحبها (تحبك) <u>مدخلاً إليهم،</u> في رحابكما لتحقيق التكامل <u>كدخا</u> <u>إلى وجهه تعالى فيكما.</u>
وإما أن تحبك (تحبها) ذاتاً <u>محدودة، بعلاقة لها عمر افتراضي</u> <u>غير معروف، ونهاية أكيدة</u> <u>قريبة أو بعيدة بلا سبب كاف</u> <u>ظاهر عادة</u>	إما أن تحبها (تحبك): لتتحركا في اتجاه ضام إلى بعضكما البعض إلى غيركما إلى ما بعدكما، بعدمك.
وإما أن تستعمل <u>بعضها</u> ، <u>لتستعمل بعضك،</u> لأغراض صريحة أو خفية، على أي منكما أو على كليكما.	إما أن تحبها (تحبك) بكل ما هو أنت بما في ذلك الجنس والصلاة، بكل المعاني (الجماعة، الجماع، الجامع)

العلاج النفسي فيه كل هذه الاحتمالات:

أما علاقة فقه العلاقات البشرية هكذا، بالعلاج النفسي، وبهذا الفرض فهي علاقة وثيقة ومباشرة، من حيث أن العلاج النفسي هو مساعدة المريض لاستعادة خطى نموه وتوازنه إنساناً يعيش مع آخرين، ليميز إنساناً أكثر فأكثر، وذلك من خلال علاقة بشرية بإنسان آخر (المعالج) له خبرة في تنظيم هذه المسائل، وفي نفس الوقت يسير هذا المعالج في نفس الاتجاه وهو يواصل مسيرته، سواء في مهنته أو في مسيرة حياته شخصياً- (المفروض يعني) - بنفس الصعوبات التي يعايشها مع مريضه.

تتجسد العلاقة الثنائية وتتطور فيما يسمى "العلاج الفردي"، ثم تختبر وتتاح الفرصة إلى الانتقال منها/بها - دون إلغائها- إلى العلاقة الجماعية في كل من "العلاج الجمعي" و "علاج الوسط"
هذه هي الحكاية.

وطبعاً ثم احتمالات أخرى حين نواجه أثناء العلاج أنواعاً أخرى من العلاقات وهي تعتبر من "مضاعفات" العلاج النفسي بجرعة تزيد أو تنقص نتعامل معها أثناء الإشراف.

ملاحم الفرض تلوح من جديد: (ولو كان في ذلك إعادة):

سبق أن طرحت بعض أجزاء فرض هذه الدراسة كلها أكثر من مرة، وليس عندي رغبة الآن لمراجعة ذلك، إلا أنني حين انتهيت إلى هذه القصيدة التي يبدو أنها آخر القصائد التي تشرح العلاقات الثنائية، وربما هي أهم القصائد، وجدت أنه قد آن الأوان لأوضح بعض جوانب الفرض، خاصة وقد تواتر استعمال ألفاظ تحمل شحنة دينية خاصة، تُستقبل عادة بغير ما قصدت إليه تحديداً.

• إن العلاقة الثنائية هي مرحلة هامة وضرورية، بدءاً من علاقة الطفل بأمه

• إنه لا يمكن الاستغناء بالعلاقة الثنائية عن العلاقة بالجماعة

• إن العلاقة بالجماعة الصغيرة (العلاج الجمعي) فالكبيرة نسبياً (علاج الوسط) هي نقلة طبيعية، لعلها تمثل متسع العلاقة بالأسرة، فالمدرسة مثلاً (وما يوازيهما)

• إن هذه الخطوات لا تحدث في مراحل متتالية، بقدر ما هي تتحرك في إيقاع حيوي خلاق: في دوائر تتسع باضطراد، وتتداخل بانتظام، وتمتد في آفاق معروفة، فمجهولة واعدة (الغيب)

• يبدو أن الاقتران على العلاقة الثنائية باعتبارها غاية المطاف هو ضد الطبيعة البشرية، ومن ثم ضد النمو، والتطور، ومن ثم: الصعوبات والمضاعفات.

• لا يوجد تفاضل مطلق ودائم بين علاقة وعلاقة، حيث إن الصحة العلاقاتية تتطلب الحركة الإيقاعية المضطربة ذهاباً وجيئة، دخولاً وخروجاً، بصفة إيقاعية دورية مستمرة، دون تجاوز أو اختزال، ما دمنا أحياء

• يبدو أن الإيمان، كنزوع بيولوجي أساسي، يتيح الامتداد الضام للوحدات البشرية التي تتوجه من خلاله نحو قاسم مشترك أعظم

• تختلف المسميات لهذا القاسم المشترك الأعظم باختلاف الأيديولوجيات، والفلسفات، والديانات، لكنها تتفق في التوجه، والامتداد، وفتح أبواب الإبداع المتجدد

إيقاف

أستأذنكم، نتوقف مرة أخرى، ونؤجل شرح بقية المتن فقرة فقرة، أملاً في استيعاب بعض ما أوجزنا وكررنا،

آملين أن نكمل الأسبوع القادم.

الإربعاء 31-03-2010

943-توقف تعسفي، وطلب مشورة!



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

توقف تعسفي، وطلب مشورة!

دراكيولا (4)

مقدمة:

بدا لي وأنا أهم بكتابة هذه الحلقة الأخيرة في مسلسل دراكيولا أن هذه الحالة، اعني القصيدة أعني اللوحة، قد أخذت أكثر مما تستحق، لكنني حين راجعت الحلقات الثلاث السابقة وجدت أنها كصورة تشكيلية، لم اتناول فقراتها فقرة فقرة أدخل منها إلى ما تيسر مما أريد.

كثرة الاستطرادات والتنظير قد أحاطت بالشعر حتى أغرقته في لجة من الألفاظ الجافة فبدا عاريا من جماله ورغم أن القصيدة مكتملة قد نشرت أكثر من مرة على مدار الحلقات السابقة.

ثم إنني لا أعرف ماذا وصل من نتيجة العملية الجراحية التي أجريتها مضطرا على المتن، وقد بدت لي مثل عملية فصل الألوان التي هي خطوة ضرورية لنشر صورة ملونة، إلا أن المتلقي للصورة لا يرى إلا نتيجتها كاملة، أما إذا رأى العملية (عملية فصل الألوان) ذاتها، ورأى كل لون منفصل وحده، فإنها تصبح صورة بشعة، أرجو ألا تكون قد وصلت الحال بنا -معي هذه العملية الجراحية- إلى هذا الوضع

• إن التواصل بين اثنين يحتاج، ليصبح أرقى بشريا، أن يمتد إلى ثالثٍ ورابع، وكل الناس، الأمر الذي لا يتحقق إلى مجردية متجددة ممتدة، يدعمها وعي جماعي ضام، تحت مظلة وعي أعلى فأعلى، وأشمل فأشمل، فأوسع وأوسع، بلا نهاية

وبعد

فإنه يمكن لأى صديق أن يرجع إلى الحلقات الثلاثة السابقة، وإلى كل القصيدة، ويختار منها المقتطفات التي تدعم كل نقطة من النقاط السابقة، وذلك إلى أن نعود إليها في تحرير جامع في النسخة الورقية، أو من منطلق آخر ضمن إعادة تحرير شامل في جولة أخرى

ذكر ما تبقى:

لم يبق في هذا الفصل الثاني إلا لوحتان بهما من الخصوصية، والسيرة الذاتية، ما سبق أن نشرته -غالبا- في أعمال أخرى مثل الرحلات، وخاصة الجزء الثالث، وأخشى أن أفرض على الأصدقاء ما هو شديد الخصوصية هكذا، مما قد يجدونه في مكان آخر، لهدف آخر غير "فقه العلاقات البشرية"، فتجربتي الذاتية لا تمثل بأية درجة خاصة ما هو فقه العلاقات البشرية، فما أنا إلا فرد من المليارات البشرية الموجودة عرضا، ومن ملايين المليارات من الأحياء التي وجدت طولاً.

القصيدة التالية "ياترى" هي استلهام من أقرب الناس إلى

أما القصيدة الأخيرة، بعنوان "المعلم" فهي "مازق وجودي الشخصي" وهو الذي يكمن وراء كل هذا، وبالذات انطلاقاً من موقفى، أو موقعى، بين كل هؤلاء الأصدقاء الحقيقيين أو المتخيلين.

تكتمل هذه القصيدة الأخيرة، بالقصيدتين اللتين يشملهما الفصل الثالث الذي كان اسمه في المتن المنشور سابقاً "العبة الحياة"، وكلاهما يعبران عن ما هو، أو ما يوازى السيرة الذاتية، وبالتالي يكملان قصيدة المعلم.

من كل هذا شعرت أن كل ما سيأتى بعد ذلك به جرعة من الذاتية قد لا تكون مناسبة مع كل التعميم الذي عايشناه قبل ذلك، وربطناه بشكل ما، ولو بتبرير مفتعل بالعلاج النفسى، الذى هو ليس إلا "تسخير العلاقات البشرية المهنية الإيجابية"، لإعادة تشكيل النص البشرى، من خلال فهم وتوجيه حوار وجدل البشر مع بعضهم البعض، حين يتصدى إنسان محب مسئول للأخذ بيد إنسان يعيش المعاناة، أو يتوقف بالإعاقه، أو يتشوه بسوء التناول.

لم أتحذ قراراً بعد

وقد آخذ فرصة توقف مؤقت لالتقاط الأنفاس منتظراً رأى الأصدقاء:

هل أتوكل على الله وأكمل مهما بلغت الجرعة الخاصة أو
غلبت السيرة الذاتية، خشية ألا يكتمل العمل أبدا -
كالعادة- إذا أنا توقفت؟

أم أتوقف لفترة تطول أم تقصر حتى يطلع الأصدقاء على أصل
المتن في هذه اللوحات الأربعة (يا "تري"، "المعلم"، "جمل"
المحمل"، "الخلاص"؟؟؟)

ما رأيكم دام فضلكم ؟؟

وإلى الأسبوع القادم

يجلها حلل

الإثنين 07-04-2010

950- "بيجيماليون" (1 من 2)

دراسة في علم السيكوباتولوجي (الكتاب الثاني)



لوحات تشكيلية من العلاج النفسي
شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الحلقة (60)

"بيجيماليون" (1 من 2)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائي شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أما قبل:

هذه هي آخر لوحة تشكيلية مستلهمة منهم (معظم التالي هو مني أنا غالبا)، وهي تقع في موقع متوسط بين ما أشرتُ إليه مما نبهت أنه أقرب إلى السيرة الذاتية، وبين ما استلهمته من أقرب من سمحوا لي بالاقتراب، وهي كما ننوه دائما مع كل لوحة، لا تصف شخصا بذاته إلخ...

تقديم

الرؤية الموضوعية هي مشكلة الوجود، ولا يدعيها أحد إلا إن كان لا يعرف حقيقة ما تعني، إنها أقرب إلى بعض صفات ما يسميه ماسلو "الوجود شبه الإلهي"، وقد تصورت أيضا أن تصاعد درجات الوعي عند هيجل إنما يرسم سهاما نحو الطريق إلى احتمال مثل هذه الرؤية الموضوعية المطلقة، كما أعتقد أن معظم التطورات في مناهج البحث والمعرفة حاليا، إنما

تعلن أمرين معا: عجز الإنسان في مرحلته الحالية عن الرؤية الموضوعية، وحاجته الشديدة إليها في نفس الوقت.

الذي يجعل الرؤية ذاتية (ضد موضوعية) هو 'احتياج' الإنسان أساسا، بما يستتبع ذلك من تحيز وهوى وخوف وتقكير آميل .. الخ . صاحبة هذه الصورة، أعنى من استلهمت من حضورها هذا التشكيل، هي من أقرب الناس إلى، وحاجتي إليها لا سبيل إلى إنكارها أو التخفيف من قدرها، ولذلك جاءت رؤيتي لها محفوفة بالخذر والتردد والمراجعة، وإذا كان لنا أن نعتزف أن "الرؤية الموضوعية" المطلقة هي هدف بعيد المنال.. فأول الطريق إليه هو أن نقرر أن رؤيتنا جميعا هي "ذاتية" ابتداء، ثم نأمل من هذه البداية أن نعتزف بنسبيتها وقصورها، لعل ذلك يجد من غرورنا وغلواننا في تصور إمكانية موضوعيتنا قبل الأوان.

وهذا هو بعض ما حاولت أن أعتزف به هنا هكذا:

صاحبة هذه الصورة ليست بالغموض التي توحى به القصيدة، لكن أحيانا يكون فرط سلاسة الوجود هو مدعاة للدهشة حتى الرفض، بما يشمل افتراض صعوبات وتعقيدات غير موجودة، مجرد بساطتها، ومباشرتها. هذه السيدة كانت تتميز بقدره حدسية خاصة أرمز لها هنا 'بقراءة الفنجان' (وفي الواقع كانت تمارس ذلك أحيانا) وكنت أحتار في تقييم هذه القدرة هل هي حدس معرفي مخترق يمكن الاعتماد عليه، أو يسمح باستلهامه، أم أنه نكوص استسهل غير مسئول؟

إذا كان الطبيب النفسي له رؤية أعمق بطبيعة عمله - أو المفروض أن يكون كذلك - في مجال ممارسته مع الذين يحضرون إليه يسألونه النصح، فلا يصح أن نتصور أنه يملك نفس حدة الرؤية بعيدا عن مجال عمله، وبالذات : في محيطه الخاص، بل إنه قد يعرض ما يتحملة من أعباء الرؤية الموضوعية أثناء ممارسته مهنته بأن يتجاوز ربما عنها أكثر من الشخص العادي - دون أن يدرى عادة- وذلك خارج نطاق هذه الممارسة، **فيري أموره الخاصة، وصور ناسه الأقرب، كما يجب، أو كما يخاف، وليست كما هي**، ربما نعطيه بعض العذر احتراماً لضعفه واعترافاً بمحدودية قدراته الإنسانية، هذا الاحترام والسماح وخاصة من جانبه لنفسه، قد يساعده على استمرار تحمل مسئولية مهنته، إلا أن هذا العمى الانتقائي - في عمق العدل- يترتب عليه ظلم يقع على الأقرب فالأقرب ممن يحتاجهم هذا الإنسان الضعيف المرهق، فهو قد يمارس - من خلال نظرته غير الموضوعية أكثر فأكثر - تحويل أقرب من حوله إلى ما يرى ويظن، وليس إلى ما هم، وهو بذلك يفقد من يحتاجه بحق، لأنه لا يعود "آخرًا" أصلا، بل يصيرُه كيانا من صنع إسقاطاته، يستعمله لسد احتياجاته، وبما ترى هل يستطيع أن يخرج من هذا المأزق أم لا، هذا يتوقف على مسار نضجه، ومدى قدرته على مواصلة نموه.

هذا التشكيل، يمكن فهمه أكثر إذا تذكرنا الخطوط العامة لأسطورة بيجماليون، وهي ليست صورة مطابقة للقصيدة، لكنها على الأقل موازية، مع اختلافات كثيرة خاصة في النهاية.

وفيما يلي الفقرة الأولى من القصيدة لعل بعضها يبرر استشهدانا، دون تطابق، بأسطورة بيجماليون. (التي سنورد موجزا لها كملحق لهذه النشرة)

والعين دى عيونها صعب،

يعنى انت وحتك: يا الشبعة الكومى، يا البنت القلب.

ساعه تعرف سر الدنيا ف كنكة قهوه .

وساعات اطبطها بتكشف سزى، على سهوه

والعدسة بتاعى اللى بتكبر،

تيجى لخدبها وتدغوش،

وتصغر،

.....

لأ والأدهى:

يتهاى لى،

إنها يعنى:

(مش قادر اشوفها زى زمان)،

دى بتبقى تمام زى الشوفان

أسطورة بيجماليون تبين لنا كيف أننا حين نسقط احتياجاتنا على الأحياء من حولنا، فنحن نصيغهم كما نريد، وكأننا ننحتهم بأنفسنا أصناما وتمائيل مادية "بالمقاس" لتغذى فينا احتياجاتنا فقط، لكننا إذ نكتشف أنها ليست إلا أصناما جميلة، لا بشرا "آخرين"، نصلى للآلهة (داخلنا غالبا) أن تبعث فيهم الحياة ليصيروا بشرا فعلا نمارس معهم ومن خلالهم بشريتنا بحق، لكن ثم خطر وارد حين يكتسب هذا الآخر إرادته المستقلة، وهو أنه يمكن أن يتكنا - بفعل الآلهة أيضا (ربما في داخله أيضا)!!، لأنه يستحيل أن يظل مجرد أداة في يد من صنعه صنما بعد أن تحول إلى كائن بشرى حى، فنكتشف الفرق بين ما هو آخر: كيانا مختلفا ينبض لحسابه (ومعنا ومع غيرنا، لا مانع!)، وبين الآخر (الوهمي) تمثالا مصنوعا لا إرادة له، بما يشمل احتمال أن يختار هذا الكائن الحى ذو الإرادة، أن يختار أن يخرج عن نطاق هذه الثنائية المغلقة، إذ يفضل صحبة ثالث دوننا، يختاره بإرادته، فيحدث لنا هلع عدم الامان والضياع، ومن ثم أمنية التراجع عن الأمنية الأولى التي

(4)

واذا شفت عيونها عدت خط الصد،
تبدأ حسابات الجمع، الطرح، الضرب، الشك، الرفض،
العد:

ودى مين؟ حاتشوفنى بيه !!؟

دا انا متمنظر، دانا بيه !!

دى عنيتها أنا اللى عاملها

دى قصيدة انا اللى قايلها

على طول أرفض شوفانها.

(ماهو لازم من عوزانها)

(5)

أنا قلت أشوفها ف عين الناس.

وأتارى الناس بتشوفها بعيونى،

ما هو أصل الناس دول يعنى : من صنعى شوية

ما هى خيبة قوية !!

وابص كويس فى عنيتها

ألاقينى فيها !!

يا ترى دى مرايتى،

ولأ أزاؤها..؟

ما هى فيها حاجات مالى عايزها ,!!

ولأ دى نصيب للى حاجتها؟

....

يا ترى دا الخير اللى يطمن؟

يا ترى دا الخوف اللى يحنن؟

يا ترى ده الحب اللى يوثنون؟

....

أنا نفسى أشوفها انها هيا

بس على شرط تكون ليا

طب أعمل إيه !!؟

ملحوظة: لظروف استمرار فرصتي في استلهم صاحبة هذه الحالة عشرات السنين بعد الكتابة الأولى، جرى تحديث في القصيدة، وخاصة في الجزء الأخير، وأضيفت الأسطر (الأبيات) الثلاثة الأخيرة. إلى المتن المكتوب (سنة 1074)

ملحق النشرة:

نبذة موجزة عن مسرحية بيجماليون (من ويكيبيديا):

الفصل الأول

.. تدور أحداث هذا الفصل في مكان رئيسي هو بهو منزل بجماليون، تدور كل أحداث الفصل في الليل وبالتحديد ليلة مهرجان عيد الآلهة فينوس.

الشخصيات: نرسيس : هو صديق بجماليون وقد قام هذا الأخير بتربيته وهو إحدى الشخصيات الفاعلة في المسرحية. -ياسمين: هي إحدى راقصات الجوقة : امرأة أحببت نرسيس. - فينوس: هي إلهة الحب والجمال وهي ابنة جوبيتر - أبولون : هو إله الفن. - **بجماليون** : هي الشخصية الرئيسية في المسرحية وتتمثل في نجات. - **جالاتيا** : كانت في بداية الفصل تمثالا يسمو بجماله عن الجميع لتصبح بعد ذلك امرأة وهي زوجة بجماليون.

الأحداث والوقائع: حماية نرسيس لتمثال جالاتيا (الذي نحته بجماليون). - محاولة الجوقة إخراجه من البيت وأخذه معها إلى مهرجان عيد فينوس. - قدوم ياسمين ومساعدتها له. - محاولة معرفة ما وراء الستار والاستفسار عن جالاتيا. - خروج ياسمين ونرسيس إلى المهرجان بعد محاولات من قبل ياسمين وتركه للتمثال. - قدوم الإلهين فينوس وأبولون إلى منزل بجماليون. - انبهارهما بتمثال جالاتيا وبقدرة بجماليون وفنه. - تضرع بجماليون إلى فينوس لتمنح جالاتيا الحياة. - بعث فينوس الروح في جالاتيا وتحولها إلى امرأة حقيقية. - رجوع بجماليون إلى المنزل ومعابته نرسيس على الخروج. - ذهاب نرسيس وتركه لبجماليون. - اكتشاف بجماليون أن الآلهة حققت طلبه وشكره لها. - اختلاؤه بجالاتيا وتحذته معها.

الفصل الثاني

تدور أحداث الفصل الثاني أساسا في بهو منزل بجماليون، ثم في كوخ في الغابة. **الزمن** : في الليل ساعة الأصيل. **الشخصيات** - : الرئيسية : بجماليون - الثانوية : الجوقة، ياسمين، فينوس، أبولون، **جالاتيا**

الوقائع والأحداث - : هروب جالاتيا مع نرسيس. - موااساة الجوقة لزوجها بجماليون. - محاولة ياسمين إقناع بجماليون بالذهاب معها للغابة للبحث عن جالاتيا ونرسيس. - سخط بجماليون على الآلهة وردع ياسمين له خوفا منها عليه من غضب الآلهة. - طلبه من فينوس إرجاع جالاتيا كما كانت وإصلاح غلطتها. - تساميه على الآلهة. - اعتراف أبولون بذلك وغضب

فينوس على جماليون. - إعادة أبولون جالاتيا إلى زوجها جماليون وإجأؤه لها بهوية خالقها وكيفية خلقها. - **تحوّل جالاتيا إلى زوجة عبة صالحة....**

الفصل الثالث

تدور أحداث هذا الفصل في بهو الدار وفي الكوخ أيضا.
الزمن : ليلة مقمرة، **الشخصيات :-** الرئيسية : جماليون - الثانوية : الجوقة، ايسمين، فينوس, أبولون، نرسيس، جالاتيا

الأحداث والوقائع - : خوف نرسيس من غضب جماليون عليه بعد هروبه مع جالاتيا. - تخفيف ايسمين عليه. - اعترافه بجميلها عليها ومكانتها عنده - .قدوم فينوس وابولون وفرحهما بانتصارهما **محل جماليون وجالاتيا متحابين - .** انتظارهما قدوم الزوجين عند النافذة. - ظهور جماليون وزوجته جالاتيا - .شعور جماليون بالضيق ومحاولة جالاتيا التخفيف عنه. - اعترافه **بسمو صفات جالاتيا التمثال على صفات جالاتيا المرأة** رغم حبه لها فهي زوجته ، لكن رغبته في أن ينتصر على الآلهة تجعله طلب إعادة جالاتيا تمثالا كما كانت. - استجابة الآلهة لطلبه وإعادة جالاتيا تمثالا من العاج.

الفصل الرابع والأخير

تدور أحداث الفصل الأخير في منزل جماليون، وأيضاً في الغابة، **الزمن :** في ليلة حالكة. **الشخصيات - :** الرئيسية : جماليون - الثانوية : الجوقة، فينوس, أبولون، نرسيس

الأحداث والوقائع - : مرض جماليون واعتناء نرسيس به. - جدل جماليون مع نرسيس. - **ندم جماليون على طلب إعادة جالاتيا تمثالا واشتياقه إليها كزوجة حقيقية وبالتالي امتناعه عن رؤية تمثالها.** - هروب جماليون من منزله وذهابه إلى الغابة رغم مرضه. - لحاق نرسيس به. - افتتاح أبولون الدائم بتمثال جالاتيا وإحساس فينوس بالنصر على جماليون بعدما حدث له - .عودة نرسيس بجماليون إلى المنزل. - اقتراح فينوس إعادة الحياة من جديد في جالاتيا بعد إشفاقها على جماليون ورفض **أبولون ذلك.** - تحطيم جماليون لتمثال جالاتيا. - لفظ جماليون لأنفاسه الأخيرة وموته.

وإلى الجزء التالي الأسبوع القادم.

الحلقة (61)

تطبيقات:

"الشوفان" المتبادل في العلاج النفسي

(المفروض: بيجماليون 2 من 2)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.

أما قبل:

هذه هي آخر لوحة تشكيلية مستلهممة منهم (معظم التالي هي لوحات ذاتية)، وهي نشرة تقع في موقع متوسط بين ما أشرت إليه مما نبهت أنه أقرب إلى السيرة الذاتية، وبين ما استلهمته من أقرب من سمحوا لي بالاقتراب، وهي كما ننوه دائما مع كل لوحة، لا تصف شخصا بذاته إلخ...

تقديم

لابد أن أعتذر لاختيار عنوان "بيجماليون" للحلقة السابقة، وقد سمحت لنفسى أن أغير العنوان لما يلي: من ناحية أنا اقتبست من موسوعة ويكيبيديا موجز مسرحية بيجماليون، وليس أسطورة بيجماليون، ومن ناحية أخرى فهذه اللوحة التي نشرح متنها لا تشترك مع المسرحية أو الأسطورة إلا في الإشارة إلى أهمية التفرقة بين الرؤية الموضوعية (الموضوع الحقيقي) والرؤية الذاتية (الموضوع الذاتي: نرى الآخر ونستعمله، من صنعنا نحن، وليس "كما هو")، وهذا أمر سبق أن ناقشناه ونحن نقرأ أكثر من لوحة في هذا العمل.

لكل هذا فضلت أن أكمل الشرح تحت اسم آخر، خاصة وأنى سوف أركز على التطبيقات في العلاج النفسي، بعد أن شملت الحلقة الأولى من شرح هذه اللوحة جرعة شخصية مفردة.

وسوف نرجع الآن إلى منهج قراءة المتن فقرة فقرة، مع تعديل طفيف لما تم فيه من تحديث، تركيزاً على ما يتعلق بالعلاج النفسي أساساً.

(1)

العين دى عيونها صعب،

كوتشينة ومجتك : يا السبعة الكومى، يا البنت القلب.

ساعه تعرف سر الدنيا ف كنكة قهوه .

وساعات اظبطها بتكشف سرى، على سهوة

والعدسة بتاعق اللى بتكبر،

تيجى لخدائها وتدغوش، وتصغر،

إضافة إلى ما ذكرنا في الحلقة السابقة بالنسبة لهذه الفقرة، نؤكد أن رؤية الطبيب (المعالج) النفسي تكون أقل موضوعية إذا ما استعمل نفس العينين اللتين يمارس بهما مهنته، ثم نضيف أن المعالج هو إنسان عادى يحتاج أيضاً أن يرى "كله"، بمعنى أنه لا يكفى أن تُرى كفاءته، أو مهارته، أو نتائج عمله، بل إنه - مثل أى واحد - في حاجة إلى أن يرى إنساناً ضعيفاً عادياً محتاجاً هو أيضاً أن يكشف نفسه وداخله لآخر، ولعل هذا ما كان يقوم به التحليل النفسي التدرجى في المدرسة الفرويدية الكلاسيكية، حين يشترط على المحلل أن يقبل أن يحلله محلل أكبر حتى يُسمح له بممارسة التحليل النفسي، لكن ذلك كان شرطاً معجزاً غالباً، وأيضاً إجراءً مصنوعاً، المفروض أن نجد سبيلاً يحقق هذا الهدف من الفرص المتاحة من "الممارسة تحت إشراف" مباشر أو غير مباشر عبر كل مستويات الإشراف التي سبق ذكرها (نشرة مستويات الإشراف) بما في ذلك أقرب الأقربين إليه .

في هذا التشكيل نلاحظ كيف أن صاحبة هذه العيون الصعبة المخترقة ذات الحدس الجيد، قد تبين من المتن أنها قد تكتشف داخل صاحبنا (أنا) مصادفة، رغماً عنه، أو رغماً عنها "وساعات أظبطها بتكشف سرى على سهوة"، وهنا لا يوجد ما يوحي أن صاحب الشأن يرفض ذلك على طول الخط، لكنه سرعان ما يرفض أن يستسلم له أيضاً على طول الخط، فيسارع بالتقليل من شأن قدرتها، فتصغر في عيونه "والعدسة بتاعق اللى بتكبر، تيجى لخدائها وتصغر!!"

في العلاج النفسي "يرى" المريض معالجه كما "يرى" المعالج مريضه، وأحياناً قد تصدق رؤية المريض أكثر (أنظر مرة أخرى نشرة مستويات الإشراف) فإذا استبعد المعالج هذا الاحتمال (أن يراه المريض مثلما يرى هو المريض) فإنه يفقد الكثير من فرص نموه الشخصي، وفرص التعلم من المريض، بل وفرص الاستفادة من إشرافه. مثل هذا المعالج إنما يأخذ موقفاً "حكيمياً" متعالياً / يدعمه بتأويلاته المستمدة عادة من

تنظيره أو أيديولوجيته، ومن ثم تقل فرص العلاج الأعمق، وأيضاً فرص الإشراف الذاتى العملى الإيجابي المستمر من واقع الممارسة.

(2)

وف لحظة صدق أظبطنى

فيه حاجة خطيرة تلخبطنى:

دانا كل ما اقرب حبه كمان

ألاقيها بتبقى كما الشوفان

في ثقافتنا بوجه خاص سرعان ما يتنازل المريض عن رؤيته لعلاجه، بكل من ميكنازم "التقديس" و"الإنكار" معاً، وكأن رؤية المعالج وتفسيراته هي الأصل، وهى المرجع، وبالتالي ينقلب المريض (يتشكل) ليكون أقرب إلى ما يراه المعالج، بما في ذلك الصورة التي رآه عليها (راجع بيجماليون الحلقة السابقة) "ألاقيها بتبقى كما الشوفان"، أى أن المريض يشترك في هذا التزييف للإدراك، فيختفى كيانه "كآخر"، وتراجع فرص الحوار الموضوعى والاستفادة المتبادلة

(3)

لو شاييف خوفها : أتلخبط،

وساعات أنكره يعنى استعبط!

مش يمكن نفسى أخاف على حسّ أمانها.

قوم دغرى تحبى خوفانها،

وتخاف مالخوف.

هذه الفقرة لا تصلح بشكل مباشر أن يقاس عليها في العلاج النفسى، ذلك لأن خوف المريض النفسى هو متعدد التجليات والأنواع، ونادراً ما يعتمد المعالج على ما يبدو على المريض من الطمأنينة ولو كانت طمأنينة ظاهرة، لأنها تكون أقرب إلى الإنكار واللامبالاة، فلا يصلح قياس المتن هنا على ممارسة العلاج النفسى "إكمنى نفسى أخاف على حسّ أمانها"، فالطبيب لا يستمد طمأنينته أبداً من أمان المريض، هذا من حيث المبدأ، لكن علينا ألا ننسى ما يتعرض له الطبيب النفسى من تقلب يجعل رؤيته أقرب إلى الكشف الذى يمر به المريض الذهان خاصة، وفي هذه الحالة قد يشارك مريضه بعض أفكاره مع اختلاف مآلها، وحمل مسئوليتها، فإذا ما تمادى خوف المريض حتى من رؤيته الكاشفة هذه، فقد يتراجع الطبيب عن مشاركته، فينطبق عليه نسبياً، ولو بدرجة قليلة جداً ما جاء في هذه الفقرة.

ثم إن الذى يشجع الطبيب أن يتعلم من مريضه فيغامر برؤية ما يتجاوز المسموح به: هو مشاركة المريض له هذا الخوف من كشف المخبوء، والذى عادة ما يتمادى عند المريض

سلبيا، في حين أن الطبيب - إذا سمح لنفسه - قد يستوعبه إيجابيا إلى إبداع ونمو محتملين.

المريض الذى يخفى خوفه، لأنه لم يجد من يشاركه، أو لأن معالجه، - كما المحيطين به - خاف منه، قد يفعل ذلك نتيجة خوفهم من خوفه ومن ثم خوفه من خوفه هو: "قوم دغرى تخي خوفها، وتخاف ماخوف"، وهذا ليس هو العلاج النمائى الذى يسعى إلى استيعاب الخوف واحتوائه، لا إنكاره على طول الخط.

(4)

وإذا شفت عيونها عدت خط الصد،

تبدأ حسابات الجمع، الطرح، الضرب، الشك، الرفض، العد:

ودى مين؟ حاتشوفنى بايه !!؟

دا انا متمنظر، دانا بيه !!

دى عنيتها أنا اللى عاملها

دى قصيدة انا اللى قايلها

على طول أرفض شوفانها.

(ماهو لازم من عوزاتها)

نفس الفكرة: حين تتجاوز رؤية المريض ما يسمح به الطبيب (أو ما يقدر أن يسمح به حفاظا على تماسكه هو)، وهذا ما يعنيه المتن بـ "حاجز الصد"، حين تتجاوز رؤية المريض هذا الحاجز المصنوع من المنطق، والفوقية، والحسابات التأويلية، والأيدولوجيات الجاهزة، وتعاليم السلطة الدينية (لا حركية الإيمان)، أقول حين تتجاوز رؤية المريض هذا الحاجز، يبادر الطبيب - عادة - بالتأويل، ولصق لا فتات الأعراض والتشخيص، يلحق هذا وذاك بمذكرة "حيثيات الحكم" حسب النظرية التى ينتمى إليها الطبيب، وهنا تكمن خطورة المسارعة بالتصنيف والتوصيف ظاهرا، وبالتأويل والتفسير على مستوى أعمق. الدفاع الذى يلجأ إليه الطبيب فى هذه الحال عادة يكون بأن يصعد فوق مستوى المريض (المستوى الذى يفترضه) درجتين أعلى منه، "دانا متمنظر دانا بيه"، ثم يصدر أحكاما أكثر حبكة من بينها: أن المريض مريض، وأن ما وصل إليه من رؤية لا يمكن إلا أن تكون صدى لرؤية طبيبه اقتناعا برأيه، "دى عنيتها أنا اللى عاملها، دى قصيدة انا اللى قايلها"، وهو عادة ما يفسر رؤية المريض بأن كل ما خالف رؤيته هو ليس إلا نتيجة لاحتياج المريض لا أكثر "ما هو لازم من عوزاتها".

(5)

أنا قلت أشوفها ف عين الناس.

وأتارى الناس بتشوفها بعيونى،

ما هو أصل الناس دول يعنى: من صنعى شوية

ما هى خيبة قوية !!

ثمّ نوع من المصادقية يسمى "المصادقية بالاتفاق" Consensual Validity نعتمد عليها كثيرا بحق، وأحيانا بغير وجه حق، وهى أن تتفق مجموعة من المشاهدين على رؤية (أو رأى) بذاتها، وبالتالي تصبح هذه الرؤية صادقة، اعتمادا على هذا النوع من المصادقية، وهو منهج له عيوبه وضعفه، لكنه من أهم أنواع مناهج المصادقية العملية التى حافظت على مسيرة التطور.

فالأنواع تتفق، دون رموز أو حسابات، على ما يصلح لبقائها، وتتعاون فى تطبيقه، وتكافل مع بعضها البعض من خلال ذلك أيضا، فتبقى،

وكذلك هذه المصادقية هى أقرب إلى بعض أشكال الديمقراطية التى تزعم أن اتفاق الأغلبية على رأى (أو على شخص) هو دليل على أنه الأقرب للصحة أو الأقدر على القيام بالمهمة،

إلا أن ذلك ليس صحيحا على طول الخط، فالانواع التى انقرضت اتفقت على أسلوب فى الحياة أهلكها، والديمقراطيات الزائفة، والمزيفة، تتفق على شخص قد يكون هو الأكثر خبثا، وليس الأقدر فعلا.

فى العلاج الجمعى، نستعمل "المصادقية بالاتفاق" دون تسليم، ولكن كمشروع (فرض) قابل للاختبار، وكلما كان المعالج من النوع المقترح القادر المؤثر، أصبحت المصادقية بالاتفاق أقل موضوعية، فقد يميل أغلب أفراد المجموعة، أو كلهم، إلى مشاركته الرأى، أو ترديد إحساسات أقرب إلى إحساسه، وهذا أمر لا يمكن تجنبه إلى بمواصلة اختباره بأكثر من اقتراب وأكثر من طريقة،

المتن هنا ينبهنا إلى احتمال اختبار هذه الرؤية من خلال الاستعانة برأى المجموع "أنا قلت أشوفها ف عين الناس" لكنه فى نفس الوقت يحذرننا من احتمال الخداع للأسباب السالفة الذكر. "وأتارى الناس بتشوفها بعيونى، ما هو أصل الناس دول يعنى: من صنعى شوية، ما هى خيبة قويّة!!".

(6)

وابص كويس فى عنيتها

ألاقينى فيها !!

يا ترى دى مرايتى،

ولاً أزاؤها..؟

يا ترى عايزاني؟

ولأنا بس اللي عايزها !!

وهكذا تتواصل المراجعة والنقد دون تسليم تلقائي حتى لإجماع الرؤية.

هذا المقطع يعيدنا ثانية إلى التنبيه إلى الفرق بين "الرؤية الذاتية" و "الرؤية الموضوعية"، وضرورة التساؤل عن ما إذا كانت الصورة التي تصلنا من رؤية الناس لنا (بما في ذلك رؤية المريض للمعالج) هي صورة منعكسة من رؤية المعالج (مرايتي) أم صورة واصله من خلال شفافية رؤية الآخر (ولا إزائها).

وأيضاً قد يتصور لنا (بما في ذلك المعالج أحياناً) أن الآخر هو الأكثر احتياجاً لنا، في حين أن الحقيقة قد تكون العكس "يا ترى عايزاني؟ ولأنا بس اللي عايزها".

(7)

يا ترى دا الخير اللي يطمّن؟

يا ترى دا الخوف اللي يحنن؟

يا ترى ده الحب اللي يوثّنون؟

وهكذا يظل الباب مفتوحاً للنقد،

ونقد النقد،

ويصبح التساؤل الممتد هو صمام الأمن ضد التسليم الساكن سواء في العلاج النفسي أو في حركية النمو

(8)

أنا نفسي أشوفها انها هيّا

يبقى الشوفان ليها وليّا

تختم هذه القراءة من جديد بالذكورة بأن العلاج عموماً، والعلاج النفسي خاصة، إنما يؤتى ثماره للمريض شفاءً، وللطبيب (المعالج) نماءً وخبرة، كلما زادت جرعة النقد الذاتي، وكلما رأينا "الأمر كما هي"، وبالتالي نرى الآخر على مسافة موضوعية: لا هو مرآة نرى فيها أنفسنا كما نحب أن نراها، ولا هو صدى لما يدور داخلنا مهما كانت صحته،

هنا تصبح الرؤية الموضوعية هي السبيل إلى أن تحقق العلاقة الإنسانية وظيفتها: أن نكون بشراً معاً،

وهذا هو غاية العلاج في نهاية النهاية!.

الإربعاء 21-04-2010

964-المعلم (1) من كثير؟



دراسة في علم السيكوباتولوجي
في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحالة: (62)

المعلم (1 من كثير؟)

(1)

طب والمعلم.....؟

له عيون كما العيون؟

بتقول كلام هوأ الكلام؟

ولأ كلام غير الكلام؟

أذكر القاريء هنا بعض ما هدفت إليه من هذا العمل
ما ذكرته في المقدمة حيث قلت: إنها -أيضا- تجربة شخصية
عنيفة .. علمتي في مهنتي وعن نفسي ما صار هاديا لي، ومحذرا
أيضا، ومحيرا أحيانا،

في العلاج الجمعي، يسرى على المعالج الأساسي ما يسرى على
أى مريض، ويعامل على نفس المستوى، فمثلا: إذ لُعبت لعبة من
ألعاب العلاج النفسي ، وطلب المعالج من مريض أو أكثر أن
يلعبها، فإن من حق نفس المريض أو أى مريض آخر أن يطلب من
المعالج أن يلعبها هو أيضا، وقد اعتدت أن ألعب آخر واحد في
المجموعة، حتى لا تؤثر استجاباتي على بعض المرضى إذ قد
يتمصرون أن هذا الذي قمت به أنا هو المطلوب. المعالج
المبتدئ تحت التمرين، يعفى من معاملة المثل حتى لا يخطو في
رؤيته لنفسه، أو حركة نموه، أكثر مما يستطيع، ويظل هذا

الإعفاء ممتدا حتى يطمئن هذا المدرب أنه آن الأوان أن يسمح بمعاملة المثل.

على نفس القياس، اجلت القراءة في عيون شخصيا حتى نهاية تشكيلات الوعى من خلال عيون الآخرين (كل الديوان) قبل اختتام بالأمل (أظن أن النهاية هي غير الختام) .. وهأنذا أغامر وليكن ما يكون:

هذه المقطوعة هي بعض نفسى، لا كلها طبعاً، إذ من أين لي أن أعرف كلها.

ولأخيار للطبيب النفسى ألا أن ينظر في نفسه كثيراً، وتكراراً، وأن يراجع كل ما وصل إليه، بعد أن يصل إليه، هذا الاضطراب مصدره الأساسى هو ما يتلقاه، من مريضه، وهو مفتوح لكل ما يأتيه ظاهراً وباطناً كمدخل لاحترام مريضه، ومن ثم نفسه، والاحترام هو عاطفة أساسية أعتبرها أرقى درجات الحب، كما أشرت مراراً، وكما أجلت الحديث عن ذلك بالتفصيل مراراً أيضاً.

الشجاعة مطلوبة أكثر كثيراً حين يقارن الطبيب (أو المعالج) نفسه بمريضه، فيصله أن الفرق ليس في التركيب البشرى الأساسى، ولكن في ترتيب هذا التركيب وفاعليته .. ونتاجه، مرحلة بمرحلة، لا بد أن يدرب الطبيب نفسه على ممارسة درجة من العدل والصبر، وأن يتعود الألم المشارك، وغير المشارك، وقد يصل الأمر - إن استطاع - أن يمد معاملة المثل (على الأقل في ما يتعلق بالتخطيط، والتوجيه، والأمان، والوجدان) إلى أقرب الأقربين، بمعنى أن يرضى على مريضه ما يرضاه لِنفسه وعلى أولاده وزوجه، وأن يرجو للمريض ما يرجوه لِنفسه ولأولاده، وزوجه، وهو مضطر أن يحترم الفروق الواقعية، يدرك باستمرار وتجدد أن الاختلافات - إن وجدت - هي فروق تنظيمية خارجية وواقعية، أما موقفه الداخلى ومسئوليته فينبغى ألا يداخلهما لبس أو تفاوت.

تصعيد وعى الطبيب وارد مع طول ممارسته، والشك في مصداقية البصيرة مهما احتدت واجب عليه أيضاً، ومن ثم فالمراجعة والنقد هما الضمان الأول في استمرار التبصر ونمو الوعى. طريق النمو ليس له نهاية، وكل ذلك مفروض أن يصب في صالح مرضاه، من خلال ما أسماه "الإشراف الذاتى" **(نشرة 14-2010 "الشوفان" المتبادل في العلاج النفسى (المفروض): بيجماليون 2 من 2).**

وفي هذه المقطوعة أصف - في محاولة صدق - حيرتى مع نفسى: ومن ثم في دعم مسيرته . ماذا أنا؟ ومن أنا ..؟ وهي بعض سطور من بعض أوراقى .. أما بقية الأوراق فقد أوهب الشجاعة لنشرها يوماً - أو أموت بها أسفاً - (أظن أنى نشرت بعض ذلك لاحقاً في ترحالاتى الثلاثة "الترحال الأول: الناس والطريق - **الترحال الثانى: الموت والحنن - الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال**" لاحقاً، وأيضاً سجلته في بعض شعرى الذى لم ينشر أغلبه 2010)

أعتقد أن هذه الحالة "المعلم" هي محاولة متواضعة تواضع العاجز دون ادعاء، . في نفس الوقت هي إصرار مثابر على مواصلة السعي دون استرخاء إلا ليعاود السعي، ويا ويح من لا يجد رفيقاً يؤكد له أن هناك من سبقه على هذا المضمار ولم يتنازل، ولم يتناثر، ولم ييأس.

أعتقد - أو لعلّي آمل - أن تقوم هذه الأوراق بتقديم فرصة اثتناس "عن بعد" لمن يحاول ويتأبر.

يبدأ التشكيل بالتساؤل:

هل الطبيب النفسي له نفس مشاكل المريض، ولغة عينيه، ورهبة رؤيته، واضطراب ذاته..؟ (له عيون كما العيون؟) وهل كلامه 'الكبير' يحمل المعنى والفعل والمسئولية بالقدر الذي ينبغي أن يحملها؟ أم أنه كلام للاستعمال الظاهري؟ يصلح 'للمرضى' (والآخرين) ولا يسرى عليه ولا يصلح له؟ بتقول كلام هؤلاء الكلام ولا كلام غير الكلام؟ هل هو يبيع النصح والفتاوى والتفسير والتأويل لغيره مرضى وغير مرضى، أم أنه يغامر فيعد نفسه أحد هؤلاء الذين تصادف أن أعطوه فرصة مختلفة لا أكثر؟

تقمصت الصورة التي وصلت إلى بعض (أو كل) الأصدقاء خوفاً، وتحفزا، ورفضاً، ونقداً كالتالي:

(2)

شيخ الطريقة قاعد لي كما قاضي الزمان.
بيقسّم الأرزاق ويمنح صدك غفران الذنوب،
وكان مشكلة الوجود،

ما لهاش وجود،
إلا حداة.

عامل سبيل إسمه "الحياه" :
"قال ده يعيش ،
ودى تموت،

ودا مالوش الا كده".

قاعد يصنف في البشر حسب المزاج:

"لازم تعدي عالصراط"

واللى بيشبه حضرته يديه قيراط:
في جنته ،

واللى يخالف هو حرة.

يكتب على قبره ماشاء:

ميت صحيح، لكنه حرف تربته .

وان قلنا ليه ياعمنا ؟

بيقول كما قاضى الزمان:

ماقدرشى يمشى عالصرطا، ويكون "كمثلي".

ونقوله: مثلك يعنى إيه ؟

يتخض ويبان فى عينيه،

سؤالات كثير:

بتقول عينيه:

فى هذه التجربة الخاصة جدا، لم أكن الأنضج أو الأكثر خبرة شخصية، وإن كنت غالبا الأكثر خبرة مهنية، ومع ذلك بدا للجميع أنى شيخ طريقة خاصة، العارف بالمطلوب والطريق، والتوجه، وبالتالي هو يملك أدوات قياس الخطى، وحسن الأداء.... الخ، وكل هذا غير صحيح، إلا أنى لا انكر أنه كان هو ما وصل إلى أغلب المشاركين، فلعه هو الصحيح، فإن كان الأمر كذلك، فهذا هو الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه أى قائد مجموعة، سواء عيّن نفسه قائدا لها (وهذا نادرا ما يحدث فى مثل هذه الخبرات)، أو فرضت عليه صورة القائد من خلال رؤية الآخرين له .

وبرغم هذا التحذير المبديى، فلا مفر من الاعتراف بأن من يمارس الطب النفسى بالعمق الكافى، سوف يجد نفسه " يعرف أكثر فأكثر" بشكل مضطرد، رضى أم لم يرض، ومعرفته هذه عادة لا تتوقف عند حدود مهنته، بل إنها معرفة عادة ما تمتد - مختارا أو مضطرا- إلى تساؤلات كلية، وفروض محتملة، تتعلق بالوجود الإنسانى عامة، وليس طبيعة المرض والمريض فقط، فهو يواجه المشكلة الأزلية وهى "ماهية الإنسان"، وغائية الحياة، فعمله لا يقف به عند الاكتفاء برؤية جانب من جوانب الانسان مثل فكره أو سلوكه او اسم مرضه أو تقييم معاناته، وإنما هو يضطره بشكل مباشر أو غير مباشر إلى مواجهة تساؤلات موضوعية حول وجوده ومعنى استمراره ... إلخ، هذه الأسئلة قد يلقيها المريض فى وجهه مباشرة من خلال أعراضه أو بصيرته، وقد تتحرك فى الطبيب تلقائيا نتيجة لصدقة مع نفسه وتصديقه أزمة مريضه، هذا أثناء الممارسة، فما بالك إذا مر بتجربة مغامرة عنيفة، مثل الذى أنتجت هذا العمل كله، الذى يجتتم بهذه الرؤية الذاتية الصعبة، التى قد تصدق أو لا تصدق؟

لا يواجه مثل هذه المشكلة إلا من عانى هذا الحدس العلمى الفنى الوجودى العميق الذى اضطره اضطرارا إلى مواجهة مشكلة الوجود البشرى، ليس فقط فى مطلق غايته، ولكن أيضا خلال مسيرة حياته اليومية.. وما أبعد القطبين، إنه يحمل هذه الرؤية قولا ثقيلًا، لا يستطيع أن يتخلص منها بعد

أن أشرفت في عقله ووجدانه معاً، وهو أيضاً لا يستطيع أن يغفلها وينحيتها جانبا لأنه يراها كل يوم عدة مرات في مرضاه، وطول الوقت في نفسه، وهو لا يستطيع أن ينظرها في فكر مجت، لأنه ليس فيلسوفاً يبحث وراء ماهية المفاهيم في ذاتها، وهو ليس فنانياً مجورها ويعلنها بالرموز ليوثق بها الناس يوماً ما، وهو ليس نبياً يحاول أن يحققها على أرض الواقع فعلاً يومياً ثائراً مستنداً إلى السماء وما بعد الحياة الدنيا، وهو ليس متصوفاً بحيث يستطيع أن يضبط جرعة ما يبوح به وما لا يبوح به للعمامة خاصة، وهو ليس عالماً بالمعنى الذي انتهى إليه أغلب العلم المؤسساتي الذي أصبح أقرب إلى كنيسة المعلومات المنزلة الحكومة بالمناهج الثابتة،

إذا كان هو ليس كل ذلك، فما هو ومن هو ؟

أظن أن هذه السلسلة من النشرات - مرة أخرى: الأقرب إلى السيرة الذاتية- هي محاولة لعرض بعض الإجابات الناقصة، التي تتعلق بفرد واحد، مَرَّ بما أتيج له ووضع إجابات هي بمثابة فروض عاملة لا أكثر ولا أقل.

نبدأ بالصورة التي وردت في هذا الجزء من المتن، وهي الصورة التي تصور هو أنها وصلت إلى مستوى ما من وعى من خاضوا التجربة معاً، ورفضوه، وأحبوه، وحذروا منه، وتساءلوا عنه، فألقى سلاحه وتقمصهم وهم يتساءلون عن ماهيته وقد بدا لهم أنه يدعوهم ليكونوا نسخة منه (وهذا غير صحيح غالباً كما سوف يتضح من هنا حتى نهاية هذا العمل)

ولكن دعوى أضيف الفقرة التالية حتى يتأملها القارئ قبل أن نعود إلى شرح الفقرتين معاً في النشرة القادمة، ذلك أنه يبدو أن صاحبنا قد قبل التحدي، دون أن يقر أنه فعلاً يريد أن يكونوا "مثله"، فكل بقية هذا التشكيل تقول أنه حين قبل التحدي "مثلك يعني إيه؟"، اكتشف في دهشة أنه لا يعرف الإجابة، فقفز إليه نفس تساؤلهم، وراح يبحث معهم : صحيح : مثله يعني إيه ؟ وبرغم أنه لم يقر أنه يريدهم أن يكونوا مثله، إلا أن للسؤال مشروعيته في ذاته، فإن صح أنه يعرض على الآخرين نوعاً من الوجود يليق بالبشر، فهل يا ترى حقق هو هذا النوع، فإذا به يكتشف أنه يسعى، ما زال يسعى، وسوف يظل يسعى غالباً، وفي سعيه هذا يرى صورته من أكثر من زاوية، في أكثر من تجلٍ كما بدت في هذا التشكيل.

وبعد

نكتفي بهذه المقدمة التي نختمها بإضافة فقرة واحدة، دون الصورة كلها كما سبق أن فعلنا في تشكيلات سابقة، وذلك حتى نعود في النشرة القادمة إلى قراءة تساؤلاته وخاوفهم، (ما سبق عرضه من المتن في بداية هذه النشرة) ، جنباً إلى جنب مع تساؤلاته عن ماهيته هو، كما نوردتها في الفقرة التالية من المتن التي تعلن بعض هذه التساؤلات بعد الدهشة: "يتخض ويبان في عينيه، سؤالات كثيرة:"

(2)

يا هل ترى عمال باشوف الناس عشان أهرب ما شوفشى مين أنا ؟

ولا باشوفنى الناس ؟ ؟

نفسى أشوفنى من بعيد

من تحت جلدي.

من وسط قضبان الحديد.

من غير كلام ولا سلام.

أقلب عيونى ولا ابص فى المرايه ؟

...

أنا لو أبص فى المرايه حاشوف "خيال".

إيده اليمين إيدى الشمال.

واقف بعيد ورا الإزاز.

واجى أقرب للمرايه التقى برد الجماد.

وشى يببط، والنفس بيغطى تقاسيمه كما جيل السحاب

قدام قمر مَوْحود حزين.

واما قلبت عيونى جوه عميت.

وحاولت ابص:

حاولت اقرا فى الضلام

مالقيت كلام.

ورجعت أبصلكم هناك، فى عيونكم انتم .

أنا أبقى مين ؟

.....

وإلى الحلقة القادمة

(يا ترى سوف نصل إلى كم حلقة...؟)

الإثنين 28-04-2010

971- المعالمم (2)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي
في فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحالة : (63)

المعلم (2)

مقدمة :

وعدنا في الحلقة السابقة بشرح الفقرتين معاً، لكن يبدو أن الإيقاع سيرى أبطأ كثيراً لدرجة أننا سنكتفي في هذه النشرة بجزء من الفقرة الأولى فحسب.

(2)

شيخ الطريقة قاعد لي كما قاضي الزمان.

بيقسم الأرزاق ويمنج صك غفران الذنوب،

وكإن مشكلة الوجود،

ما لهاش وجود،

إلا حداة.

عامل سييل اسمه "الحياه" :

"قال ده يعيش ،

ودي تموت،

ودا مالوش الا كده".

قاعد يصنف في البشر حسب المزاج:

"لازم تعدى عالصراط"

واللى يشبه حضرته يديه قيراط:

في جنته ،

واللى يخالف هوه حر.

يكتب على قبره ماشاء:

ميت صحيح ، لكنه حرف تربته .

وان قلنا ليه ياعمنا ؟

بيقول كما قاضى الزمان:

ماقدرشى يمشى عالصراط، ويكون "كمثلي".

مازلت أقمص رأيهم (رأى الأغلبية) في الصورة التي تلقوها عن نوع حضور هذا القائد القاهر (المعلم) وكأنه يفرض ذاتية وجوده على غيره بشكل حرفي، وكأنه يريد من الآخرين أن يكونوا نسخة منه، هذا التلقى (من المريض أو الأبناء أو أي واحد) وارد في العلاج النفسي وأحيانا يكون حقيقة عند بعض المعالجين الذين لا ينتبهون إلى نوع وجودهم الذي يستمدونه من سلطتهم على مرضاهم .

هذا هو ما أحنأ إليه في النشرة السابقة، والمعلم بذلك يبدو أنه مثل شيخ الطريقة (الصوفية) له مريدون، ومنهج (طريقة)، و"رؤية" (حقيقية!) المهم هنا، إضافة إلى ما جاء في النشرة السابقة، أن استقبال مرضاه (وأحيانا المحيطين به أيضا)، يصورهم أنه يصنفهم على مزاجه

"قاعد يصنف في البشر حسب المزاج"،

والتصنيف هنا ليس بوضع لافتة تشخيصية (اكتئاب، فصام... الخ)، لكنه تصنيف أقسى وأكثر ذمغاً. هذا ما يصل للخائفين من طغيان شخصيته، وهو تصور إصدار أحكام على علاقة المريد بالحياة ذاتها. التصنيف يشمل تحديد جرعة الحيوية (الحياة) التي يتصف بها المريض (أوغیره)، فكثيراً ما يصف الطبيب النفسي (أو المعالج) مريضه بأنه ميت (انظر نشرة "التدريب عن بعد" أمس link).

بصراحة دعوني أعترف أنني بعد حيرة طويلة انتبهت إلى أنني لا أنتمي إلى أيديولوجيا معينة، أو حتى أية منظومة ثبتتها وصاية أوصياء عليها مهما كان تقديسها، بقدر ما أنتمي إلى ما يمكن أن أسميه "حركية الحياة"، وليس عندي توصيف أكثر من أنها "استمرارية الحفاظ على الوجود البشرى نابضاً في دورات استيعاب فإبداع، لا يتوقفان (حتى بعد الموت مؤخرًا)، يبدو أن هذا اليقين يصل إلى المحيطين بي باعتباره يقيناً ثابتاً، مع أنه ليس أكثر من "قانون" أو "برنامج له قواعده"، التي لا أعرف إلا أقلها.

يبدو أنه ترتب على انتمائي لما أسميته "حياة" كقيمة في ذاتها: أن الآخرين تلقوه باعتباره "أيدولوجية ما: حتى لو كان اسمها "الحياة"

عامل سييل اسمه "الحياة"،

وبالتالي يمكن تصور هذا التلقى من الآخرين مع احترام أسبابه، بأنه ينتهي إلى: "إن من يتبع هذا الطريق: "النبي المستمر" والتغير الورد دائماً ، والبسط (الإبداع) المتناوب، فهو يتبع طريقة "المعلم" "شيخ الطريقة"، لكن استقبالهم هنا وأنا أتقمصهم أكد لي أن هذه "الطريقة" التي صورتها شيخها، قد وصلتهم باعتبارها أيدولوجية أقيس بها درجة "حركية الحياة" عندهم، وبهذا تصبح المسألة أفسى، وأخفق إحكاماً، من أية أيدولوجية أخرى، لأنها تصل إلى الآخرين، وكأنها "براءات وجود بدرجة كذا":

وهم يصفون التصنيف - من وجهة نظرهم - بخطوط كاريكاتيرية هكذا:

هذا يصلح لأنه ينتسب إلى البرنامج

"قال ده يعيش!"

وهذه لا تصلح أصلاً للانتماء إلى هذه "الحياة"

"ودى تموت"

وذاك يكفي هذا القدر من جرعة الحياة

"ودا مالوش إلا كده"

هكذا كان تصوري لاستقبال الخائفين من هذه الحركية أو هذا البرنامج باعتباره أيدولوجية مفروضة، وكأن عليهم أن يتبعونها ليحظو بنیشان الشهادة أنهم "أحياء"،

وهنا يقفز سؤال على لسانهم: إذا كان هذا هو المطلوب يا عمنا فكيف يمكن تحقيقه؟

وهو سؤال لا يمكن الإجابة عليه إلا بأن... "المطلوب هو" هكذا" دون تحديد.

ويتكرر السؤال، فيأتى جواب ضمنى أنه إن لم توجد تفاصيل مسيقة لعالم المذهب، فثم طريق إليه، وهو ما يقابل "المشى على الصراط"

مفهوم "للمشى على الصراط" له معنى قصة طويلة في مسار فكري ووجودي، وقد أسميت ثلاثيتي الروائية "المشى على الصراط" بأجزائها الثلاثة (الواقعة - مدرسة العراه - ملحمة الرحيل والعود) بناء عن هذا المفهوم، أنا أفهم المشى على الصراط باعتباره جزءاً من البرنامج الذي أسميته "حركية الحياة"، وهو يتضمن: "عملية الانتقال" من "حالة وجود" مستقر (ساكن غالباً) إلى حالة "وجود واعد آخر" (غير

معروفة معاله عادة"، أعتقد أن هذا هو ما يسميه فرديريك بيرلز "المشى في النار" Passing into Fire في العلاج النفسي العميق، وخاصة في العلاج الجمعي حيث يتواصل الإفشال التدريجي للآليات الدفاعية المستعملة والمثبتة لحالة الوجود المستقرة، فتتهز الميكانزمات وتتخلخل لدرجة ما، ويُستدرج مُستعملها بعد هز آلياتها إلى "نور البصيرة"، فلا تعود ميكانزماته قادرة على مواصلة عملية التثبيت والتسكين التلقائية، فيتحرك المريض (أو أى شخص ينمو) **مرغما نسبيا** من خلال اختيار عميق إلى احتمال آخر، ويدخل في مرحلة صعبة عادة بعد أن فقد القديم فاعليته وتأسكه **دون، أو قبل، ظهور ملامح الجديد**، برغم يقين ما بأن هذا الطريق (الصراط) هو الذى يؤدي إلى "احتمال آخر"، هذا الطريق هو الصراط، وهو ليس صراطا يؤدي إما إلى الجنة "يديه قراط في جنته" أو إلى النار (المرور في النار بيرلز Passing into Fire) ، ولكنه صراط بين "القديم الساكن" و"الجديد المحتمل" "غير معروف المعلم".

التهام الموجه للمعلم هنا هو أنه يجذع الناس حوله بوعود غامضة، لكنه يخفى في سريرته مواصفات محددة للحياة التى يعتبرها الجنة (ربما اليوتوبيا)، وهكذا يبدو لهم أن دخول جنة الخاصة (الخصوصى) هذه لا يرتبط بكبح السائر على الصراط، بقدر ما يرتبط برضا المعلم

قاعد يصنف في البشر حسب المزاج،

إذن فهو يخلخل القديم، ولا يعد مجديد محدد، ويمنح مقابل رضاه حجات أو قصور (أو أفدنة أو قراريط) في جنته الخاصة، فهى - من واقع تخوفهم - ليست دعوة للتكامل والتطور، وإنما هى دعوة للتبعية والتقليد بأن يكونوا نسخة منها

والى يشبهه حضرته، يديه قراط في جنته

كل هذا وصلنى ضمن وجهه نظرهم التى تقمصتها، وقد تصوروا، أو قرروا، أو اكتشفوا، إن كل ذلك: كان يجرى تحت زعم حرية مشبوهة.

في هذه المواقف العلاجية (وغير العلاجية) يتم استعمال كلمة "الخرية" بإفراط شديد وخداع حقيقى، لا أتردد في أن أشبهه باستعمال أمريكا للفظ الديمقراطية التى تسوقها لنا هذه الأيام لتحقيق الفوضى (وهم يوهمون أنها خلاقة)، حتى تخضع للتبعية والاستسلام، وهم يصورون لنا أن ذلك قد تم باختيارنا (حريتنا).

المتن هنا يحاول أن يعرى صورة "المعلم" كما وصلتهم وهو يدعى أنه مسموح لأى واحد أن يخالف تعليماته، السماح بالاختلاف (مثل مزاعم "قبول الآخر" من على السطح) يبدو وكأنه : منتهى الخرية، لكنه سماح فوقى مشروط "كما يرونه):

والى يخالف "هوه حر"!!

وعليه أن يدفع ثمن استعماله حريته حكما نهائيا بالنفى الإعدامى

ميت صحيح، !!

لكنه حرٌّ فُ تربته!

أية حرية تلك التى تفترض واحدية الاختيار قبل السماح
المزعوم بالاختلاف؟

أية حرية تلك التى تنتهى بالحكم بسحب صفة الحياة منك
بمجرد أن تخرج عن الخط؟

"هكذا يتم الإعدام رميا بالأحكام الفوقية" بعد الطرد
من الجنة.

كما يمكن أن يتم النفى (الإعدام) بالسقوط من على شعرة
الصراط وأنت تترجح عليها مرعوبا.

كثير من المرضى الذين يدخلون هذا المأزق يلحون فى طرح
أسئلة مشروعه معلنة وخفية تقول: مادام القديم قد اهتز
أو تخلخل وتطمم هكذا حتى لم يعد من الممكن الرجوع إليه، فلم
يعد أمامنا إلا المضى قدما إلى المجهول، لكن يظل من حقنا ان
نسال " إلى أين؟" "ثم ماذا؟"

وهم لا يجدون إجابة - من المعلم بالذات- إلا "أنت حر"،
كيف "أنه حر" وهو لم يعد يستطيع إلا المضى قدما على شعرة
الصراط .

هذه الصورة التى تبدو ديكتاتورية إلى هذه الدرجة ليست
حقيقة العلاج، ولا هى كانت حقيقة ما جرى فى التجربة الخاصة
التي أتحدث عنها، (من وجهة نظرى)، إلا أن تعريتها هكذا ربما
تكون ضمانا لعدم حدوثها فى العلاج أو غير العلاج إلا نادراً.

مساحة الحركة، والحضور الاختيارى، والاستمرار الاختيارى
المتجدد لفترة من الزمن تسمح بمواصلة السير على الصراط إلى
الوجود الجديد الذى يصبح قديما ليتهتز وتدخل إلى صراط تال
وهكذا، هو قانون حركية الحياة.

المشى على الصراط لا يوصل صاحبه إلى غاية محددة، لكنه
يؤكد له سلامة توجهه كدحاً،

إن أسهل سبل الهرب من مواجهة مواصلة السعى اختيارا
هو أن يتصور المريض (أو أى شخص) أن المطلوب هو أن يكون
صورة طبق الأصل من المعالج - المعلم - (القدوة)، إذا هو
واصل المشى على الصراط أملا فى قيراط من الجنة الموعودة،
مادام قد أصبح نسخة من "المعلم"!

لكن كيف يكون مثله والمعلم نفسه ليست له معالم محددة
ومعلنة؟ فيتواصل التساؤل:

"ونقول له: مثلك يعنى ايه؟"

يسكت.. يتوه

يسرح.. يقف!

وعنية تقول.. كلام كثير:

وهكذا لا يجد الخائفون جوابا جاهزاً.

المعلم شخصياً لا يعرف الجواب

فيبدأ البحث عن جواب وفي عينيه "كلام كثير"

نقرأه معه في الحلقات التالية.

الإثنين 2010-05-05

978-المعلمم (3)



دراسة في علم السيكوباتولوجي
في فقه العلاقات البشرية
لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على الممتن : ديوان اغوار النفس

الحالة : (64)

المعلم (3)

مقدمة:

مازلنا في مغامرة قراءة هذا النص الأقرب إلى السيرة الذاتية، وأعتقد أن التقدم فيه بهذا الببط يرجع - ولو جزئيا- إلى المقاومة التي أعانى منها وأنا أتناوله، لكن ما يصبرنى هو أملى أن يكون فيه ما يفيد في العلاج النفسى، غير تلميحات السيرة الذاتية.

يا هل ترى عمال باشوف الناس عشان أهرب

ما شوفشى مين أنا؟

ولا باشوفنى الناس؟؟

نفسى أشوفنى من بعيد

من تحت جلدي.

من وسط قضبان الحديد.

من غير كلام ولا سلام.

أحيانا تكون رؤية الطبيب النفسى - والفنان - للآخرين،

ثم تصنيفهم وحتى علاجهم ونقدمهم، وتصويرهم . . هي مهرب من رؤية ذاته، ليس بمعنى الاستبطان كما أشرنا، وإنما بمعنى البصيرة كما تمنينا، وإذا لم يمارس الطبيب رحلة الداخل والخارج من الناس إلى نفسه، وبالعكس، فإنه خليق أن يعانى من إعاقة نموه هو شخصياً، ثم إنه حين يرى نفسه في الناس دون نفسه فإنه لا يرى نفسه، أو كما قال لى أحد الأصدقاء (المرضى) مرة: "أنا لست امتدادك الجغرافى". فأيقظنى على يقظتى، (علما بأن هذا الصديق قال هذا التعليق بعد أن كنت قد كتبت هذه الفقرة بسنوات..). وفى محاولة الرؤية الصادقة.. لابد أن يقف الإنسان من نفسه موقفاً تجاوزياً (من بعيد) . . حتى يمكنه أن يحكم، على ماهية وجوده . . ومن ثم يعدل من مسيرته باستمرار.

نفسى أشوفنى من بعيد

الرؤية ليست مجرد تقييم للسلوك، ولكنها - حتى تنفع - لابد أن تكون رؤية حقيقية الوجود، أو بعض ذلك على الأقل، وهى تحتاج أن نبتعد ونقترب مما نريد أن نراه، فما بالك برؤية الذات، الرؤية هنا استلزمت هذه النقلة إلى مدى يسمح أن يكتمل المنظر.

نفسى أشوفنى من بعيد: من تحت جلدى

لامفر من مغامرة الغوص إلى ما تحت السطح بصدق ومعاناة..، ومرة أخرى أكد أن هذه ليست محاولة استبطان (Introspection)، وأيضاً يحتاج الأمر إلى التخلص من سجن المهنة والأحكام المسبقة:

من وسط قضبان الحديد.

قيود الطبيب النفسى الظاهرة كثيرة وصعبة، مثل تواصل اتصاله بالمجتمع، وحكم المجتمع عليه بما هو ليس هو، وانتظار المجتمع منه ما ليس عنده، وممارسته اليومية، فى مجاله وخارج مجاله... الخ، أما قيوده الداخلية فهى أشد وأصلب فهى آلياته (ميكانزماته) التى تحميه من جرعة رؤية لا يقدر عليها، ومن مفاجآت معرفة تفوق مسيرته أو تغير مجراها، دون إذنه، ودون ضمانات المآل.

ولكن كيف نضمن أن الرؤية ليست استبطاناً معقلناً؟

أعتقد أن ذلك يتحقق حين نفاجأ بنتائج البصيرة النافذة أكثر مما يتم من خلال جهد تفكيرى قصدى، نعم: لا يوجد قرار يسمح بهذا الكشف البصرى، وإنما يوجد قرار للتعرض لاحتمال ذلك، ربما هذا هو ما أشار إليه النص، وهو يستبعد أن تكون الرؤية كلمات مرصوفة أو تحتاج إلى تمهيد معين.

من غير كلام ولا سلام.

* * * *

ثم يبدأ المتن فى سرد محاولات شحذ البصيرة خطوة بعد خطوة بشكل مباشر، أو بانعكاس محتمل

أقلب عيونى ولا ابص فى المرايه؟

نبدأ بالخطوة الأولى وهى: النظر لصورة الذات فى مرآة البصيرة

تعلمنا من قديم ما يسمى "وهل المرآة" Mirror Illusions وهو يشير إلى أن الشخص حين ينظر فى المرآة يرى نفسه على مسافة كأنه واقف خلف المرآة، وحقيقة الأمر أن الصورة ليست إلا منعكسا ضوئيا (!؟)

أنا لو أبص فى المرايه حاشوف "خيال".

يبدو أن هذا النص فى المتن يدعم التأكيد على أن المسألة ليست مجرد النظر إلى الداخل، فقد ينتج عن ذلك أن نرى أنفسنا كما نتصورها وليس كما هى، الشخص وهو يحاول ذلك إنما ينقسم إلى "مُشاهد راضد" بالعقل عادة، و"مشاهدٌ تحت الفحص"، وهكذا يجرى ما يمكن أن يسمى "تشيء الذات"، وهو أمر يقلل أو حتى ينفى أنها رؤية الذات أصلا.

واجى أقرب للمراية التقى برد الجماد.

هكذا: تظهر الصورة باعتبارها صورة، وليست "أنا" الحقيقي بتكثيف طبقاته المتداخلة، وهكذا تتجلى صورة الذات وهى ليست إلا خيال، هو فى حقيقته "عكس" أو "مقلوب" ما هو "أنا"

إيده اليمين إيدى الشمال.

واقف بعيد ورا الإزاز.

* * * *

وشى يببط، والنفس بيغضى تقاسيمه كما جبل السحاب

قدام قمر مظلم حزين.

هذه الصورة استعرتها من بيتي شعر حكاهما لى والدى، وهو معجب بالصورة التى استطاع الشاعر أن يرسمها لتصوير، منظر الشمس فى يوم غائم، (نصف نصف) حين تظهر الشمس من بين سحب متقطعة، ثم تختفى، ثم تظهر إلا قليلا وهكذا، صور الشاعر هذا المنظر، وكأن الشمس هى وجه فتاة جميلة تنظر فى المرآة وتتحسر على جمالها الذى لم يقدره أحد كما يستحق، فلم يتقدم لها أحد حتى تاريخه، تشاهد الجميلة وجهها فى المرآة، فتبهر بجمالها، وفى نفس الوقت تتحسر على أنها لم تتزوج حتى الآن، فتتهدأ أسفاً، فينطلق من تنهيدتها بخار ماء نَفْسِها، فيغضى سطح المرآة بشكل متقطع، هكذا بدت الشمس للشاعر وهى تظهر وتختفى من وراء السحاب الخفيف المتحرك، وهو ما يقابل بخار ماء تنفس الجميلة أمام المرآة وهو يتكثف ويخف ويتفرق بغير انتظام، فتبدو ملامح وجهها الجميل جزئيا أو كليا ويتواصل التنهيد...!!!

ربما كانت هذه الصورة في خلفية وعيى وأنا أحاول أن أنظر في مرآة نفسى، في مقابل تبلج الشمس وتفرجها جمالا، يتكشف لى حزن معتم حتى أخفانى عني.

علاقتي بالحزن شديدة القوة، أنا لا أرحب به ولا أرفضه، أعيش زحمة وأنطلق منه، الحزن الذى بدا في هذه الصورة ليس هو الحزن الذى أدافع عن حقى فيه، لكنه حزن مرّ مظلم يعلن قتامة صخور القمر دون ضوءه الفضى الساحر، أو شاعريته الساحرة.

* * * *

وإمّا قلبت عيونى جوه عميت.

وحاولت ابص.

حاولت اقرا فى الضلام

مالقيت كلام

إذا كان لابد للطبيب النفسى أن يرى نفسه فعليه أن يغامر بتنشيط عينه الداخلية، وهنا نعود للتأكيد على الفرق بين "الادراك" و"التفكير".

فرض العين الداخلية internal eye طرحته مؤخرا في سياق احترام "واقع الداخل" internal reality وذلك لتفسير الهلوس الحقيقية (نشرة 2-6-2009 "بعض معالم المناقشة")، وأيضا تفسير نوم حركة العين السريعة (نشرة 28-4-2009 "مستويات وتشكيلات الحقيقة"، والعين الداخلية") المتن هنا لا يشير إلى هذه العين الداخلية وإنما ينبه إلى أننا إذا حاولنا رؤيه الداخل بنفس العين التى ترى الخارج، وبنفس قواعدها، فلن نرى شيئا أصلا.

أشير هنا إلى أنه أحيانا يشترط في ممارسة التحليل لنفسى أن يمر المعالج ذاته بخبرة التحليل النفسى، وهذه نصيحة طيبة تهدف إلى نفس الهدف الذى أعرضه هنا، إلا أنى أختلف في بعض التفاصيل نتيجة تصورى أن التحليل النفسى بطريقته التقليدية لا يسمح بتعميق الرؤية دون تفسير نظرى ملاحق

أعود فأشير هنا إلى أن طائفة من أطباء النفس والمعالجين يتقنون الاستبصار Introspection لذواتهم حتى تفسير أحلامهم، ولكنها ظاهرة عادة تبدأ بالكلام والملاحظات وتنتهى بالكلام والملاحظات (الكلام المسموع .. أو المكتوب أو الصامت) وهنا تصبح الألفاظ معطلة للرؤية الحقيقية الموضوعية والدافعة للتغيير، ويتوقف الطبيب (المعالج) حيث يظن أنه يتقدم ويعرف، في حين أنه متوقف داخل سجن ألفاظه.

أكرر التحذير من الاستبصار بلا تردد، الاستبصار قد يورى ما هو مجرد انعكاس للحقيقة وليست الحقيقة ذاتها، قد يورى صورة فكرية عن الذات، وليست الذات نفسها، وفي هذا ما فيه من خدعة وتقريب قد يصل غالبا إلى درجة التشويه إذ قد

يُظهر لنا صورة باردة أو محرفة، وليست الحقيقة الحية
الثائرة الخائفة المتحفزة المتحدية معاً.

الاقتراب من حقيقة الذات قد يشوهها (وشى ببطط) إذا كان
اقتراباً يستعمل أداة لا تصلح لها ثم إن مزيداً من الاقتراب قد
يخفي معالمها..

وحاولت أقرأ في الظلام ما لقيت كلام

إذا كانت الالفاظ عاجزة عن وصف ما بالداخل أو شرحه،
وإذا كانت صورة النفس في مرآة الفكر ما هي إلا خيال معقلن
قد يقترب من الحقيقة ولكنه ليس الحقيقة، بل ربما يكون عكس
الحقيقة، أو مسخ الحقيقة، فهل يمكن مواجهة الداخل دون رموز
الفكر، ودون تصوير النفس، مواجهة حسية إدراكية مباشرة؟
..، ربما

هذا ما يحاول أن يشير إليه المتن هنا دون أى ضمان لنجاح
المحاولة.

وبعد

رأيت أنه من الأفضل أن نجمع الجزء الذى تناولناه
بالقراءه من المتن معاً بعد كل حلقة، لنعود إلى الشعر نستمع
إلى احتجاجه على ما لحقه من تشويه بكل هذه الوصاية التى
تورطنا فيها.

وما هو:

يا هلترى عمال باشوف الناس

عشان أهرب

ما شوفنى مين أنا؟

ولا باشوفنى الناس؟ ؟

نفسى أشوفنى من بعيد

من تحت جلدي.

من وسط قضبان الحديد.

من غير كلام ولا سلام.

أقلب عيونى ولا ابص فى المرايه؟

أنا لو أبص فى المرايه حاشوف "خيال".

إيده اليمين إيدى الشمال.

واقف بعيد ورا الإزاز.

واجى أقرب للمرايه التقى برد الجماد.

وشى يببط، والنَّفسُ بيغطى تقاسيمُه كما جيل السحاب

قَدَامَ قمر مظلم حزين .
وَأَمَّا قلبت عيونُ جوه عميت،
وحاولت ابص،
حاولت اقرا في الضلام
مالقيت كلام
وإلى الحلقة القادمة

الإثنين 12-05-2010

985-المعلمم (4)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحالة : (65)

مقدمة :

مازلنا ننتقل من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسي
هذه الحلقة تظهر محاولة رؤية الذات من خلال تقمص رؤية
الآخرين لها، وحدث آرائهم .

(4)

ورجعت أبصّلُكم هناك، في عيونكم انتم .

أنا أبقى من ؟

وألقى صورتي زى ما انتم محتاجين:

أن ترى نفسك من خلال رأي أو رؤية الآخر (أو كليهما)،
شيء مهم،

لكنه لا يمثل إلا بعض الحقيقة،

هذه الظاهرة تحدث في العلاج الجمعي بشكل خاص، قد يحدث أن
تكون المجموعة في حاجة أن تحكم على أحد أفرادها بصفة عامة،
أو في موقف معين، سواء بناء عن مبادرته أو في موقف تفاعلي
يحتاج رأي الجماعة، وهذا ما أسميناه في حلقة سابقة
"المصادقية بالاتفاق".

لكن حقيقة الممكن تعلن أنه مهما كان الاتفاق فإن الاختلاف وارد ومهم، والآراء تكمل بعضها بعض.

حين حاولت أن أشاهد صورتى كيف تتجلى في عيونهم وصلتنى هذه الصور المتلاحقة هكذا:

(1) اللى شايفنى كما النى،

أحدهم يرى المعلم "صاحب رسالة" في الحياة ... تسير على أرجل رغم ضخامتها وثقلها، رسالة تتجاوز آمال وطموحات مهنته، يحاول نشرها حتى ترجح الحياة على الموت، والتطور على الجمود، هذا معنى أن تكون نبيا بلا دعم من السماء،

هذه رؤية معوقة لأن فيها ما فيها من اعتمادية من جانب الرائي، وإلغاء حقيقة الوجود البشرى القاصر الذى يتمف به الطبيب مهما بلغ تقديس مهمته في ثقافة مثل ثقافتنا.

(2) واللى شايفنى ربنا،

قد يتمادى التقدير فالتقديس لدرجة قصوى تبلغ التآليه، فيراه الآخر قادرا على كل شئ، هذا موقف ألعن من الموقف السابق، لأنه بالإضافة إلى أنه يلغى ضعفه البشرى مثل الموقف السابق وأكثر (النى)، فهو يضع عليه مسئوليات الألوهية .. وبالتالي يتخلى مثل هذا "التابع" عن حمل عبء حياته ومرارتها وصراعاتها بعبادة هذا الإله البشرى القادر، هذه الآلية الدفاعية هى من الدفاعات التى تصنع "فراعين الحكام" .. ولو علم هؤلاء الحكام كم يظلمهم من يلغى ضعفهم ويؤكد وحدتهم لكانو أول الثوار على زعامتهم التى تنكر عجزهم الإنسانى .. وتحرمهم من حقهم فى الخطأ وفى الضعف وفى الأخذ.

فى موقف العلاج النفسى الجمعى، تبدأ مثل هذه الآليه الدفاعية من الموضوع الذى وصفه "بيرلز" واسماه "بالروعة أدانك يا أستاذنا الجليل" "Ge professor you are wonderful"، حتى التقديس المطلق أو القدرة المعجزة!! وإذا كان هذا الميكانزم وارد فى ثقافة الغرب فهو أكثر تواترا وإعاقا فى ثقافتنا عشرات المرات

(3) واللى شايفنى واد بزم،

أما الرؤية الثالثة فإنها نقيض وجهتى النظر السابقتين، فهى لا ترى إلا قشرة الشطارة (والحداقة والفهولة ... الخ) الطبيب النفسى غير الأديب والفنان والفيلسوف وعالم المعمل .. إذ أن يديه غانصتان فى أمعاء المجتمع ورجليه فى طين الواقع .. وحتى يستطيع أن يستمر فى أداء مهمته، فى ثقافة ناسه الخاصة جداً، فإنه لابد أن يحذق اللغة السائدة بدرجة قد يبدو أنه لا يعرف سواها (وكثيرا ما يكون هذا هو غاية المراد عند بعض الزملاء، ويسمى أحيانا "الذكاء

الاجتماعي"!!!). الطبيب (النفسي، وغير النفسي) مطالب بالنجاح بلغة الواقع وعلى أرضه، وإلا أصبح مثلاً فاشلاً أمام مرضاه .. وأغلبهم يحتاجون إلى جرعة الواقع أكثر مما يحتاجون إلى مثل هذا الخيال النظري.

وإذ أيقنت ذلك في بداية الطريق، كان عليّ أن أدفع ثمن الصبر عليه، وأن أتحمّل الاتهامات التي لا يرضيها إلا أن يقترن الذكاء الاجتماعي والنجاح المادى بالشر، وهى التى تقترن الخير المثالى بالطيبة أو الخيبة،

سبق أن شرحت هذه الخيلة التى أتصور أننى كنت واعياً بها طول الوقت، وكتبتها شعراً بالفصحى، مرة بشكل مباشر.

من ديوان سر اللعبة:

وبعقل الفلاح المصرى أو قل لؤمه

درت الدورة حول الجسر:

حتى لا تخدعنى كلمات الشعر،

أو يضحك منى من جمعوا أحجار القصر القبر،

أو يسحق عظمى وقع الأقدام المتسابقة العجلى

أقسمت بليلٍ ألا أضعف... ألا أنسى

-2-

وأخذت العهد،

خاصت قدمى بطين الأرض

وامتدت عنقى فوق سحب الغد

-3-

هدبت أظافر جشعى

ولبست الثوب الأسمر

ولصقت اللافتة الفخمة

وتحايلت على الصنعة،

وتحايلت طويلاً كالسادة وسط الأروقة المزدانة

برموز الطبقة...، ..

هأنذا أتقنت اللغة الأخرى،

حتى يُسمع لى، فى سوق الأعداد وعند ولى الأمر

وأعتقد أن خطاى إلى ابنى شعراً أيضاً فى ديوان البيت الزجاجى والثعبان، والذى نشرته كاملاً فى نشرة سابقة (نشرة 11-1-2008 "حوار/بريد الجمعة") كانت فيه إشارة إلى مثل ذلك

وأنا أرنو وكأني أسع؟

كل هذا يعطى الذى "شايبنى واد مرقع أو حدق"، الحق فى أن يرانى هكذا، لكن - أظن أنه عليه أن يواصل الرؤية كما وردت فى القصيدتين (**ديوان سر اللعبة "قصيدة جبل الرحمات"**) و(**ديوان البيت الزجاجى والثعبان "الحاجة والقربان"**)

هذه الفئة التى تصدر مثل هذه الأحكام "واد مرقع أو حدق" يحق لها هذا الموقف النظرى الناقد طالما هى قد قررت أن تؤجل معركة مواصلة النمو على أرض الواقع تحت كل الظروف ، أو لعلها قررت تأجيل القيام بدورها فى انتظار نبضة ثانية لا تعرف ماذا بعدها ومن سيحدد نتائجها. أقول إن هذه الفئة التى تدمغ أى نجاح (دنيوي) وتصفه بالفهلوة، كما تصف من يحققه بأنه "مرقع أو حدق" هى فئة قد تؤدى دورا فنيا فى الحياة، من حيث أنها "تنظر" دون التزام بالتفعيل، وهى تضيق كل الضيق بمن ينجح بأسلوب الواقع، وتتوقف عن أن تقيس خطواته التالية، وفيم استعمل نجاحه وكيف؟

وقد قابلت فى حياتى عينات كثيرة من هذا النوع - وأيقنت أن لها دورها الإيجابي فى المجتمع، فهى يمكن أن تكون بمثابة "ضمير" يعمل عن بعد، إذ، يقف بالمرصاد، فينتبه الثائر الواقعى إلى احتمال انحرافه، أما دورها السلبي فهو حين تفرض نموذجاً مثالياً حركة الثائر المغامر طول الوقت، فلا يخرج عن مثاليته وبالتالي لا يحقق ثورته فى نفس الوقت وقد يكتفى بأن يصدر الأحكام ويرفض اكتساب القوة، لأنه يرفض أن يدفع ثمن ذلك، فيترك مقاليد القوة لمن يسيئ استعمالها، وكأن هذا النوع من الناس يشجع قسمة ضيزى يرضى بها أهل الشر ودعاة الجمود، تلك القسمة التى تقول على لسان أهل الواقع البشع المستمر: لكم المثل الطيبة والذكر الحسن، ولنا القوة والقدرة والسلاح والفعل القاهر. وما أغنى من يقبل مثل هذه القسمة وأعجزه.

(4) والى شايبنى قفل ومتربس حزين،

أقر وأعترف أنني عانيت أيضا من هذه الرؤية كثيرا، فقد كان واضحا طوال التجربة أنني ارفض النكوص للنكوص، أو ربما أخافه حتى لا ينتهى بنا إلى التسيب والإنفلات، وبما أن أية تجربة حقيقية لابد أن تمر بهذا الاحتمال، فربما كنت أمثل عند هذا الرابع (وهم كثر) السقف الذى يمنع التجاوز، وكانت توجه إلى الاتهامات المختلفة الراضية لهذا الموقف من أول اتهامى بالكبت إلى إتهامى بالجن، مرورا بنزع الثورية عنى وكذلك اتهام بفتور طلاقة الفنان، وقد كنت أتألم ليس لأنى فقط لست كذلك، ولكن أيضا لاحتمال أن أكون كذلك، فى الطبعة الأولى كان البعض هكذا. "والى شايبنى قفل مقفول من سنين"،

لست أدري ما الذى جعلنى أغير النص فى المتن بعد ذلك إلى "قفل ومتربس حزين"، ربما لاحتمال التنبيه إلى الربط بين الكبت والحزن، أو لما شاع عنى أنني أقلبها غمًا ، لحظة احتمال "السببان" نكوصاً

موقف آخر كنت أراه وأنا أجتث عن نفسي في عيونهم ..
فالتطبيب النفسي - كما قلت وكررت - ملتزم بالوقائع أشد
الالتزام، ومن هنا يأتي رفضه العنيف لأي نكوص غير مسنول،
ولأية حرية مجرد اللذة، وأي رفض لمجرد العناد

ولقد تحملت من جراء ذلك كل أنواع الرفض والهجوم ..
وكان هذا أيضا من بعض ما ساعدني على رؤيتي لنفسي .. حيث
وضعت هذا الاحتمال أني أمثل لهم سقف القهر، وعاشته بقدر
ما أستطيع، وتقمصت من يرميني به محترما رؤيته حتى انتهيت إلى
أن وجود هؤلاء النقاد هو أقرب إلى " الوجود الفنى الحر"، وهو
في ذلك قريب من الوجود المثالي السابق.

ولكني في النهاية، ومع مرور الوقت أيقنت أن مثل هذا
الوجود لا يصلح أن يكون صفتي الغالبة.

كما رجحت أن هجومهم هو ليس من أجلى .. بل هو رفضي أن
أتمسك بالالتزام بالوقائع إلى قاع مرارته، وفي نفس الوقت
الذي أصر فيه على التطور إلى غاية ما يمكن.

في العلاج النفسي قد يصل للمريض صورة المعالج باعتباره
والدأ قاهرا أو سلطة كابته تمثل نفس هذا السقف الذي
رأيته في عيونهم، وتصبح هذه الصورة معطلة للعلاج حين تتداخل
الأدوار فيغلب على العلاج شكل الضبط والربط، وأيضا تأثير
السلطة الوصية، وكثيرا ما يقوم الطبيب أو المعالج بهذا
الدور بشكل لا شعوري (أو شعوري) حين تتحكم فيه منظومته
القيمية الخاصة، أو نواهي دينه، أو قهر مجتمعه فيتنقل ذلك
إلى المريض بشكل معطل غالبا.

(5) والى شاي فني حرامى أصلى معتبر،

لا يتوقف تشويه صورة القائد أو المعالج في عيون هذه
الفئة عند رفض الفلهوة، وإنما تمتد للاتهام بأنها شخصية
ملوثة في شرفها، حتى السرقة أو النصب.

ولم يكن أمامي أن أرد .. بل كان على أن أواصل مسيرتي
في صبر عنيد، منتظرا حكم داخلي، وحكم الزمن، وفاعلية ما
أقدر عليه خير الناس..، وكان من أقسى التجارب التي مرت
بها أن يأتي هذا الاتهام مؤكدا من أقرب الناس إلى .. ويتأكد
ذلك حين كنت أرفض أن أحملهم - بسلبياتهم ومثالياتهم - على
حفة نجاحي الذي دفعت فيه ما دفعت.

يمكن أكون أنا كل ده .

لكني أبدا مش كده .

قبول ورفض واحترام ومراجعة :

أقر وأعترف مرة أخرى أن هذه الموجات من النقد حتى
الشجب كانت موقظة لي في كل حين ... فكنت أحب أن أعتبرها

آراء صحيحة ما أمكن ذلك .. حتى أظل منتبها إلى احتمال اخرافي .. فأشكرهم في قرارة نفسى على هذه الرؤية - رغم عنف الألم وقد استمرت معى هذه المعاناه مدة طويلة .. فلا أنا أرفض رؤيتهم، ولا أنا أستسلم لها، ولا هى تعوقنى أكثر من المعاناة الخفية .. إذا كان على أن أستمر في الحصول على مقاليد القدرة تساعدنى على تحقيق رؤيتى التى ألقيت على وجدانى وفكرى قولاً ثقيلاً .. وما أصعب كل هذا.

كنت - وما زلت - على يقين من أن من يريد أن يعرف نفسه عليه ألا يرفض رؤية غيره له مهما كانت دوافعها، ومهما بدت بعيدة عن الحقيقة، ومهما كان الألم المترتب على تبني هذه الرؤى المشوهة والمزعجة، فإن وظيفة وجهات نظر الآخرين لا يبدل لها إلا أوهام الوجود المعصوم، وهكذا فإن الذى حدث هو أنه في نفس الوقت الذى كنت أتقبل فيه هذه الرؤية تماماً حتى لو رفضتها ظاهرياً .. فإن كنت أعلم في آخر طبقات وجودى أننى لست مجرد ما يظهر منى لهم، لكننى أيضاً هو ما يصلهم .. فالرؤية الجزئية المنحازة هى - في النهاية - ورغم ما يمكن أن أفيد منها - رؤية جزئية منحازة .. لكنها في نفس الوقت رؤية محتملة، إذن لا يجوز التوقف عند إتهامهم أنهم لا يرون إلا ما يحتاجون، أو أنهم لا يريدون أن يروا بقية ما هو أنا .. فأعود أتقمصهم من زاوية أخرى حتى أنى صنتهم أيضاً كما يلي:

شوفوا كويس يا جماعه :

(1) واحد يقول: خايف أشوفك لسه حبه،

أحدهم يؤجل الرؤية باستمرار .. ويساورنى الشك أن هذا التأجيل هو مجرد عجز عن الاتهام وخوف من التبعية في نفس الوقت، وقد يمتد إلى مالا نهاية.

(2) والثانية بتقول: يا حرام!! طب حبه حبه،

هذه الثانية تشفق من الرؤية (على نفسها في الأغلب) وتعلل ذلك بأنها ترى بقدر ما نستطيع، وقد كنت أرحب من هذه الشفقة بقدر ما أرفضها دون أن أنكر على نفسى حاجتى إليها.

(3) والثالث المسطول لو الكبراج يطرقع جوا مخه

يشوف دقيقة، بس فينه من الحقيقة .

هذا الثالث الغائص في ذاته كان يرى عقلياً فقط .. لكنه لا يجزؤ أن يقترب من حقيقة الوجود الموضوعى أبداً.

هذا الثالث بالذات كانت رؤيته مخترقة فعلاً: مرة اهتمى بأنى أكبر شيزيدى (انطوائى منغلق على ذاته) في الجماعة، ففزعت لأننى كنت تصورت ذلك عن نفسى في لحظات، أما أننى كذلك طول الوقت فهذا ما اكتشفت خطأه: "بس فينه من الحقيقة".

(4) والرابع اللى خوفه عازله جوا سجن المزه، أو جبل الجيوشى،

الود وده يشوف ضلام القبر،

ولا إنه يدوق الصبر،

الصبر مر والشوف يضر.

هذا الرابع: كان يرفض أن يخرج من قوقعته التي تحميه من كل رؤية عادلة... فيها أدنى تفاعل موضوعي يحمل تهديد الخروج إلى مواجهة الحياة.. وتحمل مسئوليتها،

أن ترى الآخر كما هو، إنما يعرضك أنت أيضا أن ترى نفسك، ثم الأخطر هو أنه يعرضك أن تغامر بعلاقة حقيقية... الخ.

ملحق:

المتن على بعضه (اعتذار)

وزجعت أبصّلُكم هناك، في عيونكم انتم .

أنا أبقى مين ؟

وألقى صورتي زى ما انتم محتاجين:

اللى شايفنى كما النبي،

واللى شايفنى ربنا،

واللى شايفنى واد بُرْم،

واللى شايفنى قفل ومتربس حزين،

واللى شايفنى حرامى أصلى معتبر،

يمكن أكون أنا كل ده .

لكنى أبدا مش كده .

شوفوا كويس يا جماعه:

واحد يقول: خايف أشوفك لسه حبه،

والثانية بتقول: يا حرام!! طب حبه حبه،

والثالث المسطول لو الكرباج يطرقع جوا مخه

يشوف دقيقة، بس فينه من الحقيقة .

والرابع اللى خوفه عازله جوا سجن المزه، أو جبل

الجيوشى،

الود وده يشوف ضلام القبر،

ولا إنه يدوق الصبر،

الصبر مر والشوف يضر.

الإثنين 19-05-2010

992-المعلم (5)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان أغوار النفس

مقدمة:

مازلنا ننتقل من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسي هذه الحلقة تظهر محاولة رؤيتي شخصيا لما هو "أنا" ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سلفاء، كما تنتهي الحلقة بتساؤلات عن احتمال "خلط الأدوار" من زاوية أخرى (فقد سبق أن أشرنا إليها).

الحلقة : (66)

المعلم (5)

مقدمة:

وانا مين يشوفني؟

أنا أبقى مين؟

ليسوا هم فقط الذي يرون شاطرا وحاذقا أو دكتاتورا أو نصابا .. إلخ ولكني أنا أيضا كثيرا ما كنت أتفرج .. على هذا الشخص الخارجي الشاطر الحاذق -الذي هو "أنا"- وكأنه لا يجارى في مجالات النجاح، والجمع، والصعود ..، حتى أن بعض من انبهر بي، وصدق مبادئى، أو صدق ما أعلنه من مبادئ على الأقل، قال لي ذات مرة أنه من غير المعقول أن أحقق هذا النجاح بوسائل نظيفة، معتقداً أنه لا أحد يستطيع أن يحقق

مثل ذلك في بلد مثل هذا، في عصر مثل هذا، إلا لو استعمل وسائل النجاح المتاحة، وهي ليست دائماً، ولا غالباً، وسائل نظيفة، مرة أخرى: لم أكن أرفض ذلك بشكل متشنج أو مباشر، حتى أستطيع أن أعود لنفسي، وأبحث في وسائلتي، وليس فقط في نتائجي، كان هذا الهاجس يدفعني دائماً -كما ذكرت- أن أعيد النظر هكذا:

(5)

... وساعات أبص لإيدى وأنا بالعب ببيضتين والحجر،

أو لما باقلب في التلات ورققات واخبي في الولد.

وأقول يا ناس : بقى دول إيدى اللى بصحيح ؟

بقى ده أنا ؟

أعرف أن التكرار أصبح أكثر مما ينبغي، لكنني أريد أن أقتطف من جديد جزءاً محدوداً مما ورد في الحلقة السابقة من شعري بالفصحى، بالذات ديوان "سر اللعبة"

"هذبت أظافر جشعي، ولبست الثوب الأسمر، ولصقت اللافتة الفخمة، وتحايلت على الصنعة، وتحايلت طويلاً كالسادة وسط الأروقة المزدانة برموز الطبقة..،..، هأنذا أتقنت اللغة الأخرى، حتى يُسمع لي، في سوق الأعداد وعند ولي الأمر"

لا اعتقد أنه قد سُمع لي، في سوق الأعداد وعند ولي الأمر، وحين سُمع لي، لم يكن ذلك بسبب ما أجزت، أو ما حققت من نجاح أفخر أنا به بيني وبين نفسي، ولكن كان إما بالصادفة، أو لأسباب لا أعرفها،

حصلت على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب بمحض الصدفة، وما هي ذى تفاصيل تلك الصدفة:

المرحوم أ.د. إبراهيم توفيق، أستاذ أمراض القلب في جامعة الإسكندرية، أصبح صديقي لظروف خاصة، تعرفت عليه عن طريق المرحوم أستاذي أ.د. عبد العزيز عسكر، وزرته في بيته في الإسكندرية، وتحدث معي طويلاً في أشياء كثيرة، من ضمنها السياسة، وعلى قدر ما تسعفتي ذاكرتي كان خاله هو "ضياء الدين داوود" وكان دائم الحديث عنه، وكان حوارنا يجرنا عادة إلى عبد الناصر، ونتفق ويختلف، وأشياء أخرى، عرفني د. إبراهيم توفيق على بعض أصدقائه (ثلثه)، وكان من بينهم الناقد الطيب الخاذق "يوسف الشاروني"، (والكاتب والشاعر -أركان حرب !!- محمد الحديدي وغيرهم)، في زيارة ما لعيادتي حضر مع د. إبراهيم -الأستاذ يوسف الشاروني وقدمني صديقي د. إبراهيم على أني كاتب وكذا، وعرفه بكتابي الأول "عندما يتعري الإنسان، طلقات من عبادة نفسية"، وهو كتاب لم أتمس له أبداً كما ذكرت من قبل، فانتهزتها فرصة، وأخبرت الأستاذ يوسف الشاروني أن لي رواية من جزأين طبعتها على حسابي الخاص، فرحب ترحيباً شديداً بطيبة فائقة أن يطالع على هذا وذاك .

بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أخطرنى المرحوم الأستاذ محمد أحمد خليفة بأن الرواية نالت الجائزة بالإجماع.. إلخ ، بعد إعلان حصولي على الجائزة ثارت ثائرة كثير من الأدباء وبعض النقاد، واتهمني بعضهم مباشرة أنني حصلت على الجائزة لأنني وافقت (أو شاركت) في التطبيع مع إسرائيل، وكلام كثير من هذا، وعزاها آخرون لعلاقة شخصية مع الشارون.

هذه جائزة تشجيعية لم أنل غيرها طوال حياتي، (حتى الآن)

هذا الاستطراد -كجزء من السيرة الذاتية- ربما يبين كيف أنه لم "يُسمع لي، في سوق الأعداد وعند ولي الأمر" إلا مصادفة.

لكن في مرة أخرى، جاء التقييم عفوا من جهة غير رسمية، وذلك حين اتصل بي أ.د. أحمد مجاهد ثم أ.د. أحمد نوار، وأخبراني أن جماعة الأدباء قد اختاروني رئيسا لمؤتمر أدباء مصر الذي عقد في سوهاج (12-14 ديسمبر 2006)، بصراحة فرحت بهذا الاختيار أكثر من فرحتي بالجائزة، كان اختياري من ذي صفة، ودون أن أتقدم إليه، وقد ذهبت، وتعبت، وشكرت، ورأست، كما كانت فرصة رائعة لأن أعرف على هذا الإنسان النادر د. أحمد نوار، وأيضا على نقاد وأدباء من أكرم وأشرف من يمكن أن أعرف عليهم، هل حقيقة أن كل هؤلاء الكرام قد تفضلوا فأكرموني برئاسة مؤتمرهم، لماذا؟ ومن أنا؟ كان هذا، وما زال أكثر كثيرا مما أستحق، ولا أظن أنه قد حدث لأن شاطر، أو لأن أحق اللعبة ببيضتين والحجر،

لكنني، وقبل انتهاء المؤتمر، وقد كنت قد ألقيت كلمة الافتتاح مع المحافظ وغيره، وكان المفروض أن ألقى كلمة الختام، وجدت نفسي أنسحب، وبدون أدنى سبب حقيقي، اعتذرت عن اليوم الأخير وسافرت فجأة قائدا سيارتي إلى القاهرة، ولم أعرف حتى هذه اللحظة، لماذا اعتذرت ولماذا سافرت هكذا فجأة. ولم يتصل بي أحد بعد ذلك يسأل أو يعاتب، أو يتساءل، لكنني أحسست -ومازلت- بأن بي شيئا خطأ فعلا يحتاج إلى تفسير لم أعثر عليه حتى الآن، شيئا لعله مرتبط بأبني رفضت ما لا أفهم طبيعته وآلياته حتى لو كان حقي، فهل يصح بعد ذلك أو يرؤن بهذه الشطارة الغامضة، أو أن أرى نفسي بهذا الجذق المشبوه.

هذا، وقد رأيت أنه من المناسب أن أثبت هنا ما كتبت في تعتعة الدستور (20-12-2006) بعد المؤتمر مباشرة وهو كما يلي بالنص:

سوهاج، وأدباء مصر، والعلماء البروليتاريا

بتشريف طيب، حظيت بالمشاركة (رئيسيا) في مؤتمر أدباء مصر في سوهاج، (12/ 2006) ولظروف القاهرة لم أكمل لليوم الأخير، الرسالة التي وصلتني من معظم مداخلات المؤتمر كانت بنفس قوة ودلالة الرسالة التي وصلتني من زيارتي لمنازل بعض أصدقائي من العاملين معي بالقاهرة في دورهم المتواضعة جدا، الجميلة -بهم- جدا، في "كوم يعقوب" مركز أبو طشت.

الصعيد هو الصعيد، لا أحد يعرفه إلا إذا اختبر مذاقه مثل مذاق الويكة (البامية المهروسة المشططة)، وصلتني حركية الناس "بلا لوحات حكومية" مثل حركية الثك ثك، كما بدت لي يهلواينة السيارات على الطريق الزراعي كموتيسكلات تجرى رأسيا على جدار دائري أملس في سيرك أسطوري ملك "أولاد الحاج أبيدوس".

من المؤتمر والناس تضاعفت آلام تفاؤلي المزمّن، حتى قلت للمحافظ اللواء محسن النعماني، وللدكتور أحمد نوار: "الله يسامحك، هل أنا ناقص؟ سأعود لأبدأ من جديد، بأمل جديد، وألم جديد، برغم كل شيء". رذا ردا طيبا نبتهي إلى بعض ما أحاوله هنا وهناك. الدكتور أحمد مجاهد لا يهمد، والشاعر مسعود شومان لا ينطفئ، والجميع فرحون بشيء ما، شيء طيب قادم للاحالة، لعله هو ما لاح لنا في فيلم سيرة محمد عفيفي الذي عرض ذات مساء، لتؤكدته أمسية سيد حجاب الشعرية الحوية المزلّلة.

المؤتمر كان عن "مراجعة الدور المصري في معظم المجالات" (أو كل المجالات) وليس فقط في مجال الأدب، تساءلت: هل هذا من حق الأدباء؟ أجبت نفسي: نعم، بل هو واجبهم. استقبلت العنوان باعتبار أن المقصود هو: "مراجعة دور الإنسان المصري"، وليس بالضرورة "دور مصر" الوطن، أو مصر الدولة". لم يعد الإنسان المصري مثله مثل كل إنسان الآن عبر العالم يعمل لنفسه فقط، ولا حتى لبلده، هو يعمل بالأصالة عن نفسه والنيابة عن كل الناس. إنقاذ البشرية أصبح "فرض عين" على كل فرد حيثما كان، إذا قام به البعض لا يسقط عن الباقي. الأديب المصري المبدع الحقيقي هو ممثل شرعي للإنسان، بدءا بالإنسان المصري حين يستوعب وعي ناسه بلحمه ودمه، ليس للزيف فيه نصيب، ليفرزه إبداعا قابلا للتواصل العالمي، بعد أن أتاحت الفرصة بثورة المشتبكات المتلاحمة أمميا دون حدود أو وصاية أو رقابة، الرقم الذي أعلنه الدكتور مصطفى الضبيع في المؤتمر عن عدد "مواقع" الإنترنت الخاصة عبر العالم والذي يربو عن ثلاثين مليونا موقعا أدهشني بقدر ما أسعدني، كما فرحت حتى الخجل من تقصيري حين سمعت الأرقام التي أعلنها د. أحمد نوار عن نشاط قصور الثقافة ومساحة حركية قوافلها خلال عام وبعض عام. أليس من الطبيعي أن أنوء تفاؤلا مؤلما وأنا أستلهم روح الكفاح اليومي لأهل كوم يعقوب مركز أبو طشت، جنبا إلى جنب مع حيوية المحافظ الذي شعرت بطزاجة دهشته المتجددة وهي لا تقل بهرا عن مسئولية الإدارة وحفاوة الكرم اللذان عشناهما في ضيافته، ليصلني كل ذلك وسط دقق معلومات نشاط د. نوار ومعاونيه؟

من موقعي المهني والأكاديمي تأكد لي ما آل إليه حال أغلب العلماء في علاقتهم بشركات الدواء كعينة لما يجري في مجالات أخرى، العلم "باهظ التكلفة" لم يعد تقدر عليه إلا الشركات العابرة بالغة العملاقة، التي تدير العالم

لحسابها بواسطة الحكومات الذاهلة أو الشريكة، هذه الشركات لا تستطيع أن تشتري أديبا أو شاعرا ولا بجائزة نوبل، لكنها تشتري العلماء (دون وعى منهم غالبا). قلت في كلمتي:

لقد أصبح العلم المؤسسى كنيسة في خدمة كهنة السيطرة وباباوات التحكم في مصائر البشر لصالح الشركات العملاقة المتحالفة مع المافيا والأصوليين عبر العالم، لم يعد الخطر يقتصر على الخوف من سوء استعمال ناتج العلم للتدمير والإبادة، دون التعمير والتقدم، وإنما تهادى إلى الخوف من الاستمرار في تسخير العلماء لخدمة المال، دون البشر، حتى وصل الأمر إلى استخدام العلم والمعلومات والعلماء لبرجة الناس لصالح الاستهلاك لا الإبداع، وإلهاء الكافة عن أولويات ما يحفظ بقاءهم ويجفز طورهم"

العلماء أصبحوا بروليتاريا العصر الحديث، تستغلهم الشركات العملاقة بطرق أبشع وأخبث.

العلماء يستنقذون بكم معشر الأدباء والشعراء والتشكيليين وسائر المبدعين الأحرار والنقاد".

قرب الختام قلت:

"الإبداع في كل مجال، دون استثناء هو الحل: انطلاقا من تعديلي مناهج التعليم (دون تجاوز تثوير المعلم) وحتى التضفر والجدل البناء بين كل منظومات المعرفة.

إن نقد المؤسسة العلمية الاحتكارية لا يقل إبداعا وضرورة عن نقد المؤسسة الدينية التقليدية الفوقية، كما أن نقد المؤسسة التعليمية الرخوة القشرية الآسنة، لا بد أن يتواكب مع نقد المؤسسة الثقافية الأعلى.

إلى لحظة الرؤية الخدسية الواضحة، حيث تنبسط قوانين الوجود وتختزل وتفسر الماضي، وتوضح الحاضر وتحسب المستقبل بيقين شديد .. ولكنها هي جزء من وجود صاحبها في عينة تكاملية .. فهي صورة لما يمكن أن يكون، أو لما يسعى أن يكونه .. وفيها من الحكمة والوضوح ما يبهز ويجذر في نفس الوقت.

وبعد

أشعر أن هذا الحديث عن المؤتمر، الذى كنت رئيسا له لا أدرى كيف، قد يكون ردًا مناسباً على هذه الاتهامات، وقد تبينت وأنا أعيد قراءته أنه بمثابة تبرير للحديث عن شخصى الذى طال، حيث امتدت الحلقات الخاصة بهذه القصيدة "المعلم"، حتى كادت تصبح سيرة ذاتية مستقلة، أكثر منها شرحا على متن بهدف دراسة "فقه العلاقات البشرية"، وخاصة في العلاج النفسى، إذن ماذا؟

ليكن، وليكن هذا الفصل مكملا بشكل أو بآخر للترحالات، وأيضا لبعض قصائد ديوان سر اللعبة، الذى يبدو أنه سيأتى عليه الدور بعد الانتهاء من أغوار النفس، كما أملت في نشرة

سابقة، أو على ما أذكر في "بريد" الجمعة لأعيد تنقيحه وتصحيحه وتحديثه، وذلك هو ما وعدت به من في نشر الطبعة الثانية من عملي الأول "دراسة في علم السيكيوباتولوجي" الذي لم تصدر منه سوى الطبعة الأولى سنة 1979، وأظن أنه أولى بأن تكون له طبعة ثانية بعد مضي ثلث قرن، حدث فيه في الطب النفسي، وفي الكاتب: طبيبا ممارسا، ومنظرا مجتهدا، ما يستأهل طبعة ثانية.

العلاقة بين هذه الجزئية المحدودة في هذه النشرة تطرح هذه التساؤلات

1. إلى أي مدى تؤثر صورة الطبيب النفسي أمام نفسه، ومن مصادر أخرى غير العلاقة العلاجية، على ممارسته العلاج النفسي (أو الطب النفسي عموما)، وعلى علاقته بمرضاه أثناء العلاج النفسي؟

2. إلى أي مدى يؤثر نجاح الطبيب النفسي في الحياة العملية على أرض الواقع (بقياس المال والسلطة والشهرة... الخ) على مهنته، ما علاقة ذلك بمثالية بعض الأطباء والمعالجين حقيقة أو تصورا

3. ما هي علاقة أدوار الطبيب النفسي المختلفة، كما تصل إلى الناس من مصادر مختلفة، بدوره كمعالج، وكطبيب؟

4. ما هي الصورة الأكثر صدقا؟ رؤية الطبيب النفسي لنفسه؟ أم رؤية الناس له؟ أم رؤية مرضاه له؟ (على اختلافهم)، وكيف يوفق بين هذا الأدوار وغيرها.

أتوقف اليوم، ولا أعد بالإجابة إلا بما يسمح به المتن في النشرات القادمة.

- بعد ربع قرن كتبت الجزء الثالث من ثلاثية المشي على الصراط بعنوان "ملحمة الرحيل والعود" ونشر منذ عامين.

- حتى أنني كدت أصدق المرحوم بهجت عثمان (أحد حرافيش تجيب محفوظ، عرفته مؤخرا، أنه سوف يكتب في تاريخ إنجازاته فخرا أنه لم ينل جائزة قط)

الإثنين 26-05-2010

999-المعلمم (6)



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

مقدمة :

مرة أخرى: مازلنا ننطلق من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسي

هذه الحلقة تكمل محاولة رؤيتي شخصيا لما هو "أنا"
ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سالفا
وأیضا ليس بالضرورة بصفتي معالجا،
لكن تمّة وصلة ماء، كما هو جار في كل حلقات "المعلم".

(6)

وساعات أشوفني حكيم وعمري ألف عام .

شايف تمام عارف تمام .

كل اللي راج، واللى احنا فيه،

واللى حايجي بدون أو ان.

كنت دائما أعرف أن هذه اللحظات الباهرة الخطرة، من المعرفة الكاملة المحيطة ينبغي أن توضع في مكانها، وإلا توقف النمو، وأضيق الجميع، وأولهم أنا.

مسئولية المعرفة تحدد حين نواصل المعرفة، لكن حين نتصور، لأي سبب من الأسباب (حقيقة نسبية، أم غرورا، أم جنونا، أم جهلا) أننا قد عرفنا كل شيء، فمعنى ذلك أنه لم يعد ثم معنى لوجودنا بشرا، من أقبج ما قرأت للمتنبي، بيته المشهور

"وعلمت حتى لا اسائل واحداً عن علم واحدة لك أزدادها"،

وعلى النقيض من ذلك فكما علمنا مولانا النفرى فإن فضل الجهل، الذى ليس ضده العلم، هو مفتاح المعرفة الممتدة، عرفت ذلك من مرضى مثلا (عرض بعض ذلك فى الندوة الأخيرة لجمعية الطب النفسى التطورى، مايو 2010 عن "الكلام الثانى") ومن كل مصادر الإبداع والعلوم الأحدث.

لكننى أعرف من خلال مرضى أيضا، وأحيانا من خلال خيرات عابرة سريعة، أن هناك يقين آخر، ليس يقينا بوفرة المعلومات حتى الإلمام بكل العلوم كما زعم المتنبي، أو كما أتصور أنا حجم معلومات أبى العلاء المعرى، وإنما هو يقين معرفة تعلن التماهى بين أصغر مكوناتنا (الدنا) وأوسع مجالات الوعى الكونى إلى الحق تبارك وتعالى، هذه لحظات يقين **تلغى الزمن لتحتويه، دون إنكار، وتشمل الكون لتمثله دون انحاء**، وهى فى حضورها الإيجابي: نقطة عودة إلى التفاصيل على أرض الواقع، أما فى تشوُّهها السلبي، فهى نقطة توقف عند اللاشئ، على أنه كل شيء.

مع احترامى لكل ما تعلمته من المرضى، فإن أغلب خيراتهم فيما يمكن أن يسمى "المعرفة الكلية اليقينية" هى خيرات سلبية تشمل العالم ولكن تحوّه فى الذات وليس العكس، وقد وصفتها هكذا:

وعرفت يقيناً أن المعرفة الحقّة،

هى فى المعرفة الحقّة،

دون دليل أو برهان

إلى أن قلت:

لِمَ أُشَرِّقُ فى نورك؟

فانطمس العالم إلاّ

نفس هذه اللحظة قد تكون هى لحظة التقاء الأجزاء المتناثرة فى توجه ضام نحو تجمع يقين الإشراق، نحو المطلق الممتد، نحو الإبداع الممكن وفى ذلك قلت:

فى ذاك اليوم: رققت حبات الرمل، وتعانق ورق الأشجار،

وسرت قطرات الحب.. من طين الأرض إلى غصن الوردة،

وتفتحت الأزهار ... فى داخل قلبى، فى قلب الكون.

وارتفع الحاجز بين كيانى والأكوان العليا

.. أصبحت قديما حتى لا شئ قديم قبلى،

وامتد وجودى فى افاق المستقبل،

دون نهاية

عرفت الله،

وعرفت الأصل وأصل الأصل،

لا أدعى أنى رأيت نفسى فى تلك اللحظات كثيرا أو طويلا، لكننى أزعم أنى حين أقترت منها، أو تقترب منى أخاف، وأزججها جانبا، وأنزل بسرعة إلى أرض الواقع، أبحث عن جهلى أحتمى به، وعن الآخر أختلف معه، فيزول خطر هذا النوع (الضرورى أحيانا) من المعرفة.

كررت مرارا أنى لا أومن بالديمقراطية الرائجة حلا أوحداً كما يزعمون، برغم أنها الحل الأقل خطرا مرحليا، لكننى أومن بها هنا فى هذا المقام لأنها تمثل الكابح (الفرملة) الذى يحد من اندفاع هذا النوع من اليقين الذى يتجلى فى أبشع صورته حين يتصف به حاكم فرد مطلق، فيقلبه أوامر ونواه، وقتلا وقهرا، وظلما لشعبه وسحقا لمخالفيه. أعترف أننا ابتلينا بمثل هؤلاء الحكام على مر التاريخ بشكل لا يحتاج للاستشهاد. المصيبة أن مثل هذا اليقين إذا أصيب به حاكم فرد، فإنه قد يكون على صواب أحيانا، فيعمل إنجازا لوطنه أو لشعبه لا يمكن أن يحققه بغير هذا اليقين، لكن المحصلة النهائية مهما برقت مثل هذه الإنجازات المتفرقة وأفادت، هى سلبية وكارثية غالبا.

نعم كنت أرانى معرضا لهذا الاحتمال أحيانا، وهذا قريب من بعض ما جاء فى مقدمة هذه القصيدة.

نشرة 21-4-2010 دراسة فى علم السيكوباتولوجى (المعلم من كتير)

فأنتبه بسرعة، وأعود فرحا "بعاديتى" و"جهلى" كما ذكرت.

أما رؤيتى ذاتى من خلال جدلى مع والدى فقد رسمتها هكذا:

(7)

وساعات أشوفنى أبويا ضُخ.

بس الزيادة إنى لابس بدله وارطن باللسان،

وأقول كلام : قال إيه لصالح البشر،

وللتاريخ !!

لكنه الله يرحمه :

كان يعبد اللوزة وطين الأرض والورد الطويل،
مزيكته كانت مكنة الرى تغنى تحت هميزه كبيرة مضللة،

واسأل في نفسى:

أنهو اللى أصلح للتاريخ ؟

الكلمه، والحب السعيد، في أوده ضلمة منعكشه؟

أو لوزه حلوه مفتحه؟؟

علاقتي بأبي علاقة طويلة شائكة رائعة، كتبت في ترحلاتي
فصلا كاملا عن "أمي" (الترحال الثالث - ص 73 - 102) ، لكننى
لم أفرد فصلا لأبي، أحسن!! ما زال أبى ياتينى في أحلامى حتى هذه
السن، وكلما حضر واستيقظت سألت نفسى: ألم أمثله تماما
بعد؟ لماذا يظل أبى يشغل داخلى هكذا مستقلا حتى الآن بما يتيح
له أن يحضر في عالمى الآخر من جديد (هكذا أعيش المعنى
التمثيلى النمائى للأحلام "الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع").

هذه اللقطة تبدأ بالتنبيه إلى أن جدل "الإبن-الاب"،
يبدأ بالاعتراف بالتقصص

"وساعات أشوفنى أبويا صُح"

وبالتالى تراجع تلك المعركة الوهمية التى تبالغ في
التركيز عليها الثقافة الغربية، بما أتصور معه أنه أمر
معطل للنمو الفردى والتطور حيث تبدو السلطة (ممثلة في
الأب) كأنها إعاقة للتطور على طول الحظ.

في خبرتى (وفي رأى إريك بين كذلك) أن التصالح مع الوالد
(الداخلى بالذات = الذات الوالدية Parent ego state) هى
من أهم ما يطلق قدرات النمو والتكامل. التصالح لا يعنى
الاستسلام، ومن لا يرى والديه في نفسه، فيقبلهما ويتخطاهما
إذ يستوعبهما بعد أن يصلحهما، فقد يمضى سائر عمره في
معركة بين ذواته لا تنتهى. التصالح وارد ولكن كمرحلة قبل
الاستيعاب حتى التمثيل، بما يقابل التمثيل الغذائى في
النظرية الإيقاعية التطورية، حين تنقلب المادة الغذائية إلى
جزء لا يتجزأ من نسيج الجسم الحيوى.

بالتمثل الجدئى يتحول "الأب المدخل" إلى جزء من نسيج
المعلومات البيولوجى، فهو النمو المتمادى.

في العلاج النفسى، المعالج والدد، خصوصا في ثقافتنا، والأمر
لا يحتاج إلى تصوير العلاقة العلاجية على أنها إعادة، أو
تكرار، أو استعادة علاقة والدية قديمة وهو ما يسميه
التحليل النفسى "طرح" المشاعر السابقة على المعالج، وإنما
هى علاقة نمائية طبيعية تتجدد، وتكرر، مع اختلافات في
التفاصيل والمآل، مع كل أزمة نمو، بل ومع كل نبضة إيقاع
حيوى، وعلى قدر قبول المعالج لدور الأب، ثم قدرته على
التخلل عن هذا الدور لصالح نمو المريض، وقدرة المريض على

علاقة هذه الفقرة بالعلاج النفسى هي أنها ربما تنفى الإشاعة القائلة "إنه علاج بالكلام"، صحيح أن الكلام هو الوسيلة الأولى للتواصل في العلاج وغير العلاج، لكن ينبغى أن يظل الكلام مجرد "حامل رسالة" لا بد أن تُختبر على أرض الواقع وفي نبض العلاقات، الكلام ، في العلاج النفسى وغيره، إن لم يستوعبه الواقع، (في شكل العمل والعلاقات خارج إطار العلاج والإنتاج اليومى البسيط ، وغير البسيط، واستعادة حيوية نبض الإيقاع الحيوى) يمكن أن يؤدي إلى عقلنة معيقة intellectualization، أو حتى لفظنة مغتربة verbalism.

التطور كله، قبل ظهور الكائن البشرى العاقل homo sapiens (الناطق) تم بدون كلام، فإذا جاءت هذه الإضافات (الكلام، والوعى بالوعى، والعقل المنطقى) لتضيف إلى مسيرة التطور إمكانيات التخطيط، والتنظيم، واقتصاديات الوقت، والتكافل، فيها ونعمت، أما إذا حلت محل قوانين التطور الطبيعية الأسبق حتى تضر، فهي معيقة إعاقة قد تصل إلى التهديد بالانقراض.

ولهذا حديث آخر.

وإلى النشرة القادمة



دراسة في علم السيكوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

مقدمة :

عودة ثانية تكمل المسيرة ونحن ننتقل من السيرة الذاتية إلى العلاج النفسي

هذه الحلقة أيضا تكمل محاولة رؤيتي شخصيا لما هو "ذاتي" ليس بالضرورة من خلال ما يسمى استبصارا كما ذكرت سالفًا.

(8)

وساعات أشوفني طفل .. طفل ..

إنتو نسيته،

واهلكه سابوه،

ولا هو قادر يبقى أبوه،

ولا أنتو قادرين تلحقوه،

يا ناس ياهوه :

يا تلحقوه ...،

يا تموتوه ..

... ثم بدا لي وأنا انظر في نفسي أنه وراء كل هذه الشطارة، والحكمة، والصدق، والمحاولة، والتجربة، والخطأ، والدهشة، والرفض، والاحتمالية، بدا لي أنه يكمن كيان صغير ضعيف برئ، لا قوة له حالا، إلا أنه يملك كل قوى الحياة المتمثلة في الوعد القادر!

حين نظر "المعلم" في نفسه لمح ذلك الكيان وهو يحاول الظهور وسط كل هذه الزحمة ولا أحد في الداخل أو الخارج منتبه إلى وجوده أو معترف به "انتو نسيته".

حين تهف نسيمات أمان للحظات.. تصل رؤيتي لذاتي إلى هذه المنطقة الأصلية في الوجود البشري، وهي تصلني أيضا من بعض من يجيني حين يرى هذا الطفل "هكذا"، نعم استطعت أن أرى طفلي وراء كل ما سبق يقظا منتظرا، لكن لا أحد يدرى به وسط مظاهر القوة والنجاح والشطارة، وهو لا يقبل - ولم يعد يستطيع - أن يكرر وجودا قديما معاداً (ولا هو قادر يبقى أبوه)!

كان يبدو لي أحيانا أنه لا مغيث، مادام هذا الجانب من وجودي غير مرئي

وما أشق هذا.

وحين يبلغ الألم أقصاه يكاد هذا الطفل يتمنى الموت إن لم يدرك أحد وجوده بما هو

وكان الجوع يمتد أكثر حين ينتظر المعلم بعض ذلك من أحد الذين أعطاهم ما عنده، فهو يأمل أن يقدر بعضهم على الوفاء بمطالب هذا الطفل يوما، ربما لينطلق إلى خطوات نموه الثابتة القادرة المطمئنة بالفعل المتجدد.

وحين يمتد الألم، أكثر فأكثر يستغيث:

يا تلحقوه، يا تموتوه

لست متأكدا من مدى جدية هذه الاستغاثة، صحيح أن ألم الإنكار أو التنكر لا يطاق، لكنني لا أحسب أنني تمنيت أية نهاية لأية بداية بشكل حقيقي، ذلك أنني على يقين أنه لا توجد نهاية لأية حياة حقيقية، يبدو أن الحياة كلها بدايات، بل إن الموت (خاصة بعد رؤيتي الأخيرة له 2008 - 2010) (نشرة 10-3-2010 "فشل علاقة الموت المتبادل: عدما "1-3" هو بداية أقوى وأعمق (نقلة الوعي - أزمة نمو) (نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة)،

هذه الصرخة "يا تموتوه" انطلقت قبل بصيرتي في الموت هكذا، فهل يا ترى كان وراءها فرض بيعت محتمل؟

أما بالنسبة لعلاقة كل ذلك بالعلاج النفسي فأنا لا أستطيع أن أجزم أين موقع طفلي هذا بالنسبة للمريض؟

في ثقافتنا، وهو ما يجرى على لساني كثيرا جدا، أن

"الطبيب والد" بما يستتبع ذلك التأكيد على السماح بمرحلة "الاعتمادية الرشيدة"، وهذا غير الوسواس اللحوق على استقلالية الذات، وإثباتها، وتفردا طول الوقت (وهو الغالب في الغرب).

فما هو دور "طفل المعالج" في العلاج؟

العلاج "شراكة" و"مواكبة" بقدر ما هو "رعاية" و "مسئولية"، والعلاج الذي أمارسه وأدعو له هو محاولة استعادة حقنا في مواصلة النمو، والطفل - فينا - هو الأحق بذلك، وهو لا يواصل النمو السليم على حساب سائر الكيانات المكونة للذات البشرية، وإنما هو يفعل ذلك من واقع الجدل الحيوى مع سائر الكيانات (الذوات) في النفس الإنسانية.

هذا العلاج النمائى يتطلب استيعاب المريض من جانب المعالج "بكل ماهو"، فهو يشمل قدرًا غير قليل من التقمص، بقدر ما يتطلب قدرًا مناسبًا من الفهم والمنطق.

المريض يحضر للعلاج عادة بطفله - الداخلى - مهزوما أو مشوها، أو طفيليا أو معاقا، والعلاج يحتاج أن ينطلق من محاولة تصحيح كل ذلك أو أغلب ذلك، لإطلاق خطوات النمو من جديدة، ولا يتم هذا من خلال سماح السلطة الأبوية (الطبيب الوالد) أو قدرتها على الرعاية والحماية (والنصائح أحيانا) فحسب، وإنما - يتواصل- من عمق آخر - يا حبذا في نفس الوقت - من خلال المشاركة والمواكبة والمعية، وهذا قد يحتاج - كما أفترض- إلى تحريك "طفل المعالج" فعلا.

ثم إن المعالج - المفروض يعنى - تتاح له نفس الفرصة للنمو بكل ما هو، وهذا ما يطمئن المريض إلى أنه وجد والدا (طفلا) من نوع جديد، يسير "معه" بقدر ما يحيط به.

فإذا عدتُ بعد هذا التصور الفرضى المبدئى أراجع حقيقة ما هو طفلى الخاص، الذى قفز منى في هذا المتن هكذا، فإننى أحتاج إلى إعلان الاعتراف بما جاء في النص وأكثر، فهى فرصة أن أراجع صداقتى للأطفال (حتى الثامنة غالبا) لأجد أننى أصحابهم سنا بسن، فأعيد اكتشاف حضور طفلى وحيويته.

منذ أسبوع (2010/5/25) حدث الآتى:

كنت أحدث زوجتى في الهاتف، وإذا بصغرى حفيداتى (4 سنوات) تطلب منها أن تحدثنى "عايزة أكلم جدى" وفرحت، وشكرتها، وأعدت عليها عرض حبي لها إننى عارفة يا "نور" أنا باحبك قد إيه" قالت: "عارفة"، قلت: "وأنت؟" قالت: "أنا ما باحبكشى" قلت: "طيب ليه طلبتى تكلمينى في التليفون بقى؟" قالت: "كده" قلت: "طيب ليه مايتحبينيش" قالت: أنا باحب "أمى بس" (تعنى جدتها، فهى تنادياها بـ "أمى"، مثلما يفعل أبوها وسائر أبنائى وبناتى فهم لا يقولون "بابا" و"ماما" وإنما أمى وأبويها) قلت لها: "طز فيكى" قالت لى: طيب.

بعد يومين وجدتها مساءً عند جدتها وجوارها عمته (ابنتى

"منى" التي لم تكبر داخلى أبدا فهي في عمر نور برغم أنها على وشك أن تكون استاذة بالجامعة في خلال أسابيع) قلت لها: "لسه ما بتحبنيش" يا نور قالت: "أيوه" قلت: "لكن أنا باحيك برضه" قالت: "وأنا ما باحيكش"، وكان وجهها يشرق بالبهجة برغم ذلك، قلت لها: "ولو، حافظل أحبك برضه"، قالت: "وأنا حافظل ما حبكش"، قلت لها: "أما نشوف مين اللي هايغلب".

ثم بعد فترة صمت قالت لي: "جدى، إنت ليه ما قلتش أنا زعلان منك عشان ما بتحبنيش" قلت لها: هوه انتي عايزاني أقول لك أنا زعلان منك ليه؟" قالت لي فوراً: "عشان أقولك لك "إزعل"، وضحكك، وضحكك، وأخذتها في حضني وأحسست أنها ايضاً تأخذني في حضنها، وكان موعد نومى قد أزف فقلت: ... "أنا رايح أنام تعالى غطيني" فتبعتنى دون تردد، ونمت وجذبت الغطاء على جسدى فأكلمت حبكته هى حول كتفى، وكأني عروستها، ثم انصرفت دون أن تقبلنى!!

في اعتقادي أن هذا الطفل الذى ظهر في صجة "نور"، يظهر نشاطاً حاضراً قريباً، وهو يقوم بدور ما في العلاج دون أن يعلن وجوده لا ظاهراً ولا مستقلاً.

نحن نعالج المرضى بما هو "نحن" "كل ما هو نحن"، وحين يتعرف المعالج على هذا الجانب من وجوده (دون حاجة إلى تسميته طفلاً أو خلافه) يستطيع مطمئناً أن يمارس سلطته أبوته بثقة أكبر، وكلا النشاطين يصلان معاً إلى المريض.

فهو العلاج

ثم يعود المعلم يكتشف جانباً من وجوده يبدو عكس ذلك تماماً حين يقول المتن:

(9)

وساعات أشوفنى وحش كاسر.

إلى مجالف أدجمه من غير فصال.

ولا أقبل المنطق ولا أقبل جدال.

وأشك في النّسمة، وفي الورد، وفي الطفل الرضيع،

لو ميلوا كده أو كده،

أحسن يكونوا بيعملوا خطة متينة مُحكمه ضد "الحياه" !!

وكأنها معموله مخصوص لجل خاطرى،

" تبقى المؤامرة عليها ضدي"!!،

وكأني مبعوث العناية، منقذ البشرية في مركب تحاريفى

اللى راح ترحم عزيزى "إبن آدم" ما لطوفان!!!!.

أعتقد أن هذه الرؤية هي كشف واعتراف لما هو اقرب إلى الموقف النمائي المسمى الموقف "البارنوي"، وإن رجحت نسبيا كفة "الكرز" على كفة "الفرز"، أو الذراع العدوانية على آلية التوجس والشك.

انطلاقا من رؤية ذلك الطفل القادر الضعيف الوديع الواعد، استطاع المعلم أن ينتقل وهو يكتشف سائر احتمالات وجوده وتركيبه، أن ينتقل إلى رصد الجانب الآخر من وجوده، وهو قدرته الفائقة على الإغارة العدوانية دفاعا عن موقفه المطلق، وتمسكا بواحدة رؤيته، وهو ما بدأ به المتن، فإذا كان المتن قد بدأ بالسخرية من يحيد عن الصراط من مريديه.

والى يخالف هو حز، ميت صحيح، لكنه حرف تربيته (نشرة) 2010-4-21 "المعلم .. 1 من كتير"

فإن الصورة تنتهي هنا بإعلان صريح يرفض الخلاف والاختلاف من الأساس،

وهكذا استطاع المعلم أن يلتقط ذلك الجانب التوجسي الشاك في كل شيء دون استثناء "فهو يشك في النسمة" وفي الوردية، وفي الطفل الرضيع)

وهو يبرر شكه هذا بأنهم ماداموا حادوا عن طريقه، فهي "المؤامرة"

"أحسن يكونوا بيعملوا خطة متينة محكمة ضد الحياة"،

فهو يعتبر نفسه الممثل الأول للحياة، أو صاحبها، أو أنها خلقت من أجله، فهو حارسها، ومنقذ البشر بالحفاظ عليها من الضياع والغرق بالطوفان

وكأن مبعوث العناية، منقذ البشرية في مركب تخاريفي.

اللى راح ترحم عزيزي "إبن آدم" ما الطوفان

وهكذا تحتد البصيرة "مركب تخاريفي" فتصبح كل هذه الرؤية كسفاً للترويض أكثر منها تقريراً للتسليم.

هل ياترى لهذا الجانب من وجود المعالج لزوم في العملية العلاجية؟

بصراحة، اريد أن أهرب من الإجابة على هذا السؤال، لأن إجابتي سوف تتعارض مع الثقافة الغربية المفروضة علينا من ناحية، ومع الشائع عن الطب النفسي والعلاج النفسي من ناحية أخرى، لكن بما أن المتن قد قفز مني هكذا، فلا مفر من الإقرار بوجود هذا الجانب، وايضا لا مفر من محاولة فهم دوره في العلاج النفسي كما حاولنا مع الجانب الطفلي حالا:

مرة أخرى "الطبيب والد"، والوالد في ثقافتنا يحضر فيه هذا الجانب المهاجم الشاك الخاسم بهذا القدر وأكثر، فإذا ما اعترف المعالج بحضوره فإنه قد يحسن ترويضه من جهة، كما أنه قد يستفيد من إطلاق قدراته في المساعدة في اتخاذ قرارات حاسمة

أو فرض شروط لازمة يرى أنها ضرورية تماما لاستمرار مسيرة العلاج في الاتجاه الصحيح، وفي جميع الأحوال هو لا يفرض رأيه أو يلزمه باتباع طريقه، ثم أن هذا الموقف الشاك له جانبه الإبداعي، فهو يسهل أحيانا وضع الفروض التفسيرية والتأويلية بشكل مترابط تآمرى/إجباري، يعين على فهم الأمراض Psychopathology

(10)

وكثير أشوفنى كل ده !

لكن هناك جوا قوى فرق بسيط.

يفرق كثير.

يمكن يكون سر الوجود .

(11)

واتمنى يوم قبل ما اموت:

ييجى حد منكم:

- بس بيحب الحياة أكثر ما انا ما باحبها -

ويبص في عيونى قوى:

ويقول "مين"

أنا أبقى مين ؟

والفرق ده :

فرق بصحيح،

ولا كلام ؟ !! ؟

من أراد رؤية نفسه حقيقة.. فسوف يجد أن كل هذه النوازع والصور والتجليات والاحتمالات وحالات الأنا موجودة في نفس الوقت وأن واحدة لا تغنى عن الأخرى، وأن هذا لا يعنى أى انقسام أو تفكك بقدر ما يمكن أن يعنى وعيا بكل احتمالات حضور جوانب وتجليات الوجود، حتى إذا تم التكامل لم يغفل جانبا لحساب جانب آخر..

ولكن ما هو الفرق الحقيقى بين من يريد التكامل فىرى هذا كله فى نفسه، ومن يعيش بسبعة أوجه، أو مائة، يتلاعب بها ويلبس لكل مقام وجهه ؟ هذا هو الإشكال المتحذى.

لعل هذا الفرق هو بين مسيرة الوعى المسئول وبين تحايل وتقلب الوجود المناور.

وبألفاظ أخرى:

هو الفرق بين التفكك المتصارع، وبين التناقض المتآلف فى جدل خلق.

وهو هو الفرق بين الاعتراف بكل جوانب النفس ضعفها وقوتها شرها وخيرها.. للتوليف بينها في كل جديد، وبين مواجهة أجزاء النفس المنفصلة في هرب من بعضها البعض.

وهو الفرق بين الرؤية المسئولة للتغيير، وبين الرؤية للفرجة العاجزة المكتفية بالرؤية والتأجيل،

وهو الفرق بين تناسق الوجود رغم اختلاف أجزائه وبين تناثر الوجود بسبب اختلاف أجزائه .. إلخ ..

الإشكال الحقيقي هو في وجه الشبه الشديد

بين معالم التكامل وألعاب النكوص،

وللتحقق من حقيقة الأمر لا مفر من تجاوز الاكتفاء برؤية الشخص نفسه مهما احتدت بصيرته،

وهذا ما ختم به المعلم القصيدة بإعلانه الصريح حاجته لرؤية من خارجه تنقذه من احتمال خطئه، لكنه يشترط في حكم هذا الشاهد العدل أن "يجب الحياة أكثر"

"بس يجب الحياة أكثر ما أنا ما باحبها"

حب الحياة هو حب الناس فعلا قادرا متجددا طول الوقت

وتنتهي القصيدة (التشكيل) بألا تنتهي

هي تترك الباب مفتوحا

لكل احتمال،

وللمراجعة،

ولتجديد الحكم، ولاستمرار النقد.

والفرق ده: فرق بصحيح، ولا كلام؟

وهكذا ينهي المعلم القصيدة بإعلان حاجته لرؤية نفسه بعيون الآخر، ويبدو أنها حاجة شديدة وملحة، ومن خلالها - لو تمت في حياته - سيطمئن ويرتاح،

فإذا عز وجود الآخر فليكن الحكم لآخرين ..

وإذا عز وجود الآخرين فليس أمامه إلا الاحتكام للتاريخ

ولكنه حينئذ لن يحقق أمنيته (قبل ما أموت).

وبعد

أخيرا انتهيت قصيدة - تشكيل - المعلم، وكنت أحسب أنها آخر ما سأضطر إليه من العروج إلى السيرة الذاتية،

لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك كما سيتبين في الحلقات القادمة.

- (أنظر مقتطف العلاج الجمعي أمس **(نشرة 1-6-2010** **"نصوص" و"ألعاب" من العلاج الجمعي "2")** قبل أسبوع **والتأكيد به على ما هو "مخ".**)

الإثنين 09-06-2010

1013- مله قصيدة (المعلم) (8)



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

تعقيب بالانتقاء

انتقادات "د. جمال التركي"

اقتطف الأخ والابن والصديق د. جمال التركي من بعض حلقات شرح قصيدة "المعلم" ما راق له أن يقتطف دون إضافة أي تعليق ولو جملة واحدة، وقد وصلتني دلالة هذا الاقتطف على أنه تعليق من نوع خاص، وخاصة وأنه قد أرسله إلى جمهور شبكتنا الرائعة فبلغني من هذا التعليق الصامت الذكي ما يلي:

أولاً: إن الانتقاء وإعادة التشكيل هو تعليق بليغ في ذاته.

ثانياً: إن جمال قد طمأننى إلى أن الشرح على المتن هو في النهاية - فعلا - بيان لطبيعة العلاج النفسي كنموذج طيب لماهية العلاقات البشرية، برغم أن المتن كان خيرة ذاتية.

ثالثاً: أصبح أقل حرجا وأنا أتكلم عن نفسى، بكل هذه التعرية، ما دام المتن يثير قضايا عامة تساعد في توضيح طبيعة مهنتنا وبالذات فيما يخص ثقافتنا.

رابعاً: أننى يمكن أن أستمر أكثر شجاعة في شرح القصيدتين المتبقيتين وفيهما من السيرة، ما كنت سوف أخرج من فرضه على القارئ لما يحمل من جرعة ذاتية كثيفة أيضا.

وبعد

أدعو الله أن يتم هذا العمل على خير لأننى لم أكن أتصور

أنه سيكون بكل هذه المشقة، ولا أن يستغرق كل هذا الوقت، ويستولى على كل هذه المساحة، أهلاً جمال:

مقتطفات د. جمال التركي من نشرة المعلم (4)

العدد: 985 / بتاريخ: 2010-5-12

مقتطف (1):

أن ترى نفسك من خلال رأى أو رؤية الآخر (أو كليهما)، شئ مهم،

لكنه لا يمثل إلا بعض الحقيقة،

هذه الظاهرة تحدث في العلاج الجمعي بشكل خاص، قد يحدث أن تكون المجموعة في حاجة أن تحكم على أحد أفرادها بصفة عامة، أو في موقف معين، سواء بناء عن مبادرته أو في موقف تفاعلي يحتاج رأى الجماعة، وهذا ما أسميناه في حلقة سابقة "المصادقة بالاتفاق".

لكن حقيقة الممكن تعلن أنه مهما كان الاتفاق فإن الاختلاف وارد ومهم، والآراء تكمل بعضها بعض.

الطبيب النفسى غير الأديب والفنان والفيلسوف وعالم المعمل . . إذ أن يديه غائصتان في أمعاء المجتمع ورجليه في طين الواقع . . وحتى يستطيع أن يستمر في أداء مهمته في ثقافة ناسه الخاصة جداً، فإنه لابد أن يمزق البلغة السائدة بدرجة قد يبدو أنه لا يعرف سواها (وكثيراً ما يكون هذا هو غاية المراد عند بعض الزملاء، ويسمى أحياناً "النكاء الاجتماعى")!! الطبيب (النفسى، وغير النفسى) مطالب بالإنجاح بلغة الواقع وعلى أرضه، وإلا أصبح مثلاً فاشلاً أمام مرضاه . . وأغلبهم يحتاجون إلى جرعة الواقع أكثر مما يحتاجون إلى مثل هذا الخيال النظرى.

مقتطف (2)

موقف آخر كنت أراه وأنا أبحث عن نفسى في عيونهم . . فالطبيب النفسى - كما قلت وكررت - ملتزم بالواقع أشد الالتزام، ومن هنا يأتى رفضه العنيف لأى نكوص غير مسئول، ولأية حرية مجرد اللذة، وأى رفض مجرد العناد

ولقد تحملت من جراء ذلك كل أنواع الرفض والهجوم . . وكان هذا أيضاً من بعض ما ساعدنى على رؤيتى لنفسى . . حيث وضعت هذا الاحتمال أنى أمثل لهم سقف القهر، وعاشته بقدر ما أستطيع، وتقمصت من يرمينى به محترماً رؤيته حتى انتهت إلى

أن وجود هؤلاء النقاد هو أقرب إلى " الوجود الفنى الحر"، وهو فى ذلك قريب من الوجود المثالى السابق.

فى العلاج النفسى قد يصل للمريض صورة باعتباره والدا قاهرا أو سلطة كابتة تمثل نفس هذا السقف الذى رأيته فى عيونهم، وتصبح هذه الصورة معطلة للعلاج حين تتداخل الأدوار فيغلب على العلاج شكل الضيظ والربط، وايضا تأثر السلطة الوصية، وكثيرا ما يقوم الطبيب أو المعالج بهذا الدور بشكل لا شعورى (أو شعورى) حين تتحكم فيه منظومته القيمية الخاصة، أو نواهى دينه، أو قهر مجتمعه فينتقل ذلك إلى المريض بشكل معطل غالبا.

مقتطف (3)

أقر وأعترف مرة أخرى أن هذه الموجات من النقد حتى الشجب كانت موقظة لى فى كل حين .. فكنت أحب أن أعتبرها آراء صحيحة ما أمكن ذلك .. حتى أظل منتبها إلى احتمال انحرافى .. فأشكرهم فى قرارة نفسى على هذه الرؤية - رغم عنف الألم وقد استمرت معى هذه المعاناة مدة طويلة .. فلا أنا أرفض رؤيتهم، ولا أنا أستسلم لها، ولا هى تعوقنى أكثر من المعاناة الخفية .. إذا كان على أن أستمر فى الحصول على مقاليد القدرة تساعدنى على تحقيق رؤيتى التى ألقيت على وجدانى وفكرى قولا ثقيلًا .. وما أصعب كل هذا.

كنت - ومازلت - على يقين من أن من يريد أن يعرف نفسه عليه ألا يرفض رؤية غيره له مهما كانت دوافعها، ومهما بدت بعيدة عن الحقيقة، ومهما كان الألم المترتب على تبني هذه الرؤى المشوهة والمزعجة، فإن وظيفة وجهات نظر الآخرين لا يديل لها إلا أوهام الوجود المعصوم، وهكذا فإن الذى حدث هو أنه فى نفس الوقت الذى كنت أتقبل فيه هذه الرؤية تماما حتى لو رفضتها ظاهريا .. فإنى كنت أعلم فى آخر طبقات وجودى أننى لست مجرد ما يظهر منى لهم، لكننى أيضا هو ما يصلهم .. فالرؤية الجزئية المنحازة هى - فى النهاية - ورغم ما يمكن أن أفيد منها رؤية جزئية منحازة .. لكنها فى نفس الوقت رؤية محتملة، إذن لا يجوز التوقف عند اتهامهم أنهم لا يرون الا ما يحتاجون، أو أنهم لا يريدون أن يروا بقية ما هو أنا .. فأعود أتقصمهم من زاوية أخرى.

ثانيا: مقتطفات د. جمال التركي من نشرة المعلم (5)

العدد: 992 / بتاريخ: 19-5-2010

مقتطف (1)

لقد أصبح العلم المؤسسى كنيسة فى خدمة كهنة السيطرة

وباباوات التحكم في مصائر البشر لصالح الشركات العملاقة المتحالفة مع المافيا والأصوليين عبر العالم، لم يعد الخطر يقتصر على الخوف من سوء استعمال ناتج العلم للتدمير والإبادة، دون التعمير والتقدم، وإنما تمدى إلى الخوف من الاستمرار في تسخير العلماء لخدمة المال، دون البشر، حتى وصل الأمر إلى استخدام العلم والمعلومات والعلماء لبرجعة الناس لصالح الاستهلاك لا الإبداع، وإلهاء الكافة عن أولويات ما يحفظ بقاءهم ويجفز تطورهم"

العلماء أصبحوا بروليتاريا العصر الحديث، تستغلهم الشركات العملاقة بطرق أشنع وأخبث.

العلماء يستنقذون بكم معشر الأديباء والشعراء والتشكيليين وسائر المبدعين الأحرار والنقاد".

إن نقد المؤسسة العلمية الاحتكارية لا يقلل إبداعا وضرورة عن نقد المؤسسة الدينية التقليدية الفوقية، كما أن نقد المؤسسة التعليمية الرخوة القشرية الآسنة، لابد أن يتواكب مع نقد المؤسسة الثقافية الأعلى.

إلى لحظة الرؤية الخدسية الواضحة، حيث تنبسط قوانين الوجود وتختزل وتفسر الماضي، وتوضح الحاضر وتحسب المستقبل بيقين شديد.. ولكنها هي جزء من وجود صاحبها في عينة تكاملية .. فهي صورة لما يمكن أن يكون، أو لما يسعى أن يكونه ... وفيها من الحكمة والوضوح ما يبهز ويجذر في نفس الوقت.

1- إلى أي مدى تؤثر صورة الطبيب النفسي أمام نفسه، ومن مصادر أخرى غير العلاقة العلاجية، على ممارسته العلاج النفسي (أو الطب النفسي عموما)، وعلى علاقته بمرضاه أثناء العلاج النفسي؟

2- إلى أي مدى يؤثر نجاح الطبيب النفسي في الحياة العملية على أرض الواقع (بقياس المال والسلطة والشهرة ... الخ) على مهنته، ما علاقة ذلك بمثالية بعض الأطباء والمعالجين حقيقة أو تصورا

3- ما هي علاقة أدوار الطبيب النفسي المختلفة، كما تصل إلى الناس من مصادر مختلفة، بدوره كمعالج، وكطبيب؟

4- ما هي الصورة الأكثر صدقا؟ رؤية الطبيب النفسي لنفسه؟ أم رؤية الناس له؟ أم رؤية مرضاه له؟ (على اختلافهم)، وكيف يوفق بين هذا الأدوار وغيرها.

أتوقف اليوم، ولا أعد بالإجابة إلا بما يسمح به المتن في النشرات القادمة.

ثالثاً: مقتطفات د. جمال التركي من نشرة المعلم (6)

العدد: 999 / بتاريخ: 2010-5-26

مسئولية المعرفة تحتد حين نواصل المعرفة، لكن حين نتصور، لأى سبب من الأسباب (حقيقة نسبية، أم غرورا، أم جنونا، أم جهلا) أننا قد عرفنا كل شيء، فمعنى ذلك أنه لم يعد ثم معنى لوجودنا بشرا.

.. أعرف من خلال مرضى اىضاً، وأحياناً من خلال خبرات عبارة سريعة، أن هناك يقين آخر ليس يقينا بوفرة المعلومات حتى الإلمام بكل العلوم كما زعم المتنى، أو كما أتصور أنا حجم معلومات ابي العلاء المعرى، وإنما هو يقين معرفة تعلن التماهى بين أصغر مكوناتنا (الدنا) وأوسع مجالات الوعى الكونى إلى الحق تبارك وتعالى، هذه لحظات يقين تلغى الزمن لتحتويه، دون إنكار وتشمل الكون لتمثله دون انحاء، وهى فى حضورها الإيجابى: نقطة عودة إلى التفاصيل على أرض الواقع، أما فى تشويها السلبى، فهى نقطة توقف عند اللاشئ، على أنه كل شئ .

فى خبرتى (وفى رأى إريك برين كذلك) أن التصالح مع الوالد (الداخلى بالذات = الذات الوالدية Parent ego state) هى من أهم ما يطلق قدرات النمو والتكامل. التصالح لا يعنى الاستسلام، ومن لا يرى والديه فى نفسه، فيقبلهما ويتخطاهما إذ يستوعبهما بعد أن يصلحهما، فقد يمضى سائر عمره فى معركة بين ذواته لا تنتهى. التصالح وارد ولكن كمرحلة قبل الاستيعاب حتى التمثيل، بما يقابل التمثيل الغذائى فى النظرية الإيقاعية التطورية، حين تنقلب المادة الغذائية إلى جزء لا يتجزأ من نسيج الجسم الحيوى.

بالتمئل الجدى يتحول "الأب المدخل" إلى جزء من نسيج المعلومات البيولوجى، فهو النمو المتمادى.

فى العلاج النفسى، المعالج والبد، خصوصا فى ثقافتنا، والأمر لا يحتاج إلى تصوير العلاقة العلاجية على أنها إعادة، أو تكرار، أو استعادة علاقة والدية قديمة وهو ما يسميه التحليل النفسى "طرح" المشاعر السابقة على المعالج، وإنما هى علاقة نمائية طبيعية تتجدد، وتكرر، مع اختلافات فى التفاصيل والمآل، مع كل أزمة نمو، بل ومع كل نبضة إيقاع حيوى، وعلى قدر قبول المعالج لدور الأب، ثم قدرته على التخلّى عن هذا الدور لصالح نمو المريض، وقدرة المريض على قبول الاعتمادية الإيجابية المتبادلة (وليس الرضعية)، يكون التقدم على مسار العلاج

علاقة هذه الفقرة بالعلاج النفسى هى أنها ربما تنفى الإشاعة القائلة "إنه علاج بالكلام"، صحيح أن الكلام هو الوسيلة الأولى للتواصل فى العلاج وغير العلاج، لكن ينبغى أن يظل الكلام مجرد "حامل رسالة" لابد أن تُختبر على أرض الواقع وفي نخب العلاقات، الكلام، فى العلاج النفسى وغيره، إن لم يستوعبه الواقع، (فى شكل العمل والعلاقات خارج إطار العلاج والإنتاج اليومى البسيط، وغير البسيط، واستعادة حيوية نبض الإيقاع الحيوى) يمكن أن يؤدى إلى عقلنة معيقة intellectualization، أو حتى لفظنة مغتربة verbalism.

رابعا: مقتطفات د. جمال التركى من نشرة المعلم (7)

العدد: 1006 / بتاريخ: 2010-6-2

صحيح أن ألم الإنكار أو التنكر لا يطاق، لكننى لا أحسب أننى تمنيت أياه نهاية لأية بداية بشكل حقيقى، ذلك أننى على يقين أنه لا توجد نهاية لأية حياة حقيقية، يبدو أن الحياة كلها بدايات، بل إن الموت (خاصة بعد رؤيتى الأخيرة له 2008 - 2010) (نشرة 10-3-2010 "فشل علاقة الموت المتبادل: عدما "1-3") هو بداية أقوى وأعمق (نقله الوعى - أزمة نمو) (نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة).

العلاج "شراكة" و"مواكبة" بقدر ما هو "رعاية" و "مسئولية"، والعلاج الذى أمارسه وأدعو له هو محاولة استعادة حقنا فى مواصلة النمو، والطفل - فينا - هو الأحق بذلك، وهو لا يواصل النمو السليم على حساب سائر الكيانات المكوّنة للذات البشرية، وإنما هو يفعل ذلك من واقع الجدل الحيوى مع سائر الكيانات (الذوات) فى النفس الإنسانية.

هذا العلاج النمائى يتطلب استيعاب المريض من جانب المعالج "بكل ما هو"، فهو يشمل قدرا غير قليل من التقمص، بقدر ما يتطلب قدرا مناسباً من الفهم والمنطق.

المريض يحضر للعلاج عادة بطفله - الداخلى - مهزوماً أو مشوهاً، أو طفيلياً أو معاقاً، والعلاج يحتاج أن ينطلق من محاولة تصحيح كل ذلك أو أغلب ذلك، لإطلاق خطوات النمو من جديد، ولا يتم هذا من خلال سماح السلطة الأبوية (الطبيب الوالد) أو قدرتها على الرعاية والحماية (والنصائح أحياناً) فحسب، وإنما - يتواصل- من عمق آخر - يا حبذا فى نفس الوقت - من خلال المشاركة والمواكبة والمعية، وهذا قد يحتاج - كما أفترض- إلى تحريك "طفل المعالج" فعلا.

ثم إن المعالج - المفروض يعنى - تتاح له نفس الفرصة للنمو بكل ما هو، وهذا ما يطمئن المريض إلى أنه وجد والدا (طفلا) من نوع جديد، يسير "معهُ" بقدر ما يحيط به.

نحن نعالج المرضى بما هو "نحن" "كل ما هو نحن"، ونحن نتعرف المعالج على هذا الجانب من وجوده (دون حاجة إلى تسميته طفلاً أو خلافه) يستطيع مطمئنا أن يمارس سلطته أبوته بثقة أكبر، وكلا النشاطين يصلان معاً إلى المريض.

فهو العلاج

مرة أخرى "الطبيب والد"، والوالد في ثقافتنا يحضر فيه هذا الجانب المهاجم الشاك الحاسم بهذا القدر وأكثر، فإذا ما اعترف المعالج بحضوره فإنه قد يحسن ترويضه من جهة، كما أنه قد يستفيد من إطلاق قدراته في المساعدة في اتخاذ قرارات حاسمة أو فرض شروط لازمة يرى أنها ضرورية تماماً لاستمرار مسيرة العلاج في الاتجاه الصحيح، وفي جميع الأحوال هو لا يفرض رأيه أو يلزم باتباع طريقه، ثم أن هذا الموقف الشاك له جانبه الإبداعي، فهو يسهل أحياناً وضع الفروض التفسيرية والتأويلية بشكل مترابط تآمرى/إجباري، يعين على فهم الأمراض Psychopathology

ولكن ما هو الفرق الحقيقي بين من يريد التكامل فيرى هذا كله في نفسه، ومن يعيش بسبعة أوجه، أو مائة، يتلاعب بها ويلبس لكل مقام وجهه؟ هذا هو الإشكال المتحدى.

لعل هذا الفرق هو بين مسيرة الوعي المسئول وبين تحايل وتقلب الوجود المناور.

وبألفاظ أخرى:

هو الفرق بين التفكك المتصارع، وبين التناقض المتآلف في جدل خلاق.

وهو هو الفرق بين الاعتراف بكل جوانب النفس ضعفها وقوتها شرها وخيرها.. للتوليف بينها في كل جديد، وبين مواجهة أجزاء النفس المنفصلة في هرب من بعضها البعض.

وهو الفرق بين الرؤية المسئولة للتغيير، وبين الرؤية للفرجة العاجزة المكتفية بالرؤية والتأجيل،

وهو الفرق بين تناسق الوجود رغم اختلاف أجزائه وبين تناثر الوجود بسبب اختلاف أجزائه .. إلخ ..

الإشكال الحقيقي هو في وجه الشبه الشديد

بين معالم التكامل وألعاب النكوص،

وللتحقق من حقيقة الأمر لا مفر من تجاوز الاكتفاء برؤية الشخص نفسه مهما احتدت بصيرته،

يحيى: شكراً يا جمال

ربنا يخليك، وينفع بك

الإثنين 16-06-2010

1020- لعبة الحياة



دراسة في علم السيكوباتولوجي
في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسي
شرح على المتن : ديوان اغوار النفس

الحلقة : (70)

لعبة الحياة

(الفصل الثالث)

المقدمة :

هذا هو الفصل الثالث في الديوان، بعنوانه الأصلي "لعبة الحياة" وكان عنوان الفصل الأول هو "لعبة الكلام"، والثاني "لعبة السكات" حيث قامت لغة العيون باللازم، وكلاهما كان بمثابة كشف للمشاعر الإنسانية في محاولة سير غور فقه العلاقات البشرية، في الأحوال السوية (تقريباً) لكن في إطار معاناة عمق التعرية وآلام الرؤية.

هذا الفصل الأخير هو عن الحياة : "لعبة الحياة".

مواجهة حقيقة "الحياة" من خلال المرضى والمراجعة

حين بدأت تقييم موقفى العلاجى - كما فرضه على مرضى - كان التحدى الذى وجدت نفسى فى مواجهته هو دعم الحياة ضد الموت، فمررت بمراحل التعرف على "ما هو حياة"، مما يجدر تقديمه على الوجه التالى:

1- وجدت فى البداية أن الحياة تمثل "التقدم/الاقترام"، فى حين كان الموت هو التقهقر التراجع/النكوص" فكانت أرى الفصام يمثل الموت مثلاً من حيث أنه نكوص فتحلل، فيكون علاجه هو استرجاع التماسك للتقدم.

2- ثم انتبهت إلى أن الحياة هي الحركة في حين أن الموت هو السكون، فانتقلت من الاقتصار على التركيز على الدفع إلى الحياة، إلى الاهتمام بمحاولة التحريك (استعادة زخم الحركة) مطمئنا إلى أن الحركة لها تلقائيتها الكافية لإعلان الحياة ودفعها، وبالمقابل يكون الموت هو السكون، ومن ثم الضمور فالعدم. (اللهم إلا حركة الموت الانفجارية طبعا)

3- حين تصالحت مع الموت، ووصلني كيف يمكن أن يكون نقله من الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني، وأنه "إعادة ولادة"، وأنه "أزمة نمو" وجدت أن هذه الرؤية الجديدة تنفي عن الموت سكونه وعدميته بشكل أو بآخر، فبدأت تحفظاتي تجاه الاطمئنان إلى أن الحياة هي الحركة الطبيعية في ذاتها باعتبار أن الموت قد يكون كذلك.

4- وحين تيقنت أن الحركة وحدها قد لا تعنى الحياة، رحلت أتفحص الحركة اللاحياة: فتم حركة في الحلق، وتم حركة دائرية مغلقة تنتهي حيث بدأت، فهي حركة زائفة في النهاية، وأفادتني هذه الرؤية في أن أنتبه إلى أن الحركة إنما تمثل الحياة من خلال شرط ارتباطها بالإيقاع الحيوي النابض، الذي تكون محمله إيجابية حين يكون البسط تشكيلا للامتلاء، وليس مجرد تفريغ لما امتلأ به.

5- ثم أضيف بعد متداخل، هو حتمية "برنامج الدخول والخروج" in - and - out program باعتباره حركية مكملة لدفع زخم الحياة، شريطة أن يكون ذراع الخروج أرجح وأكثر امتدادا من الدخول (ولو قليلا) مع كل دورة، أو مع محصلة الدورات.

6- ثم امتدت رؤيتي لمدارات متمادية الاتساع حتى ترابطت حركية الحياة البشرية مع كل حركة حياة في دوائر تتولد من بعضها البعض إلى ما بعدها: حياة الطبيعة، فحياة الكون، فوصلني معنى ما هو كدح إلى وجه الحق تعالى، فأصبحت الحركة عندي بين الوحدات (البشر) لا تمثل أعماق ما هو حياة إلا إذا تواصلت مع الحركة نحو المطلق إلى وجهه تعالى.

(أ) التقدم

(ب) التعتة

(ج) البسط

(د) الخروج

التقهقر

السكون

الامتلاء

الدخول

7) وهكذا انتهيت إلى التعرف على حركية ما هو حياة - حتى الآن - على محاور متعددة:

شريطة أن يتواصل كل ذلك إلى الامتداد في، ومع، إيقاع دوائر الحياة في اتساعها المتمادى.

وبعد

في هذه النشرة موجز مكثف جدا لما تجمع عندي حتى الآن من واقع معاشتي لجدل المرض والصحة، على مسيرة العلاج، كما سمعت في نفسي، فخرج هكذا:

المتن أولا:

نص القصيدة هنا تجاوز كثيرا ما جاء في مقدمة الفصل الثالث للديوان "أغوار النفس" ذلك أنه قد تم تحديثها عدة مرات، آخرها اليوم، مرورا بأرجوزة للأطفال ضمن الأراجيز التي كتبتها لهم، فعذرا،

وسوف أكتفى في هذه النشرة بتقديم المتن في صورته الأخيرة، فالأرجح أنه قد يحمل رسالة في ذاته أقوى مما سيأتى بعد تشريحه (أو تشويبه) بما يسمى شرح على المتن!.

-1-

الحياه هى الحياه

أغلى حاجه فيها هيا: إنى عايش

ووسط ناسنا الطيبين

حتى ناسنا النُّسُّ نُسُّ

هَما برضه أحلى ناس: طيبين

ما انا منهم،

يبقى لازم زيُّهم،

حلو خالص

بس انا برضه بلاقيني ساعات كدا نض نض،
قلت أتعلم، وابص

-2-

الحياة هي الحياة
باترجف من خطوتي الجايئة، ولكن:
باترعب أكثر لو انى فضلت ساكن
كل ما أشك ف خطاي،
ألتفت ما لقاش وراى
إلا إني،
وسط كل الناس باغني

يعنى بابني،

أنا وابني.

واللى مش ممكن حاجخلص بيه وبى.

يبقى غيرنا يكمله.

-3-

الحياة هي الحياة
الحياة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،
أو حكاوى فى القهاوى والدواوير والمقاعد،
أو شلل مرصوة تعرف فى الصياغة واللكاة،
أو برامج فى الإذاعة.

الحياة دى مش ثقافة عليا جدا" فوق هامات البشر".

أو جوايز يمنحها للى فاز لما انتشر.

-4-

الحياة هي الحياة
الحياة مش هيصة سايبه منعكشه
الحياة حركة جميلة مدهشه.

بس بتخوف ساعات

لما بنعزى الحاجات

-5-

الحياة هي الحياة

الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكره
مثل قلبه مايله تدلق مية الحياة في صحرا مولعة ..
لا الزرع يطلع فيها ولانارها في يوم راح تنطفي.

-6-

الحياة هي الحياة

كل ما بالقانى ماشى: ما بناتكُم، أنيسط.
إيدى ماسكه في إيديكُم،
بابقى خايف إن واحد ينفرد
يا حلوه لو تكون الدنيا ديّه
زى ما ربي خلقتنا: هيّا هيّه
تبقى رايج نحوها، تلقاها جايه

-7-

الحياة هي الحياة

الحياة الحلوة تحلى بكننا، إنت وانا،
كل واحد فينا هوّا بعضنا،
بس مش داخلين في بعض وهربانين،
زى كتله قش ضايعة ف مجرطين.
ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسه،
بس نفسه هيّا برضه كلنا،
مالى وعيه بربنا

-8-

الحياة هي الحياة

الحياة الحلوة حلوه
والحياة المرّه برضه، لو تاخذ بالك شوية
راح تشوف مرارتها حلوة
هيه صعبة لو لوحك
بس تسهل لو معانا الناس يا ناس

.....

مش مصدق!!!

طب حاتسر إيه لو انت سمعتنا

مش مجوز نلثاك معنا كلنا

نبقى أكثر مننا!!

وبعد

لعلاقتي الخاصة بهذه القصيدة (الأرجوزة) أجملت الشرح عندًا كما قلت.

أما القصيدتان، في هذا الباب فهما عودة إلى تداخل ما هو سرية ذاتية مع احتمال تطبيق معطياتها على آليات العلاج النفسى، لا أعرف كيف.

القصيدة الأولى "جمال الخامل": وهى قصيدة لا أحبها كثيرا، وقد كتبتها في وسط الخبرة التي أفرزت هذا الديوان وهى تركز في البداية على تراكم التحمل الواعى نسبيا، لتنتهى باقتحام الأمل وليس انتظاره (الحياة).

القصيدة الثانية "الخلاص": وفيها تركز من جديد السرية الذاتية تاوكبا مع الخبرة الآتية، لتنتهى بقبول التحدى واقتحام "الآن" "الحياة"،

وهذا وذاك هو ما سنحاول أن نقرأه معا في الحلقات القادمة.



الحلقة: (71)

لعبة الحياة (2)

(الفصل الثالث)

شرح على المتن

بصراحة، مازالت عندي مقاومة شديدة لكتابة شرح على متن هذه القصيدة بشكل خاص، ومع ذلك فأنا مضطر، لم يبق على نهاية الكتاب إلا قصيدتين، ثم الختام، لتكن ورطة، هي كذلك، فلتتم بما يمكن، والسلام.

إذا وصلنا أن الحياة هي الحياة، فهي لا تحتاج إلى مزيد من شرح،

لكن ما دمنا في مجال استغلال المتن، للدخول إلى بعض ما يعيننا في مهنتنا، وبالذات في موقف العلاج النفسي، فلتستمر المحاولة ضد كل مقاومة.

المرض النفسي، كما كررنا مراراً، هو توقف مؤلم، أو منسحب، أو متجمد، وكل هذا هو "ضد الحياة"، كما بينا في الحلقة السابقة، إذن يمكن أن نتصور أن العلاج، والعلاج

النفسي ضمنا هو "إحياء" بكل معنى الكلمة، "ومن أحيائها، فكأنما أحيانا الناس جميعا"، إذن قد مجرد بالطبيب النفسي، المعالج النفسي، أن تكون عنده بعض ملامح عن ماذا يعنى "بالحياة"، ما دامت وظيفته هي الإحياء، شريطة ألا ينسى أن لديه شخصياً نفس الفرصة لتنشيط الحياة في نفسه من جديد، حتى وإن كانت نشطة بشكل ما، إلى درجة ما.

-1-

الحياة هي الحياة

أغلى حاحه فيها هيئا:

"إني عايش"

لا يوجد تفسير للحياة إلا أنها الحياة،

كثيرا ما طرح عليّ مريض هذا السؤال: ماذا عليّ أن أقرر الآن؟ فأجديني أطرح نفس السؤال على نفسي دون أن أدري، وقد كنت أرد على كثير من مرضاي، دون تجاوز الأمور الحياتية اليومية التي علينا أن نقررها سويا، أو يقررها هو مؤتسنا بعلاقتنا (حتى لا يزعج الخواجات)، كثيرا ما كنت أجد نفسي أقول له (ولنفسى) :

عليك أن تقرر: "إما أن تحيا، أو لا"، ولم أكن أقول عادة "إما أن تحيا أو تموت"، خشية أن أثير عنده هذا الاحتمال وكأنه بديل حقيقي، أو بصراحة: لأننا عادة ما يكون انطلاقنا - ونحن لا ندري- هو من أن عمق مهنتنا هي أنها تسهم في إحياء الموتى، (بفضل الله والفن العلاجي/ العلم).

فهل لميت (مع المبالغة) أن يعيد اختيار موته؟

لم يبق إلا أن تعرض عليه، وعلينا اختيار "الحياة".

أغلى شيء في الحياة هو الحياة نفسها:

"أغلى حاحه فيها هيئا

"إني عايش"

لا تُقَيِّم الحياة بما يملؤها من مكاسب، أو ملذات، أو أملاك، أو حتى قيم، وربما إنتاج،

"الحياة حياة" قبل كل هذا وبعد كل هذا،

نتعلم من أجدادنا من ملايين السنين أن بقاء الأحياء الأدنى (التي كثيرا ما أشعر بالخجل حين نصفها أنها أدنى) هو "أن تبقى"، بلا أي سبب لاحق،

لا يبقى العصفور في عشه حيا، لأنه عش جميل، أو ملجأ آمن، ولا يبقى الأسد حيا، لأنه ينتظر من السيدة حرمه اللبوة أن تقوم بتمشيط شعر لبدته قبل اللقاء السعيد،

العصفور والأسد يعيشان الحياة أولاً، ثم تُمَلَأُ الحياة بما تستحق أن تُمَلَأَ به، فيبقى النوع ، ويقاوم الانقراض جيلاً بعد جيل

حين تنحرف المسيرة، وتصبح الحياة "هى ما تحوى"، وليس "ما تُفرز بما هى"، يصبح التهديد بالانقراض أقرب!

حين اكتسب الإنسان الوعى، أصبح يقيس الحياة، ويخطط لها، ويحسب مبررات استمرارها، بمقاييس منحازة إلى منطقته الظاهر، وليس إلى كلية وجوده طولاً وعرضاً، وأيضاً بمقاييس من خارجها، من خارج الحياة، بعضها من صنعه، ليست كلها لصالحه.

الحياة يلزمها بداية نسيج متين من البنية الأساسية كى تنبض، لكن لا ينبغي أبداً أن يحل هذا النسيج التحتى مهما كان ضرورياً محلها برغم أنه من أساسياتها، أو من شروطها، أو من ضروراتها .. إلخ

يظل مجرد حقيقة "أنى أحيا"، هى الحقيقة البادئة التى لو امتلأنا بها، وأمكن أن نبعثها فى مريضنا، لأصبحت نقطة انطلاق واعدة منفتحة .

لا شك أن حياتنا المعاصرة قد أنستنا هذا تماماً، أو غالباً، أو إلى حد كبير،

لو أحسنّت الإنصات إلى صوت عصفور الكناريا على فرع شجرة، لوجدته يردد نفس هذين البيتين:

الحياة هى الحياة

أحلى حاجة فيها، هيّا:

"إنى عايش"

ما رأيك لو نتوقف عند هذا المقطع، ونحاول أن نردده لعلنا نصدق به هو، دون إبداء أسباب

(يمكن أن تفعل ذلك وأنت تسمع غناء هذا العصفور بعد أن تنزل صوت غنائه من جوجل!!)

الصوت موجود فعلاً: حاول).

.....

هيا نجرب

.....

الحياة هى الحياة

أحلى حاجة فيها، هيّا:

إنى عايش

.....

الحياة هي الحياة

أحلى حاجة فيها، هيّا:

إنى عايش

.....

الحياة هي الحياة

أحلى حاجة فيها هيّا:

إنى عايش

.....

ما رأيك؟

وحتى نلتقى الأربعاء القادم أقترح أن تعود إلى قراءة القصيدة على بعضها من نشرة الأربعاء الماضى..

- مرة أخرى واحد فى الألف من كل الأحياء هو الذى نجح فى هذا الامتحان.



الحلقة : (72)

لعبة الحياة (3)

(الفصل الثالث)

توقفنا في الحلقة السابقة عند أن الحياة لا تحتاج مزيدا من التعريف، وأن الاختيار المطروح في نهاية الأمر يبدو أنه هو المطروح في بداية الأمر، هو اختيار "أن أحياء.. أم لا"، وهو نفسه كان وما زال هو الاختيار المطروح على أي كائن حي عبر تاريخ التطور، أن يمجا فردا، ثم أن يمجا نوعا، بآليات وبرامج البقاء فيما هو دون الإنسان، وبدرجة ما من الوعي والتخطيط بعد أن أصبحنا بشراً.

هل كان من السخف وفرط التبسيط أن نقف هذه الوقفة في الحلقة السابقة نغرد للحياة مثل عصفور الكناريا، ونتمسك بها بما هي لما هي، وما يحدث يحدث؟ ربما؟ لقد لامني بعض الأصدقاء على هذه الوقفة وهذا الاكتفاء وكأنني أستعبط بأن ألهي نفسي عن ما عدا ذلك، أو ما بعد ذلك. الوعي الذي أمتجّن به الإنسان يمنع البقاء في هذه الوقفة طبعاً، لكن يبدو أنها ضرورة البداية، وبداية الضرورة، لكن علينا ألا نكتفي بأن نعلنها هكذا فقط، بل لا بد أن نعيشها بشراً، ولكي يكون الإنسان بشراً لابد من أن يعيش جدل الوعي مع وعي آخر، وعي بشري أيضاً، بل أكثر من وعي في كل فرد، ومع عموم الناس.

يبدو أن القصيدة التي نحن بصدها تنبهنا إلى ذلك بشكل سريع قبل أن ننسى، فبمجرد اختيار الحياة نجدنا بين الناس هكذا:

الحياه هيّا الحياه

أغلى حاجه فيها هيّا:

"إني عايش"

وسط ناسنا الطيبين

حتى ناسنا النّس نّس

هّما برضه أحلى ناس: طيبين

ما انا منهم،

يبقى لازم زيّهم،

حلو خالص

بس انا برضه بلاقيني ساعات كدا نّس نّس،

قلت أتعلم، وابّس

إذن الحياة هي الحياة شريطة أن تكون وسط الناس، لا تكون الحياة حياة بشرية إلا بين الناس.

في العلاج النفسي الفردي الصحيح يعتبر المعالج ممثلاً لمن هو "آخر" بالأصالة عن نفسه والنيابة عن الناس، هذا مفهوم آخر غير المفهوم الذي يؤكد عليه التحليل النفسي التقليدي، حين يهتم أساساً بالتركيز على "الطرح" والتداعي الحر والتنفيث. إن لم يقدّم العلاج بتهيئة تنمية العلاقة مع جماعة صغيرة، (أسرة مثلاً)، ثم مع بعض الناس ثم كل الناس، فهو علاج تنفيثي محدود هكذا يعلن المتن من البداية أن الحياة لا تكون حياة إلا وسط ناسنا الطيبين.

أعتبر خبرتي في قصر العيني مع مرضى العلاج الجمعي خاصة خبرة أتاحت لي الفرصة أن أعرف وأنعزف على عينات من ممثلي الشعب المصري الحقيقي عاماً بعد عام، أعني الشعب المصري التاريخ، أعني الشعب المصري الطبيعي، أعني الشعب المصري الآن. أنا أمارس العلاج الجمعي المجاني في قصر العيني منذ سنة 1971 مع مرضى من الشريحة الأقل قدرة من الطبقة الوسطى والدنيا، وأيضاً من الطبقة الأفقر، تعلمت من هؤلاء المرضى معنى الطبقة المصرية الحقيقية "وسط ناسنا الطيبين"، وهم يعطون الموافقة الطبية بكل ترحيب أن يجلس معنا في نفس قاعة العلاج في دائرة أوسع كل من يرغب في التعلم والتدريب لمشاهدة الجلسة العلاجية بشروط شديدة اليسر، كما يقبل هؤلاء الناس الطيبون التصوير بالصوت والصورة، خدمة للعلم والمتعلمين، الطريقة التي أمارس بها هذا العلاج علانية مع إمكانية التدريب ودوام التسجيل استمرت حتى الآن أربعين عاماً إلا

عاماً (عام وراء عام)، تجتمع عينة ناسنا الطيبون (من 8 - 14 فرد) بشكل منتظم كل أسبوع في يوم محدد (الأربعاء الآن) الساعة 7.30 صباحاً ولدة ساعة ونصف، ولا نحدد اختياراً معنياً للسن أو التشخيص أو الشخصية (أنظر الحوار مع د. أميمة أمس الثلاثاء: 2010-6-1)، اكتشفت وأنا أكتب هذا الشرح الآن أن الذى شجعتنى على الاستمرار طوال هذه السنين هو أن ناسنا طيبون بالمعنى البسيط العميق، وليس بمعنى الاستسهال أو السطحية أو التفويت، يبدو أن هذه الطيبة معدية، ومهما كان ظاهر الأعراض، ومهما كان اسم التشخيص، ومهما كان نوع الشخصية، فإن وعياً شامعياً يتكون فيما بيننا من أول جلسة وينمو باضطراد حتى نهاية العام (مدة التعاقد للعلاج هي عام كامل: اثنا عشر شهراً). هذا الوعى الجمعى **Collective Consciousness** هو آخر ما قدمت في مؤتمر حديث بعنوان: **"الصياغة في مقابل التشخيص والتصنيف"**. (يمكن أن يجده الصديق الزائر في الموقع) ولم أكن قد تبينت أنه **"الطيبة المصرية الحقيقية"**.

قلت حالاً إن هذه الطيبة معدية، لكن التعبير الأصح هو أن أقول إنها قادرة على أن تستخرج ما يقابلها (خلقة ربنا) من كل فرد من أفراد المجموعة، فهي ليست سمة أو صفة تنتقل من فرد إلى فرد (معالج أو مريض) بقدر ما هي حقيقة بادئة تتحرك منا بمثير صدق التقائنا، ثم تتجمع وسط دائرتنا فيما أسميته **"الوعى الجمعى"** **Collective Consciousness** وليس الوعى اللاجمعى الذى قال به **"يونج"** **Collective Unconsciousness**

الذى يجعل العلاج الجمعى ذا فاعلية هو أن هذا الجزء الطيب (العام المشترك) يتحرك من داخل المعالجين أيضاً ليساهم في تكوين الوعى الجمعى المشترك المشارك.

ليس في الأمر خصوصية للشعب المصرى، فهذه الطيبة التى أحدث عنها تصلنى من ناسى لأننى منهم، وهى أقرب إلى ما أسميناه **"الفطرة"** وقد تقعرنا في التنظير حوله سابقاً -11-4-2007، 6-11-2007، ونلاحظ أن المتن ينبهنا أن هذه الطيبة موجودة في الطيبين ظاهراً، وحتى في الذين أخفتها دفاعاتهم يبدو غير ذلك، أو **"نصف نصف"**.

في خيرتى مع طول عمر المجموعة وجدت أن هذا **"العامل المشترك"** الذى نسميه طيبة (المصرى أو غير المصرى) هو هو **"الخلاوة"** التى نصف بها الحياة طول القصيدة، هذه الخلاوة بدت في وصف ناسنا الطيبين حتى **"النص نص"** منهم بأنهم:

أحلى ناس: طيبين

بنفس الآلية تتم تعتعة نفس هذه المنطقة عند المعالج، **"عندى"**، فأنا أعلن من البداية، مع تمام مسئوليتى **"أن ما يسرى على المرضى يسرى على"**، فتنشط عندى نفس المنطقة **"الطيبة الجماعية المسئولة"** (لاحظ أضفنا لفظ **"المسئولة"** هنا).

كل ما أشك ف خطايا ،
ألتفت ما لقاش ورايا
إلا إني ،
وسط كل الناس باعئي
يعنى بائني ،
أنا وابئني .
واللى مش ممكن حاجخلص بيه وبئيا .
يبقى غيرنا يكمله .

الإثنين 07-07-2010

1041- لعبة الحياة (4)



الحلقة : (73)

لعبة الحياة (4)

حركية الحياة، وحتم التواصل للاستمرار

حركية الحياة هي الحياة، حتى الموت الحقيقي هو بعض مراحل
حركية الحياة من بعد معين.

قد يسكن السطح فيخدعنا الركود،

لكن تظل الحياة تتحرك داخلنا تحت هذا السطح الراكد
رغما عنا،

الموت، كما وصلني مؤخرا، كنقطة من الوعي الشخصي إلى
الوعي الكوني، هو أزمة نمو، فهو حركة، فهو حياة.

هذه الحركية ليست خطية، وليست دائرية، وليست لولبية،
وليست أمامية، وليست خلفية،

هي كل ذلك في تكامل وتناوب وإيقاع حيوى متصل،

ثلاثة أبعاد للحركية :

أهم الأبعاد التي أود التركيز عليها، وهي التي تتجلى
لنا في رحلة العلاج النفسي (الجمعي خاصة) هي:

(1) حركية "برنامج الدخول والخروج" In and Out program، وهو الذى يسمح بالتواصل البشرى على درجات متعدده من الوعي، ويتم النمو طالما يرجح ضلع الخروج باستمرار مع كل دورة ، إلى أبعد من رجوعه، وأورد بعض أمثلة لهذا البعد كما يلي :

• الدخول إلى الرحم النفسى والخروج إلى الآخر (الموضوع/الناس)،

• الدخول إلى النوم (الواقع الداخلى) والخروج إلى اليقظة (الواقع الخارجى)،

• الدخول إلى الحلم والخروج إلى النوم غير الحلم

• الدخول إلى حضانه الذات والخروج إلى رحابة المطلق

وهذا ما يميز العلاقة الحية ، والمقاومة المتناوبة في العلاج النفسى، وخاصة العلاج الجمعى

(2) ثم حركية الملاءة البسط = Filling-Unfolding (الإيقاع الحيوى Biorhythm)، حيث دورات هذا الإيقاع تمتد من أول التفاعل الكيمىائى حتى إطلاق تيار النبض العصى، كما تتجلى في

• دورات النوم اليقظة،

• ثم دورات النوم الحلم /اللاحلم،

• ثم دورات تناوب الذوات،

• ثم دورات الملاء البسط الإبداعى.

وفي العلاج يتم التعامل مع هذه الحركية بضبط جرعة النوم والاحلام (وليس تفسيرها) مع العقاقير المتقطعة، مع ضبط جرعات النشاط والتلقى طول الوقت

(3) وأخيرا حركية الجدل الولاقي Synthesis وهى أبسط ، وفي نفس الوقت هى أعمق من أن تُختصر في تعبير "التوليف بين أصداد"، حيث هى جماع كل حركية الحياة بكل البرامج السابقة وغيرها لتخليق الخطوة التالية التى يعلنها تغير نوعى، إلى غير نهاية.

وفي العلاج نرى نتئج هذه الحركية أكثر من أننا نرصد تفاصيلها ، وتظهر النتائج في صورة التغيير النوعى الذى يمنع النكسة ، أو يرحب بها بشروطه، فيتواصل النمو

الوعى بحركية الحياة

الوعى بحركية الحياة ليس ضروريا لإقرارها، بل إنه قد يعيقها (بس انت لو بصيت لرجليك، تقع)،

لكن نشاط الوعى البشرى لا يتركنا نسير بتلقائية طبيعية

راقصين مع الدنيا (هي الشابة وانت الجدع)، فهو عادة، بل كثيراً، ما يقفز ليقول: "إلى أين؟"، أو "حاسب"، أو "أسرع"، أو "ماذ بعد؟"، أو أى شيء.

الحركة الزائفة

• ليست كل حركية هي حياة، فثمة حركة زائفة خادعة: تكلمنا محصلتها صفر، وقد ضربنا بذلك أمثلة منها: الحركة في المحل (محلّك سر)،

• والحركة الدائرة المغلقة (سكريبت معاد)،

• والحركة حول الذات تمرّكزا،

وكل هذه حركات ثابتة وليست حركية حيوية، وهي أكثر خداعاً من السكون الراكد.

تذكرة

تبدأ نشرة اليوم بتذكرة تؤكد على ما جاء في الحلقة السابقة من أن الحياة لا تحتاج إلى تعريف من خارجها،

"الحياة هي الحياة".

حين يمتد الوعي بحركية الحياة، على أى مستوى نرعب من أية حركة كانت، بغض النظر عن اتجاهها أو النظر في مآلها،

الرعب من الحركة يكون في أشد صورته حين يكون الجمود جامثاً وغير ناجح في نفس الوقت،

العلاج النفسى، من منظور النمو، يتواصل كما يلى :

• تحريك الراكد،

• وكسر الغلاف،

• ونقب الجدار،

• ثم تعديل الاتجاه،

• فإطلاق الطاقة،

• فدفق النمو في الحياة بتنشيط كل الحركيات السالفة الذكر.

والآن إلى المتن:

باترجم من خطوتى الجايئة، ولكن:

باترعب أكثر لو انى فضلت ساكن

إذا زاد الخوف من الحركة حتى أشلّ، فإنه يصبح معوقاً بالغ الإعاقة،

يترتب أيضا على هذا التهديد المرعب دعوة إلى التراجع عن هذه الخطوة والرضا بالسكون القائم (واللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش)،

يسرى هذا على المريض وعلى المعالج على حد سواء .

لكن الكائن النامى، معالجا أو مريضا، لا يندفع بهذا الإغراء بأمن هذا السكون الخبيث ، فهو فإيرعب منه أكثر من خوفه السابق من الحركة،

رعب السكون هو رعب الموت/العدم، وهو رعب أخطر وأعمق،

باترعب من خطوتى الجايئة، ولكن:

باترعب أكثر لو انى فضلت ساكن

الرعب من السكون وارد حين يلتقط الوعى من بعد أعمق أنه سكون يحتوى حركة مكتومة حاهزة للتفجر كم حاء فى نص القصيدة بالفصحى :

تفجّر السكونُ فى قوالبِ الجليد،

ولم تدوّ الفرقعة .

تحركتْ أشلائى الجمدة ،

تفتتّ الجبلُ،

فطارت الغرائسُ،

تكسرت حواجز الأصوات،

تخلقتْ ... تطاولتْ،

فأجهضتْ،

وضجت السكينة .

أين حركية المعالج من كل ذلك؟

ماذا لو كان المعالج هو الذى سكن إلى ما هو فيه واستقر؟ هل يستطيع مثل هذا المعالج أن يحرك المريض المتجمد دون أن يتحرك هو نفسه بنفسه لنفسه ؟

السكون/التوقف وارد أكثر بالنسبة للمعالج منه بالنسبة للمريض،

المريض الذى يسكن إلى آليات مرضه - باستثناء المرض العضوى التشريعى - هو إما حالة اضطراب شخصية، أو بارانويا مزمنة، أو المأل السلبى المرضى لأى ذهان نشط، وخاصة الفصام،

هذه الحالات جميعا، إذا ما أخذت فرصة علاج مكثف، يمكن تحريكها بدرجة ما، مع أنها من حيث المبدأ مستحيلة التحريك،

هكذا يؤكد المتن أن :

- الغناء وسط الناس،
- مع البناء،
- مع تواصل الأجيال،

هو الضمان أننا نغني للحياة فعلا إذ نتناغم مع الناس فالكون عرضا فطولا

(هل يا ترى هذا هو ما كانت تقوم به أغاني العمل التي تراجعت حتى كادت تختفي تماما؟)

ضرورة الزمن لتواصل مسيرة حركية الحياة

استمرار الحياة ليست قضيتنا أفرادا،

وربما هي ليست قضيتنا أجيالا،

الأحياء التي نجت أن تبقى حتى الآن (واحد في الألف) نجت دون أن تطرح على نفسها أي سؤال مما طرحناه هنا والآن، هي فعلت ذلك باحترام قوانين وبرامج البقاء للاستمرار عبر الأجيال، هذا اليقين باستمرار الحياة هو سر النمو، ودفع العلاج، وأساس الإبداع

واللى مش ممكن حاجخلص بييه وبيا .

يبقى غرنا يكمله .

هذا اليقين باستمرار الحياة هو سر النمو، ودفع العلاج، ودعم الإبداع

تعلمت هذا المبدأ من "عم على" السباك، وقد حكيت عن هذا الحادث (وربما كتبتة) مرارا .

هو صديق "سباك" عرفته منذ أوائل الستينات، كان يعمل بيده غالبا، ويكاد يرفض أى صى يساعده ضمنا للإتقان (كما أخبرني)، (وقد استلهمت من عم على شخصية "عم محفوظ" في الجزء الأول "الواقعة" من ثلاثيتي : المشى على الصراط)

كان عم على مستغرقا في عمله في الحمام، ودخلت أستعجله المرة تلو المرة، نظر إني باسمي معترضا ولم يصرح لى بأن هذا الاستعجال قد يفسد ما آله على نفسه من إتقان عمله،

نظر عم على في وجهي فوجدني مكفهرًا قلقًا على ما يبدو، فنمحنى أن أطمئن، وأن ما لا ننجزه الآن سوف ننجزه بعد قليل، وما لا ننجزه اليوم سوف ينجز غدا، وما لا يُنجز غدا سوف يُنجز الأسبوع القادم، وما لا ينجز هذا العام سوف ينجز العام القادم، وما لا ننجزه نحن، فسوف ينجزه أولادنا، وما لا ينجزه أولادنا، فلا داعى لإنجازه أصلا".

أشعر أن الفصحى أفستت الرسالة التي أريد توصيلها، فلأنقل الرواية التي عمرها خمس وأربعين سنة بألفاظ "عم على"

" .. إيه فيه إيه؟ مالك يا دكتور؟ هذى روحك، إالى ما تخلصوش دلوقتى تخلصه بعد شوية، واللى ما تخلصوش النهارده تخلصه بكره، واللى ما تخلصوش بكره تخلصه الجمعة الجاية، واللى ما تخلصوش السنه دى تخلص السنه الجاية، واللى ما تخلصوش احنا تخلصوه أولادنا، واللى ما تخلصوش أولادنا إن شالله ما تخلص ..!! "

لم تصلنى من هذه الرسالة أى تأجيل سلى، بل ما وصلنى منها هو الحرص على الاتقان، والإقلال من اللهفة على النتائج، ما دام العمل جار بأصوله، فقفز منى هذا النص فى هذه القصيدة.

يعنى بآبئى،

أنا وآبئى.

واللى مش ممكن حاج تخلص بيه وبيا.

يبقى غرنا يكمله.

وإلى الحلقة القادمة

مازلنا فى قصيدة: "لعبة الحياة"



الحلقة: (74)

لعبة الحياة (5)

مقدمة:

مازلنا مع مقدمة الفصل الثالث، والمقاومة تزيد لدرجة احتمال ألا أكمل الشرح على هذا المتن، خاصة وأن ما تبقى به جرعة شخصية مفرطة لست متأكدا من موقعها في خدمة "فقه العلاقات البشرية".

ما علينا: المتن:

الحياة دي مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،

أو حكاوى في القهاوى والدواوير والمقاعد،

أو شلل مرصوصة تعرف في الصياغة والكساعة،

أو برامج في الإذاعة.

هكذا يبدأ النص في تعرية "ما ليس حياة"، أو ما هو تشويه للحياة، أو تزييف لها، أو ما لا يستحق أن يوصف بأنه "حياة".

وبقدر ما يبدو في المتن من شجب ورفض وتحذير من صور الاغتراب المختلفة، ينبغى الخذر من تصور أننا لا نحتاج إلى بعض من كل هذا حتى يمكن أن نستمر بدرجة ما، فيما يسمى الحياة العادية أو الواقعية، صحيح أن الكلام والحكاوى وكثير من الندوات والحوارات مغتربة، لكن صحيح أيضا أن الكلام لا يمكن أن يقاس بالمسطرة كما يقول صلاح جاهين. المصيبة في صور

أو جوائز يمنحها لى فاز لما انتشر.

حين ينفصل المثقف بمعنى الصفوة المطلعة العارفة الفاهمة المبدعة أحيانا عن القاعدة العريضة لمجموع الناس، تصبح له وظيفة أخرى لا مانع أن تكون إيجابية غير تمثيل وعى عموم ناسه والدفع بهم إلى ما يمكن من فرص لائقة بالجنس البشرى من تطور وعمو وإبداع، المثقف من الصفوة التى يمثلها مثلا المجلس الأعلى للثقافة عندنا هو إنسان نافع ويساهم فى الحفاظ على ما يميز فكر ناسه، بل والفكر عامة فى مرحلة تاريخية بذاتها، وربط ذلك بما سبق فى التاريخ، وأحيانا التخطيط لما يمكن مستقبلا، لكن هذا كله لا يمثل العينة المثلى لما نسميه الحياة،

فالحياة هى الحياة بذلك، وبدون ذلك، صحيح أن هؤلاء النفر من البشر قد امتلكوا وسائل أرقى وأنفع بكثير من سائر الناس، لكن الصحيح أكثر أن الحياة هى قبل ذلك وبعد ذلك.

لن أخرج إلى موقفى من الجوائز لأسباب شخصية، فقط أذكر أن الجائزة أية جائزة هى "إعلان لتناسب معين بين ماخها والحاصل عليها فى فترة تاريخية معينة".

وبشكل عام، فإنها عادة ما تعطى لمن يستحقها، فلا يصح أن نأخذ حكاية "اللى فاز لما انتشر" على أنها القاعدة، ومع ذلك فالخطأ وارد، والانتشار أحيانا يعمل نوعا من "تأثير الهالة" ليحل محل "تقدير العمل أو الشخص"،

قرأت حذر بهاء طاهر من حكاية "أكثر المبيعات انتشارا من الكتب" Best Seller وذلك قبيل ترجمته كتاب كويلهو "السيمبائى" ثم حين تخطى هذا الحذر واطمأن إلى قيمة الكتاب قام بترجمته بجد شديد ومدحه مدحا لم أجد له مبررا فى نقدى له مقارنة برحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ

المهم أن الانتشار، والثلية قد يشاركان فى ذهاب بعض الجوائز إلى غير أهلها، لكن هذه ليست هى القاعدة،

علاقة هذه الفقرة فيما يخص العلاج النفسى هى أن شهرة المعالج ونتائجه المعلنة قد تعطيه "هالة" تؤثر على العلاج النفسى إيجابا وسلبا،

فمن ناحية هى تجعل المريض جاهزا قبل العلاج لاحترام التعاقد والأمل فى الشفاء مثلما سمع وشاع عن هذا المعالج وقدراته أو حتى "كاريزميته"، ولكن على الناحية الأخرى فإن هذه الشهرة قد تأتى من مصادر غير مهنية، بمعنى أنها ليست نتيجة حذقه الحقيقى لمهنته، ولا لنتائج تقاس نوعيا بما نريد أن نروج له ونحن نتكلم عن "الحياة الحياة"، وإنما هى نتيجة لنجوميته الإعلامية، أو قد ترجع إلى سماته الشخصية المرتبطة بما يسمى "الذكاء الاجتماعى" وهذا أيضا له وعليه.

نتنقل بعد ذلك إلى الفقرة التالية

-4-

الحياة هى الحياة

**الحياة مش هيصة سايبه منعكشه
الحياة حركة جميلة مُدهيشه.**

بس بتخوف ساعات

لما بنعري الحاجات

تشير هذه الفقرة إلى عدة أبعاد معا يمكن تعدادها كالتالي :

1- إن الحياة ليست بلا نظام، مهما بدت كذلك.

ونحن ننسب "اللانظام" أحيانا للقضاء والقدر، وللمصادفة أو للحفظ، والأمر ليس كذلك غالباً، الحياة هي مجموعة برامج بيولوجية وجودية مرتبة ومتداخلة ومتكاملة طولاً وعرضاً حتى لو لم تبدوا كذلك في ظاهرها.

الحياة نظام مضطرب لبرامج منظمة (بما في ذلك النظام الذي في العشوائية أو الفوضى، أو الشواش)

البرنامج الحيوي البيولوجي لا يظهر منه إلا ظاهره حتى لو كان في واقع الأمر ليس معروفاً كله (**الحياة مش هيصة سايبه منعكشه**)

2- إن الحياة حركة (وقد سبق الكلام على بعد الحركة في نشرة: 7 / 7 / 2010 لعبة الحياة 4)

إن للحياة - بما هي- تنتمي إلى منظومة شمالية في جماع تناسقها المرتبط بالحركة الإيقاعية غالباً (**الحياة حركة جميلة مدهشة**)

3- طالما أن الحياة حركة: فثمة دهشة، وثم خوف، وما دامت الحركة صادقة ومضطردة فهي تقتحم المعلوم كما تفتح آفاق المجهول متى لزم الأمر، وهو لازم، لأنها حركة إلى مجهول (**بس بتخوف ساعات**)

4- هذه الحركة تؤدي إلى، وتتضمن، اتساع مساحة الوعي، ومن ثم تعميق البصيرة (**لما بنعري الحاجات**)

وإلى الحلقة القادمة

أرجو أن تقل المقاومة

أو تزيد!!

ماذا أفعل؟

- المقاعد هنا لا تعنى الكراسى التي نجلس عليها ولكنها تشير إلى حجرة في بيوت الفلاحين في بلدنا لاستقبال مجالس الأئتناس والشأى، وأحيانا تعنى حجرة المقعد حجرة أعلى المنزل لنفس الغرض وربما كان تحديد اسم "المقعد" مجرد نفس أنها حجرة للنوم.

- وأعتقد أنه مدحه لما رصده من وجه شبه بينه وبين قصته القصيرة "انا الملك جئت".

الأربعاء 21-07-2010

1055- لعبة الحياة (6)



الحلقة : (75)

لعبة الحياة (6)

مقدمة :

هذه هي آخر فقرة في القصيدة: مقدمة الفصل الثالث، من هذا العمل.

-5-

الحياة هيّا الحياة

الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكرّكع

مثل قلبه مايله تدلق مية الحياة في صحرا مولعة ..

لا الزرع يطلع فيها ولانارها في يوم راح تنطفي.

كما أن الحياة "حركة جميلة مدهشة" (لعبة الحياة 5) مهما بدا ظاهرها مجرى كيفما اتفق، فإنها أيضا حركة هادفة مستمرة مهما التوى طريقها أو بدا متراجعا بعض الوقت. الصفة هي من قوانين الحياة أيضا، لكنها حين تضم إلى مجمل المسيرة لا تعود صدفه، وحين تصبح الحياة مجموعة من التشنجات غير المترابطة، والتسكينات المؤقتة، يتقطع خيطها، وينفرد عقدها ويتخثر قوامها ولا تعود "حياة".

المرض النفسي، هو وقفة مزعجة على هذا الطريق الهادف في مجمله، لكنه من حيث المبدأ وقفة منذرة وهو ليس بالضرورة بديلا تدهوريا متماديا، وبالتالي فالتعامل معه ينبغي أن يكون في حدود الاستماع إلى النذير لمعاودة المسير مع تصحيح الاتجاه.

العلاج النفسي ينشط حين يواجه هذا الموقف المنذر المهْدَد من أشكال المرض، حيث يكون المرض أكثر حركية - أيا كان اسم التشخيص- ذلك أن هذا النوع يقع على الطرف النشط من بعد "النشاط والاستيباب" Active- Established Dimension.

النظر إلى الحياة على أنها مجموعة سلوكيات متقطعة ، والتعامل مع المرض فالعلاج على أنه مجموعة عثرات فتسكينات مؤقتة، يجعل الممارسة الطبية العلاجية ممارسة إسعافية محدودة، وهذا النوع من الممارسة قد يحتاجه في بعض الأحيان، لكن على ألا يكون هو القاعدة ما أمكن ذلك،

الإسعاف والتسكين شيء، والعلاج لإعادة التشكيل شيء آخر،

التسكين قد يهدئ السطح الملق بسحابة دخان بشعة مزعجة عامية، لكنه لا يطفى النار وراء هذا الدخان، وإذا لم نتذكر هذه الحقائق فإن النار مع مرور الزمن تتحول إلى رماد لا إلى طاقة.

العلاج النفسي ينتقل بطبيعته :

من مرحلة التسكين المحدود، إلى التغيير الممكن،

من مرحلة اختراق الدخان وإزاحته، إلى مرحلة احتواء النار لتتقلب طاقة مغيرة،

وإلا يصبح العلاج أقرب إلى تبرير الوقفة، منه إلى تحريك المسيرة.

-6-

الحياة هيأ الحياة

كل ما بالقباني ماشي: ما بِنَاتَكُم، أنبسط.

إيدي ماسكه في إيديكُم،

بابقى خايف إن واحد ينفرط

يا حلاوه لو تكون الدنيا ديّه

زى ما ربى خَلَقَهَا: هيأ هيّه

تبقى رايج نحوها، تلقاها جايه

مرة أخرى يرجع المتن إلى التأكيد على أن الحياة أساسا هي الحركة، لكن الإضافة في أول هذه الفقرة تعنى بالتنبيه على أن الحركة في ذاتها مهما صلح مسارها، وتحدت إيجابية الهدف منها، لا تكون إنسانية تليق بما وصل إليه الإنسان من كونه كائن اجتماعي متحضر مبدع، إلا إن كانت "حركة معا"، البشر مع بعضهم البعض!

كل ما بالقباني ماشي: ما بِنَاتَكُم، أنبسط..

إيدي ماسكه في إيديكُم، بابقى خايف إن واحد ينفرط

يعطى فرصة للمجموعة العلاجية أن تعيش خبرة الانفصال أو الفقد، وأن تقيم مسيرتها نحو من خرج منها أو خرج عنها، فهي مجموعة صحية بقدر ما تستطيع أن تحافظ على التواصل مع الحاضر والغائب معاً، من حيث المبدأ على الأقل.

كثيراً ما نستحضر "من غاب" عن المجموعة تخيلاً واقعيًا، ونجلس على كرسي خال بشكل رمزي مائل، ونحاوِّره أحياناً، ونتحاور بلسانه دراماً صغيرة أحياناً أخرى، أو غير ذلك، وهكذا (مما قد أكون قد أشرت إليه في موقع آخر)،

لدى فكرة لا أظن أنني نجحت في شرحها أو عرضها بالقدر الكافي وهي أن الشخص الغائب لا يغيب إلا في العالم الخارجي، وأنه يظل جزءاً من وعينا بشكل أو بآخر مهما طال الزمن، فإخوف من "إن واحد ينفرد" ينبغي أن يكون خوفاً مشروعاً، لكنه خوف لا يمثل خطراً حقيقياً على تماسك المجموعة (العلاجية أو الوجودية الصحيحة).

نكرر في العلاج الجمعي، وأحياناً الفردي تعبير "خلقة ربنا" وهو تعبير مصري عامي تلقائي أهم وأدق من استعمال كلمة الفطرة، وهو ليس تعبيراً دينياً بقدر ما يمكن استعماله بلغة التطور أيضاً، وهو أقرب إلى ترديد الصوفى ذكر الله بقوله "ربي كما خلقتني"، "ربي كما خلقتني".

وهنا يقول المتن

"زى ما ربي خلقها هيا هيا"

وهو ما يؤكد أن هذه الطبيعة التي خلقنا بها هي حركية متبادلة بيننا وبين الحياة، تقدم عليك بقدر ما تذهب أنت إليها "تبقى رايح نحوها تلقاها جيه"، وبالعكس.

-7-

الحياة هيا الحياة

الحياة الحلوة تحلى بكننا، إنت وانا،

كل واحد فينا هوّا بعضنا،

بس مش داخلين في بعض وهربانين،

زى كتلة قش ضايعة ف جرتين.

ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسه،

بس نفسه هيا برضه كلنا،

مالي وعيه برتنا

أشعر أن هذه الفقرة هي من أصعب الفقرات من حيث تحديدها للشرح، ذلك أنها تكاد ترفض أن يمسه أحد بالتوضيح،

توضيح ماذا بالله عليكم؟؟!!

يحضرنى شعور متجدد أن شرحها سوف يفسدها ويقلل من تأثير الرسالة التي يمكن أن تحملها، (مثل معظم ورطة هذا العمل)،

"كل واحد فينا هو بعضنا"

هل هذا هو الكل في واحد؟

وما حكاية "بعضنا"، وفي نفس الوقت "مش داخلين في بعض وهربانين"

يأتى بيان ذلك فيما يلحق به مباشرة .

كل واحد هو نفسه

بس نفسه هـ برضه كلنا

يا ترى كيف ذلك؟

هل هذا هو ما أشرنا إليه في نشرات الإثنين هذه الأيام (نشرات: 2010-7-19، 2010-7-12) ونحن نشرح العلاقة الثنائية الممثلة لكل العلاقات ونحن نشر أن أية علاقة تستحق أن توصف بأنها بشرية تتم مع إنسان فرد آخر "بالأمالة عن نفسه، والنيابة عن سائر البشر"؟

ربما نعم

طيب، فما هي حكاية "كل واحد هو نفسه"، مع أننا أكدنا طول هذا العمل أنه لا أحد هو نفسه، لأن "نفسه" هي مجرد مشروع في "تشكل مستمر"؟

لا، عندك، بالرغم من أنها في تشكل مستمر إلا أنها هي ذات متفردة فاعلة قادرة في حدس لحظة بذاتها، التي هي وجود بين عدمين (كما يقول روبنال أو باشلار).

.....

أما نهاية الفقرة فسوف أقسم بالله العلى العظيم أننى لن اقترب منها

بل لن أعيد كتابتها الآن منفصلة كما أفعل في بقية المتن

وعليك أن ترجع إليها بنفسك "فهو أقرب من حبل الوريد"

فحين يكون "كل واحد هو برضه كلنا"

تتضح الفقرة دون شرح، يا أخی

الله !!!!!!!

انت مالك انت ؟

الله !!

-8-

الحياة هيّا الحياة

وبرغم ما في ذلك من إلاح سخي،
وبعد ست نشرات متتالية في مقدمة الفصل الثالث من
الديوان بعنوان "لعبة الحياة"، أنهى هذه الحلقات بنشر المتن
كله مجتمعا بالرغم من أننا نشرناه من قبل.
لعله بذلك يغفر لنا ما لحق به بسبب الشرح.

القصيدة كلها:

لعبة الحياة

-1-

الحياه هيّا الحياة

أغلى حاجه فيها هيّا: إني عايش

وِسْط ناسنا الطيبين

حتى ناسنا النُّسْ نُسْ

هَمّا برضه أحلى ناس: طيبين

ما انا منهم،

يبقى لازم زيُّهم،

حلو خالص

بس انا برضه بلاقيني ساعات كدا نُسْ نُسْ،

قلت أتعلم، وابتُص

-2-

الحياة هيّا الحياة

باترجف من خطوتي الجايّة، ولكن:

باترعب أكثر لو اني فضلت ساكن

كل ما أشك ف خطاي،

ألتفت ما لقاش وراي

إلا إني،

وسط كل الناس باعُني

يعنى بابُني،

أنا وابتُني.

واللى مش ممكن حاجخلص بيه وبني.

يبقى غرنا يكمله.

-3-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة دى مش كلام مرصوص على صفحات جرايد،
 أو حكاوى فى القهاوى والدواوير والمقاعد،
 أو شلّل مرصوصة تعرف فى الصياغة واللّكاعة،
 أو برامج فى الإذاعة.
 الحياة دى مش ثقافة عليا جدا" فوق هامات البشر".
 أو جوايز يمنحها للى فاز لما انتشر.

-4-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة مش هيصه سايبه منعكشه
 الحياة حركة جميلة مُدهشه.
 بس بتخوف ساعات
 لما بنعزى الحاجات

-5-

الحياة هيّا الحياة
 الحياة مش حلم ليلة صيف، ولا إحساس يكرّكع
 مثل قلبه مايله تدلق مية الحياة فى صحرا مولعة ..
 لا الزرع يطلع فيها ولانارها فى يوم راح تنطفى.

-6-

الحياة هيّا الحياة
 كل ما بالقانى ماشى: ما بناتكُم، أنيسط.
 إيدى ماسكه فى إيديكُم،
 بابقى خايف إن واحد ينفرد
 يا حلاوه لو تكون الدنيا ديّه
 زى ما ربى خلّقها: هيّا هيّه
 تبقى رايح نحوها، تلقاها جايه

-7-

الحياة هيّا الحياة

الحياة الحلوة تحلى بكننا، إنتِ وأنا،
كل واحد فينا هوّا بعضنا،
بس مش داخلين في بعض وهربانين،
زى كتلة قش ضايعة ف مجر طين.
ايوه فعلاً: كل واحد هوّا نفسه،
بس نفسه هيأ برضه كلنا،
مالى وعيه بربننا

-8-

الحياة هيأ الحياة
الحياة الحلوة حلوه
والحياة المرّه برضه، لو تاخذ بالك شوية
راح تشوف مرارتها حلوة
هيه صعبة لو لوحك
بس تسهل لو معانا الناس يا ناس
.....

مش مصدق؟!!

طب حاتخسر إيه لو انت سمعتنا
مش يجوز نلقاك معانا كلنا
نبقى أكثر مننا!!



الحلقة: (76)

الفصل الثالث: "لعبة الحياة"

الغنيوة الأولانية

جملة المحامد (1)

مقدمة:

لم يبق في هذه الورطة إلا قصيدتان، هذه القصيدة، وقصيدة "الخلاص"، وكلتاهما تغلب فيهما السيرة الذاتية عن ما سبق من قراءة عيون البشر، وربطها بتركيب الإنسان، ثم بالعلاج النفسي تفسيرا، أو تعسفا، الله أعلم، وأنتم أيضا.

بعد قرب الانتهاء من هذا العمل فكرت ألا أشرح هاتين القصيدتين أصلا لفرط ما جاء فيهما من حديث عن الذات، وأيضا لأنني تناولت ما وصلني من حكايتي في أكثر من عمل سابق، وبالذات في "الترحلات الثلاثة" (الترحال الأول: الناس والطريق - الترحال الثاني: الموت والحزن - الترحال الثالث: ذكر ما لا ينقال) التي كانت جمعا بين أدب الرحلات والسيرة الذاتية.

خطر لي أن أعيد نشر القصيدتين دون تعليق.

إلا أن ما أكتبه حاليا كل ثلاثاء أكد لي مؤخرا كيف أن المعالج النفسي هو "نص بشري" قابل للقراءة، وقادر على "إعادة التشكيل"، وبما أنني أدعي أن هذا العمل هو "في فقه العلاقات البشرية" وهو الكتاب الثاني في "دراسة في علم

السيكوباتولوجي" كما يقول العنوان، فإنني أتصور أن قراءة هذا المعالج (كاتب هذا الكلام) "نصا بشريا" هو ضمن ما نحاوله في توصيل بعض أساسيات العلاج النفسى،

دعونا نقرأه معاً بالإضافة إلى ما سبق في قصيدة "المعلم" (نشرة 2010-4-21 "المعلم 1 من كتر")

فليتحمل الأصدقاء ما بقى منى، وأمرهم إلى الله
ولتصل الفائدة لمن يستطيع أن يستخلصها

النص:

(1)

= لأ.. عندك !!

- ليه ؟

= ممنوع ده !!

- إيه ؟

= ممنوع كله،

- طب أعمل إيه ؟

= زى ما دائما كنت بتعمل.

قرنك جامد، خليك شايلى.

- لأ مش لآعب.. جرى إيه ؟.. الله !!

القراءة:

الذى حدث:

كانت ثلة أخرى، غير جماعة العيون التى قرأناها سويًا حتى الآن، كنا على العشاء فى مطعم بلدى جميل، وخيل لى أنه قد أن الأوان أن أشكو، أو أن أضعف، أو أن آخذ، أو أن أحكى، فوصلنى رفض طيب، لكنه رفض أنه "ليس هكذا"، أو "ليس الآن"، أو "ليس أنت!!" أو كل ذلك.

فجزعت!

القضية صعبة: ذلك أنه يبدو أن من قُدِّرَ له أن يقوم بدور من "يرى"، و"يعطى" و"يفتى"، وغير ذلك، يظل يمارس هذا الدور المميز، وكأنه دور قد اختاره فعلا ولو إلى أجل مسمى، ويرغم ما فى هذا الدور من ميزات لا تنكر، فإن التماذى فيه يفتح باب اعتماد الآخرين عليه، وتتفاقم التغذية المتبادلة تدعم نفس موقف كل الأطراف فتدور الدائرة فى نفس الاتجاه بلا نهاية، وأحيانًا يبدو هذا الشخص مضحيا، ومعطاء وكلام من هذا، مما نصفق له كثيرا، ويفرح به صاحبه غالبا، فهو حتما مشارك فى هذا الاختيار، وفى هذا الاستمرار، كما أن هذا الاختيار نفسه، قد يكون ورطة تعويضية بشكل أو بآخر.

في بداية افتتاحي لمستشفى الخاص، زارني أحد "الأجانب" الطبيين المختصين في فرعي، وأخذت اشرح له كيف أن فكرة المجتمع العلاجي تختلف في ثقافتنا عن ثقافة الغرب، وأني أدير هذا المجتمع بطريقة كذا وكيت، وأنه لا توجد قواعد ثابتة لخطة علاج كل تشخيص، بل تتغير الخطة أولاً بأول، وأحياناً أثناء اليوم الواحد لكل مريض حسب استجابته للخطوة السابقة وهكذا، وسألني هذا الرجل الطيب، ومن يقوم بهذا التعديل هكذا أولاً بأول لكل هؤلاء المرضى، قلت له إنني أتولى قيادة الفريق، وأن كل زملائي وزميلاتي وكل العاملين يلتقطون ما نفعل، ونتعلم ونتشاور، ونحور، ونواصل، وقد التقط هذا الضيف أنني على الأقل في تلك المرحلة الباكرة أقوم بكل العمل تقريبا، أو على الأقل أتولى مسؤولية التخطيط اليومي المتجدد، ونبهني مرة ثانية أن هذا مرهق، وأبلغني رأيه أنه لا يمكن أن يستمر الحال هكذا، وأثناء مرورنا في المستشفى، وعرضي له بعض خطوات التخطيط والتقييم والتغيير، قابلت زوجتي وكانت تعمل معنا عملاً علاجياً محورياً في المستشفى، وعرفته بها باعتبارها زوجتي وزميلتي، سألتني إن كانت تعمل معي كل هذا الوقت، فأجبت أن "نعم"، فسأل: وأنت تحملها مثل الآخرين هكذا طول الوقت، ولم أتبين عمق السؤال جيداً، إلا أنني أجبت أن "نعم"، وهنا قال بنظرة شفقة بها بعض الاعتراض الطيب، "ما هذا؟ ومن من تحصل أنت على احتياجاتك العاطفية آخر النهار؟"، ولم أفهم جيداً هذه الطيبة، أو هذا الاعتراض، أو لعلني فهمته، ولا أذكر الآن (بعد أربعين عاماً) ماذا كان ردى على هذا السؤال.

هذه هي حكاية ذاتية تماماً، لكنها تتعرض لمسألة شديدة الأهمية في العلاج النفسي خاصة، وفي العلاج عامة، ذلك أنه:

إن لم يكن للمعالج مصدر رفق عاطفي من خارج محيط مهنته، فإنه قد يمارس عطاء قهرياً تعويضياً يبدو من الظاهر رائعا تماماً، وهو ليس بالضرورة كذلك، الاحتمال الأخطر هو أنه قد يحصل على احتياجاته العاطفية من مرضاه، دون أن يدري عادة، فيدفعهم ثمناً باهظاً دون أن يدروا، ويتعطل العلاج، وقد يتأخر الفطام أو الاستقلال، وقد تنحرف المسيرة ... الخ.

أظن أنني مازلت أعيش في مأزق حمل الآخرين (حمل الحامل) بشكل مزمن، وقد حاولت أن أخفف منه أو أخرج بعيداً عنه بشكل متكرر، ونجحت أحياناً، وإن كنت أعتقد أنني لم أنجح تماماً، وحتى الآن.

كنت كلما سئلت لي الفرصة أن أعلن حقى في أن أتخلى عن حمل مجموعة الاصدقاء (وربما حمل مرضاى) ولو قليلاً، أفاجأ بالصعوبة، والمقاومة والرفض كما جاء في المتن.

(2)

= إعقل ياباً، قلنا ممنوع،

ممنوع تغضب، تزعل، تهمد، تسكت،

تَحلِّمْ، تسرح....،

ممنوع كله.

- وإلتمى يا ناس؟

=بكره انشالله

- بقى كدا !! بكره ؟

فيه إيه بكره؟

= بكره حانسمح لك تتكلم.

بكره حانسمح لك تتألم.

بكره حاجتى ثمره كدك،

لما نكبر نبقى قدك !!

- وانا مالى قد، .. ومالى حد.

خايف لثكون الحاره سد.

وصلنى هذا الرفض منهم بقسوة لا أنكر أن فيها نوعا من الحب والتقدير، لكنها قسوة بلا شك، وتصورت أن مطلبي - إن كنت صادقاً - كان شديد البساطة وهو "معاملة المثل"، لكن رفضهم تمتعى بهذا الحق كان حاسماً وربما واقعياً، وربما كان يخفى شكهم أيضاً أن هذه هى رغبتى الحقيقية "معاملة المثل" وأتذكر أن هذا الرفض الطيب كانوا يبررونه بأننى قطعت رحلة من النضج أسبق وأقدم وأعمق منهم، رحلة تمكننى من حمل هذه المسئولية، وحملهم.

ومادام الأمر كذلك، فإن رفضهم إعطائى حقى (المزعوم) فى معاملة المثل لم يكن رفضاً مطلقاً، وإنما - كما زعموا - كان رفضاً مرحلياً فى صورة التأجيل حتى يحققوا درجة من النضج تقارب ما حققت أنا - بزعمهم-، وساعتها يمكن تبادل الأدوار

" بكره حاجتى ثمره كدك

لما نكبر نبقى قدك"

يلاحظ أن هذا الرفض لم يقتصر على رفض الضعف فحسب، وإنما على رفض كل "مطلب" من حيث المبدأ! "ممنوع كله"

ممنوع تغضب، تزعل، تهمد، تسكت، تحلم، تسرخ

ويزداد حذرى من امتداد التأجيل إلى ما لانهائية ويتجدد الشك فى حكاية "سبق النضج" حين يتصور المعتمد أن المعتمد عليه قد وصل إلى ما يبرر هذا الاعتماد باعتباره الأكبر،

فيعلن صاحبنا اعترافه وأيضاً أمنيته أنه ليس بهذه الدرجة من النضج، وأن حرمانه من حقه العادى، ومن الاعتراف بنقصه العادى، لا بد وأن يزيد من وحدته حتى يبدو له الطريق مسدوداً

وأنا مالى قدّ ومالى حدّ

خايف لتكون الحاره سدّ

وبعد

أتوقف هنا لأشير إلى خيرتين موازيتين، سابقة، ولاحقة

أولاً: ورد في ديوانى "سر اللعبة" فى قصيدة "جبل الرحمات" ما يلى:

نحتوا فى الصخر الهيكل:

فى داخله سرُّ أكبر،

صنم عبوده وما عرفوه،

قربان المعبد طفل،

يرنو من بعد،

لا يجرؤ أن يطلب،

أو يتململ،

.....

.....

نظر الطفل إلى كبد الحق

وتمنى الموت.

(4)

لكن النور يداعب بصره،

وحفيف الدفء يدغدغ جلده،

فيكاد يصيح النجده،

يتحرق أن يظهر ضعفه

لكن الرعب الهائل يكتم أنفاسه،

ويعوق خطاه،

.....

.....

أسمع خلف الصخر حفيفا لا يسمعه غيري

يحسبه الناس حديث القوة والجبروت

.....

.....

هل يمكن؟؟

هل يمكن أن نضعف دون مساس بكرامتنا؟

فلكم قاسينا من فرط الحرمان.. وفرط القوة،

ولكم طحنتنا الأيام،

والأعمى منا يحسب أنا نطويها طيا،

يمكن الرجوع إلى القصيدة كلها مع الشرح على المتن وهي بعنوان "جبل الرحمات" "الطفل العملاق الطيب". (دراسة في علم السيكوباتولوجي) من ص 521 إلى 613 (72 صفحة).

ثانياً: بعد اثنين وعشرين عاما من كتابة هذا المتن أحلت إلى المعاش في أول أغسطس 1994، وأنا لا أزال أصعد وأحمل، أحمل وأصعد، وبعد ذلك بعامين لاح لي حقي في الإنهاك، فكتبت قصيدة في نفس معنى هذه النشرة تقريبا، وها هي ذى:

النورس العجوز ..

أنهكنى التحليق في سائها للعب

أنهكنى نجاحى الدؤوب

وصخرتى توّدع الصلابة

لكنها لا تنكسر

أريدُ والدى

أريده جول بينها وبينى

أريد سجانا يفك قيدي،

إذ يحكم الأقفال لا أضيع حراً

أريد أن أنام في حضن التى ترانى:

كما أنا

فرخاً صغيراً لاإذا بعشّه

لا فى الأعلى حيث يحسبون

لم ينم بعد ريشه فلم يطر أصلاً

فكيف تبحثون عنه فى السماء أيها القساة

أريد من ترانى فاتحاً منقارى الطرى

القط من منقارها الحنان والأمان الحياة

أريد أنطوى تحت الجناح

أعبر الفيافي دون أن أحلّق
أريد خيزرانة
تفيقني: أرى بها حدودي
أريد جلادا يحول دون قتلي
يأبي أضيع وسط وهم ذاتي
لا تضحكوا على طفل غرير صدق الأكذوبة
لا تخدعوه تتركوه في سائها،
والخيط في أيديكمو كأنه المشانقُ الخفية.
لا تزعموا بأنه "أراد"
النورسُ الجسورُ لم يعد يدور.
قد أنهكتُهُ لُعبة الصعود، والسراب يسبقه،
يغمزه الدوار، والفراغُ يخنقه
قد آن أن يحط فوق أرضكم-
لا ترجعوه كهلا.

إن حط تدفونه دون معزى،
تأكله الديدان وهو بعدُ حيًا.

لا لن يعودُ
أسنة الرماح مُشرعة
تملاً وجه الأرض والقلوب
لم يبق إلا أن يظلّ فوق الفوقِ ضائعاً
وكلُّ ما يشده يذوبُ
فتختفي السماءُ في الضياءُ
ويختفي الضياءُ في الغروبِ
يتوه في دوائر الصباح والمساء
يوصلُ التحليقُ صاعداً معانداً
لكنه: ما عاد يستطيع
ما عاد يستطيع

الإسكندرية: 1996/5/12

ثم اليوم 2010/7/27

هل عاد يستطيع؟! هل عاد يستطيع؟!

وإلى الحلقة القادمة.



الحلقة: (77)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمال المحامل (2)

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة بهذا الوعد من الأصغر، بالالتفات إلى حق الأكبر في الأخذ، خاصة حين يكبر من أخذوا منه إلى درجة تقارب ما وصل إليه، درجة يستطيعون معها أن يعطوه بدورهم.

بكره حاجتي ثمرة كدك،

لما نكبر نبقي قدك! !

كما ناقشت في نفس الحلقة أن ما وصلني منهم بدا لي كأجيلا خادعا يجرمني من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية "نبقى قدك" هذه إنما تشير إلى تصور أن مسار التضج هو مثل سنوات الدراسة، سنة أولى، سنة ثانية، سنة ثالثة ..إخ، وكان الرد في الحلقة السابقة هو أنه ليس لي "قد" حتى يقاس عليه

- وأنا مالي قد، .. ومالي حد.

خايف لاتكون الحاره سد.

وناقشت في نفس الحلقة أن ما وصلني هو تأجيل خادع قد

يُجرمني من حق الضعف، وحق الخطأ، وحق الأخذ، كما نبهت أن حكاية أنه ليس لى مقاس ("قد")، يقاس عليه،

ولكن ما باليد حيلة: فلتبدأ رحلة الصبر، أو تستمر رحلة الصبر، دون التنازل عن حقى الضعف، مع التنبيه الواضح أنها مسألة وقت

والصبر مرارا!

وانا مش رافض أشرب كاسه .

على شرط يكون للكاس دا قرار .

واستحمل طول الليل عُلى،

على شرط الليل ييجى بعده نهار .

الفقرة التالية لا تحتاج إلى شرح خاص،

والصحرا بنزرع فيها الصبر،

تطرح حرمان .

نسقيه من طولة البال،

وبنحدي كلام ونقول موال:

"جمل الخامل برك شمتت لعادى فيه"

لكنهم ظلوا يصرون على أن الجمل لم يبرك، بل وأنه ليس من حقه أن يشكو أصلاً، وهو يصير أنه ليس إلا شخصاً عادياً كما شرحنا في الحلقة السابقة. الطبيب النفسى هو مهنى عادى تماماً، أى تقديس للمهنة، أو مبالغة فى القدرة، هو إعاقة له فى مهنته، ناقشنا من قبل مسألة نجومية الطبيب النفسى ودور الإعلام السلبى فيها وما يؤدى إليه ذلك من خلط الأدوار، وهذا لا يتم فقط على حساب موضوعية العلاج النفسى، وإنما أيضا على حساب فرص الطبيب النفسى أو المعالج النفسى فى نموه الشخصى، الشخص العادى هو الشخص العادى، وهو القادر على النمو العادى، مسألة التميز والعبقرية ليست غاية فى ذاتها، المتصوف الحقيقى هو الذى لا يعود اسمه كذلك، وبوذا نفسه بعد أن دار دورته لم يقبل أن يعترف أنه حقق رحلته إلا حين لم يصبح بوذا كما صورها لنا سماته القدة وسيرة حياته الفريدة.

التأكيد على حق الطبيب النفسى، أو المعالج النفسى أن يكون شخصاً عادياً يرد فى الفقرة التالية رداً على اعتراضهم على شكواه، أو على أنه برك تحت أماله (وبالذات حملهم لهؤلاء المعترضين المعتمدين) فهو يرد على اعتراضهم بالمطالبة بأبسط حقوقه العادية: "ماهو نفسه يعيش زى العايشين"

= جمل الخامل لايشكى .. ولا يقول آه

- ليه يعنى بقى؟

ما هو نفسه يعيش، زى العايشين؟

فيردون هم أكثر حدة، ورفضاً:

= ما هو عايش اهه، إسم الله عليه.

بيقول ويعيد، ونرد عليه،

بيشيل فى هموم، وفأ غلب الناس،

وحياخد إيه غير وجع الراس،

من زن الحاجة ومد إيديه؟

الذى حدث أثناء هذا اللقاء الذى أثار كل هذا الحوار وأخرج هذه القصيدة هو أن إحداهن قالت له بوضوح شديد أنهم لو استجابوا له، واحترموا حقه، فإنه لن يتذوقه ولن يستفيد منه كما يتصور هو ويطلب، وكانت من أقرب القريبات إليه، وكانت تعنى أنه لم يعتد الأخذ، ولم يستطعم حناناً حقيقياً من قبل، كما فعلوا هم من خلال اعتمادهم عليه، أو على غيره، وبالتالي فهم إذا قبلوه بينهم عادياً كواحد منهم، فهذا لن يرويه، فهو- ربما من إزمان الحرمان نتيجة لاستمرار نفس الدور على أساس الوهم أنه قد حقق درجة أعلى من النضج- لن يجدى معه عطاء، خاصة من تعودوا الأخذ منه، استشهدت هذه الصديقة بالمثل القائل: "إطعم مطعوم، ولا تطعم محروم"،

وأذكر أن هذا الاستشهاد قد لاج لى كأنه قرار جارح بأن لا أستحق ما أطلب اصلاً.

كنت قد ناقشت هذا المثل من قبل، -في هذه النشرات أو غيرها- ونهبت إلى احتمال أن يكون له معنى آخر غير القسوة التى تبدو فى ظاهره، وهو أن المحروم جداً، إذا ما بدأ حرمانه من فترة باكرة، واستمر حتى أصبح هو "نوع وجوده"، فإنه يحتاج إلى نوع آخر من العطاء، غير مجرد إشباع الجوع، وقد شبت قسوة الحرمان التى يترتب عليها هذا العجز عن الارتواء، بالوجود المثقوب، الذى كلما ملأته بما يستحق أن يُملأ به يتسرب ما وضعته فيه من "ثقب الحرمان المزمّن"، وبالتالي، مرة أخرى يصبح مثل من يشرب الماء المالح/ كلما شرب ازداد عطشاً.

ثرت أكثر على هذا الموقف، وأن يكون حرمانى من دور "الشخص العادى"، هو ميرر لمزيد من الحرمان، وأن أستمر فى هملم (جمل الهامل) بقية عمرى، وهذا ما جاء فى المتن فى الفقرة التالية تفسيرا للمثل المستشهد به،

هل معنى أن تمتنع عن إطعام المحروم الذى تتصور أنه لا يشبع أن يصبح حرمانه قدراً أبدياً بلا ذنب جناه، إلا أنه أجل حقه حتى يكبر من حوله بما يسمح له أن يأخذ بدوره؟

هذا ما جاء -احتجاجاً- فى الفقرة التالية:

-كده برضه ياناس؟!!

بعد دا كله ؟ الحق عليه!!!
 بقى دا اسمه تتمثلوا بيه!!!
 قال إيه ، قال إيه :
 = إيش يفهم فى الغنوة الأطرش؟
 إيش يفهم فى الصورة الأعمى؟
 إيش يفهم محروم من يومه ،
 فى الحنية والملاغية؟
 "إطعم مطعوم، يستطعم
 أما المحروم، يستحمل"

وصلنى أن هذا الاستحمال هو وجه آخر للصبر الختمى المفروض والتأجيل إلى مالا أعرف..مى.. إلى متى؟

أذكر أننى طرحت عليهم هذا السؤال بشكل مباشر أو غير مباشر، فجاء فى الرد، ربما من نفس التى استشهدت بالمثل السالف الذكر "أنه: كل آت قريب (ما خلاص هانت)، أو لعلها أشارت: "سوف نقول لك، حين نرى الوقت مناسباً" أو شئ من هذا القبيل، وأنها تساءلت: لماذا الاستعجال (ما تتركبهاش على مهلك، وسعيده وحابقى اندهلك)،

وينتبه إلى أن التأجيل والاستحمال يفرضان عليه فرضاً وبشكل دائم:

- يستحمل تانى يا ناس؟ دا حرام!
 =ما خلاص هانت.
 -لأ ما هانتشى .. إيش عرفنى؟
 مش يمكن لعبة "إستى" تفضل على طول؟
 على ما يحصلنى الدور حاخلص.
 القلب مقدد.
 والجرح ممدد.
 فى الأرض الشوك،
 والميه عصير صبار.
 =ما تتركبهاش; على مهلك
 و"سعيده" وحابقى اندهلك!!!

وإلى الحلقة القادمة والأخيرة فى هذه القصيدة الشخصية المزعجة (لى حتى الآن)،

كنت أحسب أنها لم تعد كذلك!!!
 وإلى الحلقة الأخيرة الأسبوع القادم.

الإثنين 11-08-2010

1076- جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة



الحلقة: (78)

الفصل الثالث

الغنيوة الأولانية

جمل المحامل (3) الحلقة الأخيرة

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة بهذا المقطع:

ما تتركبهاش؛ على مهك

و"سعيده" وحابقى اندهلك!!!

كنت قد صرخت قبلها:

مش يمكن لعبة "إستنى" تفضل على طول

على ما يحصلنى الدور حاخلىص.

حين يمتد الجوع بهذا الوضوح والاحتجاج، يصبح الوعد بالزى أصعب من القبول بالواقع، بل إن مثل هذا الوعد، لو انساق المخدوع إليه يزيد الجوع اشتعالا، فالجوع مع التلويح باحتمال الرى هو أقصى من الجوع مع التسليم باستحالة الرى، فالخذر من أن تكون هذه اللمعة فى الأفق ليست إلا سرايا: واجب (مش يمكن لعبة إستنى تفضل على طول)؟

الانتظار المفتوح هكذا هو أحيث ألعاب التأجيل وُعدا بما لا

يكون، بما يترتب عليه أن تحل النهاية قبل أن يأتي عليه الدور (على ما يحصلنى الدور حاخلص)، السخرية التي تلت ذلك بأنها

"سعيدة"، وحابقى اندهلك"،

تكشف هذا النوع من الوعود، "وداعاً" هنا أفضل من "إلى اللقاء"، فما بالك بـ "سعيدة" وهي تحية غير مألوفة في ثقافتنا إلا عند بعض إخواننا المسيحيين تجنباً للسلام عليكم مع أنه "على الأرض السلام"، سعيدة هنا تعنى الاستهانة بجديّة المطالبة بالحق في الضعف وفي الأخذ وفي الرؤية.

هنا تقفز أهمية التدريب على الجانب الأيجابي من "معايشة اللحظة" "هنا والآن"، بدأ (حدس اللحظة) من تنظير بإشلال Link حتى الممارسة العملية في العلاج الجمعي، أنه لا شيء يوجد إلا "الآن"، ما ليس هو الآن، ليس هو، ألخ على هذا المبدأ حتى عبرت عنه في الأراجيز التي كتبتها للأطفال:

بيجي بكره تلاقى بكره

"النهاردة" بتاع غداً

إذن ليس هناك بكره؟!

فما العمل

يخيل إلى أن التعريه في المقطع التالى هي موضوعية أكثر منها تسول لزوج

واهيأى حايشوفوا انا مين.

وانى غلبان محتاج ليهم،

وجعان، محروم، عايش بيهم،

أضعف، وازحف، وأقغ، وأقوم.

إذا كان الحق البسيط العادى (حق الضعف، وحق المعاملة بالمثل) غير جاهز، أو حتى غير وارد، فإن الاستمرار في المطالبة به يصبح نوعاً من النعابة، ولا مفر من أن يمتلئ "الآن" بانتظار من نوع آخر، فليستمر الجمل في حمل الحمل بشرف دون شكوى، حتى لو حمل الكرة الأرضية فوق قرنه

وشهور وسنين وانا باستنى

"شلتها على قرنى" وبأتمنى

حمل همّ كل الناس، بإرادة متواضعة، دون ادعاء النبوة، والاستمرار في ذلك دون نعابة تنتظر المقابل، هو نوع التمنى الذى يؤكده استمرار التميز بموقف عطائى من نوع آخر، هل هذا ممكن دون الانزلاق إلى المثالية الخائبة.

وبنيت قصرى سگنته الناس

لست متأكدا ماذا يعنى "القصر" هنا، حضرنى قول مواز من قصيدة بالفصحى "رسالة من دون كيشوت إلى إخوان أبي لهب" والتي ورد فيها نصّ فيه كلام عن: "روضتى" و"ملعى"، واعتقد أن لهذا وذاك صلة ببناء "قصرى" هنا

جاء ما يلى فى قصيدة الفصحى:

فى "روضتى"،

ألقيت بذرة القلق

نبتت بوجدان البشر

وقد اهتيت هذه القصيدة بقولى:

يا سادتى

هذا أنا لما أزل

سيفى خشب

لكن لؤلؤة الحياة بداخلى لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغيى

ينمو البشر فى ملعى

تصورت الآن أن شطر "وبنيت قصرى سكنته الناس" يمكن أن يشير إلى أن ذلك قد تمّ فى "روضتى" التى ألقيت فيها بذرة القلق، وأن ذلك القصر محاط "بملعى" حيث "ينمو البشر"

المألوف أن القصر هو لصاحب القصر دون الناس، وأن الملعب للعب دون النمو، إلا أنه يبدو أيضا أنى حين اضطرت اضطرارا لهذا التأجيل رداً على تخليهم وسخريتهم، نسيت التأجيل، واتسعت دائرة مسئوليتى ربما "غصبا عنى"، حتى صار همى هو "الناس"، مرة أحاول أن أسكنهم قصر فكرى وخيرتى انطلاقا إلى قصورهم الخاصة المفتوحة، ومرة أخرى لأتيح لهم اللعب (الابداع) فى ملعى حتى يكملوا مسيرة النمو (الابداع)، فخطر لى أن ملعى هذا هو حول القصر.

إن كان الأمر حقيقة كذلك فأين الانتظار، ولماذا التأجيل؟

لكننى أظل الانسان الفرد الضعيف صاحب الحق، فقط دون نعباءة، انتظر أن يرانى أحدهم كما أنا، وليس كصاحب القصر المبني فى الروضة وحوله الملعب.

ويتكرر الاحتجاج على هذا الرفض القبيح

فيتكرر رفض الاحتجاج

= ما فيناش من كده مش لايقة عليك.

- لأ. لايقة ونص:

- وطلعت أدب،
 نزلت أدب،
 ولقيت ناسي
 جَوْهٌ وَ بَرَّةُ
 مائيين القلب.
 وقتلت الغول
 حَوَّطُوا بَيْتًا

وربما هذا أيضا هو ما يقابل ما جاء في أرجوزة الأطفال وسبق ذكره.

الحياة الخلوة تحلى بكننا، إنت وانا،
كل واحد فينا هوّا بعضنا،
 بس مش داخلين في بعض وهربانين،
 زى كتلة قش ضايعة ف مجر طين.
 ايوه فعلا: كل واحد هوّا نفسه،
بس نفسه هيا برضه كلنا،

مالى وعيه برتنا

نهاية القصيدة الحالية نهاية مفتوحة لا تحدد معالم القفلة،
 حيث تقول:

وَعَمَلْنَاها،
 "طَلَعَتْ هِيَّةُ ."

يلاحظ هنا أن القصيدة انتهت بـ "وَعَمَلْنَاها"، وليس بـ "عملتها"، إذا يبدو أن القضية لا تتوقف عند "أكون أو لا أكون" أو حتى عند "أكون أو أصير"، وإنما بالضرورة عند أكون لنكون، فيكونون لأكون.

وبعد

أين يقع كل هذا من العلاج النفسي؟

أولا: نبهت ابتداءً أن هذه القصيدة، والتي تليها (الأخيرة) فيها جرعة السيرة الذاتية غالبية غالبية بشكل كاد يفصلها عن "فقه العلاقات البشرية" لكنني أضيف هنا: وهل أنا أعالج مرضى إلا بما هو أنا، بعجزى واجتهادى ومحاولتى وتعربتى وعلاقتى بنفسى وبهم إلى ربنا؟

ثانيا: لعل في هذه القصيدة بملقاتها الثلاثة ما يوصل لمن يقبل الاشتغال بهذه المهنة مدى صعوبتها التي تحتاج إلى مجاهدة النفس إلى هذه الدرجة حتى يمكن أن يستمر.

لكن روضى يرتوى من مائها
 مهما علا سد الفزع
 وتعثر الجرى جندل ظنكم
 لن توقفوا نهر الحياة
 بل، فاحذورا طوفانها.
 -3-

في روضتى
 ألقىت بذرة القلق
 نبتت بوجودان البشر
 تحت الجنين الطين فانهار العدم
 صرخ الوليدُ الطفلُ أذن بالألم
 وتناول الشجر الجديد
 يعلو قباب الكون إذ يغزو القمر
 والشوك يدمى الكف إذ يحمى الثمر
 واللؤلؤ البراق فوق الساق من صمغ الضجر.

-4-
 ذى صرختى ..
 سوط اللهيب النور رعد القارعة
 يكوى الوجوه ..
 يا ويحكم !!
 من يوقف الرجح الصدى في قلبكم
 هيهات إلا الموت
 حتى الموت لا يخفى الحقيقة بعدنا
 ..
 يا ويحكم منها بداخلكم ..
 نعم ... ليست أنا
 بل نحن في عمق الوجود
 بل واهب الطين الحياة

بل سر أصل الكون، كل الكل

نبض الله في جنباتنا

ليست أنا.

-5-

يا سادتي:

هذا أنا لما أزل...

سيفى خشب؟؟ لكن لؤلؤة الحياة بداخلي لا تنكسر

وبرغم واقعنا الغي

ينمو البشر... في ملعي.

(طبق الأصل)

("دون كيشوت") .

الإثنين 18-08-2010

1083-الغنية الثانية (الفصل الثالث)



الخلاص

مقدمة:

هذه هي القصيدة الأخيرة قبل قصيدة الخاتمة، يا رب سهل !

سبق أن كتبت فصلا بأكماله بعنوان "أمي" في الترحال الثالث من ترحالاتي (سيرة ذاتية في أدب رحلات)، ولا أجد عندي رغبة أن أضيف كثيرا أو قليلا في هذه المنطقة. لكن هذه القصيدة ليست هي أمي بقدر ما هي رحلتى شخصا وأمى في خلفيتها. أفضل لو بدأ القارئ بقراءة ذلك الفصل وهو يحتوى هذه القصيدة ضمنا، كما يحتوى نقدي لنهايتها مما سوف أورده غالبا فيما يلي من حلقات.

لكن هذا الشرح على المتن يهتم أكثر بربط هذه القصائد بما هو علاج نفسي، وأنا أتساءل الآن وأنا على وشك الانتهاء من العمل،

هل هو حتم على أن أفعل هذا الربط حتى لو لم يرد تلقائيا؟

ربما كان الأمر كذلك، وإلا لماذا هذا الكتاب كله أصلا ؟

تبدأ القصيدة بجوار مع أمى هكذا:

-1-

- ليه يامه؟ كان ليه ؟

لما انتى ما "نتيش" كان ليه ؟
 أنا ذنبى إيه ؟
 أنا مين ؟ أنا فين ؟ أنا كام يامه ؟
 أنا إيه ؟
 = جرى إيه يا ابنى يا حبة عيني،
 طب ما انت أهة !
 بقى دا اسمه كلام
 ما هو كله تمام
 جرى إيه ؟!

تبدأ رحلة الوجود باعتراف الأم بأن وليدها قد أصبح خارجها، كيانا منفصلا عنها، بمجرد انتهاء وجوده حما ودما داخلها، ينتقل الوليد من الرحم الجسدى، إلى الرحم النفسى، فى الرحم الجسدى تكون الحماية محيطة، وفى نفس الوقت الحركة طليقة، لكن ليس لها هدف إلا الحركة، كما يكون الأمان كاملا، أما وقد صارا جسدين بينهما مسافة، فإن الحركة تصبح محكومة "بمضور معا" على مسافة متغيرة، غير مضمونة، تحكمهما قوانين جديدة، مهددة أحيانا.

منذ حفل "السبوع" تلجأ الأسرة إلى التأكيد على الأم أن تشد انتباهها أن الكيان الذى كان بداخلها تماما، أصبح خارجها، أصبح كيانا مستقلا جسديا على الأقل، كبدية للحمل فالولادة النفسية، ذكرنا من قبل كيف أن السبوع بكل طقوسه المنظمة فى المكان والحركات والأهازيج تؤكد كلها هذه الرسالة. الكآبة التى تصيب الأم فى الايام الأولى للنفس (حوالى 60 % Maternity Blues) هى تفاعل طبيعى لهذا الانفصال، واستعداد مناسب لعلاقة بين الأم ووليدها من نوع آخر.

حتى تسمح الأم بهذا الانفصال، وتتعرف بوجود هذا الكائن الجديد خارجها، وهو الكائن الذى حملته وهنا على وهن ثم وضعت به بكل الألم الخلاق، لا بد أن تكون هى "كائنة" حاضرة بشكل ما، أن تكون موجودة ساعية تعطى الغذاء العلاقاتى عبر الحبل السرى التواصلى، كما كانت تعطى خلاصة الاحتياجات الغذائية والتنموية عبر الحبل السرى داخل الرحم، ولكن لكى تفعل ذلك بكفاءة لا بد أن تكون هى نفسها "كائن موجود قادر" يمارس علاقات الأخذ والعطاء. لكى "تعطى" هى فى حاجة أن تأخذ أيضا فى نفس الوقت، أو قبلا، من أى مصدر بشرى آخر: أمها عادة، وزوجها (والد هذا الوليد) أحيانا (يا ليت! فالفروض أن يشارك الوالد الصحيح فى الحمل والولادة ضمنا بطريق غير مباشر)، حضور أم الوالدة (فعلا أو بديلها) هو حضور أساسى أثناء الولادة وقبيلها، الوالدة "تتقطف" على صدر أمها أثناء المخاض بما يؤكد حاجة الأم أن "تكون" وهى تستعد لأن تعطى شهادة الكينونة للقدام الجديد، فإن لم

"توجد" الوالدة أصلا بهذا المعنى الإنسانى الأساسى، فكيف ننتظر منها أن تعترف لغيرها (وليدها) بما تفتقر هى إليه جدا ،

تبدأ القصيدة هكذا :

ليه يامه؟ كان ليه؟

لما انتى ما انتيش كان ليه؟

هذا اللوم : هل يعنى أن الأم التى "لم تكن" التى هى ليست "كائنة" فعلا بما هى الآن، لا تستطيع أن تعطى وليدها حقه فى الوجود كما ينبغي؟ الإجابة بالنفى طبعاً. لا أحد يكون هكذا بما هو جاهزا للعطاء غير المشروط، وإنما نحن جميعاً "نتكوّن" باستمرار، ولهذا لا يجوز أن نلوم أحداً على أنه لم "يكن"، خاصة الأم، (لما انتى مانتيش) لكننا ربما نلومه على أنه توقف عن أن "يتكون"، وهذا أيضاً يكون فى حدود الفرص المتاحة، وقليلة هى هذه الفرص عادة ، وفى مجتمعنا خاصة بالنسبة للمرأة بالذات، لكن حاجة الطفل لا تحسبها هكذا، هو يريد الاعتراف بغض النظر عن تبريرات من حوله أو ظروفهم الواقعية .

أحياناً يولد طفل ما وعنده حاجة قصوى جاهزة للتأكيد على حق الاعتراف هذا (وذلك لأسباب وراثية أكثر من غيره)، وبالتالي يكون العيب فى "نهم برنامج احتياجه" أكثر من قلة مصادر ربه، ويواصل الطفل بوجه عام، وهذا الطفل بوجه خاص: صراخه المعلن عن حرته الوجودية، وحاجته الأساسية بأى قدر من الاعتراف، بهذا الإلحاح المتسائل، فى كل اتجاه :

أنا مين؟ أنا فين؟

أنا كام يامه؟

أنا إيه؟

تعدد الكيانات جاهز فى التركيب البشرى منذ البداية، "أنا كام؟"، التساؤل هنا لا يقتصر على "أنا مين؟" أو "أنا إيه؟" ولكنه يمتد إلى "أنا كام؟". فى التحليل التركيبى structural analysis يولد الطفل زهو يحمل "مشاريع" الذات كلها تقريبا، مشاريع بمعنى "برامج" تنتظر التشغيل والتشكيل والنمو، والتساؤل هنا لا يكون واعياً طبعاً، لكنه وارد كامن. لا يطل هذا التساؤل عادة فى الوعى الظاهر إلا مع (1) بدايات الذهان، أو فى (2) أزمت النمو، أو مصاحباً (3) لإرهاصات الإبداع، تساؤل الطفل البدئى هنا هو نفس التساؤل، لكن دون ألفاظ طبعاً، وأيضاً بوعد فطرى كلى غير محدد .

ترد الأم بطيبة دافئة، وفى نفس الوقت بدهشة مفهومة :

= جرى إيه يا ابني يا حبة عيني،

طب ما انت أهة !

بقى دا اسمه كلام ؟!!

ما هو كله تمام

جری إيه !

"كله تمام" بمقاييسها الآلمة، وفي حدود قدرات عطائها المتواضعة

ثم تنتقل الرسالة فجأة إلى مخاطبتها طفلها "الوالد" أملا داعما منتظرا، الأم تعتبر ابنها والدها أحيانا منذ الولادة.

رحلة البناء السرى (الطفل العملاق الطيب)، والتحمل العطائى (حمل الحامل) ، قد تتم حتى لو لم يأخذ الطفل حقه، ولا يصل إلى الأم بعد نجاح الكائن الجديد أن ينمو، ويتحمل، ثم يستمر، ويمجمل، إلا أنها ترى طفلها "الوالد" أصبح قادرا على العطاء، وأن عليه أن يستمد وجوده من التمادى في هذا الدور الذى أوضحنا ثمه بشكل شبه كامل في النشرات السابقة (حمل الحامل) نشرات 28/7/2010 : (، 4/8/2010 ، 11/8/2010)

الأم هنا تنكر تساؤلات ابنها الوالد، ولا ترى احتياجات ابنها "الوليد"، لكنها لا تتنكر لها، فهي لا تتصور أن هذا الوالد المعطاء إلا أنه قادر بالتالى على "التغذية الذاتية" بمواصلة العطاء، وأنه سوف يكتمل بمواصلة ذلك دون حاجة إلى هذه الوقفة وهذه التساؤلات وإعلان هذا الاحتياج هكذا، فهي تضى تطمئننه وترئ نفسها:

= يا جدع يا أمير ياللى بتدّى،

إوعى هدى.

تتكد إدى

بكره تغدى.

ياسلام يا ولد.

ما فى زيك حد.

ماتفكرشى، دا الفكر مرار.

ودا بر يابنى وما لوهشى قرار.

- بس ياشه لو قلت ليه ؟

كان ليه ؟

= جرى إيه ؟ فيه إيه ؟

(كان ليه ؟ كان ليه ؟)

دُهْدِي! هَيَّا! "عائلة"؟

وَأنا قصدى ؟ دُهْدِي!!

تحتد الأم بحق على أنه حتى لو أنها عجزت أن تعطى وليدها اعترافا يستحقه، حتى لو أنها مسئولة ضمنا على هذه الوقفة ومحتوى هذا الاحتجاج، حتى لو أنه يلومها حبا وضعفا طبيعيا، فهي غير مدانة، وهي لم تقصد أيا من ذلك، لكن، لعل هذا هو غاية ما عندها

وإلى الحلقة القادمة

- مجموعة هذه القصائد في تصوري تتكامل ويمكن أن تجمع مستقلة لتبين نوعا من المسار يضطر كثير من الناجحين أن يسلكوه

1090-الغنيوة الثانية (الفصل الثالث)



الخلاص (2)

ليس كل الشعر شعراً!! (إذن ماذا؟)!!!

مقدمة:

انتهت الحلقة السابقة والأم تنكر على ابنها تساؤلاته: "أنا مين أنا فين أنا كام يامه، أنا إيه؟"، كما تنكر احتجاجاته "ليه يامه كان ليه؟ لما ما انتيش كان ليه"، ثم تنصحه أن "يعيش وخلص"، (بقي دا اسفه كلام؟! ما هو كله تمام!) كما تنصحه بأن يواصل عطاءه (يا جدع يا أمير يا للى بتدى، إوعى تهدى) .. إلخ

فيواصل الابن: ليكن، ما دامت أمه بكل هذه الطيبة، أو حتى بهذا الضياع، وما دامت لم تقصد، فهي حتما لم تقصد، وحتى لو تقصد فقد اعتذرت: (دهيئ!! هيئا عاملة؟ ولا انا قصدي؟ دهيئ!!)، ليكن، وليجب هو عن تساؤلاته شخصيا من واقع رحلته كما يتصورها

- 2 -

- علشان يامه مش على بالك، أنا حاخكيلك:

أنا زرع شطاني،

ولا حد ف يوم جه وراني

ولا شفت ازاي أو كام أو مين
ولا حد عرف أنا باعمل إيه،
أو ليه أو فين.

حين كتبت هذا المتن سنة 1973/1974، كنت أتصور أنه يمكن أن يكون الإنسان "زرع شيطاني"، وأن مَنْ حُرِمَ حق الاعتراف كما ينبغي لما ينبغي، يمكن أن يخلق نفسه بنفسه، لكنني حين كتبت الجزء الثالث من الترحلات **(ذكر ما لا يقال: "سرة ذاتية")**، وأثبت هذه القصيدة في الفصل المعنون "أمي"، تجسد لي قبح، وتشوه ما هو "زرع شيطاني": زرع لا يزرعه أحد، ولا يرويه أحد، ولا يستفيد منه أحد، ويضر ببقية المزروعات النافعة، فجأة: استنارت بصيرتي أن هذا هو أبشع ما يمكن أن يُمتحن به بشر، المتن هنا يبدو وكأنه يعلى من قيمة أن يصنع الانسان نفسه بنفسه كأنه ابن نفسه، يظل المتن ينفخ في هذه الصورة ويزينها حتى قرب النهاية، هذه الصورة الملوحة: أن تخلق نفسك بنفسك هي شديدة الإغراء مع أنها في عمق معين لا تعنى إلا **ألوهية زائفة**، كتلك التي تورط فيها "غرينوي" بطل رواية العطر، حتى صار إلهًا كاذبًا، ومن ثم قاتلًا بالضرورة، وقد أثبت هذا التراجع في الترحال الثالث كما ذكرت في الحلقة السابقة، وأعتقد أنه من المهم إثبات نص التراجع هنا كما جاء في الترحال الثالث قبل أن نكمل قراءة المتن، وما طرأ عليه، وما آل إليه:

15 يوليو 2000

"...عذرا أمي، ظلمتُك، وكأني فعلتُها وحدي، إن كنت قد فعلتُها أصلا.

قرأت لاحقا رواية "العطر" لباتريك زوسكند..... وأعدت اكتشاف مسائل كثيرة تتعلق بما سبق أن أثبتته هنا من افتراضات،

ولد جان باتيست غرينوي سفاحا من أم كانت تتخلص من أطفالها أولا بأول، وحين حاولت أن تتخلص منه عقب ولادته مباشرة صُبطت، وحوكمت، وأعدمت.

أطلق غرينوي من تحت طاولة السلخ "صرخة مدروسة بدقة، ويكاد المرء أن يقول إنها صادرة عن عقل مفكر، أراد بها الوليد الجديد أن يحسم أمره ضد الحب ولصالح الحياة"، لأول وهله بدا (لي) هذا الاختيار مستحيلا، هل يمكن أن يكون الحب على ناحية، والحياة الناحية الأخرى؟

كان غرينوي بلا رائحة، بلا وصلة بين "لا رائحة" ورائحة البشر، بلا تواجد معا، فراح يشكّل نفسه بنفسه، يصنع له رائحة مميزة، راح يحاول أن يصنع كل ما يحقق استمراره، ونجاحه، بل ونجاته من الموت بعد أن أزهق أرواح العذارى الواحدة تلو الأخرى ليحقق تصنيع "العطر الإله البديل" (الوجود المصنوع زيفًا)، نجح في أن يصنع كل ما أرادته إلا أن

تكون له (بشرية) رائحة مميزة (عن كل البشر) كما صورتها له ألوميته الزائفة، رائحة يستطيع هو أن يتحقق منها (وبها) متفردا ساحرا قاتلا مسيطراً على الحياة .

وانتهت الرواية بأن التَّهَمَه الأوغاد "عن حب(!!)" (ليعلنوا بذلك أنه بدون أن يكون جزءاً منهم لا وجود له أصلاً) .

العَدَم الذى انتهى إليه غرينوى تم من خلال علاقة التهامية ببدلة عن التخلُّق النابض بالناس ومعهم، هو النتيجة الطبيعية لهذا الزيف الخادع الذى يوهم الواحد أنه يمكن أن "يصنِّع نفسه بنفسه" مستغنياً عن التواصل الطبيعى المتخلِّق من جدل العلاقة والسعى المشترك فى رحاب الحق المشترك الأعظم .

أين تقع هذه الاستطرادة من هذه المحاولة للمكاشفة؟ لو استطعتُ ألا أُجيب لفعلت، لكن هذا الكتاب (الترحالات) سوف ينشر، وسوف يقرأه الناس .

خلاصة القول هو أنى اكتشفت أننى كنت أكذب على نفسى وأنا أزعم أننى "أنا حابقى أبويا وأمى كمان..، أنا حابقى كثير، أنا حابقى الناس. أنا حابقى" أنا". إزاي؟ ما اعرفش. أنا لازم "أكون" و"أعيش"،

أيضا كانت ومازالت خدعة كبيرة حكاية "وحادؤرعلى نفسى بنفسى ولقيت لى خلاص". أو مقولة "أنا حابقى الحب" (!!). أليس هذا الذى قلته يكاد يكون مكافئاً للعطر الخادع فعلاً الذى كان سبباً فى هلاك غرينوى.

لكن ربنا ستر!!!!

هذه الخدعة الكبرى لم أكتشفها طبعاً من قراءة العطر فقط .

إن ربع قرن من الممارسة والتقليب والمراجعة قد سمح لى أن أصل إلى ما جعلنى أفهم هذا الإبداع الروائى بما ذكرته. أتصور أن هذا هو مدخلى لما مارسته وما أمارسه مما يسمى النقد الأدبى.

أى غرور غي!!! هل يمكن أن يفعلها أحد وحده؟ ما هذا؟!!

أيام كتبت هذا الكلام كنت فى بؤرة تجربة تصنيع الحياة، ربما كما كان باتيست غرينوى يصنِّع العطر (الخاص جداً الفريد جداً). لا أحد يمكن أن يبحث عن نفسه بنفسه (حتى يبدعها بدون الناس)، لا أحد يكون الناس، إلا على حساب علاقته بالناس، لا أحد يصنِّع الحب إلا إذا كان ينتحر به، لا أحد يخلِّق إله زائفاً إلا إذا أصبح قاتلاً محترفاً .

يبدو أن ما أنقذنى من هذا المصير هو أسمى الحقيقية وزوجتى الحقيقية وأبنائى الحقيقيين وطلبى الحقيقيين ومرضى

الحقيقي وأصدقائي الحقيقيين، وصديقاتي الحقيقيات ربما لهذا شعرت بعد ما يقرب من ستين عاماً، وبعد رحيلها، أنني أريد أن أتعرف عليها، ربما لأشكرها، وربما لأعتذر لها.

(انتهى المقطع مع زيادة ما بين قوسين):

الآن وأنا أراجع المتن، وأراجع استدراكي في الترحالات في فصل "أمي"، وجدت الفرصة تسنح من جديد للتأكيد على بعض الحقائق والرؤى التي تتعلق بالنمو الإنساني، والعلاج النفسي الذي هو "مصغر النمو الإنساني" (والمفروض أنه موضوع هذا العمل)

أولاً: لا أحد يصنع نفسه بنفسه إلا الله

ثانياً: يمكن أن يخلق الإنسان نفسه بنفسه، قد يبحث عنها، وقد يسهم ذلك في إعادة تشكيلها، ولكن ربما أو هو الذي قد يعطله لو استغرق في ذلك فقط، يتوقف هذا على موقفه من الناس وبالناس وهو يبحث عن نفسه، إذ يتشكل بهم ومنهم.

ثالثاً: إن أي استغناء عن الناس (ربما بدءاً بالأم) يستحيل أن يكون استغناء مطلقاً، إنه لا يعدو أن يكون مظهراً دفاعياً مؤقتاً على أحسن الفروض، أما إذا تمادى فهو الذبول، أو التآله أو الجنون الانسحابي أو المتفسخ.

رابعاً: إن العلاقة العلاجية في العلاج النفسي تكاد تدور بداية ونهاية حول محاولة كسر هذا الوهم (الاستغناء حتى الانسحاب) دون استبداله بالاعتمادية الرضيعية التي ربما تقبل كمرحلة عابرة قصيرة تماماً لازمة أحياناً لإعادة البداية.

خامساً: إن هذا التراوح بين حركية النمو ما بين "الاستقلال"، وضرورة "قبول الاحتياج" هو من ضمن "برنامج الخروج والدخول" الذي اشرنا إليه سابقاً في أكثر من موضع.

وبعد

كل هذه الحقائق والرؤى جعلتني أرجع إلى أوراقى على الحاسوب، وليست المسجلة في ديوان أغوار النفس، ولا حتى في الترحال الثالث "ذكر ما لا ينقال"، فضبطت نسخة من نفس القصيدة، لاحظت فيها اختلافات قليلة عن الأصل حتى الضد أحياناً، ويبدو أن ذلك قد تم من ورائى بعد مراجعتي للقصيدة في فصل أمي في الترحال الثالث، نعم إلى الضد، تصوروا أن ينقلب ذلك المقطع:

- علشان يامه مش على بالك،

أنا حاحكيلك:

أنا زرع شطاني،

ولا حد ف يوم جه وراني

يتحول إلى هذا المقطع:

- علشان يامه مش على بالك،

أنا حاخكيبك:

أنا خدت الدنيا معاكى بيكى،

من ورا ضهرك،

مش زرع شطاني،

مع إن ماحدث ورائي،

هل هذا يجوز؟

الشعر "حالة" والحالة ترتبط بلحظتها، فإذا تغيرت الحالة فلتفرز شعرا آخر، إن كانت الحالة الجديدة قادرة على ذلك؟ ما هذا الذي فعلته هكذا بالقصيدة؟ فوجدت نفسى بين اختيارات كالتالى:

أولاً: إما أن أتنازل عن كون ما كتبتة شعرا أصلاً، فهو رسالة منظومة دالة هادفة، وبالتالي فلى حق تطويره أو تحديثه حسب تغير حالى وخبرائى، ولتكن سيرة ذاتيه متعمة ولو هى منغرسه فى الألم والتعزى فالمراحة.

ثانياً: وإما أن أكتب قصيدة جديدة تؤرخ اللحظة الجديدة، وهذا أمر ليس بيد أى شاعر حقيقى، ليس بيد أحد يعرف ما هو الشعر أن يفرز شعرا متى شاء لما شاء.

ثالثاً: وإما أن أسجل الذى طرأ على "حالى" فغير شعرى ذاك إلى شعرى هذا وأترك الحكم للقارىء، وليدرج هو العمل تحت الاسم الذى يفضله حتى ولو كان ذلك الاسم هو البدعة المسماة "الكتابة عبر النوعية".

استطراد

موقفى من الشعر غريب، أعتقد أننى لم أكتب شعرا فيما عدا بضعة عشرة قصيدة، لا أظن أن ما أكتبه شعرا، هذا بصفة عامة، وإن كان بعض من يتلقونه يعتبرونه كذلك.

فى نفس الوقت فهمت ثم توصلت: كيف أن الموت شعر آخر والعلاج الجمعى يتراوح بين الشعر الجماعى (المرتبط بالوعى الجماعى وتخليق الأسطورة الجماعية الأحدث) وبين النقد التشكيلى لنصوص بشرية متناصمة وهكذا:

ففى الوقت الذى ضاق عندى مفهوم الشعر حتى يستبعد كل ما هو مقصود هادف بوعى كامل، اتسع ما هو شعر حتى يشمل كل ما هو تشكيل مبدع طليق مفاجئ جديد.

الأقرب عندى أن أعترف أننى لم أكتب الشعر الشعر إلا نادراً، ولعل أقرب ما كتبت شعرا هو ما نشر هنا فى النشرات بعنوان "مقامات الرخاوى" 2009-3-23 ، 2009-2-23 ،

يا ليت شعري لست شاعرا

-1-

لا أضرب الدفوف في مواكب الكلام،

ولا أدغدغ النغم.

لا أتحث النقوش حول أطراف الجمل،

أو أطلب الرضا.

ولا أقول ما يقرظ الجمال..،

يحتضر.

.....

لكنني أنهيتها بإعلان استقلال الشعر الشعر عني، وأنه إن صج شعرا فهو الذي يكتبني، وليس العكس جاءت نهاية نفس القصيدة هكذا:

-2-

تدقُّ بابي الكلمة

أصدّها.

تُغافل الوعي القديم،

أنتفض.

أحاولُ الهرب،

تلحقني.

أكوئها،

فأنسلخ.

-3-

أمضى أغافل المعاجم الجحافل،

بين المخاض والنحيب.

أطرخني:

بين الضياع والرؤى.

بين النبي والعدم.

أخلق الحياة أبتعث.

أقولني جديدا،

فتولّد القصيدة.

1983/9/14

هكذا صورتُ حركية الشعر شعرا في نهاية القصيدة وأنا أعلن أنني "لست شاعرا" وفي قصيدة أخرى هجوت شاعراً جميلاً رقيقاً "رومانسيا" كما يقولون، هجوته قائلاً:

-1-

يا شاعر الودادِ والسهادِ والمؤانسة،
معدرةً، عجزت عن نثر الورد فوق موكب الأشواق.
حقًا عيونها أصفى من السماء
من بعد يوم ممطرٍ بهيج.
وعودها أطرى من النسيم،
وسيرها كمثُلِ مشية المَهَا،
والوجهُ بالغمَازةِ اليرئنة،
يقول ما لا يقدر اللسان.

.....

إلى أن قلت:

-2-

يا شاعرا تمايلت أعطافهُ فوق البراق.
فرحّت تشدو للفرّاق والعناق،
وتجدل الأنغام،
ضفائرا من ذهب الكلام،
تعوم في عيونها وترتوى،
فتعزف الأغان

.....

لأنهى القصيدة بمقابلة بتجربتي وأنا أعيش الشعر الذى
أنتمى إليه قائلا:

-3-

وسط الحياة كلّها
(بها ... بدونها)
نصبتُ خيمتى:
ناجيتِ ثُعباناً وحيداً ذات ليلة، أناملى ترتاح فوق
شوك قنفذ،
خضرتُ حفلاً ساهرا في وكبر صُزُورٍ مُهاجر،
صاحبتُ غملة وحيدة،
في رحلة عنيده

كَلَّمَتْ فَرخًا عَاجِزًا قَدِ اسْقَطَتْهُ قِسْوَةُ الرِّيحِ،
 حَمَلَتْهُ مُهَدِّدًا لِعَشِّهِ فَوْقَ الشَّجَرِ،
 وَمَا نَسِيتُ حَوْرَكُمْ مِنَ الْجِسَانِ
 (الحسن عندي كل ما دبَّت به حياه).
 وفاءٌ قلبي بالسماح والشَّجْنُ:
 يَامَتَّانِ حَطَّتَا عَلَيَّ فَنَنْ
 لكنني لم أستطع أن أضحكك،
 في المخذعِ الوثيرِ
 فمعدرة
 خَرَجْتُ بَعْدَ الدَّائِرَةِ .

1981/7/6

برغم كل ذلك فقد أصر المرحوم صلاح عبد الصبور وهو يناقش معنى ديوان "سر اللعبة" - ناقدا - في البرنامج الثاني في الأذاعة في أواخر السبعينات أن الديوان شعر خالص، وحين أفهمته أثناء البرنامج ثم بعده أنه شعر وصفى هادف، تحداي، وقبلت التحدي فقامت بشرح على المتن هو الذي أخرج أهم أعماله "دراسة في علم السيكوباثولوجي، 1979" ولم أتمكن من إهدائه لصلاح فقد رحل قبل أن أفعل، ولم أندم لا على الديوان ولا على الشرح، وإن كان ما سميته "ملحق الديوان" كان اقرب إلى الشعر من الديوان نفسه.

ثم استدرجتني هذه النشرة إلى شرح هذا الديوان الآخر بالعامية "أغوار النفس"، وإذا بي أقع في هذه الورطة الأضعب التي أظن أنها باعدت بين الديوان وبين أن يكون شعرا

ليكن .

وبما أنها رسالة، فقد تغير موقفي، بما يقابل تغير حالي الشاعر منذ كتابة النص الأول 1974 إلى كتابة الجزء الثالث من الترحالات سنة 2000 "ذكر ما لا ينقال" تغير إلى ما هو أنا الآن (2010) وقبلها لست أدري متى) فجاء هذا التحديث أو التشويه أو التطوير، وأكتفى أن أقدم في هذه النشرة بعض الفقرات التي تم العبث بها، أو الارتقاء بها - أنت وما ترى - .

وبعد

هكذا أعلن هنا أنني أتنازل عن تصنيف ما أكتب أنه شعر في مقابل أن أوصل رسالتي، وتفسير هذا التطور هو ما يلي:

يبدو أن رؤيتي في صدر منتصف العمر صورت لي أن من أعظم ما يعتز به شخص ما هو أن يعمل نفسه بنفسه كما ذكرت حالا، وأن يكون زرع شيطاني، وحين تواصلت ممارستي مع مرضى وسمحت

لأن أعيد رؤيتي لمسيرتي وكتبت عن أمي من جديد (سنة 2000)، انتبهت أن هذا الزرع الشيطاني هو من أقبح ما يمكن أن يصف مسيرة إنسان يريد أن يكون إنساناً،

الذي وصلت إليه بعد هذا التحديث أو التطوير أو التطور أو قل التراجع هو أنه يبدو أن الأم لا تستطيع إلا أن تعطي، وأن العيب غالباً يكون في القدرة على التلقى أساساً، فإن حدث قصور من ناحيته الأم فهو لعجزها وليس بسبب تقصيرها، ربما من هنا جاءني ما لحق بالقصيدة كما سيلى:

سوف اكتفى في هذه النشرة بأن أنشر بعض فقرات الأصل سنة 1973 مقابل ما عثرت عليه من تطوير على حاسوبي والذي جرى غالباً حول منتصف هذا العقد 2001 - 2010

سوف أكتفى الآن بنشر هذا وذاك متقابلين دون تفسير، وقد أعود للتفسير في النشرة القادمة، أو قد أكتفى بما قد يصلني من الأصدقاء وهم يقارنون بين النصين لا ليقولوا هذا أفضل أو هذا أجمل، ولا ليحكموا أن هذا شعر وهذا ليس كذلك، وإنما ليعرفوا كيف تتغير الحالة فيتغير الحال، ثم يقولون ما يعن لهم كما يشاؤون.

غالباً سوف أنشر القصيدة مكتملة في النشرة القادمة دون شرح، ربما لأختم بها هذا الكتاب الورطة قبل أن أثبت النهاية دون شرح أيضاً.

حول منتصف العقد 2001-2010	1974 - 1973
- 2 - - علشان يامه مش على بالك، أنا حاكيلك: <u>أنا خدت الدنيا معاكى بيكى،</u> <u>من ورا ضهرك،</u> <u>مش زرع شطاني،</u> <u>مع إن ماحدش وراي،</u> ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.	- 2 - - علشان يامه مش على بالك، أنا حاكيلك: أنا زرع شطاني، ولا حدف يوم جه وراي ولا شفت ازاي أو كام أو مين ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.

حول منتصف العقد 2001-2010	1974 - 1973
- 4 - أنا حايقى "أنا". إزاي؟ ما اعرفش. <u>أنا عارف إني حاكون، وأصبر،</u> <u>رينا ستار، رينا دا كبير.</u> <u>بكره تشوفي، لأ دلوقتى</u> <u>غصبن عنهم.</u> <u>غصبن عني.</u> <u>غصبن عنك.</u>	- 4 - أنا حايقى "أنا". إزاي؟ ما اعرفش. أنا لازم "أكون" و "أعيش" غصبن عنهم. غصبن عني. غصبن عنك.

حول منتصف العقد 2001-2010	1973-1974
- 4 -	- 4 -
.....
.....
حا شعر بالنبضة وبالرعدة، من أى كلام، وحاعيش !!!	حا شعر وبالرعدة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى مختاره معاك. ما تعيش. مين حاشك بس ؟
= والله يا بنى مختاره معاك. ما تعيش. مين حاشك بس؟	- 5 - وضحكت عليكو وعشت أهه أنا اهه.. أنا اهه أنا اهه دلوقتى الآن حالا أنا اهه إزاي دا حصل؟ أنا ما اعرفش أنا اهه وخلص، وباغنى مع نفسى بنفسى ولاقيتلى خلاص ولاقيت الحب وكل الناس
- 5 -	
<u>ما حاشندشى</u>	
<u>ما أنا عايش اهه،</u>	
<u>بس ادعى لى ،</u>	
<u>أنا كنت "خلاص"،</u>	
<u>بس بفضلك ربنا قالها،</u>	
<u>ولقيت لى "خلاص".</u>	
<u>وعملت لى اللى أنا هوه ،</u>	
<u>وياجدد روحى من جوه ،</u>	
<u>وباغنى مع نفسى بنفسى</u>	
<u>فى الناس، بالناس.</u>	

حول منتصف العقد 2001-2010	1973-1974
- 6 -	- 6 -
.....
.....
عايز؟ دور واتحانق.	عايز؟ دور واتحانق.
<u>وساعتها حاتلقى عمار فى عمار.</u>	وساعتها حاتلقى الحب وحا تعرف معنى لى كلام و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنوة الحلوه.
وحا تعرف معنى لى كلام، و"تكون"، و"تعيش"، وتغنى الغنوة الحلوه.	"إيه؟!" مانت عارفها، طب بص: تلقاها جواك
<u>إيه؟</u>	
<u>مانت عارفها،</u>	
<u>جواك، براك، ماليه الدنيا،</u>	
<u>المعنى/الناس/ثانية بثانية</u>	
<u>وخلص!!</u>	
<u>لأه!</u>	
<u>لسه شوثة</u>	

يا ترى ماذا سنقول الأربعاء القادم؟

- كرت أن هذا كان ضمن نعى أدونيس لصاح عبد الصبور

الإربعاء 08-09-2010

1104 - الغنيمة الثانية (الفصل الثالث)



الخلاص (3)

في الحلقة السابقة أوضحت تطور فكري، من واقع الممارسة والنمو، ومن ثم ما طرأ على المتن الشعري في هذه القصيدة بالذات، الأمر الذي لم يحدث في غيرها تقريبا أبداً، وقد بينت كيف أن رفضي أن أدعى (بل أن أفخر) أنني "زرع شيطاني"، جاء نتيجة ما وصلني بعد حذة بصيرتي أن هذا ليس هو طريق النمو السوي، وقد تأكد لي ذلك من خلال قراءتي النقدية لرواية العطر لزوسكند من ناحية، ومن خبرتي المتراكمة عبر حوالى الثلاثين سنة التالية لكتابة أصل المتن باكراً، وقد غامرت وعدلت المتن بما وصلني مؤخراً، مع إثبات النص الأول، وبررت ذلك بأنه لما كان هذا الشرح إنما يهدف إلى توظيف المتن لشرح أبعاد العلاج النفسي، فماذا يضيرني من تحديثه حتى على حساب شاعريته؟

قلت في الحلقة السابقة رفضاً لفكرة "أنا زرع شيطاني" ما نصّه:

. . . .
. . . .

ثالثاً: إن أي استغناء عن الناس (ربما بدءاً بالأم) يستحيل أن يكون استغناء مطلقاً، إنه لا يعدو أن يكون مظهراً دفاعياً مؤقتاً على أحسن الفروض، أما إذا تمادى فهو الذبول، أو التأله أو الجنون الانسحابي أو المتفسخ

رابعاً: إن العلاقة العلاجية في العلاج النفسي تكاد تدور بـدائية ونهاية حول محاولة كسر هذا الوهم (الاستغناء حتى الإنسحاب) دون استبداله بالاعتمادية الرضيعية التي ربما تُقبل كمرحلة عابرة قصيرة تماماً لازمة أحياناً لإعادة البداية (الولادة)

خامساً: إن هذا التراوح بين حركية النمو ما بين "الاستقلال"، وضرورة "قبول الاحتياج" هو من ضمن "برنامج الخروج والدخول" الذي اشرنا إليه سابقاً في أكثر من موضع.

وبعد

فإنني سوف أخصص هذه الحلقة الأخيرة لشرح متن هذه القصيدة بما يفيد توضيح النقلة في المعالج والمفاهيم بما يفيد العلاج النفسي، مع التركيز في هذه النشرة على دلالة ما وراء تغيير المتن، من واقع الخبرة المهنية والنمو الذاتي، حتى ولو كان ذلك على حساب الشاعرية، الأمر الذي نفاه كثيرون ممن قرأوا النص القديم مقابل النص الجديد، حتى رأى بعضهم أن الجديد أفضل (شاعرية)، في حين قال آخرون أن كلامها شعرٌ مرحلته، وأن التغيير قَدَم شعراً آخر، وليس شعراً أقل، ليكن، فليست هذه هي القضية الآن. أتصور أن النقلة التي حدثت هي مقبولة من حيث المبدأ، وبالذات لما تسمح به من إضافات مهنية محددة مفيدة:

أولاً: أنه مادام الطبيب النفسي (والمعالج النفسي) هو الأداة الأولى في العلاج، فإن رصد تغيره (ولو من خلال مجالات أخرى) مهم نظراً لخطم تأثيره على مسار العلاج.

ثانياً: إن التغيير الذي حدث في المتن له دلالة تدعو لمناقشة الموقف القديم مقارنة بالموقف الجديد، وتبريرات التغيير من وجهة نظر مسار العلاج النفسي

والآن إلى شرح المتن المقارن:

1973 - 1974	حول منتصف العقد 2001-2010
- 2 - - علشان يامه مش على بالِك، أنا حاحكيلك: أنا زرع شطآن، ولا حد ف يوم جه وزَانِي ولا شفت ازاي أو كام أو مين ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.	- 2 - - علشان يامه مش على بالك، أنا حاحكيلك: <u>أنا خدت الدنيا معاكى، بينكى، من ورا ضهرك، مش زرع شطآن، مع إن ماحدش ورائى،</u> ولا حد عرف أنا باعمل إيه، أو ليه أو فين.

ماذا يعني هذا التراجع عن الفخر بالجهود المستقلة لتشكيل الذات ودفع نحوها؟

على أفضلية التركيز على عملية "تخليق الذات"، حتى على حساب "تحقيق الذات"، لا أحد عنده ذات مخبأة وعليه أن يبحث عنها، ولا أحد عنده مشروع ثابت للذات يريد تحقيقه، الإنسان، أى إنسان هو مشروع يحمل برامج متنوعة من كل تاريخ أسرته، وتاريخ نوعه، وتاريخ الحياة، وتستمر عملية تخليق الذات إلى ما لا يبدو له نهاية (حتى الموت وصلنى مؤخرا أنه أزمة نمو، وولادة جديدة)، وبالتالي يمكن قراءة هذا النص "أنا حابقي أنا" باعتبار أنه يعنى أنه في لحظة بذاتها "أكون أنا" إلى ما هو "أنا" (ايضا أكرر: بعيدا عن الوعى الظاهر بشكل ما).

الاختلاف الذى طرأ فى التحديث هنا مهم، وهو يرتبط بفكرى الأحدث فالأحدث الذى شرحته تفصيلا فى أطروحتي "الحرية والإبداع" Link حيث بينت أن مقولة شكسبير (هملت) "أكون أو لا أكون" هى مجرد مرحلة لا يجوز تقديسها أو الوقوف عندها، وأن حركية النمو تضعنا أمام إشكالية أكثر حيوية ووعداً، وهى إشكالية "أكون أم أصير" (التي هى بدورها خطوة إلى أصير أم أظفر).

الفرق بين الأصل "أنا لازم أكون وأعيش"، وبين التحديث "أنا عارف إني حاكون وأصير"، هو فرق دقيق ومهم لأنه يبين أن حتمية الكينونة "أنا لازم" هى أقرب إلى مقولة هملت، أما مواكبة ومسيرة النمو (التطور) "أنا عارف إني حاكون وأصير" فهى أقرب إلى إعلان الاعتراف بسلسلة حركية النمو والتطور ما لم يعقها عائق.

حضور الوعى الكونى هنا (إلى وجه الحق تعالى) هو جزء جوهرى فى الفروق الثقافية التى أعاود تناولها بطريقة أو بأخرى كلما سنحت الفرصة، مثلا تناولتها عدة مرات فى نشرات الإشراف على العلاج النفسى؟؟ نشرة 2009-7-26 (ياه...!! دى طلعت صعبة بشكل، ولكن... "فروض وتجميع") أو مع شرح بعض تفاعلات وتفسيرات العلاج الجمعى انطلاقا مما اسميته الوعى الجمعى Collective Consciousness، وهى مسألة جوهرية بالنسبة لى، وأنا أفضل فى هذا المقام أن أوّجّل الحديث عنها مكتفيا بإثبات المبدأ، محيلا من يشاء مؤقتا إلى أطروحتي على الباور بوينت p.p عن الغريزة الهارمونية المتصاعدة (الغريزة الإمانية).

تكفى هنا التذكرة بأن العلاقات البشرية، حتى تكون بشرية، تحتاج إلى موصل جيد من الوعى الجمعى (البشر) فالوعى الكونى (إلى وجه الحق تعالى)، ليتم التعامل بين الوحدات البشرية بكفاءة تطويرية، وأن هذه ليست سوى برامج بيولوجية فيزيقية وليست نظريات أو آراء تجريدية ميتافيزيقية، ومجد هنا فى المتن مجرد إشارة إلى أن حركية النمو تحتاج إلى ائتناس بهذا وذاك "ربنا ستار" كما تحتاج إلى إحاطة تضم هذا/إلى/ذاك/إلى هؤلاء/ إليه (ربنا دا كبير).

هذا اليقين "هو حركة فى اتجاه قادم" (بكره تشوفى) لكن المتن الجديد يتحوط ضد التأجيل، وهو يستدرك بسرعة "لأ دلوقتى"،

يرجعنا ذلك إلى حدس اللحظة (باشلار) من جهة وإلى مبدأ "هنا والآن" الذي هو جوهر وعمود العلاج الجمعي بوجه خاص، إذ مهما كان اليقين بالحركة، وبأولية ما هو عمليته Process على المحتوى (= أولوية الدال عن المدلول) وبالمآل المفتوح، فإننا لا نملك إلا "الآن" والـ "هنا"، والتركيز على ذلك واليقين به هو ما يجعلنا نطمئن إلى سلامة سير قوانين البرامج التي تحكم هذه اللحظة في اتجاه السهم الضام.

أما بقية المقطع فلم يحدث فيه تغيير، وتعبيرات الحتم المتجدد للجميع هنا (غصين عنه، غصين عنى، غصين عنك) لا تشير إلى أن حركية النمو تحدث قسراً أو تعسفاً، وإنما هي تشير إلى الإصرار على تجاوز المعوقات، والتشوهات والدفاعات (الميكانيزمات) التي تعوق النمو والتطور، حتى التحليل النفسى الكلاسي هو ليس حلاً لمشاكل أو فكا لعقد، بقدر ما هو إزالة إعاقه unblocking

حول منتصف العقد 2001-2010	1973-1974
- 4 -	- 4 -
.....
.....
حا شعر بالنبضة وبالرعدة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى مختاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس؟	حا شعر بالنبضة وبالرعدة، من أى كلام، وحاعيش !!! = والله يا بنى مختاره معاك. ما تعيش. مين حايشك بس؟
- 5 -	- 5 -
<u>- ما حايشيشي</u> <u>ما أنا عايش أهه،</u> <u>بس ادعى لي،</u> <u>أنا كنت "خلاص"،</u> <u>بس بفضلك رينا قالها،</u> <u>ولقيت لي "خلاص".</u> <u>وعملت منى اللي أنا هوه،</u> <u>وياجدد روجى من جوه،</u> <u>طالع بره، راجع جوى</u> <u>وياغنى مع نفسى بنفسى</u> <u>في الناس، بالناس.</u>	وضحكت عليكو وعشت أهه أنا أهه.. أنا أهه أنا أهه دلوقتي الآن حالا أنا أهه إزاي دا حصل؟ أنا ما اعرفش أنا أهه وخلص، وياغنى مع نفسى بنفسى ولأقيتلى خلاص ولأقيت الحب وكل الناس

المقطع الأول هنا لم يحدث فيه تغيير وهو يعرض لقضية مهمة في العلاج (كما هي في الحياة) إذ هو يرسم الحياة نابضة حاضرة بأبسط، وأروع وأعمق ما هي، (هل تذكر؟ الحياة هي الحياة أحلى حاجة فيها هيا إني عايش) (نشرة 6-16-2010 "الحياة 1 من 6")، (نشرة 6-23-2010 "الحياة 2 من 6")، بما في ذلك إحياء "أى كلام" بأن يحل فيه المعنى، و"أى كلام" هنا ليس مساوياً لأى كلام الذى نعى به الرطبان الأجوف، المفتقر إلى الهدف، ولكن المقصود به هنا هو أن أبسط الكلام، وحتى بدون كلام، يمكن أن يحمل أهم المعاني

الحياة هي "الحياة" إذن قبل وبعد الوعي بأنها "الحياة"، لكن شريطة ألا تكون قد تشوهت حتى اختبأت وراء ما يشبه الحياة بلا حياة.

أحيانا ألقبها في وجه المريض (ونفسي طبعاً) عارية تماماً حين أنبئه - ونفسي- أن "القضية الحقيقية الأولى بالمواجهة هي اختيارنا المبدئي: **أن نعيش أم لا**"، (يا نعيش يا نموت)، ونحن لا نعي بذلك الموت بمعنى إنهاء الحياة الجسدية، وإنما نعي: إما أن تمتلئ بالحياة الحياة أو نرضى بأن نصبح مجرد ناقلات جينيات لمن يستطيع أن يعيش-بعدنا- بشراً يوماً ما،

الأم في هذا المقطع لا تعترض على إلحاح ابنها على أن يعيش الحياة، فهي نفسها تعيش فعلاً الحياة دون أن تعلن أو تعي ذلك، دون أن تنقل القضية إلى مسألة معقلنة تحتل بؤرة الوعي فتختفى الحياة، فهي تتعجب من تساؤلات الابن وإصراره على كشف ما هو طبيعي بتعبيرات وألفاظ غير طبيعية، فهي حين تقول له (في المتن القديم/الجديد فهو لم يتغير) "**ما تعيش، مين حايشك بس**"، لا تستهين بتساؤلاته بقدر ما تتعجب منها ولها.

الاختلاف الذي طرأ على هذه الفقرة بعد ذلك له دلالاته برغم أنه ليس اختلافاً جوهرياً، ذلك أن تعبير "**وضحكت عليك وعتت أمة، أنا أمة أمة**" يبدو وكأنه سرقة لما هو "حياة" من وراء ما -أو من- يحول دون ذلك، ولكن مع التحديث الذي حدث في المتن انقلبت المسألة إلى حفز التحدي "**ماحايشنيش**"، كما انقلب "**وعتت أمة**" إلى "**أنا عايش أمة**"، ذلك أنه أحيانا يكون قرار الحياة "أن أعيش" هو مجرد كشف عن أبسط قواعدها ومنتهى حضورها دون أي جهد إضافي واع للبحث "عن الذات"، أو حتى تخليق الحياة في الذات، (ولعل الحيوانات أسبق منا في ذلك).

المتن القديم يصر على التنبيه على أن ممارسة الحياة تحدث دون ضرورة الوعي بها، وهو متن جيد في ذاته ولم يكن في حاجة أن ينسخه المتن الجديد، لكنني خفت التزيد والتكثيف لوقارنت بينه وبين التحديث تفصيلاً وسوف أكتفي بالتركيز على التحديث، خاصة وقد حضر فيه "الدعاء" الذي اعتبره الوصلة (الإرادية أحيانا) بين الوعي الشخصي والوعي الكوني (إلى وجه الحق تعالى) ويتم التعرف على موضوعيته هنا أبسط وأقرب حيث أن الوصلة كانت من خلال دعاء هذه الأم السلسلة "العائشة" بلا فذلكة "**بس ادعى لي**"، فطلب الدعاء هنا بدا لي تأكيداً لهذه الوصلة،

ثم تأتي النقلة من "**أنا أمة وخلص**" إلى "**أنا كنت خلاص**" و**ثم إضافة "بس بفضل ربنا قالها"**، لتؤكد نفس الوصلة، التي تنقلنا مباشرة إلى "**ولقيت لي خلاص**". "خلص" الأولى هي نهاية، و"خلص" الثانية هي بداية إذ لا بد لمرحلة أن تنتهي حتى تبدأ أخرى، وهنا تحضر الأم بصورتها الأصيلة لتحتوي الوجود النامي من جديد في رحم السماح الحضانة، تحضر حضورها الذي لا ينفصل عن الوعي الكوني (مروراً بالوعي الجمعي) مرة أخرى: "**بس بفضل ربنا قالها**"،

التركيز على الرعاية البشرية الوالدية فقط دون وصلة "بعديّة" يبدو مخالفا للطبيعة الإنسانية من منظور معين.

النقطة من "انا كنت خلاص" إلى "ولقيت لي خلاص" فيها كل أبعاد إعادة الولادة.

حدثت إضافة محدودة لن أشير إليها هنا، فليكتشفها القارئ بنفسه ليكتمل المقطع كله مشيراً إلى برنامج "الدخول والخروج" على مستوى الذات وأيضاً على مستوى الآخر (الآخرين) "في الناس بالناس".

العلاج النفسي الفردي يركز أكثر على مستوى الذات في حضور آخر (يقابل الأم) أما العلاج الجمعي فهو ينتقل إلى نفس الحركية "الدخول والخروج" ولكن على مستوى الوعي الجمعي بالناس في الناس.

حول منتصف العقد 2001-2010	1973 - 1974
- 6 -	- 6 -
.....
.....
عايز؟	عايز؟
دور واتخايق.	دور واتخايق.
<u>وساعتها حاتلقى عمار في عمار.</u>	وساعتها حاتلقى الحب
وحا تعرف معنى لأى كلام،	وحا تعرف معنى لأى كلام
"تكون"، و"تعيش"،	"تكون"، و"تعيش"،
وتغني الغنيوه الحلوه.	وتغني الغنوة الحلوه.
<u>ايه؟</u>	"ايه؟" ما انت عارفها،
<u>ما انت عارفها،</u>	طب بص:
<u>جواك، براك، ماليه الدنيا،</u>	تلقاها جواك
<u>المعني/الناس/ثانية بثانية</u>	
<u>وخلص!</u>	
<u>لاه!</u>	
<u>لسه شوته</u>	

الختام جاء خطاباً نقدياً، وحفزاً إلى السعي، وعوده إلى التأكيد أن المسألة يمكن أن تكون شديدة البساطة "وحا تعرف معنى لأى كلام" وفي نفس الوقت غائرة الجوهر "وتكون، وتعيش".

أما مقولة "وتغني الغنيوة الحلوة" فهي تشير أكثر في المتن الأول إلى التصالح (الهارموني) الداخلي مع الذات، لكن التحديث جاء ينبهنا نقداً إلى أنها ليست قاصرة على ذلك، إذ لو أنها اقتصرمت على أن "الغنوة" هي "جواك" فنحن مازلنا عند مستوى "أكون" و"تحقيق الذات" بعد البحث عنها وكلام من هذا، أما التعديل فقد نقلنا إلى الامتداد في حركية الهارموني الأوسع التي تتكشف لنا عبر رحلة النمو (العلاج) "ما انت عارفها"، "جواك - براك، ماليه الدنيا"

ثم يأتي التفصيل ليؤكد على الأهمية الجوهرية لحضور المعنى فيما هو علاج، وهو من أولويات العلاج المعرف، وأيضاً العلاج بالمعنى Logo therapy ، وفي هذا ما يدعم ما سبق الإشارة إليه من ان الحياة لا تكون حياة إلا بتعمير الدنيا بما هي ويناسها.

ثم يركز المتن الجديد على "حدس اللحظة" في نفس الوقت الذي يؤكد فيه أنه لا يتم نمو بعيداً عن الناس "المعنى/الناس/ثانية بثانية"

إذا تم هذا وتحقق لأى منا على هذا المستوى فهل تكون رحلته قد نجحت وأنه وصل "وخلص"؟

الاستدراك الأخير يرد على ذلك بالنفى "لأه"،

ثم تقفل القصيدة أنه "لسه شوية".

وهذه الشوية تظل نشطة مفتوحة أبداً



الخاتمة

هذه النشرة هي آخر حلقة في هذا العمل، الحمد لله

قررت ألا أشوه الخاتمة بأى شرح لا لزوم له، (ربما مثل كل شرح سابق، لكن ما العمل وقد تم) ، لعل ما شجعتي أكثر على تجنب الشرح هو أن الخاتمة خاتمة، فعلاقتها ضعيفة نسبياً بما هو علاج نفسي، اللهم إلا في التأكيد على أن الأصلح لعلاج المصرى هو المصرى، والأصلح لعلاج العربي هو العربي، والأصلح لعلاج الهندي هو الهندي، والأصلح لعلاج الأمريكى لست أدري!!!.

الاختلافات الثقافية ليست مجرد فروق تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية أو دينية، وإنما هي كل ذلك معاً، وأكثر.

الصراع الذى كان ومازال قائماً بينى وبينى هو مدى تعلقى بطين هذا البلد الذى ولدت على أرضه، ونشأت في رحابه، ورضعت من طبيته وكرمه، وبين حبي للإنسان في كل مكان على أى أرض، ما دام هو هو زميلى في البشرية - "خلقتُ ربنا".

ثم خيل لى أنى وجدت الحل أخيراً حين تذكرت أن أى صاروخ مهما كانت وجهته فإن لا بد له من قاعدة ثابتة ومتمينة وجاهزة ومنضبطة، سواء كان صاروخاً عابراً للقارات، أو عابراً للأزمنة، أو عابراً للأفلاك، من هنا أحسست أن حبي لمصر/الطين/ الناس/ الطيبة/ الخيبة/ التاريخ/ الوقفة، هو هو حبي للإنسان البشر/البعد/ الكون/ الله .. في رحلة التكامل.

أذكر أن بداية القصيدة كانت موجهة لصديق سافر وفي نيته الهجرة، وقد كتبت هذه الخاتمة وهو لم يستقر بعد نهائيا بعد عودته، هو صديق أحببته، وكنت وما زلت أحبه حبا شديدا، فجدوره من طين بلدى، برغم أن فروعه أو تفرعاته قد طعمت بعضها بطعم خوجاتى، وقد ورد تلميح يخص هذا الصديق في بداية هذا العمل، أفضل أن يبحث القارئ عنه بنفسه، وقد ثابرت على دعوته إلى الرجوع لنعملها سويا، وقد عاد، ثم كان ما كان، لكنه عاد.

تعميم معنى ومحتوى ودلالة ما هو "مصر" بداية من الفقرة الثانية هو الخلل الذى اهتديت إليه، ولعل المراجع لبعض النشرات التى جاءت في هذا العمل يدرك بعض ذلك مثلا في نشرة **"إني لو لم أولد مصريا" أو ".لوددت أن أكون مصريا"**، أو **"برغم كل الحارى، مازال فنا: ".شيء ما"**، إلخ.

الفكرة الجوهرية الذى أنهى بها هذا العمل وهذه الخاتمة، هى الفكرة التى شاعت في طول هذا العمل متنا وشرحا، بل عبر مدى مما رستى للعلاج بكل تشكيلاته، بل ربما عبر كل رحلتى الذاتية بما قدر لى أن أعيشه، وهى:

إن كل ما يمكن أن نفعله أثناء رحلتنا المحدودة، نموا، وعلاجا وتطورا، هو أن نتحدى التشويه القائم والمحتمل، وسوف نجد أننا نرجع تلقائيا إلى أصل شرف ما هو نحن ("خلقة ربنا"، "ربى كما خلقتى")، وهذا يحتاج إلى معرفة متواصلة متجددة، ومحكات عملية محددة، وممارسة متواصلة مفتوحة، ومراجعة ناقدة قادرة، وإبداع مغامر، ومثابرة

وهذا هو العلاج (النفسى، وغير النفسى)

.... خلاص

الخاتمة (دون شرح على المتن، ..هيه !!!)

-1-

يا طير يا طائر في السَّما ...

رايح بلاد الغُرْب ليه؟

إوعك يكون زهقك عماك

عن مصرنا .

عن عصرنا .

تفضل تلف تلف .. كما نورس حزين.

حاطط فين .. والوجد بيشدك لفوق.

إلفوق قضا .

إلفوق قضا .

وغنيك تشعلق كل مَادَى وتنسى طين الأرض: مصر.

- 2 -

دانا لما بابص جوا عيون الناس،
الناس من أيها جنس،
بالاقيها فُ كل بلاد الله خلق الله.
وفُ كل كلام، .. وف كل سكات.
وَذَا شفت الأُم، الحب، الرفض، الحزن الفرحة في غيوتهم..
يبقى باشوف مصر.
وباشوفها أكثر لما بابص جوايا.
والناس الخلوين اللى عملوا حاجات للناس،
كانوا مصريين:
"كل واحد هُمة ناسه،
كل واحد ربّه واحد،
كل واحد حُرّ بينا،
حُرّ لينا
يبقى مصرى"

تبقى مصر بتاعتي هي الدنيا ديه كلها،
هي وعد الغيب، وكل الخلق، والحركة اللى تبني.

= لأ يا شيخ !!؟

- قلت اصبر نفسي برضه بكلمتين،

[بس هَمَا،

بس صح،

يعنى ! برضه !!]

-3-

توتا .. توتا ..،

واهى خلصت منى الحدوته .
لو حلوه .. حاتقول غنوه :
"هوه دا يجلس من الله :
اللى غمض مات غيبى،
واللى شاف، خاف واترعب،
مابقاش نبي"

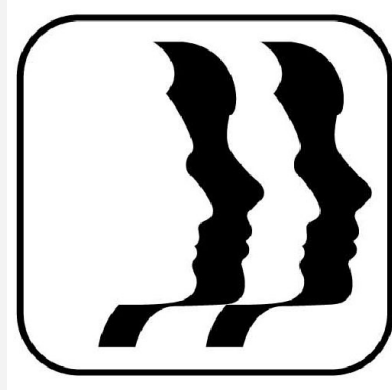
لو ملتوته،
حاتقول حدوته :

"كان فيه زمان،
واحد رفض عيشة الهوان،
قال إيه وحاول يبقى "خلقة ربنا"
مع إنه زيه زينا،
يعنى : بشر.
قالوله حاسب ما لتقدر،
قام راح عاملها، وقال : "فَشْرُ".

الثلاثاء 2010-10-05

1130- دراسة في علم السيكوباتولوجى النفس:"

منشورات
جمعية الطب النفسى التطورى،
والعمل الجماعى



دراسة في علم السيكوباتولوجى

(شرح: ديوان سر اللعبة)

الطبعة الثانية

2010

أ.د. يحيى الرخاوى

أستاذ الطب النفسى - جامعة القاهرة

* * * *

إهداء الطبعة الأولى

"إلى الإمام الشافعى القائل: مثل الذى يطلب العلم

جزافا كمثّل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها،
ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري"

إهداء الطبعة الثانية

- "ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع".
- "من تعلم علما فليدقق؛ لئلا يضيع دقيق العلم".
- "إن للعقل حدا ينتهي إليه، كما أن للبصر حداً ينتهي إليه"

• "...أسمع بالحرف منه مما لم أسمع، فتودّ أعضائي أن لها
أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت الأذنان" !

• "إن الله خلقك حراً، فكن كما خلقك. "

[من أقوال الإمام الشافعي،]

(برغم تصنيفه سلفياً أصولياً من المرحوم نصر أبو زيد!!)

الاهداء :

إلى كل إمام شافعي يلتزم بأقواله تلك،

كلُّ في مجاله!!

* * * *

مقدمة الطبعة الأولى

ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية لديوان سر اللعبة أن
"... تعلمت منها (الطبعة الأولى) الكثير، ومن بين ذلك أن
بعض الدارسين قد اعتبرها مرجعاً أعانه في إبداء رأيه أو
إثبات رأيه، وكذلك أن تيقنت من غلبة طبيعتها- وفائدتها-
العلمية، قبل وبعد شكلها الفني" إلى أن قلت "...لكني في
النهاية اخترت قسمة عادلة وهي أن أنشر المتن وحده... ثم
أنشره مع الشرح لمن شاء من أهل العلم وعمى المعرفة في مرحلة
تالية".

وهأنذا أفى بوعدى، مؤكداً للمرة الثالثة أن موقفي هذه
الأيام يتحدد أكثر فأكثر في أن أرجح الحديث باللغة العلمية
على ماسواه، وذلك لاعتبارات تتعلق بنموى الشخصى، وكذلك
لتبريرات تتعلق برؤية أولويات احتياج وطنى وناسى، وأخيراً
لاعتبارات محدودة عمرى بالنسبة للموقف اللازم لتدوين
وإبلاغ ما رأيت وعرفت في مجال علمى قبل أن أرحل.

كنت أتمنى أن يصدر هذا العمل ومعه مراجعة تفصيلية
للأعمال السابقة والموازية له سواء بالموافقة أو المعارضة،
وأن يدعم، كما هو المؤلف، بالإشارة إلى هذه البراهين
والمعارضات اللازمة للحديث بلغة العلم هذه الأيام، وهذا

ما يمكن أن أصعب التوثيق . كما كنت أتمنى أن تصحب هذه الدراسة عينات إكلينيكية مباشرة تدعم وتحقق ما جاء بها من أفكار وفروض وهذه مرحلة التحقيق، وقد كلفت فعلا بعض تلاميذي بالبدء في المهمتين حتى يصدر العمل متكاملًا، وذلك بعد أن أعفيت نفسي، بناءً عن اقتناع مؤكد، واستجابة لنصيحة صادقة، من أن أقوم أنا بهذه المهمة، حتى لأعوق انطلاق أفكارى بعد أن تخطيت مرحلة التردد، فلم أعد محتاجاً أن أقف موقف المدافع ابتداءً .

وما أن أهيئت مهمتى الأولى حتى وجدتهم مازالوا بين متردد ومؤجل وخائف، وزاد إلحاح طلبتي الأصغر في صدور الشرح كما هو، وهانذا أستجيب لهم غير هيباب، إلا أني أهمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذي بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التي أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

وقد التزمت أن تكون هذه الدراسة - أساساً - شرحاً للنص الشعري، ولذلك فهي قاصرة على ما ورد من أعراض وأمراض، أو شرح خطوات التقدم أو التعثر في مسيرة نمو الإنسان، وإن كان ذلك لم يمنع أن أعرج، كلما لزم الأمر، إلى تقديم مناسب لكل مرض تعرضت له، أو إلى استدراك لازم لأصول الظاهرة التي أفسر بها هذا المرض أو ذاك، وقد لاحظت أحياناً كثرة مثل هذا الاستدراك حتى هممت بحذفه إلا أن طبيعة الدراسة وإصرارى على تسجيل ما أراه أمانة لاهرب منها، دفعنى إلى أن أترك كل المادة كما هي للدارسين والباحثين الآن، أو على الأرجح مستقبلاً، ولم استشهد أو أشّر إلى بعض ما سبق من آراء، إلا بالقدر الذى يضطرنى إليه السياق فحسب.

خلاصة القول أن هذه الدراسة ليست مرجعاً شاملاً مجال من الاحوال، ولكنها عينة خاصة تؤكد أبعاداً محددة، في مجال علمي هذا من أهمها طبيعة هذا العلم، وبعض وسائل دراسته، وضرورة معايشة مادته: الإنسان - ذاتاً وآخرين-، قبل الخوض في الإفتاء فيه .

أما بالنسبة لتفضيلى كتابة هذا العلم بلغتى الأصلية، فإنني قد أعلنت أسبابه منذ حين، حيث أني أدركت يقيناً أن أى عمل إبداعي أصيل، وخاصة فيما يتعلق بماهية الإنسان، لا يمكن أن يجرى منسباً متناسقاً إلا بلغة الأم، حيث تمثل اللغة في ارتباطها بجذور تكوين العقل البشرى أساساً جوهرية يحدد طبيعة التفكير وخاصة في مجالنا هذا، ولكنى سوف ألتزم كضرورة مرحلية أن أترجم إلى الإنجليزية ما ينبغى من تعاريف ومصطلحات كلما أمكن ذلك، أو لزم ذلك. إما في النص، أو في الهوامش، كما سأقوم بترجمة الخلاصة والتعليق جميعاً وقد أضفتها ابتداءً من الفصل الرابع حين بدأ الحديث عن أنواع المرض النفسى نوعاً نوعاً، ولعل في ذلك ما يعين الدارس المبتدئ، ويطمئن ذا التكوين العقلي المترجم .

يحيى الرخاوى

المقطم 12 أكتوبر 1979

مقدمة الطبعة الثانية



بعد أن انتهيت - هنا في هذه النشرة اليومية كل أربعاء - من شرح ديوان أغوار النفس باعتباره دليلاً متواضعاً لفقه العلاقات البشرية، وتطبيقات ذلك في العلاج عامة، والعلاج النفسي خاصة، وكان الدافع إلى ذلك هو توظيف الحدس الشعري لشرح أغوار النفس، وخاصة فيما يتعلق بالطب النفسي والتطبيب، انتهت إلى العنوان الأصلي أنه "دراسة في علم السيكيوباتولوجي، الجزء الثاني" قلت، كما قالوا لي أيضاً: فماذا عن الجزء الأول؟ شرح ديوان سر اللعبة، وهو الأصل؟

رجعت إلى هذا الجزء الأول، فوجدت عهداً ملزماً أوردته حالاً في اثباتي مقدمة الطبعة الأولى وهو ما يحتاج أن أكرره هنا بحروفه:

"..... إلا أني أحمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذي بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التي أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

ويبدو أنه قد الأوان للوفاء بالوعد:

تاريخ نشر الطبعة الأولى هو سنة 1979!!!، ولا بد أنه كتب قبل ذلك بعام أو أكثر، إذن فقد مضى ربع قرن من الزمان، مما يعلن بدهاءة أنه - ما دام علماً!! وبخاصة ما كان يُعَدُّ بتطبيق عملي- يحتاج إلى تحديث ومراجعة ونقد وإعادة تشكيل؟ مسابرة لما يجري عبر العالم، ولما جرى فينا وحولنا وبناء، فوجبت هذه الطبعة الجديدة هكذا.

كنت أحسب أنني سجلت ظروف كتابة الطبعة الأولى في مقدمة تلك الطبعة، إلا أنني اكتشفت حالاً أنني لم أُنَبِّئها إلا في مناسبات أخرى منها نشرة "الإنسان والتطور"، مع أنها تحتاج إلى إثبات. ذلك لأنها تؤكد كيف أن مواصلة العمل الفعال مع الحفاظ على التوجه الصحيح، يمكن أن ينتج عنه أروع مما كنا نحسب، وأحياناً - أو كثيراً- غير ما كنا نحسب من إضافات

نوعية، وفروض تتجلى أثناء الفعل، وهذا يثبت منهجا غريبا أفرح به بقدر ما أخطر منه: وكثيرا ما أضطر نفسي إليه اضطرارا بأن أوصل عملا ما، أعتقد أنه ضروري، وخاصة إذا ما وقع في خانة ما أسميه "حمل الأمانة إلى أهلها"، أوصله بشكل "روتيني" لحوح، بعد التخطيط العام، وتحديد توجه الهدف الواضح، ولكن دون تفاصيل عن الشكل أو المحتوى، فينتج عن هذه الممارسة شيء أكبر بكثير مما كنت أتوقع، وحين يكتمل، يبدو وكأنه كان كذلك منذ البداية.

هذا هو ما حدث بالنسبة للنشرة اليومية "الإنسان والتطور" وقد دخلت عامها الرابع، وهو هو ما حدث - مع اختلاف الإمكانات والأدوات، وكان سببا مباشرا في ظهور الطبعة الأولى من هذا العمل.

فكيف كان ذلك؟؟

كنت مسئولاً عن اللجنة العلمية للمؤتمر العربي الأول للطب النفسي، وهو الذي عقد في القاهرة في ديسمبر 1978، وكان لزاما علي أن اعد الكتيب الذي يحوى موجزا للأوراق والأبحاث التي سوف تلقى في هذا المؤتمر، وقد وردت متأخرة - كعادتنا - وبدا أنه من قبيل المستحيل أن أنجز المهمة مهما بذلنا من جهد، وذلنا من صعب، في تلك الأيام لم تكن هناك هذه التسهيلات الحاسوبية، أو آليات الطباعة الإلكترونية الحالية، كنا نطبع إما بجمع الحروف باليد، وإما بالليدوتيب إذا تيسر الحال، المهم لم أوفق للاتفاق مع أى مطبعة لإنجاز المهمة في الزمن المحدد، قبلت التجدي، وغامرت بالاتفاق مع عامل بسيط (اسمه "فكرى" على ما أذكر) في مطبعة متواضعة أن أشتري له صندوق حروف، وأن يأخذ إجازة من المطبعة بعد أن استأذنت صاحبها، وأن يقيم عندي في حجرة بالجراج، وأن يواصل جمع دليل المؤتمر ليل نهار ثم نرى، وتمت المهمة بالتوفيق، وانتهى المؤتمر على خير.

وحين حاول "فكرى" الرجوع إلى عمله الأصلي حالت ظروف صاحب العمل دون ذلك، وشعرت بالمسئولية دون ندم، سألتى فكرى إن كان عندي ما ينشغل به ويشغله حتى يجد عملا في مطبعة أخرى، وفي نفس الوقت أستفيد من صندوق الحروف الذى اشتريته، ولم يكن عندي شيء جاهز فعلا، ففكرت أن أنتهزها فرصة، وأقوم بشرح متن هذا الديوان "سر اللعبة"، وبذلك أوفى بتعهدي (للمرحوم) صلاح عبد الصبور أثناء مناقشته للديوان معى في البرنامج الثانى في الإذاعة المصرية، وذلك حين مدحه بكرم وسماح، وهو يصر على أنه شعر فخ، وأنه يستحيل أن يكون سردا لمراحل المرض النفسى من عمق معين كما قلت له أثناء الحوار. سألت "فكرى": كم يلزمك لتشغل ساعات عملك اليومى وتحصل على نفس أجرك المعتاد حتى تجد عملا؟ وقال لى إنه يحتاج إلى ستة عشرة ورقة فولسكاب بخط اليد تقريبا، ووعده بأن أعطيه كل ليلة ما يكفى عمله في اليوم التالى، فخرجت الطبعة الأولى.

يبدو أن نفس الحكاية (السكريبت) تكرر بالنسبة لهذه الطبعة الثانية، بعد إحلال نشرة الإنسان والتطور محل الابن "فكرى" جامع الجروف

وبعد

بدأت تجربة التحديث اليوم تمهيدا لمواصلة إصدار الطبعة الثانية، فخطر لي تنظيما وتبويبا واقتراحات شعرت معها أنني أحتاج إلى آراء ونقد الأصدقاء والزملاء، قبل أن أوصل المشروع.

وفيما يلي بعض ذلك:

أولا: تصورت أنه من الممكن أن أعفى نفسى - بعد ربع قرن - من الالتزام بأسلوب "الشرح على متن شعري"، وأجعل المتن في الهامش، مع الاحتفاظ بكل المعلومات الواردة وتحديثها، ولكنى عدلتُ إلا قليلا.

ثانيا: هممت أن أعيد ترتيب الموضوعات، وأن أبدأ بالفصام (مثلا)، باعتباره، حسب التنظير الذى ورد في هذا العمل (وفى كل فكرى) المرض الأخطر، أصل كل الأمراض النفسية باستثناء الأمراض التلفية العضوية، إلا أنني حين بحثت في حاسوبى، وفى هذه النشرة اليومية عن ما كتبتَه عن الفصام من تنظير وحالات، وشرائح (باور بوينتت PP) وجدتها تربو على ألفى صفحة، فى حين أنها لا تشغل فى هذا الكتاب المراد تحديثه إلا تسع وتسعين صفحة، فتيقنت أن كل مرض من الأمراض قد يحتاج كتابا مستقلا له علاقة ما بما ورد فى هذا العمل الخالى، وأنه أبدا لا يجوز أن يُختزل إلى ما جاء فى هذا العمل، الذى أن ينقلب بهذا التعديل إلى مرجع تقليدى لا لزوم له.

ثالثا: عدت ففضلت أن ألتزم فى هذه الطبعة الثانية بالنص الاصلى الذى صدر فى الطبعة الأولى وأن أحجز له نشرتي الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع بصفة مبدئية.

رابعا: قررت أن أطرح الآن ما خطر لي من خطوط عريضة طليا للرأى والنقد والتعديل، ويمكن إيجاز بعض تلك التوجهات فيما يلي:

1. تصحيح ما يحتاج إلى تصحيح
2. إضافة ما وصلنى من الخبرة والاطلاع فى هذه المدة التى ناهزت الربع قرن
3. فصل المتن الشعري فى هوامش، كما أشرت سابقا.
4. إضافة استشهادات إكلينيكية من حالات بعينها
5. إضافة بعض الاحتمالات التطبيقية العملية
6. توضيح بعض الأجزاء برسوم تخطيطية، (برغم اعتراض أغلب من استشرتهم).

7. استمرار الإصرار (مع الاعتذار) على تجنب الاستشهاد المباشر - ما أمكن ذلك- بمراجع أجنبية مجرد حداثتها أو حبكتها .

8. زيادة الإحالة إلى المراجع الأحدث، اللازمة لدعم بعض الفروض والرؤى، أو المثيرة للنقد الموضوعي.

9. محاولة الربط مع منظومات المعارف الموازية الأخرى (في غير مجال الطب النفسي، والعلوم النفسية).

10. تنشيط الحوار مع ما يصلى من تعليقات واستفسارات أولاً بأول.

يحيى الرخاوي

الأحد 3 أكتوبر 2010

يا ثرى: ما رأيكم دام فضلكم؟

الذى حدث بعد كل هذه النوايا هو ما سوف نقرأه في نشرة الأربعاء غداً .

وأشهد الجميع بصدق القصد وحسن النية حتى الغد .

- لعل الفرق بين الطبعة الأولى والثانية ، هو الفرق بين إهداء كل منهما !

- Documentation

- Verification

- كنت أشرت إلى بعض ذلك في نشرة سابقة " الورطة "

- أول مرة أستعمل كلمة التلفية (تلف تلفاً: هلك وعطب، .. ويقال أتلّف .. أفنى..

- هذا ، ومن واقع خبرتى السابقة في هذه النشرة، فإننى على يقين من أن التعقيبات أولاً بأول، سوف تتيح الفرصة - قبل النشر الورقى، أو نشر الكتاب مجتمعا- لتوضيح الغامض، وتفصيل المختصر، وتصحيح الخطأ، كما كان الحال مع معظم محتويات النشرة، وخاصة باب "التدريب عن بعد"، (الإشراف على العلاج النفسي).



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2010

أ.د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي، كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها ومشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة، ج2 مدرسة العرة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أسوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف الفردي بين التفسير والاستلهام - رحلات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر (- ألف باء، الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعزى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي - الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويًا مثل لُس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك للمجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

